بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك الحق المبين • المحسن البر الامين • السلام الذى سلم عن العقب والزوجة والبنين • الذى آمن به كل شئ • وجعل الخلق من سطوته خائفين • القائل تعالى في محكم كتابه المبين • ذلكم الله ربكم فادعوه مخلصين له الدين • سبحانه وتعالى أشكره وأتوب اليه وأستغفره من كل ذنب ظاهر أو كمين • وأشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له الملك الحق المبين • شهادة تنجى قائلها في القيامة يوم الدين • وأشهد ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله وصفيه وخليله الصادق الوعد الامين الذى جاهد بسيفه حتى أقام الدين ونصر المؤمنين وخذل المشركين اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأصحابه وأزواجه وآل بيته الكرام الطيبين الطاهرين صلاة وسلاما دائمين متلازمين في كل وقت وحين وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان الله سبحانه وتعالى جعل سير الاولين عبرة للآخرين وموعظة للجاهلين وتنبيها للغافلين يتعظم بذلك أصحاب العقول الكاملين • ويعلمون ان الجهاد فرض على المؤمنين وانى قد استخرت الله

العظيم في كتابة هذا الكتاب حيث رأيته محتويا على نصرة الاسلام وخذل الكفرة الاثام وبحثت في غيره من السير فما وجدنا أصدق قولا منه ولا أقوى برهان ولا أفصح بيان من سيرة الملك الظاهر بيبرس أبي الفتوحات الموعود من الله بالنصر والتأييد من ابتدائها الى انتهائها وما سيذكر من ناصيتها الغريبة وأمورها المطربة العجيبة وألفاظها الحسنة ونظومها المستحسنة وسنذكر فروعها وأصولها في خمسة بحور لتسمع أهل الفجور تأليف السادات الكرام المشهورين بالعلم وعلو المقام نبراس الافهام الديناري ووافقه على ذلك الدويداري وهما بذلك أعظم داري ثم ناظر الجيش وكاتم السر والصاحب فكل من هؤلاء له بحر فيها وما يخصها من معانيها ومبانيها وما أرخوه وما شاهدوه وما نقلوه عن السادة من اخوانهم الذين يعتمدون من كلام الصدق عليهم وما عاينوه من كرامات الاولياء ومعجزات الانبياء وسنذكر كل شئ في مكانه بعون الله وسلطانه (قال الراوى) وهو الديناري رحمه الله تعالى انه كان من قديم الزمان وسالف العصر والاوان بعد ان توفي الى رحمة الله تعالى المعتصم بالله وتولى الخلافة بعده الواثق بالله ولده ومات الى رحمة الله وتولى المقتدر بالله وهو شعبان المقتدر بأرض بغداد وكان له وزيرا يقال له العلقمى وكان هذا العلقمى له ولد يقال له ابراهيم العلقمى وكان يهوى الحمام وله شحبة كثيرة في غية الحمام وكان لامير المؤمنين المقتدى بالله ولدين أحدهما يقال له ابراهيم والآخر يقال له أحمد وكان ابراهيم أيضا يهوى الحمام ويغويه وله محبة فيه فلما ان كان يوم من بعض الايام تلاعبوا الاثنين مع بعضهم بعضا بالحمام ووقعت بينهم الشروط على ان كل من غلب يأخذ حمام الآخر وتقرر بينهما ذلك ومن الامر المقدر والقضاء المبرم غلب حمام ابراهيم العلقمى ابن الوزير حمام ابراهيم بن شعبان المقتدر بالله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك الحق المبين • المحسن البر الامين • السلام الذى سلم عن العقب والزوجة والبنين • الذى آمن به كل شئ • وجعل الخلق من سطوته خائفين • القائل تعالى في محكم كتابه المبين • ذلكم الله ربكم فادعوه مخلصين له الدين • سبحانه وتعالى أشكره وأتوب اليه وأستغفره من كل ذنب ظاهر أو كمين • وأشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له الملك الحق المبين • شهادة تنجى قائلها فى القيامة يوم الدين • وأشهد ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله وصفيه وخليله الصادق الوعد الامين الذى جاهد بسيفه حتى أقام الدين ونصر المؤمنين وخذل المشركين اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأصحابه وأزواجه وآل بيته الكرام الطيبين الطاهرين صلاة وسلاما دائمين متلازمين في كل وقت وحين وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان الله سبحانه وتعالى جعل سير الاولين عبرة للآخرين وموعظة للجاهلين وتنبيها للغافلين يتعظ بذلك أصحاب العقول الكاملين • ويعلمون ان الجهاد فرض على المؤمنين وانى قد استخرت الله

العظيم في كتابة هذا الكتاب حيث رأيته محتويا على نصرة الاسلام وخذل الكفرة الاثام وبحثت في غيره من السير فما وجدنا أصدق قولا منه ولا أقوى برهان ولا أفصح بيان من سيرة الملك الظاهر بيبرس أبى الفتوحات الموعود من الله بالنصر والتأييد من ابتدائها الى انتهائها وما سيذكر من ناصيتها الغريبة وأمورها المطربة العجيبة وألفاظها الحسنة ونظومها المستحسنة وسنذكر فروعها وأصولها في خمسة بحور لتسمع أهل الفجور تأليف السادات الكرام المشهورين بالعلم وعلو المقام نبراس الافهام الديناري ووافقه على ذلك الدويداري وهما بذلك أعظم داري ثم ناظر الجيش وكاتم السر والصاحب فكل من هؤلاء له بحر فيها وما يخصها من معانيها ومبانيها وما أرخوه وما شاهدوه وما نقلوه عن السادة من اخوانهم الذين يعتمدون من كلام الصدق عليهم وما عاينوه من كرامات الاولياء ومعجزات الانبياء وسنذكر كل شئ في مكانه بعون الله وسلطانه (قال الراوى) وهو الديناري رحمه الله تعالى انه كان من قديم الزمان وسالف العصر والاوان بعد ان توفي الى رحمة الله تعالى المعتصم بالله وتولى الخلافة بعده الواثق بالله ولده ومات الى رحمة الله وتولى المقتدر بالله وهو شعبان المقتدر بأرض بغداد وكان له وزيرا يقال له العلقمي وكان هذا العلقمي له ولد يقال له ابراهيم العلقمي وكان يهوى الحمام وله شحبة كثيرة في غية الحمام وكان لامير المؤمنين المقتدى بالله ولدين أحدهما يقال له ابراهيم والآخر يقال له أحمد وكان ابراهيم أيضا يهوى الحمام ويغويه وله محبة فيه فلما ان كان يوم من بعض الايام تلاعبوا الاثنين مع بعضهم بعضا بالحمام ووقعت بينهم الشروط على ان كل من غلب يأخذ حمام الآخر وتقرر بينهما ذلك ومن الامر المقدر والقضاء المبرم غلب حمام ابراهيم العلقمي ابن الوزير حمام ابراهيم بن شعبان المقتدر بالله تعالى

(فقال) ابراهيم الملقمى هذا الحمـام قد صار حقي وانه من رزقي فقال ابراهيم المقتدر هذا لا يكون وما أنت الا مجنون ثم تشاجر أحدهما مع الآخر ووقع بينهما الشر فقال ابراهيم المقتدر لا بد ان أسير إلى أبي وأخبره بذلك ثم ترك له الحمام ومضى الى أبيه وأخبره الخبر وأطلعه على جلية الأثر فقال شعبان المقتدر بالله هذا الامر ياولدى لا ينبغى الحكومة فيه فابطل هذا الامر ومعانيه ثم انه صاح على الغلمان الذين حوله وقال لهم امضوا في ذلك الوقت والحين واذبحوا حمام الاثنين (قال الراوى) فلما سمع الغلمان ذلك تجاروا على حمام الاثنين وذبحوا حمام ابن الوزير جميعه وحمام ابن السلطان ذبحوا منه البعض وتركوا البعض لما ان رأوه يبكى والهم من محبته الى الحمام يشكى وقد قصـدوا بذلك الرحمة له واطاعة لامر أبيه فلما نظر الى ذلك ابن الوزير صعب عليه وكبر لديه وسار الى عند أبيه وقال له يا أبي ان الملك المقتدر أمر بذبح حمامنا وقد جرى من الامر ماهو كذا وكذا ثم أخـبره بالقصة من أولهـا الى آخرها وأطلعه على باطنها وظاهرها فلما سمع الملقمى ذلك من كلام ولده اغتاظ غيظا شديدا ماعليه من مزيد وقال في نفسه كيف ان الملك يهين ولدى ويكرم ولده ولـكن لابد أن أصطنع له شيئا يذهب به ملكه ويفنى به عزه وسوف أحرض عليه الملوك وكل غنى ومملوك ثم ان الوزير صار يدبر أمره في ذلك وانه يريد أن يسقى الملك كأس المهالك ياساده فهذا ماجرى هاهنا وأما ما كان من أمر أمير المؤمنين شعبان المقتدر فانه بات ليلته ولم يكن عنده خبر ممـا دبر الوزير فلما ان كان عند الصباح نزل الى الديوان وجلس على كرسى مملكته وأحدقت به أرباب دولته ورؤوس عشيرته والوزير محمد الملقمى الى جانبه يتمنى له الهلاك ويريد أن يوقعه من سوء الارتباك ثم ان الخليفة شعبان المقتدر نظر الى الوزير فأخفى عليه حاله وما هو عليه

من أحواله ونظر منه عين الغدر وهو ناوى له على الشر فالتفت اليه وقال له ياابراهيم مالى أراك معبس الوجه وأظن انه قد صعب عليك من حيث أمرت بذبح الحمام فقال ياأمير المؤمنين أمرك مطاع وجميع ماشرطته يستطاع فالامر أمرك ولا نقدر نخالف مقالك فأنت خليفة الله في الارض ذات الطول والعرض ثم شكره وأثنى عليه ودعا له فأمر له الخليفة شعبان المقتدر بخلعة تسره وأعطاه اياها وطيب خاطره وضاحكه وباسطه وجعل يتحدث معه كل هذا والوزير محمد الملقمى لايزداد الا غيظا ويطلب للخليفة الشر فلما نظر الخليفة الى ذلك خاف على روحه وقال في نفسه لاشك ان هذا غدّار وربما فعل معى فعل الاشرار ويخاطب أحدا من الملوك ويحرضهم علىّ وأنا لا آمن منه ثم انه صبر باقى ليلته الى ان تنصف الليل وجمع أرباب الدولة وقال لهم امسكوا أبواب بغداد وفتشوا كل من خرج منها بجواب والداخل فلا لكم عليه سبيل فقالوا سمعا وطاعة هذا وقد نزلت المفتشين بأمر أمير المؤمنين المقتدر برب العالمين

(قال الراوى) فهذا ما كان من أمر السلطان وأما ما كان من أمر الوزير محمد الملقمى فانه صار يدبر الحيل ويتقن العمل الى أن أعياه الامر ولم يقدر أن يرسل مكاتبة الي أحد من الملوك لاجل الحراس الذين على الابواب فلما ان كان في بعض الليالى دعا بمملوك عنده يقال له جابر وصاح عليـه وقال له ياجابر أنا لى عندك حاجة وما أريد قضاها الا منك فقال له ياسيدى وما تكون اخبرنى بها وأنا أقضيها ولو شربت من أجلها كأس المنون قال له انى أريد أن أرسل معك رسالة الى الملك منكتم ولك بعد ذلك عندى خمس مائة دينار وخلعة سنية وأنت فيما بعد ذلك حر لوجه الله تعالى فـاذا أنت قائل اخبرنى ان كان قلبك لى مائل فقال له جابر ياسيدى روحى

لك الفدا من كل سوء وردا ولكنني لم أقدر أخرج من مدينة بغداد بالرسالة لانك تعلم أن الحرس شديد والامر عتيد فقال له الوزير الامر أقرب من ذلك ثم انه أخذ موسا وحلق به رأس المملوك وأخذ الابر وكتب بها على رأسه جواب سنذكره في مكانه بعون الله وسلطانه وقال له سر واقطع البراري وعد الي بالجواب واطلعني على الخطاب فقال له الغلام سمعا وطاعة ثم انه صبر في بغداد عشرة أيام الى ان انكست رأسه بالشعر وخفيت الكتابة فقال له الوزير اذهب الآن الى بلاد العجم فقال له نعم ثم انه خرج من بغداد وفتشوه الحراس الذين على باب المدينة فما وجدوا معه حاجة فقالوا له امض الى سبيلك فعند ذلك سار الغلام يقطع في البراري والآكام قال فهذا كله يجري وأمير المؤمنين لم يكن عنده خبر مما فعله الوزير من المكائد وما دبره من النكائد

(قال الراوي) وأما الغلام فانه سار بجد المسير وسرعة الجد والتشمير الى ان وصل الى بلاد العجم ودخل على الملك منكتم وسلم عليه وقبل الارض بين يديه فرحب به الملك وقال له من أنت ومن أين أقبلت وما الذي تريد فقال له يامولاي أنا من مدينة بغداد دار السلام من عند الوزير محمد العلقمي وزير خليفة المسلمين شعبان المقتدر فقال له ما معك من الاخبار فقال له معي سر أريد أن أطالعك عليه بيني وبينك (فلما) سمع الملك منكتم ذلك الكلام نهض قائما على الاقدام فأخذه ودخل به الى مكان في جانب القصر وقال له أرني ما معك قال معي رسالة وهي مكتوبة على رأسي فعند ذلك حلق له رأسه فظهرت الكتابة وقراها يجد فيها خطابا من الوزير محمد العلقمي الى بين أيادي الملك منكتم الذي نعلمك به ان أمير المؤمنين خامر علينا وتكبر وظلم وتجبر وأنت أحق منه بالسلطنة

لانها من قديم الزمان لجدك الملك كسرى أنوشروان فحال وصول المملوك اليك تحضر ركبة كبيرة وتنزل بها على بغداد وأنا أملكك الارض والبلاد وأكون أنا مقيما من داخلها وأنت من خارجها والقوم بيننا متوسطين ونفنيهم أجمعين ونملك الارض والبلاد وتطيعنا كل العباد وتعمل على قتل حامل الرسالة من غير اطالة ليكون السر بيننا ولا أحدا يطلع عليه غيرنا وهذا ماأخبرتك به وأطلعتك عليه والسلام

(قال الراوى) فلما سمع الملك منكتم ذلك الامر فرح فرحا شديدا ماعليه من مزيد وحط يده على الحسام وضرب به ذلك الغلام أطاح رأسه عن الهام فمات شهيد في طاعة الملك العلام لانه مايعلم باطن هذه الامور والاحكام قال وكان هذا اللعين منكتم فارس جبار وبطل مغوار لايعد له على جار وهو فارس شديد وبطل صنديد وشيطان مريد وكان يعبد النار دون الملك الجبار وعنده عساكر بعدد قطر البحار وكلهم منكبين على عبادة النار ليل كان أو نهار وقدكان له ولدين ملعونين أحدهما يقال له هلاون والآخر يقال له كلب يزيد فأمر باحضارهما بين يديه فلما حضرا قال لهما اعلموا انه قد جرى من الامر ماهو كذا وكذا ثم انه أخبرهم بالقصة من أولها الى آخرها وكشف لهم عن باطنها وظاهرها فلما سمعوا أولاده منه ذلك الكلام سجدوا بين يديه شكرا للنار ذات الاضطرام وقالوا له لابد أن نركب على بلاد المسلمين ونملكها بهمتنا العالية وما نترك منهم بقية ثم تقرر بينهما الامر على أن أحد أولاده يسير الى بغداد ويملك البلاد ويقتل العباد وبعد ذلك أمر بدفن المملوك الذى قتله فدفنوه وواروه التراب ثم ان الملك منكتم أمر بتجهيز العساكر فركبت الدساكر وكان عندهم ستين ألف فارس من كل بطل مداعس وقال لولده هلاون

خذ هؤلاء العساكر والاجناد وارحل بهم الى أرض بغداد وانزل عليها وأنا لاحق بك وعلى مابين يديك أعاونك قال فسار الملعون هلاون في ستين ألف من الفرسان وكلهم يعبدون النيران دون الملك الديان راكبين خيول مثل الغزلان وساروا يقطعون البرارى والوهاد طالبين أرض بغداد ياساده وأما الملك منكتم فانه بعد مسير ولده بثلاثة أيام جهز ركبة ثانية وهى ثمانين ألف فارس ليوث عوابس مامنهم من يعز العرش بكلمة التوحيد بل الجميع يعبدون النار دون الملك الجبار ونحن نقول لااله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لولده كاب يزيد سير ياولدى على أثر أخيك عن يقين وعاونه على قتال المسلمين فأجابه ولده بالسمع والطاعة وسار يجد المسير من وقته والساعة ياساده وبعد مسيره جهز ركبة أخرى بشنيار كامل عدتها مائة ألف وسار خلفهم وقد تبع أثرهم

(قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أمير المؤمنين شعبان المقتدر بالله فانه ماعنده خبر بما دبر الوزير من الاثام وأنه يريد أن يسقيه كأس الحمام بينما هو جالس في يوم من بعض الايام واذا بغبار قد ثار وعلا وسد الاقطار فأرسل الخليفة من يكشف له الاخبار فسارت جماعة وعادوا اليه وقالوا ياأمير المؤمنين قد أقبلت جيوش الاعجام وهم ستون ألف عنان وفى أولهم هلاون ابن الملك منكتم الملعون وهم طالبون أرض بغداد ويريدون لنا العناد معولين على الحرب والجلاد (قال الراوى) فلما سمع الخليفة ذلك قال انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولكن لأى شئ أتت هذه الفرسان وما الذى يريده من الامر والشان ياوزير الزمان فقال الوزير محمد العلقمى لاأدرى شيئاً من ذلك ياأمير المؤمنين وخليفة رب العالمين فعند ذلك جمع الخليفة دولته ورؤوس عشيرته وأطلعهم على ذلك

الامر وشاورهم فيما يعمل وما الذى يصنع فقالوا ياأمير المؤمنين اعلم ان الآن لم يكن عنـدنا عساكر كثيرة وان الرأى الصواب مالنا غـير الحصار على الاصوار الى أن يأتينا الفرج من الله العزيز الغفار فقال الخليفة هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب ثم انه أمر بغلق أبواب بغداد فأغلقوها وصعدت الرجال على الاصوار وأخذوا يصلحون عددهم ويحملون بأسلحتهم هذا وقد أقبل الملعون هلاون وحط على بغداد ونزلت حولها عباد النار واحتاطوا بها من سائر الاقطار كما يحتاط النيل بالبلاد أو البياض بالسواد فصاحت الابرار ورموهم بالاحجار والصخور الكبار ودام الحصار ذلك النهار حتى أقبل الليل التفت الخليفة الى وزيره العلقمى فقال ياوزير والله انى متعجب من قدوم هؤلاء الملاعين الينا وتجريتهم على بلادنا وانى أريد منك انك تنزل في غداة الى هؤلاء الملاعين وتنظر ماهم طالبين وماهم عليه معولين فقال له الوزير يامالك الاسلام ومولانا الامام ان هذا احتقار بقدر الدولة العباسـية والرعايا المحمدية والرأى عندى أن تنزل أنت في عساكرك ومن عندك من الرجال وتكون بالسلاح وآلة الحرب والكفاح وأنا أكون من خلفك أعين العساكر الذين معك فان نزلت وفتحت أبواب البلاد فاخرج الى القوم اللئام ولا تبالى فان الله ناصر الاسلام وبهذا يكون أهيب لنا وأرهب لاعدائنا اذا رأوك وقد خرجت اليهم وربمـا وقعت هيبة الاسلام في قلوبهم فينكسرون عن آخرهم فلما سمع الخليفة ذلك الخطاب ظن انه صواب وما يعلم ان الوزير أراد هلاكه ثم انهم باتوا تلك الليلة ولما ان كان من الغد نهض الخليفة ونزل برجاله وأهل دولته وفتحت أبواب بغداد وخرج الخليفة طالب أهل العناد ومعه العساكر والاجناد

(قال الراوى) فهذا ما كان من الخليفة وأما ما كان من الوزير العلقمى

فانه بعد ان خرج الخليفة من بغداد أمر الوزير بغلق أبواب المدينة في ظهره فأغلقوها خوفاً من الوزير لانهم يعرفوه انه كثير الشر فلما ان عاين الخليفة ذلك علم ان الحيلة قد تمت والرذية عمت وعلم ان كل ماقد صار من الامور بأمر الوزير فقال سلمت أمرى الى اللطيف الخبير ثم ان الامام صاح بملو رأسه ياعصبة الاسلام احملوا الآن على القوم اللئام وابذلوا فيهم الحسام فمن عاش منكم عاش سعيد ومن انتقل الى الله بالوفاة فهو شهيد فاتركوا الدنيا خلفكم واجعلوها من وراء ظهوركم وأقبلوا على الآخرة بوجوهكم تفوزوا بالشهادة وتسكنوا جنة ربكم وانا أول من يجاهد أمامكم فقد قال عز من قائل (وجاهدوا في سبيل الله) الآية ثم انه بعد ذلك صاح الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر بدين محمد وحمل على الكفار وتبعه اثنا عشر ألف من الابرار وعمل البتار وطلع الغبار وقدحت حوافر الخيل الشرار وقصرت الاعمار وكشفت الاستار وراحت الاسرار وصارت الدما مثل الانهار ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى ان ولى النهار واستحل واقبل الليل بالانسدال وقد كلت سواعد أمير المؤمنين ومن معه من الرجال المجاهدين وكان عدته كما ذكرنا اثنى عشر ألف فارس لكنهم أبطال أشاوس والقوم اللئام في ستين ألف من الاعجام فاحتاطوا الجميع بالاسلام وكان قد أسر في ذلك اليوم من عساكر الاسلام أربعة آلاف فارس وجرح أكثرهم ثم أضرموا النيران وتحارس الفريقان الى ان أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فركب أمير المؤمنين ومن معه من العساكر المسلمين وركبت أيضا الكافرين واختلطت الطائفتان وحان الحين وزعق غراب البين وعمل القتال واختلفت الاقوال وكثر الزلزال وعملت النصال وكثر على المسلمين العدد وزاد المدد ولم تزل نار الحرب دائمة والقيامة قائمة

الى وقت العصر وقد سطت الكافرون على المؤمنين وأخذوهم أسرى عن بكرة أبيهم وفي الجملة أمير المؤمنين شعبان المقتدر وأوثقوا الجميع كتاف وقوّوا منهم السواعد والاطراف هنالك دقت الشنايير وضربوا الكؤسات والمزامير وصاحت اللئام الكفار بالنار ذات الشرار فلما سمع الوزير العلقمي بذلك النداء علم ان الاسلام أسروا والكفار نصروا فأمر بفتح أبواب المدينة وخرج في جماعة من رجاله وتلقا الملك هلاون وهناه بالنصر على الاسلام وقال له ماأنت الا بطل همام وأسد ضرغام فشكره الملك هلاون وأثنى عليه ودخل هلاون في بعض رجاله الى بغداد وقد ترك أمير المؤمنين في القيود والاصفاد هو ومن معه من الاجناد ووكل جماعة من قومه هذا وقد دخل الوزير وفى صحبته الملك هلاون الى ان صعدوا الى القلعة وأجلس الوزير هلاون على كرسى بغداد وقال له أنت أحق بهذا من شعبان المقتدر (فلما) سمع هلاون ذلك التفت اليه وقال له ياعلقمى أما أنت مسلم قال نعم أنا مسلم قال له الخليفة ماهو مسلم قال نعم هو مسلم فقال له وما السبب الذى حملك على مافعلت وكيف انك دبرت على هلاكه وعزله من مكانه فعند ذلك أعاد عليه ماجرى من أول الامر الى آخره وأطلعه على ظاهره وباطنه

(قال الراوى) وهو الدينارى رحمه الله فلما سمع هلاون ذلك قال له ياويلك اذا كنت أنت فعلت في من هو من دينك لاجل حمامة فتهلكنا نحن الآخرين من أجل ذبابة وأنت لم يكن فيك خيرا فى دينك وأهل ملتك وكيف يكون لك خير فينا ولا بد أن نجازيك على فعالك وما عملت من أعمالك ثم ان هلاون صاح على رجاله وقال لهم خذوه وعلى باب المدينة اصلبوه ففى الحال قبضوا عليه هو وولده وصلبوهما على باب مدينة

بغداد واسقوهما أشـد العذاب (ياساده) وبعد ذلك ادعى الملك هلاون بالاسارى فحضروا اليـه وصاروا بين يديه وكان من جملتهم أمير المؤمنين شعبان المقتدر فلما وصل الخليفة الى المدينة نظر واذا به رأى الوزير وهو مصلوب هو وولده فتعجب من ذلك وقال الحمد لله الذى أيدنى بنصره المبين وأوقعك في بغيك وجازاك على فعلك ولقد صدق من قال هذه الابيات

متى أرى عدوى ميتاً * وفي الحرير مكفنا
وأرفص برجلى قـبره * وأقـل له ها من أنا
من عاش بعد عـدوه * يوما فقـد بلغ المنى

قال ثم سار الخليفة هو ومن معه من الرجال وهو يحجل في السلاسل والاغلال حتى انه وقف بين يدى اللعين هلاون فلما رآه ارتعدت فرائصه وخاف منه وأمر فى الحال بسجنه ولم يكلمه كلمة واحدة وذلك هيبة من الله تعالى فعند ذلك أخذوه بعض الرجال وأدخلوه الى السجن هو ومن معه من الرجال وفى أرجلهم القيود الثقال وفى أعناقهم السلاسل والاغلال فلما رأى أمير المؤمنين نفسه على ذلك الحال قال كلمة لايخجل قائلها (لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم) ثم انه بكا وأن واشتكى وأنشد يقول

أسلمت أمرى لرب السماء * قدير على تيسير كل عسـير
رب المشارق والمغارب كلها * رازق الانام وصنعه التدبير
به اسـتعنت حقا على العدا * وجملته خبـير ونعم بصـير
إلهى توسلت اليك بأحمد * تكن لى نصيرا ياأعز نصير
واطلق صراحى مما حل بى * ونجنى من حرقتى وزفـير
وجدلى بالخلاص على رغم العدا * فقد كان منك الوعد والتقدير
ثم الصلاة على الحبيب محمدا * نبى الهدى والسراج المنـير

قال الراوى فهذا ما كان من الخليفة وأما ما كان من اللعين هلاون
فانه جلس على كرسى بغداد وحوله عساكره والاجناد وبات تلك الليلة
في أهنأ مايكون من المبيت ولما ان كان من الغد جلس على الكرسى
وحوله أرباب الدولة وصار يحكم في العساكر قدر ساعة زمانية فبينما هو
كذلك اذ دخل عليه من باب القصر خمسة وسبعون من الاكراد وعليهم
آثار العبادة وهم متقلدين بسيوف من خشب وهم ينادون لااله الا الله
محمد رسول الله فلما رآهم اللعين هلاون قال لمن حوله من هؤلاء فقالوا له
(اعلم) ياملك الزمان حفظتك النيران ان هؤلاء من فقراء المسلمين
وأظنهم انهم ماأتوا الى هاهنا الا يهنوك بسلامتك ويطلبوا احسانك وهم
يذكرون الله تعالى ويبذرون في الارض ويأكلون من رزق الله ويطوفون
البلاد ويحبونهم كل العباد (قال) فلما سمع الملك ذلك قال ياقوم انى أريد
أن أنظر الى ذكرهم وكيف انهم يذكرون ربهم فعندذلك أمروهم بالذكر
فقام المقدم عليهم ونصب حلقة من الذكر في داخل القصر فلما رأى اللعين
هلاون ذلك قال وحق النار ماهذا الا جنون وأى جنون ثم انه صاح على
من حوله ياويلكم اضربوهم وعن هذا المكان اخرجوهم فعند ذلك
صاحت الاكراد بعلو أصواتهم ونادوا الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر
وأخذل من كفر فأجابهم من خارج القصر سبعون ألفا من الاكراد وهم
ينادون يا كريم ياجواد انصرنا على أهل العناد والشرك والفساد وكان المقدم
على هؤلاء الاكراد رجل يقال له يوسف صلاح الدين فقام على حيله وما قصد
الا السجن الذى فيه أمير المؤمنين وضرب باب السجن بيده فانكسر الباب
باذن مسبب الاسباب ثم انه أشار على من كان داخله من المؤمنين الاسرى
فتساقط الحديد من أعناقهم وخلصوا مما هم فيه من الاثقال فخرجوا وبأيديهم

السيوف الصقال وصاحوا على أهل الكفر والضلال وأسقوهم شراب الوبال ياساده ثم ان الاكراد جروا سيوفهم من خشب قابلوا الكفار بالويل والعطب وما كانت الاساعة من ساعات النهار حتى شرب الكفار كاس البوار وما نجا منهم لا كبار ولا صغار الا انهم فنوا بقوة الجبار وقد نصر الله المؤمنين الابرار على عباد النار وما هرب الا اللعين هلاون وصحبته اثنين لا يزيدون وقد هج على وجهه في الفلاة وهو لا يصدق بالنجاة من شرب كاس الوفاة

(قال الراوى) وكان السبب في مجىء هؤلاء الاكراد الايوبية سبب عجيب وحال غريب وسنذكره ان شاء الله على الترتيب بعد الصلاة والسلام على النبى الحبيب وذلك انه كان بين وادى بكر وبين بغداد قبيلة من جملة قبائل العربان وكانت تنسب بقبيلة الاكراد وكانوا هؤلاء من نسل الاشراف من قريش يقال لهم الاكراد الايوبية ينسب الى حبيب النجار رضى الله تعالى عنه وان هذا حبيب كان له سر عجيب وكان السبب في انهم سموه حبيب النجار لانه كان ينجر الخشب بالخشب فسبحان من أعطى ووهب (ياساده) وكان له كرامات لم تخفى على سائر المخلوقات قال ولما يريد الله تعالى من انفاذ حكمه ومجرى مشيئته ان قد أخذ تلك الاكراد وجاءها سيل أعاق زرعها ونزل الثلج فقتل مزارعها وأخربت الارض وقد أعياهم الامر فى ذلك وأيقنوا الجميع بشرب كاس المهالك فذهبوا الى كبيرهم وكان يقال له يوسف صلاح الدين الكردى وشكوا اليه حالهم والذى أصابهم وقالوا له ياسيدنا قد خربت الارض وقل متاعنا ولم يبق لنا فيها معاش فانظر لنا أرضا خصبة غير هذه الارض فقال لهم يوسف صلاح الدين لما سمع ذلك الخطاب هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم

انه قام من ساعته وأحضر رؤوس أهل عشيرته وقد جمع من الاكراد سبعين ألفا وقال لهم سيروا بنا الى عند أمير المؤمنين لنشكى له ماقد حل بنا من العذاب المهين فلعل أن يعطينا أرضا خصبة نقيم بها فقالوا له شأنك وما تريد ونحن عن أمرك لانحيد (ياساده) ثم انهم تهيئوا للمسير وسرعة الجد والتشمير وصاروا يقطعون القفار بلا معرفة الى ان وصلوا الى الطريق وبينما هم سائرون وقد لاح لهم شخص في البرية يوحد رب البرية وله وجه كانه القمر اذا اكتمل في ليلة أربعة عشر وهو يسبح الله تعالى ويذكر سيد البشر فخر ربيعة ومضر ومازال في ذكره الى ان تقربنا اليه وتقدم يوسف صلاح الدين وقبل يده وقد فعلوا قومه كفعله فقال لهم الشيخ الى أين تريدون يا كرام هداكم رب العباد ودلكم الى طرق الرشاد فقالوا له نريد مدينة بغداد لان أرضنا أجدبت علينا نريد أن نسير الى أمير المؤمنين يعطينا أرضا غيرها فقال لهم الشيخ نعم مارأيتم وما به أشرتم ولكن اتبعونى حتى أقول لكم ماتفعلون وما أنتم عليه تقدمون فقالوا له سمعا وطاعة ثم سار الاستاذ وسار الجميع من خلفه الى ان أقبل الى مغارة وقال لهم اقلعوا ماعليكم من الملابس والبسوا هذه الأزلاق وتحملوا بالسيوف الخشب والاتراس الجميز فوعزة الله تعالى انهم يقومون مقام السيوف واسقوا الاعداء كاس الحتوف وانى قدسألت الله سبحانه وتعالى أن يلبسكم الولاية أنتم وذرياتكم ويعطيكم الهداية والرعاية وتدرككم العناية من رب البرايا فقبلوا الجميع يده وقالوا رضينا بما أشرت به ثم انهم خلعوا ماعليهم من الملابس ولبسوا الأزلاق وتقلدوا بالسيوف الخشب والاتراس الجميز وقد ألبسهم الله الولاية وشرفهم بالهداية فقال لهم الاستاذ الآن صرتم من

عباد الله الصالحين فيجب عليكم نصرة اخوانكم المؤمنين فاذهبوا الآن الى بغداد دار السلام وخلصوا الامام ومن معه من الاسلام فانه في القيود والضر وقد عمل عليه الوزير ودبر عليه التدبير ورد الله كيده في نحره وهو اللطيف الخبير انه على كل شئ قدير فاذا وصلتم الى هناك فجردوا سلاحكم ونادوا بالتكبير والصلاة على البشير النذير والسراج المنير فتعجب من صنع اللطيف الخبير ثم ان الاستاذ تودع منهم وانصرف عنهم بعد مادعا لهم وكان هذا الاستاذ حبيب النجار رحمه الله تعالى فهذا ما كان منه وأما ما كان من أمر الاكراد فانهم ساروا وجدوا المسير وهم يذكرون الله من غير تقصير الى ان دخلوا مدينة بغداد ورأتهم كل العباد وقد طلعوا الديوان وجرى ماجرى من ذلك الامر والشان وقتلوا الكفار عن آخرهم كما وصفنا

(قال المؤلف) وعدنا الى سياقة الحديث والخبر بعد الصلاة والسلام على خير ربيعة وقريش الذى انشق له القمر فان الخليفة شعبان المقتدر بالله لما قتلت الكفار أقبل على الاكراد بنفسه وصار يقبل أيديهم ويشكرهم ويثني عليهم ثم انه جلس على تخت بغداد وقد علا مراتب الاكراد وأجزل لهم العطايا بالازدياد وأفردهم مكانات ودور وقصور ورتب لهم الطعام وزاد لهم في الاكرام وقال لهم لابد من أكل ضيافتي ولا تبرحوا من عندي الا بعد تسعين يوما فقالوا سمعا وطاعة ياأمير المؤمنين وخليفة رب العالمين كان الله لك معين وحافظا وساتراً وأمين بجاه سيد المرسلين ثم أقاموا الاكراد عنده لاجل أكل ضيافته ولما ان كان من الغد عند الصباح جلس الخليفة على كرسي مملكته ودارت به أرباب دولته ورؤوس قبيلته وجلست الاكراد من حوله وقد هنوه بسلامته وجعلوا له وزيراً من الاكراد على ميمنته وآخر على ميسرته فبعد ان استقر الملك في جلوسه سألته الاكراد عن سبب

هذه الفتنة ومن فعل تلك المحنة فأخبرهم بما جرى من أول الامر الى آخره وأطلعهم على باطنه وظاهره ثم انه بعد ذلك بكا من شدة الفرح وازالة الهم والترح وقد تذكر ماجرى عليه من قصته وما اعتراه من بليته فأنشد كل ذلك في قصته وجعل يترنم ويقول

لقد كنت سابقا في أمان * ولم يكن لى ضد ولا معان
وكنت أظن في الناس خيراً * وأرى الجميع بالعدل والاحسان
وأطلب العز من رب الهدى * لجميع العالمين والاخوان
وأطلب لهم السلامة كل وقت * وأرجو من الله منة وأمان
وكنت في عز مهابا مؤيداً * وحكمى نافذ على الثقلان
فبالامر المقدر من رب السما * جاء دهرى علىّ ثم رمانى
وأغار علىّ الوزير ظلما * وبغيا وحسداً منه ثم عادانى
وأقام جيوش الكافرين جمعاً * وأعان هلاون زورا وبهتان
فساروا الىّ الجميع بأسرهم * وراموا قتالى وضرب طعان
وقد وقعت في الاشراك حتما * وأسلمت أمرى للعلى الديان
وجازاه الله حقا بفعله * ولقاه كل مضرة وهوان
وأرسل لى الصالحين عباده * فيانعم الصالحين أولى الامان
كسروا جيوش الكفر وماحوى * وما نجا منهم غير اثنان
ولقد كنت آيست من البقا * فأحيانى رب الانام وهنانى
ورد علىّ ملكى تفضلا * ورفعنى ربى أعز مكان
وانى اليوم سابق عبد رقكم * وأنتم بغيق ومنيق وأمانى
وصل يا إلهى على المصطفى * أحمد المبعوث الهاشمى العدنان

قال الناقل فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك الشعر والنظام وما قاله من

ذلك الكلام وطرب كل من كان قدامه وشكرته الاكراد على فصاحته وبلاغته فشكرهم وأثنى عليهم ولما ان كان ثانى الايام نزل أمير المؤمنين وأجلس يوسف صلاح الدين وكيلا عنه في بغداد وقال له ياأخى اعلم انني أريد أن آخذ معى جماعة وأطلب البر لاجل الصيد والقنص واغتنام اللذات والفرص فقال له الامر اليك يامولاى افعل ماتريد فما نحن لك الا من جملة العبيد ثم ان الخليفة شعبان المقتدر أخذ معه ماية من الرجال الفرسان وترك الاكراد في الديوان ونزل طالب الصيد هو والماية فارس الذين معه وقد صاروا الى الخلوات وتوطنوا في الفلوات وغابوا ثلاثة أيام وصادوا شيأ كثيرا وعادوا في اليوم الرابع ولما ان دخلوا الى بغداد وسار أمير المؤمنين فيشوارعها ونظر الى قصورها واذا به قد وجد عقداً من الجوهر معلقاً على دكان واحد جواهرجى فتأمله واذا به عقدا من عقود السلطنة وكان الملك شعبان المقتدر أعطى ذلك العقد لابنته وسنذكر كل شئ في موضعه

قال الراوى وكان لهذا العقد سبب عجيب بعد الصلاة على النبي الحبيب وهو ان الملك شعبان المقتدر بالله كان عديم الخلف من ذرية البنات وكان لم يرزق بهن في تلك السنوات وهو يحبهن أكثر من الغلمان وكان متولع بهن فقام ليلة من الليالى وسأل الله تعالى بعد ان صلى ركعتين في جوف الليل ودعا الله أن يرزقه ذرية من البنات فاستجاب الله دعاءه ورزق ببنت كانها القمر اذا بدر ليلة أربعة عشر فسماها فاطمة ولما تمت الرضاع ومشت وتكامل لها من العمر سبع سنوات فمن محبته لها قد فصل لها بدله من الدر وألبسها اياها وجعل العقد فى عنقها وقد رآها بعد خروجه من السجن وانها قد أتت اليه وقبلت يده وسلمت عليه وهنته بسلامته فقال لها

أهلا وسهلا ومرحباً ياسيدتى فاطمه يابنتى أنت الآن مثل شجرة الدر كفاك الله شر كل بؤس وضرر فكنيت بشجرة الدر من تلك الساعة وبعد ذلك سار الى الصيد والقنص كما ذكرنا والسيدة فاطمه بعد مسير أبيها جلست في شباك قصرها في يوم من الايام وكان تحت القصر رجل سائل وهو يقول هنيئاً الى فاعل الخير تصدقوا ترزقوا خير المعاطي ما كان لله فلما ان سمعت السيدة فاطمه شجرة الدر ذلك رق قلبها وحنت أعضاؤها وقالت في نفسها [illegible] خير ماعندى هذا العقد ثم انها انتزعت العقد من عنقها ورمته الى [illegible] هؤلاء فلما رآه السائل فرح به وأخذه وسار من ساعته وهو فرحان ولكنه [illegible] له ثمن (ياساده) ثم سار الى السوق وصار ينادى عليه فأخذه منه رجل [illegible] جواهرجى بماية ذهب وفرح بذلك السبب وقال له الجواهرجى من أين لك [illegible] فقال له يامولاى انهم تصدقوا به علىّ أهل الخير كفاهم الله الشر والضير [illegible] يصل من أوصلنى الى هذا ثم انه أخذ الماية الذهب وفرح بذلك الامر [illegible] وسار الى حال سبيله فلما عاد المقتدر ونظر الى ذلك العقد عرفه فأقبل [illegible] آلاف الدكان وقال للجواهرجى اخبرنى بالصحيح ودع عنك التلويح [illegible] للخليفة باعك ذلك العقد المليح فقال ياسيدى رجل سائل باعه الىّ [illegible] وأن يدفعوا لى وقال لى ان أهل الخير تصدقوا به علىّ (فلما) [illegible] والامر الذى من الجواهرجى تعجب وقال في نفسه لابد ان السيدة فاطمه شجرة الدر طلت من شباك القصر فانفك العقد من عنقها وسقط الى الارض غصبا عنها فأخذه هذا الرجل وسار به الى هنا وباعه الى ذلك الجواهرجى قال ثم ان المقتدر التفت اليه وقال له ياهذا بكم اشتريت العقد من السائل فقال له يامولاى اشتريته بخمسة آلاف دينار فقال له الخليفة اعلم ياهذا لابد لى من أخذ العقد وأزيدك على ثمنه ثم انه أخذ

العقد منه وأمر له الخليفة بعشرة آلاف دينار ثم ان المقتدر أخذ العقد
وجعله داخل جيبه وسار الى ان وصل الى سرايته وصعد الى زوجته
وجلس في قصره على مرتبته فأقبلت فاطمة شجرة الدر اليه وقبلت يديه
فنظر الخليفة الى عنقها فلم ير عقدها فقال لها يافاطمة أين العقد الذى
معك ماهو الآن في رقبتك فقالت له ياسيدى هو عندى في ربعيق
محترسة فيه غاية جهدى وقوتى فقال لها لاى شئ تركتيه ومن عنقك
فقالت له من شدة الحر لانه من الجواهر (ياساده) وكان المقتدر بالله
فاطمة شجرة الدر حبا شديدا ماعليه من مزيد لانه ماعنده غيرها
و مشفق بمحبتها ويقال انها ليست ابنته وانما هى بنت الكامل بالله
والده وهى أصغر منه سنا وقد أحبها محبة شديدة وقيل انها بنت جارية
رقيقته وأخذها منها وجعلها ابنته ولكن الاصح انها ابنته من ظهره
حال وانما ذكرنا ذلك لاجل اختلاف الاقوال

قال الراوى) فلما ان سمع الخليفة المقتدر منها ذلك قال لها يابنتى
الآن والبسيه سريع والا ضربتك الضرب الوجيع فقالت له ياأبى
ساعة وقامت من وقتها وساعتها ودخلت وهى خجلانة الى
قع بها الخوف الشديد من والدها وخافت أن يعدمها وبكت
وسهم احراقها وكثر شكواها وأنينها وقد حارت في أمرها فبينما هى باكية
واذا قد أقبل عليها رجل من داخل المكان وهو يقول يارحيم يارحمن ثم انه
تقدم اليها وقال لها لاتخافي ولا تحزنى فأنا الرجل الفقير الذى أخذت العقد
منك وقد عاملتى ربك في الوسع وهو قد عاملك في الضيق فافتحى الربعية
ترين العجب من ذلك الامر والسبب واذا سرت الى عند والدك وذهب
عنك الهم والقهر فتمنى عليه أرض مصر فانك تنالى بذلك العز والنصر فقالت

له ياسيدى أنت من تكون من عباد الله الصالحين زادك الله التوفيق واليقين فقال لها أنا الرجل الفقير الراجى رحمة القدير عبد الله بن عطاء الله ثم انه دعا لها بخير وانصرف الاستاذ الى حال سبيله قال وأما السيدة فاطمة شجرة الدر فانها فتحت الربعة واذا العقد فيها فأخرجته والى عنقها لبسته وخرجت به الى عند أبيها والعقد مضىء في رقبتها فلما ان رآها كذلك تعجب ومد يده لينظر العقد الذى معه فلم يجده فزاد عليها غضبه وتخيل له ان ذلك سحر منها ثم [illegible] صاح عليها وقال لها يافاجرة نحن مسلمون [illegible] كله رب العالمين [illegible] الاسحار فما الذى [illegible]

وجدت العقد عند الجواهرجى [illegible] ... انك [illegible]

خزانتك ف[illegible]ت من حينك وخر[illegible] ... مالسبب في

الامور [illegible]حكام والاضربت عنقك بهذا [illegible] ... م وأسقيتك كاس الحمام

فلما سمعت ابنته منه ذلك الكلام ونظرت بعينها ... الحسام أخبرته بالخبر من ا

الى آخره وكشفت له عن باطن الامر وظاهره [illegible] ... لما تحقق منها ذلك قال

أنت محبوبة لله تعالى ولأوليائه الصالحين تمنى تعطى يافاطمه [illegible] الله ثم على جانب أبى أرض مصر تكون لى وباسمى فلما سمع [illegible] أجابها الى مرادها وقال لها ان الله أعطاك وبلغك مناك ثم [illegible] من وقته وساعته بذلك الذى طلبته فأخذتها عندها وجميع [illegible] وقد فرحت بما نالها وشكرت ربها على ماأعطاها وكيف أن مصر صارت لها وكان ليس في زمانها مثلها ولا في فصاحتها فأنشدت تقول

سأحمد ربى فى كل ساعة * على نعمة لم أقدر أمضيها
قد منّ علىّ الكريم بفضله * وبلغنى من الدنيا أمانيها
وعزنى رب الأنام بعزه * وأعطانى معاطى لم أقدر أكافيها

فلله الحمـد شكرا ومنـة * على وهبه مصر اياى وما فيها

(قال الراوى) فهذا ما كان من أمر السيدة فاطمة شجرة الدر وأما ما كان من أمر الخليفة المقتـدر بالله فانه لما سمع منها مقالها قبـل رأسها ونزل الى الديوان وجلس على كرسى مملكته ودارت به أرباب دولتـه والحجاب والنواب واقفين في خدمتـه وكان الاكراد عنده في ضيافته كما ذكرنا في أول الديوان كما قدمنا ثم ان الخليفة قد زاد لهم في الاكرام وزادهم [illegible] فلما ان كان يوم من بعض الايام والخليفة [illegible] على سريره [illegible] الاقطار وانكشف الغبار [illegible] ظهر اللعين [illegible] مقبلون مثل الظلام [illegible] فقابلهم القوم [illegible] الاعجام ياساده ان [illegible] منكم لما [illegible] أخيه على أثره كما قدمنا و[illegible] أخيه الى [illegible] ماقد وصفنا وهرب اللعين هلاون [illegible] في صحبته [illegible] ليلا ونهارا يقطعون البرارى والقفار ولم يأخذهم [illegible] مدة ستة أيام ولما ان كان في اليوم السابع فبينما هم سائرين مجدين واذا بأخيه قد أقبل بالكفرة الملاعين وصحبته ثمانين [illegible] كين فلما رأى الملعون هلاون أخاه عرفه وقد اطمأن قلبه [illegible] سار اليه وسلم عليه فقال له أخيه عبد يزيد ما حالك وما الذى جرى عليك وأين العساكر والفرسان مالى لا أرى معك ولا انسان فقال له يا أخى قتلت الرجال وهلكت الابطال وجرى علينا من الامر ماهو كذا وكذا ثم أخبره بالقصة من أولها الى آخرها وأطلعه على ظاهرها وباطنها فلما سمع أخيه مقاله قال له سر معى حتى أريك العجب وأبلى المسلمين بالويل والعطب لان شيخ النار قد دعا لى ثم انهم ساروا يقطعون البرارى والوهاد الى

ان أشرفوا على مدينة بغداد فقال الخليفة ياقوم اغلقوا باب البلد كفانا الله شر أهل النكد فقال له الامير يوسف صلاح الدين الكردى ياأمير المؤمنين وخليفة رب العالمين لاتفعل تلك القضية فنحن لهم كفيه وحق رب البريه فلا تغلق أبواب ديارك طيب الله أحوالك فقال له الخليفة افعل ماتريد ونحن لك ولاصحابك من جملة العبيد

قال الراوى فعند ذلك نهض الامير يوسف صلاح الدين وكذلك أهله وعشيرته وركب كل واحد جواده واشا

وقد جردوا السـ [illegible] الخشب والخليفة [illegible]

الحداد معتقلين [illegible] المداد [illegible]

يزيد أن ينصب [illegible]

الدم مثل [illegible]

وصاحوا [illegible] والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج

نخيل للمشر [illegible] سماء عليهم قد وقعت والارض من تحت خيولهم قد [illegible] ياقهم نشفت والاراضى تزلزلت والعقبان عل

والقتلا [illegible] الاعين بالعما تكحلت والارض من الدما قد [illegible]

الغبار [illegible] القفار وقدحت حوافر الخيل الشرار

وقصرت الاعمار وكشفت الاستار وباحت الاسرار

الانهار وقتلت الكفار ولم يزالوا على ذلك العيار إلى ان تنصف [illegible]

هلكت الكفار والملعون هلاون وأخيه أشرف على الاسار وأيد

الابرار بتوحيد الملك الغفار

قال الراوى ولما ان هديت نار الحرب وبطل الطعن والضرب أمر الخليفة شعبان المقتدر بالله العساكر بلم الاسلاب فلموها والخيول الشاردة

فجمعوها وأرادوا الدخول الى المدينة واذا بغبار قد ثار وسد الاقطار وكان هذا الجيش المقبل من العجم والمقدم عليهم الكلب الاكلب والذئب الاجرب الملعون منكتم وصحبته ماية ألف فارس كرار يعبدون النار وعلى أسه الشنيار (ياساده) ولما قدم اللعين ونظر محل القتال ورأى أصحابه على الرمال صعب عليه وكبر لديه وصاح بالنار ذات الشرار عليهم يارفاظ وأمر بهز الشنيار فجردت اللئام سيوفها أقبلت الى المعركة بصدورها وهو يهوى عواء
اب فتلقهم المسلمين الابرار بكل سيف بتار
البشير النذير وجردوا السيوف
جب الغبار ضوء الشمس
ب حومهم والكلاب وعشش
هم الناموس والديب وقد صاحت الاسلام الحسام في هؤلاء
فلق الهام وانقطع الكلام وزاد الزحام و غبار ونما وطلع
السماء وتكحلت الاعين بمراود العما وتحـ الاكباد على
بارد الماء ولم يزل السيف يعمل والدم والرجال
ب تشعل الى ان ولى النهار بالارتحال أن و الليل
الانفصال القوم اللئام فما مكنتهم من ذلك الا عصبة
وعمل التحملوا عليهم ومكنوا السيوف في أعناقهم ولله در الانسان كراد
وأقبل عليهم النهار فما بل انهم زادوا في القتال وكثر النزال وبطل القيل
الملعون منكتم الراحة وقل الاصطبار وقصرت الاعمار الى ان ولى الليل
ات من العجم خلق كثير وجمع غزير وأراد
من ذلك الامير يوسف صلاح الدين

بل انه صاح على أكراد الايوبية دونكم وعباد النار الحمية واتركوا هذه الدنيا الدنية وارضوا بقتالكم رب البرية فعندها حملت الاكراد وعساكر بغداد وجميع أمراء بغداد والاجناد وكثر العناد وزاد عدد القتلى على الارض أزواجا وأفراد ولم يزالوا القوم في ضرب الحسام وكثر الصداء ثلاثة أيام ولما كان في اليوم الرابع كثر فى الكفار المعاطب العسكرين وتقابلت الطائفتين وحان الحين وزعق غراب البين الامير يوسف صلاح الدين الى منكتم اللعين وأشا فأخذه ذليل مهين ولما ان رأت العساكر الى أ
فولوا الادبار وركنوا الى الهرب و
الاقطار ولا نجا منهم لا كبار
ونصر الله المؤمنين الابرار على
أمر الخليفة بجمع ماخلفوه
فكانت هذه غنيمة عظ رة مافيها من الاموال والخيام وا والبغال وخر الخا ن المقتدر بتلك الاموال وهو يشـ المتعال وأمر مدينة بغداد وقد شكر الخليفة المقتدر يوسف صلاح الدين الكردى وما فعل من فعاله وكيف أبا ونزاله فطفح الشعر على باله فأنشد يقول

لقد نالنى خطب جسيم ومحنة * وغاروا علينا الكافرون بجه
وأرادوا بنا كيدا وسوء مذلة * فرد الله كيدهم فى
وتفرقت فرسانهم وسط الفلا * وتاهوا فى بحار لجاجهم
وبعد الضيق عنى تفرجت * كل الامور وضاقت بهم
وأرسل لى ربى حقيقا جنده * فيانعم مولاى زين دونهم

أيدنا الله في كل موقع * وأفنا الحسام كل جموعهم
فلم تراهم الا كل هالك * حرام عليهم أن يعودوا لحيهم
وأسرنا رئيس القوم ثم عياله * بعد ماأفنيت الاثام وحيهم
وعاد مليك القوم أسير قيودنا * وشرفناالرحمن على الانام بأسرهم
جاء النصر من رب السماء * لنا مع الاشراف ونسلهم
من قد أتانا بنصحه * ينسب الى الاشراف أمير جيوشهم
حقا لقبه * يدعى بيوسف عند الانام كبيرهم
رفعة * أيده الرحمن على العداة بجمعهم
أهل المكارم صغيرهم وكبيرهم
الكون قد أشهر فضلهم
ست أنسى والله جميلهم
الشكر داعا [illegible] * [illegible] الاسلام على يدهم
عليك الله ياعلم الهدى * ماهب الفرسان في حيهم
ى فلما فرغ الخليفة من ذلك الشعر الصبيان ومسالهم
الرجال الكرام وشكره يوسف صلا[illegible] ما قاله من
ولدولته بالعز والدوام على ممر الليالى الكردى
خليفة دعاءه قربه وأدناه وأوهبه وأعطاه وكذلك رفقاءه [illegible] يام فلما
وكان يوم مثل يوم الاعياد و[illegible] انهم
[illegible] لته ولما استقر الخليفة على كرسى مملكته
فى الحا[illegible] ار الكفار
[illegible] ظهم الملعون
[illegible] ابهم فانتدب

السياف على رؤوسهم وهم يصيحون يالنار ذات الشرار هذا والسياف قد امتطى سيفه وضرب اللعين منكتم بالحسام أطاح رأسه عن الهام وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار

قال الراوى فلما نظروا أولاده الى ذلك الحال أخذهم الانذهال وصاحوا بعلو رؤوسهم نحن فى جيرة الامام يوسف صلاح الدين البطل الهمام فعند ذلك نهض يوسف صلاح الدين وقبل الارض بين يدى أمير المؤمنين وقال له أيها الملك المهاب وحاكم على العجم والاعراب وابن عم النبى الأوّاب اعلم أن عمار الارض خير من الخراب ونحن نبيع هؤلاء الكلاب أنفسهم بالمال والجواهر الغوال لان قتلهم مافيه فائدة للاسلام وأخذ مالهم أحب مما نسقيهم كاس الحمام فقال له الخليفة شأنك وما تريد فنحن عن أمرك لانحيد فعند ذلك التفت يوسف صلاح الدين الى هلاون وأخيه كلب يزيد وقال لهم سمعتم مقالته للامام قالوا نعم مرنا بما تريد من الاحكام فقال عليكم عشرة خزائن من المال كل خزنة ماية ألف ريال فقالوا السمع والطاعة فقال لهم وعليكم الخراج في كل عام عشرة آلاف ريال فقالوا علينا كل ماتحب وتختار فقال يوسف صلاح الدين للخليفة ياأمير المؤمنين ان القوم الاعجام أجابوا بما قلنا من المرام وأن يدفعوا الخراج والمال والانعام فقال الخليفة هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب ولكن نجعلهم في السجن حتى يأتى المال ونبلغ مانريد من الآمال فقال الامير يوسف وعزة الله المتعال أنا الضامن لك جميع الاموال فدعهم يمضون الى حال سبيلهم وما يغيب عنك المال الا بقدر وصولهم وأنا قادر أن آخذ رؤوسهم من تحتهم وهم في أرضهم وبلادهم بقدرة الله ربى وربهم فأمر الخليفة باطلاقهم من وقتهم وساعتهم بعد ان

رد عليهم خيولهم وسلاحهم وانصرفوا الى حال سبيلهم فساروا طالبين أوطانهم

قال الراوى ثم ان الخليفة شعبان المقتدر بالله جلس على كرسى بغداد وأطاعته أهل البلاد وأرضى العباد وأتت اليه أهل القرى والبلدان يهنونه بالسلامة على أهل الشرك والطغيان وهو يخلع ويهب ويفرق الفضة والذهب فدعت له أهل البلدان بدوام العز والبقا والامان مدة يسيرة من الزمان بينما هو جالس واذا بغبار قد ظهر فقال الخليفة ياقوما كشفوا لنا الخبر واعلمونى بجلية الأثر لئلا يكون أحد من أهل الشر فبينما هو يحدث قومه بمثل هذا الكلام واذا برجل يقبل الارض بين يديه ودعا وترجم وأحسن ما به تكلم فقال له الخليفة ماحالك فقال له ياسيدى نجاب وحامل كتاب فقال له الخليفة من أين والى أين قال من بلاد العجم من عند سيدى عبد يزيد وأخيه الملك هلاون الى بين يدى أمير المؤمنين ثم انه ناوله الكتاب فأخذه وقراه وفهم رموزه ومعناه واذا مكتوب في أوله ياالنار ذات الشرار خطاب من عند هلاون وأخيه عبد يزيد الى بين أيادى ملك الاسلام اعلم ان الواصل لكم صحبة الكتاب عشرة خزائن مال التى اشترينا بها أنفسنا وفدينا بها أرواحنا وعشرين ألف ريال عشرة خراج هذا العام وعشرة لسيدى يوسف صلاح الدين شكراً للنار ساطعة الانوار فلما قرأ الخليفة سبح الملك التواب ومزق الجواب ورماه وأرسل من عنده جماعة يتلقوا المال الذى أقبل من ذلك الجبار فما كان الا قليل حتى حضر المال بين يديه فرآه مال كثير ومن جملة ذلك خيول وبغال وجواهر وأحمال وجوار وعبيد ففرح الخليفة بذلك وأمر للقوم الذين أتوا مع المال بالضيافة والاكرام مدة ثلاثة أيام ولما ان كان في اليوم الرابع أحضرهم اليه فحضروا وقبلوا الارض بين يديه

فأمر أن يخلعوا على القوم الخلع السنية وأعطاهم أوفى عطية وردهم الى بلادهم وصرفهم الى حال سبيلهم

قال الراوى ثم ان الخليفة شعبان المقتدر بالله تفرغ بعد ذلك الى ضيافة الاكراد الايوبية وزاد فى اكرامهم وهو يحادثهم ويكرمهم الى ان تمت الضيافة فلما ان كان اليوم التسعين وجلس الخليفة على الكرسى ودارت به الوزراء والامراء وقد قرب يوسف صلاح الدين وقال له ياسيدى أنت أحق بهذا التخت منى لانك نصرت الاسلام وأقمت الشعائر والاحكام وهذه الفعال فعال الكرام فلا أجازيك الا بهذا التخت لانك الآن أحق به وأولى فاجلس ملكاً وسلطان على ممر الليالى والازمان واحكم على سائر البلدان القاصى منها والدان وأنا وعسكرى لك من العبيد والخدام قال فلما سمع يوسف صلاح الدين ذلك الكلام قام قائما على الاقدام وقال ياأمير المؤمنين وخادم النبى الأمين انت ابن عم سيد المرسلين فلا ينازعك أحد فى السلطنة جعلها الله بين يديك ممكنة وكان ذلك أبدا ولاشمتت بك العدا فقال له الخليفة اذا لم ترض بذلك فتمنى على أى شئ تريده منى حق أبلغك اياه وتنال ماتتمناه فقال له يوسف صلاح الدين أنا تمنيت على الله ثم على جناب أمير المؤمنين أرضا غير أرضنا التى نحن فيها لانها ياأمير المؤمنين قد أجدبت علينا وهلكت أكثر رجالنا وهذا ماتتمنى على أمير الاسلام وخادم البيت الحرام ومهلك الكفرة اللئام ثم ان يوسف صلاح الدين أشار الى الخليفة يقول صلوا على الرسول

سيدى أجدبت علينا أرضنا * فصرنا حيارى من شدة الجدب
وماتت منا رجال كثيرة * من عدم المرعى والكلا والعشب
فقلنا عن أرضنا نرتحل * الى أرض عليها خصب

المؤمنـين نخرج وقد جمل له موكب عظيم وكفله أهـل مصر وفرحوا به الفرح الشديد ودخل الى البلد وهو بهذه الملابس والترس الجميز والحسام الخشب ولم يزل سائرا والعساكر حوله ودائرة به حتى انه صعد الى قلعة الجبل وجلس على الكرسى وجلست حوله أولاد عمه وأقاربه وصار يحكم ويعدل وقد جمع العلماء وأعرض عليهم المكاتبات فأجابوا الى ماأراد من تلك الاشارات ودعوا له على المنابر وتهيأت المعاملة المصرية بختمه عليها وقد أطاعته مصر والشام ودعت له سائر الأنام وحكم وعدل وقد رزقه الله بولدين أحدهما يقال له العادل والآخر يقال له الكامل وقد زينت له أرض مصر ثلاثين يوما وبطل العتب واللوم

قال الراوى ثم ان الملك يوسف صلاح الدين أمر باحضار خراج الارض والبلاد من النياب الذين ولاهم وأرسل يطلب منهم المال فأجابوه الجميع الى ذلك في الحال فلما حضر عنده الخراج أحضر البنايين والمهندسين وأمرهم أن يبنوا له قصرا عاليا شاهقا في العلو ويكون بقلعة الجبل ويسموه باسمه فقالوا له السمع والطاعة ثم انهم صاروا يتعاطون الاشغال ليلا ونهارا ولم يزالوا كذلك الى ان فرغ بناء القصر وكتبوا على بابه هـذا قصر خليفـة الله يوسف الكردى أدام الله بقاه قال ولما فرغ بناء القصر عمل فيه الختمات والليالى الفاخرات وأنعم على أهل العمارات فدعوا له الجميع الرفيع منهم والوضيع وانصرف كل أحد الى مكانه وراح الى حال سبيله وقد فرش ذلك القصر من أنواع الحرير الفاخر الملون من أحمر وأصفر وجعلوا فيه أوانى من الذهب الاحمر وقد فرح به الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد قال فلما كان يوم من الايام جلس الملك على كرسى قلعة الجبل يوحد الملك الازلى ويذكر

الله عز وجل وقد تكامل الديوان وجلست العساكر والفرسان الى ان تعالى النهار وأراد الملك أن يتعاطى الاحكام ويحكم بين الخاص والعام واذا قد أقبل عليه سائر ومعه كتاب وهو يقول أمير المؤمنين زادك الله عزا وتمكين وأنشد يقول

سلامى على ذا المقام وذا الحما * مقام به كرسى الخلافة قد نما
يعم النبي الكريم وآله * وكل من تناسل من احداهما
حتى أمير المؤمنين بجيشه * وقد حفت الكرسى ملائكة السما

قال الراوى فلما سمع الملك يوسف صلاح الدين ذلك الكلام وما أبداه من الشعر والنظام قال له من أين والى أين فقال له يامولاى من الشام فقال له مامعك من الاخبار فقال يامولاى كتاب فأخذ منه الكتاب وناوله للقاضى فأخذه منه وقراه وفهم رموزه ومعناه واذا فيه

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين وامام المتقين خطابا من أهل الشام الي بين أيادى مالك الاسلام نعلمك ان يوم تاريخه توفي الى رحمة الله شرف الدين وانه قد خلف غلاما صغيرا يقال له عيسى الناصر والوكيل على الشام رجل من الاشراف يقال له حسن الاقواسى وهو الذى أرسل اليك هذا الكتاب بحضرة علماء أهل الشام لاجل أن تولى من تريد على الشام والسلام على نبى تظلله الغمام

قال الراوى فلما سمع الملك يوسف صلاح الدين ذلك الكلام قال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون فأين ولدى العادل فقال له لبيك ياأبتاه فقال له انى وليتك على أرض الشام واياك والظلم على الأنام بين الخاص والعام والوزير لك حسن الاقواسى حتى تبلغ رشدك وشد به ركنك (يا ساده) ثم انه ألبسه

المؤمنين نخرج وقد جمل له موكب عظيم وكفله أهل مصر وفرحوا به الفرح الشديد ودخل الى البلد وهو بهذه الملابس والترس الجميز والحسام الخشب ولم يزل سائرا والعساكر حوله ودائرة به حتى انه صعد الى قلعة الجبل وجلس على الكرسى وجلست حوله أولاد عمه وأقاربه وصار يحكم ويعدل وقد جمع العلماء وأعرض عليهم المكاتبات فأجابوا الى ماأراد من تلك الاشارات ودعوا له على المنابر وتهيأت المعاملة المصرية بختمه عليها وقد أطاعته مصر والشام ودعت له سائر الأنام وحكم وعدل وقد رزقه الله بولدين أحدهما يقال له العادل والآخر يقال له الكامل وقد زينت له أرض مصر ثلاثين يوما وبطل العتب واللوم

قال الراوى ثم ان الملك يوسف صلاح الدين أمر باحضار خراج الارض والبلاد من النياب الذين ولاهم وأرسل يطلب منهم المال فأجابوه الجميع الى ذلك في الحال فلما حضر عنده الخراج أحضر البنايين والمهندسين وأمرهم أن يبنوا له قصرا عاليا شاهقا في العلو ويكون بقلعة الجبل ويسموه باسمه فقالوا له السمع والطاعة ثم انهم صاروا يتعاطون الاشغال ليلا ونهارا ولم يزالوا كذلك الى ان فرغ بناء القصر وكتبوا على بابه هذا قصر خليفة الله يوسف الكردى أدام الله بقاه قال ولما فرغ بناء القصر عمل فيه الختمات والليالى الفاخرات وأنعم على أهل العمارات فدعوا له الجميع الرفيع منهم والوضيع وانصرف كل أحد الى مكانه وراح الى حال سبيله وقد فرش ذلك القصر من أنواع الحرير الفاخر الملون من أحمر وأصفر وجعلوا فيه أوانى من الذهب الاحمر وقد فرح به الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد قال فلما كان يوم من الايام جلس الملك على كرسى قلعة الجبل يوحد الملك الازلى ويذكر

الله عز وجل وقد تكامل الديوان وجلست العساكر والفرسان الى ان تعالى النهار وأراد الملك أن يتعاطى الاحكام ويحكم بين الخاص والعام واذا قد أقبل عليه سائر ومعه كتاب وهو يقول أمير المؤمنين زادك الله عزا وتمكين وأنشد يقول

سلامى على ذا المقام وذا الحما * مقام به كرسى الخلافة قد نما
يعم النبى الكريم وآله * وكل من تناسل من احداهما
حتى أمير المؤمنين بجيشه * وقدحفت الكرسى ملائكة السما

قال الراوى فلما سمع الملك يوسف صلاح الدين ذلك الكلام وما أبداه من الشعر والنظام قال له من أين والى أين فقال له يامولاى من الشام فقال له مامعك من الاخبار فقال يامولاى كتاب فأخذ منه الكتاب وناوله للقاضى فأخذه منه وقراه وفهم رموزه ومعناه واذا فيه

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين وامام المتقين خطابا من أهل الشام الى بين أيادى مالك الاسلام نعلمك ان يوم تاريخه توفي الى رحمة الله شرف الدين وانه قد خلف غلاما صغيرا يقال له عيسى الناصر والوكيل على الشام رجل من الاشراف يقال له حسن الاقواسى وهو الذى أرسل اليك هذا الكتاب بحضرة علماء أهل الشام لاجل أن تولى من تريد على الشام والسلام على نبى تظلله الغمام

قال الراوى فلما سمع الملك يوسف صلاح الدين ذلك الكلام قال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون فأين ولدى العادل فقال له لبيك ياأبتاه فقال له انى وليتك على أرض الشام واياك والظلم على الأنام بين الخاص والعام والوزير لك حسن الاقواسى حتى تبلغ رشدك وشد به ركنك (يا ساده) ثم انه ألبسه

ولاية الشام وأرسل معه ألف فارس كرام وأرسلهم صحبة النجاب سيار وقد ساروا يقطعون البرارى والاكام الى ان وصلوا الى الشام بإسادة وأما الملك يوسف صلاح الدين فانه بعد ماتوجه ولده الى الشام أمر القاضى أن يكتب كتاب الى الخليفة المقتدر بالله فكتب في أول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد الأنام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العليم العلام خطاب من نائب أمير المؤمنين الهادى الى الطريق القويم المقتدر بالله السميع العليم عبد الله يوسف صلاح الدين الى بين أيادى أمير المؤمنين الذى نعلمك به باننا أقمنا في مصر ورضاك معنا فى كل وقت وعصر وانكتبت السكة والخطبة باسمنا وقد بنينا قصرنا وأردنا أن نعلم بذلك أمير المؤمنين زاده الله نصرا وتمكين لاجل أن يطمئن علينا ويدعى لنا والسلام ختام على نبى شيد أركان الاسلام وقد ضمن الكتاب بهذه الابيات يقول صلوا على طه الرسول

قد كتبت كتابا للامير * أبث فيه الشوق والتقصير
واقرى الخليفة منى سلاما * مزجته بالمسك والدمع الغزير
ولو أنى شرحت مابقلبي * الى المشتاق لفاض فيضا كثير
ولكن قلبي اليك رسولا * يترجم عنه لديك البشير
يخبر بأن لديك شوقى * فاجبر سيدى لكسر الكسير

قال الراوى فلما فرغ القاضى من كتابة الكتاب قرأه على الملك يوسف صلاح الدين فأعجبه وعلم عليه وختمه وأعطاه للسيار وأركبه هجين وقال له عليك ببغداد دار السلام وهات الىّ رد الجواب فركب السيار وأخذ معه الكتاب وركب وسار يقطع البرارى والقفار ليلا ونهارا الى ان توسط الطريق وكان ذلك وقت الظهر فنزل الى أسفل شجرة لاجل

الراحة وقد أخرج شيئاً يأكله ويطعم الهجين فبينما هو كذلك واذا قد أقبل عليه من كبد البر هجان آخر ومال الى تلك الشجرة وقال له السلام عليك ياأخى فقال له وعليك السلام من أين والى أين فقال له أنا من مصر وطالب بغداد فقال وأنا الآخر من بغداد وطالب مصر فقال له أنا قاصد أمير المؤمنين المقتدر بالله تعالى فقال له وأنا الآخر طالب الى الامير يوسف صلاح الدين فقال له اخبرنى عن السبب فقال له اعلم ياأخى ان المقتدر بالله قد انتقل بالوفاة بعد مسير يوسف صلاح الدين من عنده بسنة كاملة وتولوا أولاده من بعده الخلافة وهما أحمد وابراهيم وجلسا مكانه وقد أرسلوا كتابا الى مصر للامير يوسف صلاح الدين يطلبون منه الدعا والرعا فقال له ياأخى اعلم ان رجوعى معك أحسن من رواحى الى بغداد (ياسادة) ثم انهم ركبوا الاثنين وعادوا الى مصر مسرعين الى ان وصلوا اليها ودخلوا على الملك يوسف صلاح الدين وسلما عليه وقبلا الارض بين يديه فرد عليهما السلام وقال للسيار مالك عدت في مدة قريبة هل أنت وصلت الى دار السلام فقال لا يامولاى ولكن قد التقانى هذا السيار وأنا سائر في البرارى وذكر ان المقتدر انتقل الى رحمة الله ومعه كتاب من عند أولاده وهما أحمد وابراهيم فلما سمع الخليفة ذلك قال للسيار الذى أتى من بغداد أحق مايقول قال نعم ثم ناوله كتاب أولاد الخليفة شعبان المقتدر بالله فأخذه وحله وقراه وفهم رموزه ومعناه واذا به يجد خطابا من ابراهيم المتوكل وأحمد أخيه أولاد المقتدر بالله الماضى الى رحمة الله الذى نعرف به أمير المؤمنين يوسف صلاح الدين ان والدنا انتقل بالوفاة وجلسنا نحن على بغداد وتدانت لنا البلاد وأطاعتنا العباد وقد كتبنا لك هذا الجواب فعند اطلاعك عليه تحضر من تتولاه وترسل الينا ونحن نسلمه

ولاية الشام وأرسل معه ألف فارس كرام وأرسلهم صحبة النجاب سيار وقد ساروا يقطعون البرارى والاكام الى ان وصلوا الى الشام بإسادة وأما الملك يوسف صلاح الدين فانه بعد ماتوجه ولده الى الشام أمر القاضى أن يكتب كتاب الى الخليفة المقتدر بالله فكتب في أول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد الأنام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العليم العلام خطاب من نائب أمير المؤمنين الهادى الى الطريق القويم المقتدر بالله السميع العليم عبد الله يوسف صلاح الدين الى بين أيادى أمير المؤمنين الذى نعلمك به باننا أقمنا في مصر ورضاك معنا فى كل وقت وعصر وانكتبت السكة والخطبة باسمنا وقد بنينا قصرنا وأردنا أن نعلم بذلك أمير المؤمنين زاده الله نصرا وتمكين لاجل أن يطمئن علينا ويدعى لنا والسلام ختام على نبى شيد أركان الاسلام وقد ضمن الكتاب بهذه الابيات يقول صلوا على طه الرسول

قد كتبت كتابا للامير * أبث فيه الشوق والتقصير

واقرى الخليفة منى سلاما * مزجته بالمسك والدمع الغزير

ولو أنى شرحت مابقلبى * الى المشاق لفاض فيضا كثير

ولكن قلبى اليك رسولا * يترجم عنه لديك البشير

يخبر بأن لديك شوقى * فاجبر سيدى لكسر الكسير

قال الراوى فلما فرغ القاضى من كتابة الكتاب قرأه على الملك يوسف صلاح الدين فأعجبه وعلم عليه وختمه وأعطاه للسيار وأركبه هجين وقال له عليك ببغداد دار السلام وهات الىّ رد الجواب فركب السيار وأخذ معه الكتاب وركب وسار يقطع البرارى والقفار ليلا ونهارا الى ان توسط الطريق وكان ذلك وقت الظاهر فنزل الى أسفل شجرة لاجل

الراحة وقد أخرج شيئاً يأكله ويطعم الهجين فبينما هو كذلك واذا قد أقبل عليه من كبد البر هجان آخر ومال الى تلك الشجرة وقال له السلام عليك ياأخي فقال له وعليك السلام من أين والى أين فقال له أنا من مصر وطالب بغداد فقال وأنا الآخر من بغداد وطالب مصر فقال له أنا قاصد أمير المؤمنين المقتدر بالله تعالى فقال له وأنا الآخر طالب الى الامير يوسف صلاح الدين فقال له اخبرني عن السبب فقال له اعلم ياأخي ان المقتدر بالله قد انتقل بالوفاة بعد مسير يوسف صلاح الدين من عنده بسنة كاملة وتولوا أولاده من بعده الخلافة وهما أحمد وابراهيم وجلسا مكانه وقد أرسلوا كتابا الى مصر الامير يوسف صلاح الدين يطلبون منه الدعا والرعا فقال له ياأخي اعلم ان رجوعي معك أحسن من رواحي الى بغداد (ياساده) ثم انهم ركبوا الاثنين وعادوا الى مصر مسرعين الى ان وصلوا اليها ودخلوا على الملك يوسف صلاح الدين وسلما عليه وقبلا الارض بين يديه فرد عليهما السلام وقال للسيار مالك عدت في مدة قريبة هل أنت وصلت الى دار السلام فقال لا يامولاي ولكن قد التقاني هذا السيار وأنا سائر في البراري وذكر ان المقتدر انتقل الى رحمة الله ومعه كتاب من عند أولاده وهما أحمد وابراهيم فلما سمع الخليفة ذلك قال للسيار الذي أتى من بغداد أحق مايقول قال نعم ثم ناوله كتاب أولاد الخليفة شعبان المقتدر بالله فأخذه وحله وقراه وفهم رموزه ومعناه واذا به يجد خطابا من ابراهيم المتوكل وأحمد أخيه أولاد المقتدر بالله الماضي الى رحمة الله الذي نعرف به أمير المؤمنين يوسف صلاح الدين ان والدنا انتقل بالوفاة وجلسنا نحن على بغداد وتدانت لنا البلاد وأطاعتنا العباد وقد كتبنا لك هذا الجواب فعند اطلاعك عليه تحضر من تتولاه وترسل الينا ونحن نسلمه

الامانة ونعطيه المخلفات التى تحت يدنا لتكون عندك محفوظة لاننا نخاف أن يغور عليها هلاون وأخيه كلب يزيد أولاد اللعين منكتم ونحن من قبلك مثل نياب على سكك الارض والبلاد وان شئت أرسلنا لك الخراج ولا بد من أخذ الامانة التى عندنا والسلام على من تظلله الغمامة وفي آخر الكتاب شعر

سلام عليكم ياسادتى * سلاما جزيلا زايدا متوسلا

يعم الارض شرقها ومغربها * مثل سيل يعم ويهطلا

أنتم السادات حقا لانكم * حماة لدين النبي المرسلا

فارحموا ضعفاء قوم قد أتوا * لجنابكم خاضعين معولا

قد مات والله سيد عزهم * أمير المؤمنين الخليفة الافضلا

وسار رديم الثرا وهو باليا * وعدنا حيارى من بعده نتذللا

وما خوفنا الا من لجاة عدونا * أهل الخيانة والملامة والبلا

فمنوا وارحموا وقوموا لاذوا بكم * ودخلوا في حماكم بأجمعهم أولا

وأنتم الآن صرتم عزنا * وما نذل قط وأنتم فضلا

ثم الصلاة على النبي المصطفى * النبي المختار الشفيع المرسلا

(قال الراوى) فلما سمع الملك يوسف صلاح الدين مافي الكتاب هطلت دموعه مثل قطر الميزاب وبكى بكاء شديد ماعليه من مزيد حتى غشى عليه وبكت لبكائه جميع الاكراد التى حوله ولما أفاق الملك من غشوته قال كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة الابالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون ثم أشار بهذه الابيات يقول

لقد كان فينا خلا موافيا * وكان لدين الله نعم المحاميا

وكان والله ابن عم نبينا * عليه أزكى صلاة وأوفي سلاميا

وكان يحب الآل والصحب كلهم * وكان يكرم من كان آتيا
وقد أعطانى فضلا ونعمة * وأوهبنى أجزا العطايا
ولكن حكم الله لاشك نافذ * نعماه مولانا ونعم القاضيا
فاختاره رب الانام خليفة * وأعطاه فى الفردوس قصراً عاليا
وعدنا حيارى والله بعده * وانهدم من الاسلام ركنا ناميا
فيارب اعطنى خير عطية * كما أعطيت الانبيا والاصفيا

قال الراوى ولما فرغ الملك يوسف صلاح الدين من نظامه وما قاله من كلامه أمر أن يكتبوا كتابا في أوله بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على زين النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين خطابا من عبد الله يوسف صلاح الدين الى بين أيادى أولاد أمير المؤمنين واننا قد وصلنا جوابكم وفهمنا خطابكم واعلموا ان كل من عليها فان ولا يدوم ولا يبقى الا وجه الملك الديان فاجلسوا مكان أبيكم ولا تخافون من أعدائكم وأنا خلا لخلكم وعدوا لعدوكم وصاحبا لحبيبكم نخلوا الامانة والمخلفات على ماهى عليه وان تحرك عليكم عدو الله ارسلوا الى واحدا من عندكم وأنا أحضر لديكم وأهلك عدوكم والسلام على من تظلله الغمام ثم انه علم عليه وأرسله مع السيار فأخذه وسار بعد ماأنعم عليه السلطان وأعطاه شئ كثير من الاحسان ولم يزل يجد السير فى البرارى والقفار الى ان وصل الى بغداد ودخل على أولاد المتقدر وسلم عليهم وقبل الارض بين أيديهم وقد أعطاهم الكتاب فأخذوه وحلوه وقرؤه فلما عرفوا مافيه فرحوا بتلك الامور والاسباب وقويت قلوبهم واشتدت ظهورهم واستقرت لهم البلاد وأطاعتهم سائر العباد وصاروا يهادون ملك مصر وهو يهاديهم بالهديات والانعام والمكاتبات فى أغلب

الاوقات سائرة بينهم وهم فرحين بما نالهم قال فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر يوسف صلاح الدين جالس بعد تلك المدة بثلاث سنين ذات يوم من الايام وحوله رجاله والخدام واذا بسيار يقبل الارض بين يديه فقال له الملك مامعك من الاخبار فقال يامولاى جواب ثم ناوله اياه فأخذه منه وحله وقراه وعرف رموزه ومعناه فلما أتى على آخره بكا وأن واشتكا وأنشد يقول

أكم للدهر من نائبات * وكم أبلا جيوشا بالشتات
وكم فرق من جموع * ومزق جمعهم بالعاديات
وكم بجوره أصاب قلب * وكم رماه لذوى الرماة
وكم للدهر من غدر مصب * فكرد علينا مرهفات
كذاك الزمان له احتكام * ومثله الليالى المثقلات
ولكن هكذا حكم الاله * فهو قدر بالممات
فالله يجعل له جنة الخلد * ويعطيه خيرا من جنات

قال الراوى فلما نظرت الاكراد الى بكائه وماقاله من كلامه وشعره قالوا له يامالك الاسلام ماالذى أبكاك أخبرنا بأحوالك أصلح الله أعمالك فقال الملك ياقاضى خذ هذا الكتاب واقرأه حتى يسمعوا مافيه من الخطاب فأخذه القاضى وقرأه واذا بأوله الابيات

ياأيها الدهر الخؤن * كم أرميتنا بكل محون
وكم فينا فعلت فعلا * وكم أخذت منا مصون
وكم أهرقت دماء قوم * وكم أتلفت لهم عيون
فرق وارحم يادهر قوما * قد لاقيتهم بما لايكون
وقد أصبحوا اسلباء عقل * وما زدتهم الا جنون

طفى مصابحا أيادهر فارحم * فأمر ربى بين كاف ونون
فاتق الله يادهر فينا * فهو الذى يعلم بما قد يكون

قال الراوى خطابا من حسن الاقواسى الى بين أيادى أمير المؤمنين الذى نعلمك به ان يوم تاريخ الكتاب توفي ولدك العادل الى رحمة الله تعالى الكريم التواب وقد أودعناه التراب وعملنا له الختم والليالى وصار جسمه في الثرا بالى ونحن أعلمناك وعلى ذلك الامر أطلعناك لاجل أن تولى من تريد على الشام وهذا آخر ماعندى والسلام قال فلما سمعوا الاكراد بموت العادل بكوا الحاضرين عليه وعزوا فيه أبيه قال وأما الملك يوسف فانه قد غشى عليه ساعة زمانية ولما أفاق قال انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم انه التفت الى كبار دولته ورؤس عشيرته وقال لهم اكتبوا الآن الى حسن الاقواسى مكاتبة بالشام وبحكم على من فيها من الخاص والعام اذا لم يكن بلغ عيسى بن شرف الدين مبالغ الرجال ولا صار فى عدد الرجال فقالت له أرباب الدولة هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب ثم ان القاضى كتب لحسن الاقواسى نيابة بالشام وهو يحذره ويقول فيه اياك والظلم والاسراف واتبع العدل والانصاف وبعد ذلك أرسلوا الكتاب مع السيار فأخذه وسار طالب الشام وأوصل الكتاب الى صاحبه بسلام وتمت تلك الامور والاحكام (ياساده) فهذا ما كان من أهل الشام وأما ما كان من الخليفة يوسف صلاح الدين فانه قد حصل عنده غما شديدا ماعليه من مزيد حتى انه أبطل النزول الى الديوان وقد أجلس موضعه الكامل ورسم له بالسلطنة بعد وفاته هذا وقد ازداد عياه وكثر شكواه مدة احدى وعشرين يوما ولما كان اليوم الثانى والعشرين توفي الى رحمة الله في يوم الخميس المبارك سادس ساعة

من النهار من شهر ذى الحجة من سنة سبع مائة واثنان وخمسون هلالا من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ماغرد القمرى وما ناح الحمام فشرب فيه يوسف صلاح الدين كاس الحمام فغسلوه وكفنوه وواروه من داخل القصر وعملوا له الختم وما يحتاج اليه وحزنت جميع الدولة عليه

قال الراوى ثم ان الكامل بعد العزاء جلس على كرسى أبيه وقد أطاعه جميع أهله وذويه وحكم بين الناس بالانصاف والعدل وترك الجور والاسراف وعدل في الرعية سنة كاملة وبعد ذلك طلب الخراج من البلاد فطاعته سائر العباد وحملوا اليه الاموال والجواهر الثقال ولما ان رأى ولاة البلاد طائعين لامره ولم يكن أحد منهم يخالفه فطلب الزواج لنفسه فزوجوه بنت من أولاد بنى عمه وعمل لها الافراح وبخر البخور وعمل الولائم فى مصر مدة سبعة أيام وقد أكل من الولائم الخاص والعام ولما ان كان الليلة الثامنة دخل عليها وأزال بكارتها فحملت منه من ليلتها وظهر حملها وكبرت بطنها فلما كملت مدة الحمل الى ان كان ليلة من الليالى فجاءها الطلق كما يشاء خالق الخلق فولدت ولدا ذكرا كأنه فلقة قمر جميل الصورة حلو المنظر والشمائل ماله مثيل في الاكراد الاواخر ولا الاوائل ثم ان القوابل أخذوه وفي صينية من الذهب وضعوه والى بين يدى أبيه قدموه فلما رآه فرح به الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد وخلع على القوابل الخلع البهية وأعطاهم أوفي عطية فقالوا له أيها الملك السعيد والملك الحميد سمى ولدك أنت بنفسك فقال هذا نجم الدين أيوب فقال أرباب الدولة اسم مبارك ان شاء الله تعالى هذا ونجم الدين قد نشأ

وترعرع في الارض ومشا وظهر أمره وفشا وانه قد قرأ القرآن وختمه وبعد ذلك طلب الاحكام وعرف الحلال من الحرام وصار فطينا لبيبا عارفا بأحكام السياسة والشريعة والرئاسة فكتب له أبوه الكامل حجة بالسلطنة بعد وفاته ثم عمر في الخلافة الكامل ستة عشر سنة وانتقل بالوفاة رحمه الله تعالى فتولى على الكرسى نجم الدين وقد أطاعته الدولة وجميع الرجال وأبذل عليهم الاموال وقد صارت الخطبة والسكة باسمه وطاعته العباد وملك البلاد وأرسلوا اليه الخراج من سائر الامصار والاودية والقفار وقد أطاعوه الكبار والصغار وقد تزوج بجارية من أولاد بنى عمه وكانت مزيدة في الجمال زائدة في الحسن والكمال فتزوج بها وأزال بكارتها وما أتت عليه السنة الثانية حتى ان زوجته وضعت غلام كانه البدر التمام وله جبين واضح فسماه الصالح وكناه نجم الدين أيوب وقد أحبه أبوه محبة عظيمة فكتب له حجة السلطنة في يوم مولده وأمرهم الملك أن يكتبوا له حجة لايكون بعده الا ولده الصالح نجم الدين أيوب فأجابوه أرباب الدولة بالسمع والطاعة وقالوا له ياأمير المؤمنين هذا هو الصواب والرأى الذى لايعاب فقال لهم الخليفة اعلموا اذا قضى نحبي ولحقت بربى وولدى لم يبلغ مبالغ الرجال فليقم له وكيلا عادلا حتى يبلغ رشده ويجلس على كرسى سلطنته فقالت الامراء نعم مارأيت ياأمير المؤمنين وخليفة رب العالمين (ياساده) ومكث نجم الدين أيوب بعد ذلك احدى عشر سنة وقيل سبعة سنين وقيل تسعة والمعتمد الاخير وتوفي الى رحمة الله تعالى فتباكت عليه أرباب الدولة وواروه التراب وعملوا له مايليق بالمملكة وهناك مدفنهم رحمة الله عليهم هم ومن مضى من أموات المسلمين بجاه سيد الاولين والآخرين

هذه لكرامة عظيمة ثم انه أراد أن ينزل عن الحصان ويسير في ركابه من جملة الخدام والغلمان فقال له الملك الصالح خليك ياشاهين على يميني وسير الجواد جنب الشهبة وقل معنا الله الله لاإله الا الله فسار الاقار شاهين جانبه وقد زاد تعجبه وانشرح صدره وسأل عنه بعض الاكراد من يكون هذا من العباد فقالوا هذا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين من طاعته فرض لاهل جميع الارض في الطول والعرض هذا يقال له الصالح أيوب ولى الله المجذوب فلما سمع الاغا شاهين ذلك الامر المفيد فرح الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد وقال والله يهون علىّ أن أترك بلادى بما فيها وأولادى وأخدم هنا عند هذا الرجل وأصير له من جملة الغلمان ولا أخالفه فيما يريد من الامر والشان وأنا على نذر لله تعالى ان طلبني لخدمته لاخدم عنده وأترك ملكي وأقدم له نعاله وأنا أسأل الله الحبيب أن يذكر لى ذلك الامر عن قريب

قال الناقل وكان السبب في مجيء الاغا شاهين الي الديار المصرية وتمام تلك القصة سبب عجيب وأمر مطرب غريب بأن نذكره على الترتيب حتى ان المستمع يلتذ ويطيب بعد الصلاة والسلام على النبي الحبيب وذلك انه كان في سابق الزمان وقديم العصر والأوان مدينة يقال لها مدينة برصة وكان الحاكم عليها والمشير على رجالها ملك يقال له حسن بيك وكان معه ولد يقال له اسماعيل بيك وكان ذو عقل وتدبير وبالامور خبير فما كانت الا أيام قلائل حتى توفي حسن بيك وواروه التراب باذن مسبب الاسباب فتولى مكانه ولده وقد أطاعوه أهله وأقاربه وتزوج من بنى عمه وقد خلف منها اثنين ذكور كانهم البدور فسمى أحدهم عثمان بيك والآخر قاسم بيك قال فلما انتعشوا الاثنين وبلغوا

مبالغ الرجال وصاروا يعدون من الابطال تزوج الاثنين فخلف عثمان ولده فسماه مسعود بيك وأما قاسم فانه خلف ولد فسماه شاهين وصاروا الاولاد يكبروا ويقربوا في المدينة وقد طلع شاهين فارس لايطاق وعلقما مر المذاق صاحب رأى وادارة وخبرة ومشورة وهو فارس من الابطال وقيل من الاقيال كثير الاحتيال وكان عاقل لبيب فطين وكان مسعود بيك الآخر كذلك فبعد مدة يسيرة من الزمان توفي عثمان وقاسم الى رحمة الله تعالى فتقاسموا الاثنين في ملك برصة وصارا يحكمان فيها وكثرت رجالهم وقويت شوكتهم فلما كان يوم من الايام الاغا شاهين جالس وأخيه الى جانبه واذا بغبار قد ثار وسد الاقطار وبعد ذلك انكشف الغبار وبان من تحته لمعان والعساكر حوله قد سدت البر والفدفد وخلائق مالكثرتهم عدد والجميع ينادون عيسى ومريم والصليب المفخم (ياساده) فلما نظر الاغا شاهين ذلك خاف على نفسه وعلى رجاله من شرب كاس المهالك وكان ذلك الجيش المقبل من الافرنج وهم طائفة يقال لها المسكف ووادى القرم فعند ذلك جمع الاغا شاهين أرباب الدولة وأهل المشورة وقال لهم ماعندكم من الرأى مع هؤلاء اللئام ونسل الحرام فقالوا له شر الينا أنت بما فيه الصواب وبين لنا الاسباب فقال الرأى عندى أننا نركب في هذه الساعة ونكون ثلاث فرق ونحمل عليهم ونصدمهم صدمة صادقة بنيات متوافقة ونحن نسأل الله أن ينصرنا عليهم ومن هذا المكان نكسرهم ونجعلهم تحت أيدينا ونرتب عليهم الخراج الى بلاد الاسلام ونرسله الى الخليفة الامام في كل عام فقالت له رجاله هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب فقال الاغا شاهين اعلموا انى سأركب بنفسى وأحامى عن رجالى بسيفي وترمى وأسير اليهم وأحمل عليهم وأنت يامسعود تكون حافظا الى برصة وأهلها خوفا من

الكفار أن يغتنموا الفرصة ويهجموا عليها فقال له أخيه مسعود بيك يا أخي أعانك الله رب السماء وكان لك حافظا وحاميا

قال الراوى فعند ذلك ركب الاغا شاهين كأنه أسد العرين وركب جواده واعتد بعدة جلاده وقد ركب حوله من قومه وأهله وأقاربه مائة ألف فارس من كل مدرع ولابس في الحديد غواطس وكلهم متقلدون بالرماح الطوال معتقلين بالبيض النصال والاغا شاهين في أولهم والى جانبه رجل يقال له حسان الوزير وكان الآخر بطل نحرير وهو فارس من الفرسان ليس له مثال فى ذلك الزمان ولما ان قد خرجوا من برصا التفت الاغا شاهين الى الوزير حسان وقال له أيها الوزير خذ معك خمسين ألف فارس واحمل على اليسار وأنا آخذ معى خمسين ألف وأحمل على اليمين وابذلوا فيهم السيف البتار أسأل الله أن ينصرنا على هؤلاء القوم الاشرار فقال له الوزير سمعا وطاعة ثم انهم صاحوا صيحة واحدة الله أكبر فتح الله ونصر وأخذل بالشام من كفر ولعنة الله على من طغى وتجبر هذا وقد حملت الطوائف على بعضها وتدكدكت من ركض خيلهم الارض وعمل البتار وقدحت حوافر الخيل الشرار وجرت الدما مثل الانهار وطلع الغبار الى ان حجب بين الارض والسما وتكحلت الاجفان بمراود العمى وتحسرت الاكباد على شربة من بارد الماء وصال الشجاع ودمدما والجبان ولى منهزما والغبار عليهم قد غيما قال وعملت المشرفيات وقتلت العبيد والسادات وتكدرت الفلوات وضاقت على الهارب الخلوات وصاحت الرجال باختلاف الاصوات فهربت الوحوش من الغابات وحامت على القتلى الطيور الكاسرات ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى ان ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار

وانفصلت الطائفتان من الصدام ورجعت كل طائفة الى من لها في الخيام ونزل الاغا شاهين وهو كانه شقيقة أرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان لانه قد أشفا الغليل وأرضى الملك الجليل ولكن العدد كثير والجمع غزير ثم انهم استشاروا بينهم في قتال عدوهم فقال الاغا شاهين طيبوا انفسا وقروا عينا فلا بد لى في غداة غد ماأبرز الى الحرب بنفسى وأفديكم بروحى وجسمى وأطلب البراز وأسأل الانجاز لعل أن يخرج الىّ ملك الافرنج فاما أن أقتله واما أن أأسره وان أعانى الله عليه هانت علينا عساكره فقالوا له افعل مابدالك نجح الله أعمالك

قال الراوى فهذا ماجرى هاهنا من الاخبار وأما ما كان من القوم الكفار فانهم رجعوا الى خيامهم وجلسوا واستقر قرارهم وقد شكوا الى ملكهم مالاقوه من الاغا شاهين والوزير حسان لانهم قتلوا الفرسان وأبادوا الشجعان والاقران فقال لهم الملك صدقتم وحق المسيح والمذبح والذبيح ولا بد لى ماأخرج في غداة اليه وآخذ روحه من بين جنبيه وكان ذلك الملك جبار من الجبابرة الكبار لايصطلى له بنار وهو آفة من الآفات وبلية من البليات يقتنص الاسد بيده من الغابات وهو أكفر خلق الله بالرحمن يقال له جرجيس بن صلبان قال فلما سمع قومه كلامه اطمأنت قلوبهم وطابت نفوسهم وباتوا تلك الليلة على ذلك الرواح الى ان أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على الدواب والبطاح وسلمت على سيدنا محمد زين الملاح فعندها ركبت الطائفتان الجرد القداح واعتقلوا حوامل الرماح وتقلدوا بالبيض الصفاح وتحدروا يطلبون الحرب والكفاح واصطفت الصفوف وتعدلت المياه والالوف فكان أول من برز الي الحرب وموقف الطعن والضرب

الاغاشاهين وهو راكب على جواد أشقر عالى من الخيل مضمر كأنه الطير اذا انفر معود للجولان يسبق الطير في الجريان وهو معتقل برمح طويل وعليه لسان كأنه لسان ثعبان أو قبس من النار ذات اللهب ومتقلد بسيف بتار قوى المسمار ماضى الشفار قاطع للاعمار ثم انه صال وجال ونادى وقال ألا يا كفار من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفا أنا الاغا شاهين ملك برصا ثم انه طلب البراز وسأل الانجاز قال فلما نظر الملك جرجيس ذلك أيقن انه يسقيه كاس المهالك فخرج اليه أسرع من البرق اذا برق أو السهم اذا رشق وهو راكب على جواد أدهم عالى ململم بحافر كالدرهم أعلاه جبل أسفله جندل وهو معتقل بقنطارية جلنجية ومتقلد بصفيحة هندية سقيها بكاس المنية ثم انه حمل على الاغا شاهين فتلقاه كما تلقى الارض العطشانة أوائل المطر بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر وطلع عليهما الغبار وغابا عن الابصار وتطاولت اليهما أعين النظار وأيقن كل منهما بشرب كاس البوار واتصلا غبار الثرا وأخذ الاثنين في أخذ ورد وقرب وبعد الى ان وقعت الشمس في قبة الفلك وأيقن كل واحد انه هلك وقد خرج منهما طعنتين أصليتين فكان السابق بالطعنة الاغا شاهين فوقعت في صدر عدو الله خرجت من ظهره وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار

(قال الراوى) فلما رأت الافرنج الى ملكها قتيل وفي دماه جديل فحملوا على الاغاشاهين من كل مكان وجانب وعملت القواضب وحملت الاسلام في جميع المواكب وتكدرت المشارق والمغارب وضاقت الطرق على الهارب وتخضبت بالدما اللحا والشوارب وصاحت الابطال وعمل القتال وكثر النزال وتزلزلت الارض بالزلزال وصارت الدما مثل السيل اذا سال فلله در الاغا شاهين

وما فعل فكم جندل من بطل لانه هاج في المعمعة كما تهيج فحول الجمال وضرب الاعداء بالسيف الفصال ومدد أكثرهم على الرمال وما كانت الا ساعة من النهار على ذلك العيار حتى ولوا الكفار الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وقد تركوا خيامهم وأثقالهم وما عز لديهم وأموالهم فعند ذلك صاح الاغا شاهين على الاسلام وقال لهم دونكم وهؤلاء اللئام اسقوهم كؤوس الحمام ثم انه تبع الكفار في تسعين ألف فارس كرار وترك الباقين يلمون الاسلاب وما خلفوه الكفار الكلاب وما زالت الاسلام الابرار تابعة الكفار الى ان أوصلوهم الى أرضهم والديار وعمل فيهم البتار وهجموا على الموسكف وأسقوهم كاس التلف فعند ذلك صاحت الكفار وطلبت الامان على عيالهم والنسوان قالوا هانحن لكم وبين أيديكم عن يقين ونحن مستجيرين بالاغا شاهين (ياساده) فلما سمع الاغا شاهين كلامهم أمر برفع السيف عنهم بعد ماأخذوا أموالهم وذخايرهم وما تحويه أيديهم وارتحل بعد ذلك وطلب وادى القوم وأسقى كل مافيه كاس النقم وأبلاهم بالويل والعدم وأخذ ذخايرهم والنعم وبعد ذلك أمر عساكره بالارتحال وطلب بر السركس وبذل السيف في الرجال وأباد الابطال وأفنا الاقيال واحتوى على مافيه من الاموال وأخذ الاسلاب والامتعة والجواهر ومن كل شئ فاخر وقد جمع الاموال والاثقال وولى على تلك البلاد التي ملكها من يصلح من دولتهم ورتب عليهم الخراج والجزية في كل عام ثلاثون ألف دينار فأجابوا الجميع بالسمع والطاعة وكتب عليهم بذلك الحجج وتعاهدوا على ذلك وعاد الاغا شاهين فرحان بالنصر والظفر من رب العالمين الى ان أقبل الى برصا فلما وصلت أخبار المبشرين الى أخيه مسعود بيك ان أخيك قد أقبل ومعه أموال تسد الفضا وتملا المستوى فلما

سمع مسعود بيك ذلك الكلام أخذه الفرح والابتسام وفرح الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد وأمر أن تزين مدينة برصا لقدومه فعملت أهل المدينة المهرجان والزينة ونزل الى لقاه وسلم عليه وبالسلامة هناه وفرقوا على الرجال شئ كثير من تلك الاموال والباقى دخل الخزاين وجلس الاغا شاهين وهو فرحان والى جانبه عثمان بيك بن عثمان (ياساده) هذا وقد تعجبت الناس من فعال الاغا شاهين وقد حسدوه وقد كثر فيه الكلام وأكثر الناس يقولون هذا فعاله على صغر سنه فاذا يكون في كبره وقيل ان الحسد يورث النكد فبالامر المقدر والقضاء المبرم انه مرض مرضا شديد ماعليه من مزيد وقد أشرف منه على الهلاك وسوء الارتباك وتحارت عليه الحكماء والفلاسفة وغيرهم ولم يعرفوا له دواء أبدا وأيقن الاغا شاهين بشرب كاس الردا

(قال الراوى) فلما كان يوم من الايام وهو في أشد مرضه اذ دخل عليه رجل رمال وسلم عليه وتقدم اليه وقال له ياسيدى أنا أدلك على مافيه الصلاح والرشد والنجاح فقال له الاغا شاهين أيها الرمال قل واخبرنى بما تريد من المقال فعند ذلك ضرب الرمل وحققه وبين أشكاله ودققه وقال له اعلم ياسيدى انه قد بان لى في الرمل انك تسافر من هنا الى أرض يقال لها أرض مصر وفيها بقعة يقال لها البساتين واعلم ياسيدى ان سبب ماسميت بالبساتين كان بها رجل يهودى يقال له اسحاق وكان يعرف الاسحار وهو شيطان مكار فاصطنع في هذه البقعة بساتين بعلوم الاقلام مع ارهاط الجان وكان فيها من كل فاكهة زوجان واصطنع بها بحرا عجاج متلاطم بالامواج وكان يجرى وله تيار يقصف المسمار وكان كل من يراه يظن انه بحر وهو مافيه من الماء ولا قطرة وقد مرض اسحاق اليهودى وأشرف

على الموت وكان له ولد يقال له عززين فأحضره وأعلمه بالارصاد قبل موته وهلك الملعون اسحاق وذهبت روحه الى الاحتراق وتولى عززين على ذلك المكان بعد أبيه ولعب في الارصاد ففك الرصد الذى للبحر فصار لايجرى ولا أحد يرى فيه شئ فسمى بحر بلا ماء واعلم ياسيدى ان ذلك المكان اذا أنت أقمت فيه ثلاثة شهور تبرأ باذن الملك الغفور ولكن اذا شفاك الله تعالى الملك الجواد أبطل مافي الارصاد ولا تبقى لليهودى هناك أثر في ذلك المكان الازهر فقال الاغا شاهين اذا كان الامر على ماذكر والحال كما وصفت فان هذا أمر سهل باذن الله عز وجل ثم أجابه بالسمع والطاعة وكان الاغا شاهين يثق بكلام الرمال ويصدقه فى كل الاحوال فعند ذلك قام من وقته وساعته وجهز نفسه وركب فيمن شاء من دولته وسار طالب أرض مصر بعد ان أجلس أخيه مسعود بيك على برصا وقال له اذا وفي العام أرسل الى البلاد واجلب الخراج واجمعه عندك لاجل ان يعلو شانى وشانك فقال له سمعا وطاعة ياساده ثم سار الاغا شاهين ولم يزل يجد المسير وسرعة الجد والتشمير الى ان أقبل الى أرض مصر ودخل بها ووصل الى تلك البقعة واجتمع بعززين اليهودى وأغواه بالمال والجواهر الغوال والخيل والبغال واشترى منه ذلك المكان وأخذ حجته منه وأفسد الارصاد فذهبت البساتين وبقى الاسم الى الآن البساتين وبحر بلا ماء وسكن فيه الاغا شاهين مدة يسيرة فاشتد وجاءت له العافية وحمد الله تعالى وأمر بعمارة البيت فعمروه وأصلحوه وقد وجد فيه قاعة عظيمة فيه صفة سلطان والدولة واستولى كل شئ في مكانه بعون الله وسلطانه وأقام الاغا شاهين في ذلك المكان تمام الستة أشهر فصار كانه مامرض أبدا فشكر الله تعالى على السلامة الى ان كان بعض الايام وكان يوم الجمعة

أراد أن يصلي في سيدنا الحسين فركب فيمن عنده وسار طالب الحسين الى ان وصل الى الرملة فالتقا بالملك الصالح كما ذكرنا وقدقال في نفسه انه يخدمه كما وصفنا

قال الراوي ثم ان الملك الصالح التفت الى الاغا شاهين وقال له اعلم ياشاهين أنا رجل أظفر الخوص وأعمل المقاطف ولا أعرف السلطنة ولا أعرف أحكامها فهل لك أن تكون معي وألبسك وزير أعظم وأنا ماعندي خدمة ولا محتاج الى أحد يخدمني رضيت ياشاهين قال رضيت ياأمير المؤمنين (ياساده) واننا ذكرنا ان الملك الصالح لما تولى السلطنة شرط على نفسه انه لايأكل شيئاً من أموال السلطنة وانه لايأكل الا من شغل يده وصار يظفر الخوص وكانت هذه عادته وشغله وصنعته ثم ان الملك الصالح قال ياشاهين تأخذ حق المظلوم ممن ظلمه وتحكم بالعدل والله عليك من الشاهدين رضيت ياشاهين قال رضيت ياأمير المؤمنين قال له لعنة الله على من يعزلك الا بالموت رضيت ياشاهين قال له نعم ياأمير المؤمنين قال أوليتك وزيرا أعظم وصدرا معظم رضيت ياشاهين قال له نعم ياأمير المؤمنين قال تأكل معي في الدقة والقراقيش قال نعم يامولاي ففرح به الملك الصالح ومد يده الى الهواء وقال ياداثم ثلاث مرات وقبض على شيء من الهواء وناوله الى الوزير وقال له خذ هذا فأخذه واذا به كتاب يقال دلائل الاحكام فقال له الوزير يامولاي وما منفعة ذلك الكتاب فقال اعلم انه اذا تعسرت عليك دعوة ففكها من هذا يا شاهين واحرص عليه غاية التمكين فانك موعود به وهو انه كان لاحمد بن باديس السبكي وقد جعله في مكان كذا وكذا وأنا آتيتك به منه لاجل راحتك وتكمل عزتك فقبل الوزير يده وسارالاثنان الى ان دخلوا الحسنين وصلوا الجمعة وعادوا بعد ان دخلوا

وقرؤا الفاتحة لاهل الله على التمام وأكلوا من الدقة والقراقيش وخرجوا من الحسنين وساروا وطلع الملك الصالح بالاغا شاهين الى الديوان مكان جلوسه وأجلسه على شئ من الخوص فجلس رحمة الله عليه ولم يتكبر وقعد يتحدث معه الى ان جاء وقت العصر فتودع الاغا شاهين من الخليفة وقام يريد البساتين فقال له الملك الصالح غداة ائتى الى ديوانى فقال سمعا وطاعة لله ولامير المؤمنين ونزل من الديوان وهو منشرح الخاطر وسار الى منزله الذى بالبساتين وبات فيه تلك الليلة وهو فرحان بما قد ناله من ذلك الامر والشان الى ان أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على الدواب والبطاح وسلمت على سيدنا محمد زين الملاح ركب الوزير شاهين الافرم وسار الى ديوان الملك الصالح وكان الملك الصالح نزل الى الديوان وحوله الامراء والفرسان والوزير شاهين دخل اليه وسلم عليه وقبل الارض بين يديه ففرح به الملك الصالح ورد عليه السلام بأحسن التحية والاكرام وأجلسه الى جانبه اليمين وتكامل الديوان وحكم فى ذلك اليوم الوزير شاهين وعدل وما ظلم فشكره الملك الصالح على ذلك هذا وقد تداولت الايام والشهور والاعوام فيوم من الايام بينما الملك الصالح جالس واذا بأربعة يقبلون الارض بين يديه فقال الملك الصالح ما الخبر فقالوا يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين اعلم أننا نحن رسل السيدة فاطمة شجرة الدر بنت أمير المؤمنين المقتدر بالله تعالى وقد أمرتنا أن نقول لك ان الارض أرضها ومصرها وان حجتها معها وهى تأمرك أن تنزل من على التخت وهى توليه لمن تريد من السادات أو من العبيد

قال الراوى فلما سمع الملك ذلك الكلام وما قالوه من المرام أخذه

الغضب وزاد غيظه والعجب وقد رآه الوزير على ذلك الامر الخطير فقال له اعلم ياأمير المؤمنين وخليفة النبي الامين ان ماذكره الرسل فهو حق وما تكلمت به السيدة فهو حق لاسيما وقد ورثت الارض عن أبيها ومعها تشريف بخط الملك وختمه فطاعن فيه الاجانب وان كلام الملوك تمام وما رسموا به لا بد له من الاتمام ولو كان خلاف مافيه المصالح للانام واني أقول لك ان هذا الامر ماله غير الحيل والخداع وقد قال القائل في المعنى

دارهم مادمت في دارهم * وحيهم مادمت في حيهم
واتبع فتات المكر حتى * تنال ماتروم من الامر
فاصبر قليل على هذا القليل * فبالصبر تكفى كل أمر وبيل

قال الراوي فلماسمع الملك ذلك الكلام من الوزير علم انه بالامور خبير فقال له والله ياشاهين لقد تكلمت بالصحيح وما قلته فهو عندي مليح لكن الرأى الصحيح انك تنزل اليها وتسلم عليها وتقبل الارض بين يديها واعطيها حق الخدمة وانظر ماالخبر ودبر هذا الامر بفملك وأمر فيه برأيك فكل ماتراه حسن فهو عندي أحسن فأجابه الوزير بالسمع والطاعة ثم نزل الوزير من عند الملك تلك الساعة

قال الراوي وكان للسيدة في ذلك شأن عجيب وأمر مطرب بديع غريب أريد أن أسوقه على الترتيب بعد الصلاة على النبي الحبيب صاحب البردة والقضيب وذلك أن السيدة فاطمة بعد أن تداولت عليها الايام وآن لها الاوان في علم الملك الديان من انفاذ المشيئة والامتنان اشتاقت الى الحج ذلك العام والى زيارة النبي عليه الصلاة والسلام وقد اشتغل خاطرها ليلا ونهارا وصارت لا يأخذها قرار وقد أكثرت من الشوق والبكاء والانين والاشتكاء ثم ازداد مابها وقل أكلها وشربها وعدمت صبرها

وجلدها وقصدت نومها فأخذت مالها ونوالها وثيابها وخدامها وطلبت الاقطار الحجازية وكان مرادها الاقامة هناك بالكلية وتنفق جميع مامعها من الاموال على الفقراء وأصحاب العيال الى ان حوت بتلك البقاع لينالها أعظم انتفاع هـذا وقد ركبت دابتها وأخذت باقى عشيرتها ومن أراد مثل ماتريد ثم طلبت الارض والصعيد وكلما أتت على واد من الاودية أو قطر من الاقطار يتلقونها الكبار والصغار ويخرجون اليها الاقامات ويسعون في خدمتها ورضاها جميع السادات ويكرموها غاية الاكرام حتى مايعلموا انها بنت الامام وصارت هذه عادتها هى تسأل عن العيان من قومها وتدانيه اذا بلغها أمر مريض أقامت تسأل الله يشفيه ولم تزل على ذلك الحال الى ان جاوزت الفيافي والتلال وأقبلت الى ان وصلت الى أرض مصر السعيدة وأمرت بنصب الوطاقات فانتصبت وقامت بالوطاقات الى ثانى الايام فلم تجد أحدا يلقاها ولا يكرم مثواها ومع ذلك كان الوزير يعرفها وكذلك الصالح لاينكرها غير انهم لايعلمون أن هذه الارض أرضها وحجتها بيدها ولذلك تركوها ولم تجد أحد منهم يلقاها ولا سألوها فصبرت الى ثانى الايام وهى على هذا المرام فلما أيست من ذلك غضبت غضبا شديد ماعليه من مزيد وقالت واعجباه كيف ان البلاد جميعها يكرمونى ويهادونى ويوادونى ولم يكن لى عليهـم أيادى وكيف ان هؤلاء القوم لايكرمونى وهم يأكلون فى بلادى ويتمتعون بسوادى ولا يبالون بى ولا يعتنونى فوالله لا كان ذلك أبدا ولو سقيت كاس الردى وأنا أولى بأرضى منهم وسوف أبعدهم عنها وأطردهم فقال لها بعض جلاسها ياسيدتى لاتعجلى فربما كان هناك مانع والصبر أولى من الاستعجال فكاتبيهم وانتظرى رد الجواب ليظهر لك السؤال والخطاب فلما سمعت من جلسائها ماذكر

أرسلت هؤلاء الاربع القصار وقالت لهم جميع ماذكروه فساروا الى أن أقبلوا الى أمير المؤمنين فأعلموه بما جرى عن يقين فغضب السلطان كما ذكرنا وصوب الوزير كما وصفنا ونزل الاغا شاهين كما قدمنا فكان أصل السبب هكذا وسنرجع الى كلامنا باذن من لايحول ولا يزول (ياساده يا كرام) ولم يزل الوزير الاغا شاهين سائر الى ان وقعت العين على العين ونظروا الى بعضهم الاثنين فتمنى الوزير بين يدى السيدة فاطمة وتأخر الى ورائه ثم تمنى ثانيا وثالثا وقد رأته السيدة فاطمة بهى المنظر حسن المخبر الشجاعة لائحه بين عينيه تشهد له ولا تشهد عليه فصارت تنظر الى آخر مرامه وما ينتهى اليه كلامه هذا وقد قبل الارض مرة أخرى ووقف واعتدل وقال هذه الابيات صلوا على سيد السادات

ألا يا كرام الاصل بالله فاعطفوا * على عبـــد اليكم ذليـــل
أنتم السادات في كل المـلا * وأنتم الشفا لقلب العليل
أتيتكم بانكسار فارحموا * من في حيكم أضحى نزيل
يرجو القبول من آل الرسول * يريد الوصول الى السلسبيل
فناه الغرام وداء السقام * فياأهل المقام حنوا على الهزيل
أنتم السادات أهل الكفاء * ونحن الرعاة في البر الطويل
فاحسـنوا لنا أنتم ساداتنا * ولا تأخذونا بفالها الوبيل
ان كنا معسرين فأنتم الاكرمين * وكم مثلنا خادمين الرحيـل
بجاه المصطفى صاحب الصفا * والمكارم والوفا والتاج والاكليل
ارحموا بحق امام المرسلين وآله * والتابعين ومن بحبهم أضحى قتيل

(قال الراوى) ثم ان الوزير لما فرغ من شعره ونظامه تمنى بين يدى السيدة فاطمة كل ذلك وهى تنظر اليه باهتة شاخصة فلما سمعت

ماتكلم به من الكلام وما قاله من الشعر والنظام تبسمت ضاحكة وقدمت بنفسها حتى قربت منه فقالت له من أنت وما تكون وما الذى تريد فقال لها ياسيدتى أنا خادم الملك الصالح أيوب ولى الله المجذوب وقد أرسلنى اليك وانه يقبل يديك ويثنى بالسلام عليك فقالت له وما اسمك قال لها اسمى شاهين الافرم فلما سمعت بذلك تعجبت غاية العجب وقالت له لعلك من برصة فقال لها نعم هى بلدى فقالت له وما السبب في مجيئك الى هذه الديار واقامتك بأرض الامصار فأعاد عليها القصة من أولها الى آخرها وكشف لها عن باطنها وظاهرها فلما سمعت منه ذلك صدقته في كلامه وأمرت باكرامه لانها كانت تعرفه من قديم الزمان وسالف العصر والاوان وان المقتدر كان يكاتب أبى الوزير والآخر يكاتبه وكانت السيدة تسمع من أبواها حديث الاغا شاهين وانه قد صار فارسا عظيم وبطلا جسيم فلما علمت حاله وما تكلم به من قصته عطفت عليه وقالت له ولاى شئ مانزلت أنت وهذا الملك الى لقائى مثل مافعلوا غيركم من الناس الذين لايعرفونى ولا يأكلون في أرضى فقال لها وقد أحسن في كلامه ياسيدتى اننا لم يبلغنا الخبر بحضورك الى هذا المكان الا بالامس ولما بلغ الملك ذلك جعل يتهيأ الى اللقا والمقابلة وأنا كنت مقبل الى حضرتك ذلك اليوم ولو لم يأت رسولك الينا والآن فما بقى الا العزومة الملكية والاقامات المستوفية وكل ماأمرتى به كان مطاع فمنك الامر ومنا الاستماع ثم ان الوزير ما زال بها وهو يمازحها ويتحايل عليها ويمدحها ويثنى عليها بحسن معرفته وفطنته الى ان لان جانبها وطاب قلبها وخاطرها ثم سمحت له في الضيافة وطاب على قلبها فعند ذلك أمر الرجال بنقل الاثقال وسار مع السيدة يحاذيها الى ان رأت القلعة وقد أقبلت الى السرايا باذن رب البرايا هذا وقد علم الملك الصالح بمجيئها فتهيأ

الى لقائها ولبس أفخر الملابس وكان كل ذلك بمشورة الاغا شاهين ثم انه قابلها وسلم عليها فردت عليه السلام وطاب بينهما الكلام وهى داخل الستار وهو خارج مع الحضار فلما تكلمت مع الصالح أيوب أوقع الله حبه في قلبها وصارت تحبه أكثر من أكلها ونومها هذا وقد أقامت على ذلك المرام وهي فى ألذ مقام مدة ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع أقبل الاغا شاهين على الملك وقال له يا أمير المؤمنين اعلم ان السيدة فاطمة معها حجة من أبيها بأرض مصر وأقطارها ولم يكن أحد يمانعها فى ملكها لان كلام الملوك تمام والذى أريد أن أشيره اليك سوف ألقيه بين يديك فان رأيت فيه اصلاح فاقبله وان كان غير ذلك فاهمله فقال له تكلم بما تريد فأنت عندى رشيد وكلامك مفيد فقال له أريد الامان من ملك الزمان فقال له عليك الامان ولك الزمام فقال له اعلم يا أمير المؤمنين ان السلطنة لم تثبت لك ولا هى حقك الا بحركة واحدة وذلك انك تتزوج بهذه السيدة وتأخذ الحجة منها وتصير من الآن ولى أمرها فاذا فعلت ذلك تثبت لك السلطنة دون العباد وأطاعتك جميع العباد وأهل البلاد من غير عناد فقال له وكيف ذلك ياوزير الزمان فقال له ان سلمت الىّ الامر فأنا أنهيه على غاية مايكون باذن من لاتراه العيون فقال له الامر اليك افعل ماتريد فعند ذلك نزل الاغا شاهين وتوجه الى السراية واستأذن للدخول على السيدة فأذنت له فدنى خلف الستار وتمنى فأمرته بالجلوس فجلس فلما استقر به الجلوس قالت له ياأغا شاهين قال نعم فقالت له ماتقول في أرض مصرنا اما انكم ترحلوا عنها واما أن تدفعوا خراجها فقال لها ياسيدتى أمرك مطاع فالارض أرضك ونحن عبيدك وخدامك فان تركتيها لنا فنحن نواب حفظناها بكل الاسباب وان وليق غيرنا فأنت المالكة لرقنا غير انى أقول انه لم يوجد

أحد يقيم بها مثل هذا الملك الصالح لانه في كل الامور ناصح وأنا معى كلام خلاف ذلك وأريد من حضرة مولاتنا الامان فقالت له تكلم بما معك من الجواب وخذ رد الخطاب فقال ياسيدتى ماعلى الرسول الا البلاغ هاأنا أخذت الامان وما علىّ فى ذلك من جناح ثم ان الوزير نهض على الاقدام واستقبل الستار وخطب خطبة بليغة للزواج فقال (الحمدلله) الذى حلل النكاح وحرم السفاح وأجرى بقدرته الرياح خلق الخلق بقدرته وأمسكهم بحبل عصمته وأقامهم على سنته وجعلهم يتناسلون شيئا بعد شئ وصنفا بعد صنف وما زال المؤمن متمسكا بالكتاب لايخرج ولا يفزع من الارتياب وبعد فقد قال عز من قائل وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا أعلمك أيها السيدة الفاخرة أن الدنيا ساخرة والباقى الدار الآخرة فهنيئا لمن تزود فيها بالخيرات وجعل رأس ماله الاعمال الصالحات وان الله تعالى خلق النساء للرجال ليظهر النسل باذن الله المتعال وان الملك الصالح نجم الدين أيوب ولى الله المجذوب قد تكدر عيشه وقل زاده وعافاه رقاده وتعلق قلبه بالمحبة وشكى ذلك لجميع الاحبة فوددت أن أكون مؤلفا بين اثنين في الحلال لارزق أجر شهيد مقيم في دار الجلال وانه يريد أن يتشرف بقربك ويحظى بطلعتك وقدك وقد بعثنى اليك بهذه الرسالة وهو باكى العين لايخفى حاله فماذا أنت قائلة في ذلك كفاك الله شر المهالك

قال الراوى فلما سمعت السيدة فاطمة ذلك الكلام تبسمت في وجهه وقد أظهرت الابتسام فظن الوزير انها سمحت اليه بذلك المرام فقال لها ياسيدتى اعلمينى بما تريدين حتى انى أخبر الملك الصالح فقالت له اعلم ياوزير الفطنة والخير انه لو كان رجل غيرك كنت قتلته ولكن

لاأؤاخذك في ذلك غير انك تمضى الى الصالح وتأمره بالرحيل عن هذه الديار وأن يسكن غيرها من الامصار وأنا أحكم فيها ماأريد من السادات أو من العبيد والسلام على نبي تظلله الغمام (قال) فلما سمع الوزير من السيدة ذلك الكلام تأخر الى ورائه ورجع على عقبه وخفق قلبه وولى الى ظهر السراية فبينما هو كذلك واذا بالاغوات لاحقين به وهم ينادون عليه ياوزير الزمان وهو يظن انهم يطلبوه ليعاقبوه لاجل ذلك الشان ولم يزالوا خلفه حتى أدركوه وعن مسيره عوقوه وقالوا له ارجع الى السيدة لانها قد طلبتك لتقضى حاجتك فقال لهم أحقا ماتقولون قالوا نعم وحق من علي العباد أنعم فرجع ثانيا اليها وهو بين المصدق والمكذب فلما وصل بين يديها أمرت له بالجلوس وقالت له قد قضى الله حاجتك وبلغك أمنيتك أنت وصاحبك ومن الآن هاأنا بين يديه ولا أبخل بروحى عليه وأكون له أهلا وقد رضيته يكون لى بعلا ولا حياء فى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الذى يكره الحلال فعند ذلك فرح الوزير فرحا شديدا ماعليه من مزيد وقال لها ياسيدتى أنا ماسعيت في ذلك الا لما علمت انه ليس بحرام ولكنى تعجبت في أمرك غاية العجب وكيف انك رضيتى بذلك بعد ان كنتى امتنعتى فما السبب الذى أوجب للطاعة فقالت له اعلم أيها الوزير ان هذا الملك له سر عجيب وأمر غريب وذلك انى بعد امتناعي ومسيرك من قدامى أخذتنى سنة من النوم فوجدت الملك الصالح قدامى وبيده اليمين حربة من النار وجعل يفزع بها عليّ ويقول لاى شئ ترجعى وزيرى خائب من بين يديك ولا تقضى له حاجة وعزة الربوبية ان لم تقضى حاجته وتبلغيه أمنيته والا نفذت هذه الحربة من

ظهرك وأنا الملك الصالح ثم صاح فانتبهت من نومى وصحت على الخدام أن ادركوه وأدركوك والى عندى أوصلوك وانى قد رضيت بالزواج وأنت وكيلى من غير لجاج ثم خلعت على الوزير خلعة سنية وأوهبته جزيل العطية وأمرته بالمسير الى سيده الملك الصالح فسار اليه وقبل الارض بين يديه فوجده يدندن ويقول ياسلام ياسلام وعزة الله الابدية لابد عن ذلك وكلام الوزير مؤيدا بقدرة الله هذا وقد أقبل الوزير فقال له الملك الصالح ياوزير لابد أن السيدة فاطمة أقامتك وكيلا فى عقد الزواج فقال له كما ذكرت ياأمير المؤمنين فقال له لابد انها تعززت عليك وأظهرت في وجهك الغضب فقال لا ياأمير المؤمنين بل فرحت بذلك واستبشرت وخلعت علىّ وأوهبت وسيرت اليك بقضاء الحاجة قال ولم يذكر له شئ مما جرى من السيدة فقال له هكذا ياوزير الزمان شأن الوزراء أهل العرفان ثم ان الملك أمر بتجهيز الولائم واصطناع الاطبخة الفاخرة والملابس وكل مايحتاجون اليه وذلك كله بأمر الوزير الاغاشاهين وقد أمر الوزير باحضار ثلاث خزنات من المال من بيت مال المسلمين فأحضروها ثم أمر بتزخرف المكان وحضرت الامراء وأرباب الديوان والقاضى وشيخ الاسلام ونهض الملك الصالح ووقف بين يدى الشيخ وقال له يامولاى اعلم أن المقتدر بالله له بنت يقال لها السيدة فاطمة وقد أقبلت تريد الحج الى بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه الصلاة والسلام فوصلت الى الاقطار المصرية فطلبتها الى الزواج وأوسلت اليها الوزير فأخبرنى بانها أجابت والآن فاسألوها وفى أمرها فاستشيروها فقام شيخ الاسلام ووقف خلف الستار وسأل السيدة عن ذلك الاخبار فأخبرته بان الوزير وكيلها وفي كل الامور هومشيرها فرجع وأعلم السادات بما قالته السيدة فاطمة من الخطابات

ثم انعقد العقد عليها بحضرة الجميع وأخرج الوزير الى شيخ الاسلام عقدا من الجوهر وانشرب الشربات وتفرقت العطايات ولم يبق بين الملك الصالح وبين السيدة حجاب ثم أقاموا على ذلك المنوال الى ان أتى طلوع الحجاز بعد شهر رمضان قال فأخبرت الملك الصالح انها تريد الحجاز فأذن لها في ذلك ثم أمر الاغاشاهين أن يتوجه معها الى الاقطار الحجازية لزيارة خير البرية ثم شرعت السيدة في المحمل المصرى وكسوة الكعبة وأخذت معها العوايد الى العربان ثم نادى المنادى معاشر الناس كل من كان يريد الحجاز وليس معه راحلة فيتأهب الى السفر على راحلة السلطنة ويتوجه مع السيدة فاطمة على غاية مايريد محبة في رسول الله صفوة الملك المجيد (ياساده) فلما وقعت المناداة أقبل كل من كان مشتاق ثم أخرجت الخيول المسومة وكان عدتها مايتان أربعة وأربعون حصان بالسروج المذهبة والنقوش المكوكبة ثم رتبت كاتب السر وجعلت الاغا شاهين أمير حج وسارت السيدة فاطمة بالركب وبين يديها جيوش الملك وأغوات وعساكر المملكة بالنوبة التركي والمزاميرالملكي وقرعت المدافع وخرجت البنت من خدرها والمرأة من خباها وتزينت أرض مصر وسار الموكب والمحمل الى جهة الحصوة ونزلت السيدة فاطمة هناك وقد صاروا الناس يتأهبون الى الرحيل كما قال فى مثل ذلك الشاعر النبيل حيث يقول صلوا على طه الرسول

تركت ديارى ثم أهلي ورفقتى * في حب من هو ضمين العاجزين
وهجرت نومى في حبه * وزاد شوقى البكا والانين
وما يغسل ذنوبي سوى نظرة * الى من سيد المرسلين
طه الذى بعث رحمة * الى كافة العالمين

من صلى وسلم عليه الاله * وقد خصه البارى بحسن اليقين
جار الغزال ومحا الضلال * ويوم القتال أفنى المشركين
كن زخرى يوم حشرى * يافخرى بمن سمى طه ويس
ياهنا من لاذ بأرض الحجاز * وسلك النجاز مع العايزين
كن لى ضمين ياشفيع المذنبين * أنت الامين امام المتقين

(قال الراوى) وقد مضى اليوم الاول والثانى والثالث وقلت في هذا المعنى

يادليل الركب عندى أقيم * قال لى المسافر مسافر والمقيم مقيم

وأيضا قيل في حقهم

مقام الغريب بكل أرض * كبنيان القصور على الثلوج
يهب الريح تنهدم البنايا * وقد عزم الغريب على الخروج

(قال الراوى) ثم سافرت السيدة والاغاشاهين وما زالت تفعل الخيرات التى يطول الشرح فيها الى ان وقفت بعرفات وطلبت من الله نوال الحاجات وقضت الفريضة وتوجهت الى المدينة وزارت وسلمت وصلت ودعت وبما شاءت تكلمت وقد نظمت هذه الابيات صلوا على سيد السادات

ألا يارسول الله ياخير مرسل * كن لى شفيعا ياأجل الورى قدرا
رعا الله أياما تقضت بطيبة * ليال ومالى لاعلمت له قدرا
ليال نعم لو تباع شريتها * بروحى ولكن لاتباع ولا تشرى
سألت إلهى قبل مونى نظرة * الى طيبة الفيحاء والقبة الخضرا
وأنظر بعينى الحطيم وزمزم * وجبل قبيس والكعبة الغرا
وأدخل من باب السلام مسلما * على المصطفى الهادى وأفرح بالبشرا
أقول لعينى انظرى وتمتعى * وأقول لقلبى قد بلغت ذا الفخرا
وقل يارسول الله جئتك قاصدا * ياخير مسئول ومن يمشى على الغبرا

ويامن جار الغزال اذا أنت * ويامن له الاقدام قد غاص بالصخرا
أجرني أجرني ياملاذى ومسندى * فأنت ضميرى من وقفة عثرا

(قال الراوى) ثم قرأت ماتيسر لهـا من كلام الله القديم وسلمت على الرسول الامين وتأخرت بظهرها الى خارج الحجرة النبوية وهى في غاية الادب بالكلية وتقدم الوزير الاغا شاهين وقبل الارض بين يدى رسول رب العالمين وشكا اليه حاله وشكا كل مارأى من أحواله ودعا وطلب وتوسل بالرسول الى من احتجب وقرأ ماتيسر له من القرآن وسأل الله القبول والاحسان وتعلق بأذيال الحجرة وتأخر الى ورائه وهو في غاية الاحتشام وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

ألا يارسول الله جئتك قاصدا * أرجو رضاك وأحتمى بحماك
والله ياخير الخلائق ان لى * قلبا مشوقا لايروم سواك
وبحق جاهك اننى بك مغرم * والله يعلم اننى أهواك
أنت الذى لولاك ماخلق امرئ * كلا ولا خلق الورى لولاك
أنت الذى من نورك البدرا كتسى * والشمس مشرقة بنور بهاك
أنت الذى لما رفعت الى السما * بك قد سمت وتزينت بسراك
أنت الذى ناداك ربك مرحبا * ولقد دعاك لقربه وحباك
أنت الذى سألت فينا شفاعة * ناداك ربك لم تكن لسواك
أنت الذى بك قد توسل آدم * من زلة لديه وهو أباك
وبك الخليل دعا فعادت ناره * بردا وقد خمدت بنور سناك
ودعاك أيوب لضر مسه * فأزيل عنه الضر حين دعاك
وبك المسيح أتى بشيرا مخبرا * بصفات حسنك مادحا لعلاك
وكذاك موسى لم يزل متوسلا * بك في القيامة محتم بحماك

والانبياء وكل خلق في الورى * والرسل والامــلاك تحت لواك
لك معجزات أعجزت كل الورى * وفضائل جلت فلست تحاك
نطق الذراع بسمه لك معلنا * والضب قد لباك حين لقاك
والذئب جاءك والغزالة قد أتت * بك تستجير وتحتمى بحماك
وكذا الوحوش أتت اليك وسلمت * وشكى البعير اليك حين لقاك
ودعوت أشجارا أتتك مطيعة * وسعت اليك مجيبة لنداك
والمــاء فاض براحتيك وسبحت * صم الحصا بالفضل فى يمناك
وعليك ظللت الغمامة في الورى * والجذع حن الى كريم لقاك
وكذاك لاأثر لمشيك في الثرا * والصخر قد غاصت به قدماك
وشفيت ذا العاهات من أمراضهم * وملأت كل الارض من جدواك
ورددت عين قتادة بعد العما * وابن الحصين شفيته بلماك
وكذا حبيب وابن عطر بعد ما * جرحا شفيتهما بلمس يداك
وعلى من رمد به داويته * في خيبر فشفى بطيب لماك
وسألت ربك في ابن جابر بعد ما * ان مات أحياه وقد أرضاك
ومسست شاة لام معبد بعد ما * نشفت فدرت من شفا رقياك
ودعوت عام القحط ربك معلنا * فانهل قطر السحب حين دعاك
ودعوت كل الخلق فانقادوا الى * دعواك طوعا سامعين نداك
وخفضت دين الكفر ياعلم الهدى * ورفعت دينك فاستقام هناك
أعداك عادوا في العذاب بجمعهم * صرعى وقد حرموا الرضى بجناك
في يوم بدر قد أتتك ملائك * من عند ربك قاتلت أعداك
والفتح جاءك يوم فتحك مكة * والنصر فى الاحزاب قد وافاك
هود ويونس من بهاك تجملا * وجمال يوسف من ضياء سناك

قـد فقت ياطـه جميع الانبيا * طرا فسـبحان الذى أسراك
والله ياپس مثلك لم يكن * في العالمين وحق من نباك
عن وصـفك الشعراء يامدثر * عجزوا وكلوا عن صـفات علاك
انجيل عيسى قد أتى بك مخبراً * وأتى الكتاب لنا بمدح حلاك
ماذا يقول المادحون وماعسى * ان تجمع الكتاب من معناك
والله لو ان البحار مدادهـم * والشجر أقـلام جعلن لذاك
لم يقـدر الثقلان تجمع نذره * أبدا وما اسـطاعوا له ادراك
بك لى قليب مغرم ياسـيدى * وحشاشـتى محشوة بهـواك
واذا سمعت ففيك جسمى كله * واذا نطقت فـادح امـلاك
واذا سألت ففيك قولا طيبا * واذا نظرت فـا أرى الاك
يامالكى كن شافعى من فاقـق * انى فقـير في الورى لغناك
ياأكرم الثقلين يا كنز الورى * جد لى بجودك وارضنى برضاك
أنا طامع بالجود منك ولم يكن * لى في جميع العالمين سـواك
فعساك تشفع لى في يوم اللقا * فلقد غدوت متمسكا بعراك
فأنت أكرم شافع ومشفع * ومن التجى بحماك نال وفاك
فاجعل قراى شفاعة لى في غد * فعسى أكن في الحشر تحت لواك
صلى عليك الله ياعلم الهدى * ماحن مشتاق الى مثواك
وعلى صحابتك الكرام جميعهم * والتابعين وكل من والاك

(قال الراوى) ثم تأخر الوزير بظهره الى خارج الحجرة وأراد أن يمضى مع السيدة فاطمة واذا تأمل فرأى شخصا باكى العين في غاية الاحتشام واقفا بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم وقد بسط يديه وتملق وصلى وسلم عليه وجعل يترنم بالاشعار وكانت أشعاره على عروض هذه

القصيدة التى تكلم بها الوزير فسمعه وهو يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

ياغاديا نحو الحبيب عساك * تقرا سلامى اذا وصلت هناك
وقل السلام عليك ياخير الورى * من مغرم طول المدا يهواك
أنت الذى لولاك ماسرت الظبا * كلا ولا عرف الهدى لولاك
لولاك ماعرفت لآدم زلة * لما التجى فى ذنبه لحماك
لولاك ما رفعت ليونس رتبة * ولقد نجا من حوته بهداك
لولاك ما كان ابن عمران ارتقى * طرر الخطاب ونال من نجواك
ولقد سريت الى المهيمن ليلة * والله قد أهدى لسر سراك
بالجسم كان سراك لاعن ريبة * وتحكمت من ملكه عيناك
ناداك جبريل الأمين مخاطبا * لك بالكرامة عن رضا مولاك
ان كان آدم صورة من خلقه * فقد اصطفاك لحبه وهداك
أوكان نوح قد نجا بسفينة * فمن العدا بالغار قد نجاك
أو كان ابراهيم أعطى خلة * فقد اجتباك الله اذ ناداك
أوكان اسماعيل جاء له الفدا * من ربه فكما فداه فداك
أو كان موسى للاله مناجياً * فبليلة المعراج قد ناجاك
أو كان عيسى نال قبلك رتبة * فمراتب المجموع قد أعطاك
قد نلت بالمعراج كل فضيلة * ورأيت جبار السما ورآك
فعليك يا خير الأنام تحية * تأتيك بالاقبال من مولاك
كن لى شفيعا ياأمل الورى * واحمنى في يوم اللقا بحماك
صلى عليك الله ياعلم الهدى * ما دامت الدنيا بشمس هداك
وكذاصلاتى مع سلامى دائما * ما هب ريح بالصبا لنحو حماك

وألف ألف تحية بتحيـة * عليـك منى وعـلى صحباك
والمرسـلين والاقربين جميعهم * كل المحبـين ومن وافاك

قال الراوى لهذا الـكلام العجيب والامر المطرب البديع الغريب فلما فرغ المتكلم من هذه الابيات والاغاشاهين شاخصين اليه ومنتظرين التقرب الى بين يديه وقـد سمعوا منـه ذلك النظم البديع وتأمـله الوزير واذا به الملك الـكبير الصالح أيوب ولى الله المجذوب ياساده وقد رأته أيضا السـيدة فاطمة ونظرته بعينيها وصارت باهتة نحوه فلما فرغ مديحه غاب عن الابصار فلم يجدوا له خـبر ولا وقعوا له عـلى أثر فتعجب الوزير منـه غاية العجب وثبتت عنـده كرامات الصالح وزاد حب الملك في قلب السـيدة فاطمة ثم عادوا خارجـين وهم يقولون اللهم لاتجعل هـذا آخر العهد بنبيك محمـد صلى الله عليه وسلم ياساده وقد زاد الوزير الاغا شاهين الافرم واشتد وجهه واسـتعظم فباح بما فى خاطره ونطق بما كتمه سايره وصار هايما لايدرى مايقول فقال هذه الابيات صلوا على سيد السادات

قد زاد شوقى ولوعـتى وطربى * واشتاق قلبى الى لقاء حبيبى
ألا يا رسـول الله يا كل المنـا * ياغاية مطلبى ومسكى وطيـبى
يا كنزى ثم زخرى ومنقذى * فاقبـل دعايا وشكوتى ونحيبى
وقل أجرتك يوم حشرك في الورى * وجعلتك من المـادحين قريبى
فجـز تحت اللـواء ولا تخف * ولا تخش لوما وأنت حبيـبى
فكل المحبـين أنا لهـم * ومن حبهم له فى الشفاعة نصيب
يا بختنا يوم القيامـة بمحمد * ياسعدنا بصاحب اللوا والقضيب
جعلت حبك مكسبى ومتاجرى * وجعلت مدحـك لى نصيبى
لاأخش لوما وأنت مشـفعى * ولا أخش ضرراً وأنت طبيبى

أجرنى أجرنى ياابن رامة اننى * بحبك مظنى يتيم غريب
عليك صلى وسلم ربنا * ماهب ريح عن غصن رطيب

قال الراوى وبعد تمام حجهم ساروا راجعين الى نحو مصر متأهبين ولم يزالوا سايرين وفي سيرهم مجدين الي ان أتوا الى المدينة ووصلت البشائر وكان الملك الصالح أيوب منتظر قدومهم ففرح غاية الفرح بوصولهم وأمر الناس بالزينة والذكر وتلاوة القرآن وقابلوا الحجاج من كان لهم من الاخوان وزال عن مصر الذل والهوان وركبت السيدة فاطمة مع الاغاشاهين في موكب عظيم ووهبوا وأعطوا ولم يزالوا كذلك الى ان وصلوا الى قلعة الجبل وقرعت لهم المدافع وطلعت الملكة الى السراية وعملت مولد الى خير البرية وشرعت فى مولد الحسين والملك لايعنهاعن ذلك ولايتقرب منها الا بالسلام ولم يزالوا كذلك الى آخر العام وقد آن أوان الحجاز ففعلت مثل فعلها الاول وطلبت مع الوزير الاقطار الحجازية ولم تزل هذه عادتها في كل عام من الاعوام حتى كملت اثنا عشر عاما وهى على هذا الترتيب فسبحان من جعل لها في هذا الخير نصيب كل هذا وهى بكر عذراء والملك الصالح مقيم مع ابنة عمه فلما كان العام الاثنى عشر وأقبلت من الحجاز شرع لها في الافراح والليالى الملاح وطلبها الى التقرب اليه فأجابته الى ماطاب فأعطى ووهب وأمر بالزينة ثلاثين يوما فلما كانت ليلة الزفاف نزل الملك مع السادات الاشراف وصلى معهم في جامع سيدنا الحسين وطلع الى السراية وعبر فوجدالفراشات والمخدات والمساند والوسايد والورد والثمام والاقح والاقحوان وقد أغلقوا عليه باب السراية وتقدمت السيدة فاطمة وباست يده فجلس الي جانبها وتحادث معها وقد رآها على رأى الذى قال هذه الابيات صلوا على سيدالسادات

بديعة حسن أفتنت كل الورى * ما لها في الملاح شبيه
اذا رمشت جرحت بلحظاتها * كل من أتى يقارن التشبيه

قال الراوى فدنا الملك منها وجر الحسام على مجرى الدم فانطرق لساعته وفاحش على حدته وقد رآها درة ماثقبت ومطية لغيره ماركبت فأزاح بكارتها وهجر بنت عمه بها وأمر في الحال بعزلها فانتقلت فى الصالحية وهى ديار أبوها الصالحين وكان يقال لها السيدة شهوة وكانوا من الاكراد الايوبية وسيأتى كلامهم في محله بعون الله وفضله

ياسادة وقد أقام الملك مع السيدة فاطمة واحتوى على جميع ماتملك يداها وثبتت له السلطنة وأقام في عز وهنا وخير وغنى وجلس يتعاطى الاحكام فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى وسنرجع الى مجىء ايبك التركمانى وسبب مجيئه من تلك الديار وتوجهه الى تلك الامصار وذلك كان له سبب عجيب وأمر مطرب بديع غريب وذلك انه كان ملك من الملوك بأرض الموصل وكان يحكم عليها وقد ورثها عن أبيه وأبيه عن جده وكان ذلك الملك جبار عنيد وشيطان مريد وكانت تأتى اليه الاخبار بما يجرى في كل الامصار فبالامر المقدر بلغه ان مصر عليها ملك من الاكراد الايوبية يقال له الملك الصالح أيوب وذلك الرجل فقير الحال لايعرف السلطنة ولا له عليها أحوال وله صناعة يعملها وهو انه يعمل الخوص مقاطف وله سلاح من الخشب وترس من خشب الجميز وكل دولته مثله ولا له رجال ولا يعرف أبطال ولا يدرى حرب ولا قتال قال فلما سمع ملك الموصل بذلك الكلام غار على مصر وأمر بتجهيز العساكر وجمعهم من كل قطر ودفع لهم الاموال حتى صار في ركبة عظيمة

وقال لابد أن أملك أرض مصر فأنا أحق بها من الذي هو مالكها ثم انه جعل على أرض الموصل نايباً من الرجال وأوصاه بحفظ الارض وسار بمن معه من بلد الى بلد ومن محل الى محل حتى وصل الى أرض حلب فحط عليها وقد تواصلت الاخبار الى نايب حلب فأغلق الابواب ورفع الحصارات وخرجت عليه جلل المدافع فحط على حد رمي النار ونزلت العساكر والرجال وكان في مراده أن يملك حلب ويجعل دماء أهلها منسكب فأبلاه الله تعالى بالمرض الشديد الذي ماعليه من مزيد فأيس من الدنيا وظن انه لاحق بالآخرة وقد ازداد مرضه ولم يملك غرضه هذا وقد أقبلت اليه الاطباء والحكماء وصاروا يداووه ويعالجوه ويلاطفوه كل ذلك ولم يفده شئ بل زاد في عياه وكثر أنينه وشكواه وتألمه وبكاه وقد انتهت رجاله بمرض سيدهم فانحلت عزائمهم وانكسرت شوكتهم وقات همتهم فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من أمر نايب حلب فانه سطر كتاب وأرسله مع سيار وقال له عليك بأرض مصر فأخذ السيار الكتاب وصار يجد السير في الفيافي والاودية والشعاب وهو قاصد الى ذلك الرحاب فهذا ما كان منه وأما ما كان من أمر الملك فانه بات وأصبح فلما صلى على نبي له الورد فتح ظهر جلس على التخت أحدقت له الرجال أبدأهم بالسنة ردوا عليه بالفريضة الشرعية بسط أياديه قرأ الفاتحة وقال اللهم اهد ثوابها الى جملة الفاخرين والعارفين ثم الى روح الملوك الذين تقدموا قبل وبعد ثم جلس وتكامل الديوان قرأ المقرى آية من القرآن وختم رقى المرقى وختم دعا الداعى وختم صاح جاويش الديوان وهو يقول

الملك لله دون الورى * وكل ماسوى الله باطل
كل ماتراه عيناك فانياً * وكل فرح وحزن زايل

فـلا يدوم سوى الالهولا * يبقى الا الكريم العـادل
فاطلب كل الامور منـه ولا * تخف فالله يعطى مايشاء يافاضل

قال الملك الصالح آمنا من أين كنا حتى اتصلنا سبحان من عنده كل مليك كمملوك وكل غنى كصعلوك سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من الشدايد والمهالك ياشاهين جار الرجل علينا ونحن لم تملأ له عين وكان مراده يقتل الناس وينهب أرضهم وبلادهم ولكن الارض محفوظة ياشاهين وربك رب الخيرات قادر على فرج العباد وهذه مصر محروسة من أراد بها سوءاً أهلكه الله ياحج شاهين فقال الاغا شاهين وقد تعجب من هـذا الرجل ياأمير المؤمنين فقال له يارجل لاتأخذ على كلامى فانى رجل فقير عبيط فبينما الملك يدندن والوزير يتعجب واذا بباب الديوان ارتج والستار احتج وسار يقبل الارض بين يدى الملك وهو يقول

سلامى على أهل المكارم والمعنا * سـلام جزيل بالفاوح فاخر
يخص منهم كبيرهم وصغيرهم * ويعم أمير المؤمنين بمسك عاطر
قد أتيت اليكم طالبا لاحسانكم * فاقبلوا من أتى اليكم زائر
واوهبوه من بعض احسانكم * فأنتم كرام كالبحار الزواخر

قال الملك الصالح من أنت قال له سيار وحامل كتاب قال له من أين والى أين قال له حلب الشهبا قالت سائر المدن عبيدى وأنا فى تخت عز بين سعد وسعيد قال الملك ما معك من الاخبار أخرج كتاب سلمه للوزير الاغا شاهين ووضعه على تخت الملك الصالح فقال الملك خذ هذا الكتاب ياقاضى الديوان واقرأه أسمعه أنا والرجال والاخوان فقرأه القاضى وجد فى أوله

يا كتابى اذا قراك حبيبى * قبل الاقدام وبوس أياديه
واقرئه منى جزيل السلام * وزده منى تحيـة تكفيه

وقبـل الارض عنـد اللقا * وقل له محبك ياسيدي اوقيه

خطابامن عندنائب حلب الى بين أيادي أمير المؤمنين اعلم ياأمير المؤمنين اننا مقيمون يوم تاريخ هـذا الكتاب واذا بملك يقال ايبك التركماني من أرض الموصل حط على الارض والبلاد فأغلقنا الابواب في وجهه وأقمنا الحصارات تحط على حد رمى النار فأرسلنا أربعة جواسيس يكشفوا لنا على الاخبار فغابوا وعادوا الينا وقالوا انه يريد أرض مصر والشام ومرامه أخذ السلطنة وسائر بلاد الاسلام فما استقر به النزول حتى خصه الله بداء مهول وأبلاه الله بمرض لايعلم له دواء وانه الآن على حياض الموت واشتد عليه المرض حتى انه حارت فيه الاطباء ثم سطرنا لك هذا الكتاب وأعلمناك بما كان من الخطاب فالارض أرضك ونحن خدامك وأنا عبدك ارسل لنا جواب كافي نعتمد عليه من فضلك والسلام على نبي اظلله الغمام

قال الراوى فلما رأى الملك ذلك وسمع مافي الجواب قال الملك اكتبوا له رد الجواب بانهم يفتحوا له حلب واذا مر رجاله الى جهة مصر أو الشام فلا يمنعه أحد من الأنام والله يفعل ما يشاء فكتبوا له ماأمر به السلطان ورد السيار بالكتاب فهذا ما كان من هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من أمر ايبك فانه زاد عليه المرض حتى صار كانه الدن الكبير وصار يخطف نفسه حتى كاد أن يطير فبينما هو كذلك واذا مر به رجل من علماء الاسلام فسلم عليه فرد عليه السلام فجلس الى جانبه وجعل يحادثه ويسامره حتى انه احتوى على قلبه ثم قال له ياملك الزمان وسيد الملوك والاعيان فقال له كما ترى بالاعيان فقال له أزال الله عنك البؤس ولا رأيت يوما عبوس ألم يأتك حكماء يعالجوك ومن هـذا المرض ينقذوك فقال جاءنى كثير ومازادونى الا تحسير فقال

له أنا أداويك ومن هذه الامراض أشفيك فقال له جزاك الله كل الخير هذا وقد تقدم اليه وجعل يداويه بأدوية يخبرها وأعشاب يعرفها ثلاثة أسابيع حتى طاب وأبراه الله من كل مصاب وجعل شفاءه على يد الشيخ المهاب كما أراد رب الارباب الذى جعل لكل شئ أسباب فلما فاق من مرضه وعلم بنفسه أقبل على ذلك الشيخ وقبل يديه ووقع حبه في قلبه وعينيه فأكرمه ومدحه وأثنى عليه وقال له ماسمك يامولاى قال له اسمى الشيخ صلاح الدين قال له من أى أرض قال له من العراق وما ساقنى اليك الا الملك الخلاق فظن انه ولى من أولياء الله الصالحين والعلماء العاملين فاعتقده وقربه ووهبه ولم يدر من هو ولا كيف حاله وما يعلم الغيب الا الله تعالى

قال الراوى وكان السبب في ذلك سبب عجيب وأمر مطرب بديع غريب نريد أن نذكره على الترتيب بعد ألف صلاة وسلام على النبى الحبيب وذلك انه كان فى قديم الزمان وسابق العصر والاوان فرقة من العرب يقال لها طائفة بنى سليم وكانوا كلهم مسلمين فتخلف منهم رجل يقال له عقبة اللعين ابن مصعب وكان داخله الغرور وكان يوقع الفتن ويخبر كل الامور حتى انه أشرك بالله تعالى ومحمد رسوله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته في غير هذه السيرة (وهى سيرة ذات الهمة التى حوت كل خبر عجيب يلذ لها السامع ويطيب) ثم تولد من نسله غلام ألعن وأضل سبيل يقال له معقب الوبيل فلما نشأ خلف غلام يقال له الحصين خلف معقب ومعقب خلف سمعان وسمعان خلف نشران ونشران خلف اصفهان واصفهان خلف ولدين ذكرين الاول يقال له كرسميول والآخر يقال له اصفوط فلما نشأ هذين الولدين وخرجوا الى المكتب فخرج كرسميول على أثر آبائه والاجداد وخرج اللعين اصفوط من أهل

العناد وتداولت عليهم الايام فأما البطرك كرسميول فانه قام بدير شهير بأرض الشام يقال له دير العامود والصليب المعقود وصار يعلم أولاد اللئام الانجيل ويعلمهم التحريم والتحليل وقد هرعت اليه اللئام بأولادها وصارت تقرأ عليه كتابا وأما اصفوط اللعين الممقوت فانه سار يجمع أولاد الملوك ويفسدهم على أهاليهم ويعلمهم الضلال ويغويهم وقد اجتمع عليه أربعون فصار هو كبيرهم والمتكلم عليهم وصاروا من أهل الفساد حتى انهم يقتنصون البنات ويفسدون بهم في الشوارع والازقات ولا يخشون نقمة رب البريات وصارت لهم بذلك عادة وقد عادتهم السعادة فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر البطرك كرسميول فانه مقيم يوم من الايام اذ حضر اليه ملك من الملوك الكبار يقال له عبد الصليب صاحب جزائر البرتغال ومعه ابنته يقال لها فتنة المسيح فلما أقبل بها اليه قبل يديه ورجليه وقال له انى قليل الخلف والذرية ولم يكن لى أولاد ذكور ولا أناث بالكلية فلما جاء عيد الشعانين نذرت نذر للمسيح وهو انه ان رزقنى بغلام أو بغليونة أوهبتها للتعليم وعلمتها التحليل والتحريم وجعلتها راهبة وحفظتها الانجيل فاستجاب المسيح دعائى وقبل نذرى ووفائى ورزقنى بهذه الغليونة وقد كبرت ونشأت وانى أريد منك انك تعلمها لى الانجيل والتحريم والتحليل وتجزها برجيع الرهبان لاجل أن تكون من أهل العرفان فقال له البطرك سمعا وطاعة ثم استلم منه البنت من تلك الساعة وكان معها كل ماتحتاج اليه من الأكل والشرب وترك لها خادما برسمها وتركها عند الراهب وسار راجعا الى بلاده فهذا ما كان من أمرها وسداده قال وأما ما كان من أمر البطرك كرسميول فانه صار يقرى تلك البنت ويعلمها ويجتهد معها ويفهمها مدة أربع سنوات حتى صارت البنت

تعرف القراءة فيوم من الايام بينما هو جالس واذا بأخيه اصفوط داخل عليه ومعه الاربعون فسلم عليه وجلس الى جانبه وقد نظر تلك البنت جانب أخيه كرسول فقال له وقد تعلق قلبه بها وبهت الى حسنها وجمالها وقال من هذه البنت قال له هي من أولاد الملوك فقال له انها جميلة الصورة حسنة الطلعة صاحبة بهجة ولمة وقد قال القائل في حقها هذه الابيات

صفاح حدائه سهام العيون * به رمين أو نحر الشجون
أم ناعسات الطرف قد جردوا * بيض القنا حتى لنا يقتلون
أحبتي من لحظها قاتل * يامن يسل عن ناعسات الجفون
كف الملام عن ذات الوشا * م واترك للهام ما تبغضون
وان لم ترجع عما تريد * فانت عندي كثير الجنون
فقلت يا باهي الجمال * رق وارحم واسف السجون
فقال لي وكم مثلك رهين * في سجني بنعن بذلك الفنون
طيف الخيال أورث له السكات * فكيف الوصال بالنظر والعيون

(قال الراوى) ثم ان اصطوف قال لاخيه اعلم انه قد تولع قلبي بهذه الملعونة وشغفت بحبها وقد آلمني طرفها واني أريد أن أدنو منها وأتمتع التمتع وأتمتع بهاذون الذكور فقال له اعلم يا اصطوف ان هذه بنت ملك الروم عبد الصليب وما تريد أن تفعله بها فهذا معيب وقد قرأت الانجيل فوجدت الزنا حرام عندنا وعند الاسلام ونحن لانفعل المحرمات ولا نتبع الشهوات سيما وقد أوصاني عليها أبوها فلا أمكن أحدا منها حتى تخرج روحي دونها ثم صاح فيه فتركه وقام القيام الى الخلوات وقد تبعوه الاربعون فقال لهم وحق المسيح والذبيح لابد لي من هذه الملعونة واتصالي بهذه البنية فقالوا له الاربعين افعل مابدالك فنحن كلنا سامعين مقالك

فصبر بهم الى الليل وهم بعد نوم الناس الى الدير فرأى أخوه نائم في مخدع من حلة المخادع فاعتنقه عليه وقد أخذ البنت وغصبها على باب المحل الذي فيه أخيه وأزال بكارتها واتصل بها ثم تأخر عنها وصاح برفقائه الاربعين فأتوا اليه فقال لهم قد حللت لكم هذه البتنية فبادروا اليها فانى قد أبحتها لكم فعند ذلك اجتمع بها الاربعين وعادوا عنها راجعين وطاف بها اصفوط آخرهم وترك البنت وأخذ الاربعين وساروا الى البرارى قاصدين فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من البطرك كرسمبول فانه استيقظ من نومه فرأى الباب مغلوقا عليه فصاح على البنت ففتحت له الباب وأعلمته بما جرى عليها من المصاب وما فعل اصفوط الكذاب ورفقاؤه الكلاب فاغتم غما شديدا ماعليه من مزيد ثم انه قال في نفسه ان هذا اللعين قد علم بهذه البنت وربما يعود اليها ثانيا وان منعته عن ذلك قتلني ومالي الا أرسلها الى أبيها ثم كتب كتاب وأرسل البنت صحبة عشرة رهبان وأعطاهم الجواب فساروا من ساعتهم طالبين البرارى والشعاب حتى أتوا الى عبد الصليب وقبلوا الارض بين يديه وأعطوه الكتاب فأخذه وقراه وعلم مافيه من معناه وقد كان فيه خطابا من البطرك كرسمبول الى بين أيادى عبد الصليب اعلم اننا أقمنا نعلم البنت هذه المدة حتى تعلمت وتمت تعليم وفهمت الانجيل والتحريم والتحليل وكان مرادنا اقامتها عندنا بالدير غير انه حضر اصفوط اللعين الممقوت وفعل كذا وكذا وأعاد عليه القصة من أول الامر الى آخره وكشف له عن باطنه وظاهره وقد راجعته عن ذلك جهدى فما ارتجع وعن ابنتك ماامتنع فأرسلتها اليك خوفا عليها منه ولولا أن المسيح حماني منه لكان قتلني فالحمد للمسيح على سلامتي وسلامة ابنتك وانها

وصلت الى عنـدك بالحياة فاحضر لها بطرك من عندك يسمع لهـا خوفا ان اللعين يأتى اليها ويقتلها ويحرمك طلعتها شكر يامسيح والسلام قال فلما قرأ الكتاب وفهم مافيه من الخطاب صعب ذلك عليه وكبر لديه والتفت الى وزرائه وقال لهم انى أريد أن أركب وأدور على هـذا الملعون وأقتله أشر قتلة وأقبح به أقبح مثله فقال له وزير ميمنته اعلم أيها السيد السعيد والاواء الرشـيد ان هذا الامر قريب غير بعيـد وأنا أدبرك تدبير تقتل به هذا الخنزير فقال له وكيف ذلك ياوزير الزمان ومشـير أهل العرفان فقال له احضر خزنة مال وهـدية سنية وارسـل ذلك مع أربع أنفـار راكبين على الخيول العربيـة وأمرهم انهم يدورون على خصمك فاذا رأوه يقبـلوا يديه ويثنوا عليـه ويقولون له قد وصل جميلك وما يضيع ذلك الجميل عند كل حر نبيل ونحن شكرنا المسيح الذى قدر بهذا الفعل المليح وجعل فتح الكشتوان على يد أكبر الرهبان وقد وصل الخبر الى أبيها ففرح بذلك غاية الفرح وأرسل لك هـذه الهدية على قدر مقامـه ليس على قدر مقامك مكافأة لاحسانك ثم يدفعوا اليه خزنة المال والجواهر والهدية وانظر ماذا يجرى فقال له الملك وكيف يكون من ذلك اذا أخذهم وعاد الى حال سـبيله فلم يفدنا من ذلك الا فقـد الاموال فقال له اعلم انى أقول ان صح هذا التدبير لابد ان فيه هلاكه وسوء ارتباكه فلا تخالفنى في ذلك وانظر عاقبة تلك المهالك فما هى الا هدية في الظاهر ومكيدة في الضمائر فقال له عبد الصليب السمع والطاعة ثم انه فعل ماأمر به الوزير من تلك الساعة وأرسل مع ماله بطريق كل واحد منهم يمزق الحديد تمزيق وقد كتب له كتاب يشكره على فعاله وأرسل البطارقة يدورون عليه وقال لهم اذا رأيتموه سلموا الكتاب والخزنة والهدية اليه وانظروا

ماذا يجرى فأجابوه بالسمع والطاعة وساروا في قضاء حاجة الملك من تلك الساعة فهذا ما كان منهم وأما ما كان من أمر عبد الصليب فانه أنعم على العشرة الرهبان وردهم الى البطرك كرسميول وجعل يشكره على مافعل من ارسال ابنته فساروا راجعين والى دير المامور قاصدين وقد أتوا الى البطرك وأعلموه بما جرى فهذا ما كان من أمر هؤلاء

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر البطارقة فانهم مازالوا سائرين والى البرارى قاصدين وهم يدورون على اصفوط اللعين الممقوت شهرا تاما فلما كان اليوم الحادى والثلاثون بينما هم سائرين واذ قد لاح لهم غبار ذلك الملعون الكهين المفتون فلما وقعت العين على العين ترجلوا له من على مراكبهم وجعلوا يقبلون يديه ورجليه وقد تعجبت الاربعون الذين حواليه ولم يعلم هو ماالسبب في ذلك ثم انهم أخرجوا اليه الكتاب فلما قراه ضحك ضحكا عاليا واستبشر وقال لرفقائه رأيتم مافعل سيدكم من الفعال وكيف شكروه الملوك العوال فقالوا له ماالسبب في ذلك فأعاد عليهم القصة وقرأ عليهم الكتاب وقد زالت عنه الغصة وكان الكتاب في أوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وأنتم نوحد الملك القريب المجيب خطابا من الملك عبد الصليب الحمد للمسيح الذى أنت فعلت هذا الفعل المليح وفتحت لنا التنور فجزاك المسيح كل الخيور وقد أرسلت اليك هذه الهدية والخزنة بالكلية فلما قرأ اللعين ذلك الكتاب أعجبه غاية العجب وأخذ الهدية وقال سلموا لى عليه كثير ثم قبلوا يديه فرجعوا الى ورائهم وجعلوا ينتظرون ما يكون من أمرهم ياساده وقد أخذ اللعين خزنة المال والهدية فقالوا له رفقاءه نحن كنا معك ولنا في ذلك شركة فاعطنا قسمنا فقال لهم انظروا الى هذا الكتاب فانه لى من دونكم وأنا ماأعطى لكم منها شيئا فقالوا له نحن

نأخذ المـال وأنت الهدية أو أنت تأخذ المال ونحن الهدية فقال لهم هذا لايكون أبداً ثم وقعت المشاجرة بينهم وزادوا في الكلام مع بعضهم وزاد الامر وقوى الضر واشتعلت النار وزاد العيار وقد أيسوا منه الاربعين وانه احتوى على المـال دون الجميع فلما أيسوا منه هجموا عليه الاربعين بالسلاح وقد زادوا افتضاح وطعنوه بالسيوف حتى أخرجوه كالقطن المندوف وقد قطعوه أربعين قطعة وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم قالوا لبعضهم نقسم المال سوى فقالوا لبعضهم نأخذ نصف المال ونعطى الراهب كرسميول النصف الاخير فامتنعوا من ذلك فقالوا ان كرسميول ما كان معنا ولا رافقنا وها نحن الذين طيبناه بقوة عزمنا وساعدنا فقال بعضهم لايكون ذلك أبدا ولو سقينا كؤس الردى ثم وقع العند معهم فتضاربوا بالسيوف وقد أسقوا بعضهم كاسات الحتوف ولم تكن الاساعة حتى خسرت تلك البضاعة وما بقى من الاربعين غير خمسة أنفار متجرحين فعند ذلك ردوا عليهم البطارقة فأهلكوهم عن آخرهم في أقل من ساعة واحدة ثم انهم أخذوا المال والهدية وساروا راجعين والى بلادهم قاصدين ولم يزالوا على ذلك حتى وصلوا الى ملكهم عبد الصليب فسلموا عليه وأعلموه بما جرى وما كان من أمر ذلك الكلب الخوان ومن معه من أهل النقصان فلما سمع الملك ذلك فرح وانشرح واتسع صدره وفرح وشكر الوزير على ذلك وأنعم عليه بغاية الانعام وقال له لاشك انك وزير خبير فطين فصيح اللسان ثم أعطاه الخزنة والهدية والجوهر فأخذهم الوزير وفرح بذلك وشكر الملك على أفعاله وما أنعم عليه من أفضاله فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من أمر بنت الملك عبد الصليب فانها كانت حملت على افلاحها لما أراد الله ربنا وربها فكبرت بطنها وظهر عليها الحمل

وظهر حملها حتى وفت أيامها فوضعت غلام ذكر عبرة لكل البشر أبطش المنخر وليلة وضعه انكسف القمر وأظلمت الدنيا ولمع البرق ونزل المطر وزادت الرعود واشتدت الظلمة وكانت ليله غمه وكانت ليلة أربع وعشرون آخر شهر صفر فهو نحس النحوس كما قال البونى وذكر وقد خرج رفيع العنق كبير الرأس شنيع المنظر ومن جملة قباحته ان أمه بعد ان وضعته انقلبت الى شقها فماتت وتركته فلما عاين ذلك عبد الصليب بكا على ابنته بكاء شديد ماعليه من مزيد ولبس ملابس الحزن وذم الولد وقال هذا مشؤم الناصية ولكن نحن مأمورون على الاطفال من المسيح بالوصية ولولا ذلك كنت ذبحته وارتاح قلبي منه ثم أمر له بمرضعة فأتوا اليه فما مسك ثديها فأتوا اليه بغيرها فكانت كمثلها ولم يقبل المراضع فأتى اليه بالغزالات والمعيز والبقر فأبى ذلك ومنهم نفر فلما عاين ذلك الوزير قال للملك ياملك الزمان اعلم ان هذا الولد منحوس وانه مؤذى وطالعه منكوس ألا تنظر ليلة مولده كيف ظهرت فيها العجايب وتصارخت فيها الشياطين من كل جانب وقالوا هذا ولد ابليس وخليفة أهل التنكيس أما رأيت القمر وقد انخسف والشمس وقد تغيرت بالكسف فان طاوعتنى نزيله الى الدير الذى خارج البلد فيه كلبة جريثة ناحلة الشعر وهى ترضع أولادها فاجعله معهم فان عاش فبرزقه وان مات فبأجله فقال له هذا هو الصواب ولم أخالف لك مقال ولا خطاب ثم انه أمر بحمله الى الدير فحملوه الرجال وأوصلوه الى هذا المكان ووضعوه في دهليز الدير مع أولاد الكلبة فمسك ثديها وشرب منها وقد حننها الله عليه فصارت ترضعه ولا تصبر عنه درجة واحدة وذلك بأمر رب القدرة والمشاهدة فلما علم عبد الصليب بذلك تعجب في أمر ذلك المولود وكيف انه ترك المراضع ورضى بهذه الكلبة

وكيف رضيت برضاعته ثم انه جعل يفتقدها ويرسل لها المآكل والمشارب الى ان كبر الولد وانتشى ودب على الارض ومشى فطلع آفة رفطا وبلية مسلطة ومؤذى لايطاق كريه الملقى كثير النفاق لايرى شخصا الا ويضربه ولا يجلس مع قوم الا ويفسدهم ويلقى بينهم الفتن وقد زاد ظلمه على العباد وعم جوره على البلاد وقد شاع أمره بذلك فشكت منه النصارى وقالوا هذا غلام ردىء الاصل دنىء الفصل لايعرف حقيقه ولاهو بين طريقه ثم تزايد أذاه وكثر على الناس بلاه فشكوا ذلك الى عبد الصليب فنهاه وعن ظلمه وجوره أنهاه فلاينته عن أفعاله ولا رجع عن أحواله فشكوا الى عبدالصليب ثانيا وثالثا فلما أعياه الامر وتزايد عليه الشكو والضر أرسله الى عمه كرسمبول في الدير وقال في نفسه اذا وجد عند عمه لابد ان المسيح يهديه على يده ثم انه أرسله مع عشرة من البطارقة فساروا به الى دير العامود فلما وصلوا به الى هناك قبلوا يد الراهب وقالوا له خذ هذا ابن أخيك وهذا كتاب من عند عبد الصليب الى بين أيادى كرسمبول الواصل لك ابن أخيك وقد سميته عبد الصليب وقد جرى من الامر ماهو كذا وكذا وأعاد عليه جميع ماجرى في الكتاب وعرفه بما جرى لاخيه اصطفوط والاربعين والقصة من أولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها وكيف ان أمه ماتت عند ولادته وكيف أعرض عليه المراضع فأبى وما شرب الا من لبن الكلاب فلما سمع بذلك فرح في أخيه وقال الى لعنة المسيح فلعنة الله على هذا الولد القبيح ثم انه أخذ الغلام وجعل يعلمه الاحكام مدة من الايام حتى قرأ الانجيل وعلم التحريم والتحليل وقد اتفق مع أربعين من أولاد الملوك الكبار الذين يقرؤن عند كرسمبول وكان أكثر اتفاقه مع ولد يقال له سيف الروم وكان يسرح ويروح معه واذا دبر

شيئاً يكون باطلاعه وكان هذا عبد الصليب صاحب مكر وخداع وحيل ودفاع ولم يزالوا على ذلك حتى قرؤا غوامض العلوم النصرانية ودروا كل الامور الخفية فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من أهل الدير فانهم طلعوا في عيد لهم الى جهة البحر وركبوا المراكب وكانت هذه عوائدهم في كل عام يطلعون الى البحار ويأخذون ماجاء اليهم من المسافرين فبينما هم كذلك واذا قد أقبل عليهم مركب حجاج طالبين الحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه السلام فداروا بها أهل دير المامود وفرصنوا عليها وقد استأسروا كل من كان فيها من الاسلام فأخذوهم أسارى وقادوهم حيارى وكانت لهم بذلك عادات يأخذون الاسلام ويخدموهم في الدبور مع الرهبان فكان من جملة ماأخذوه رجل عراقى من أهل العراق صاحب فضل واشراق يقال له الشيخ صلاح الدين العراقى وكان من أهل كتاب الله تعالى كما أنزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ويقرأ علوم كثيرة ويروى أحاديث ويفسر المعانى ويفهم في علم الأدب والآداب والعروض والمنطق والصرف والفلاك والتلخيص والبروج والمنازل والهندسة والحكمة وقد فتح الله في قلبه عين الرحمة فكان على ديانة عظيمة هذا وقد أخذوا جميع مافي هذا الغليون فأخذوا الشباب وخصصوهم لقطع الاحطاب والاخشاب والنساء منهم مراضع ودادات للاطفال والصبيان يجعلونهم لقضاء حوائج الديورة والكهول يرعونهم الخنازير (ياساده) وقد نظروا الى ذلك الشيخ المهاب وهو بهذه الشيبة العظيمة أوقع الله هيبته في قلوبهم وقد حماه من أذاهم وفعالهم فقالوا له أنت رجل كبير وما لك عندنا منفعة في رعى الخنازير ولكن خذوه والى السجن أوصلوه فقيدوه

بالسلاسل والاغلال وأدخلوه في سجن ضيق ظلام وكانت هذه من الطاف الملك العلام والا كانوا قتلوه أو الى البحر رموه فلما جلس فى السجن حمد الله تعالى على ماأعطاه ورضى بالقضاء والقدر ولا تألم ولا تكلم في هذا الامر المقدر فلما جن عليه الليل ورأى نفسه فريدا ولا مؤانس ولا رفيق جعل القرآن رفيقه وسلك في العلم طريقه ثم انه جعل يترنم بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

لك الحمد ياذا المجد والجود والعلى * تباركت تعطى من تشاء وتمنع
إلهى لئن جلت وجمت خطيئتى * فعفوك في ذنبي أجل وأوسع
الهى أجرنى من عذابك انى * أسير ذليل خائف لك أخضع
الهى آنسنى بتلقين حجتى * اذا كان لى فى القبر مثوى ومضجع
الهى لئن عذبتنى ألف حجة * فحبل رجائى منك لا ينقطع
الهى أذقنى طعم عفوك يوم لا * بنون ولا مال هنالك ينفع
الهى اذا لم تعف عن غير محسن * فمن لمسيء بالهوى يتمتع
الهى وخلاقى وحرزى وموئلى * اليك لدي الاعسار واليسر أفزع
الهى لان أعطيت نفسى وسؤلها * فها أنا في روض الندامة أرتع
الهى ترى حالى وفقرى وفاقتى * وأنت مناجاة الخفية تسمع
الهى فلا تقطع رجائى ولا تزغ * فؤادى فلى في حبل جودك مطمع
الهى لان خيبتنى وطردتنى * فمن ذا الذى أرجو ومن ذا يشفع
الهى يحى طول ذكرك لوعتى * وذكر الخطايا العين منى تدمع
الهى أقل لى عثرتى وامح حوبتى * فانى مقر خائف متضرع
الهى لان أقصيتنى وأهنتنى * فما حيلتى يارب أم كيف أصنع
الهى حليف الحب بالليل ساهر * ينادى ويدعو والمغفل يهجع

الهى تمنينى رجائى سلامة * وقبح خطاياتى على يشنع
الهى اذا لم ترعنى كنت ضائعا * وان كنت ترعانى فليس أضيع
الهى ان أخطأت جهلا فربما * رجوتك حتى قيل ماهو يجزع
الهى لان فرطت في طلب التقا * فها أنا اثر العفو أقفو وأتبع
الهى أنلنى منك روحا ورحمة * فلست سوا أبواب فضلك أقرع
وكلنا نرجو نوالك راجيا * لرحمتك العظمى وفي الخلد نطمع
الهى فان تعفو فعفوك منقذى * والا فبالذنب المدمر أجرع
الهى بحق الهاشمى وآله * وبحرمة أبرار هما لك خضع
الهى توفنى على دين أحمد * منيبا تقيا قانتا لك أخضع
ولا تحرمنى ياالهى وسيدى * شفاعته العظمى فذاك المشفع
الهى رضيت بما قد قدرته * بغير اعتراض عليك فيما أصنع
الهى رضيت بالقضا فكن راضيا * عنى وشفع فينا حبيبا مشفع
وصل وسلم عليه مادعاك موحد * وناجاك أخيار أنبيائك ركع
ماهب ريح من الجنوب وما * طلعت شمس على أعلا مطالع
كذا الآل والاصحاب أهل جميعهم * والتابعين ومن للتابعين توابع

(قال الراوى) ثم ان الاستاذ جعل يقرأ القرآن ويبكى خوفا من الرحمن ويناجى مولاه بهذه الاستغاثات ويروى الاحاديث وهو مقيم فى السجن وكانت هذه صناعته في مدة اقامته هذا وقد تداولت الايام فليلة من ذات الليالى بينما هو كذلك اذ مر اللعين عبد الصليب على باب السجن ووقف واذا قد سمع الاستاذ على مثل ماذكرناه من قراءة القرآن والصلاة على سيد ولد عدنان فألقى أذنيه وتأمل من كلام الشيخ فأعجبه فرجع الى

رفقائه وقال لهم ان هذا الرجل الذى في السجن مقيم هو راهب من رهبان المسلمين فقالوا تقرب الى المسيح بقتله فقال لهم ما هـذا صواب والرأى عندى اننا ننزل اليه ونقبل يديه ورجليه ونصنع الاحتيال عليه ونسلم على يده اسلام باطل ونخليه يعلمنا كلام المسلمين لنكون بجميع العلوم عارفين فقالوا له افعل ما بدالك طيب المسيح أحوالك فعند ذلك أخذهم وسار الى نحو السجن وفتح الباب ونزل بينما الشيخ جالس واذا بالامين عبد الصليب مقبل عليه وجعل يقبل يديه ورجليه وكذلك من كان حواليه فقال له الاستاذ من أنت فقال له يا مولاى أنا من هذا المكان وقد سمعت منك هذا البيان فأعجبنى هذا البرهان وانى أريد منك أن تعلمنى اياه فقال ياولدى هذا كلام الله ولا يتعلمونه الا المسلمون فان شئت فاسلم وأمرك الى الله تعالى سلم واعلم ان الكفار ليس لهم أديان ولا لهم ملة ولا ايمان وما دين الا دين الاسلام فقال له الامين ما أحسن كلامك وما أقوى برهانك ولكن ماذا أفعل حتى أكون مثلك وأصير من حزبك فقال له تقول قولا حقا عدلا مخلصا صدقا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله حقا وصدقا فأسلم الامين اسلاما باطلا وقبل يدى الاستاذ ظاهرا وباطنا وقد فك منه الاغلال وفرش له فراشات غوال وقد جعل يعلمه القرآن والاحاديث وقد أقام معه في مخدع أعلا الدير وهو يكرمه ويقبل يديه ويخدمه ويقرب له أعز المآكل والمشارب ويطعمه وقد رافقه سيف الروم وما زالوا كذلك أربع سنوات وكان الامين ذو فهم وثبات فصار الشيخ يعلم عبد الصليب وسيف الروم وباقى الاربعين وظن الاستاذ ان اسلامهم صحيح وكانوا الذين يتعلمونه الاربعين في شهر من الزمان يتعلمه عبد الصليب في يوم واحـد من الايام ولم ينس شيئا مما يلقيه اليـه وما زال بهم حـتى

صاروا أهـل معرفة وفطانة وصار هـذا عبد الصليب لبيب ماهر يتكلم بالقرآن ويعلم التأويل والبيان ويروى الحديث ويعرف أصله وشرحه ويدرى العربية والنحو وغير ذلك حتى صار مثل الشيخ صلاح الدين العراقى سواء بسواء فقال له يامولاى جزاك الله كل الخير وكفيت كل هم وضير ثم ان عبد الصليب اتفق مع سيف الروم دون الاربعين وقال له ياسـيف الروم انى تعلمت جميع مامعه من العلوم وأريد أن أجازيه على فعاله وأعمل معه مثل أعمـاله فقال له سيف الروم تطلق سبيله وتدفع له مالا يوصله الى مايريد أو تقويه وتعينه بالزاد والراحلة الى الحجاز الذى كان قاصـدا اليه وتعطيه دابة سريعة ورفيق وتدله على أوفي طريق فقال له مرادى أفعل معه أعظم من ذلك فقال وما هو قال له أذبحـه وأعدمه الحياة وأرتاح منه وأجعله مقيما هنا حتى يقابل مولاه فقال له ولأى شئ ذلك مع انه فعـل معك كل جميل وتعلمت منه جميع الاقاويل فقال له أنا الذى لاأرى جميل ولا أعرف تفضيل ولا لى عزيز ولا ذليل ثم ان اللعين وضع البنج في الطعام وقد مده اليه وصبر حتى أكل وتبنج ومكث البنج منه فنهض الملعون وعراه من ثيابه وأخذ مامعه من ملابسه وحجابه وذبحه من الوريد الى الوريد فرحمه الله وجعله في الدنيا سعيد وفي الآخرة ان شاء الله شهيد ثم ان اللعين عبد الصليب أخـذ المحفظة والمقلة والخواتم واحتفظ بهم وجعلهم في مكان لاتهتدى اليه الشـياطين وقال ادفنه ياسيف الروم لئلا يعلم بذلك البطرك كرسميول فاذا علم بذلك أسقانا شراب المهالك لانه أراه يتكلم بالغيب وما أدرى كيف ذلك قال فدفنـه سيف الروم فى جانب الدير وقال اذا سألنا البطرك نذكر له انه هرب فقال ياعبد الصليب ان البطرك يعرف المعانى ويدرك كل أمر ربانى فقال له وكيف ذلك يا سيف الروم فقال له سوف

أدلك على ذلك وأسلك بك المسالك ولكن حتى تنقطع الصحبة بين هذه الاربعين وبينك فامتنع اللعين عن ذلك الاربعين وقطع محبته معهم وجعل لكل انسان منهم شغلا يقيم به حتى لايبقى يسأل عن الآخر قال وكان البطرك كرسبول يتكلم بهذا الكلام كانه كشف أو برهان ويعلمهم بما جرى لهم في زمنهم الماضى وما يحصل لهم في المستقبل ويطلع على الدنوس ويدل لهم ما يتحصل من خير أو بؤس هذا وقد تعجب عبد الصليب وذكر ذلك الى سيف الروم فقال له عنده كتاب يقال له كتاب اليونان وتأليف الحكماء الكهان وله تصلية عجيبة وسيرة غريبة سوف نذكرها في محلها ونبين أصلها وسببها وأنا ياعبد الصليب سوف أطلعك على هذا الكتاب وتأصيله تذكر مع تأصيلة شعبان الفزى وباقى الكلام في أرض جنوى ليكون وضع كل شيء في محله بعون الله وفضله

(قال الراوى) ولما جرى من الامر ماجرى واستشهد الشيخ صلاح الدين العراقى وأخذ بدلته ومحفظته ومقلته واتفق مع سيف الروم على انه يطلعه على كتاب اليونان فبينما هم كذلك اذ أقبل عليهم البطرك كرسبول وقال لهم أين اليسير الذى تعلمتم منه كلام المسلمين فقالوا له انه هرب ونجا فقال قد علمت بانكم قتلتوه والى جانب هذا الدير دفنتوه وأخذتم مامعه من المصالح ولكن أخرجوا عنى وان أقمتم بهذا الدير قتلتكم انتم الاثنين فعند ذلك خرج عبد الصليب وسيف الروم وأخذ مصالح الشيخ صاحب العلوم ولبس ملابسه وهيأ سيف الروم في صفة طالب وسماه منصور وساروا مع بعضهم الاثنين يطلبون لهم أرضا ينزلون بها أو قرية يقيمون فيها فبينما هم سائرين وفي سيرهم مجدين واذا قد بلغهم الخبر بان ملك الموصل راكب على حلب وانه طالب أرض مصر يريد أن يملكها وقد اعتراه المرض

الشديد الذى ما عليه من مزيد فقال له يامنصور سر بنا الى ذلك الملك حتى ننظر كيف اصنع وما زالوا الى ان وصلوا الى أرض حلب ودخل الامين على ايبك كما ذكرنا وداواه كما وصفنا وقد اعتقد فيه ايبك وجعله امامه وعظمه وسار يقبل يديه وأقدامه فهذا كان أصل محبته والسبب الى هذه البلد واصل المعرفة بايبك وصحبته واعتقاده فيه وانه لايعرف حقيقته لانه قد احتوى على قلبه بزخاريف الكلام وقال له سوف يكون لك ذكرا عظيما مادمت أنا معك لانى رجل من عباد الله الصالحين وأنا من بلاد العراق أهل المحاسن والاخلاق وجدى يقال له الشيخ صلاح الدين العراقى فصدقه ايبك في مقاله ولما أراد الرحيل من على حلب طلب الشيخ يسير معه فقال له سر أنت الى أرض مصر وأنا أكون لاحقا بك بعد أن أزور سكان الشام من الانبياء والرسل العظام وبعد ذلك أتوجه الى مصر ولا بد من الاجتماع من غير امتناع فقال له نسألك الدعاء في جميع الاماكن الطاهرات وعند أهل السادات فقال له ان شاء الله يكون كل الخير ثم تودع منه وسار ايبك طالب أرض مصر ولم يجد أحدا يمنعه عن ذلك أبدا فهذا ما كان من أمر هؤلاء.

قال الراوى وأما ما كان من ايبك فانه سار من حلب الى غزة ومن غزة الى قطية ومعه جيوشه وعساكره وقد ضلوا بأمر الله عن الطريق وعدموا السعادة والتوفيق ولم يزالوا سايرين وفي سيرهم مجدين مدة أربعين يوما وهم لايرون بلادا ولا ينظرون أحدا من العباد والخلا اتسع عليهم وقل منهم زادهم وما معهم فضاقت العساكر عليهم من ذلك وقد أشرفوا على شرب كاسات المهالك وحاروا في أمورهم وضلوا في سبيلهم وكانت ذلك من كرامات الاستاذ الملك الصالح نجم الدين أيوب ثم انهم صبروا على

ذلك الاهوال مدة عشرين يوما طوال فضعف منهم القوى وشكوا ذلك الى ايبك فوجدوه ضيق الصدر لايدرى كيف يصنع ولا له معين على ماقد نزل به من العذاب المهين فقالوا له انظر لنفسك ودبر هذا الامر بعقلك واختار لك خيرة ترضاها وذلك اما أن ترجع بنا الى أرضنا وبلادنا ونعود من هاهنا واما أن تدلنا على الطريق واما نقتلك ونرح أنفسنا منك قبل مانفقد أرواحنا والسلام أما تعتبر مما حل بك من المرض الشديد ألم تنظر كيف تهنا وضللنا في ذلك الصعيد واننا نقول ان هذا الملك على قدم الرسول فلولا ذلك ما كان حاكما على مصر مع فقره وقلة جنده فقال لهم ياقوم الآن قد علمت ان هذا الرجل من أولياء الله الصالحين ومن المتوكلين على رب العالمين وانى من يوم ماعزمت انى أغزيه وأنا مريض بالمرض الشديد وقد صحت عندى هذه الكرامات الظاهرة كيف انى مرضت في حلب وكيف أمرهم بفتح الابواب ولم يبالى بدخولى عليها وكيف ضللنا وكيف ضاعت مصالحنا وكيف غدرتم دون غيركم مع انكم أنتم رجالى وبكم أشدد أوصالى وانى أقول لولا دعاء هذا الرجل الصالح والا كنت هلكت من بركات ملك مصر ولكن نذرا لله تعالى على ان أخذ ربنا بيدى واستدللنا على الطريق ودخلنا مصر لابد أن أطلع عليه وأقبل يديه ورجليه وان أراد المال حملته اليه وان أراد الخدمة خدمته وان أراد قتلى سلمت له نفسى ومالى حاجة بمخالفة رجال الله الصالحين (ياساده) وقد صفا قلب ايبك وترك ما كان عازم عليه وغير نيته التى قد أتى عليها هذا وقد ساروا باقى ليلتهم فلما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس من الروابى والبطاح وقد سلمت على أزكى النبيين الملاح تأمل ايبك ومن معه ذلك أثبتوا كرامات الملك الصالح وعلموا ان جميع ما كان فيه من

كرامات الملك وقد ثبت في ذهن ايبك ذلك وصفا قلبه ثم انه نصب الخيام وأمر بالنزول فنزلوا لاجل الراحة وقد فرحوا بسلامة أنفسهم وأقاموا هناك ثلاثة أيام ولما كان في اليوم الرابع تجهز ايبك التركماني ابن ملك الموصل ولبس أفخر الملابس وركب برجاله وما عنده من سادات أبطاله وطلب الدخول الى مصر فهذا ما كان من أمره

قال الراوى وأما ما كان من الملك الصالح أيوب ولى الله المجذوب فانه بات وأصبح يصلى على نبي له الورد فتح صلى صلاة الافتتاح وقد أسلم أمره للكريم الفتاح وقرأ ورده وتوسل بجده واذا بالاغا جوهر الصالحين أتى اليه وتمنى وأعلمه بان الديوان قد تكامل قال الملك وعلى الله الكمال ثم نهض وهو يتوكأ على قضيب خيزران وصلى على سيد ولد عدنان حتى أقبل الى الديوان فنهضت كملاء الرجال حياء من السلطان أبدأهم بالسنة ردوا عليه بالفريضة الشرعية فبسط أياديه قرأ الفاتحة أم الكتاب أهدى ثوابها الى ضامن جملة العاجزين وسيد الاولين والآخرين ثم الى روح المتقدمين والمتأخرين وجلس الملك على كرسى قلعة الجبل منلك يوحد القديم الازل أمنت العسكر وانطلق البخور العود والجاوى والعنبر وقرأ المقرئ وختم رقا المرقى وختم دعا الداعى وختم صاح جاويش الديوان يقول صلوا على طه الرسول

الملك لله دون الورى * هو الدائم الباقي بغير زوال
هو الذى لا يدوم غيره * وكل ما تراه فهو خيال
فهو الباقي بغير فنا * وقد ضربت بذلك أمثال
كل ما في الدنيا سيفنى * ويبقى وجه ربك ذو الجلال

قال الملك آمنا من أين كنا حتى اتصلنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من المهالك سبحان من عنده كل مليك كمملوك وكل غنى كصعلوك

ثم ان الملك جعل يدندن ويقول يا حج شاهين قال له نعم قال له الرجل اجتمع على الرجل ولكن الرجل قلبه خالص ولا يعلم بحال الرجل الا الملك العادل ولكن الرجل معذور لان الظاهر للناس والخافي لله فلما سمع الاغا شاهين منه ذلك وقد تعجب منه قال له اى رجل ياأمير المؤمنين قال له أنا رجل عبيط وأنت ربنا خلقك فطين لبيب وقد جعل لك عقل وأذنين فسيب بالاولى واستمع بالاخرى الرجل الذى يجيب لى الخوص كام مرة وأنا أقول له هات لى من النخلة المدلة يجيبه من النخلة المعوجة ياحج شاهين ثم صاح الملك ياحق يا علام الغيوب ياساتر العيوب ياحق أنت الحق أظهر الحق واعلى كلمته واخفض الباطل وقل نعمته

قال الراوى بينما الملك الصالح يدندن ويتكلم بمثل ذلك ولم يجد أحداً يعرف معنى قوله واذا بباب الديوان انسد والستائر احتجبت والحجب ارتفعت وايبك يقبل الارض بين يديه النبى صلوا عليه وقد خدم وترجم وأحسن مابدا وتكلم ودعا بدوام العز والبقا وازالة البؤس والشقا ثم قال نعم ياأمير المؤمنين خصك الله بالنصر والتمكين قال له الملك أهلا وسهلا بالعز ايبك ملك الموصل من أراد أن يأخذ مصر ويملكها ويكون حاكما بها ويجعلها تحت حكمه أنت اسمك ايش فلما سمع ايبك ذلك الكلام قال له يامولانا السلطان أنا ايبك وقد أتيت من بلادى وقصدى حماك وكل ذلك فى طلب رضاك قال له الملك الصالح اخبرنى على ماقد جرى لك فى طريقك قال فحدثه ايبك بما جرى له من أول الامر الى آخره وكشف له عن باطنه وظاهره من مدة طلوعه من أرض الموصل الى مجيئه الى المدلية وكيف نظر وشاهد الكرامات وثبتت عنده هذه الموعظات رجع عن جميع ما كان عازم عليه ولما صفيت نيتى ياأمير المومنين رأيت الطريق

السالك بعد ان أشرفت أنا ورجالي على المهالك ثم بركت رجالي بالعدلية وأتيت اليك بالاكابر منهم بالكلية الى بين أيادى أمير المؤمنين أدام الله حكمه بطول السنين قال فلما سمع الملك منه ذلك الكلام قال له هل تريد الخدمة بديواني وتكون من بعض جلاسى وأقرانى قال له أخدمك بروحي وجسمى وأفديك بأبي وأمى فقال له البس أولئك وزير أعظم وصدرأفخم ودستورمكرم ثم ألبسه القفطان وأجلسه مرتبته بالديوان وأمر له بمنزل يقيم فيه برجاله وحواشيه فلما أقام ايبك وتمكن أرسل كتابا الى نايب الموصل يعلمه بما جرى وتقدم فهذا ما كان من تأصيلة الوزير ايبك فانظر ياأخي الى هذه الكرامات الظاهرة وكيف ان هـذا ملك ابن ملك وكيف طابت نفسه للخدمة وكيف بعد المملكة يلبس وزير والهداية من اللطيف الخبير فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من أمر الوزير ايبك فانه تداولت عليه الايام فبينما هو جالس في بيته واذا بالشيخ صلاح الدين العراقى داخل عليه النبى صلوا عليـه فلما وقعت العين على العين ونظروا الى بعضهم بعضا نهض له ايبك وتلقاه وسلم عليه وأكرم مثواه وأجلسه الى جانبه وجعل يحدثه ويلاعبه وهو يزخرف له الضلال ويحدث له الكذب والمقال ثم ان ايبك قال له يامولاى اعلمنى ماالذى جرى لك بعدان فارقتك فقال له ياولدى طلعت بيت المقدس وزرت نبى الله موسى وابراهيم وباقى الانبياء وقرأت لك الفواتح والقراءة العظيمة وسألت الله تعالى أن يعطيك المناصب الجسيمة وبعد ذلك أقبلت اليك لانى ماوجدت لى عليك اصطبار آناء الليل وأطراف النهار فقال له مرحبا بك يامولاى عسى أن يكون دعاك لى مستجاب عند الملك التواب ثم انه أعاد عليه ايبك ماجرى له في طريقه من الابتـداء

الى الانتهاء وهوماورد وتقدم وسمعته آذانكم الرايقة ومعانى عقولكم الفايقة والاعادة ليس فيها افادة الا في الذكر والتوحيد

قال الراوى فلما سمع الشيخ صلاح الدين كلامه وما قاله من مرامه فرح بخدمته في الديوان وجعل يحدثه بشأن القضايا وقد جلس فى بيته وجعل يصلى ويصوم ويقرأ الاحاديث والعلوم وقد احتوى على قلبه كل ما كان وما يكون فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من أمر الملك الصالح فانه متى أصبح جلس على كرسى قلعة الجبل وهو يوحد القديم الازل فلما تكامل الديوان جلس العساكر والرجال قرأ المقرئ وختم دعا الداعى وختم رقى المرقى وختم صاح جاويش الديوان وهو يقول لاتحسبن الله يغفل ساعة الا ينفذ حكمه فاذا نفذ أعطى الذين تجبروا في ملكه حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذوا قال الملك آمنا ياحج شاهين الطيرجاء عند الطير واتفق مع الطير ودخل القفص ولكن ياحج شاهين الارادة لله ماشاء فعل وقد قال القائل في معنى ذلك

أمور لها القضاء ممشى * يعتبرها الجاهل يقول ذا افساد
وهى الطاف خفيات * والارادة للحق فيما أراد

فقال الاغا شاهين الطير يشد ياأمير المؤمنين فقال له أنا رجل عبيط فلا تأخذ على قولى فقال الاغا شاهين سبحانك لا اله الا أنت جل شأنك ولا اله غيرك ولا معبود سواك خلقتنى ورزقتنى وعلى عبادك الصالحين وليتنى الهى من أسيادى الذين انا معهم وخادمهم ولا أعرف لهم كلام ولا أفهم لهم مرام ياساده وقد راق الديوان وقد طلع ايبك وجلس في مكانه فقال الملك الصالح ياأغا شاهين سبحان مسبب الاسباب أين قاضى الديوان فقال له الوزير انه مريض من مدة ثلاثة أيام ولم يزالوا على مثل ذلك الشان الى

ان مضى قدر شهر من الزمان بينما الملك جالس واذا بالاخبار داخلة عليه تعيش رأس مولانا السلطان في قاضي الديوان السيد محمد نور الدين بن السيد يحيي نور الدين فلما سمع الملك بوفاة القاضي قال كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم أمر الاغا شاهين أن ينزل بالدولة ويمشي في مشهد القاضي فأجاب بالسمع والطاعة ونزل من تلك الساعة وسار الوزير مع المشهد الى ان دفنوه قريبا من السيدة نفيسة رضي الله عنها ثم بعد ان والوه التراب وقرؤا عليه شيأ من الكتاب عادوا بعد ذلك راجعين والى الملك قاصدين وقد أمر له الوزير ببيت يبنى له فبنوه وكتبوا عليه اسمه فهذا ما كان من هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من أمر الوزير الاغا شاهين فانه عاد بعد ان تهيأ الفراغ من ذلك قال الملك ياأغا شاهين انظرلنا رجل أهل صلاح وديانة ومعرفة وفطانة يستلم القضايا فقال الاغا شاهين ياساداتنا ياعلماء الاسلام هل عندكم من يصلح للاحكام والقضايا بالديوان فقالوا له ياوزير الزمان الخير موجود باذن الملك المعبود فعند ذلك نهض الوزير ايبك وقد وقف في محل الطلب وقبل الارض بين يدي السلطان فقال له ماتريد ياايبك فقال له ياأمير المؤمنين عندي رجل من أرض العراق وكثير العلوم وحسن الاخلاق يدرك العلوم وغوامضها ويعرف ظاهرها ومغمضها وهو رجل ذات صلاح وأهل ديانة ونجاح وقد رأيته يصوم النهار ويقيم الليل على ماطال وقد اجتمع عليّ وأنا في حلب وكنت مريضا فببركته عند الله شفاني ربي على يديه وقد جعلته امامي وهو مقيم بمنزلي فلما سمع الملك الصالح ذلك قال له ياايبك اصبر حتى أسأل الاغا شاهين في ذلك الامر المسكين ثم التفت الملك الى الاغا شاهين وقال له ماذا تقول في الشيخ صلاح الدين يكون قاضي بالديوان

ويحكم على الامراء وكامل الاخوان فقال الاغا شاهين وماذا أقول ياأمير المؤمنين في أهل الفضل الصالحين وأنا لم أكن الا خادمهم ومقبل أياديهم وعبد لصغيرهم وكبيرهم فقال الملك الصالح انزل ياايبك هات الرجل يتولى رتبة القضاة ولكن على شرط انى لم أصلى وراءه فقال له الاغا شاهين ولاى شئ ذلك يامولاى فقال له ياشاهين أنا رجل عبيط ولم أعرف حقيقة الصلاة وهذا رجل من أرض العراق منابع العلوم بالاتفاق واذا صليت وراءه أخاف أن يعايب على وعلى صلاتى على قدر معرفته وبلادتى فلا تغضب على في ذلك ياشاهين فقال له ياأمير المؤمنين شأنك وما تريد فقال له الله تعالى يأخذ بيدك ويسترك ويقبلك ولا يفضحك هذا وقد سار ايبك الى منزله وأقبل على الرجل وقبله وقال له سر معى الى الديوان فقد صدر لك الاذن من السلطان بانك تكون قاضى قضاة الديوان فانهض معى في هذه الساعة فما أحسن هذه البضاعة فقال له سمعا وطاعة ثم ان العالم لبس مقلته وبدلته وقفطانه وجبته ومسك سبحته ووضع في عبه محفظته ودواته وسار يترنم بقراءته وهو يقول هو الله الذى لااله الا هو الحى القيوم الملك العزيز الجبار المتكبر ولم يزل يذكر الله ويقرأ أسماء الله وآيات من القرآن الى ان أقبل الى باب الديوان فنزل عن البغلة وسلمها الى طالبه ودخل من باب الديوان فخدم وترجم وأحسن مابه تكلم ودعا بدوام العز والبقا وازالة البؤس والشقا وجعل يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

سلامى على أهل ذاك الحما * سلاما عميما طيبا دائما
يعم أميرالامراء وماحوى * من الاشراف كل معظما
أدام عزك ربى والبقا * مادامت أيامنا مترا كما
وأزال الله عدوك دائما * وحفظك ربى دواما دائما

وأطاع اليك كل الورى * وكل من تخلف من نسل آدما
أمير المؤمنين قد عمك الوفا * وقد حفت الكرسي ملائكة السما
واصطفاك رب العباد لخلقه * خليفة وفي كل الامور مقدما
مازالت أيامك بيضا ياسيدى * وأيام أخصامك سودا معتما
ورضى عنك ربى بالرضى * حيث كنت عدلا محرما
قد جئت أطلب منك الرضى * فاقبلنى لان أكون لك خادما

قال الراوى ولما فرغ الشيخ صلاح الدين من كلامه وما قاله من أشعاره ونظامه قال الملك الصالح السلام على أهل السلام أهلا بالعالم العراقى الذى هو من أهل العراق وجاء يسعى فى الاصلاح والتلاق ثم أجلسه على كرسى القضاة فقال ابيك اجلس ياقاضى واطلب النصر الى أمير المؤمنين فقال الملك اجلس ياقاضى وادعى لمن تسبب لك في ذلك المنصب فهو ابيك هو الذى جاء بك الى هـذا المكان ياشيخ صـلاح الدين أنت اسمك ماهو قال كما ذكرت وقد ثبتت عندى كرامات الصالحين كثيرة ياأمير المؤمنين انك من الاكراد الايوبية من خصهم الله بالولاية والرعاية العلية قال نعم ورحم الله جدك الذى قد سميت نفسك باسمه وهو الرجل الشـهيد الذى سار الى ربه سعيدا شهيد الذى قد جازيته أنت على التعليم وقد بلغنى عنـك ذلك فهل هـذا صحيح أم غير صحيح فقال القاضى وقد علم في نفســه ان أمره لايخفى عليه هو كما ذكرت ياأمير المؤمنين فقال له الملك اجلس على هـذا الكرسى واجعل جلوسك قدام ابيك ووجوه الاحبة ولا تجعل وجهك ناحيتى لانى كنت أخاف من القاضى الذى كان عندنا وكانت له هيبة عظيمة علىّ ولم أكن أقدر أن أذكر ذلك لاحد وأنت أكثر منه قراءة وعلوم وأنا لاأقدر أنظر بالقلب ولا بالعيون فتعجب الوزير من

ذلك الكلام الذى قاله السلطان ولا يعلم بحقيقة الامور الا اللطيف الخبير الغفور (ياساده) وقد جلس القاضى وحكم وأمر واستطال وظهر ومد وكسر ونهى وزجر وهو يحكم في الامراء والوزراء والوزير يأتم وقد تبرأ الملك من الصلاة معه ولا يكاد أن يتبعه فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من أمرالقاضى فانه صار يحكم في الديوان بين الامراء والاقران وغلامه الطالب منصور بين يديه الى ان ثبت رجليه ثم اشترى له مكانا بحارة الروم واستوطن فيه وبلغ مايروم ثم انه أرسل مكاتبات الى الملوك وجاب الاموال من الملوك الكبار وأطلعهم على مافي ضميره وما استدل عليه ونحن ان شاء الله قابلين نتكلم عليه في التأصيلة وجعل يدبر نفسه ويفعل بأمره ومقصده الى أن ينال مطلوبه فهذا ما كان منه

قال الراوى وهو الدينارى والدويدارى وناظر الجيش وكاتم السر والصاحب راوى هذه السيرة العجيبة انهم بعد ان ولت الايام على السلطان وتمكن الوزير ايبك والقاضى بالدين فيوم من الايام صبر الملك الى آخر النهار ونفض المنديل نحوات العساكر والرجال نزل الملك الى مكان جلوسه الى ان أمسا المساء وصلى العشاء الاخيرة وختم الصلاة وقرأ ورده وأكل شيئا من الدقة والقراقيش ووضع رأسه فنام وتوكل على العليم العلام الذى لايغفل ولا ينام فرأى في منامه ولذيذ أحلامه منام ووحى من الملك العلام وكان قد آن الاوان وكل شئ له أوان من الكريم الديان قال فلما استيقظ من نومه وقد أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على البرارى والبطاح وسلمت على زين الاعيان الملاح قرأ الملك شيئا من كلام الله الفتاح ثم دخلت الاغوات أعلموه ان الديوان قد تكامل قال الكمال لله ونزل الملك الديوان وهو يتوكأ على قضيب خيزران ويصلى على

سيد الثقلان والبخور قدامه مطلوق والعدو قد صار مخنوق فلما أقبل على التخت بسط يديه وقرأ الفواتح وأهدى ثوابهم الى ضامن جملة العاجزين والطالبين النبي * سلم على الاكراد ردوا عليه السلام جلسوا في أماكنهم راق الديوان قرأ القارئ وختم ودعا الداعي وختم ورقى الراقي وختم صاح جاويش الديوان وهو يقول

لاتدعي بالممالك أو تقول لي ملك

من حي سلطان ومالك راح وفات الملك

من يدعي الكبر هالك في بحار الهلاك

والبين سدد مسالك له وكانت سلك

قال الملك الملك أمسا سبحان مالك الممالك سبحان المنجي من المهالك قال ولما راق الديوان قال الملك ياساداتنا ياعلماء الاسلام رأيت في الليلة الماضية منام فهل يصح فيها منام قالت العلماء نعم ياأمير المؤمنين ان الليلة الماضية رؤياها صادقة لانها السابعة من الشهر العربي والقمر في زيادته وهو غير منحوس فما الذي رأيت ياأمير المؤمنين فقال رأيت كأني في بر أقفر متسع الجهات ولا له أول يعرف ولا آخر يوصف فبينما أنا كذلك اذ نظرت الى ذلك الوادي فرأيته قد امتلأ ضباعا من الجهات وقد نظرت بعيني انني في وسطهم فريد ولم يكن لي مساعد ولا رشيد الا الملك المجيد فقطعت العلائق من الخلائق ورفعت وجهي وطرفي الى الملك الخالق وطلبت منه النجاة مما أنا فيه ومن جملة ماتصور في ذهني وقلته في منامي هذه الابيات صلوا على سيد السادات

لقد آن الاوان لكل شئ * فاسمي لما رأيت في المنام

فقد أتاك الاذن من رب السماء * وقدفزت بالنظر من رب الأنام

فكن حافظا لما أريناكه * وكن واعيا ودع الملام

ودع التقصير فانا * نريد هدم جيش اللئام
قد جعلناك للاسلام سد * فامشى الى نصرة الاسلام
واترك التكاسل في كل أمر * وشد عزمك للزحام
واسأل الرب المجيد نصرا * واطلب العز من خير الأنام
واعدد الى الحرب جيشا * تبيد به الكفار يوم الصدام
واستمع واسعى لتحصيل جيش * تهدم به ركن الظلام
والصلاة والسلام على النبي * نبي الهدى وبدر التمام

قال الراوى ثم ان الملك الصالح قال للعلماء وانى قد اشتد بى الوجد وحصل بى غاية الكرب والكدر وأنا أطلب النجاة والفرج من الله فبينما أنا كذلك واذا بغبار قد ثار وعلا وسد الاقطار وانكشف بعد ساعة للنظار واذا بخمسة وسبعون سبعا قد أقبلوا من الهضاب وهم في أعظم همة وأشد استحباب ويقدمهم سبع أغم عالى القدر وسيع الصدر والمحجر له وجه مليح أشقر حلو الشمائل والمنظر بوجه كدائرة القمر كما قال فيه الشاعر المحرر حيث يقول صلوا على طه الرسول

قد جاء يبدر في مشيه * يخبر أغصان البان عند قدومه
ياله من صبيح وجهه * قد عم بالخير الاهل مع جيرانه
ياحسنه لما أتى مقبلا * باطيب عيناه ويامقلة عينه
قد أعطاه الله بهجة ووجنة * تزهو وتزهى على أغصانه
ياشعره لما أتى متبسما * ياطوله لما أتى ليم حماسه
ياعزمه مع حزمه مع قده * ياقدره وجمع الرجال سباعه
يهتز تيها ويعجب تارة * ويمسى ويصبح معجبا في نفسه
فياله من دون السباع لقد جرى * فضلا وسرف على أنداده

ماذاتقول الواصفون في مدحهم * ولقد عجزوا عن صفات صفاته

قال الراوى ثم ان الملك الصالح قال للعلماء وقد هجم ذلك الاسد وصار فيهم كالليث اذا احتد وتبعوه أصحابه والذين حواليه من أحبابه وما زالوا في حرب شديد وطعن أكيد الى ان افترسوا الضباع ولحقوهم في ذلك البقاع وقطعوا منهم النخاع وجعلوا الارض منهم خالية ولم يبقوا منهم بقية فمن شدة مااعترانى استيقظت من منامى ولذيذأحلامى وهذا ماصار وحق النبي المختار

قال الراوى فلما سمعت العلماء ذلك قالوا له ياأمير المؤمنين أما الضباع التى رأيتها فهذه أهل الكفر والضلالة والخداع والنفاق والملالة ولا بد انهم يتحركوا عليك ويطلبون أذاك ويخرجون لهم تلك السباع ويجعلونهم قتلا في البقاع وهؤلاء السباع هم أهل الاسلام والانتفاع يقطعون من الاعادى النخاع وينصر بهم الاسلام وتستقيم بهم كامل الاحكام ولكنهم الآن في علم الله الملك العلام وسيأتى مع هؤلاء سبع كبير وهو كبير القوم وهو الذى يبدد شمل أهل اللؤم فينبغى انك يامولانا تشترى لنا جلبة مماليك من مال السلطنة ويكونون لك خاصة من غير شريك ولا تكون في هذه الامور متهاون فان منامك يدل على ذلك ويكونون هؤلاء لنصرة الاسلام وقد أذن بذلك الملك العلام

قال الراوى فلما سمع الملك الصالح من العلماء ذلك الكلام النافع الناصح تبسم ضاحكا وقال يا شاهين المماليك يبقوا ايش قال له الوزير خلقا مثلنا وهم من أولاد آدم وبنات حواء قال الملك الله الله الله ياشاهين بنو آدم يباع ويشترى قال له نعم ياأمير المؤمنين والسبب في ذلك دعوة نوح عليه السلام حتى دعا على ولده وقد اسود وجهه لما ضحك عليه كما

كشف الهوى ذيله ولم يغطه بل ضحك عليه وغطاه ولده الآخر ثم عاد عليه القصة من أولها الى آخرها وسبب مبيع العبيد والجوارى والمماليك والقصة مشهورة وكل أمورها مفهومة ومذكورة في كتب غير هذا مسطورة

قال الراوى فلما سمع الملك الصالح ذلك قال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثبتنا الى الاولياء الكرامات والى الانبياء المعجزات ومن المعجزات اجابة الدعوات ولكن ياشاهين أنا لم أعرف اى مكان يباع فيه بنى آدم فأنت وكيلى وأنت الذى تشترى لى وقد وكلتك في ذلك نجاك الله من المهالك فانظر ياسيدى شاهين كم يقطعوا من الجدد وأنا أعطيك اياهم فقال يامولانا عنهم خمسة وسبعون ألف شريفى ذهب ممدودون ومفرودون ومنقدون فقال له الملك انظرهما بكام جديد لانى قليل الحساب فان كانوا بعشرة جدد أعطيك خمسة أخر فقال له سمعا وطاعة ياأمير المؤمنين ثم ان الملك نفض المنديل تحولت الرجال ونزل الوزير فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من أمر الوزير الاغا شاهين فانه نزل من الديوان الى مكانه وجلس وأحدقت به جلساءه وأقرانه ووقفت بين يديه أعوانه فقال شاهين لاحد أتباعه خذ هذا الخطاب وسر به الى شيخ الياسرجية وأمره يعمل بما فيه بالكلية فقال له تابعه السمع والطاعة وأخذ خطاب أبو زيد وسار من تلك الساعة وأعطى الكتاب الى شيخ الياسرجية ففضه وقراه عليهم وفهم ما فيه من معناه واذا فيه خطاب من الوزير الاغا شاهين الى بين أيادى شيخ الياسرجية الذى نعلمك به انك تجمع كامل من كان تحت يدك من الياسرجية وتجار الرقيق وتأتى بهم عندى ويكون سريعا والحذر ثم الحذر من المخالفة والسلام على نبى تظلله الغمام

قال الراوى فلما قرأ الكتاب أجاب بالسمع والطاعة ونهض على الاقدام

من تلك الساعة وأخذ طايفته ورفقته وسار طالب ديار الوزير من وقته وساعته فلما وصلوا الى بين يدي الوزير قبلوا الارض الكبير منهم والصغير وسلموا عليه فرد عليهم السلام وأجلسهم وأمر لهم بالاكرام فلما شربوا الشربات وراق المكان أقبل الوزير على الكبير فيهم وقال له ياوالدي مااسمك قال له اسمي يسار الياسرجي قال له ان الملك يطلب منك جلبة مماليك كتابية يكونون يليقوا الى السلطنة بالكلية وهم خمسة وسبعون مملوكا ويكونون من ثلاثة أجناس وكلهم أولاد ملوك ومن أطيب الناس لخمسة وعشرون سركسية وخمسة وعشرون أباظية وخمسة وعشرون جرجية وتأخذ الثمن كما تريد فماذا أنت قايل فقالوا له ياوزير الزمان هذا شيء لايكون أبدا ولم يتوفق مثل الذي تذكره على بال الانسان ولو قعدنا ندور عليهم ثمانين عاما في البراري والاكام فقال له الوزير ومايكون الرأى فى ذلك قال له ياوزير الزمان وفريد العصر والأوان اعلم اننا كلنا عاجزين عن ذلك الطلب ولم نقدر عليه لو تسببنا بكل سبب غير انى أدلك على من يقضى حاجتك ويبلغك أمنيتك وهو غلام ياسرجى عن أبوه وعن جده وهذه صناعته ورشده وهو رجل يقال له على بن الوراقة وانه رجل قد منّ الله عليه بالفهم والفطانة حتى اذا سمع حديث اى انسان يعرف هو من أى جنس كان فان أردت تقضى ذلك الاشغال فعليك به من غير محال فما لهذا الامر سواه ولم يقضى هذه الامور الا اياه لكن يا وزير الزمان أصيب بألم الفقر والهوان بعد العز وعلو الشان وقد أعلمتك والسلام على سيد ولد عدنان

قال الراوى فلما سمع الوزير ذلك من شيخ الياسرجية يسار أنعم عليهم وأطلقهم الى حال سبيلهم فهذا ما كان منهم

قال الراوى ثم ان الوزير شاهين بعد ان انصرف عنه الياسرجية

من عنده أحضر الوالى بين يديه فلما حضر قبل الارض بين يديه وكان كل والى يسمى سوا باشا فلما وقعت عين الوزير عليه قال له ياسوا باشا انزل الى الحسينية واسأل على بيت على بن الوراقة فاذا وجدته تأتى به الى عندى فقال سمعا وطاعة ونزل من تلك الساعة وسار طالب الحسينية فهذا ما كان منه

قال الراوى وأما ما كان من على بن الوراقة فانه بعد العز وعلو الشان أصابه الفقر والذل والهوان وصار لايملك درهما ولا دينار وقد جار عليه الزمان الغدار وتألمت عياله من الجوع ونالوا المشقة والاضرار وصار لايملك نفقة عياله لما تغيرت أحواله وقد مضى عليهم ثلاثة أيام ماستطعموا فيها بطعام وكان له زوجة من أكابر الناس فنادته ياسيداه قم واطلع الى السوق وتوكل على الملك الشفوق سيد كل مخلوق ورازق كل مرزوق فلعل الله يبلغنا ماتمناه ويزول عنا غضبه وشقاه فلما سمع المقدم على من زوجته ذلك الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وبكا بكاء شديد ماعليه من مزيد وخرج وهو حزين القلب منكسر الخاطر ولم يعلم ماأذن له به الملك القادر القاهر غير انه توهم في نفسه ان زوجته تدعوه الى السؤال من الاحرار والانذال فخرج من عندها وهو يبكى وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أكابد الدهر في الصباح وفي المسا * ولى عزم جلود على حمل الاسا
وما ضرنى فقرى ولا حاجتى * ولا كادنى الا معايرة النسا
وبعد عزى ومجدى ورفعتى * صبحت ذليلا خاليا مترندسا
وقد آلمنى بكاء الاطفال كانى * صرت في أسرى الذميم ملبسا
وصرت مثل الخيال اذا سرى * ووهى خلالى ثم أطبق الكسا
فيارب جرنى بحرمة أطهر * طه رسول الله من أزال الاسا

بحق الحبيب المشفع فى الورى * الذى أرسلته رحمة لكل عرندسا
سيد الخلايق في الارض والسما * رسولك المختار زين كل الاجنسا
تفرج عنى همى وغمى وفاقتى * وتمحو عنى الشقاوة والرثا
والطف بعبد قد دعاك وجد له * بفرج قريب عاجل متمرسا
فأنت رب العطايا كلها * فامنن يالهى وكن عنى منفسا

قال الراوى فلما فرغ من أشعاره واستغاثته وشكوته لعالم أسراره حتى بكت أطفاله وعياله وقد آلمه ماهم فيه من الضرر وحلت عليهم مكايد الدهر فقالت له زوجته سر ياسيدى من غير تكدير عسى أن يردك علينا مجبور الخاطر الملك القدير فسار على وهو باكى والى مولاه شاكى وخرج من داره من الحسينية متوكلا على رب البرية وسار فى الطرقات وهو لايدرى الي أين يذهب من الجهات ولم يزل سائر الى ان أتى باب الشعرية فبينما هو كذلك اذ نظر الى رجل زيات وكان ذلك أسبابا من رب البريات (باساده) فلما نظره الزيات عرفه فنهض من مكانه وأقبل اليه وقبل يديه ورجليه وأخذه وأجلسه على الدكان ووقف بين يديه وقال له ياسيدى أنت على ابن الوراقة فقال له نعم أنا ياهذا وأنت من تكون فقال له الزيات أنا خادم والدك ومتربى فى نعمته وهاأنا البهلول سايس ركاب أبيك فاخبرنى ياسيدى ماذا جرى عليك فقال له اعلم انى بعد السعد افتقرت وبعد الغنى انكسرت واعترانى ما اعترانى من العنا بعد عزى والغنا وقد ذهبت متاجرى البعض في البحار والبعض فى البرارى والقفار وقد رضيت بالقضاء والقدر من الملك الجبار والحمد لله على كل حال ولا ينبغى ذكر ماقد مضى فقد فات وانقضى

قال الراوى فلما سمع البهلول الزيات ذلك الحكايات أخذته الحمية وحكى على ماجرى له بالكلية وقال له ياسيدى والله الذى لااله غيره ماخدمت

سوا كم أبدا ولكن هذا تقدير رب الارض والسما ثم ان الزيات نهض على الاقدام وأخذ قصعة كبيرة من الدكان وأتى بماية خبزة حامية وبسهم في تلك القصعة بالسمن البقرى وعسل النحل الابيض المفتح وقال له ياسيدى خذ هذه القصعة وسر بها الى الدار واطعم منها العيال الصغار فاذا فرغت تأتى الى عندى وتأخذ ماتريد من يدى فقال له جزاك الله ياأخى كل الخير وكفاك كل هم وضير ثم انه حمله القصعة وناوله في يده ورقة فيها ستين فضة وباس الزيات يد على وقبله على ماجرى عليه فهذا ما كان من أمر البهلول الزيات

قال الراوى وأما ما كان من على بن الوراقة فانه سار بتلك القصعة وقد أخذته الفرحة ولم يزل سائرا الى عند السليمانية بينما هو كذلك اذ رأى رجلا جالساً تحت السبيل وهو يقول طالب من الله ومن رزق الله ومن خير الله قصعة بسيسة يكون فيها ماية خبزة حامية وعليها السمن والعسل والذى يأتينى بها يعطينى ستين فضة وأجره بعد ذلك على الله رب العزة والقدرة فلما سمع المقدم على ذلك الكلام قال في نفسه ان هذه الاشياء التى ذكرها هذا الرجل المسكين لم يوجد أحد حاملها غيرى من الناس أجمعين وأنا رجل فقير وهذا الآخر رجل مثلى فمن الرأى انى أشاركه وأقدم له نصف البسيسة وأعطيه نصف المعاملة ثم أقبل اليه وقبل يديه وسلم عليه وقال له يامولاى أنا رجل مثلك وأمرى كأمرك غير ان الذى ذكرته فهو معى وأنا عيالى جائعين والى عودتى لهم منتظرين وقد رضيت بالقسمة بينى وبينك فهل تريد أن تشاركنى وتأخذ مامعى أو تأخذ البسيسة وتترك مامعى من الدراهم أو تأخذ الدراهم وتترك مامعى من البسيسة أو تأخذ النصف في كل شئ منهم فشأنك وما تريد

قال الراوى فلما سمع الفقير منه ذلك الكلام أبدا الابتسام وقال له

ياأخى أنا طالب من الذى عطاك فهو المعطى المانع وأنا ماسألتك فان أردت أن تعطينى مامعك فافعل والا فاذهب به الى حيث تريد فلما سمع على منه ذلك الكلام قال له ياسيدى خذ مامعى جميعه وأنا رزقى على الله تعالى الذى خلقنى وأنشانى وانه لم ينسانى ثم انه دفع اليه الدراهم والبسيسة وقال هاهو ياسيدى مطلوبك فعندذلك قال له الله ينزع ألم الفقر من جوفك ويزيل مرارة القهر من قلبك ثم ان الفقير مد يده في القصعة مرة واحدة فصارت القصعة كما قيل في المعنى من الاقاويل

اعلم أن الدنيا تزول بأهلها * وما هى الا شبيهة الخيال

قال وكان على يظن انه يأكل منها ويأخذ هو الذى يبقى الى عياله فلما شاهد ذلك العجب تعجب من تلك الاحوال وقال في نفسه لاشك في هذا الا انه من الرجال الابطال هذا وقد تقدم اليه على وقال له ياسيدى سألتك بالله الا مادعيت لى فقال له ذلك الرجل الفقير أسأل الله العظيم رب العرش الكريم رب موسى وابراهيم وزمزم والحطيم أن يرزقك بالوالى في هذا النهار ويأخذك من دون العالم اجهار وأنت مكتف اليمين على اليسار ويتكلم فيك الصغار والكبار فلما سمع على منه ذلك الكلام أخذته الاوهام وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم أدفع بها عن نفسى ماأطيق ومالا أطيق وقد سلمت نفسى الى اللطيف الشفيق ثم تركه وانصرف ولم يدر من هو هذا الرجل وكان هذا قطب الدايرة المتولى بذلك الوقت ثم ان الاستاذ خفى مابان كانه ما كان فهذا ما كان من أمره

(قال الراوى) وأماما كان من أمر على فانه أخذ القصعة وأعادها الى الزيات ولم يعلمه بما جرى له من الامور المسيئات ورجع ولم يعلم الى أين يمضى والى أين يذهب وقد ضاق به كل مذهب فبينما هو كذلك واذا بالوالى وقد

أقبل بعيلته عليه وقد تقدم اليه وقال له أنت ابن الوراقة قال نعم فعند ذلك صاح الوالي يارجال هذا غريم الوزير فامسكوه فتقدمت اليه الرجال وأوثقوه كتافا في الحال وشدوه بالحبال وكان قريبا من الحسينية فلما عاينوا ذلك أولاد حارته و اظروا ماحل به من حيرته تكلموا فى حقه فقال واحد منهم لآخر ماذا فعل على حق أخذوه وفي ذلك الحبال أوثقوه فقال له انه يدق الزغل فقال آخر وحق العزيز الاجل الازل واعما أنا أعرف القضية وقد علمت بها من ليلتى الماضية فقالوا له وكيف ذلك وما الذى فعل فقال لهم اعلموا أنه قتل زوجته فقال الآخر لا لا وانما عاب فى بنى الوزير فقال آخر سرق وآخر شهد زور وتكلمت الناس على قدر عقولهم وما يهوى تحريفهم فهذا ما كان من أمرهم وأما أهل الخير العقلاء أهل الفطانة النبلاء فانهم قالوا لابد ان عليه ديون أو ضمانات أو ربما تكون السلطنة احتاجت اليه فى بعض مهمات فالله تعالى يسهل عليه الخيرات ويدفع عنه المضرات هذا والوالي سائرا بعلى الى ان أقبل الى منزل الوزير وكان هذا تقديرا من اللطيف الخبير (ياساده) وقد صار على متفكرا في أمره ولم يعلم بذنبه وما السبب في قبضه وهو ينعى على أولاده ونفسه وقد ترنم بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

لقد كان الدهر محسنا الى * ولكنه يهدم على الرجال

وبالقدر المحتم من خالقى * ذهب عنى متاجرى ونوالى

واعترانى الفقر حتى كادنى * ومن جوره فقد أجاع عيالى

وتكبر وتجبر حتى انه * أضنى قواى وأورثنى نكالى

وتركنى رهينا في قيد سجنه * وكم فعل مثل ذلك بأمثالى

ولايدعون لى قدرا ولايعرفوا * صفاتى في الورى مع كمالى

قبضنى باشة السوا المسمى * عند الأنام باسم والى
وما هو وال الا بسفر * وكم ظلم مثالى مع مثالى
فيارب كن لى مغيثا * وفرج كربتى واصلح لى حالى
وامح عنى مااعترانى * من فاقتى واهانتى وذلالى
توسلت اليك بأحمد المصطفى * سيد الأنام وعين الدلال
عليه الصلاة مع السلام جماً * ماتعاقبت أيامنا بليالى
كذا الاصحاب والأحباب حقا * والتابعين وجميع الآل

(قال الراوى) ولم يزل على يدعو ويتضرع ويستغيث الى ان أقبل به الوالى الى بين أيادى الوزير الاغا شاهين وقال نعم ياوزير الزمان هذا الذى طلبته فقال له الوزير من هذا قال له على بن الوراقة فلما سمع الوزير من الوالى ذلك الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وقال له ياقليل المعرفة والادب أنا أمرتك أن تكتفه وتتعبه ذلك التعب وتقل قدره بين الأنام العقلاء منهم والعوام فقال الوالى أدام الله بقاء مولانا الوزير الذى بكل الامور خبير ياسيدى أنت أدرى منى بكل ضمير وذلك انه لما أمرتنى بمجيئه فتصور عندى اهانته لان الوالى رسول الغضب ولو كنت أنت راضيا عليه كنت أرسلت غيرى اليه اما بجواب واما بخطاب واما بخلعة أو هدية أو بدلة سنية وأما أخذ الوالى فهو كما رأيت فقال الوزير صدقت ولكنى ماظننت ذلك ولا قرأت ثم ان الوزير نهض بنفسه على الاقدام وحل بيده كتافه وألبسه عمامته وأطلق أطرافه وأخذ بيده وأجلسه وأمر له بالشربات فشرب وأزال الله مابه من التعب واطمأن قلبه وهديت سرائره ولبه ثم قال الوزير للوالى اخبرنى ماذا فعلت معه فقال له ياسيدى نزلت من عندك الى الحسينية وسألت شيخ الحارة عن منزله فدلنى فطارقت الباب

فجاوبتني زوجته بأفصح خطاب وأحسن جواب فسألتها عليه فقالت مضى الى السوق فأخذت من أهل الحارة من يعرفه ومضيت معه فوجدناه سائر في الطريق فأوثقته كتاف وأتيت به الى جانبك من غير خلاف والسلام قال فقال الوزير لعنة الله على كل ظالم ثم صاح فيه امض الى حال سبيلك فخرج الوالى من بين يديه وهو يتعثر فى أذياله فهذا ما كان منه وما جرى له

قال الراوى وأما ما كان من الوزير فانه التفت الى على بن الوراقة وقال له ياسيدى اخبرنى عما جرى بك وكيف افتقدت بعد كثرة مالك ونوالك وكيف ذهب فضلك وأفضالك فقال ياوزير الزمان كل شئ بتقدير الملك الديان وحق رأسك والملك العلام منذ ثلاثة أيام مااستطعمت أنا وعيالى فيهما بطعام وقد صارت علىّ ديون كثيرة وبقيت فى أعظم حيرة وقد كنت تاجر شهير وبكل الاشياء خبير فغرق مالى في البحر وأنهب باقيه فى البر وقد ركبتني ديون كثيرة واعترانى الفقر والحزن وقد رضيت بما قدر الرحمن علىّ من الالطاف والامتنان فقال له الوزير دعنا من ذلك الآن اعلم انى ماطلبتك الا لحاجة ومقصودى قضائها من غير لجاجة وهى مطلوبة الى السلطان فقال وما هى ياوزير الزمان فقال خمسة وسبعون مملوك يكونون مراهقين وأولاد ملوك ويكونون ثلاث أجناس سركسية وجرجيات وأباظية فقال له ياوزير الزمان وفصيح اللسان نعم انى أفهم الاشارات وأعرف الالسن واللغات ولكنى اذا سافرت في طلب تلك الحاجة يتحركون علىّ أهل اللجاجة لاجل مالهم عندى من الديون وربما أخذوا دراهمهم منى فأرجع مغبون فلما سمع الوزير مقاله وفهم معنى سؤاله فقال له لاتخف فالامر قريب باذن الملك المجيب فالله تعالى يعطيك الصبر ويثيبك بالاحسان غاية الاجر ولكن اخبرنى حيث انك تعرف بالالسن فهل تعرفنى

وتعرف أبي بما سمعت من لغاتي فقال نعم أعرفك ياوزير الزمان حق المعرفة وأعرف تلك الصفة فقال له الوزير اخبرني الآن فقال اعطني الامان فقال له عليك الامان فقال له ياوزير الزمان أنت أبوك من الترك وأمك من بلاد المغرب فهل هو ذلك أم لا فقال الوزير نعم ياعلي هو كما ذكرت والحق كما وصفت ولكن ياعلي اذهب الى منزلك الآن واذا كان من الغد احضر الى عندي في الديوان فقال له السمع والطاعة ياوزير الزمان هذا وقد خلع عليه الوزير خلعة سنية وأمر له بخمس مائة دينار عددية ثم صاح الوزير على الخندارية فحضروا بين يديه بالكلية فأمر الوزير بخمس مائة جمل محملة من الارز والسمن والعسل والقمح ومائة شاة من الغنم وخمسين من الابل وخمس مائة حمير محملة أخشاب وأحطاب وأرسل الى عياله البدل وكذلك زوجته وقد أذهب الله فقره وفاقته وقال لهم الوزير سيروا بهذا كله الى بيت هذا الامير وحق رأسي لابد أن يصل كل ذلك قبل أن يصل هو الى هناك فعند ذلك جهزوا كل ماقال عليه الوزير وساروا بالجميع الى البيت وطرقوا الباب ففتح الباب فلما عاينت زوجته تلك الاسباب ظنت انهم تاهوا عن المكان الذى هم اليه قاصدون وعليه معتمدون فقالت لهم ماهذا بيت الامير وانما هو بيت رجل فقير فقالوا لها ياسيدتى هذا أرسله اليك سيدنا على باشا تاجر السلطان ففرحت بذلك الامر والشان وزال عنها وعن عيالها كل الاحزان ورجعت الحمالين والشيالين الى حال سبيلهم وقد انخزن المكان وأما علي فانه فرح بما أعطاه الوزير من الاحسان وقال سوف أطعم عيالي بما أوهبني الملك الديان ولم يزل سائر الى ان أتى الى المكان فوجد فيه الخير والاغنام وقد مضى الشر عنه والاسقام ففرح بذلك غاية الفرح وزال عنه الهم والترح واتسع صدره وانشرح ثم أقبل الى زوجته

وأخبرها بقصته ففرحت وانشرحت وكذلك العيال لعبوا بعدما شبعوا باذن الملك المتعال وقاموا باقي يومهم وليلتهم وهم في حظهم وفرحهم فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من الملك الصالح فانه بات وأصبح يصلي على من له الورد فتح جلس على كرسي قلعة الجبل يوحد القديم الازل تكامل الديوان وجلست العساكر والاخوان أقبلت العلماء والاشراف وأهل المراتب والانصاف وطلع الاغا شاهين وجلس في مكانه بعد أن سلم وصبح على كامل اخوانه وطلع القاضي وهو يقرأ كلام الملك الهادي وصبح وجلس على كرسيه وتكاملت جند الديوان وحواشيه وقرأ الملك الفواتح وأهداها الى الخاتم الفاتح ثم قرأ الحزب وختم رقى الراقي وختم دعا الداعي وختم صاح جاويش الديوان

قد غرت دار الدنيا * وأحوال الملوك تتغير

قد جل الذى في ملكه * دايم باقي يغير ولا يتغير

ومقهر العالم بكاس الممات * وهو الذى لم يقهر

احتارت الافهام في صنعه * وقدره في العقل لا يتصور

قال الراوي فقال السلطان آمنا سبحان عالم الغيب سبحان ساتر العيب سبحان راحم الشيب أراد الملك أن يتعاطى القصص ويزيل الغصص حكم ما أمر مولانا جد الاشراف واذا بباب الديوان احتجب والستار أنشد وعلى بن الوراقة يقبل الارض وهو يقول صلوا على طه الرسول

تصبحك السعادة كل يوم * باجلال على كيد الحسود

أدام الله لك الايام بيضا * وأيام من عاداك سود

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني أوله مقابلة أبي الحسن بن الوراقة الياسرجي بالملك الصالح وتكليفه بمشترى المماليك

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره ومشاهير أبطاله مثل شيحه جمال الدين وأولاد اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى لهم من الحيل والاهوال وهو يحتوى على خمسين جزء

الجزء الثانى

﴿ الطبعة الاولى ﴾

سنة ١٣٢٦ هـ — و١٩٠٨ ف

طبعت على نفقة الحاج محمد أمين دربال صاحب المكتبة العامية العمومية بشارع الحلوجي بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

(وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم)

(قال الراوي) فلما رآه الملك الصالح ولى الله الناجح قال له أهلا وسهلا ومرحبا ياسيدى على يابن الوراقة ياأبى الحسن الوراقة يابن محمد الوراقة يابن سعد الوراقة انت اسمك ماهو قال ياأمير المؤمنين اسمى على بن الوراقة فقال له وما الذى تريد ياعلي فقال له الاغا شاهين يامولانا السلطان هذا الذى يجيب لك المماليك الحسان الذى رأيتهم فى المنام فقال له ياسيدى علي أنت تفعل ذاك قال نعم ياأمير المؤمنين فقال اعلم انى طالب منك حاجة أخرى وذلك انى طالب مملوك خاصة لنفسى يكون فيه الشروط التى اذكرها اليك وهو انه يكون فهيم قوى وفعلين قوى ويكون يحفظ القرآن قوى ويكون ضعيف قوى ويكون وجهه حسن ومحمود اسمه واذا غضب يكون فى وجهه جدريات تملكه من الطارقة اليمين الى الطارقة اليسرى ويكون بين عينيه شعرة أسد وبين حاجبيه سبع من اللحم هذا عند الغضب واذا راق لم يكن لذلك عنده أثر ولا سبب فماذا تقول فى ذلك ياعلي فقال على يامولاى ان وجدت هذه الشروط أتيتك بالمطلوب وحق علام الغيوب فقال له الله يسهل عليك الامور ويجعل خاطرك مجبور ولكن خذ هذه السرة فاذا

وجدت هذه الصفة اشترى بها ولا تفتحها ولا تعلم مافيها لاانت ولا الذى تشترى منه بل تقول له بعنى بهذه الصرة المجهولة فقال سمعا وطاعه (ياساده) وقد تحدث على فى نفسه فقال هذا شيء لا يكون ولا تدرك هذه الاوصاف فى احد من البشر وكيف انى اشترى بشيء مجهول وكيف يبيعنى صاحبه بما لا يعلم من المحصول فعند ذلك كاشف عليه الملك الصالح فقال له ياعلى اذا أراد الله قضاء شيء هيأله الاسباب فارجع ياعلى عن سوء الظن واحسن الخطاب فسوف ترى ما يسرك ويدفع عنك شرك وضرك فسر الى ماأمرتك به وسلم أمرك لمولاك واعتمد عليه ثم قال الملك للوزير اعطه ثمن المماليك ياوزير الزمان اعطه خمسة وسبعين بدنة ملكية ياوزير الزمان اعطه خلعة ثنيه ياوزير الزمان اكتب له حجة متمكنة شرعية بانه يكون شيخ على طائفة الياسرجية ياوزير الزمان هذا رجل مديان وربما يقبضوا عليه اصحاب الديون فيأخذوا منه المماليك والتجارة ولا يناله منا الا الخسارة فاكتب له فرمان بعدم المعارضة فى البلدان واذكر فيه ان جميع ماعلى على من الديون يحسبهم من مال الارض أو من الخراج ومن لم يكن عليه مال ولا خراج يحسبهم على السلطان وكل من عليه ديون من أهل البلدان يأخذه من نايبها الذى يكون عليها ويضيف ذلك مما عليه أو يرسل به مكاتبه ويقبض من الديوان حكم ماأمر السلطان والحذر من المخالفة والسلام على نبى تظلله الغمام وكان كل هذا ضمير الوزير وكذلك على ابن الوراقة فكتب له ذلك ونزل من الديوان بعدان أخذ الدراهم والعطايات والبدن وسار المنادى بالفرمان قدامه ينادي وهو يقول ياولاد مصر كل من له ديون أو ضمانات على على بن الوراقة يطلع الى الديوان ويأخذ حقه من

السلطان حكم ما أمر به الصالح أيوب ولى الله المجذوب والحذر ثم الحذر من الاختلاف فانه يورث الاتلاف

قال الراوى فلما سمعت أهل مصر بذلك تضاحكوا وقال واحد لرفيقه على عليه أربعون فضة فاذا طلعت الى الديوان ماذا يعطينى الملك وما عنده الا مقاطف الخوص فقال الآخر عليه تسعون فضة وان الملك لم يحكم عليهم فقال له الآخر يعطيك الدلق فقال الآخر يعطيك الترس الجميز فقال لهم رجل آخر اعلموا ان كل من كان له ديون وطلع الديوان ليطلبهم قتلوه الاغوات ويذيقه كاس الممات فقد اتفق الوزير مع الملك على ذلك الحالات ثم أن الناس تكلمت بمثل ذلك الخرافات وقد تركوا ما عند على خوفا على انفسهم من طلوع الديوان فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من أمر على بن الوراقة فانه أخذ ثمن المماليك وأخذ الفرمان وترك ما أخذه من الانعام الى أولاده وأخذ بجد السير وحزم له متجر عظيم وذهب ما كان عنده من الفقر الجسيم وارتحل من هذه البلد وقد توكل على الواحد الاحد ولم يزل ساير من بلاد الى بلاد ومن مكان الى مكان حتى توسط الطريق واخذ على طريق غزة ولم تكن الا أياما قلايل حتى أقبل عليها فنزل فى خان من الخانات فبينما هو جالس ثانى يوم واذا قد اقبل عليه أربع أغوات من عند الوزير حسان نايب غزة وباشة ذلك المكان فلما وصلوا اليه سلموا عليه وقالوا له أجب سيدنا حسان فقال لهم سمعاً على الراس والاعيان ثم نهض معهم الى الديوان وسلم وخدم وترجم فقال له الكردى حسان الحمد لله الذى أغناك بعد الفقر وأعطاك وأرضاك بعد القهر فاعطنى ما عليك من الحساب القديم وسلمنى الذى جئت به الآن فقال له خذ فرمان ابن عمك السلطان ثم أخرج له الفرمان فلما رآه قام

على الاقدام وهو يقول بعلو رأسه السلام والتحيـة والاكرام على ملك الاسلام وأهل المملكة وأهل الاحتشام فتصارخت الرجال بالسلام ثم اخذ الفرمان وقبله ووضعه على راسه وقرا مافيه وتأمل معانيه يجد فيه خطابا من امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين الى جميع نياب الارض والبلادوسكان البرارى والوهادومن كان فى القرى والسوادانهم لايتعرضون لعلى بوجه من الوجوه والذى عليه يحسبه على امير المؤمنين والحذر من المخالفة والسلام

قال الراوى فلما سمع الوزير حسان الكردى ذلك الكلام اجاب بالسمع والطاعة ثم اعطاه الفرمان وقال له ياسيدى لابد ان تشترى لى مملوكا يناسبنى فقال اذا رايت ماينا سبك شريت لك فترك سبيله وعاد على من عنده الى الخان وبعد ان اخذ الراحة سافر من غزة الى الشام وقد تواترت الاخبار الى عيسى الناصر شرف الدين فنزل بنفسه الى عنده ولما وقعت عينه عليه قال له ادفع لى ماعليك من الدراهم فقال له سمعاً وطاعة ثم انه اخرج له الفرمان واعطاه اياه فلماقراه قال سمعا وطاعة ثم قال له اذا رايت مملوكا يناسبنى فاشترى لى اياه فقال له اذا رايت ماينا سبك آتيت به اليك ثم سافر من الشام الى حلب فتعرض له اقط النجبين فاعطاه الفرمان فامتثل وقال له هات لى مملوكا يناسبنى فقال له سمعا وطاعة ولم يزل ساير من مكان الى مكان حتى انه وصل الى مدينة (برصا) وكان بها حاكما يقال له مسعود بيك بن عثمان فنزل فى خان من الخانات وإقام به يريد الراحة (ياساده) وقد بلغت الاخبار الى الامير مسعود بيك بن عثمان بأن على بن الوراقة قد أقبل بالتجارة فارسل اليه أربعة من طرفه فلما وصلوا اليه سلم عليهم وسلموا عليه وقالوا له أجب الامير فقال سمعا وطاعة ونهض معهم اليه وسلم وقبل يديه فاجلسه الى جانبه وقال له ياعلى ماسبب مجيئك الى هذا المكان فقال له يامولاى إنى

أريد ان اشترى مماليك الى السلطان ثم انه حدثه بالقصة من اولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها فقال لابد ان هذا الشيء لايتصور ولا يكون ولا يخطر بالظنون فقال له لابد ان يأتى من العرضيات مالم يكن فى الحساب ولكل شيء اسباب ثم ان على بعد ان اخذ مجلسه مع الامير مسعود بيك اراد ان يعود الى محل التجارة والخان فقال له ياعلى لابد لك من الضيافة واقلها ثلاثة ايام وحق الملك العلام فاقام على عنده وقد شكر فضله وبات تلك الليلة فلما اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح جاس الامير وارسل احضر الياسرجيه الذين هم بتلك الناحيـة فلما حضروا سألهم عن مطلوب السلطان فقالوا هذا امر لايتم لانسان ولم يقدر على ذلك فعند ذلك صرفهم الى حال سبيلهم فهذا ما كان من امرهم ثم بات عند الامير الليلة الثانية والثالثة وهو في اعز الاكرام

قال الراوى واعجب مافي هذه السيرة العجيبة والامور المطربة الغريبة وماحصل من الاتفاق الذى يجب ان يكتب بالذهب ويسطر فى الاوراق لما فيها من توفيق الخلاق ولما اصبح الصباح وأضاء الكريم بكوكبه ولاح جاس الامام الامير مسعود بيك ابن عثمان بين أهل دولته وقد استيقظ على من نومته وصلى فريضته وقرأ شيئا من كتاب الله تعالى ثم اراد أن يخرج من المكان الذى هو فيه واذا به سمع شيئا يدوى كالنحـل على يمينه فتبع ذلك لاجل أمر يريده خالقه ومعينه ولم يزل سائرا الى ان انتهى الى قاعة بأربع لواوين ودرقاعة وهى متسعة الجنابات وكل ليوان عليـه الفراشات وبها مماليك كانهن الاقمار فنظر الى الليوان الثانى فرأى به مماليك أخر وكلهم كالبدر اذا بدر فى ليلة اربعة عشر كما قال فى حقهم الشاعر المفتخر حيث يقول صلوا على طه الرسول

بدور قد أظهروا بطلوعهم جميع النجوم الزواهر
وزادوا علي بدر السما وفاقوا على نجم المشتر
كأنهم ورد قد انتشا في رياض العبقر
مجملين بذي الجمال مع البها وملابس كالزعفران الاصفر
واخبرني قبالهم وكانهم عيدان خضر في رياض الانهر
بملابس علت الملابس كلها وشبيهها مثل العقيق الاحمر
قد فاح جمع المسك من اطواقهم وعلا على جميع اهل المحضر
ياحسنهم ياقدهم وجمالهم قد زانهم اغناء تلك المنظر
يازينهم مع وصفهم وصفاتهم حيرت كل الواصفون القهر
ماحازهم احد تحت السما الا الامير مسعود وليس بمنكر

قال الراوى فلما نظر علي الى ذلك المماليك تعجب غاية العجب وقد رآهم يقرؤن القرآن ويعرفون الخط والاحسان ورآهم فرقتان فترك الفرقة الاولى وتبع الثانية وتقدم الى عند المماليك فرأى عليهم مملوكا قصير الطول كبير الدماغ واسع الصدر مفتول القوائم فلما أقبل علي بن الوراقة اليه سلم عليه فلم يرد عليه سلامه ولا التفت الى كلامه بل هو كما فيه الشاعر

متكبر متغطرس في نفسه قد علاه الاغترار مع العبر
قصير الطول والرأس منه طويله حوت المكاره والخداع مع المكر
ذات مكر كريه في الورى قد أعجز بمكره جمع البشر
يالله الامان من الماكرين كلاهم بالله السلامة من الخداع مع الضرر
ماالمكر الا للكافرين صنيعة ولم يبالوا من جهنم مع سقر

(قال الراوى) فلما تحقق علي منه ذلك علم انه كبير النفس وقد تنافرت اتباعه من حواليه وصاح ولد به فقال له علاى الدين وقال له

ارجع عنا لانك فلاح قليل الانصاح لاى شىء تأتى الى عندنا وتدخل مكاننا ثم نهضوا عليه وقد ارادوا ان يضربوه فعاد عنهم وطلب جهة اليمين فرأى الطائفة الاخرى وراى كبيرهم وهو كانه قضيب البان زاهر الاعطاف مليح القوائم والاطراف يقال له ايدمر وتحت يده اربعين مملوكا فلما اقبل على سام فنهض له على الاقدام ورد عليه السلام وسلم عليه سلام الاحباب وصاح بالمماليك وقال لاى شىء تفعلوا به هذه الفعال اما تعلموا اننا كلنا عبيد الملك المتعال وكلنا خلقة واحدة ولا فرق بين الفلاح والجندي والمغربي والكردي والبربري والهندي وكلنا خلقة ربي قال فلما راى على مافعل معه هذا الغلام من التلقي وحسن الاكرام وطيب المقال والكلام احبه حبا شديدا ماعليه من مزيد ومال اليه وجلس الى جانبه ثم جعل على يمدحه بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

ياكريما قد علاه الجمال * وزانه البارى بوصف جميل

يا محبا للعالمين كمالا * قد كملك ربى ولا لك مثيل

يا هلالا قد تلالا * فى درة بيضا شبيه النبيل

ياشفاء اكل العلالا * كلامك شفا للعليل

يابدرنا ليلة كماله * يارحيقنا وماء السلسبيل

ياخليلا جلا خبالا * انت العشيق وانت الخليل

مارأيت لوصفك مثالا * يادوائى فجسمى نحيل

اجد لى بحسن المقالا * عسى بقولك اشفى الغليل

(قال الراوى) ثم ان على بعد ان مدحه بمثل هذه الابيات تبسم له ضاحكا الامير ايدمر وزاد فى الابتسامات ثم قال له من انت ياسيدى وما تريد وما سبب اقدامك علينا وادخالك الينا فقال لو ياسيدى انا ضيف

عند الامير مسعود بيك بن عثمان وقد انتبهت من منامي فتهت عن طريقي وسمعت القراءة فتبعتها حتى أتيت الى هذا المكان ومن انتم فاخبروني فقالوا له نحن مماليك الامير مسعود صاحب الكرم والجود أنا وهؤلاء الاربعين سركسية والباقي اباظية وجرجية وهم كذلك مسلمون اولاد مسلمين وما منا الا من هو ابن ملك كبير او بطال شهير او سلطان او امير ولكن فهذا حكمت التقادير وكلنا نقرأ القرآن ونا من بالرحمن قال فلما سمع علي ذلك قال في نفسه والله لا يصلح للملك الا هؤلاء الجميع الرفيع منهم والوضيع ثم ان عليا اخرج من مكتوبه عشرة ذهب وناولهما الى ايدمر وصافحه وتركه ومضى راجعا (ياسادة) وقد زادت المماليك قدحا في ايدمر وقالوا ان هذا الرجل مفسود وبريد ان يأخذ هذا من دوننا ويرغبه بالمال والنقود وقد صاروا يقدحون في الاثنين وايدمر يسمع هذا الكلام ولا يبدي لهم مرام هذا ما كان من امر هؤلاء

قال الراوي واما ما كان من علي فانه سار من عند المماليك ودخل على الامير فتزحزح له واجلسه وطلب له الشرابات والمآكل والفطورات والقهوات فلما تهيأ الفراغ من ذلك وراق الديوان وصفى المكان قال علي يا أمير المؤمنين رأيت عجباً عجيب واسأل الله ان يكون لي فيه نصيب فقال له وكيف ذلك قال له اعلم اني سألتك بالامس عن المماليك فاخبرتني بان ذلك لم يوجد وقد رأيته عندك من دون زيادة ولا نقص وان هذه البضاعة وجدتها في هذه القاعة فماذا انت قائل

قال الراوي فلما سمع مسعود بك ذلك الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وقد صعب عليه وكبر لديه ثم زاد بعد الغضب فقال له ياقليل الادب انت رجل جئتني فاكرمتك وحصل لك مني غاية حظك فكيف أتك

تقابلنى بقبيح فعلك وتذكر لى مثل ذلك بجهلك وكيف يتصور فى عقلك انك تأخذ منى مارأيت ويكون تحت يدك فلا كان ذلك ابداً ولو كان السلطان سعيد السعداولكن وعزة الله ان طلعت عليك شمس غدا وانت فى برصة لاذيقك العذاب وكل غصة ثم انه صاح فيه ان اذهب عنى واخرج من بلدى فنهض على من عنده وصار يجرى ويتعثر في اذياله وربما انه بال فى سرواله وما زال كذلك الى ان أقبل الى الخان الذى نزل فيه هو ومن كان معه من الغلمان فلما وصل الى مكانه قال هلموا بنا الى مكان غير هذا المكان ونأخذ راحتنا فيه بالاحسان لانه قد وقع علينا أمر من صاحب هذا البلد بعدم الاقامة فيها وذلك انى رأيت عنده مطلوب السلطان وسألته عليه باللسان فاهاننى وأورثنى النقصان ثم انه أمر الرجال فحملوا البغال والجمال وطلبوا أبواب برصة فما أمسى المساء الا وهم خارجين بر البلد فقال لهم على دعونا نكمل ليلتنا فى هذا المكان وعند الصباح نرتحل باذن الملك الفتاح فقالوا له هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم اقاموا خارج البلد فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من امر مسعود بك بن عثمان فانه أوصى جنده والعسكر وقال لهم غدا اذوجدتم على فاقتلوه ودعوه منتظر واذا ارتحل فاتركوه يسير كما يريد فى المحجر والمهمة الاغبر فقالوا له سمعا وطاعة (ياسادة) ومن عجيب هذه السيرة ماجرى فى تلك الليلة من الكرامات والطاف الله الخفيات وذلك ان الملك الصالح في اليوم الذى خرج فيه على مطرود من برصة جلس الملك على كرسى قلعته ودارت به أهل دولته وتكامل الديوان بكامل الاخوان قرأ القارى وختم دعا الداعى وختم رقى الراقى وختم صاح جاويش الديوان وهو يقول

يامن يرى كل الامور جميعها ويعلم ما تخفى الانام وتظهر
ها أنت الباقى يالهى وسيدى وأنت عون المستغيث ومنصر
لك الدوام مع الثنا ثم البقا وجميع ما نراه يفنى ويقبر

قال الراوى قال الملك آمنا من اين كنا حتى اتصلنا سبحان مالك الممالك ياحج شاهين قال له نعم يا أمير المؤمنين قال الملك الطير نظر الطيور قام اعلم الطير قام الطير طرد الطير من القفص وقال اذا دخلت القفص نقرتك بمنقارى قام الطير خاف من الطير فات القفص للطير وطلع بعيد عن الطير ولكن لابد ياحج شاهين ان الطيور يأخذهم الطير ان كان رضا الطير او غصباً عن الطير وعزة الربوبية الا يمشى كلام الطير فقال الاغا شاهين لااله الا انت يامولاى خلقتنى ورزقتنى وبهؤلاء السادات ارفقتنى فأسألك اللهم لا تحرمنى من اسيادى ياسيدى اين طير واين الطير اخبرنى فقال له يارجل لاتؤاخذنى فى كلامى انا رجل مجنون (ياسادة) ونفض الملك منديله تحولت الرجال فلما أمسى المساء ونامت كل عين يقظانة ودام الديموم وازهرت النجوم واطلع الحى القيوم ونام الامير مسعود بك واستغرق فى منامه ولذيذ احلامه واذا بيد وقعت على صدره مثل جبل أحد وكادت روحه ان تفر من الجسد وقد رأى القائل يقول له فتح عينيك واسمع باذنيك أنا الملك الصالح الفقير الى الله وعزة الربوبية ان لم تعطى على المماليك بالكلية والا نفذت هذه الحربة من ظهرك وصار بيدى أخذ عمرك وجعلت يومك كأمسك فانظر لنفسك ودبر أمرك اما ان تسلم المماليك وتسلم واما تسلم نفسك وتعدم ويأخذهم على من بعدك ثم صاح فيه فانتبه من نومه مرعوب وهو على على ملهوب فهذا ما كان منه واما ما كان من على فانه نام وهو متفكر في نفسه فما يشعر الا ويد على صدره كأنها

تقابلنى بقبيح فعلك وتذكر لى مثل ذلك بجهلك وكيف يتصور فى عقلك انك تأخذ منى ماراًيت ويكون تحت يدك فـلا كان ذلك ابداً ولو كان السلطان سعيد السعداولـكن وعزة الله ان طلعت عليك شمس غدا وانت فى برصة لاذيقك العذاب وكل غصة ثم انه صاح فيه ان اذهب عنى واخرج من بلدى فنهض على من عنده وصار يجرى ويتعثر في اذياله وربما انه بال فى سرواله وما زال كذلك الى ان أقبل الى الخان الذى نزل فيه هو ومن كان معه من الغلمان فلما وصل الى مكانه قال هلموا بنا الى مكان غير هذا المكان ونأخذ راحتنا فيه بالاحسان لانه قد وقع علينـا أمر من صاحب هذا البلد بعدم الاقامة فيها وذلك انى رأيت عنده مطلوب السلطان وسألته عليه باللسان فاهاننى وأورثنى النقصان ثم انه أمر الرجال فحملوا البغال والجمال وطلبوا أبواب برصة فما أمس المساء الا وهم خارجين بر البلد فقال لهم على دعونا نكمل ليلتنا فى هذا المكان وعند الصباح نرحل باذن الملك الفتاح فقالوا له هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم اقاموا خارج البلد فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من امر مسعود بك بن عثمان فانه أوصى جنده والعسكر وقال لهم غدا اذوجدتم على فاقتلوه ودعوه منتظر واذا ارتحل فاتركوه يسير كما يريد فى المحجر والمهمة الاغبر فقالوا له سمعا وطاعة (يا سادة) ومن عجيب هذه السيرة ماجرى فى تلك الليلة من الكرامات والطاف الله الخفيات وذلك ان الملك الصالح في اليوم الذى خرج فيه على مطرود من برصة جلس الملك على كرسى قاعته ودارت به أهل دولته وتكامل الديوان بكامل الاخوان قرأ القارى وختم دعا الداعى وختم رقى الراقى وختم صاح چاويش الديوان وهو يقول

يامن يرى كل الامور جميعها　　ويعلم ما تخفى الانام وتظهر
ها أنت الباقي ياالهي وسيدى　　وأنت عون المستغيث ومنصر
لك الدوام مع الثنا ثم البقا　　وجميع ماتراه يفنى ويقبر

قال الراوى قال الملك آمنا من اين كنا حتى اتصلنـا سبحان مالك الممالك ياحج شاهين قال له نعم يا أمير المؤمنين قال الملك الطير نظر الطيور قام اعلم الطير قام الطير طرد الطـير من القفص وقال اذا دخلت القفص نقرتك عنقارى قام الطير خاف من الطير فات القفص للطير وطاع بعيد عن الطير ولـكن لابد ياحج شاهين ان الطيور يأخذهم الطير ان كان رضاالطير او غصباً عن الطير وعزة الربوبية الا يمشى كلام الطير فقال الاغا شاهين لااله الا انت يامولاى خلقتنى ورزقتنى وبهؤلاء السادات ارفقتنى فأسألك اللهم لا تحرمنى من اسيادى ياسيدى اين طير واين الطير اخـبرنى فقال له يارجل لاتؤاخذنى فى كلامى انا رجل مجنون (ياسادة) ونفض الملك منديله تحولت الرجال فلما أمسى المساء ونامت كل عين يقظانة ودام الديموم وازهرت النجوم واطاع الحى القيوم ونام الامير مسعود بك واستغرق فى منامه ولذيذ احلامه واذا بيد وقعت على صدره مثل جبل أحد وكادت روحه ان تفر من الجسد وقد رأى القائل يقول له فتح عينيك واسمع باذنيك أنا الملك الصالح الفقير الى الله وعزة الربوبية ان لم تعطى على المماليك بالـكلية والا نفذت هذه الحربة من ظهرك وصار بيدى أخـذ عمرك وجعلت يومك كأمسك فانظر لنفسك ودبر أمرك اما ان تسلم المماليـك وتسلم واما تسلم نفسك وتعدم ويأخذهم على من بعدك ثم صاح فيه فانتبه من نومه مرعوب وهو على علي ملهوب فهذا ما كان منه واما ما كان من على فانه نام وهو متفكر في نفسه فما يشعر الا ويد على صدره كأنها

وبش النمام او هبوب الرياح العظام والقائل يقول له ياعلى اعلم انى انا
الرجل الفقير الملك الصالح ياولدى غدا يأتى اليك مسعود بك بن عثمان
ويعطيك المماليك بالامان فاشترى منه بما يخلصك فوعزة ربى لم يقدر على
خلافك لو أعطيته فيهم كيساً من التراب فلم يقدر على غضبك بأى سبب من
الاسباب لانه لم يمكنه اقامتهم عنده ساعة واحدة خوفا منى على نفسه ثم
انصرف عنه فاستيقظ من نومه فهذا ما كان من كرامات الصالح وصلاحه
وامره واما ما كان من مسعود بك فانه لما اصبح الله بالصباح واضاء الكريم
بنوره ولاح وطامت الشمس من الروابى والبطاح وسلمت على زين الملاح
وانتبه مسعود بك وهو مرعوب وقد وقع فى قلبه الخوف الشديد من
ماراى من الصالح فى منامه من التهديد ثم انه ارسل خلف على بن الوراقة يدعونه
اليه فذهب الفاضل والتقى بعلى قبل ان يرحل من مكانه فقال له ياسيدى
على أجب الامير مسعود بك ابن عثمان فقال له اعلم ياسيدى انه قد حلف
على بانى لم أدخل له مكان ولا اجلس له فى ديوان وانى الآن قد عزمت
على المسير وتوكلت على اللطيف الخبير فسلم لى عليه كثير وقل له انه توجه
الى حال سبيله كما علم من العيون والارصاد وانه اذا قام ناله غاية الانكاد
وحين دخوله الى البلد يقتلوه والا يثبوا عليه وينهبوه ثم قل له انى لا بقيت
اطلع الى برصة مادمت فى قيد الحياة فلما سمع القاصد بذلك عاد الى الامير
وأخبره بما قاله على وذكره فاشتد عليه الخوف وارسل اليه ثانيا فابى
الرجوع وعزم على الرحيل والطلوع فلما علم مسعود بك بذلك علم ان
على لم يعد اليه ولم يقدر يصل اليه فقام هو بنفسه وأخذ معه اعيانا من
جنسه وركب وساروا الى ظاهر البلد والى نحو على قصدوا فلما رآه على
وقد أقبل نهض اليه وسلم عليه وقال له ياسيدى قد سمعت قولك وازف لى

ماقلت من وعظك وزجرك وها انا مرتحل من ساعتي هذه لما علمت من الايمان الواثقة والامور المتحققة وان دخولي برصة يورثني كل نكبة وغصة فحلفت انا الآخر بأني لم ادخلها خوفا على نفسي من وبالها ومقطعها والان فاني مرتحل وفي امري على عجل (قال الراوى) فلما سمع مسعود بك منه ذلك قال له يا اخي قد أثر فيك كلامي وما قلته لك الا على سبيل المزاح فقال له نعم وكيف لا يؤثر بي بعد ذلك الافتضاح سيما وقد سمعت منك الاقسام وغليظ الكلام فقال له اعلم ان هذا مني على سبيل المباسطة والمزاح وما هو على سبيل الغضب والاتراح فعد معي الآن الى تلك السراية وانظر الى تلك العناية واذا طلبت المماليك وأعجبوك فخذهم اليك وماترى أحداً يمنعك في كل الامور وها انا الاخر بين يديك فلو طلبتني معهم فما أمتنع وعن ماشرعت فيه فلا ارتجع فقال له يا أخي جزاك الله كل الاحسان وبلغك غاية الامان غير اني أقول لك ان هؤلاء المماليك لا يصلحوا الا لوزير ولا يصلحوا لسلطان فالله تعالى يحفظك عليهم ويحفظهم عليك ويقيم سعدهم على يديك واعلم بأني كنت امزح معك بقولي لانظر ماذا تفعل بفعلك مع جهلي فقال له الامير دع عنك ياعلي هذا الكلام واني قد أخطأت في حقك والسلام فسر معي حتى تأخذ المماليك ولا ترجع بغيرهم أبداً ولا تطلع من عندي بغير فائدة فقال له ياسيدي اعلم ان هؤلاء مافيهم فائدة بل انهم مثل الحشيش الاخضر اذا طلعت عليه الشمس دبل وتقهقر وانهم لاينفعوا الا عندك أقام الله بهم سعدك (قال الراوى) فلما أيس منه مسعود بك بن عثمان آلان له المقال والكلام وقال له بالله عليك وحق راس سيدك الملك الصالح ولي الله الناجح الا مامضيت معي واخذت حاجتك من عندي ولم تعد الا وحاجتك مقضية وانت مجبور وخاطري مسرور ولم تفارقني وانت

مقهور واعلم بانى قد لمت نفسى على مافعلت معك فى امسى وقد اتيتك معتذرا فاقبل عذرى وسامحنى واصفح عنى قال فلما سمع علي بن الوراقة من الامير مثل ذلك الكلام سامحه وصافحه وعلم ان هذا كله من بركات الصالح واسراره نفعنا الله به وبأمثاله ثم انه وصل معه الى السراية ودخل الامير مسعود بك بن عثمان ومعه على بن الوراقة والاخوان وقدذهبوا الى قاعة المماليك وقال لهم ياولاد اعلموا انكم قد انتقلتم من خدمتي الى ذمة سيدكم وسيدى وهو هذا الخواجه ابن الوراقه على فلما سمعوا المماليك بكوا وقالوا ياسيدى ان هذا الرجل يشتتنا ويبيعنا في البلاد ويفرقنا على العباد في كل شعب وواد فقال على ياولادى وحق الملك الهادى الذى خلق الارض والسماء وعلم آدم الاسماء لم أبع احداً منكم منفرداً ولو شربت لاجله كاس الردى بل انكم مطلوبون الى السلطان ونصرة اهل الايمان وتكونوا كلكم فى مكان واحد وحق الرحيم الماجد فقال له علام الدين ان كلامك حق وقولك صدق فاصنع لنا خمسة وسبعين بدله يكونوا كلهم جنس واحد ويكونون من اعظم البدل فقال لهم السمع والطاعة وفهم ان هذه كرامات الصالح وانتفاعه وخرج مع مسعود بك وامر بعض غلمانه بحضور المال والبدل الغوالى فغاب وعاد بما طلبه سيده فقال على ياسيدى هذه السرة فيها خمسة وسبعون الف دينار وهم ثمن المماليك

كل مملوك الف دينار فقال لهم وهما منى اليك هبة كريم لايرد فى عطاه ولا يرجع عن مقاله ولا ماأعطاه وهذا وصلا منى اليك بانى قد أخذت ثمنهم منك (ياساده) وقد عد البدل فوجدوهم خمسة وسبعون بداة ويزيدون بعد ذلك بدلة ثم أمر على برواح المماليك الى حمام برصة وقد اخلاه لهم وجعل ذلك النهار على رسمهم وأمرهم بالذهاب الى الحمام وأخذ

البدلة الزائدة معه (قال الراوى) فعند دخول المماليك الى الحمام كرفوا رائحة كريهة قد اطبقت ذلك المكان فتأملوها الغلمان واذا به غلام مريض قد ألمه المرض الشديد ومضى عليه ثلاثة أيام وهو لايأكل ولا يشرب ولا ينام من شدة المرض والاسقام وهو مرمى رمية الرخ وتحته فخ وفوقه فخ وهو كما قيل فيه الشاعر حيث يقول

ذهب الزمان بعزه وبلانى — والدهر قد كادنى ورمانى
وانطحن جسمي وعاد رقيقا — ووهي صبرى وذاد جنانى
وحكم على القضا بأمر ربى — ولادا فعالما قضا الرحمانى
أيادهر كن بى رحيما — أيادهر رفقا بالكئيب الفانى
أيادهر قد أشمتت الاعادى — أيادهر عذبتنى الوانى
ايادهر ويلك فدعنى — ولا تظلمنى بذى العدوانى
أيادهر يجزيك ربى — ألا يادهر ايه جنائى
وانت يارب فاعف عنى — بجاه طه النبى العدنانى

(قال الراوى) فلما رأوه المماليك سدوا انافهم وسألوا الحمامية عن ذلك فقال انه ولد مملوك مريض وهو لرجل اعجمى من الرفض يقال له محمود العجمي وصناعته مسارع وقد أتاه هذا المرض الشديد وهو داء القصبة والتهديد فارماه في هذا المكان وتركه فى دهليز هذا الحمام فلما سمعت المماليك بذلك تنافروا عنه ومنهم من بصق عليه ثم دنا منه ولد من المماليك يقال له علاى الدين ورفصه برجله وشنع عليه وقال له جال الموت العاجل والبلاء النازل ياكلب المماليك (ياساده) وقدنظر الامير ايدمر مافعلت المماليك بهذا الغلام المريض فأقبل اليه وقبله بين عينيه وقال له يزول عنك ياأخي ويأتى القبول وهذا لطف من الله والذى قدر به قادر على

ازالته فقال له المملوك بنفس هافت ياأخي هانحن مسلمون ومسلمون الامر لرب العالمين فالله تعالى يجبر بخاطرك كما جبرتني ويعزك كما عززتني ثم انه قال ياأخي خذ بيدي حتى اني اقعد فأخذ بيده حتى اسنده وأخذ رأسه على صدره وسنده فاعتدل المريض وتأمله وتأوه وجعل يبكي على نفسه ومرضه ويشكو لايدمر بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

ساحمد رب العرش وخالق الورى ... هو القدير على كل الامور

واشكر الهي على ما أصابني ... واحمده حقا برغم كل كفور

واسأله العفو من فضله ... وانه للشاكرين شكور

وقد رضيت منه بقسمتي ... واسأله الصبر على المقدور

فيارب خذ بيد كل حبيب ... واخذل يارب جاه كل عقور

واعطنا السلام منك فضلا ... ودبرنا يامولاى فى كل الامور

فلقد وهي جسمي وانت عليم ... ومن سواك يرحم المكسور

هب لنا لطفا ودبر امرنا ... واشف مابقلبي والصدور

واجبر بخاطرى من حرضعف جسمي ... واعطه فى الجنان خير قصور

وسامح يارب من اساءنى ... فانت المسامح وانت الغفور

وبعد ذا اصلي على خير الورى ... محمد المبعوث بكل الامور

عليه صلاة مع سلاما دائما ... ماهب ريح على جميع زهور

ومار نحت اطيار الفيافى ... وما تناكحت فى الوكورطيور

وكذا الآل والاصحاب جمعا ... والتابعين لهم بطول الدهور

(قال الراوى) فلما فرغ المريض من مقاله وما ابداه من شعره ونظامه تعجب ايدمر من كلامه وعلم انه صاحب فصاحه وقد ورجاحة ثم ان ايدمر قال له شفاك الله وهداك وابراك مما انت فيه وعافاك ونصر

من والاك واخذل من عاداك ولا كان من يشناك وقد رق له قلبه وسكن في ضلوعه حبه فأجابه على عروض شعره يقول صلوا على طه الرسول

ألا عافاك من جميع شرور ... واعلا قدرك وعزك والاجور
وأعطاك رب الانام شفاء ... وأيدك ربى بطول الدهور
وارضاك الكريم فضلا ومنة ... وجماك افة لاهل الكفور
وأيدك ربى على جمع العدا ... واعطاك الهداية والحبور
وجعل قدرك بين الناس عالى ... ويدك حائزة لكل الخيور
لانك طيب الاصل والفرع ... وفرعك غالى زكى مغمور
وقد ظهر لى انك أهل فضل ... فزادك ربى هناء مع سرور
وأزال عنك ماتجده من ألم ... وازاح عنك نكدا أو شرور
لقد وقع حبك حقا بقلبي ... وزلفت عليك مدامعي وبروري
وحنن عليك الالاه قلبي ... فالله يجبر قلبك المكسور

(قال الراوى) ثم انه عدله على فراشه وقدزاد قلبه عليه بشاشة وتركه وطلب الخواجة على بن الوراقه وباس يده وبكى فقال ماالذى يبكيك ياولدى والله ان لك علي جميل فقال له ياسيدى انى وجدت شيئا ألم قلبي واضعف بصرى ولبي وقد أتيت اليك أشور بذلك الامر عليك فقال له قل ياولدى ولا تخف فهاأنا مطاوعك وفى كل الامور لاأخالفك فقال له رأيت غلاما مملوكا وانه من أولاد الملوك لكنه مريض وفصاحته وترديده وحبه عن قلبي لايحيد فهل لك ان تأخذه معنا وأناأ كون خادمه وتتبع قول المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث يقول انما تجبرون وتنصرون بضعفائكم ولعل الله تعالى ان يشفيه ويزيل عنه ماهو فيه فلما سمع على من ايدمر ذلك تبسم ضاحكا وقال له وأين هذا المملوك قال له هاهو فى دهليز الحمام

ثم أخذه بيده وسار الى أن أوقفه عنده فقال له السلام عليك ياغلام فقال له عليك السلام والاكرام فقال له ما اسمك ياأخي فقال له اسمي محمود فلما سمع بذلك قال في نفسه والله ان هذا يوجد بعض أوصاف الملك الصالح ثم تقدم اليه وقال له هل تعرف شيئا من كتاب الله تعالى قال له نعم ياسيدي احفظ القرآن وأدرى معناه واقرأ كثيرا من العلوم وهذه تقادير الحي القيوم فقال علي في نفسه هذه صفات أخرى وهذا هو المطلوب ثم ان علي قال له قد طال بك المرض وكان موتك أولى فلما سمع منه ذلك محمود تغير كيانه وامتزج بالغضب وقال له انت تعاند ربي وقدرته وهو الذي خلق الخلق وقهرهم بعظمته وان الامر منه واليه واني أنا راضي بمرضي فلاى شيء تعترض علي وتعايرني ثم انه زاد به الغضب فبكي وأن واشتكي وقد تأمله الخواجه علي واذا ظهر بين عينيه سبع جدريات ملكته من الطارقة اليمنى الى الطارقة اليسرى شعره من الاسد بين عينيه سبع من اللحم بين حاجبيه فقال في نفسه هذه علامة ثالثة اخرى ثم ان محمود جعل ينعى نفسه بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

أيا من يلومني بالكلام جهالة ... منه ولم يدر الحكم القدر
فارجع الآن عن ذنوب جنيتها ... وتب واستغفر لرب البشر
ولا تعاند لفصل اله السما ... فكل شيء بحكم الاله المقتدر
اذا أراد الله بشيء لامرء ... وكان ذا عقل وسمع وبصر
اصم أذناه وأعمى قلبه ... وسل منه عقله سل الشعر
حتى اذا أنفذ حكمه ... رد عليه عقله ليعتبر
فسلم الامر لخالق الورى ... فكل أمر بقضاء وقدر
ودع التدبير لرب الهدى ... واترك الهم ودع عنك الفكر
وصم وصل واعبد رب السما ... عسى أن تفوز بالاجر

وا كثر من الصلاة على خير الورى   محمد المبعوث فخر ربيعة مع مضر

(قال الراوى) فلما فرغ محمود من هذا الشعر والنظام رق له قلب على ابن الوراقة وقال فى نفسه هـذه الامارات والاشارات ثم انه تقدم اليـه وصافحه وأخـذ بخاطره وسأله السماح فسامحه ثم قال ياسيدى انت تابع من فقال له أنا تابع رجل يقال له محمود المسارع وقد تركنى في هذا المكان ولم يسأل عنى بشىء فلما سمع على منه ذلك نهض على الاقـدام الى خارج الحمـام وقال للمعلم الحمامى ائتنى بمحمود المسارع فقال له سمعا وطاعة ثم غاب وعاد به اليه وأوقفه في عاجل الحال بين يديه فتأمله واذا هو رجل شنيع المنظر كريه المتعلقات له شفتان مثل الثور أو أكبر وهو كما قال فيه الشاعر حيث يقول صلوا على طه الرسول

ثقلت على كل الانام طينتـه   وصار على كل القلوب كالحجر
اذا مر بقوم فزعوا عند رؤيته   كما تفزع الابدان من ضرر

قال الراوى فلما رآه قال له هـذا غلامك قال نعم قال تبيعنى اياه قال أبيعك اياه ولو بسرة من التراب فقـال فى نفسه والله انهـا لكرامـة عظيمة ثم قال له معى سرة مسرورة ولم أدرى مافيها وانها مجهولة فهل لك أن تبيعنى اياه بها فقال له بعتك ياسيدى فعند ذلك ناوله السرة وأشهد عليه كل من في الحضرة وكتب له حجة بذلك وأشهد على نفسه جميع ما كان هنالك وأخذ السرة وجعلها فى أثاثه يكون لها كلام عند موت هذا اللعين اذا اتصلنا اليه نتكلم عليه النبى فاز من صلى عليه

قال الراوى وأما ما كان من أمر محمود المسارع فانه انصرف الى حال سبيله وأما على فانه التفت الى ايدمر وقال له خذ أخيك حمه فى الحمـام والبسه هذه التبديلة التى كانت معى زايدة فقال له السمع والطاعة ثم أخذ

التبديلة ايدمر وأخذ محمود المريض وسار به الى داخل الحمام وجردما كان عليه من الملابس وكانت من الجلد فأرماها ثم أراد أن يقامه القميص فابى محمود وأخذه الوسواس وقال له يا أخي لعن الله الناظر والمنظور واني اخشى من هذه الامور فقال له وكيف الحال وانت لم تقدر تنقي نفسك من الاوساخ والغسل فبينما هم متحيرين واذا قد اخذ كل واحد منهما سنة من النوم وكل منهما رأى في منامه الملك الصالح ولى الله الناجح يقول لكل منهما اوثق عهدالله بينك وبين اخيك تزول الحرمة بينكما وتصيروا اخوة وانا وربي شاهدين عليكما ثم ان الاثنين استيقظا من نومهما واوثق بعهد الله بينهما ووضعو اليسرى واليمين وقال ايدمر يا اخى هذا عهد الله الطاعة تجمعنا والمعصية تفرقنا ويتوب الله علينا منهما والخائن قتله الله والله على مانقول وكيل وهو علينا من الشاهدين فكان هذا اول العهود والمواثيق وسنذكر كل شيء في محله بعون الملك الشفيق (ياساده) ثم ان ايدمر جرده من لباسه وازال عنه اوساخه وادناسه وقد غسله وحماه وأزال ماعليه من ازاه واحتمله بين يديه الى ان اجلسه بعيداً عن المماليك والبسه التبديلة وقد تحضن به ايدمر وترك الاربعين وهذه هداية من رب العالمين (ياساده) ثم ان الخواجه على امر بحضور الجمال وشد الجحف عليها فصار يوضع كلا جحفتين على جمل ويحمل كل اثنين محمل مقابلين بعضهما بعض فبقضاء الله وقدره كان محمود فى جحفة وكان فى الثانية علاى الدين ثم أن على تودع بعد ذلك من مسعود بيك بن عثمان وطلب البر والصحصحان ثم ارتحل بالمماليك وباع تجارته وقد ربح سفرته وصار ينفق على المماليك هذا كله يجرى ومحمود يئن من كبد أنين وقلب حزين فضايق منه علاى الدين فصبر الى ان جن الليل وحلب سهيل نهض علاى

الدين على الاقدام وقال للامير محمود احرمتنى لذيذ المنام ثم دفعه الى
الارض فارماه وظن انه قدمات وأدركته الوفاة فهذا ما كان من أمر علاى
الدين وأما ما كان من الخواجة على فانه سار يفتقد المماليك ويأتى الى أول
الركب وآخره ويخبط بعصاه على كل جحفة فيجاوبه من فيها برفقة وخفة
ولم يزل يفعل بواحدة بعد اخرى حتى اذا اتى الى هذه الجحفة وخبط عليها
فجاوبه علاى الدين فقال له اين رفيقك فقال لا ادرى الا بنفسى واظن انه
وقع وانا نائم ولم اشعر به فلما سمع على ذلك الكلام قال للغلمان اوقفوا
الركب فاوقفوه وارجع الخواجة على يقفو أثره واذا بمحمود ملقى على
الارض على وجهه كانه سكران فظن انه مات وانقضت ايامه وفات وقد وجد
عند راسه اسد عظيم فظن انه افترسه واورثه معطبه ثم تقارب اليه وهو خايف
من ذلك الاسد ان يهجم عليه فلما تقرب عنده ذهب الاسد عنه من وقته
فيقال والله اعلم ان هذا الاسد هو الملك الصالح ايوب ولى الله المجذوب
فتقدم الخواجة على اليه ووكزه فافاق من غشوته فاحتمله بهمته وجعله
فى جحفة اخرى غير الذى كان فيها فارماه الذى كان قباله منها قال ولم
يزل يفعل به كذلك وينقله من جحفة الى جحفة وهم يرمونه الى الارض
حتى اعياه الامر فقال ايدمر ياسيدى على أجعل الحبيب مع المحبوب ولا
تحرم المحب من المطلوب فاتى به الى عنده وقد فهم كلامه وقصده ثم ان ايدمر
جعل يحادثه ويسامره ويخدمه وينيمه ويسقيه ويطعمه ومن اى شىء لا يحرمه
فهذا ما كان منه واما على فانه لم يزل ساير الى ان اقبل الى حلب فنزل
لاجل الراحة من التعب هذا وقد بلغ نايب حلب بان على قد أقبل
بالمماليك فنزل عليه وسلم عليه وقال له هل رأيت مطلوبى فقال لا فقال له
وما معك قال جلبة السلطان من غير زيادة ولا نقصان فقال له دعنى اتفرج

عليها وبعيني أنظرها فقال دونك وما تريد فتقدم نايب حلب وتفرج وشكر السركسية وأعاب الباقي بالكلية هذا وقد اغتاظوا منه باقي المماليك ثم ان علي قال له معي مملوك ضعيف ولكن فطين ظريف فقال له أرني اياه فقال له ها هو فلما رآه تبسم ضاحكا وقال وعزة ربي ان نجا هذا الغلام وزالت عنه الاسقام ليكونن أحسن من هؤلاء الغلمان ويزيد قدره على كل انسان ويبقى احسن من الجميع الرفيع منهم والوضيع لانى اراه كثير الافهام زايد الاحتشام ولكن ياعلى هل لك ان تعطيني ذلك المملوك فقال له وكيف اعطيك اياه وهو مملوك الصالح وخاصة لنفسه وانى وحق راسك لاادرى كم يكون ثمنه ثم اعاد عليه حديث الصرة وما تقدم من الكلام والذكر فتعجب غاية العجب ثم انه اقبل على محمود وقال له ياولدى ما اسمك قال محمود قال يامحمود انت والله مسعود وضدك مكمود وسعدك اعلا السعود فهل لك ان تكون لى ولداً وانا اكون لك والداً بعقام عهد الله بينك وبيني فقد رضيتك ابن صلبي وحشاشة قلبي فقال له ياسيدى افعل كل ماتراه فتعاهد معه واوثق القبضة بينه وبينه ثم بعد ذلك قبله بين عينيه وضمه الى صدره واخرج مايةمن الذهب ودفعهم الى على وقال له اصرف هذا عليه واذا عاش وانفقت عليه مثلها اضعاف اعطيهم لك انا من غير خلاف واذ مات فاكرمه واحسن غسله ومدفنه واخبرني بخبره وحامد اثره على اى حالة كانت من أمره فقال له سمعا وطاعة ثم انه تودع منهم وتودعوا منه وعاد الى مكانه وبلاده فهذا ما كان منه

قال الراوى واما ما كان من الخواجة على فانه سلم المايه دينار الى الامير ايدمر واوصاه وقال له اطعمه واكرم منواه ومن كل شيء لاتحرمه ومن كل مايراه فقال ايدمر سمعا وطاعة هذا وايدمر سار يلاطفه ويشتري

له كل الاشياء ويطعمه فصار تارة يأكل شيئا يسيراً وتارة يمتنع عن الاكل
ولم يزالوا على ذلك الى أن توسطوا بين حلب والشام لامور يعلمها الملك
العلام قال فبينما الخواجه ساير واذا بالغبار قد علا وسد الافاق فانكشف
بعد ما تعلق بعنان السماء وبان عن رجال وابطال على خيول عالية غوال
والجميع مقبلين من رؤوس الجبال ومقدمهم رجل كبير طويل جسيم فلما
أن اقبلوا الى على صاحوا أين الغفر ياعلى وأين الجمالة القديمة والجديدة
قال وكان هؤلاء الفداوية أولاد اسماعيل نسل على بن ابى طالب والذرية
الاطايب وانهم مقيمون فى الجبال لاخذ الغفر من التجار فقال لهم اعلموا
ان هذه الجلبة للسلطان واذا كان فى الدور الآخر اخلصكم بكل ما كان
فلما سمعوا منه الرجال ذلك الكلام قالوا له نحن رجال ساكنين في
الجبال ولا نعرف وزير ولا سلطان وها انت مخير بين امرين خطيرين
وبحرين اخبرنى اما انك تعطنا الدراهم والغفر عشرة آلاف دينار
واما انك تفوت الجلبة وتمضى عنها وحدك فى القفار وهذا ماعندنا والسلام
على نبى تظله الغمام فلما سمع على ذلك الكلام قال لهم اصنعوا معى
الجميل وسامحونى في مثل هذا الدور القليل قالوا لا كان ذلك ابداً ثم انهم
امروا اتباعهم بقفل باب الدرب فاغلقوا جميع الجهات وحصنوا الطرقات
بالرجال وقد انحصر على بمن معه بين الطرقات فى المضيق فلما عاين على
ذلك من الرجال امر من معه بالنزول وعدم الارتحال وبات على تلك الليلة
وهو فى اعظم حيره وقد علم ان لابد للرجال من نهبه واخذ مامعه من المتاجر
والجلبه ولم يزل على متفكراً تلك الليلة ولم يقر له قرار الى ان طلع النهار
فبينما على جالس فى حيرته واذا قد اقبلت عليه الرجال من جميع الجهات
الخوال فلما رآهم على ظن انهم اتوا لنهب ماله واخذ تجارته وأمواله فلما قربت

منه الرجال جعلوا ينادونه لك الامان لك الامان فتعجب على من ذلك البرهان وقال لهم ماالخبر يا أشراف فقالوا له لاتحزن ولا تخاف فقد جاءتنا عندك حاجة نريد منك قضاءها من غير لجاجة فقال لهم وما حاجتكم التى تريدونها فقالوا له أرنا المملوك الضعيف الذى هو معك فلما سمع منهم ذلك تعجب وقال لهم من أعلمكم به وما السبب وأنا معى مملوك لكنه برسم الملك الصالح أيوب فقالوا أرنا اياه فقال وعزة الله لاأريكم اياه حتى تخبرونى بالخبر وتكشفوا لى عن جلية الامر فقالوا له نحن نعلمك وعلى كامل الامور نفهمك فاعلم اننا لم نكن أكرمناك الا لاجله

(قال الراوى) وكان السبب في ذلك سبب عجيب وذلك ان المقادم لما أعاقوا على ومنعوه عن السير وتقرر الامر بينهما على نهب الصغير والكبير وقد هجم عليهم الليل بالمسا فاخذهم المنام فرأوا فى منامهم الملك الصالح أيوب ولى الله المجذوب وهو يقول لهم يا أولاد اسماعيل وحق الملك الجليل ان لم تكرموا على لاجل خاطرى ولاجل هذا الضعيف لاشتتكم في جميع البلاد بالتعنيف وانى أعلمكم أن هذا الغلام هو الذى قد شاع ذكره عندكم فى حفظ الزمام وهو الذى يصير ملكا وسلطانا على ممر الليالى والازمان وانكم تكونوا أهل دولته واصحاب عزه ومملكته وحبايبه ورفقته ويبقى لكم الفخر الكامل بمدته وتلبسون أفخر الملابس وتركبون أعظم الركايب وتتقلدون بالشواكر الذهبية والطاسات الكوكبية فاكرموا على فى مثل هذه المره ولا تأخذوا منه دينار ولا عشرة وانظروا الى هذا المملوك وعاهدوه لاجل أن يكون لكم أخا ورفيق وهو يدعوكم وأنتم تدعوه من غير تفريق وقد أعلمتكم بما في عامى ومن خالف منكم أمرى صار خصمى وشكيته يوم القيامة لجدى والسلام على نبى تظلله الغمام

قال الراوي فلما انتبهت الرجال من نومهم وقدرأوا الجميع مثل بعضهم وقد قصوا رؤياهم على امراهم فقالوا له الرواية واحدة وما منا الا من شاهد تلك المشاهدة وانا مارأيناه فهو حق وايقان وما هو أضغاث ولا شيطان لان ذلك الاشياء مذكورة عندنا في جفر الامام جدنا فقوموا يارجال بنا حتى نرى هذه الامور باعيننا ثم أن الرجال تسامحوا الجميع الرفيع منهم والوضيع وساروا طالبين على بن الوراقة كما ذكرنا وهم ينادون الامان الامان كما وصفنا وقد سألوه عن ذلك الاشارات فقال لهم عندى ذلك الصفات ولكن من أعلمكم فاخبروه بالخبر وكشفوا له عن جلية الاثر فهذا كان الاصل والسبب وسنرجع الى سياقة الحديث باذن الملك المغيث

(قال الراوى) فلما سمع على من المقادم هذا الكلام والدلايل أخذ بيدهم وساروا الجميع الى عند محمود فلما رأوه أوقع الله الحب في قلوبهم وتمكنت المحبة بفؤادهم فقالوا له أهلا ومرحبا ياأخينا وحبيبنا هاأنت بطل الزمان وفارس العصر والاوان فقال لهم أهلا وسهلا بالحبايب ومن برؤياهم صار القلب طايب فقالوا له هل لك أن تعاهدنا ويكون لك مالنا وعليك ما علينا فقال لهم أنا لكم خادم وحق من أرسى العلايم ولكن مالسبب في ذلك فقالوا له ان اسمك عندنا مذكور وصورتك في الكتاب مسطور وانت الذى دلت عليك الجفور وانت صاحب الفتوح المنصور وقد راينا لذلك علايم ونبتوه لنا الرجال المقادم والليوث الاكارم فقال لهم افعلوا ماتريدونه وما طاب لكم من فعل الخير اصطنعوه (ياساده) فعند ذلك اوثقوا عهد الله بينهما وبينه وقالوا لعلى دعه عندنا حتى يبريه الله من السقام فقال لهم انى لست اقدر على هذا المرام فقالوا ياخواجه اعلم اننا ما كرمناك وفتنا الاموال وتركناك الا لاجل خاطر هذا

الغلام ولاجله تركنا كل ما كان لنا عليك من الاحكام ثم ان المقادم
اخرجوا له خمسمائة دينار وقالوا له خذ هذه الدراهم برسم النفقة
الى اخينا ومداوى امراضنا ومبرينا ثم انهم اكرموا على وكل من
كان معه غاية الاكرام مدة سبعة ايام فلما كان الغد تودع على من
الرجال وكذلك محمود وارتحلوا وقد فتحوا لهم الدروب وساروا يجدون
المسير فى البر والهجير برهة من الايام وقد وصلوا الى ارض الشام فنزل
الخواجة على يطلب الراحة والمقام لما حل عليه وعلى من معه من تعب
الاكام هذا وقد بلغ خبره الى عيسى الناصر باشت الشام شرف الدين
فنزل بنفسه اليه وسلم عليه وقال له اين المملوك الذى اوصيتك عليه
فقال له انى لاوجدت ماينا سبك من المماليك وما معى الا جلبة السلطان
الذى على رسمه والسلام فقال له ارنى هذه الجلبة فقال له هاهى قدامك
دونك واياها فاقبل عيسى شرف الدين الى ايدمر وجماعته من
السراكسة فقال هؤلاء ماهم رجال ولا يشبهوا الا النساء اصحاب الدلال
لكنهم وحشين ثم نظر الى الباقين وهم الاباظة والجرجيات فقال هؤلاء
احسن حالات ولم يزل عيسى بسماية قلبه يذم ويشكر ويقول هذا طيب
وهذا غير طيب الى ان اتى الى عند محمود الضعيف فظن على انه يفعل
معه مثل خلافه ويكرمه ويقيم انصافه فلما تقرب اليه تغير كيانه وانزعج قلبه
واحمرت اعيانه وقال يا على ان هذه الجلبة غير نافعة مادام فيها هذا المريض
قليل المنفعة ثم انه دنى منه وشتمه وسبه وبصق عليه وضربه ووكزه
برجله وفيها النعال وقال له يا نذل الانذال اين غايب عنك الموت والارتحال
ومالك بهذه العيشة التى تورثك النكال والتفت الى الخواجة على وقال له
كنت ارمى هذا فى وسط الجبال لتستريح منه كامل الرجال فقال له على

ياسيدى دعه بخاطره فان عاش فبرزقه وان مات فبأجله ثم رجع عيسى شرف الدين الى مكانه وهو يذم محمود بعد ان اهانه فهذا ما كان من شانه

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر محمود فانه قد كانت زالت عنه النكود لما رأى من اكرام المقادم والجنود وعصبة الحي المعبود وقد زال بعض ماعنده من السقام وأتته العافية لطيب الهوى والكلام ولاجل ماحصل له من الاكرام وفرح بذلك علي وأبدى الابتسام وكان اكثر الناس فرحا الامير ايدمر الهمام حتى جرى له من عيسى هذا الهوان وما رأى من المذلة والنقصان فانكسر قلبه وتغيرت معالمه ولبه وبكى علي نفسه بقلب حزين فزاد عليه الردى والتغبين وجعل ينعى على نفسه بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

أيادهر أشوف منك نوايب ... وكم تعاندنى بكل المصايب
وكم تريني من امور عجيبة ... والله لقد انظر منك عجايب
بليت بالغربة مع بعد الوطن ... وسار دمعي على الخد ساكب
وبامر ربى تغيرت مصالحى ... وبالاقدار أتتنى نكايب
فان فرحت زالت سقامي ولوعتى ... وان حزنت لهبت لهايب
قد سرنى قول الرجال وغمنى ... ما جرى من هذا النايب
فالقهر ليس يبدى راحة ... والفرح ليس يخشى عواقب
فان زالت سقامي وعادة همتى ... ورجعت كالعادة سلماً طايب
لا جازى كل من كان لى منصفاً ... وأخذ بثارى من لئيم كاذب
وان أعانني رب الانام بفضله ... لاكون للاصحاب نعم الصاحب
وأجازى من جازانى بفعله ... وأزيده اضعاف ذاك المكاسب
فيارب اشفنى وعافنى منه ... بحق المصطفى المختار زين الاعارب

عليه صلاة الله ثم سلامه ... ماناح طير على غصن راطب

(قال الراوى) فلما تكلم بهذا الكلام ونطق بمثل هذا الشعر والنظام تأسف ايدمر الهمام وضرب بيد على يد وخبط على راحته وعض وبكى وأن واشتكى وجعل يرضيه بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

متى يشتفى منك الفؤاد المعذب ... ونجم الثريا من وصالك اقرب
لقد لاح فكرى وبعدك حزنى ... عجب عجيب ضاقت على المذاهب
بعد وهجران واشتياق وفرقة ... وصدو تعذيب به العمر يذهب
نصب الهوى شركوا على فصادنى ... فاصبحت في شرك الهوى اتقلب
كعصفورة فى يد طفل يهينها ... تقاسى حرار الموت والطفل يلعب
فلا الطفل ذوا عقل يرق لحالها ... ولا الطير مطلوق الجناحين يهرب
فلو كان لى قلبين عشت بواحد ... وتركت آخر في هواك يعذب
فنى السلام مذجنا الدجا ... سلام طيب بالمدامع يسكب
سألت الله ان يهب لك الشفا ... ويرحم ضعف الكائب المعذب

(قال الراوى) ولما فرغ ايدمر من بكاه وماقاله من لغاه اقبل الخواجة الى محمود ونظر اليه واذا بالمرض قد زاد عليه فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد اخذه على وسار به الى المرستان الذى بارض الشام وكان ذلك المرستان فيه الضعفاء المنقطعين والعيانين المتغربين وكان به رجل يقال له دحروج المرستانى وكان هذا دحروج فاسقاً فى صباه مطيعاً لامر هواه وكان مؤذى لخلق الله كثير الفساد قليل الصلاح والرشاد وهو كما قيل فيه الشاعر حيث يقول صلوا على طه الرسول

قليل الصلاح كبير الفساد ... فساده قد عم كل العباد
كثير الشرور على اهل البرايا ... كأنه من اهل العناد

مد من الخمر والمكاوه جماً ماحاز الاكل بدعة وبعاد
كثير الشرور قليل الخيور يحب الفجور في كل واد
لا يخشى عذاب يوم الحساب ولايخف وهاب رب العباد
يظلم الناس بالظلم والارجاس لايخشى من اقباس كريم جواد

(قال الراوى) فدخل عليه على بمحمود المرستان وقال له خذ هذا الغلام المريض والتى بالك منه حتى انى اعود من المكان الذى انا قاصد اليه وارجع اخذه من عندك وخد هذه المساية دينار انفقهم عليه ولا تحرمه من شيء يقول لك عليه وان انفقت عليه مثلهم اعطيك اضعافهم فقال له دحروج السمع والطاعة ثم انه اقام من تلك الساعة واخذ محمود ووضعه على سرير ووضع فوقه غطاه وفرش له شيئاً من اللباد وترك فوق راسه قلة من الماء هذا ومحمود لايعلم بشيء من ذلك مما هو فيه من ذلك المهالك (ياساده) وقد تركه على فى الشام واخذ المماليك وترك محمود هناك وطاب أرض مصر فهذا ما كان منه

(قال الراوى) واما ما كان من امر دحروج المرستانى وما يقع له من الكلام العجيب والامر المطرب البديع الغريب الذى احب القيه بين ايادى الساده على الترتيب حتى ان كلا منهم يلذ ويطيب وينشرح الصدر بالصلاة على النبي الحبيب وذلك انه كان متزوجا بامراة من نسل الاشراف معدودة من الناس الخيرين اهل الانصاف يقال لها السيدة حسنة الدمشقية رضى الله عنها وارضاها وجعل الجنة قرارها ومثواها وكان هذا الرجل الغدار بعلها وهو متزوج بها فانظر يا اخى ما اتفق لها ولا لمثلها من خباثة زوجها مع طيب اصلها وفرعها وكان هذادحروجا كثر مبيته في القهاوى وغيرهم من السهارى مع الصبيان وأهل الفساد والعصيان

وكان مكان هذه السيدة فوق هذا المرستان وكانت من كثرة رقة قلبها على
الناس العيانين تفتقدهم بالاحسان بعد خروج هذا اللعين فليلة من ذات الليالى
طلعت السيدة الدمشقية تتفقد الضعفاء فرأت هذا الغلام الانين قد انتبه من
نومه وجعل يئن من قلب حزين فلما رأته بهذه الحالة حن قلبها عليه ورحمته
وقالت في نفسها ابعدى بعيدا عنه ولا تسأليه عسى ان يأخذه المنام ويرتاح
مما هو فيه فجلست السيدة بعيدة عنه فهذا ما كان منها وأما ما كان من أمر
محمود فانه لاجل القدر والبلا المحرر جانبه رجل أعجمى رفضى دمى يعبد
النار دون الملك الجبار وهو يصيح مما هو فيه من الالم ويصيح على رأسه
بالنار ولم يزل على ذلك طول الليل على ماطال حتى ان محمود تضايق منه
غاية الضيق وزاد على قلبه هم وتفريق فقال له ياهذا اطلب العفو والنجاة
من الله وقل يارب ولا تذكر اسم النار فقد المتق وزودت على الاضرار
فقال له أنا اذكر الراية الكبرى وأطلب منها الشفا ولا أعبد من غيرها
وانت يا كلب اليزيد تأمرنى ان أترك عبادة النار وهى ساطعة الانوار وصاحبة
الاسرار الكبار (قال الراوى) فلما سمع محمود ذلك منه غضب من كلامه
ونهض يحبى على اقدامه وسار يسير قليلا قليلا حتى أقبل على الاعجمى
وتأمل الى جانب رأسه واذا بسر بست عجمي له رأس مثل الاكره المضلعه
وطوله يزيد عن ذراع وهو كثير المنفعة لانه من خشب الشوم فمد محمود يده
اليه واخذه من مكانه وتأخر الى وراءه ووضع راس السريست فى الارض
ومسك الطرف الآخر بيده اليمنى واستند به حتى وقف على قدمه وانتصب
فى طوله ورفع السر دست بيديه الاثنين وقد توكل على الله وجد الحسين
وضرب الاعجمى فجاءت الضربة باذن رب القدرة على اذنه اليسرى ونصف
رأسه الاخرى ففسخت رأسه وصاح بعلو قلبه يالنار وفهق فهقة فارقت

روحه بدنه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم ان محمود بعد ذلك
عاد الى مكانه وقعد وحمد خالق الخلائق ومحصى العدد ثم انه انجضع
بعد ذلك فنام وتوكل على الملك العلام وركن السردست الى جانبه وقد
استغرق فى نومه ومكاسبه فهذا ما كان منه وأما ما كان من السيدة حسنة
الدمشقية فانها ترى كل ذلك وتشاهده وقد شكرته على ذلك ومدحت فعاله
ونزل حبه فى قلبها من غير محالة ولكنها تعجبت لذلك من قوة قلبه
ولما نام تركته وألقت بالها من قصته وقضيته الى ان اصبح الله بالصباح
وأضاء الكريم بنوره ولاح أقبل دحروج وفتح الباب ودخل يتفقد الضعفاء
وينظر من عاش ومن توفى ثم دار عليهم واحد بعد واحد حتى اقبل الى
الاعجمى فوجده قد عمى وهو قتيل وفى دماه ماقى جزيل فتأمل ذات
الشمال واليمين فرأى السربست العجمى عند محمود عن يقين فعند ذلك صاح
عليه بلغة الشوام وكلامهم الهذيان وقال له والله والله لولا انك مملوك السلطان
لاذقتك الموت والهوان ياأخا القحبا ياذليل يامهان هذا ومحمود ساكت
لايرد عليه جواب ولا يبدى له خطاب فتركه دحروج وخرج من عنده
وأتى بالشيالين وحملوا ذلك اللعين وقال لهم اطلعوا به نحو الجبل وادفنوه
وعن جبانة المسلمين ابعدوه فقالوا له السمع والطاعة وذهبوا به من تلك
الساعة (ياسادة) وقد أغلق دحروج المرستان وذهب الى حال سبيله
فهذا ما كان منه وأما ما كان من أمر محمود فانه تنبه وأفاق على نفسه وتأمل
الاعجمى فلم يره فقال اشهد أن لااله الاالله وأشهد أن محمد رسول الله اللهم
كما ريحتنى من عدوى ان تبرى سقمى وتأخذ بيدى وتزيل عنى مرضى
والله انى الآن وجدت عافية فى بدنى ومرادى انى آكل كشك بصوصان
وسار يذكر الكلام من اول النهار الى ان جاء وقت الاصفرار وقد جاء

دحروج المرستانى فسمعه يقول كشك بصوصان فقال له يافرنان يابنى الف قرنان هذا الذى تذكره يمرض الطيبين ويقتل المتمرضين فلا تذكره على لسانك ولا تجعله يخطر ببالك ثم تركه وانصرف وتركه فى احواله الى حاله وهو مصر على مقاله قال وقد سمعت السيدة حسنة الدمشقية هذا الكلام وعلمت ان مراده الكشك بالصوصان فرق قلبها اليه وحنت جوارحها عليه وقالت والله لاطبخن له ماطلب عسى أن يكون شفاء له مما هو فيه من التعب وان ربى جعل لكل شيء سبب وربما انه يموت وهو طالبه ثم ان السيدة نهضت من وقتها وساعتها وذبحت الفراخ وكانوا ثلاثة فراخ وديك كبير وذلك من دبش دحروج المرستانى ثم طبخت الكشك واحسنته وجعلت عليه الفراخ وأتقنته وكان دحروج له عندها اربعون فرخة وسبعة ديوك وبهم يظن انه ملك من الملوك ثم ملات صحنا كبيرا من الكشك ووضعت فوقه ديكا عتيقا واحتملته على يدها من غير تعويق ونزلت ليلا من باب السر وسارت تمشى قليلا قليلا حتى وصلت عند راس محمود ووضعت الكشك فوق راسه وتركته وعادت الى مكانها وجعلت تنظره بعينها حتى يا كل وتأخذ الباقى من عنده لئلا يراه زوجها فيضربها لاجل ذلك ويسبها فهذا ما كان من أمرها (قال الراوى) وأما ما كان من محمود فانه كان فى غالب أوقاته لاينام من كثرة الالم وشدة ماهو فيه من السقم فلما كانت تلك الليلة أخذه المنام بأمر مدبر الاكوان لما سبق في علم الملك الحنان المنان بينما هو فى شدة اسقامه وقد استغرق فى منامه والكشك عند رأسه والسيدة تنظره واذا قد ظهر فى ذلك المكان نور عظيم يأخذ البصر السليم وفي عقب ذلك النور رجل عابد زاهد شكور فلما أقبل ذلك الرجل صاح بسم الله بسم الله المكان خالى ياعباد الله فعند ذلك النداء

اقبلوا رجلين وقد صفوا الكراسى في الجهتين ثم أتوا بكرسى كبير ووضعوه في صدر ذلك المجلس وصاح الرجل الاول وهو نقيب الرجال وهو يقول ياسادات الارض ذات الطول والعرض احضروا ذلك المحضر كما أمر قطب الاقطاب الاكبر سيدى احمد البدوى والشريف العلوى صاحب الأمداد النبوى فعند ذلك أقبلت الرجال كانهم الاقمار وجلسوا ذات اليمين وذات اليسار ووقف النقيب بين أيديهم بمدح مرشدهم وهاديهم حتى تكامل الديوان وحضرت كامل الاخوان ثم قالت الرجال أين السلطان وبطل الابطال وعين كل انسان فقال لهم النقيب تأنوا حتى تحضر باقى الاقطاب ثم ان النقيب صار يمدح الرسول الحبيب وهو يقول

أمدح نبي جار الغزالة والغزال	ونطق اليه البعير والجمل
وشفعه ربنا فى المذنبين	وخصصه البارى بحسن العمل
وارسله رحمة لكل العالمين	هادى ومهدى وكامل مكتمل
من عليه صلى وسلم ربنا	وقربه ثم أدناه عزيز أجل
وخلق العباد لاجل النبى	ولولاه ماخلق ربنا ولا كان أمل
توسلت بالهادى نهار موقفى	عسى به يثبت الاقدام وينفى الزلل
ومن توسل بالنبي غن حقيق	يقول فى نهار الكرب والخبل
كلنا على قدم احمد نسير	وهو العقيدة يوم الرحيل والوحل
وانا الاخر أصلى وأسلم عليه	واسأله الغفران قوم بالمحل
وأنا مادحه نقيب الرجال	عسى ان يعدنى منهم بطل
اسمى الجوهرى وما سميت	الا بجوهر مدح النبي أصل الاصل

قال الراوى ولما فرغ نقيب الرجال من مدحه وذلك المقال اقبلت الثلاثة الاقطاب أقطاب الرجال وسلموا على بعض الابطال وقد وضعت لهم

الكراسى العوال وجلسوا بين الرجال وراق الحى وذهب الضلال ونامت الاعين باذن الكريم ذو الجلال ولما استقر بهم القعاد اقبل فحل الرجال الاجواد صاحب العطايا والامداد كثير العدل والرشاد وخادم باب سيد العباد وبيده قضيب خيزران مافيه اعوجاج وبين يديه المنادى ينادى يا أبا فراج فلما سمعت الرجال بذلك الاقوال نهضوا الجميع الرفيع منهم والوضيع ووقفوا عن كراسيهم وأجلسوه وقبلوا يديه ووقفوا على اقدامهم حتى جلس على الكرسى امامهم وبعد ذلك أمرهم بالجلوس فجلسوا ولم يكن أحد منهم يتكلم بكلمة قبله والنقيب بين يديه منتظر أمره ونهيه قدر ساعة زمانية ثم ان الاستاذ الاكبر قرأ الفاتحة الى سيد البشر وأمر النقيب بقراءتها بجهر فقرأ النقيب وقد كانت هذه لكل الامور فاتحة وبها ناجحة وبعد ذلك قال السلطان كل من كان له كلام أذنت له فيه بشرط ان يظهر معانيه ومبانيه فقال احد الاربعة ياسلطان الرجال وبطل الاعيان هذا ملك الزمان وفارس العصر والاوان وهو الذى ينصر الاسلام ويقيم الاحكام ويذل جيوش اللئام فقال الثانى هذا هو الذى يفتح السواحل والبلاد وتطيعه أهل السواد وينصره النبى الهادى فقال الثالث سبق في علم الله ان كل شيء بقضاء الله فاطلبوا له من الله ان الله يكشف ضره وبلاه فقال آخر أطلبوا من الحق البرايات واسألوا صاحب العطايات ان يزيل عنه جميع المضرات فما منكم الا وهو مجاب الدعوات وتكلم كل انسان منهم بمثل ذلك الاشارات فقال السيد أحمد البدوى اعلموا ان هذ ولدى ولا بد أن ياخذ عهدى ويحفظ ودى وأنا سألت الله العظيم رب موسى وابراهيم وزمزم والحطيم أن الله ينصره على جميع أعداه ويذل له العتاه فقال الدسوقى أسأل الله العظيم رب موسى الكليم أن الله يريه ليلة القدر عن قريب ويكون دعاه

فيها مجيب فقال الجيلاني الله تعالى يملي قدره ويدبر أمره ويهدي سره ويطيل حكمه وينصره فقال صاحب الوقت اللهم اشف كل من كان في هذا المكان لاجل خاطر هذا الانسان ثم بعد ذلك قرأوا الفاتحة وجلسوا فقال السيد للنقيب هات الذي عند رأس هذا الغلام فاتاه بالكشك وقدمه له وللاعيان وقال دستور ياسلطان أقدم لك هذه الهدية ولي الامان فقال له والله انها لهدية عظيمة وعزومة مقبولة غير ذميمة اللهم اشف كل من أكل منه ثم ان السيد مد يده فيه ولعق لعقة واحدة وكذلك كل الرجال ثم بعد ذلك قال للنقيب اوضع هذا مكانه فالله يجود على من جاد علينا باحسانه ثم نفض السلطان المنديل فسار كل منهم الى حاله والسبيل وأخذ النقيب الكراسي وانصرفوا الى حالهم فهذا ما كان من أمرهم (قال الراوي) وأما ما كان من أمر محمود فانه بعد ذلك أفاق على نفسه وتأمل فوق رأسه فوجد مطلوبه وما اشتهته نفسه عند رأسه موضوعا وهو طاجن مملق من الكشك وهو مختوم ثم انه مال اليه فأكل أكثر من ثلثيه ورفع الماعون بعيداً عنه وغسل بعد ذلك يده وحمد ربه ووضع رأسه فنام وأخذه المنام باذن الملك العلام فهذا ما كان منه وأما ما كان من السيدة حسنة فانها لما عاينت ذلك الفعال فرحت غاية الفرح واتسع صدرها وانشرح ونزلت من مكانها وأخذت باقي الكشك بيدها ودارت به على الضعفاء وصارت تطعم كل واحد منهم بيدها فبأمر الله الكريم محي عنهم ذلك السقم والانين ثم انها نهضت بعد ذلك الى مكانها وأصلحت شأنها وفرشت فراشها ونزلت الى محمود وأخذته الى عندها وأجلسته على فراشها وقالت له ياولدي اجلس على هذا الفراش فانت أعز على من جميع الناس فدعا لها وشكرها واوثق عهد الله بينه وبينها بانها تكون امه وهو ولدها والله شاهد عليه

وعليها ولم تزل السيدة الدمشقية تكرمه وتذبح له من ذلك الفراخ وتلبسه
افخر الملابس الغوال حتى نفدت جميع الفراخ وقد مضى عليه اربعون
يوما تماما فاتاه الشفاء باذن خالق الارض والسماء فيوم من الايام بينما هما
جالسين ومع بعضهم مقيمين واذا بدحروج قد اقبل عليهما وكان دخل الى
المرستان فراى كل من كان فيه كانه الحصان والجميع اتتهم العافية في الابدان
باذن الملك الديان فاصرف الجميع ولم يبق عنده في المرستان ولا انسان
حتى انه افتكر محمود واستفقده فلم يره ففتش عليه مكانه فلم يرى له
أثرا ولا بيان فصعد الى منزله فوجده قاعدا مع زوجته السيدة حسنة فقال
لها عشقتيه يافاجرة ياقبيحة ولكن انت الآن بارزة من ذمتى انت كامى
واخواتى فلما سمعت منه ذلك فرحت واستبشرت وقالت له اخرج عنى
الى حال سبيلك فقال لها اعطنى متاعى وهاتى لى فراخى فلم ترد عليه جواب
ولم تبد له خطاب فاتى الى القفص فلم ير فيه الا الريش المقصص فنزل من
عندها والغيظ كاد أن يخنقه وأقسم بما اقسم أنه لايعود اليها أبداً فهذا
ما كان من أمر دحروج وأما ما كان من أمر محمود فانه انتعش من المرض
وزال مافيه من المضض وقد عافاه الله من السقم ودفع عنه ذلك الالم فحمد الله
وأثنى عليه وذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ولم يزل يتعافى
وتأتيه العافية الى ان استهل شهر رمضان ودارت الرؤيا بارض الشام ونادى
نايب القاضى بالصيام والصيان فنهض محمود من عند امه السيدة حسنة وتزل
بتبديلة له خفيفة نقية وهو يتوكا على الدست العجمى ولم يزل ساير الى
ان اقبل الى جامع سيدى عبد الله الاموى وكان ذلك وقت العصر فتوضا
وصلى العصر ثم قرأ آية الكرسى عقب الصلاة وأعقبها بما تيسر من كلام
الله القديم الذى تلاوته وسماعه يشفى السقيم وكان له صوت رخيم بياوقد

كان رطبا لاجل عياه والتأليم (ياساده) يا أهل التنظيم فلما سمعته الناس
ورأوا ماحازه من السعادة أحبته النـاس وأعطته الاحسان وقد تقربوا اليه
بالعطايات والامتنـان وهو يأخذ منهم ماعطاه الله ويتصدق به على العباد
لانه ماكان محتاجا لمثل ذلك الانقاد وقد تداولت عليه الايام فيوم من بعض
الايام صلى الامير محمود صلاة العصر وقد خرج من الجامع وأراد الذهاب
الى بيت امه اذ نظر فى طريقه رجل خياط بين يديه غلام يقرأ فى كلام الله
الملك العلام غير أنه يكسر الحروف فاقبل اليه وقال له يا أخى احسن قرأتك
وانظر الى المصحف ببصيرتك فان الله يجزى المحسنين ولا يضيع أجر المتقين
وهذه القرأة غير مقبولة لانها ملحونة ومبدلة فلما سمع الرجل الخياط ذلك
منه نهض له وتلقاه وأكرم مثواه وأجلسه الى جانبه وقبل حواجبه ثم قال
له ياولدى انا أخاويك بعهد الله بينى وبينك وأكون والدك وأنت ولدى
وهذا أخوك لاجل أن تعلمه القرآن وكلام الملك الديان فما تقول في ذلك الامر
والشان فقال له يا والدى لقد قلت الصواب ونطقت بأفصح خطاب ثم ان
السيد حسن الخياط أوثق العهد بينه وبينه وكذلك ولده والله على ذلك
من الشاهدين ثم ان محمود جعـل يقرى الغلام الخياط وكان يسمى بعلى
فيوم من الايام بينماهما جالسين وعلى رب العباد متوكلين واذا برجال مقبلة
وغبرة مستقبلة وعيال تجرى ونساء تصيح وشبان هاربين ورجال مقبلين
يدل ذلك على كرشة أو نهبة فقال محمود ماالخبر فقالوا هذا سعيد الركبدار
وهو رجل من الاشرار وهو صاحب عزم واستكبار مفسد لكل من يراه
ومؤذى لكامل عباد الله فقال محمود نستعين بالله عليه ولكن ماذا فعل
حتى صارت الناس منه فى وجل فقالوا له قم انت من مكانك وخذ اخيك
لئلا يراكما هذا العنيد يأخذكما ويريكما التنكيد لانه ظالم غاشم فقال لهم

محمود لله الامر ولا شيء أحسن من الصبر على الانسان وسيهون الله علينا كل عسير بجاه المصطفى البشير النذير فبينماهم في الكلام اذ اقبل سعيد الركبدار صاحب الغواير الكبار الى دكان الاسطى حسن الخياط وتأمل فرأى ولده جالس الى جانبه الامير محمود وهو يقرأ عليه كلام الله الملك المعبود فقال له قم أيها الغلام وسر معي الى الدار فاني اريد ان تبات عندي هذه الليلة فقال له والده وكان يعرف فسقه اكرمه لاجل كلام الله تعالى فان هذا ولدي يقرأ القرآن وينسب لسيد ولد عدنان فقال له اخرس يا قرنان يا ابن الف قرنان فلما سمع محمود ذلك الكلام الهزيان امتزج بالغضب وفاض عليه الغيظ والكرب وتقدم الى سعيد وقال له الى أين يمضي معك فقال له الى داري لاني قد أحببت انه يبات عندي فقال له دعه لاجل خاطري وانظر لنفسك خلافه فناداه ياولد الزنا وتربية الخنا من مثلك يراجعني وفيما أردت يمنعني وحق رأس سيدي عيسى شرف الدين اذا لم ترجع عن ما أنت فيه لاخذك معه أحمي فيك وأطفي فيه فقال له محمود هذا لا يكون أبداً ولو سقيت كاس الردى فغضب سعيد الركبدار وهجم على محمود وأراد القبض عليه فانقلب محمود من بين يديه كانه الثعلب بين اسراع ومد يده بطول الباع الى السردست العجمي وضرب سعيد الركبدار ضربة أورثه البوار وقد وقع الى الارض يختبط في دماه وقد عدم الحياه هذا وقد نظر السيد حسن الخياط الى ذلك فخاف على نفسه من شرب كاس المهالك واغتم غما شديدا ماعليه من مزيد وقال لمحمود ياولدي لاي شيء فعلت هذه الفعال وأورثت هذا النكال أفلا تعلم ان هذا سعيد الركبدار الذي لم يوجد أحد يقدر يقاومه من الكبار ولا من الصغار ولو كان بطلا مغوار وهو كلمة نايب الشام فقال له ياوالدي اعلم أن الحق

معنا فلا تخاف وامض الآن الى نقيب الاشراف واخبره بما جرى من غير خلاف فقال له الخياط هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انه أخذ ولده في يده وسار الى نقيب الاشراف فهذا ما كان منه

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر الامير محمود فانه جلس على الدكان كانه الاسد أو النمر الحردان ولم يأخذه خوف ولا فزعان فهذا ما كان من الامر والشان وأما سعيد الركبدار فان رفقاه حملوه فى تابوت ورفعوه على الاكتاف وساروا به الى ديوان عيسى شرف الدين بالاتفاق فلما رآهم عيسى على مثل هذا الحال سألهم عن الاخبار فقالوا تعيش راس مولانا باشت الشام وعظم الله أجرك فى البطل الهمام سعيد الركبدار المقدام فلما سمع ذلك الكلام باشت الشام صار الضيا فى وجهه ظلام وقال من فعل به هذا الفعال من الرجال فلا بد أن أسقيه كاس الوبال فقالوا له غلام مملوك وما هو من أولاد الملوك بل انه صعلوك وهو ابن السيدة حسنة الدمشقية وهو جالس عند حسن الخياط في دكانه فلما سمع عيسى ذلك الكلام والاختباط قال لهم وما فعل معه سعيد من الاسباب حتى انه أورثه العذاب وأذاقه المصاب قالوا له يامولانا مافعل شيئاً يوجب القتل وانه أراد القبض عليه فلم يقدر عليه سيما وقد قتل هذا البطل المغوار ولم يأخذه خوف ولا اضرار فعند ذلك صاح بالوالى فحضر بين يديه فقال له خذ طايفتك واتنى بهذا الولد اللئيم الانكد فقال له سمعا وطاعة ونزل بطائفته من تلك الساعة ولم يزل ساير الى ان اقبل الى الدكان فوجد محمود جالس كانه الاسد الغضبان فقال له انت الذى قتلت الركبدار واسقيته كاس البوار قال له نعم أنا الذى قتلته وبيدى هلكته وبهذا السردست ضربته وانا لا اروح معك ابدا وان لم تمض من قدامى فعلت بك انت الآخر مثله

والحقتك به قال له تخالف امر نائب الارض والبلاد وتعصى عليه من دون العباد فقال له نعم لا اروح ولا امضى فاذهب من عندى ثم جرد الدبوس وطلب الوالى وبعيلته لايبالى فلمـا راى منه عين الغضب خاف على نفسه من العطب فولى الادبار وركن الى الفرار ولم يزل فى هزيمتـه حتى اتى الى عيسى شرف الدين وقص عليه قصته وقال له ان الغلام يقول لايأتى الا برسول مرسل من طرف الشرع الشريف فيأتى معـه من غير تعنيف فقـال عيسى الناصر شرف الدين سمعتم ياعلماء الاسلام ما قال وما فعل هذا الغلام وكيف فعل من الاضرار وقتل الركبدار وعصى امرى سرا واجهار فقالوا له العلماء ان الحق معه وانه متبعه فاعلم ان هذا قتيل وهو الذى قتله وان هذا الامر لايتم الا بنص الشرع وقوله واننـا نقول انه لايعصى شرع الرسول وان عصى جازيناه فقـال عيسى ارسل اليـه فأخذ سلخة من الورق وكتب فيها سطراً واحداً من غير زيادة ولا نقصـان وجعل الورقة فى جريدة خضراء وارسلها الى محمود صحبة اثنان من طرفه فسار الاثنان الى ان اقبلوا الى الدكان فسلموا فرد عليهم السلام وقال لهم ماالخبر قالوا له انت قاتل الركبدار قال نعم وحق الملك الجبار قالوا له وانت الذى عصيت الوالى قال نعم وبامثاله فلا ابالى قالوا له أجب الشرع الشريف قال لهم السمع والطاعة من غير تخليف لان القاتل ماله الا الشرع ولكن سيروا قدامي وأنا على أثركم الى عند من ارسلكم فقالوا له بل أنت تسير قدامنا فقال لهم دعونا نسير سوى مع بعضنا فساروا معه وسار معهم ولم يزالوا كذلك الى الديوان فقدموه الى بين يدى القاضي وقالوا له هذا الذى قتل الركبدار فاراد أن يقيم الدعوه بالانصـاف حكم ماأمر مولانا جد الاشراف واذا بعيسى صاح على اتباعه خذوا هذا الغلام الى نطعة الدم

واسقوه كاس العدم فقال له القاضى اصبر حتى نقيم الحدود عليه وننظر مايكون جزاؤه ونرى الحكومة بامر الملك الوهاب ونحكم على قدر مانرى من الاسباب فقال لهم اعلموا ان من قتل يقتل ومن زنا يحد ويرجم والسلام فقالوا له تقتل بغير حق ومن غير ان يثبت عليه القتل قال ثبت عندى ولا بد من قتله بين يدى ثم صاح على السياف ان اضرب رأسه فتقدم اليه السياف وتكاثروا عليه أهل النفاق فاوثقوه كتاف وقووا منه السواعد والاطراف وانتدب على رأسه السياف فلما رأى ذلك وشاهد بعينه ذلك المهالك قطع العلائق من الخلائق وتوسل بالملك الخالق ورفع وجهه الى السماء قبلة الدعاء وقال هذه الابيات صلوا على كثير المعجزات

يارب خلصنى من العناد وشره ... وأذهب يارب لوعتى وشقاق
وامنن على بالخلاص تكرما ... وامح عنى بلوتى وفراقى
ورد عنى ياسيدى كيد العدا ... وا كفينهم من شر كل عقاق
انت العليم بما قد نالنى من غدرهم ... وانت الكريم على صدهم والباق
سأطلب منك النجدة من شدتى ... وأطلب الاسعاف والاشفاق
توسلت اليك بخير الورى ... محمد سيد المرسلين بالاطلاق
عليه صلاة الله ثم سلامه ... ماحن قلب وزادت الاشواق
وكذا الآل والصحب جمعا ... من ابتدا الدنيا ليوم التلاق

قال الراوى فما تم محمود دعاءه وتضرعه الى مولاه وعالم سره ونجواه حتى جاء الفرج القريب باذن الملك المجيب وعلى بن الوراقة داخل من باب ديوان الشام وكنا ذكرنا انه توجه الى مصر بالجلبة وذكرنا انه عاد الى الشام باذن صاحب القدرة والهيبة (قال الراوى) وكان لرجوعه سبب عجيب وأمر مطرب بديع غريب وذلك انه لما ترك محمود بالشام وعاد طالب ديار

مصر فرأى فى منامه ولذيذ أحلامه الملك الصالح نصب على قدامه وهو يقول له وعزة الربوبية ان لم تأت الى بالمملوك متساعى وتعود الى ارض الشام لاجله وتنجيه مما هو من وحله لم تدخل بلدى الا ادركته بعد ان الملك الصالح صاح فيه فانتبه مرعوب من منامه وترك المماليك مع اتباعه وعاد الى الشام وذهب الى المرستان فلم ير محمود فيه فسأل عنه فاخبروه بما قد جرى وانه في تلك الساعة تضرب رقبته فسار على عجل وقد أخذه الخوف والوجل ودخل من باب الديوان وسلم على كامل الرجال والاخوان وتقدم الى عيسى شرف الدين فهذا كان اصل السبب وسنرجع الى سياق الكلام باذن الملك العلام

قال الراوى وأما ما كان من علي فانه قال لعيسى ياسيدى هذا الغلام مملوك بن عمك ولحمك ودمك الملك الصالح نجم الدين ايوب ولى الله المجذوب فلا تقتله واذا كان فعل شيئاً ارسل اليه عرفه لانه سيده والآن فاتركه فيقال له هذا اقتل ولاله دية وماذا يقول الصالح فى الحق فقال على بن الوراقة اعلم ان هذا الغلام فى طرفي وفى تسليمي ولا أحد يأتى فيه بحركة من غير اذن سيده الملك الصالح وانت طالب قتله جبراً عنى وانا لا امنعك عنه ولا احوشك عن قتله ولكن اعطنى حجة شرعية باختام العلماء المسمية واسمك وختمك فيها بالكلية بأنني ادركته فى ديوانك وهو على قيد الصحة والعافية ومنعتنى منه وقتلته ظلماً وعادية وانا آخذ الحجة وانصرف واقابل بها ابن عمك الملك الصالح ايوب فقال له اما من خصوص الحجة فلا اكتبها ولا شيئاً مثل ذلك ولا بد من قتل هذا و شرابه الهلاك فقال له ما كان ذلك ابداً ولو سقيت لاجله كاس الردى هذا وقد تكلمت العلماء الذين بالديوان واشتد عزمهم بتابع السلطان فبينماهم في الكلام واذا بنقيب الاشراف طالع

من باب الديوان وصحبته السادة اهل الاحسان من جملتهم السيد حسن الخياط وولده وهم ينادون على بالويل والثبور وعظائم الامور ويقولون لايحل من الله كيف تأخذ اولاد الاشراف الى الفساد والتلاف ومثالنا موجود في الارض والبلاد ومن مثلك حتى يسلط الركبدار على الاشراف الاحرار والله لولا هذا الغلام الذى شرفنا والا كان هذا اللعين اتلفنا فمن هذا الذى نراه فى نطعة الدم فقالت العلماء هذا الذى قتل الركبدار فقالوا هو الذى حمى عرضنا وقتل خصمنا قالت العلماء نعم هاهو الذى فعل ذلك وان عيسى طالب قتله لاجل ذلك فقالوا جزاه الله كل الخير ولاى شيء ياعيسى تظلمه وفى هذا لاتكرمه فوعزة الله ننفيك من على الشام ونولى خلافك فى الاحكام ولايقدر احد ان يمنعنا عن ما نريد ولو كان ابن عمك الصالح والعهيد ثم نهض نقيب الاشراف وقطع بالخنجر من محمود الكتاف وقال له قم ياولدى الله يعزك ويعلى قدرك ويهلك ضدك والله ياعيسى ان لم تقعد في اقل من أدبك والا طردناك وربما قتلناك ثم نزلوا بمحمود من الديوان على حمية بقدرة وامكان وساروا به الى منزل امه وقد زال همه وغمه فلما رأتهم السيدة سلمت عليهم واكرمتهم وفرحت بسلامة ولدها على يدهم وقد تبعه على بن الوراقة فعرفه وسلم عليه وقبل يديه واثنى عليه وبعد ذلك انصرفت الاشراف الى حال سبيلهم فهذا ما كان من امرهم وأما ماكان من أمر عيسى الناصر فانه زادت بلوته ونمت علته وقد كادت ان تنفطر مرارته وقد حمله على ذلك الحسد وتمنى انه لم يوجد فأمر بدفن سعيد الركبدار وقد خاف العار فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من أمر السيد حسن الخياط فانه اقام في مكانه وحمد الله على احسانه وسلامة محمود وولده فهذا ما كان منه

قال الراوى واما ما كان من أمر علي بن الوراقة فانه بعد انصراف الاشراف اقبل على محمود وقال له الحمد لله الذى عافاك واقر عيناك وهداك ومن هذا الامر نجاك ولكن انى الآن ما أتيت الا بسببك وانت مطلوب الى الرحيل معى الى مصر فقال له السمع والطاعة ثم انه بات معه تلك الليلة عند امه السيدة حسنة الدمشقية ولما جاء الصباح تودع من امه ومن رفقاه ومن اصحابه واحبابه ومن السيدة حسنة ووالده وسار مع من دعاه وقد خرج به عن ذلك المكان واراد ان يسلك به البر والوديان واذا قد اقبل عليه انسان له عليه اديان وهى ماية دينار وكان هذا الانسان يقال له على بن الاقواسى وكان هذا على فى كل الامور قاسى فلما رآه قال له الآن شيخ الوفا وصاحب الدين يلقاك استغنى ومن كثرة الصبر اكتفى فأعطنى ماية دينار قال وكان على لما عاد عاد على عجل ولم يكن معه شئ من الفضة ولا من الذهب فقال له يا أخى دعنى هذه المرة وانا أعطيك كل ما كان على مرة أخرى فاصنع معى المعروف فانه لايضيع عند الملك الرؤف فقال له وحق من جعلنى على ابن الاقواسى وجعلك على بن الوراقة لاتنقل قدمك حتى تحط ما كان عليك من دينك فقال له والله ياسيدى علي ما معى شيء من الحطام ولا احتكم الآن على درهم واحد وحق رب الانام فقال له اعطى هذا الغلام فقال له هذا مال السلطان ومالى فيه طريقة ولا امكان فقال له انا لا اعرف السلطان ولا الوزير وانا آخذ هذا منك فى مثل الدين الذى عليك والسلام ثم هجم عليه وأخذ محمود من بين يديه وقال له هذا عندى رهين على ما عليك من الدين فلما أعياه الامر وزاد على حد القياس اخذه الوسواس وطلب الذهاب الى امه او الى نقيب الاشراف ويأتى من عند احدهما

بالمبلغ ويأخذه ويرجع فبينما هو عازم على ذلك اذ هتف به النوم فرأى الصالح قدامه يقول له ياعلي دعه هنا على سبيل الرهن فان له عيشاً يأكله وأمر يفعله فاستيقظ على بن الوراقة وقد تعجب غاية العجب وترك محمود امتثالا لامر السلطان وعاد طالب مصر فهذا ما كان منه

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر على بن الاقواسى فانه أخذ محمود وسار به الى مكانه بقدرة الله وسلطانه وكان له زوجة يقال لها عائشة وكانت أشقى أهل الارض فلما أقبل ضرب الباب برجله فردت عليه زوجته من داخله من بالباب فقال لها افتحى ياخاطبة فقد أتيتك بغلام يحمل الشايين على طول الزمان فقالت له جزاك الله خيرا واحسان قال وكان هذا الشلبين له وصف عجيب وهو ان له رأسا مثل الصومعة ورقبته من أسفلها رقيقة وله كرش كبيرة قدر كرشة البعير وله رجلان مثل أبو قردان وله وجه شنيع بقوره مثل العجل النجيع وكان يسميه فخر الدين حبظلم بظاظه وكان عليه لسان كانه لسان أرقم أو ثعبان وكان كلب بن كلب والسلام كما قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات

له وجه كئيب وقورة ... كالعجل الرضيع المزعج
وعينان مثل النار قد اشعلت ... ولسانه كمثل الارقم المتعجعج
وكرش بعير يأكل لكل مار ... ولو كان سما نقيعا ممسرج
مانجا من يده ولا من فمه ... سواء من سلم أموره للمفرج
خلقة الله الكريم بديعة ... وقد خوف بهذا الكل معجعج
فالخلقة مرسلة بأمر ربها ... الى أهلها من طيب وبهرج
مامثله يوجد فى الانام جميعها ... كلا ولا فى الجبال من الوحوش المدرج

(قال الراووى) فلما دخل محمود عليه تأمله وقال له من أنت قال

أنا مملوك ياسيدي فقال له سلامات يامتبوكين وكان يااخواني بالاتفاق الذي يجب ان يكتب ويسطر في الاوراق هذا اليوم يوم السابع والعشرون من شهر رمضان وذلك لامر يريده الملك المنان هـذا وقد قالت عائشة أم الشاميين ياغلام خذ حوائج سيدك واغسلهم على نهرقليط فقال لها سمعا وطاعة وأخذ الحوائج وسار بهم الى ذلك النهر وجعل يغسلهم شيئا بعد شيء وهو يزيل مابهم من الاوساخ والقذرات وينشرهم الى جانب الفلوات فبينماهو كذلك واذا بأولاد اسماعيل مروا عليه ورأوه وهو على مثل ذلك الاحوال وقد حققوه ولـكن هو لايشعر بهم ولا عرفهم ولا نظرهم فهذه يكون لها معايرة كبيرة فى الكلام القابل اذا وصلنا اليه تحدثنا عليه النبى فازمن صلى عليه (قال لراوى) وأما ما كان من محمود فانه غسل الخرق والثياب وعاد بهم طالب الديار فلما دخل أخذت منه الثياب وقالت له خذ دشش هذا البرغل في الرحا ودقه خارج الباب فكان لامرها مجاب وجعل يدق فيه ويصلح شأنه فمرت عليه المقادم مرة أخرى فرأوه على هذه الحالة وعرفوه فاسروا ذلك فى قلوبهم ليكون بها معايرة أخرى نذكرها فى محلها اذا جاء وقتها ومكانها وآن اوانها فلما تهيا الفراغ من ذلك قالت له خذ سيدك وسر به الى حجر الشيخ فقال السمع والطاعة وسار به وقد وضعه عند الحجر فقال له هات لي حلاوة فأتى اليه بمـا طلب فأكلها وكان كثير الدناوة فلما أكل ذلك طلب بندق فتركه محمود وذهب ليأتيه بمـا طلب منه وقد لعب مع العيال وكسب منهم وعاد له بالبندق وجعله فى حجره ويأكل فيه ولا يترك قشره قال فبينما هو يلعب مع الصبيان وكل ما يكسب شيئا يأتي به اليه فيأكله هذا العفريت الشيطان فبينما هو كذلك واذا بالمنادى ينادي ويقول يااولاد الشام يااهل الفنون والاحكام قد ظهر بارضنا مسارع

يدرى حق السراع وانه في ذلك طويل الباع وقد لعب مع أهل الفنون فلم يجد أحدا قدر عليه بأى أمر يكون وانه الآن يريد ان يلبس القفطان ويكون كبيرا على أهل الفنون فى هذا الزمان في كل فن كان فماذا أنتم قائلون فقالوا اولاد الشام نحن كنا له اتباع وشهدنا له بفن السراع وطول الباع وأمره علينا مطاع وانه يستاهل المشيخة وتربية الاتباع (قال الراوى) فلما سمع محمود ذلك النداء فى ذلك المكان فعلم ان هذا محمود العجمى القرنان فما هان عليه ذلك الامر والشان فنهض من ساعته وخرج منديل وربط اطرافه بهمته وجعل على كل طرف شيئا بمعرفته وفصاحته ثم انه كبب المنديل وحدفه بين أيادى النقيب فلما رأى ذلك قال الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين يااولاد الشام وأهل الفصاحة والرجاحة والأفهام قد ظهر لهذا الغلام خصيم من الاخصام وهو يريد الملاعبة معه فى هذا المقام فماذا أنت قائل يامحمود فلما سمع محمود المدارع بمثل ذلك قال له ومن أعلمك بان هذا الغلام الذى ظهر من الشام هو خصيمى من دون الانام قال له علمت بهذا المنديل لانى رأيت فيه علامات غير قليل فالعلامة الاولى انى فككت العقدة الاولى فرأيت شريفى ذهب أحمر ملتهب فعلمت بفن المعرفة والادب لسان حال الخصم يقول هذا شريفى شرف الملاعيب وهو بخصوص النقيب ورأيت بالطرف الثانى نصف ديوانى فعلمت ان لسان حاله يقول هذا نصف من الفضة ولا بد ان اجعل امر وهذا القيم من فضه والثالث عليه جديد احمر شبيه الحديد فعلمت ان لسان حاله يقول هذا جديد الرهان وسيظهر كل ذلك ويبان والطرف الرابع فارغ فعلمت انه يقول انا له منازع وعن مطالبه مدافع وساجعل قلب الخصم منى فازع

(قال الراوى) فلما سمع محمود المسارع كلام النقيب صاح بعلو صوته من كان يستكثر على منصى وهو يقدر على ملعبى فليبرز الى بين يدى وأنا أصده وأرده واهزل مقامه واهدمه فقال له النقيب وقد ضرب الشريفى الذهب فى شدقه اعلم انه جاءنا بموجب الفنون ومعرفة أهل الفنون ولا بد مايرد عليه كلام أهل المعارف وندعيه الى مقام التصارع وننظر ان كان ثابت أم خائف فقال له النقيب انده عليه فصاح النقيب يقول صلوا على الرسول

أيافارس العصر والازمان ... وفريد دهرك والاوان

قد طلبك الخصم يوما للقا ... وقد دعاك الى حومة الميدان

فاخرج اليه ولا تبالى ... وسلم أمورك للعلى الديان

وابرزا اليه الآن حقا ... ولا تجعل أحد يمض لسان

وسلم أمورك للذى رفع السما ... اله تعالى عظيم الشان

وان كنت تعرف معنى كلامى ... فانت عندى كثير البيان

وتبقى غالب الاخصام جمعا ... وتحوز دون الورى جموع فنان

وان كنت لاندرى فلف العناد ... ولا تعاند بروحك للزمان

فكل لبيب يفهم مقالى ... وكل بليد لا يعرف بيان

وقد صح عندى انك فهيما ... وانك فارس الفرسان

فان كنت مثل طى فاقبل ... والافاخرج من ذلك الاخوان

ودع هذا يصير رجيحا ... ويلبس على زعم انفك القفطان

(قال الراوى) فلما سمع الامير محمود ذلك الكلام تقرب من مكان الى مكان حتى رأوه بالاعيان ونظروه بالاحداق جميع الاخوان وجلس ولابدى كلام فعرف النقيب المعانى والافهام وقد صح عنده انه من أهل

العرفان في ذلك الازمان فتكلم النقيب بهذه الاوزان

ألا يافارسا قدطلبت المعالى اظهر لخصمك ولا تبالى
ولا تبدى كلام نقص يعدوه عليك جميع الرجال
فان رأيت نفسك قياس حرب فلاتخشى الملال ولا الدحال
وان كنت بليد ذهن فدع التقادم بالهزالى
وقدصح عندى انك لبيبا ولا لك في كل الانام مثال
فان كان ظنى حقا صحيحا فقد بلغت المنا وكل السؤال
وكنت الغالب على كل خصم وقد فهمت ذلك بالمقال
واسأل الهى النصر دوما هو الكريم ومولى الموال
بحق المصطفى زين القيامة هو الشفيع غدا لكل العيال

قال الراوى فلما فرغ النقيب من ذلك الكلام تقارب منه محمود ووقف على جناحه وقال له دعنى من هذا الكلام وامدح لنا من ظللت عليه الغمام فابتدأ النقيب يقول هذه الابيات

سلام على من أتى بالهدى فياوب اقرأه منى جزيل السلام
وقل له ياريح بلغ المصطفى بانى مادحه بطول الدوام
وخبره يانسيم بانى اليه ملتجى غدا نهار الزحام
عسى يكون لى شفيع فى القيامة عند رب الانام
لانه شفيع جميع المذنبين ربه عطاه الرضا والمقام
من فضله ربنا واجتباه وارسله رحمة لكل الانام
كما يجير من حر نار الجحيم بحق مولاى العليم محى العظام
وخذ بيدى فى جواز الصراط لانى أخاف من زلة الاقدام
وفى القيامة تكون لى نصير يوم تستجير العالمين من الزحام

أنت الذي اله السما صلى عليك   وقد خصصك ربنا بالسلام
وخصص لمن يصلي عليك   قصور يدخلهاوهي دار السلام

(قال الراوى) فلما فرغ النقيب من ذلك الكلام صاح وهو يقول هات لعندي ياصاحب العلامات ومعدن الاشارات فعندها انتزع محمود وخلع ماعليه من اللباس حتى انه سار في السراويل وقدكثرت فيه الاقاويل فمن الناس من يقول هذا مقتول ومنهم من يقول هذا بهلول وقد ظهر من تحت الملابس جسمه وتقدم الى عند خصمه وقد انطبقا على بعضهما البعض في وسيع تلك الارض قدر ساعتين من الزمان وقد ظهر الفخر وبان وتامل محمود المسارع فرأى نفسه مع الامير محمود غير نافع فاقبل عليه وقد اظهر عجزه اليه وقال له ياهذا اتريد انك تفضحني بين هؤلاء الرجال فدع عنا هذه الملاعيب وتوعدهم الى غدا واذا كان من الغد فلا اسكن ارضا انت بها ابدا وان اقمت فيها الى غدا فقد استوجبت شراب الردى وقد احتك دمى فاصفح الآن عنى ودعنى فقال له الامير محمود والآن ما تحاربنى فقال له اعلم انني لم أقدر أقوم معك ولا أعد من اقرانك ثم افترق عنه الى بعيد وقد رأى عجزه القريب والبعيد ثم ان محمود المسارع صاح على النقيب بعد ان شاور الخصم في ذلك فان لم يرض فالامر اليه ثم مال النقيب الى محمود وقال له ياسيدى تريد ان تدع الملعوب الى غد فقال له اعلم ان الخصم غلبان وقد طلب منى الاقالة والامان وقد اجبته الى ذلك وان جاء غدا وحضر الخصم سقيته شراب الردى ثم انصرف كل منهم الى حال سبيله فاما محمود رحل من وقته وساعته طالب أرض مصر فهذا ما كان من قصته واما النقيب وارباب الفنون توجهوا الى حال سبيلهم فهذا ما كان من امرهم (قال الروى) واما ما كان أمر الامير محمود

فانه عاد ذلك الى سيده فخر الدين حنظلم بظاطه فوجده قد ركب على حجر التاريخ وجعل يلعب عليه فثقلت دماغـه فسقط على أم رأسه فانشجت وسال دمه وعلت اصواته وزادت حسراته فأقبل الامير محمود وقد وجده على هذه الحالة فخاف على نفسه خوفا شديدا ماعليه من مزيد ثم اقبل اليه وجعل يلاطفه ويحالله وكبس له رأسه بالعنكـبوت ومسح له الدماء وأتاه بما طاب من الحلاوة ولم يزل به كذلك حتى سكت من بكاه وقد قال له ياسيدى لا تخبر امك بهذا وبذلك اوصاه فقال له انا ماجيب لهم سيرة ثم احتمله وسار به حتى اقبل الى المنزل فطرق الباب فارفعت الساقط فدخل الى وسط الدار هذا ولما تيقن الكلب انه فى وسط داره صاح بعلو صوته ياأمى هذا الولد بطحنى وأسال دمى وأرمانى على حجر التاريخ وتركنى وسار يلعب مع اولاد الشام ولم يسأل عنى فلما سمعت عائشه من ولدها ذلك حلت بها المهالك وصاحت عليه ياأخا القحبة سوف اورثك النكال والنكبة ثم انها وثبت اليه وارادت ان تقبض عليه فلما عاين ذلك منها القى الغلام عن كتفه وخرج طالب الهرب من خوفه وقد سار يجرى في الخلوات فهذا ما كان منه (قال الراوى) واما ما كان من عائشة فانها نزلت واخذت ولدها وطلعت به الى اعـلا مكانها وجعلت تداويه وتلاطفه وتحلف في محمود اذا عاد اليها تعاقبه فهذا ما كان منها وأما ما كان من محمود فانه سار طالب الخلوات الى ان خرج من الشام الى جبانة الاسلام واذا قد رأى قبر جديد مفتوح وكان هذا سبب للفتوح فقال فى نفسه اذا جن الظلام واقبل على الليل وغاب على عينى المنام نزلت الى هذا المكان ونمت فيه ولا احدا يرانى من الانام فبينما هو كذلك اذ أقبل عليه ثلاث رجال يطلبون الهرب والفلال الى أن أقبلوا ال محمود وسلموا عليه فرد

عليهم السلام وقال لهم من تكونون من الانام فقال الاول انا الطيور الذى عند عيسى الناصر شرف الدين علفت الطيور ففر منى طائر عزيز عليه فعرفت انه يقتلنى ولاجل ذلك الطير لا برحنى فهربت الى هاهنا قبل ان يعلم به احد او يعلمه بذلك فقال الثانى وانا الهجان هربت من الهجين الذى لعيسى شرف الدين فقال الاخر وانا السايس ذهب منى الحصان فهربت الى هذا المكان فقال الامير محمود وانا الاخر دعوتى كدعوتكم وقصتى تشابه قصتكم وكلنا مغاليب فقعدوا بنا هاهنا حتى يأتى الفرج القريب من الملك المجيب فقالوا له هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انهم جلسوا يتحدثون مع بعضهم حتى ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وقد دام الغيم واظهرت النجوم وكانت ليلة سبعة وعشرون من شهر رمضان وقد نزلت الثلاث رجال الى اسفل التربة وناموا ومحمود لا ينام ولا يرد عليه منام حتى مضى من الليل الثلثان بينما محمود متفكر فى امره واذا بابواب السماء قد فتحت بقدرة الله وقدره وظهرت من السماء من قبله طاقة قدر القبة وهى صافية البياض وفى دايرها اخضرار كهيئة الفجر عند لياحه ورأى كل شىء على الارض ساجد ولا احدا منتبه من الانام لا وحش ولا غلام ولا رجل ولا صبيان ولا ديك يصيح ولا كلب ينبح الا الدنيا ساجدة واشجارا قدة فقال محمود فى نفسه هذه دلايل ليلة القدر التى هى خير من الف شهر والله ان هذه العلامات لها دم تكن لغيرها ثم نهض على الاقدام وسأل الله الغفران ودعا رب الانام وقال (اللهم) بحرمة هذه الليلة عندك ان تجعلنى ملكا وسلطانا على مصر والشام وسائر بلاد الاسلام وان ترزقنى النصر على الاعداء اللئام بحق المصطفى المظلل بالغمام ان تجعل لى كلمة تسمع وحرمة ترفع اللهم اجعل لى من امرى فرجا ومخرجا وان ترزقنى من

الشدايد النجا اللهم اجعلني بين ا كنـف عزم اربعين وليـا من الاولياء العظام اللهم استجب دعوتي انك على كل شيء قدير وبدعائي خبير برحمتك يانعم المولى ونعم النصير ولما انتهى محمود من دعائه وتضرعه الى مولاه قال في نفسه لايكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه ثم انه نزل الى التربة وايقظ رفقاءه الثلاثة الهاربين وقال لهم قوموا واطلبوا النصر من رب العالمين فان ليلة القدر قد فتحت والدعاء فيها مستجاب فنهضوا الثلاثة وقال الطيور اسألك بالله يامسبب الاسباب ان تجعلني قطبا من الاقطاب ويكون مسكني في الركن الخراب من خلف جبل قاف فاستجاب الله دعاءه انه كريم خفي الالطاف وقال الهيجان اللهم اجعلني لهذا وزيرا مدبرا ومشيرا ولا تحرمني من رفقته فاستجاب دعوا[illegible] من خلقه ووزره واما السايس فانه قال اسأل الله الكريم رب العرش العظيم والآيات الكرام اني غدا ادخل بستان الشام ويأتي الى عندي ابن نقيب الاشراف واقبض عليه واطلب منه اللواط والتلاف واكون سكران فيحضر ابوه والاشراف معه يروه ومن يدي يخلصوه ويشكوني لباشة الشام فيامر بقطع رقبتي عند حجر التاريخ والسلام قال فاستجاب الله دعاءه وعاد كل واحد الى مثواه فلما اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح توجه الهيجان والطيور الى حال سبيلهم في القفار ودعا لهم الله ولاية وكانوا من أهل السعادة والعناية وزادهم الله سعادة وهداية فهذا ما كان من امر هؤلاء وأما السايس فانه ذهب الى بستان الشام فرأى ابن نقيب الاشراف هناك فقبض عليه وهو سكران وقد بلغ مطلوبه من الرحمن واعطاه الله ما طلب ولكل شيء سبب ثم انه طلب [illegible] واخذه وعطاه وامتنع الغلام من ذلك وسبه وشتمه وتكلم معه ولعنه وعن مامنه نهاه فلم يزداد الا طمعـا [illegible]

كذلك اذا أقبلت الاشراف وتحبتهم أبوه ولما عاينوا ذلك منه خاصموه فسبهم وشتمهم فقبضوه وفي عاجل الحال كتفوه والى عيسى باشت الشام أوصلوه وأقاموا عليه الاثبات فأمر عيسى بضرب عنقه في أسرع الاوقات فأخذوه الى عند حجر التاريخ واستوفى ما كتبه الله عليه وراح الى رحمة الله تعالى فهذا ما كان منه (قال الراوى) واما ما كان من أمر الامير محمود فانه لما اصبح الله بالصباح سار طالب أرض الشام ولم يدر الى أين يذهب من الاكام فسار الى منزل جيران على بن الاقوانى وقبل يده وقال له أنا في جيرتك تصالحنى مع سيدى فأخذه هذا الرجل وسار به الى عند على وقال له ياسيدى ان المملوك الذى هرب منك فقد عاد اليك وهو سايقني عليك فلاجل خاطرى تسامحه فى مثل هذه المرة فقال له وأين هو قال له هاهو معى فنهض على وقبضه وقال له سر معى الى منزلى فقال له المتشفع اكرمه لاجل خاطرى قال له لك على ذلك ثم سار به على بن الاقوانى حتى أوصله الى البيت ثم صاح بزوجته خذى هذا المملوك وعذبيه عذاب الصعلوك فنهضت وأخذته وفى عاجل الحال كتفته وفى عامود المكان صلبته ثم انها اوقدت النيران وأرادت ان تسقيه كاس الهوان وقد أوقدت له زندا من الخشب وتركته حتى التهب واخرجته من النار وأرادت ان تضربه به جهار وهو من ذلك يستغيث ويستجار وينشد الاشعار ويتضرع الى الملك الجبار وهو يقول صلوا على طه الرسول

يا كريم العفو جد لى بالسماح ... واطلق سبيلى وهب لى نجاح
ورد عنى كيد كل ظلوم ... ولا ترنى يا خالقى افتضاح
وقد طلبت نجاتى منك حقا ... وانت مقصدى ومنقذى وفلاح
وانت يارباه كريم العطايا ... وانت الرحيم لكل الجراح

توسلت اليك بخير البرايا ... من جاء رحمة قوم البراح
وفي الدنيا هاديا وبشيرا ... وفي الآخرة لولاه أطلنا نواح
بجاه المصطفى كن لى مجيرا ... وجارا وساترا فتاح
صلى عليه الله ماهب الصبا ... وما هب ريح المسامع الصفاح

(قال الراوى) فبينما هو يستغيث ويستجير واذا بالباب يدق فارفعت الساقطة وتأملت عائشة فرأت السيدة الاقواسية اخت على الاقواسى وكان السبب فى مجيئها سبب عجيب وذلك أن لها عادة فى كل عام تجمع زكاة المال وما تخرجه من الاموال وتأتى بهم الى عند أخيها فتفتقده بهم فى كل عام فجاءت على حسب عادتها واقبلت على بيت أخيها وقد أدخلت ما كان معها فلما توسطت المكان وجدت هذا الغلام وهو يستغيث فلا يغاث فلماراآها محمود صاح بعلو صوته انا فى جيرتك ياسيدتى فقالت له ياولدى لاتخاف وحق رب الالطاف ثم اقبلت الى عائشة وقالت لها اكرمى هذا الغلام لاجل خاطرى فقالت لها لما تولدى ولد مثل ولدى وتجعليه عندك شاين وتشترى له مملوك مثل هذا المملوك ويعمل معه ذنبا وتريدى ضربه فاذا كان ذلك وحضرت أنا عندك فاشفعينى فيه بل قولى لى اذا كنت شفعتنى في مملوكك انا اشفعك فى مملوكى وحق راس الشاين لااقيله ولو اجتمعت على الدنيا واهليها فلما سمعت منها السيدة فاطمة ذلك اورث عندها المهالك وقالت لها يافاجرة ياقحبة تقابلينى بمثل هذا الكلام فوعزة رب الانام العزة الابدية لاوريك مقامك بالكلية ثم انها نهضت من ساعتها وهجمت عليها فضربتها وصاحت على الغلمان الذين معها ان اخرجوا مامعكم من هذا المكان وفرقوه على الفقراء والايتام ولا احد يأتى منكم الى هذا المكان على طول المدى والزمان ثم هجمت على محمود وخلصته مما هو فيه واخذته

في يدها وخرجت من عندها وسارت الى بيتها وهى غاضبة في نفسها فلما استقر بها الجلوس ارسلت الى القضاة والعلماء والاشراف فحضروا الجميع الى عندها من غير خلاف وقد أجلستهم الجميع الرفيع منهم والوضيع وقد امرت لهم بالمآ كل الطيبة والمشارب الهنيئة الغالية ثم أرسلت الى على ابن الاقواسى اخيها أحضرته فلما استقربه الجلوس قالت له ياعلى هذا الغلام اليك وقد اشتريته بمالك فقال لا ولكنه مرتهن عندى على مائة من الذهب وهو لعلى بن الوراقة صاحب المحاسن والزيافه فقالت له اعلم انه عندي ولا أطلقه من يدى حتى يأتى صاحبه واسلمه له ويأخذه منى وهذا ماعليه من الدراهم ثم انها أخرجت له المائة دينار وسلمتهم الى القاضى والعلماء الاخيار فأخذهم على بن الاقواسى ثم ان السيدة قالت للعلماء ياعلماء الاسلام اسألوا على هل يكون له شيء عندى من متاع أمه أو أبيه وربما يكون له شيء فتركه او نساه فسألوه العلماء عن ذلك فأجاب بانه لم يكن له عندها شيء فقالت اكتبوا بيننا حجة على ذلك فكتبوا الحجة وشهدت العلماء قالت السيدة فاطمة اختموا لنا الحجة من على ختمها وبعد ان أخذتها قالت للعلماء اكتبوا حجة شرعية متممة بان جميع مالى ونوالى وما تملكه يدى ملكا لهذا الغلام يفعل به ماأراد من المرام واذا توفانى رب الانام واخرجنى بقطع خام فيكون ذلك فضلا منه واكترام لانى قد استخرت الله العظيم والرسول الكريم واتخذته ولدى وجعلته قطعة من كبدى وانتم على ذلك من الشاهدين بين يدى احكم الحاكمين قالت وكانت السيدة فاطمة لها ولد يقال له بيبرس وكان عزيزا عليها وقد توفاه الله فانكسر لاجله خاطرها وحمدت ربها على ذلك فمن الله عليها بهذا الغلام وجبرها وحنن قلبها عليه ورحمها وكان هذا محمود اشبه البرايا بولدها

بيبرس وهـذا الذى حملها على ماتقدم من فعالها ورحمتها ثم ان العلماء كتبوا له ماقالت عليه من متاعها بعد أن قالوا له ما تقول يامحمود فى ذلك فقال أنا خادم مواطئ اقدامها ثم انه قام وقبـل يد السيدة ورأسها وقد ادخلته من طوقها وشهدت السادات بأنه ولدها وعزيزها وسمته على اسم ولدها من وقتها وساعتها فهذا ما كان من أمرها (قال الراوى) ثم ان السيدة اخرجت للعلماء كل واحد مائة دينار ذهب والاشراف كذلك السبب وارضت خاطر الجميع ودعوا لها بالفتوح والنصر وزال عن بيبرس الحصر والقهر وانصرفوا بعد ذلك الى حال سبيلهم فهذا ما كان من امرهم واما ما كان من أمر بيبرس فانه اقام عند السيدة وقد صار امير بيتها والامر والنهى بيده لا بيدها فهذا ما كان من امره وامرها واما على فانه اخذ المـائة دينار ومضى الى بيته وسأل زوجته عن ماجرى من الاضرار فقالت له قد جرى من الامر ماهو كذا وكذا واخبرته بالقصة من اولها الى آخرها وكشفت له عن باطنها وظاهرها فاغتم لذلك واخبرها بمـا كان من امر اخته وبمـا قالته وفعلته وكيف انها كتبت مالها له فساروا الاثنين في هم كبير وحملوا يلومون بعضهما على مثل هذا الامر الخطير واما الامير بيبرس فانه مقيم على باب المكان فى بعض الايام وهو فى غاية من الحظ والامان اذ قد اقبل رجل فداوى وصحبته رجل دلال وبيده قوس وهو يدلل وينادى عليه فلما عاين ذلك صاح على الاثنـين فاقبل اليه فلما حضرا بين يديه قال لهم ماهذا قالوا قوس نريد نبيعه ونأخـذ ثمنه فقال لهم وكم يساوى قالوا له خمس مائة دينار فتأمله بيبرس فأعجبه فاجلس الاثنـين الى جانبـه واخـذ القوس وطلع به الى امه وقال لها ياامى انى اريد ان اشترى هـذا القوس قالت له ياولدى هو لمن قال لرجـل فداوى قالت

الخير مدخر فى وسط رأسه والشر والله فى قدماه
اذا طلب الخيول أصابها واذا طلبوه مادركوا مثراه
يفوق الرياح عند سراها ويقلب الغبراء عند لقاه
فياله من جواد عزيز الصفاة سبحان من خلقه ومن انشاه
يسوى من المال الف الف بدرة ولو انصفوا ما اقتدر على ثمناه

قال الراوى فلما عاينه الامير بيبرس ورأى منه ذلك الفعال تقرب اليه وضربه بالسردست العجمى بين عينيه وقد كاد أن يقضى عليه ثم صاح بالسايس أين السرج فاتاه به فشده عليه وحزمه بالحزام وسقفه اللجام وأخذه بيده بعد أن فك قيده وخرج به على مكانه وقد خافت جميع اقرانه ثم نهض من الارض وهم همة واحدة فسكن في ظهره وهو كأنه الاسد الغضبان وقال للسايس لايتبعني منكم أحد حتى أعود فقالوا السمع والطاعة وقد خافوا السياس عاقبة هذا الامر فاخبروا السيدة فاطمة بما جرى من ولدها وما فعل مع الجواد وكيف انه أخذه وركبه ولم يبال به ولا يأخذه خوف ولا نصب فاشتغل قلبها لذلك وخافت لئلا يتم امر علي ولدها وكذلك السياس أخذهم الخوف والوسواس فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى واما ما كان من أمر بيبرس فانه ركب الجواد وسار وقد تبطن به في القفار ولما هب الريح في آذان الحصان انفرد في ذلك الوديان كانه النمر الحردان ولم يزل سائر الى أن انتهى الى مغارة فى الخلوات فلما وصل الى هناك وقف الجواد باذن الملك الجواد فوكزه بيبرس بالركابات فلم يتحرك من مكانه فتعجب بيبرس فى شأنه ثم انه نزل عنه ودخل الى ذلك المغاره فاعجبته فربط الجواد على الباب ودخل الى صدر تلك المغارة فرأى فى داخلها سراج يضيء بالنهار كما يضيء في غيهب الاعتكار

من غير أن يدخله دهن الابزار فتعجب غاية العجب ولم يدر لهذا الامور من سبب (ياساده) ثم ان الامير بيبرس أقبل الى داخل المغارة فوجد فيه باب من الحجر وفى وسطه حلقة من الحجر فقبض على تلك الحلقه بقصد الفرجة عليها فلما رفعها بيده وتأملها بنظره وقد تركها بعد ذلك فسقطت من يده وقد ضربت الباب فكان لها دوى مثل دوى البحر في الاذان فلم يشعر الامير بيبرس حتى تصايحت الخدام من داخل المكان وقالوا من الضارب لهذا الباب من غير اذن الاصحاب شلت يداك وشمتت فيك أعداك فمن أنت ياولد الزنا حتي تطرق كنوز الكهنا ارجع أيها الضارب لئلا تحل بك المصائب واعلم ان هذا المكان مالاحد عليه سبيل من جميع الانام الا غلام يقال له محمود العجمى الخوارقى الدمشقي فهو الذى معدود له الدخول وحصول المأمول والقبول قال الراوى فلما سمع بيبرس ذلك صاح أنا صاحب هذا الحسب والنسب من دون الاعاجم والعرب فباداه الخادم من داخل ذلك المكان ادخل لا بأس عليك (ياساده) فدخل الامير بيبرس وقد انفتح له الباب وفهم كل الخطاب فلما صار من داخله رأى شخصا راقد على كاهله وهو على سرير من الذهب الاحمر يكاد ان يأخذ البصر ثم رأى من حواليه اربع خدام كل واحد منهم كانه الاسد الضرغام فلما رأى هؤلاء الاقوام اهداه الملك السلام فبسط يديه وقرأ الفاتحة واهداها الى روح النبي صلى الله عليه وسلم ثم الى روح خادمين الكنز ان كانوا مؤمنين

(قال الراوى) فما تم القراءة حتى تحرك الخديم وقام على الاقدام وقال له انت بيبرس قال نعم قال له انت محمود العجمى الدمشقى ابن السيدة من ارض خوارزم العجم قال له نعم فقال له أنت صاحب الامارة وقد دلت عليك الاشارة لانك موعود بنا ونحن موعودون بك في هذه الساعة وان

لك عندنا حاجة وبضاعه ولنا عندك صناعة فما هذا الذى بيدك قال له هذا
سردست عجمى قد اخذته من رجل رفضى ذمى فحدثه بالقصة من اولها
الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها فقال له انت صاحب القدر
العالى والكوكب المتعالى ولكن ضع هذا الذى بيدك عند رأسى ليكون
علامة بينك وبينى ولا ينسى ذلك ابدا مادمت في دار الدنيا واحفظ هذه
الوصية منى فقال له سمعا وطاعة ثم انه وضع السردست من تلك الساعة
فقال له الخادم افتح هذا الدولاب ترى شيئا عجيب العجاب وهولت دمشقى
وزنه عشرة ارطال ما حازه قط بطل من الابطال فخذه بدلا عن هذا ولا
تأخذ شيئا غيره لان مالك عندنا الا هذا بعينه فلا تطمع في الاموال ولا
تنظر الى الجواهر الغوالى ولا تاخذ الا ماامرتك به والسلام وان خالفت
حل بك الانتقام فذهب بيبرس الى الدولاب ومديده اليه فانفتح بين يديه
وتامل فرأى فيه ما يحير الناظرين

من ذلك الاموال والجواهر فترك المال والنوال واخذ الالت الدمشقى العشرة
ارطال وعاد واغلق الباب ورد كل شيء الى ما كان عليه وخرج من المغارة
بعد تمام هذه العباره وتأمل فرأى الجواد واقف كأنه مرسم عليه فلما
اقبل اليه الامير بيبرس ومد يده عليه امبت فى عاجل الحال قوائمه ورجليه
فركبه وصار فى البرارى والاكام وهو طالب ارض الشام (قال الراوى)
فبينما هو سائر فى الطريق واذا قد طلع عليه غبار حتى سد الاقطار فأقبل
اليه الامير بيبرس وتأمله واذا هو فارس مقبل عليه فصبر له حتى تقرب اليه
وناداه هات الغفر يابيه لريجى فقال له بيبرس وقد تعجب غاية العجب ياهذا
على اى شيء اعطيك الغفر وانا لامعى بضاعة ولا متجر فقال له على قرعتك
وعلى حجرتك وعلى تبديلاتك التى انت لابسها فقال له والذى لا يعطى

غفر ماذا يجرا عليه فقال له احاربه وآخذ روحه من بين جنبيه او آسره رهينة على الغفر وما ينفذ من يدى بشر الا ان كان قصور فيفوز لاجل شجاعته وتحميه منى همته وفروسيته فقال بيبرس والله ياوجه العرب الكرام لقد نطقت بما فيه المصلحة من الكلام وانى قد رضيت بتلك المرام فخذ حذرك فى الهجام واهتم بى كل الاهتمام فانى لك خصم من الاخصام (قال الراوى) ثم انطبق الاثنين كأنهما جبلين وافترقا كأنهما بحران وتناطحا كأنهما كبشان وخرج من ايديهما ضربتان وكان السابق بالطعنة الخيال فزاغ عنه الامير بيبرس في عاجل الحال واعتدل اعتدال وضرب هذا الخيال بالت العشرة أرطال فارماه الى الارض كالجدال ونزل عن جواده واوثقه كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وقد وضع رجله بين كتفيه وغل بالحبال يديه واذا بثلاثة اقبلوا من كبد البر عليه يريدون ان يحموه ومن يد خصمه يخلصوه وقالوا له حايد عن اخينا فهجم على الاول منهم فرماه والثانى الحقه باخاه والثالث كاد يعدمه الحياة ثم شد الجميع كتاف وقوى منهم السواعد والاطراف وركب جواده وقادها اسارى وبين يديه حيارى فقالوا له يافتى اصنع المعروف والجميل فانه لايضيع عندنا بطول الدهر الطويل فقال لهم انى أريد أن ادخل بكم الشام واذيقكم العذاب والالام واافلق منكم الهام وابرى منكم العظام وأصلبكم على الشجر ولاتأخذوا من أحد غفر مادام الشمس والقمر فقالوا له يادولتلى ان من فعال الكرام اطعام الطعام ووفى الزمام والتعطف على الارامل والايتام فتعطف علينا واعطنا زمامك فما منا الا من يكون خدامك فقال لهم من تكونون من العرب واهل المنازل والحسب فقالوا له نحن يقال لنا القباياتيه ونحن بدنة كاملة من وادى قباونحن خفراء الدرب وعدتنا أربعة وستون نفرا أكابر القبيلة

والخضر وتحت يد كل واحد منا المائة والمائتان ولنا على عيسى الناصر بالشام كل سنة اجرة الغفر عشرة آلاف دينار نأخذهم وننفقهم على الاطفال الصغار ونقسمهم بين الموالى الكبار ولم نأذى أحدا في الطريق ولم يحصل منا تفريط ولا تعويق وهذه عادتنا فى كل عام يازين المجالس ونجل الكرام فلما كان هذا العام توجهنا الى عيسى الناصر باهتمام وطلبنا مالنا عليه فى كل عام فتكلم معنا بغليظ الكلام وقال لاأدفع لكم شيئا من الطعام فقلنا له تدفع الغفر والاحل بك منا الضرر وننهب فى البر كل من الينا أتى حتى يصل الخبر الى الملك الاكبر فاما ان يدفع الغفر واما ان ينظر له معنا أمر فقال لنا افعلوا مابدا لكم وخذوا كل ماطاب لكم ولا تبغوا على من ترونه وكل ماطاب لكم خذوه فعند ذلك وقفنا فى الطرقات السارحات والمروحات وكل من رأيناه سلبنا ماله وأخذنا منه نواله وذلك لان مالنا اكتساب غير هذا الباب ولم نزل على هذه الاسباب حتى أتيت انت الينا وحاربتنا وسألتنا عن حالنا بعد ان اسرتنا فاعلمناك بأمرنا وهذه قصتنا وحق من خلقنا وسوانا (قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس من الاربعة هذا المقال قال لهم تريدون ان تخدموا عندى وتأخذ مالكم من الاموال من يدى قالوا نعم مارأيت واننا رضينا بما قد ارتضيت فعند ذلك حل كتافهم واعطاهم الامان والذمام فقبلوا يده وقد رضوا بالخدمة عنده وسار واحد منهم وعاد بباقى رفقائهم ثم أخذهم الامير بيبرس وسار طالب الشام وقد فرح بذلك المرام ومن كثرة فرحه والاستبشار جعل يترنم بهذه الاشعار وهو يقول صلوا على طه الرسول

لقد عطانى ذو الجلال مهابة ولطفا واحسانا وجودا عميما
واوهبنى رزقا حلالا طيبا وابرأ سقامى وقدصبحت سليما

وخلصني ربي مما فيه من العيا ... واوهبني عزم اربعين كريما
وسيرلي في قلوب العالمين مودة ... وزاد بينهموا نخزى مقيما
واحبوني الرجال وكذا النسا ... وزاد مجدي واضحى قويما
وشرفني رب العباد بفضله ... وعزي ساد بعد ان كان عديما
ونجاني ربي من يد ظالمي ... حيث كنت لديه خديما
وما دعا لي أبدا زمام عهد ... ووالله انه دون العباد يتيما
ووقعت في يد اناس زاد قدرهم ... وزادهم ربي اعزازا وتعظيما
وحزت اموالا لهم سمحوا بها ... واوهبوني مواهب التكريما
فسرت الى الجواد حقا وقدته ... وركبته جنح ليل بهيما
وسرت به الى ان تضاحا ... النهار رأيت كنزا عظيما
تركت به السردست عمدا ... وأخذت منه آلة نعم غنيما
ولاقيت ذا الاشراف حقا وقد ... اخذتهم عندي ونعم خديما
فيارب انصرني على باقي العدا ... واجعلني أبيد بسيفي كل لئيما

(قال الراوي) فلما فرغ الامير بيبرس من نظامه وما قاله من كلامه شكروه السادات القيابانيه ولم يزالوا سائرين معه بالكليه الى ان اقبل الى بيت أمه فطرق الباب بعزمه وكانت امه مشغولة القلب حائرة البال من حين اخبرها السايس بانه أخذ الجواد كما ذكرنا فلما رأته اطمأن قلبها وفرحت بمجيئه اليها ونزلت هي بنفسها وفتحت الباب بيدها ولما دخل أخذته بملء احضانها وسألته عن قصته وما كان فى نوبته فحدثها بما جرى من أول الامر الى آخره وكشف لها عن ظاهره وباطنه وكيف دخل الكنز وأخذ آلات الدمشقي وكيف استخدم الرجال من بعد الحروب والرحال فقالت له ياولدي فتوح خير ان شاء الله تعالى اللهم افتح بخير واختم بخير

ثم انها دعت له وصاحت بالسايس يأخذ الجواد فأبى وخاف منه
فربطه الامير بيده وهيأ مكانا الى القباباتيه وأقاموا عنده بالكلية ورتب
لهم المعاطى الثنية واعد لهم الخيول العربية ووافا لهم الزمام فعاشوا عيشة
هنيئة فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر
بيبرس فانه تداولت عليه الايام وهو مقيم عند أمه السيدة فاطمة بنت
الاقواسى مدة من الزمان فيوم من الايام فبينما هو جالس ضاحك ليس
عابس اذ اقبل عليه أربعة فلاحين وهم نحوه قاصدين فلما تقاربوا منه
سلموا عليه فرد عليهم السلام وأكرمهم بكل الاكرام وأجلسهم الى جانبه
وكانهم اعز حبائبه وسألهم عن حالهم وما جاءوا فيه من أمرهم فقالوا اعلم
ايها السيد الهمام اننا فلاحين سرجويل المهرى شريك السيدة فاطمة
في الالتزام ولهما شركة في غلال وقد أرسلنا اليها لاجل هذه
الاحوال ثم اعطانا كتابا وقال لنا سلموه الى السيدة فاطمة وأتونى برد
الجواب الذى معكم حتى أنظر مافيه واعرف كامل معانيه فسلموه الجواب
فحله وقراه وفهم رموزه ومعناه وقد رأى أوله صليب وآخره صليب وعنوانه
صليب ونحن وأنتم نوحد الملك القريب المجيب خطابا من عند سرجويل
المهرى الى بين أيادى السيدة فاطمة بنت الاقواسى الذى نعلمك به اننا نريد
ان نشرع في الافراح فى مثل هذه الايام الملاح ونكالل اكليلى على
ابنتى واخذ القمح حصتك وحصتى في هذا العام لاجل المعاونة على
الافراح العظام فاذا جاء العام القابل خذى القمح الذى يطلع من الارض
كله ويكون عوضا عن الذى اخذناه وفي محله وهذا ما استقام عليه
الكلام وحق الصليب والاصنام
(قال الراوى) فلما سمع بيبرس هذا الكلام وقرأ مافي الكتاب من

المرام قال لهم هذا شيء لا يكون وحق من لا تراه العيون ثم سطر لهم رد الجواب يقول الذى نعلم به سرجويل ان هذا شيء مخادعة وتحويل ولابد من انقسام الغلال وكل من له شيء يأخذه على كل حال ولا يتم غير ماذكرناه وفى رد الجواب سطرناه ثم ختم الجواب وأعطاه للقصاد وأمرهم بالذهاب وقال لهم ان شاء الله الملك المنان انا لاحقابكم غدا الى الاوطان وهذا ما عندى من الامر والشان فاخذوا رد الجواب وساروا قاصدين الرحاب فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من بيبرس فانه اعلم أمه بما جرى و بالذى تم له وطرا فشكرته على فعاله وما عمل من أعماله وقالت ياولدى انت من المسعدين وقد جعلك ربى من الفايزين فاذا كان من الغد تركب وتسير الى صفد وتأتى بقسمنا وما يخصنا من الارض فقال لها السمع والطاعة فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من أمر الفلاحين فانهم لم يزالوا سائرين والى صفد طالبين حتى دخلوا على سرجويل وقد أعطوه رد الجواب من غير تطويل فلما قراه وفهم مافيه من معناه غضب وزمجر وشخر ونخر وسب الشمس والقمر فقال له وزير ميمنته لا تغضب ايها البطل الهمام فالامر أقرب من هذا الاحتزام وكان هذا ابن اخت سرجويل وهو صاحب مكر وتحويل لعين مكار عنيد جبار لا يصطلى له بنار ولا يعد له جار وكان يقال له ظنيط اعلم انه اذا اقبل وكيل السيدة فاطمة ليأخذ الغلال اعمل انا كيال وأدير عليه المكر والاحتيال فقال له سرجويل وقد اعجبه هذا الكلام النبيل وما الذى تصنع قال له سوف ترى مايسرك وترى بعينك مايزيل همك وحزنك ثم صاح ظنيط على الفلاحين فاتوا اليه اجمعين فقال لهم ائتونى بالخيش واجعلوه صنفين اسود وابيض فالاسود لنا والابيض للمسلمين وانا اكيل الغلال بيدى واعطيهم بمعرفتى وقصدى وا كيل فى

الخيش الاسود ثلاث او اربع وأكيل لهم كيلة واحدة فى الخيش الابيض وهذاماصنع ليكون الذى يخصهم العشر وما ياخذون اكثر منه وقدانفصل الامر وهذا مادبرته والسلام (قال الراوى) فاما سمع سرجويل من ابن اخته ذلك قال له هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب ولما تقرر الحال بينهم على مثل هذا المثال جعلوا ينتظرون قدوم بيبرس فهذا ماكان من امرهم واما ما كان من امر بيبرس فانه لما أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح ركب والرجال القباباتية بصحبته وسار معهم بهمته حتى الى صفد وجاوز البلد وقصد الحرث ووقف هناك وارسل اعلم سرجويل بحضوره فارسل ظنيط الكيال فصبح على الامير بيبرس بلغته فرد عليه بيده وقال له انت الكيال قال نعم ياسيد الرجال قال له اقسم ذلك الغلال فصاح ظنيط فى عاجل الحال على الرجال فاتوا بالخيش الابيض والاسود في الحال فقال ظنيط ياسيدى الابيض لكم والاسود لنا فقال بيبرس حتى ابصر واشاهد وارى مايسير فسار ظنيط يكيل ربع او اثنين في الخيش الابيض وعشرة فى الاسود كل هذا يجرى وبيبرس ينظر ويرى فلمافرغ من الكيل وقسم الغلة قسمين في الابيض والاسود عيان ثم قال له ياسيدى خذ الخيش الابيض متاعك وسرفى امان رب الانام المسيح يحرسك ويتعطف عليك ويرحمك فقال له يامعلم خذ انت الابيض وانا آخذ الاسود فقال له اللعين هذا أمر منكر ولا يصح ابدا نخذ الابيض فقال له بيبرس لا آخذ الا الاسود فقال ظنيط وقد ارما الخزية من على رأسه وانزعج حواسه وانحمق لما أن علم أن الحيلة ماتمت ولا نفعت انا ما أعطيك الا الابيض فقال له بيبرس ان لم تطاوعنى تركتك ممدودا ولا اعطيك ابيض ولا اسود فعند ذلك زمجر اللعين وشخر وسب الشمس والقمر وبربر بكلامه وعثر

بلسانه فلما شاهد الامير بيبرس فعاله وما نطق به من مقاله صاح بعلو صوته
يارجال فاقبلت اليه القبابانية كأنهم أسود الدحال وتبادروا اليه فى عاجل الحال
فقال لهم احملوا الغلة على الجمال والبغال ولا تتركوا فى هذا الواد لهم عقال
فعندها مالت الرجال على الاحمال فحملوها على ظهور الجمال رفعوها وبالحبال
أوثقوها وقال لهم سيروا بها الى ديارنا ولا تخشوا سطوة هؤلاء اللعناء فاجابوه
بالسمع والطاعة وصاروا كما أمرهم من تلك الساعة فهذا ما كان من أمر
هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر ظنيط فانه لما رأى هذا الفعل
القبيح رجع وهو يصيح وهو يقول واى واى أخذوا الغلة والجمال ولا
تركوا عندنا ولا حبة من الغلال ولم يزل على هذا الحال حتى وصل الى سرجويل
وشكى اليه هذه الفعال فقال له سرجويل ما الخبر فاخبره بالقصة على
الأثر وقد بالغ فى الكلام وقال له ان الرجل الذى أتى سبنا وشتمنا
ولا بلغت منه مرام ولولا انى تركته يفعل هذه الفعال ويعمل مايريد
من الاعمال لكان أورثنى شراب النكال ولولا هروبى من بين يديه
لكان قتلنى وأعدمنى روحى وأهانى

(قال الراوى) فلما سمع سرجويل المهرى هذا الكلام صار
الضياء فى وجهه ظلام والتفت الى أخيه عبد الصليب وقال له خذ لك بطرية
وسر به فى الطريق على أثر هذا الغلام واقتله وانهب مامعه قبل وصوله
الى الشام واقطع رأسه بالحسام وخذ معك ظنيط يعرفك هذا الولد ابن
اللئام فقال عبد الصليب السمع والطاعة ثم انه ركب من تلك الساعه وسار
بمن معه من الجماعة وهو على جهة أرض الشام يجد المسير فى طلب الامير
بيبرس الهمام ولم يزل على هذا المرام حتى أدرك بيبرس في وسط الآكام
ولما وقعت العين على العين نظروا الى بعضهم الطائفتين صاح عبد الصليب

على رفقاه دونكم واياه أين تنجوا بالهرب وأنا خلفك فى الطاب فلما رأى ذلك بيبرس فهم المعنى وصاح عليهم وزمجر وقال الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وأخذل اللئام الكفرة بدين محمد القمر ثم انه تكبب وارتما وقرأ ايات معظما وأكحل الكفار بمراود العما وقد أدركوه القبابانية وحاموا عليه أوفي حمية ووضعوا السيف البتار في أعناق الكفار وحمى البر وثار الغبار وعميت اعين النظار وسطى غراب البين الغدار ونادى على المشركين بالبوار ولم تكن الا ساعة من النهار وقد قتل مايتين وخمسين من الكفار الملاعين وما كان قصد بيبرس الا ظنيط اللعين ولم يزل يخرق الصفوف ويلوح الانوف حتى ادركه وضربه بالحسام من غير ان يبدى كلام اطاح راسه عن الهام عند هذا تقهقرت اللئام وتأخروا عن الصدام وزعق عليهم غراب البين بالانهزام وصاحوا بالويل وقد عدموا القوى والحيل وقد نظر عبد الصليب الى تلك الاعاجب فاراد الهروب واذا بالامير قد لحقه بضربة ماحقه فكانت لعمره ماحقه ويجسمه خارقه وقد خرقت ماعليه من زرد وطارقه فلما نظرت الكفار ماحل بظنيط من الاضرار وشرابه كاس البوار وكذلك عبد الصليب الغدار ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتركوا ما معهم من الاسلاب والغنائم الكبار هذا وقد رزق النصر وذهب عنه الباس الامير بيبرس فامر رفقاه بلم الاسلاب والخيول من الفلاة ثم بعد ذلك سار بيبرس طالب الشام وقدصنى وقته دون كل الانام ولم يزل على ذلك الاهتمام حتى دخل الى امه فسلم عليها وحكى لها على ما كان من امره فدعت له وشكرته وقالت له ياولدى الله يرزقك النصر على جميع البشر فهذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوى) واما ما كان من امر المنهزمين فانهم مازالوا فى هزيمتهم

الى ان وصلوا الى محل اقامتهم وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور وهم يصيحون بعلو اصواتهم ينادون بلغاتهم ويقولون ياخسارة ياظنيطه يانطاط الحيطه والباقين ينادون بدمع صبيب ياخسارة ياعبد الصليب فلما راى سرجويل ذلك اشتدت به المهالك وقامت عليه القيامه وعاد على نفسه بالتوبيخ والملامه ورما جميع ما كان على راسه وشق حوايجه ولباسه لانه قد عدم اساسه وفارق اهله وجلاسه وسار يلطم ويقول ياخسارة ياظنيط انت وعبد الصليب ثم بعد ذلك التفت الى المنهزمين وقال لهم من الذى فعل بكم هذه الفعال واسقاكم كؤس الوبال فقالوا له غلام يسمي بيبرس وصحبته رجال رؤياهم تقرب الآجال غير انه اعد جميع الرجال الى الحمال والاغلال والفانا وحده وهجم علينا بمفرده واسقانا الموت الاحمر من صارمه الهندى الابتر فقال لهم انتم بشانين وما تعدوا عندى فلايبين فالمسيح يقصف أعماركم ولا يرحم صغيركم ولا كبيركم ثم انه صاح على كامل رجاله وما عنده من ابطاله وقال فى مقاله الخيل ياغنادره فركبت الرجال وكانت عدتهم مماية الف فارس كلهم ليوث عوابس من كل مدرع ولابس ثم ركب اللعين سرجويل على جواده الابيل وقد ارتفع الشنيار على رأسه وسار فى كامل اهله وناسه وهم هذه الكرة وقد عزموا الجميع على المضرة ولم يزالوا قاصدين ارض الشام حتى وصلوا اليها من البرارى والاكام فلما نزلوا برجالهم وبلغ الخبر الى عيسى الناصر شرف الدين بركوبهم خاف على البلد ولم يدر ماالسبب فى هذا الامر العجب ثم انه أمر بغلق الابواب فاغلقوها والمدافع فضربوها وحصنوا البلد خوفا على أهلها من موتها او نهبها ولما رأى سرجويل الى هذا الامر النكيل كتب كتاب واعطاه لسيار من جملة بطارقته وقال له سر الى باشت الشام واعطه الكتاب وهات لى منه رد

الجواب وذاك بعد ان حط على حدرمى النار ومنع الخطار عن المسير والسفار (ياساده) وقد سار السيار بالكتاب حتى وصل الى الابواب فطرقها فصاحت عليه رجالها وحراسها وقالوا له ما تريد ومن انت من الرجال الاجاويد فقال لهم انا سيار وحامل كتاب واريد رد الجواب من باشت الشام فاستأذنوا عليه عيسى فى الدخول فاذن فدخل حتى وقف بين يديه فقال له ما معك من الاخبار فاخرج كتاب وناوله له بين الاصحاب فخذه نايب الشام وقراه وقد وجد اوله صايب وآخره واعلاه خطابا من سرجويل الى بين ايادى باشت الشام وحق المسيح الطيب النفيس والالهة والاصنام اذلم تخرج لى خصيمى الذى قتل اخى وابن اختى الى عندى لارحل من ارض الشام حتى آخذ بثارى من الاخصام ولواقمت عليها عشرة أعوام وانامالى عندك حاجة وما حاجتى الا بيبرس فلا تكثر اللجاجة ولا انا طالب غير ذلك فانظر في عاقبة امرك تشكر المسيح

قال الراوى فلما سمع عيسى شرف الدين بذلك الامر المهين قال وانا مالى بهذا السؤال ومالى الا اريح نفسى وأخرج لهم خصمهم على كل حال ثم انه انعم على البطريق واعطي له رد الجواب من غير تعويق فسار السيار ومعه رد الجواب الى أن وصل الى سرجويل واداه الرسالة بلا تطويل فقراها واذا فيها من نايب الشام الى بين أيادى سرجويل اعلم انى مالى ذنب ولا سبب ولا لى زراعة فى وسبع السبسب ولكن سأخرج لك الخصم من الديار وأبعده عن الاوطان وتنظره بعينك فى الخلا والرمال وهذا ماعندى والسلام فلما قرأ الكتاب فرح بما قاله نايب الشام وجعل ينتظر حضور الاخصام فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر الامير بيبرس فانه جالس ولم يتفكر فى مثل ذلك اذا أرسل اليه اربعة

من طرقه فسلموا عليه وقالوا له أجب نايب الشام لانه يريد أن يذكر لك كلام فقال بيبرس السمع والطاعة وقام من تلك الساعة القباباتية الى أن وصل بهم الى الشام وترجلوا عن الخيول ودخلوا الى الديوان فلما رآه عيسى الناصر نهض قائما على الاقدام وتلقاه بالمخادعة والاكرام وألان له الكلام ثم اجلسه الى جانبه وانه من اعظم حبايبه ومن بعض اقاربه وبعد ان طاب المقام جاد بالطعام فاكل معه الزاد وأصفي معه الوداد ولم يعلم بيبرس بأنه لئيم كياد من أهل البغي والعناد ثم انه باسطه في الكلام وأخذ يحادثه بزخاريف الاقوال وقد قال له ياولدى الذى اعلمك به ان هذا اللعين ماأتى هاهنا الا بسببك وما ركب علينا الا لاجلك لما فعلت فيه من بعض فعلك والحمد لله الذى نصرك على عدوك وسوف ينصرنا الله على الجميع الرفيع منهم والوضيع ولكن ياولدى انى أريد أن القى الهيبة فى قلوبهم وامكن الرعب من فؤادهم وأرد كيدهم فى نحرهم وقد نظرت في أمرهم ودبرت حيلتى بسببهم وانى أقول بالحيلة نأخذ سلبهم ونهبهم ونخمد أرواحهم فقال له بيبرس ياأبى وكيف ذلك أخبرنى نجاك الله من المهالك فقال اعلم ياولدى انى أريد انك تركب جوادك وتعتد بعدة جلادك وتخرج من باب الشام فى عساكرك وأجنادك وأنا ورجالى على أثرك ولا ادعك لمثل هذا الامر وحدك غير انى اصبر بعد خروجك الى أن يصلوا اليك ويطبقوا بكليتهم عليك فأحتاط بهم أنا والرجال ويصيروا فى أوساطنا من غير محال فنفنيهم ونسقيهم شراب الوبال فما ذا تقول فى هذا المقال فقال بيبرس وقد ظن ان ذلك حقا وما قاله فهو صدق وما يعلم انه زور ومحال ودهاء ووبال ياأبى على الرأس والعين فانت الآخر عندى مثل الروح التى بين الجنبين ثم نهض بيبرس فركب جواده واعتد في جلاده ولم يعلم ماخبىء له عند صاحب الارادة

ومدبر المشيئة والسعادة وكذلك رجاله ركبو خيولهم وساروا معه بأثرهم ولم يزلو سائرين حتى وصلوا ابواب الشام وخرج بيبرس برجاله وأبعدوا عن الابواب ونظر الامير بيبرس الى خلفه فوجد ابواب الشام قد أغلقت فى ظهره فحس بالمصيبة قلبه وعلم أنها حيلة وقد افتكر فى ذلك ساعة طويلة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن عيسى شرف الدين اخبر البوابين وأمرهم بغلق الابوب بعد خروجه والتمكين فاجابوه الى ذلك سامعين مطيعين فلما خرج الامير بيبرس غلقوا دونه الابواب وبقا وحيدفيمن معه من الاحباب وقد ذكرنا ان اللعين سرجويل معه ماية الف فارس نبيل فلما ايس الامير بيبرس من نجدة شرف الدين سلم أمره الى رب العالمين والتفت الى من معه من الاصحاب وقال لهم ياخوانى قد تمت المكيدة وارماها هذا الرجل بالحيلة والرأى عندى اننا نموت كرام ولا نعيش لئام فالجنة تحت ظلال السيوف فكونوا على الحملة عازمين ولا تفرطوا فى أنفسكم لاعداء الدين فقالو له ايها السيد الهمام مامنا الا من رام هذا المرام وقد عزمنا على الثبات حتى تفنى ارواحنا بالمرهفات فعندها دبت فيه النخوة ظن انه ياتى الكره وحده ولا يبالى بالكفار ولو كانوا فى عدد الامطار هذا وقد نظر اللعين سرجويل الى بيبرس وقد خرج من الابواب صاح في الرجال دونكم وهذا الغلام الفشار باخذ الثار وجلى العار عندها نهضت الرجال على الخيول فدلبوها وطلبوا المنايا واقتحموها واصطفت الصفوف والمئات والالوف هذا وقد قصد الامير بيبرس رجاله وصف ابطاله فلمارأى سرجويل أعماله فعمل كفعاله وصاح على البطارقة بالخروج فخرج الى بين الصفين بطريق كانه الفتيق بطل عابس وفى الحديد غاطس وعلى رأسه بيضة عادية وردية داوودية وهو راكب على جواد اصفر من الخيل الغرر عالى مضمر

اذا طلب لحق واذا طاب لم يلحق ولما توسط الميدان لعب بالسيف والسنان وبربر بلغه اللئام يعنى دونكم والميدان فعندها أراد رجل من القبابانية ان يخرج الى هذا اللعين وبذيقه المهنة فاقسم الامير بيبرس على الرجال ان لم يخرج غيره الى الرجال ولا أحد يقول عنه جاس الا اذا انجهلت الوقعة وكثرت الناس ثم انه نزل الى الميدان ولعب بالرمح وبالسنان فلمارآه هذا اللعين ابن الشيطان هجم عليه وصوب حربته اليه فسبقه الامير بيبرس بالحسام أطاح رأسه عن الهام وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأت اللئام تلك الضربة هابوه وتأخروا عنه وخشوه فصار يدلل على نفسه ويطلب الميدان وخروج الشجعان وسرجويل متحير فى هذا الامر والشان يريد ان يخرج اليه بنفسه ولكنه يخشى المعارة من أبناء جنسه هذا وقد صاح فى الميمنة وأمر بالخروج اليه فخرج اليه بطريق كانه النخلة السحوق فما خلاه ان يكر في الميدان ولا يلعب برمح ولا سنان دون ان ضربه ضربة جبار ارما رأسه علي الاحجار وأسقاه شراب الدماو ولم يزل يقتل واحداً بعد واحد حتى قتل اثنى عشر فارس من الرجال القناعس فلما نظر سرجويل الى ذلك خاف من شرب كاس المهالك وصاح على الرجال بالحملة وكان هو من الجملة وقال احملوا بكليتكم عليه واخرجوا روحه من بين جنبيه واهلكوا رفقاه واعدموهم الحياة فعندها انهز الشنيار وحمل سرجويل اول المشوار واقبلت الرجال القبابانية الاخيار فسار سيدهم على الاشرار وأما الكفار فانهم داروا بالجميع عشرة أصوار فلما رآ بيبرس الى ذلك الاضرار وما حل به وبمن معه من الاهوال الكبار تبسم وهو فى شدة الكمد وأخفى عن الرجال الكمد وأظهر لهم الجلد وانشد هذه الابيات

اليوم يوم الـهزاهز ... فاصبروا لى ياعصبة الكفار
وانظرعزمى وحزمى وهمتى ... سألقيكم على الاحجار
اليوم أريكم ضرابا ... وطعانا يقصر الاعمار
وأطلب النصر من خالقى ... الملك المهيمن الجبار
وانى لا أبالى بمثلكم ... لو كنتم فى عدة الاقطار
فدونكم حربى والتقونى ... وفعلى فيكم كشعل النار
لاقطع الهامات منكم جهاراً ... وأذيقكم شراب البوار
وأفصل مواصلكم بيدى ... حتى الزنود والاخصار
وانى بعد مااقتل حماكم ... وافنى جمعكم على البتار
فلا أبالى بالموت بعد هذا ... وانى أكون قداخذت بثار
وان عشت عشت سعيدا ... وان انا مت نعم الدار
شهيدا رشيدا مغازيا ... على كلمة لاسلام والاقرار
وانى اشهد ان الله ربى ... وحبيبه محمدالمصطفى المختار
رمانى عيسى معكم بجهله ... ولكن الحكم للهالعلى الغفار
وقد سلمت أمرى لرب السما ... من ينقذ الغرقان من الابحار
توسلت بالهادى الحبيب ... باهى الجمال بكثرة الانوار
صلى وسلم عليه ربنا دائما ... ماتعاقبت شمس الغروب صفار
كذا الآل والصحب الكرام جميعهم ... والتابعين لهم على الاثار

قال الراوى ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل واللئام تجندل حتى ولى النهار وارتحل وأقبل الليل بالاعتكار وانسدل وانفصلت الطايفتان عن القتال والطعان وأوقدوا النيران وباتو يتحادثون الفريقان هذا وقد افتقد الامير بيبرس رجاله راجما ابطاله واذا استشهد منهم

ثلاثين وقتل من الكفار مالم يقع عليه احصاء بعدد الرمل والحصا ولكن الايمان فيهم لكثرتهم هذا وقد نزل الامير بيبرس خارج ابواب الشام ولا مضارب ولا خيام وفي تلك الليلة لم يأخذه منام بل امر من معه من الرجال على من قتل منهم من أهل الايمان ويدفنهم في التراب فأجابوه الى ذلك وساروا في المعركة يدورون على رفقائهم وكانوا يستدلون على الشهيد بروائحه الزكية التي تفوح من بدنه كأنها المسك الاظفر ومنهم من يوجد انه قد نصب على رأسه عامود من النور هذا وقد دفنوا الجميع وعادوا الى عند الامير وأعلموه بذلك فقال الحمد لله رب العالمين على السلامة والاقامة الشهادة والسعادة فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من امر سرجويل فانه سار يلطم وجهه بالنعال ويسب الاثام وأهل الضلال يقول هذا غدار وما معه الا قليل من الانفار وقد أهلكوا منكم الكبار والصغار فلا طرح المسيح فيكم بركة ولا حفتكم منه رحمة ولم يزالو على تلك الاحوال حتى طلع النهار واضاء بكوكبه للنظار وركبوا الكفار يطلبون القتال والبدار فقاتل فيهم بيبرس من أول النهار الى غروب الشمس وتلك الرجال من حواليه يردون عليه وقد قتلوا من الكفار مقتلة عظيمة تكل عن حصرها العقول السليمة وقد ماتت الرجال القباباتية عن بكرة ابيهم ولم يبق غير الامير بيبرس وحيد وفي هذا الامر فريد وحيد مولاك الى ان تبقى وحيد هذا وقد احمى الميدان اليوم الثالث لكنه قد سار من الله ايس لانه بمفرده ومولاه يعينه ويساعده الى ان كان آخر النهار وقد تلاشى الكفار فلما رأى سرجويل الى ذلك التطاويل قال لمن حوله من البطارقة كل من أتى لي ببيبرس أو برأسه أعطيته مثلها ذهب احمر يلتهب فعند ذلك نهض عايق بلاه الله بالمصايب والبوائق وقال له أنا آتيك به في

هذه الليلة وادبر عليه البلية والحيلة وآخذ ماذكرت من العطية الجميلة ثم ان العايق خرج من عند سرجويل وطلب البر الاقفر وقور الودى وطلب بيبرس من جهة أخرى فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر بيبرس فانه لما عاد من الميدان نزل من على الجواد وا كل شيئا كان معهُ من الزاد ولكنه اشتهت نفسه الرقاد وطلبت عينه حظها من المنام جل الذى لايغفل ولا ينام فعند ذلك خاف على نفسه من عدو ان يصطى عليه أو جاسوس من عند الكفار يتجسس عليه فجعل يكابر نفسه ويمتنع من المنام ولكنه غاب عليه التعب والمنام لما حل عليه من كثرة الحرب مع اللئام وقد ذكرنا ان له معهم فى ذلك المرام مدة ثلاثة أيام فلما غاب عليه الكرى وكاد ان يقع من طوله على أديم الثرى فاتى الى خلف باب الشام وربط الجواد فى يده ووضع رأسه فنام واستغرق فى المنام فهذا ما كان منه وأما ما كان من اللعين العايق فانه أقبل وكان يقال له عكرتار فرأى بيبرس راقدا على الاحجار ففرح اللعين بذلك واخذه الاستبشار ثم اخرج منديل مطبق بالبنج الطيار والقاه على انفه وهذه القاه النوم على النوم ثم إنه احتمله على ظهره ووضعه على جواده وهو غارق فى رقاده وصفده وسار به الى ان اقبل الى سرجويل وقال له هاهو الذى قلت عليه فخذ روحه من بين جنبيه فعند ذلك فرح اللعين سرجويل وقد انشرح وكاد ان يغمى عليه من شدة الفرح وقال نزلوه من على جواده ونشقوه بالخل ليفيق من رقاده ففعلوا ذلك فأفاق الامير بيبرس من هنالك فلما أفاق مما هو فيه وتأمل وتبين أمره ومعانيه قال اشهد ان لا إله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله اين انا فقال له سرجويل انت عندى ياولد الزنا وتربية الامة الخنا فوحق المسيح لابد ان اقطع راسك وأخمد انفاسك واهدم اساسك

واخـذ منك بالثار واجلى عن نفسى العار فقال له بيبرس اعلم يالعين ان
الفرج قريب والله ينجينى من يدك عن قريب وهو لدعائى مجيب ولـكن
خبرنى لمن هذا الصيوان قال له هذا صيوانى وقد انفقت عليه من مالى
واصطنعته بهندستى واهتمامى فقـال له ياسرجويل وحق الملك الجليـل
لابد من اخذه منك واتركك بحسرته وابعده عنك فلما سمع اللعين ذلك
تعجب من قوة قلبه ومن فصاحة نطقه ولبه وقال له يامرفوص يا كناس
انت خلصت من يدى حتى انك تريد ان تأخـذ صيوانى فقال قدر الله
تعالى اذا احسن فى خلاصى واوقعك فى قبضتى ما يكون فداك الا هـذا
الصيوان فقال له اذا الفرج قد اتى لك ونلت ماتروم من سؤالك ومقالك
ووقعت انا فى يدك افعل كل مابدالك من غير حرج ولا انزعاج ثم صاح
اللعين ارموه الى نطعة الدم فارموه وهو مشدود اليد والقدم وقد انتدب
السياف على راسه ولا له من ينجده من اهله وحبايبه وجلاسه غير انه
قال بقلب حزين تأخر عنى يالعين يابن اللعين حتى اطلب الفرج من رب
العالمين فضحك اللعين من قوله وصار يهزأ به ويقول له تعالى له ياسيدى
فرج ويكررها وقد قال له من اين يجب لك الفرج هذا وقد قطع بيبرس
العلائق من الخلائق وتوكل على الملك الخالق الحى القديم الرازق ورفع
طرفه الى السماء وتوجه قبلة الدعاء وتضرع الى مولاه ودعا وقال هذه الابيات
وجعل يستغيث بهذه الاغاثات يقول

يامن تحل بذكره عقد النوائب والشدائد
يامن اليك المشتكى واليه امر الخلائق عائد

ياحى ياقيوم بأحمـد تنزه عن مضاضد
انت الرقيب على العباد وانت فى الملكوت واحد

أنت المعز لمن اطاعك والمذل لكل جاحد
انت العليم بما ابتليتني وانت على شاهد
انت المسير والمسبب والمسهل والمساعد
انت الرحيم انت الكريم انت القديم وانت واحد
سهل لنا فرجا قريباً يا الهي لا تباعد
كن راحمي فلقد آيست من الاقارب والاباعد
ولم يكن لي سواك رحيم ولا لي غيرك مساعد
فافرج بلطفك كربتي يامن له حسن العوايد
فخفي لطفك استعين به على الزمن المعاند
ثم الصلاة على النبي ماخر للرحمان ساجد
ثم الصلاة على الرسول مادعا للرحمان ساجد
والآل والصحب الكرام اولى المناقب والمشاهد

(قال الراوي) فما فرغ بيبرس من دعائه وتضرعه الى مولاه الا والفرج قد اتاه واقبل من بين الرجال رجل يعد من الابطال وضرب السياف ضربة جبار على عاتقه اطلع السيف يلمع من علايقه ثم هجم على الامير بيبرس فقطع كتافه وقال له قم أيها الخليل فهذا جميل فضاء جميل عندها نهض الامير بيبرس وقد جرد حسامه وهذا الذي اغاثه قدامه يصيح وهو يقول يا كلاب الكفار من فيكم يتعرض لضرب عنقه بالبتار فوحق خالق الليل والنهار كل من تقدم الى لاجعلنه عبرة للنظار ولا آخذن رأسه جهار ولو حملتم على باجمعكم مابليت بقتالكم ولا يأخذني منكم فزع ولا فرار فلما عاينت الكفار هذه الاخبار خافوا من البوار وشرب كاسات الدمار ولا أحد منهم التفت اليه

ولاقدم عليه ولا ابدى له خطاب ولا رد عليه جواب وكانهم أموات ولا يقدرون على السماع والاصوات هذا وقد سار الامير بيبرس مع هذا الفارس الى أن تخلصوا من المهلكات وتبطنوا في الخلوات وأمنوا على نفوسهم من شراب المهلكات عندها التفت الامير بيبرس الى هذا المقدام وقال له لقد اكرمت كل الاكرام وأحسنت غاية الاحسان فمن تكون من الاصحاب والخلان واني ماعرفتك الى الان فاخبرني حتى يزول عني الشك ويظهر البرهان فقال له لقد نسيتني وأنا ما نسيتك وتركتني عن بالك وأنا شاكر جميلك ها أنا المقدم عاصف بن بحر المرقب صاحب قلعة المرقب الذي بعتك القوس فاعطيتني اياه بعد أن دفعت الى ثمنه ومثله معاه وقد اكلت زادك وحفظت ودادك فسألت ربي أن يعينني حتى اكافئك على جميلك واصنع معك مثل مافعلت معي من اكرامك وتفضيلك فاجاب ربي دعائي وأجاب ندائي ورأيت هذا الخصم وهو ساير بك فعرفت انه ما يسير الا لاجل مكسبه فتبعته وأردت انكبه ولم أزل أرقبه الى أن كان ما كان وخلصتك الديان على يدي من الهوان فالحمد لله على السلامة والامتنان فقال له الامير بيبرس جزاك الله كل خير ودفع عنك كل هم وضير والله ان هذا الجميل بألف جميل فلقد خلصتني من يد العدا وشرب الغايل وهذا الجميل عندي لايضيع ولا ينسى وحق خالق البرايا وصاحب الجاه الرفيع ومن هو فينا يوم القيامة شفيع ولكن اخبرني اين كنت حتى نظرتني ومما نالني خلصتني فقال له يا أخي لقد كنت مرتقبك وأنت راجع من حرب العدا وما أتيت الا آخر النهار وقد رأيتك نمت من شدة ما قاسيت من الكفار فتعجبت كيف أنك وحيد ومالك من أحد عنك يحامي ولا يفيد فارتقبتك وأنت نايم ولم أزل من بعيد حتى هب هذا

الشيطان المريد وأخذك بالبنج الطيار فعزمت على ان أسقيه كاس البوار ولكن ما دعتني نفسي أن افعل به ذلك وهو في البروحيد غير انى قلت والله لانظرت ما يفعل فيه ولا اخلصه الا من وسط اعاديه واخل الجميل لا يضع واخلصه من يد الرفيع والوضيع ثم سرت خلفه وهو ساير بك انت والجواد حتى دخل بكما الى اهل ملة الكفر والفساد وقد رايت مافعل معك هذا اللعين فخلصتك من يده باذن رب العالمين والحمد لله على سلامتك والتأمين قال فشكره الامير بيبرس على فعاله وما عمل من اعماله ومقاله وسار معه ولم يزالوا كذلك حتى اقبلوا الى باب الشام فرأوه مغلوق فوقف الامير بيبرس وهو بالغيظ مخنوق ولا خفي حاله على المقدام فسأله عن حاله فاخبره بما جرى وكيف احتال عليه باشة الشام وكيف اخرجه الى الخصام فلما سمع الفداوى ذلك تعجب منه وقال يا اخى ان طلبت انى آتيك بباشة الشام الساعة فانا آتيك به على الاقدام او آتيك براسه اذا جن الظلام فقال له يا اخى دعنا من ذلك وكل انسان يلقى بفعله الجزاء من الملك العلام ولكن اخبرنى كيف تأتيني به والابواب مغلقة ولا لاحد الى خوطها وصول ولا ارتقى فقال له الفداوى وقد تبسم اصبر سوف اريك العجب ثم انه جرد مفرده وأرماه على اعلا الصور وقد اشبك الكلابين قذف السكتين واطنب الرياضين ولبس الكفين وتوسل بالامامين الامام حسن واخيه الحسين وصعد الى اعلا الصور وبعد ان كان تحت الجدار سار فوق اعلا الاصوار والتفت الى الامير بيبرس ليعلمه وعلى الصعود على المفرد يرشده ويفهمه واذا به رآه خلفه وتابع اثره كأنه كان تعلمه من الف عام فزاد عجبه واحبه قلبه وتعجب منه وقال له انت تعرف هذه الصناعات وتدرى هذه الاشارات وهو المفرد ورمية البنج وضده والطلوع

والنزول قال له لا والله يا والدى ما رايت الا الساعه ولكن ان الذى له عقل وراس وعيون وحواس يفعل كما تفعل الناس فقال له حيث كان ذلك ولم تعلم المفرد الامين فمن الآن انت ولدى وانا كبيرك ومعلمك ومدبرك واميرك فقال له هو كما ذكرت ثم انهم ساروا الاثنين طالبين بيت السيدة فاطمة الافواسية الى ان وصلوا الى المكان وكانت السيدة فاطمة جالسة وهى تبكى وتنوح من كبد مضر مجروح على ولدها وقد انفطرت عليه مرارتها وعل صبرها وهى تبكى وتطلب له السلامة من ربها واذا بالباب يدق عليها فنهضت على عجل وفتحت الباب ونظرت من الطارق من الاحباب واذا هو ابنها والمقدام الذى معه ففرحت بسلامته والى صدرها ضمته وسلمت على المقدام وسلمت عليهما سلام الاحباب واتت لهما بالزاد فاكلا وشربا ولذا وطربا وقد سألت ولدها محمود فاخبرها من اول الامر الى آخره وكشف لها عن باطنه وظاهره وبعد ذلك تودع الفداوى من بيبرس فقال له والى اين تريد قال له انى اريد الخلوات فاعطاه مايتين دينار فاخذهم وانصرف الى ما يريد فهذا ما كان منه

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر الامير بيبرس فانه نام باقى ليلته وقد ارتاحت من الالم جثته الى ان أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح ركب بيبرس وقد اعتد ولبس سلاحه وآلة حربه وكفاحه وصار طالب الابواب فقالت له أمه ياولدى الى أين تريد قال لها أريد ان اخلص من الاعداء جوادى ولا ياخذوه منى الاعادى فقالت له نصرك الله واعانك وبلغك مناك وما اهانك وقطع دابر أخصامك هذا وقد نزل بيبرس على باب الشام وصاح على البواب صيحة ادهشه وامره بفتح الباب ففتح له وقد اخذه الارتياب ولم يدر كيف اتى الى الباب وتم سائر حتى انه قارب الاثام

وصاح ميدان فلما عاين سرجويل ذلك قال المسيح يقطع عمرك ابرزوا اليه ياعصبة الكرستيان فبرز اليه فارس فقتله والثانى جندله والثالث فما امهله والرابع جعله لرفقاه تابع والخامس اهواه والسادس الحقه رفقاه ولم يزل على ذلك حتى قتل خمسة واربعين فارس من كل مدرع ولابس فعند ذلك انهز الشنفيار باذن سرجويل الهدار وهجمت الاعداء الاشرار واحتاطوا بالامير بيبرس يريدون ان يسقوه شراب البوار فعندها تكبب وارتمى وكلهم براود العمي وقرأ آيات معظما وذكر اله الارض والسما وسار يرمى الرؤوس كالاكرع والكفوف كاوراق الشجر فجرى الدماء وساح كالبحر الطماح وبكت الارواح على فراق الاشباح وتمنى الجبان الرواح والشجاع حمل وطاح وبيبرس يضرب فيهم مثل الاسد الوقاح ولم يزل يقاتل ويطاعن ويشادد ويجاهد حتى كلت سواعده وثقلت يده عن حمل السلاح وسار يمانع عن نفسه وقد اعياه الامر وظن ان هذا المكان له قبر الى يوم العرض والحشر فلما رأى نفسه تضايق والاعداء حواليه كالبحر المتدافق رفع وجهه الى السماء قبلة الدعاء وقال صلوا على باهى الجمال

رجوت الامان منك فاعطنى	وانصرنى ياخالق على الاعادى
وهب لى لطفاً جميلا مجملا	واعل كلمتى بين العباد
وسهل لى فرجا قريبا	واحتمل يارازقى اهل العناد
فانت الكريم ولم اقصد سواك	وانت الحليم وانت الجواد
اغثنى يالهى بحق المصطفى	الهاشمى المبعوث زين العباد
واعطنى النصر حقاً لاننى	ايست يامولاى من رشاد
وانت ادرى منى بحالتى	وانت الكريم ورب العباد
بحق المصطفى تأخذ بيدى	وهب لى السماح مع السداد

واخذل الكفار عنى باسرهم حتى يفرون في الفلاة والسهاد
سألت العفو ياربا. انى وحيد فريد غريب البلاد
وصلى وسلم على خير مرسل احمد المبعوث للخلق هاد
كذا الال والاصحاب كامل جمعهم مانزل غيث السماء على البلاد

(قال الراوى) فبينما هو يطلب الفرج من صاحب الفرج واذ بالغبار طار وعلا وسد الاقطار وتمزق وما راى باب الى اعين النظار عن خيال مقبل كانه البرج المشيد وهو ينادى من بعيد وهو يشير اليه بصوته ويديه ويقول شد حيلك وقوى عزمك وعن خصمك لاتغفل فقد اتاك الفرج من صاحب الفرج هذا وقد تأمله الامير بيبرس واذا به عاسف صاحب قلعة المرقب ولما رآه عاد له قواه وصاح بجانبه الله اكبر فتح الله ونصر واخذل باللئام من كفر هذا والفداوى نزل على الرجال نزول السيل اذا مال وسارت من حسامه القتلا كيمان ممددين على الصحصحان وقدا وقع الله الرعب فى قلوب الكفار فتأخروا الى ورائهم عن ضرب البتار وخافوا من الهلاك والبوار هذا ولم يكن لهذا الفارس اشتغال الا سرجويل فانه قد قصد اليه ولم يزل حتى وصل اليه وصاح فيه ادهشه وعن الكلام شوشه وقبض على اطواقه وضيق على خناقه ورجله من على جواده فوقع الى الارض تحت الشنيار والفارس قد اوثقه كتاف وقوى سواعده والاطراف بعد ان قتل من الكفار آلاف وقتل صاحب العلم الكبير وأفنى الكبير والصغير ولما رأت الكفار ماحل بصاحبهم والبوار ركنوا الى الفرار وولوا الادبار وتركوا مابين أيديهم من الخيام والنعم الكبار ولم ياخذوا ولا عقال خوفا من شراب المنية والاذلال ومن جملة ماتركوه الصيوان الممدود الذى له ثلاث مائة عمود وكان مكلفه من ماله اكثر من ثلاثين خزنة لانه اذا

انتصب كانه بلد أو مدينة ظهرت على وجه الارض والأعمدة من خشب الابنوس مرصعة من أعلاها باللؤلؤ والفصوص وفيه ستة وثلاثين ساعة دقاقين شغل السكهين افلاطين صاحب بلادالصين واقمشته من الحرير الرومى العال الغالى القدر والمثال فلما هربت الكفار وتركوا تلك الصيوان والاموال نزل الامير بيبرس وجلس على كرسى سرجويل وقال للمقدام اجمع الاسلاب والانعام وسلمنى هذا اللعين بن اللئام ففعل ذلك وبعد ان تهيأ الفراغ أمر الامير بيبرس بسرجويل فاحضره الفداوى بين يديه فلما رآه قال له اضرب عنقه ولا تبقى عليه فعندها أرماه الى الارض فصاح اللعين وهو ينتفض وقال انا في جيرتك ياامير بيبرس أنا فى عرض هذا المقدام فعند ذلك قال له أنا قلت لك فرج ربى قريب يا كلب فضحكت على وأسأت الادب ولكننى قد علمت أن ليس بعد الكفر ذنب والآن مابقي لك عندى اكرام الا أن تشترى نفسك بالمال والانعام فقال له اطلقنى وأنا اعطيك عشرة خزن من المال ومائة رأس من الجمال وخمسين جواداً أصال فقال له لا وعزة الله الملك المتعال ولكنك ان أردت السلامة من الهوان والعز من بعد النقصان فاعطنى هذا الصيوان بما فيه من الاموال والاوزان وأنا أمن عليك بروحك التى هى احسن من الف صيوان والا اعطنى راسك والسلام فقال له ياسيدى خذ الصيوان بما فيه ودعنى براسى ولا تأخذها منى فقال له عاصف ارحل أنت بنفسك ثم أعطاه جواداً من غير عدة وهو من الخيول الشاردة وقال له امض الى حال سبيلك فمضى اللعين سرجويل وهو فى حزن طويل هذا وقد جمع بيبرس الاسلاب والاموال وشد الجميع على ظهر الجمال وقال لعاصف افتح لى باب الشام فقال له سمعاً وطاعة ونهض عاصف من تلك الساعة وأرمى مفرده ونزل خلف

الباب وفتحه على آخره وأقبل بيبرس بما معه من مكاسبه ودخل من باب
الشام وعاصف قدامه شاهر الحسام ولا يبالى لابشيخ ولاغلام هذاوأهل
الشام قد راوه وبأعينهم رمقوه والجميع على فعاله يشكروه ولم يزل سائر
وعاصف ينادى بين يديه العاشق فى جمال النبى يصلى عليه حتى صار الى
منزل أمه فتلقته وبالسلامة هنته وجلس مع الفداوى على تكة وقسم المال
قسمان فاعطى القسم الاول الى الفداوى من غير نقصان والنصف الثانى
ياأخوان فرقه على فقراء الحال والارامل والايتام من الرجال والنسوان
والشباب والصبيان ولم ياخذ هو غير الصيوان وما شاء من الخيول لاجل
الحرب والقتال وبعد ذلك تودع الفداوى منه وتركه عند أمه وصار بالمال
الى محله فهذا ماكان منه (قال الراوى) وأما ما كان من أمر عيسى
شرف الدين فبينما هو جالس وقد دخلت عليه الاخبار بما فعل بيبرس مع
الكفار وبما أنعم الله عليه من الاموال وبما انفقه على الاطفال والنساء
فلما سمع ذلك الكلام عاد الضياء في وجهه ظلام وزادت به حسرته وقد
كاد ان تنفطر مرارته وزادت بليته وعظمت رزيته ثم انه عاد الى مكره
ودهاه وخداعه وبلاه وخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد وصاح على اربعة
من أعيان رجاله وقال لهم ائتونى بولدى الامير بيبرس فذهبوا اليه وأتوا
الى بيته وسلموا عليه وقالوا له أجب سيدنا عيسى شرف الدين فقال لهم
لاى شىء فقالوا له لا ندرى فقال لهم سمعاً وطاعة ثم سار من تلك
الساعة وكان صحبته عاصف بن بحر المرقب ولم يزالوا كذلك الى أن اتوا
الى الديوان فلما رآه عيسى وثب على الاقدام وقد هناه بالسلامة والامان
وقال له الحمد لله على سلامتك ياولدى وقد زاد فرحي وتكامل سعدى
حيث نصرك الله على الاعداء حيث انك حزت الاموال والاسلاب والنفال

والاحمال الثقال وتكرمت على النساء والرجال ولقد أرضيت الملك الجليل بهذا الفعل الجميل واشفيت الغليل وداويت القلب العليل ولكنك تكرمت على الفقراء بالاموال واعطيت النساء والرجال والعلماء والاشراف ونحن ماخطرنا لك على بال فلاى شىء فعلت هذه الفعال

(قال الراوى) فقال له ياسيدى انك والله عرضتنى للانذال وتخليت عنى دون الرجال ووالله انك لم تستحق عندى عقال ولا درهم واحد من المال والان فانا وأنت فى الديوان وعندنا العلماء أهل العرفان نقص عليهم هذا الامر والشان وانظر كيف يكون الحال والمقال من الكلام فقال له عيسى وقد تبسم من كيد الغيظ ياولدى الله يحرسك وعلى أعداك ينصرك هذا منك احتقار وكانى لم يكن لى عندك مقدار وهذا مما يحط بمقامى عند الكبار والصغار حيث انك تأتى من غزو الكفار وتفرقه على جميع أهل الاقطار ولا تمتنى أصحاب المقامات الكبار فعندها قال بيرس ياعلماء الاسلام يا اهل العقول والاحترام ما قولكم دام فضلكم في رجل أباح دمى للئام وأخرجنى اليهم بسوء مكره وأغلق خلفى أبواب الشام ولم يجاهد معى فى سبيل الملك العلام وقد أغضب بفعاله الرحمان وارضى أهل الطغيان ولقد نصرنى الله الكريم المتعال وأخذت الغنايم والاموال وقتلت أهل الكفر والضلال ويريد الان يأخذ منى ماجمعت من المال وما احتوت عليه يدى من الأنفال فقالوا له هذا لايجوز لافي شرع ولا سياسة ولا عند أهل الهندسة والفراسة ولا يحل فى شرع المختار ولا يرضى به الملك الجبار ثم ان العلماء تكلموا مع عيسى ولاموه وسبوه على فعاله وذموه فلازم السكات واضمر فى نفسه الغدر والنكبات وزاد به الاسف والقهر وضمر الى الامير بيبرس الغدر والمكر وقال له ياولدى أنا ما تكلمت معك الا

مزاح وانى أطلب منك الهزل والانشراح فلا تأخذ على خاطرك مني ثم جعل يضاحكه ويلاعبه ويتحدث معه بلين الكلام ولم يعلم بالقلوب الا الملك العلام الى وقت الزوال انفض الديوان فنزلت العلماء والاخوان ونزل هؤلاء

(قال الراوى) وأما ماكان من أمر عيسى فانه تفكر فى أمره وكاد أن تنفطر مرارته من قهره فارسل الى عايق من عياق الشام من أهل الكبائر والاثام فلما حضر اليه أجلسه وسلم عليه وقال له فلماذا أرسلت لى فقال له لى عندك حاجة وأريد قضاها منك من غير لجاجة فان انت قضيت حاجتى ولبيت دعوتى أعطيتك كل ماتريد وهذا الف دينار ذهب منى اليك ولك عندى مثلها اضعاف فقال له وما تكون حاجتك وسوف ابلغك امنيتك فقال له اريد منك ان تسرق لى بيبرس الى عندى وتكتم هذا السر عنى فقال له سمعا وطاعة وتركه ونزل بالالف دينار من تلك الساعة قال وهذا العايق يقال له ابليد وكان كافر عنيد ولا يخفى أمره في تلك البلاد وشره قد عم العباد فنزل الى بيت بيبرس وجعل يرتقبه الى الغلس حتى نامت العيون وتجلى الحى القيوم ونزل العايق عليه فرآه نايم على قفاه مشاهد مولاه فاخرج منديلا من البنج الطيار والقاه على وجه الامير في الاعتكار وهزه ثقلت دماغه فشده كتاف وقوى سواعده والاطراف وجعله في حمدان وزرر عليه ستة وثلاثين عروة وزرار وصعد به الى سطح الدار ودلاه الى الجداد ونزل على مفرده حتى نزل الارض وحمله واحتمله وصار ولم يزل كذلك حتى اتى الى عيسى فوجده له فى الانتظار فقال له هاهو غريمك فاخذه من بين يديه واصرفه من عنده بعد أن أنعم عليه وقال له امض الى حال سبيلك في البر ولا تظهر هذا الامر وان ظهر كنت أنا خصيمك دون البشر فقال له السمع والطاعة

وانصرف من عنده من تلك الساعة فهذا ما كان منه

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر عيسى فانه أخذ بيبرس وصار به الى طائفة عنده من داخل سرايته وأنزله فيها وتركه بكتافه ونشقه بالخل فى انفه فأفاق من غشوته وصحى من رقدته فلما أفاق على نفسه قال اشهد ولا اجحد ان الله واحد أحد فرد صمد ليس غيره يعبد وان حبيبه ورسوله المصطفى محمد اين انا قال له عيسى انت عندى أخس الرجال ياندل الانذال انظر لنفسك وهذا الحال لترى عواقب مافعلت من الفعال وانظر ما صنعت معك من الاعمال وبعد ذلك فهذا المكان قبرك حتى انك تلتقى بربك فقال له وقد تأسف تفعل معى هذه الفعال وانت تزعم انك والدى بين الرجال ولكن فرج الله قريب وكل أمر له سبب عجيب فقال له لا تطيل الكلام ياولد الزنا والحرام ثم انه تركه وعاد واغلق عليه باب الطبقة وذهب الى سرايته وقد هدئت منه سريرته وظن انه يسقيه كاس منيته فهذا ما كان من قصته وأما ما كان من أمر بيبرس فانه تأسف على ماجرى منه وما كان من أمره واحواله وما فعل عيسى فيه من هذا الامر ودواهيه فجعل يسلى نفسه بالاشعار ويرثى نفسه بالاقوال ومن جملة ماقال هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

صديقك من يعادى من تعادى بطول الدهر ماهتف الحمام
يريك الصداقة منه صدقا ولا يجرد اذا وقع الخصام
ولا يعدد اليك يد بحو نصل ولا يكون محاربا بنحو حسام
ويوفي الدين عنك بغير مطل ويرد باللسان عنك الانام
لكنه يتمنى لك الغدر سراً ولا يفصح لاحد فى الكلام
فلا تأمن قط كيد الاعادى ولا تأمنن له ابدا دوامي

وأما من يصادق من الاعادى ويضحك حين رشق الهامى
فذاك العدو من غير شك فتجتبه فعشرته حرام
وأما الصديق عند الشدائد شبيه الدر زينته النظام
اذا صادق صديقك من تعادى فقد عاداك وانفصل الكلام
فعش فريدا من غير خل فذاك الوقت مار من محام
وان صفى لك خلا فخذه فهو خير من جميع الانام
سألت الله يفرج ما نحن فيه فانه الشفيق بكل الانام
وهو الرؤوف بكل العباد وهو الكريم والبر السلام

(قال الراوى) ولم يزل يبكى وينوح على ما أصابه وهو يشكى من كثرة ما أنابه حتى ولى الاعتكار وطلع النهار وقد أرسل له كعب بين بقصماط وشربة ماء من غير انبساط فهذا ما كان منه وأما ما كان من ام فاطمة بنت الاقواسى فانها لما أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بكوكبه ولاح انتبهت السيدة فاطمة من منامها وأتت لتيقظ ولدها لانها انتظرته مثل عادته فلم ينزل عليها فحس قلبها بالمصيبة وصعدت الى المكان فما ترى فيه انسان ولا وقفت له على خبر ولا جلية أثر فلما تيقنت ذلك بكت وانت واشتكت وجعلت تنشد الاشعار وترخى الدموع الغزار وأول نظمها هذه الابيات صلوا على سيد السادات

كيف القرار ودمع العين منسكب وفى الحشا نار والعقل مسلوب
لفقد ولد كان بين الناس ذا كرم وقد كان فارسا في الحرب منسوب
لقد عدمته ولم ارقط طاعته وقت بعد العز بالنوح مكروب
لمن كان بين الناس ذا حسب غيث يردى الثرى كالماء مسكوب
قد كان حامينا اذا حاط العجاج بنا حصناً اميناً غالباً غير مغلوب

وانصرف من عنده من تلك الساعة فهذا ما كان منه

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر عيسى فانه أخذ بيبرس وصار به الى طائفة عنده من داخل سرايته وأنزله فيها وترك بكتافه ونشقه بالخل فى انفه فأفاق من غشوته وصحى من رقدته فلما أفاق على نفسه قال اشهد ولا اجحد ان الله واحد أحد فرد صمد ليس غيره يعبد وان حبيبه ورسوله المصطفى محمد اين انا قال له عيسى انت عندى يأخس الرجال ياندل الانذال انظر لنفسك وهذا الحال اترى عواقب مافعلت من الفعال وانظر ما صنعت معك من الاعمال وبعد ذلك فهذا المكان قبرك حتى انك تلتقى بربك فقال له وقد تأسف تفعل معى هذه الفعال وانت تزعم انك والدى بين الرجال ولكن فرج الله قريب وكل أمر له سبب عجيب فقال له لا تطيل الكلام ياولد الزنا والحرام ثم انه تركه وعاد واغلق عليه باب الطبقة وذهب الى سرايته وقد هدئت منه سريرته وظن انه يسقيه كاس منيته فهذا ما كان من قصته وأما ما كان من أمر بيبرس فانه تأسف على ماجرى منه وما كان من أمره واحواله وما فعل عيسى فيه من هذا الامر ودواهيه فجعل يبكى نفسه بالاشعار ويرثى نفسه بالاقوال ومن جملة ماقال هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

صديقك من يعادى من تعادى ... بطول الدهر ماهتف الحمام
يريك الصداقة منه صدقا ... ولا يجرد اذا وقع الخصام
ولا يعدد الكيد بحو نصل ... ولا يكون محاربا بحو حسام
ويوفى الدين عنك بغير مطل ... ويرد باللسان عنك الانام
لكنه يتمنى لك الغدر سراً ... ولا يفصح لاحد فى الكلام
فلا تأمن قط كيد الاعادى ... ولا تأمن له ابدا دوامى

وأما من يصادق من الاعادى ويضحك حين رشق الهامى
فذاك العدو من غير شك فتجنبه فعشرته حرام
وأما الصديق عند الشدائد شبيه الدر زينته النظام
اذا صادق صديقك من تعادى فقد عاداك وانفصل الكلام
فعش فريدا من غير خل فذاك الوقت ما له من محام
وان صفى لك خلا فخذه فهو خير من جميع الانام
سألت الله يفرج ما نحن فيه فانه الشفيق بكل الانام
وهو الرؤوف بكل العباد وهو الكريم والبر السلام

(قال الراوى) ولم يزل يبكى وينوح على ما أصابه وهو يشكى من كثرة ما أنابه حتى ولى الاعتكار وطلع النهار وقد أرسل له كعبين بقصماط وشربة ماء من غير انبساط فهذا ما كان منه وأما ما كان من ام فاطمة بنت الاقوامى فانها لما أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بكوكبه ولاح انتبهت السيدة فاطمة من منامها وأتت لتيقظ ولدها لانها انتظرته مثل عادته فلم ينزل عليها فحس قلبها بالمصيبة وصعدت الى المكان فما ترى فيه انسان ولا وقفت له على خبر ولا جلية أثر فلما تيقنت ذلك بكت وانت واشتكت وجعلت تنشد الاشعار وترخى الدموع الغزار وأول نظمها هذه الابيات صلوا على سيد السادات

كيف القرار ودمع العين منسكب وفى الحشا نار والعقل مسلوب
لفقد ولد كان بين الناس ذا كرم وقد كان فارسا في الحرب منسوب
لقد عدمته ولم ارقط طلعته وقمت بعد العز بالنوح مكروب
لمن كان بين الناس ذا حسب غيث يردى الثرى كالماء مسكوب
قد كان حامينا اذا حاط العجاج بنا حصناً اميناً غالباً غير مغلوب

له حزم للمنايا فيه مسكنة من اسمر مع رماح الخط انبوب
وكان غالبا لكل الحراب معا كريم الايادي والفضل الموهوب
وقد بكيت على فقد عزى فيا اسفي فمن ذا الذي يمحي ماسار مكتوب
ثم الصلاة على المبعوث من مضر خير الخلائق ولله محبوب

(قال الراوى) ثم ان السيدة فاطمة بعد ان فرغت من بكائها نهضت على أقدامها وصاحت على خدامها فأجابوها بالطاعة فدلت لهم على بدواة وقرطاس فأتوها بما طلبت فى عاجل الحال فجعلت تنظم وتقول في أوله هذه الابيات

وتحكم فى وجار واشتفى وعادانى بعد ان كان مواليا
ولكنى أسلمت أمرى للذى عالم بسرى ودارى بحاليا
وقد كادنى والله هذا والذى أصاب فوادى وأصبح عاميا
فخذوا بيدى يا آل اسماعيل نجدة فأنتم الاشراف أهل المعاليا
ألا فانجدونى يارجال بأسركم ولبوا دعائى وارثوا لحاليا
فانكم ذو شرف عظيم ونسبة واهل المكارم حقا والامانيا
وانى لم أقصد سواكم لشدتى فكونوا يا سادتى راحمين لما بيا
وان أبيتم مادعيتم اليه شكيتكم لمحمد المبعوث للناس راجيا

(قال الراوى) ثم انها سطرت الكتاب خطابا من السيدة فاطمة بنت الاقواسى الى بين أيادى اولاد اسماعيل الاشراف ذات الفضل الجليل نعلمكم ان أخيكم ولدنا الامير بيبرس بات عندنا في مكانه وأصبحنا فلم نر له خبر ولا حلية أثر فضاقت بنا الحيل وخفنا على ان يسطى عليه الاعادى واهل الحيل وارسلنا اعلمنا كم وبما جرى أخبرناكم فانظروا هذا الامر وتدبروا فيه بمعرفتكم واكشفوا لنا عن خبر أبيكم قبل ان تتمكن منه الاعادى والسلام على نبى تظلله الغمام ثم ختمت الكتاب بختمها وصاحت

على عبد من العبيد يقال له سعيد الدار فلما حضر بين يديها قال لبيك يا سيدتي قالت له خذ هذا الكتاب واركب على ظهر هذا الجواد وسر به من ساعتك هذه الى القلاع والحصون فاذا وصلت الى هناك ترى المقيمين بتلك النواحي فسلم على كل من تراه منهم واسأله على طريق المعرة وسر ميل وسر الى هناك واسأل على المقدم سليمان الجاسوس او ابوه اسد الدين العبوس او جده ابو الروس وتقدم الى بين أيديهم وسلم عليهم فاذا سألوك عن حالك فاخبرهم والزم الادب في حقهم بكل ما قدرت عليه ثم بعد ذلك تعطيهم الكتاب الذي معك فاذا قروه امتثل لهم انت في كل مايقولون وهذه حاجتي عندك فان قضيتها فانت حر لوجه الله من بعدها والسلام

(قال الراوي) فلما سمع سعيد الدار منها ذلك الكلام أجابها بالعزم والاهتمام وكانت أمرت له بخلعة سنية ومائة دينار عددية فاخذهم وركب على ظهر الجواد وسار يجد المسير وهو يقطع البراري والوهاد أياماً ولياليا الى أن وصل الى بلاد الدوار التي للمعرة ثم ان العبد سأل من الاتباع على نقيب الرجال فدلوه عليه في عاجل الحال فسار له ولم يزل سايراً حتى وصل القلعة وهو في عزم ورفعة فلما وصل الى هناك تحول من على ظهر الجواد وأقبل على الرجال باجتهاد فتلقوه الرجال وسن على الابطال وسألهم على المقدمين فقالوا له هم من داخل القلعة قال لهم خذوا لي اذن في الدخول وقولوا لهم أن عبد السيدة فاطمة الاقواسية قد أتى بجواب لكم من عندها ويريد قضاء حاجتها فعند ذلك ذهبت الاتباع المتوكلين بهذا الاصطناع ووقف العبد خارج القلاع فلما دخلوا الاتباع على المقادم سلموا عليهم وقالوا لهم ان بالباب عبد السيدة فاطمة الاقواسية يريد الاذن في الدخول والوصول الى بين أيديكم قال فلما

سمعت الرجال بذكر السيدة فاطمة الاقواسية صاحوا فى الاتباع ادخلوه والى عندنا أوصلوه ولا تتكلموا معه ولا تطردوه ولا تهينوه ولا تنهروه فتراجعت الرجال وهم فى غاية من الكمال وأخذوا العبد بين أيديهم وساروا به الى عند المقادم ولما وقعت العين على العين قامت الرجال للعبد وتلقوه وسلموا عليه واكرموه وفى أعلى الاماكن أجلسوه وذلك لاجل خاطر السيدة فاطمة ثم قالوا له مامعك من الاخبار ياعبد الله الجبار وكيف تخبرنا عن أخينا بيبرس فقال لهم العبد اما أخبار أخيكم فلا عندى منها شىء وأما سيدتى فهى على غاية من النعم وقد أرسلتنى اليكم بجواب واريد منكم رد الخطاب وها أنا قد أتيت اليكم من عند السيدة الاقواسية كفاها الله شر كل بلية والذى أقوله ان كتابى فيه خبر أخيكم بيبرس وحق من سلمت عليه الشمس فقالوا واين الكتاب فاخرج الكتاب وناوله لهم وكان الذى أخذ الكتاب أسد الدين العبوس ابو سليمان الجاسوس فحله وقراه وفهم رموزه ومعناه واذا فى اوله ماتقدم من الاشعار وما ذكرناه من الاخبار وعلى عنوانه هذين البيتين صلوا على جد الحسنين

كتبته وعندى من شريف جنابكم ... مايزيد بكائى أو يقل هجوعى

فرقوا لى وارحمونى فاننى ... سمحت لكم بقصتى وفيض دموعى

أمابعد فهذا خطابا من الحرمة الولهانة الكئيبة القهرانة السهرانة السيدة بنت الاقواسى الى بين أيادى السادات الاشراف بضعة أهل مناف أولاد اسماعيل الفلك الافخر المنسوبين الى فخر ربيعة ومضر ثم ذكرت لهم فى الكتاب ما سطرناه فى سابق الكتاب الى ان قالت لهم وانى ما وجدت له بخبر ولا وقفت له على أثر وما أخبرتكم عنه الا لانكم اعلمتمونى بان جميع ماجرى اطلعكم عليه وانا قد اعلمتكم بفقد ولدى فى الليل واتى واقعة

فى عرضكم ثم تهتموا فى طلب اخيكم وهذه اول حاجتى اليكم وانا فى عرض جدكم الامام على بن عم النبى محمد صلى الله عليه وسلم ولا بد من ارسال رد الجواب لاجل الاطمئنان عليكم وعلى ولدى والسلام على نبى تظلله الغمام (قال الراوى) فلما سمعت الرجال مافى الكتاب من المقال ساءت بهم الاحوال وصار الضيا فى وجههم ظلام وكثر بينهم الكلام وهاجوا مثل البحر الزؤام فتعجب العبد من ذلك المرام وما فهم العبد منهم الا انهم يقولون لبعضهم اخينا سرق وقد لعبت عليه الرجال واخذوه بالمناصب والاحتيال وقد سرقوه من عند امه ولا بد لنا ان ندور عليه ونأتى بالخبر ولو يكون تحت الارض السابعة ثم انهم انعموا على العبد بخلعة سنية والف دينار عددية وقالوا له سر الى سيدتك واقرأها السلام منا وقل لها انتظرى حضور المقادم اذا جن الظلام فاذا جن الظلام حضروا الى عندك مثل العبيد فقال العبد السمع والطاعة ثم خرج العبد من عند الرجال وقصد الارتحال بعد ان نودع من الابطال وسار طالب الشام ولم يزل يطوى الارض طى وينهب البر انتهاب حتى اقبل الى ارض الشام فلما قارب المكان تحول عن ظهر الحصان ودخل الديار وسلم على سيدته واعاد عليها ما جرا من الاخبار فلما سمعت تلك الاخبار انعمت عليه ومنت له بالاعتاق فهذا ما كان من هذا الاتفاق

(قال الراوى) واما ما كان من امر السيدة فانها سارت فى انتظار الرجال فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر اولاد اسماعيل فانهم لما طلع العبد من عندهم تقلدوا بسلاحهم وركبوا على ظهور خيولهم واخذوا اتباعهم من ورائهم وصاروا طالبين ارضاً غير ارضهم وهى ارض الشام وقد جدوا المسير الى آخر النهار وقد وصلوا

الى البساتين فترجلت الرجال عن الخيل وسلموها لاتباعهم وتركوهم وساروا راجعين غير راكبين ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى البلد وقد اقبلوا الى السور وارموا مفاردهم وتسلقوا على الاسوار مثل شعل النار وتحولوا ونزلوا من داخل البلد وهم متوكلون على الواحد الاحد ثم جمعوا المفارد وشالوها في حرمدانهم وساروا وهم متوكلون على ربهم ولم يزالوا كذلك الى ان اتوا الى بيت السيدة فطمة الافواسية وكانت السيدة في انتظارهم بالكلية فلما رأتهم قد قرعوا الابواب أمرت الغلمان ان يفتحوا لهم هذا ولما دخلت الرجال تلقتهم السيدة فاطمة في الحال من غير مطال وقد صعدت بهم الى قاعة الجلوس وجلسوا على الفراشات الثمينة والمخدات الملونة ثم أحضرت لهم المشروبات فشربوا واغتنموا اللذات وأخذت المماليك من اياديهم الكاسات وبعد قليل أقبلت السيدة فاطمة من غير تطويل فلما دخلت عليهم سلمت فقاموا الرجال اجلالا لقدرها ولما حصل لهم من اكرامها فلما استقرت في الجلوس بكت بين أيديهم وشكت حالها اليهم وجعلت تنعى على ولدها بين أيديهم وهي تنشد وتقول صلوا على طه الرسول

خانني الدهر الخؤون بحمله ... وقص جناحي وأعمى نواظري

كنت أمنته على ولدي وانني ... في حظ عظيم ونجمي زاهر

وقد أتيت اليوم أرجو نصركم ... والنصر من عند الكريم القادر

فالي سواكم في الانام حمى ... وانتم حماي وزخري وتفاخري

ثم الصلاة على الحبيب محمد ... نبي الهدى المبعوث بالحق ظاهر

« تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث »

وأوله خروج الملك بيبرس من السجن واسر عيسى باشت الشام بحيلة أولاد اسماعيل

ويطلب من المكتبة العلمية العمومية لصاحبها الحاج محمد أمين دربال

سيرة الظاهر بيبرس

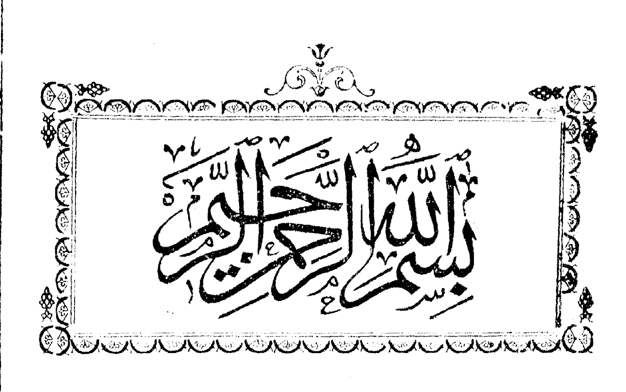
تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره ومشاهير أبطاله مثل شيحه جمال الدين وأولاد اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى لهم من الحيل والاهوال وهو يحتوى على خمسين جزء

الجزء الثالث

(الطبعة الاولى)

سنة ١٣٢٦ هـ — و١٩٠٨ ف

طبعت على نفقة الحاج محمد أمين دربال صاحب المكتبة العامية العمومية بشارع الحلوجى بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسينى



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قال الراوى) فلما فرغت السيدة فاطمة من الشعر والنظام وقد ندوا وطربوا من مقالها السادات الكرام وهمت مدامعهم سجام ونادوها ياسيدة لا تبكى فنحن له الفدا ونفديه بارواحنا من الردى ولكن اخبرينا هل يكون له عدو من الاعداء أو حاسد من أهل الردى فقالت لهم نعم له عدو وهو من أكبر الاعداء اليه نصره الله عليه فقالوا لها ومن هوذلك قالت لهم عيسى شرف الدين باشت الشام فانه والله اكبر اعداءه قال فلما سمعت الرجال من السيدة فاطمة تلك الاقوال نظر بعضهم الى بعض وقد تغامزوا باشارات يعرفونها بينهم ثم التفتوا اليها وقالوا والله قد عرفنا الغريم ولا يلزم الى تعريف اكثر من هذا الآن فى ذلك كفاية فاذهبى الآن الى محلك وما يمضى الليل الا واخينا عندك وتأخذيه ملء حضنك ويزول همك وغمك باذن الله ربنا وربك فلماسمعت السيدة كلامهم شكرتهم على فعالهم وأثنت عليهم ثم تركتهم وصعدت الى قصرها وهى تطلب رد ولدها

من ربها فهذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر الرجال فانهم قاموا
من وقتهم وساعتهم ونزلوا من المكان بكليتهم ولم يزالوا سائرين الى ان
أقبلوا الى سراية الشام فلزموا مفاردهم وصعدوا الى الاسوار وانحدروا
الى داخل المكان وملوا المفارد ثم أقبلوا يدورون فى الاماكن والقاعات
والقصور والمحلات الى ان رأوا مكانا فيه عيسى وهو نائم على سرير عالى
من خشب الصاج فأقبلوا اليه وايقظوه وقد ارعبوه وازعجوه فلما افاق
من رقدته وبحلق مقلته تحقق فيمن ايقظه وفوقه واذا بهم اولاد اسماعيل
والرجال الا بأطال فوقع به الخوف والفزع الوبيل ولكنه أظهر الجلد واخفى
الكمد وقوى قلبه واخفى رعبه ورجع الى خداعه ومكره وقال لهم اهلا
وسهلا باهل القلاع والاسود الكاسرة والسباع والابطال الفداوية
والاشراف الاسماعيلية فعند ذلك جرد المقدم سليمان الجاسوس الشاكرية
وهجم على عيسى بالكلية وقال له ان كنت انت اهلا للمكر والخداع فنحن
جرثومة الحيل والانخداع فاعلم الآن انه مابقى لك خلاص من يد القناص
ومابقى لك فى الدنيا غير هذه الساعة وما عاد ينفعك الا الشهادة فلما سمع
عيسى ذلك الكلام اخذه الهيام ولحقه الانهتاك والانهزام وبال فى سراويله
وانقطع ظهره ولحقه اكبر همه وقال لهم مالذى فعلت معكم حتى تقتلونى
وتيتموا عيالى فقالوا له انت على كل حال تعرف ذنبك وما أنت ناسيه
بل انت عارفه وداوك معانيه فقال لهم انا ما علمت لى ذنب ابدا فاعلمونى
مالسبب الذى أوجب لى شراب الردى فقالوا له وحق الاسم الاعظم والرب
المعظم ان لم تصدقنا في ذلك والا اسقيناك المهالك فقال لهم وقد زاد به
الهم والاسف أصدقكم وحق من على العيون احتجب فقالوا له اين الذى
عندك ومقيم فى ارضك وبلدك وواخذه فى حضنك وجاعله ولدك الذى

يسمي بيبرس قال فلما سمع عيسى ذلك تعجب غاية العجب وعلم انه ان كذب عليهم سقوه العطب لاجل ما اقسموا من الايمان التي هي عندهم اقوى من كل سبب فقال لهم لاى شيء تدورون علي هذا الغلام وما هو لكم ولا ينسب الى أهلكم ولا تعرفونه ولا يعرفكم فقال له المقدم سليمان الجاسوس اعلم ياعيسى ان هذا الغلام عدو لسلطان القلاع والحصون وقد امرنا بمجيبه من اى محل يكون فقال لهم وقد انطلى عليه المقال وتزخرف له الضلال وما الذى عمله مع سلطان القلاع وما السبب الموجب في العداويه بينه وبين أهل البقاع فقالوا له أن عنده رجل مقدام وهو عاصى على السلطان وسلطاننا نادى في الفلا ان كل من تاواه أو ادخله الى حماه او عين يكون مهروق الدم واذيقه كاس فناه وقد اخبرتنا الجواسيس ان المقدام مقيم عند هذا الغلام فطلبناه في البلد فلم نجده عند أحد من الناس فطفنا عليه الاماكن فما وجدناه فعلمنا انك اعز أحباه فقصدنا اليك فدلنا عليه والا أخذناك ترد جواب للسلطان لاننا لانطلبه الا منك وان لم تفعل أخذنا رأسك والسلام على من تظلله الغمام قال فلما سمع عيسى ذلك هدأ روعه واطمأن قلبه وزال عنه همه ورعبه ثم انه اعتدل لنفسه وقال لهم يارجال اعلموا انه ليس هذا ابني ولا أنا أبوه وانما هو غلام فاطمة الاقواسية والصواب ان تطلبوه منها فقالوا له قولا واحدا اما ان تقول لنا عليه او تدلنا عليه حتى نقيلك وتتخلص من أيدينا والا قتلناك وسرنا برأسك الى حاكمنا فان هذا غريم الخوند الكبير وما نقدر نتخلف عن طلبه فيقتل منا الصغير قبل الكبير واما انت فلا تخاف ولا تخشى بأسا ولا اسراف لانه ان كان عندك كانت لك اليد البيضاء عند سلطان القلاع والحاكم على أهل البقاع وان أردت اننا نكتم سرك ولا نظهر أمرك فعلنا ذلك وذكرنا للسلطان اننا وجدناه

فى الوديان فأخذنا رأسه والسلام وبهذا الشأن انت خالص من الكريهة ولا ينفعك بعد هذا المطل والمارغة في السؤال فان لم تدلنا على خصمنا والا قتلناك ومن نعيم الدنيا أحرمناك وأرمينا عنقك في وسط قصرك وأخذنا رأسك حتى نقابل بها سلطان القلاع وانت تعرف اننا لانبالى بعسكرك ولا بكل من في الشام ولا نخاف من اضعافهم ولا من السلطان الذى يحكم عليك (ياساده) فلما تحقق الهلاك ونظر بعينه شراب الارتباك قال لهم ياقوم اعلموا أن هذا غريمى واكبر اعدائى اذا دليتكم عليه تأخذوا روحه من بين جنبيه حتى يشفى غليلى منه فقالوا له هو كما ذكرت وسوف ترى بعينك مايسرك فى خصمك فأين هو قال لهم هو عندى في قبضة يدى وبقتله آمن على نفسى قالوا له هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب فقال لهم ان قتلتوه عندى فلكم على خمسة آلاف دينار وتعطونى جثته وتأخذوا رأسه الى سلطانكم اجهار فقالوا له شأنك وما تريد ولما تقرر الامر بينهما على ذلك نهض قائما على الاقدام وسار بالرجال وهو قدام وهو يهدر مثل الجمل الهجام ويقول والله انه اقليل الادب وكثير الاشرار فكيف يعادى سلطان الحصون ويفعل مثل هذا الفنون ولم يزل كذلك حتى اقبل الى الطابقة الذى فيها بيبرس وهى تحت الارض لايرى منها قمرا ولا شمسا هذا ولم يعلم عيسى بما كتب له في الغيب ثم انه فك الاقفال وصار وفتح باب الطابق فى الحال وقطع السلاسل النازلين الى ان اقبل الى هذا المكان الذى فيه بيبرس فلما وقعت العين على العين ورأى عيسى وهو مقبل ظن انه يريد عقوبته او قتله سلم أمره الى ربه (ياساده) فقال له عيسى ياقرنان ياابن الف قرنان من مثلك تعادى السلطان والرجال الاشراف فالآن لقد حل بك التلاف وما بقى من عمرك غير هذه الساعة من غير خلاف هذا وقد ارتعد

الامير وخاف خوفا شديد ماعليه من مزيد وتأمل بنظره واذا قد راى اخوانه الفداويه مقبلين خلفه فاطمأن قلبه وزال عنه همه وكربه وعلم ان الحيلة تمت على عيسى لاجل خلاص الامير من الاسر هذا وقد صاح عيسى بالرجال هذا خصمكم هاهو الساعة بين ايديكم فى القيود والاغلال والباشات الثقال خذوه الآن واقتلوه واقطعوا رأسه ولا ترحموه ودعوا أمه تندب عليه او انها تقتل نفسها وتذهب اليه وانا اعطيكم عشرة آلاف دينار ولكم على الخلع الكبار ويكون بعد قتل هذا الغلام لكم مالى وعليكم ماعلى والسلام (قال الراوى) فما لحق عيسى ان يتم الكلام حتى تقدم اليه الامير سليمان الجاسوس وضربه صفحا بالشاكريه القاه الى الارض وقد انكب على وجهه كانه قتيل وقد غشى عليه من هذه الضربة بذلك السلاح الصقيل ثم انقض عليه اوثقه كتافا وقوى منه السواعد والاطراف ساعة من الزمان وقد افاق على نفسه وتمنى أن الارض تبتلعه وقال لهم بصقاعة ذقنه ياقوم ماذنبي عندكم وما الذى فعلت معكم بعد ان سلمتكم خصمكم فقالوا له ما هو الا اعز احبابنا واغلا من أرواحنا التى بين اجنبنا فعلم عيسى ان الحيلة تمت عليه فسكت على مضض هذا وقد قال المقدم سليمان الجاسوس له ياقرنان يامتعوس ماهى الا حيلة وقد تمت عليك وبها اخذنا اخينا من بين يديك وعلمنا انك عدوه الاكبر والبلاء المحرر ثم ان المقدم سليمان امر بعده فى السرداب فمدوه الرجال الاحباب وضربوه ضرب الكلاب حتى انه اشرف على الذهاب وبعد ذلك خلصوا اخيهم من الاغلال واخذوه بالاحضان فقال لهم الامير جزاكم الله كل خير كثير هذا شأن الرجال وفعال الابطال والله لقد فعلتم مع والدتى اعز جميل واشفيتم الغليل وارضيتم بفعالكم الرب الجليل ودبرتم الحيل واخذتمونى من يد هذا العدو الفشل

فقالوا له والله لو كنت فى سد الاسكندر ذو القرنين ماتركناك غمضة عين ولا بد أننا نسعى معك ونخلصك من يد كل عدو كان ذلك ولو كان فى ذلك اتلاف مهجتنا فشكرهم بيبرس على فعالهم وجزاهم بكل جميل على مقالهم ثم انه التفت الى عيسى وقال له اى ذنب كان لى عندك حتى جازيتنى بالعقاب وارميتنى فى هذا السرداب ولكن الآن هانوا دماغه ياأعز الاحباب ومن عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المنا والهنا وعندها فرحت المقادم بقوله وتقدم سليمان الجاسوس اليه وجرد الشاكرية وانتدب على رأسه وقال دستور يادولتلى اقطع رقبة هذا الغدار وأريح منه الكبار والصغار وبعد ذلك نجملك حاكما على الشام ولا نبالى بكل الانام فعند ذلك التفت عيسى ولاجت عينيه وأيقن انهم قضوا عليه ورقبته ظن انها ضربت من بين كتفيه فصاح بعلو صوته ياولدى يابيبرس اعذرنى في ذلك الامر فانى لم أقدر اكافئك على جميلك واعلم انى معذور وقد بلغنى عنك من الاعداء انك ضمرت على قتلى واهانتى والدليل على ذلك انك لا اعطيتنى شيئا مما نالك من غزوة اخصامى واخصامك فاغوانى الشيطان ان هذا عنك صحيح ثم اغوانى على ذلك الفعل الذى غير مليح ففعلت ياولدى ولكننى تندمت على ما كان منى وأنا قد عملت بأصلى فلا تأخذنى بذنبى واعمل انت بأصلك وسامحنى وان عدت لمثلها فسيفك خصمى وقد أبحت لك دمى وانا فى عرضك وحسبك ثم انه سكت بعد ذلك الكلام فقال له الامير بيبرس ياقليل الادب انت ابقيت لى عرض والاحسب فوحق من على العيون احتجب انك مستحق لكل مايصل اليك من النصب والتعب فقال له أنا في عرض أمك ومن الآن تبت على يدك وهذا الرجال الحاضرين الذين هم فخر أولاد اسماعيل علينا من الشاهدين فقالوا له الاشراف ياأخينا اخبرنا بما تريد ان تفعل اما ان نقتله ولا نبالى بما قال

و لا نتركه الى ان يقم منه أمر آخر على كل حال فعند ذلك قال لهم اصبروا ولا تعجلوا ثم التفت اليه وقال له هل تبت عن يقين والا أخلى اخوتى يتركوك من الهالكين فقال ياولدى دعنى ولا تشمت العداء بقتلى فانى من الآن تايب على يديك ولا لك منى الا ما تقر به عيناك

(قال الراوى) فلما سمع الاشراف والامير بيبرس كلامه استحى منه ورق له قلبه ودخل كلامه فى لبه وقال لاخوانه يا اخوانى يا أهل الاكرام العفو من شيم الناس العظام وقد سمعتم أقواله وعرفتم زوره ومحاله وشهدتم على توبتــه على انى أقول مالى عدوا غيره وان كان يجرى على أمر من الامور فما يكون خصمى غير هذا الغرور فلا تطالبونى من غيره فان نقض التوبة مرة أخرى اقتلوه واسقوه كؤساً مرة لانه قد تاب من الآن فان عاد فلا تقبلوا فيــه شفاعة انسان والان فاكرموه لاجل خاطرى ودعوه يفعل مايريد فقالوا له والله يادولتلى ما مرادنا ان نبقيه ولا نرى لك عدواً على وجه الارض ونخليه ولا بد لنا من قتل أعداك وهلاك كل من يشناك فدعنا نقطع نحره ونريحك من شره وغدره ومكره فعندها قال لهم عيسى يارجال طاوعوه وفى مقالتــه لاتسفهوه واعلموا بانى تبت على يدكم لاسيما وقد وقعت فى عرضكم ومن الان ان كان يجرى أمر من الامور فانا به مطلوب ومحصور وبعد ذلك فقد أبحت لــكم دمى فاعف عنى ولا تأخذونى باول ذنب منى فقالوا له اذا كان الامر على ما ذكرت والحال على ما وصفت وتريد أننا نعفو عنك ولا نهرق دمك ترجع عن الفساد وظلم العباد والا حل بك هذا العناد واذا جرى على أخينا شىء من الان فما نجازى به الا أنت دون كل انسان فهل رضيت بذلك فقال لهم رضيت والمقدم سليمان الجاسوس وكيلا عنى فى ذلك

(قال الراوى) فتكفل به المقدم سليمان الجاسوس وضمنه الى الرجال ثم انهم حلوه من ذلك النعس والنكس وأمروه أن يقبل يد الامير الدولتلى بيبرس فتقدم اليه وقبل يديه ورأسه ورجليه وكان هـذا على غير مراده ولـكنه مافعله باجتهاده الا خوفا من الموت الذى ما كان له ذلك الوقت منه فوت ولـكنه أخفى الـكمد وأظهر الجلد وجعل يخفى مايقلبـه من الترح ويظهر للمقادم السرور والفرح ثم تصافت القلوب ثم انهم طلعوا من الطابق وجلسوا بين المراتب والعتـايق وطلب الامير عيسى الشربات فشربوا وذكروا محمد صلى الله عليه وسلم ولذوا وطربوا ثم ان عيسى أخلع على المقادم الخلع الحـسان وأعطاهم عشره آلاف دينار من غير نقصان وبعد أن غمرهم بالعطا تقدم اليهم ووقع في عرضهم وقال لهم اكتموا عنى هذه القضية ولا تذكروها لاحد بالـكلية ولا تذكروا أن بيبرس كان عنـدى ولا في قبضة يدى فقالوا له نحن من القوم الاحرار الاشراف الاخيـار الذين سيمتهم كتم الاسرار والمحامية عن الحريم والصغـار ثم بعد ذلك ودعوه ونزلوا من عنده الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمرهم

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر السيدة فاطمـة بنت الاقواسى فانها تلك الليلة باتت ساهرة وفي أمرها حايرة وهى الى المقـادم منتظرة فبينما هى متفكره ولم يقر لها قرار ولا يهوى عينها نوم ولا استقرار فبينما هى كذلك واذا بالرجال قد أقبلت والى نحو بيت السيدة فاطمـة عولت فتأملتهم السيدة فاطمة فرأت الامير بينهم كانه النجمة الزاهرة الدائمه فلما شاهدت ذلك فرحت فرحا عظيما وزال عنها الحزن الذى كان بها مقيم وخرت لله ساجدة وشاكرة وحامدة وقد صاحت على الخدام من فرحتها فانتبهوا من المنام ونزلوا وفتحوا الباب كلمح البصر فدخلوا الفداوية مع

الامير المفتخر وهم فرحين بما نالهم من خلاص أخيهم شاكرين الله رب العالمين (ياسادة) باكرام ثم أن الخدام أجلسوهم ورحبوا بهم وبالسلامة هنوهم وقد قبلوا يد الامير وهو فى وسطهم كأنه القمر المنير وقد اوقدت بينهم الشموع الموكبيات والمسك بالروائح الزكيات

واقبلت المطابق بالحلوات والشرابات بالمناديل المزركشات وهم مغمورون بالاموال كل منديل فيه الف دينار ولما تناولوهم الاشراف وضعوا الجميع بين يدى الامير من غير خلاف واضافوا باقى المال الذى اخذوه من عيسى على الكمال وقالوا له ياأخينا هذا مالك ولانأخذ شيئا على خلاصك من يد قناصك قال فلما سمع الامير ذلك تعجب من حسن مروءتهم وقال لهم يا رجال لأى شىء ما اخذتم هذا المال فقالوا له ياأخينا ارواحنا فداك ولا شمتت بك اعداك وبعد ذلك فكل أموالنا بين يديك ولا نبخل بكل ماتملكه عليك وانما لم نأخذ منك أموالا فى هذا الآن الا اذ آن لك الاوان واخذ بيدك الملك الديان وصرت ملكا وسلطان فانما نبقى كلنا ان نغازى فى سبيل الله ونقاتل بين يديك اعداء الله ونأخذ منك العطا والمواهب والخيول والجنايب لان مالك غير ناحبايب وقد رأينا ذلك عندنا فى الجفر والكتايب فشكرهم الامير على ذلك واثنى عليهم ورد عليهم الاموال فحلفوا ان لا يأخذوا منها دينارا ثم اقبلت السيدة فاطمة وهى تقول كثر الله خيركم ولا عدمت بطول الدهر فضلكم لأننى قد وصل الى جميلكم وغمرنى احسانكم جبر ربى خواطركم كما جبرتم كسرى ورديتم على ولدى وحشاشة كبدى وقد خلصتموه من عدوه فالله تعالى يجازيه بفعله ويرسل له من يكون ضده فقالوا هؤلا الرجال ياسيدتى هذا سيدنا ونحن كلنا عبيده وخدامه وخيرنا كله من بعض احسانه فنسأل الله تعالى ان يبلغه مناه ولا يشمت به أعداه وبعد

ذلك أرواحنا فداه ولا كان من يشناه فشكرتهم السيدة على فعالهم ومدحتهم على ما كان منهم ثم تودعوا الفداوية من أخيهم الامير بيبرس وأيضا من السيدة ونزلوا من البيت واقبلوا على الاسوار وارموا المفارد ونزلوا عليها مثل شعل النار وساروا طالبين الديار والبراري والقفار وكل ذلك في غيهب الاعتكار (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وما كان لهم من الاخبار وأما ما كان من السيدة فاطمة فانها أخذت ولدها بيبرس وطلعت به الى القصر وقد زال عنها الهم والحصر فلما استقر بهما الجلوس قالت له ياولدى اخبرنى أين كنت وأين كانت غيبتك فقال لها ياأمى والله انى قد كان في خاطرى انى أخبرك بكل ماجرى ولكن الآن ما أقدر أتلفظ بلفظ واحد لان اخوانى قد أخذوا على العهود واقسموا على بالملك الماجد على ان لم اذكر لاحد المكان الذى كنت فيه وبذلك اقسمت لهم وقد عاهدتهم ولكن سوف يظهر الكلام اذا مضت الايام فدعينا الساعة من هذه الاحكام قالت له ياولدى الحمد لله على السلامة (ياسادة) ثم انه طلب المنام فانصرفت عنه السيدة ونام وتوكل على العليم العلام الذى لايغفل ولا ينام وقد أذن الله انه لايبات تلك الليلة الا في مكانه لاجل سعادته وسلطانه (ياساده) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس من الروابى والبطاح وسلمت على زين الملاح وانتبه الامير وصلى صلاة الافتتاح أتوا اليه بالشرابات والمآكل الفاخرات فأكل بحسب الكفاية وشرب وحمد رب البراية ونزل الى قاعة الجلوس وهو ضاحك غير عبوس وأتته اولاد الشام وهنوه بالسلامة من الاخطار وكان قد بلغهم طرفا من الاخبار فأكرمهم وحياهم واكرم مثواهم وأخذوا حظهم وانصرفوا الى حال سبيلهم هذا وقد طاب العز والانس لدولتلى

الامير بيبرس وزاد عليه الحظ والشان وأقام بارض الشام (قال الراوى) فهذا ماكان من أمر هؤلاء وأما ماكان من أمر السيدة فاطمة فان عزها زاد باذن رب العباد وكثر بها الوداد وحمدت على ذلك الملك الجواد (قال الراوى) وسنرجع الى سيرة خادم الحرمين الشريفين وقائد الرايتين المتكلم بالصدق لاباالشين الزناد القادح والبحر الملان الطافح والزناد القادح الولى الناجح الملك الصالح نجم الدين أيوب ولى الله المجذوب وما يقع له من الكلام العجيب والامر المطرب البديع الغريب الذى يجب ان نسوقه على الترتيب حتى ان المستمع يلذ ويطيب بعد الف صلاة ترضى النبي الحبيب صاحب البردة والقضيب والناقة والنجيب الذى من صلى عليه قط لايخيب وكيف يخيب وهو يصلى على حبيب الحبيب شفيعنا يوم القيامة من اللهيب انه كان فى بعض الايام جالس على كرسى قلعة الجبل مثلك يوحد القديم الازل وقد تكامل الديوان وتكاملت الوزراء والحجاب والنياب والسادة والاخوان والاغاشاهين عن يمينه وأيبك التركمانى عن شماله والايوبية والموصلية والزرسجية والخزرجية والقاضى بين يديه والقاضى بن دقيق العيد والقاضى صلاح الدين بن الشيخ جلال الدين القرافي والملك قد جلس يتعاطي الاحكام وقد راق الديوان فبينما الملك جالس والديوان حابك واذا بالوزير الاغا شاهين الافرم قد نهض الى محل الطلب وقال يامولانا السلطان المراد ان ترسل لى رجلا من أولاد عمك يجمع لنا الخراج من البلدان ويأخذه من النواب ويسير به الى أرض الشام ويسلمه الى عيسى الناصر فيرسلها مع خيل البريد لاجل ان يحضر لنا الاموال ولم يكن فى ذلك اهمال لان أوان الحج قد اقترب ونريد ان نجهز لوازم أهل الحجاز والعرب كما جرت به العادات في كل عام ياملك الاسلام فقال له الملك السمع

والطاعة انظر لنا من يروح في قضاء هذه الاشغال تلك الساعة فقال الاغا شاهين من يسافر الى تلك البلاد ويأتى لنا بالخراج من أهل المهاد (ياسادة) يا كرام فعند ذلك انتدب رجل من الاكراد ووقف بين يدى الملك وقال أنا آتى بالمال وارجع سريعا على كل حال فتبينه الملك واذا به نجم الدين البندقدارى وكان هذا بزعم الملك الصالح فقال له يانجم الدين دع هذا الامر الى غيرك وانى لاجل المال ما تركك ان تسلك الاودية الخوال فقال له يا ابن العم اعلم ان لى هناك حاجة أخرى أريد اقضيها فى هذه المرة فقال له ماهى الحاجة يا ابن العم فقال له اعلم ياأمير المؤمنين وخادم قبر سيد المرسلين ان زوجتى السيدة شهوة لها أخت مقيمة بأرض الشام يقال لها السيدة فاطمة بنت الاقواسى وهى من الناس الكرام وكنت تزوجت بأختها من مدة ما أقبلت من أراضى بكر وان هذه السيدة فاطمة لها غلام ولا رزقت غيره فى الانام وقد توفى الى رحمة الله تعالى فتواصلت الى اختها الاخبار بما نالها من الاضرار وبلغها انها لاجل ولدها لا يقر لها قرار ولا تذوق النوم لا بالليل ولا بالنهار فأعادت على زوجتى هذه الاخبار واطلعتنى على ذلك الآثار فطيبت خاطرها وقلبها ولبها وقلت لها لابد ان اسير الى أرض الشام وأزور ذلك المقام وأطيب خاطر اختك من أجل هذا الغلام وكنت ياأمير المؤمنين اريد منك الاذن فى المسير وسرعة الجد والتشمير فأتانى الامر كما أريد وجرت هذه الامور باذن الملك المجيد فاذا أنا سرت اليها آخذ بخاطرها وأعزيها فى ولدها لان اختها مشغولة القلب عليها ومن اشتغالها بذلك الشان طلبت منى فى ذلك الاستاذان بالمسير الى تلك البلدان وعلى كل حال رواحى أنا خير من رواح زوجتى لانها على كل حال من النسوان فدعنى اسير فى حاجتك وحاجتى واقضى مراد زوجتى ويبقى رواحى بفائدة

وحجة وحاجة زائدة لاسيما وانى أريد اتشرف بالخدمة لامير المؤمنين وابن عجم سيد المرسلين

(قال الراوى) فلما سمع الملك الصالح من ابن عمه نجم الدين البندقدارى ذلك الكلام هدر وترجم وارغا وازبد وهاج كما يهيج الجمل وتكلم بكلام لايفهم حتى تعجب الحاضرون من كلامه ومافهمو مرامه لانه صاح يابن العم اذا وصلت الى ذلك العلم تجيب الطير وتدخله فى القفص وتجبر كسر قلبى وتزيل عنه الغصص وتحايل عليه وتحط له العلف والماء والكلف وتكرمه ومن كل شىء لا تحرمه فقال نجم الدين اى طير يابن العم ومن تعنى بذلك الكلام فقال الملك الله الله يانجم الدين يامن هو على الحق المبين اذ الفائدة اذا انت جئت بالطير تحمله لنفسك وتخبيه عنى فى بيتك ولكن يااخى وعزة الربوبية لابدان يظهر ويبقى ظاهرا مثل الشمس والقمر ولا يفيدك من ضياه شىء فلا بد له ان يكمد حسوده ويقهر سعده جحوده ويعلو امره على الطيور ويبقى له امر مشهور وعملا مشكور ولكن دعنى من هذا الكلام المذكور فسوف يظهر كل ذلك باذن الملك الغفور فقال له نجم الدين يابن العم انا لست ادرى معنى هذا الكلام ولا افهم عن من تعنى من الانام فقال الصالح أنا رجل على باب الله مسلوب العقل فى حب الله فلا تؤاخذنى في كلامى ولا تكثر فى ملامى فقال الاغاشاهين لا اله الا انت سبحانك مااعظم شأنك واعز سلطانك ولا اله غيرك خلقتنى ورزقتنى وبعشرة الناس الكرام عرفتنى الهى اسألك بحرمة حبيبك محمد صلى الله عليه وسلم لاتحرمنى من اسيادى الذين حبهم ملك فوادى ومااعرف لهم مقال ولا اعرف لهم جواب انك أنت الكريم المتعال ثم ان الملك التفت الى الاغا شاهين وقال له اخلع عليه ووليه هذا

الامر وا كتب له الكتب فانى قد أجبته الى ذلك السبب ففعل الوزير
ماامره الملك به وقد نزل الشيخ نجم الدين وقد انعقد له الموكب فركب
الشهبة وسار بالخلع والهبة ولم يزل سائراً الى ان وصل الى بيته وكان
بالحسنية فتحول عن مركوبه بالكليه وصعد الى الحريم فتلقته زوجته وعن
حالته سألته وقد رأته لابس الخلعة فقالت لاى شيء لبست هذا القفطان
فقال لها انى مسافر الى حلب والشام اجمع خراج الاقاليم حكم أمير المؤمنين
فلما سمعت منه ذلك الكلام قالت له ياابن الاعمام اسألك بالملك
العلام اذا انت وصلت الى ارض الشام تقرى أختى جزيل السلام وتأخذ
بخاطرها عنى فى فقد الغلام وتعزيها فى ولدها وتقبل عنى رأسها وتذكر
لها انى مامنعنى عنك الا المشقة والامور المحققه وبعد الطريق وعدم
الرفيق وتخبرها بان قلبي عليها كثير وبعد ذلك فالله يهون عليك المسير
ويعيدك بالسلامة الى أرض مصر من غير ملامة (قال الراوى) فلما
سمع منها ذلك قال لها اعلمى انى ماطلبت السفر لهذا المحجر وخاطرت
كل الخطر الا لاجل هذه الحاجة ولهذا الامر اكثر من كل امر محرر
(ياسادة) ثم انه بات تلك الليلة في أرقى رتب السيادة ولما أصبح الله
بالصباح وأضاء بنوره ولاح جهز نفسه الى السفر ولم يأخذ على ذلك
مصطبر الى ان تمت الاشغال وبرزت الخيام والخدام خارج البلد واجتمعت سائر
رجاله ولم يبق منهم أحد ونزل نجم الدين البندقدارى الى ظاهر البلد
وركب وزار الامام وسكان القرافة واهل البقع العظام ولما رجع من
الزيارة طلع الديوان واخذ الاذن من السلطان وتودع منه ومن بنى الاعمام
وطاب السير في الاكام ولم يزل سائرا بامكان وهو يقطع البرارى والقفار
حتى وصل الى غزة وتلك الاوطان فامر بالنزول فنزلت العساكر والرجال

فى هذه البرارى الخوال هذا وقد وصلت الاخبار الى نائب غزة فنزل نائبها اليه وقبل الارض بين يديه وامر له بالعلوفات والاقامات والهدايات وبعد ان اخذ الراحة اخرج الكتاب وقال له خذ هذا الكتاب واجمع مافيه جميعا وارسله الى ارض الشام سريعا لانى في امرى على عجل ثم انه أخذ منه الكتاب فرأى علامة السلطان فاجاب وقال سمعا على الرأس لاعلى الاقدام فها نحن مطيعون لامر السلطان ثم أن نجم الدين تودع منه وسار طالبا أرض الشام حتى وصل اليها باهتمام وقد نصبت الوطاقات فنزل وجلس فى الصيوان ووصلت الاخبار الى باشت الشام بان نجم الدين وصل الى الشام وانه ماأتى الا بسبب الخراج فانزل اليه ولاتكثر اللجاج فلما سمع باشت الشام ذلك الكلام توانى فى امر رسول السلطان وقال اذا كان غدا أنزل اليه حتى انى أسلم عليه ثم تركه ولم يعتنى به فهذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر نجم الدين البندقدارى فانه جعل ينتظر من يأتى اليه من طرف باشت الشام مثل شيخ او غلام فلم ير احداً أتاه من الانام فتعجب من ذلك غاية العجب وقال والله ان هذا لابد له من سبب وأى سبب ولكن سوف يظهر ويبان العاصى والطايع لامر السلطان

(قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من أمر الامير بيبرس فبينما هو جالس فى بعض الايام فى بيت امه والمماليك من حوله واذا بعلى الاقواسى أقبل الى ذلك المكان وطلع الى اخته وغاب ساعة ونزل وهو متغير الوجه منزعج فلما رآه الامير بيبرس على مثل ذلك الحالة صاح عليه فاجابه بالتلبية وأقبل عليه فاجلسه الى جانبه وتأنى عليه حتى ذهب غيظه ونواكبه وقد أمر له بالشربات وما يناسبه حتى افاق مما هو فيه وراق ثم اقبل عليه وقال له مالى أراك دخلت الى الحريم وانت فى غاية من

الانشراح وخرجت وانت منزعج بالاتراح فاخبرني ماالسبب في ذلك فقال له ياسيدى اعلم ان زوج خالتك قد اقبل من أرض مصر وهو يقال له نجم الدين البندقداوى وقد بلغ الخبر بذلك الى باشت الشام فنادى له عيسى بالزينة فى غد لاجل المقابلة وانما نريد ان نقابله وندخل معه الى الشام وأنا على كل حال باش بالك بشوية رجال اليمين وقد دخلت الى أختى وطلبت منها تبديلة تليق بمقامى البسها غدا بين اقرانى واقوا بى فما بلغتنى مرامى لاسيما وهو زوج اختى وان التبديلة التى عندى لاتصلح الى مقابلته ولا تليق أن امشى بها بين رفقتى واخاف ان ترانى اهل الشام بعين النقص والهوان وانى اوعدت اختى انى أعيد اليها التبديله ولا آخذها ثانى مرة فلما سمعت منى ذلك الكلام قالت لى اعلم يا اخى انا لم يكن لى تصرف فى المال ولا فى المكان وانى لا احكم من المال على جديد ولا اقدر على كسوة لعبد من العبيد لا اذا كان ذلك باطلاع ولدى بيبرس وانه هو صاحب المال ولم يكن لى شيء عنده من النوال ولا أعطى درهما ولا دينار الا اذا كان باطلاع ولدى بيبرس لانه هو الذى قد وضع يده على مالى ونوالى ولم يكن لى عنده شيء فان كان مرادك شيئاً فاذهب اليه وقص سؤالك عليه فان اعطاك فبرأيه وان لم يعطك فبأمره فلما سمعت منها ذلك صعب على وكبر لدى ونزلت من عندها وانا متغير فلما نظرت اليك وناديتنى اجبتك وسألتنى أخبرتك وهذه حكايتى والسلام (قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس كلامه تبسم ضاحكا وقال له ياسيدى لا تأخذ على خاطرك من أختك ابداً فها نحن وما ملكت أيدينا باسمك وبحكمك واعلم انها ماقالت لك ذلك حتى انها علمت انى لا أمنعك من كل ماتطلبه فاطلب ماشئت واسئل ماهويت فقال له وقد زال عنه بعض ما كان يجده من الغيظ أطال الله بقاك ولا كان

ومن يشناك هذا وقد طيب خاطره الامير بيبرس وما زال معه فى حديث ومؤانسه الى ان اقبل الليل بالاعتكار وقد طلبت العين حظها من المنام وكانوا قد قضوا الفروض وصلوا على الرسول وأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا واضطجعوا بعد ذلك في فراش واحد الى ان ظهر الظلام وأبد الابتسام نهض الاثنان وصلوا فرضهم وما زالوا في ذكر وتسبيح الى ان بزغت الشمس وأمر الامير باصلاح الحمام ففعلوا ذلك الجوار والغلمان ثم دخل الامير الى الغلمان وهو معه وأمر الجوار ان يقلعوه بدلته ويصلحوا شأنه فاجابوه بالسمع والطاعة هذا وقد دخل الامير بيبرس الى الصناديق وأخرج له بدلة مثمنة تليق به وهى من المعادن والفصوص على غاية قال وكانت هذه بدلة الامير حسن الاقواسى وهى التى قد أعدها للمواكب فاخذها بيبرس وسار بها الى قاعة الجلوس ووضعها على كرسى وسار ينتظره حتى يخرج من الحمام وما زال كذلك حتى خرج على فتلقاه الامير باحسن ملتقى وأجلسه الى جانبه وقدم له بدلة أبيه وقال له ياسيدى البس فهذه منى اليك هبة كريم لايعود فى عطاه (قال الراوى) فاخذ على البدلة وأفرغها عليه ثم تقلد بالسلاح والعدة واقتفل فيهما وأخذ بيبرس ملء احضانه وقبله بين عينيه وقال له ياسيدى اعلم ان اختى قد نظرت نظراً وهو في محله ولقد أبصرت موضع النظر وانها والله صاحبة رأى وتدبير ولقد صنعت المعروف مع أهله وانك أهل العطا والفخر والمقام العالى وما كنت أظن انك على مثل ذلك وقد بان لى منك الخير وانت صاحب الحسب والنسب فقال له الامير بيبرس اعلم انى خادمك وغلامك والله تعالى يسعد ايامك ويهلك اخصامك ثم ان الامير أمر الركبدار أن يحضر ركوبة مفتخرة ففعل الركبدار ذلك وركب الامير بيبرس على جواد سرجويل وركب

على الى جانبه وقد أخذ الامير بيبرس اللت العشرة ارطال الدمشقي في يده وسار الى جانب على حتى خرجوا من الابواب وكان الامير بيبرس صبيح الوجه حلو الشمايل يحبه كل من رآه فلما نظرت اولاد الشام الى ذلك ورأو زينة مالها من نظير وموكب عظيم كبير وقد انعقد الموكب بالرجال وسار الامير علي وبيبرس في اوساط الموكب فلما عاينوا ذلك أولاد الشام انقسموا فرقتين فرقة منهم وهم الفصحاء والعقلاء قالوا هذا من زكاة عقل الامير بيبرس وشكروه على فعاله والباقون ساروا يتكلمون في حقهم فمنهم من يقول هذا عشيقه ومنهم من يقول كان بالامس بايت معه في الفراش ومنهم من يحلف بالطلاق وقد كثر القيل والقال والكلام والخناق وقد عرف الامير بيبرس منهم ذلك لان البصير لايخفى عليه كل أمر خطير فعندها ترجل الامير على جواده وسار الى جانب جواد على وقد أظهر اللت الذى معه وسار يلعب به قدام جواد الامير فهابته الناس (ياسادة) ولما نظر على الي ذلك الفعال فما هان عليه ان الامير يكون ماشيا وهو راكب دون انه ترجل الآخر عن جواده ومشى الى جانب الامير بيبرس فقال له لماذا يا اخى ترجلت عن الجواد فقال له أنا لا أركب وانت راجل فقال له أنت ماعليك منى فاركب ظهر جوادك لانك قادم الى لقاء زوج أختك ولك رتبة وأنت طالع من أجلها وما أنا طالب غير الفرجة كاحد الناس وأعود الى حال سبيلي فلا بد من ركوبك فقال له الامير على دعنا نسير سوا فقال له الامير بيبرس وحق رأسى الا تركب ولا تكون راجلا أبداً والا عدنا من هاهنا قال فاخذه منه الحياء وأراد الركوب واذا قد لقيهم مقدم يقال له حسن منسك باش السيار وهو طالع الآخر الى الموكب وولده ماشى الى جانبه عن يمينه فتأمل واذا به رأى على بن الاقواسى

وكان شريكه في رتبة الميمنة وبجانبه الامير بيبرس ابن اخته وهو كانه البدر في تمامه فعندها تقدم حسن وصبح عليه وكان هذا أحسن رفيقة بيبرس فناداه بيبرس الى أين يااخي فقال مرادي ان اتفرج على الطوابق فقال له يا اخي وانا معك ووالدي يسير مع المقدم على الى لقاء الامير فقال الامير بيبرس يا اخي لقد قلت الصواب ثم انه ترك جواده مع السايس وجعل يده في يده وساروا طالبين الفرجة وعنهم الامور منفرجة وصاروا وقد تركوا رفقاهم فهذا ماكان من أمر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من امر على بن الاقواسى صاحب الميمنة فانه صار هو وحسن صاحب الميسرة الى ان اقبلوا الى اوائل العسكر فترجلوا عن خيولهم وعبروا بذلك الحشمة فقاموا لهم الرجال وتلقوهم احسن استقبال ودخلوا الى عند الامير نجم الدين فتزعزع لهم وقد سلموا عليه وباس يده على الاقواسى وانعزل الى جهة اليمين وكذلك المقدم حسن منسك وعاد الى رتبته ذات اليسار هذا وقد ترحب بهم الامير وحياهم وزاد فى اكرامهم

(قال الراوى) فبينما هم كذلك واذا بباشت الشام قد اقبل فى موكبه وكان موكب عظيم فيه قد اجتمعت رؤوس الشم فلما أقبل ترجل فترجلت الرجال ودخل عيسى الناصر شرف الدين على نجم الدين البندقدارى وقبل يده فاجلسه الى جانبه فترحب به وأقبل من بعده نقيب الاشراف فهم اجلالا له وتلقاه وأكرم مثواه ولما استقر به الجلوس أقبلت القضاة والشيخ النووى وعلماء الشام بين يديه والجميع قد احتفل بهم المكان وتكامل بهم الصيوان وراق الحى وصفت قلوب الاخوان

(قال الراوى) فتبادر عيسى الناصر الى الامير نجم الدين بالكلام وقال له ياسيدى اعلم انك ما أتيت الى عندى الا وأنا محتاجا اليك ومنتظر

الى طاعتك وأنا واقع في عرضك وتحت زمامك فقال نجم الدين وقد
تعجب ولاى شيء ذلك يا أخي قال له اعلم انى قد أتى الى عندى ولد معكوس
وطالعه منحوس وهو يقتل القتيل ويدع دمه يسيل ولا يبالي بكبير ولا
بصغير ولقد فعل فى هذه الارض فعلا خطير واسمه بيبرس ولكنه قاطع
الطريق وخاين الرفيق وفاسق زنديق وشارب الخمر العقيق وقاتل النفس
من غير تحقيق وفاعل الزنا وكل أموره غنا وأناماقدرت عليه ولا وصلت
اليه فبالله عليك أن تقتله وتريحنا من طلعته لانك اذا أمرت بقتله كانت
لك من الله المنة وربما دخلت بسبب قتله الجنة اذا أنت كفيتنا شر هذه
المحنة (قال الديناري) فقال نجم الدين ياعيسى انك الآن أنت المدعى ولا
بد من المدعى ان يقيم الدليل حتى يثبت قوله مع أنى لم أثق بقولك ولا
أصغى لكلامك الا اذا شهدت الناس الطيبين وأهل الخيرات أو العلماء
الثقات يشهدون بين يدى بان هذا بيبرس ابن زنا وفعاله غير صالحة فاذا
ثبتت عليه هذه الاقوال وفيه كلما ذكرته من الكبائر فانا بعد ذلك أريحك
من هذا الكلب وأزيل ماعندك منه من الكرب واريح أولاد الشام من
شره وأرد كيده فى نحره قال فلما نظر عيسى الى ذلك انفطرت مرارته
ولم يجد له سؤال بعد ذلك يزيل به كسفته غير أنه قال ياوزير الزمان سوف
ترى العجب وأنا أسأل الله تعالى المحتجب يصدق شيبتى عندك وترى
هذا السبب (قال الروى) واعجب مافي هذه السيرة العجيبة من الامور
المطربة الغريبة أن عيسى لم يتم دعاه حتى أقبل خادمين الوزير نجم الدين
البندقدارى وهما حاملين قتيل وما زالوا به حتى وضعوه الى بين يدى
الامير نجم الدين وهم يقولون ياوزير الزمان ما يحل من الله فقال لهم ماالخبر
قالوا له يامولانا عوضك الله خير في سايس باشا مقدم الركوبة العرندباس

وكان شريكه في رتبة الميمنة وبجانبه الامير بيبرس ابن اخته وهو كانه البدر في تمامه فعندها تقدم حسن وصبح عليه وكان هذا أحسن رفيق لبيبرس فناداه بيبرس الى أين يااخي فقال مرادى ان اتفرج على الطوابق فقال له يا اخي وانا معك ووالدى يسير مع المقدم على الى لقاء الامير فقال الامير بيبرس يا اخي لقد قلت الصواب ثم انه ترك جواده مع السايس وجعل يده في يده وساروا طالبين الفرجة وعنهم الامور منفرجة وصاروا وقد تركوا رفقاءهم فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من امر على بن الاقواسى صاحب الميمنة فانه صار هو وحسن صاحب الميسرة الى ان اقبلوا الى اوائل العسكر فترجلوا عن خيولهم وعبروا بذلك الحشمة فقاموا لهم الرجال وتلقوهم احسن استقبال ودخلوا الى عند الامير نجم الدين فترعرع لهم وقد سلموا عليه وباس يده على الاقواسى وانعزل الى جهة اليمين وكذلك المقدم حسن منسك وعاد الى رتبته ذات اليسار هذا وقد ترحب بهم الامير وحياهم وزاد في اكرامهم

(قال الراوى) فبينما هم كذلك واذا بباشت الشام قد اقبل في موكبه وكان موكب عظيم فيه قد اجتمعت رؤوس الشام فلما أقبل ترجل فترجلت الرجال ودخل عيسى الناصر شرف الدين على نجم الدين البندقدارى وقبل يده فاجلسه الى جانبه فترحب به وأقبل من بعده نقيب الاشراف فهم اجلالا له وتلقاه وأكرم مثواه ولما استقر به الجلوس أقبلت القضاة والشيخ النووى وعلماء الشام بين يديه والجميع قد احتفل بهم المكان وتكامل بهم الصيوان وراق الحي وصفت قلوب الاخوان

(قال الراوى) فتبادر عيسى الناصر الى الامير نجم الدين بالكلام وقال له ياسيدى اعلم انك ما أتيت الى عندى الا وأنا محتاجا اليك ومنتظر

الى طاعتك وأنا واقع في عرضك وتحت زمامك فقال نجم الدين وقد تعجب ولاى شيء ذلك يا أخي قال له اعلم انى قد أتى الى عندي ولد معكوس وطالعه منحوس وهو يقتل القتيل ويدع دمه يسيل ولا يبالى بكبير ولا بصغير ولقد فعل فى هذه الارض فعلا خطير واسمه بيبرس ولكنه قاطع الطريق وخاين الرفيق وفاسق زنديق وشارب الخمر العقيق وقاتل النفس من غير تحقيق وفاعل الزنا وكل أموره عنا وأنا ماقدرت عليه ولا وصلت اليه فبالله عليك أن تقتله وتريحنا من طلعته لانك اذا أمرت بقتله كانت لك من الله المنة وربما دخلت بسبب قتله الجنة اذا أنت كفيتنا شر هذه المحنة (قال الديناري) فقال نجم الدين ياعيسى انك الآن أنت المدعى ولا بد من المدعى ان يقيم الدليل حتى يثبت قوله مع أنى لم أثق بقولك ولا أصغى لكلامك الا اذا شهدت الناس الطيبين وأهل الخيرات أو العلماء الثقات يشهدون بين يدى بان هذا بيبرس ابن زنا وفعاله غير صالحة فاذا ثبتت عليه هذه الاقوال وفيه كلما ذكرته من الكبائر فانا بعد ذلك أريحك من هذا الكلب وأزيل ماعندك منه من الكرب واريح أولاد الشام من شره وأرد كيده فى نحره قال فلما نظر عيسى الى ذلك انفطرت مرارته ولم يجد له سؤال بعد ذلك يزيل به كسفته غير أنه قال ياوزير الزمان سوف ترى العجب وأنا أسأل الله تعالى المحتجب يصدق شيبتى عندك وترى هذا السبب (قال الروى) واعجب مافي هذه السيرة العجيبة من الامور المطربة الغريبة أن عيسى لم يتم دعاه حتى أقبل خادمين الوزير نجم الدين البندقدارى وهما حاملين قتيل وما زالوا به حتى وضعوه الى بين يدى الامير نجم الدين وهم يقولون ياوزير الزمان ما يحل من الله فقال لهم ماالخبر قالوا له يامولانا عوضك الله خير في سايس باشا مقدم الركوبة العرندباس

لاولاد الشيخ قال فلما سمع الوزير نجم الدين ذلك اغتم غما شديدا ماعليه من مزيد وقال لهم ومن الذى قتله وفي دماه جندله ومن الذى قدداس على طرفى وقتل صاحبى وانا موجود لست بخفى قالوا له اعلم أن الذى قتله غلام صغير وهو دون أولاد الشام حقير فقال لهم ومن اسمه قالوا له اسمه بيبرس من شبان الشام (قال الراوى) فالتفت الامير نجم الدين وقال ياعيسى هكذا يصح قتل سايسى في بلدك فقال عيسى الحمد لله الذى لم يفضح شيبتى عندك وأنا من قبل ذلك اعلمتك وقد أخبرتك وبحديث هذا الغلام أطلعتك ومن فعاله حذرتك وأنت لم تصدقنى حتى قتل سايسك وقد ظهر الحق وبان وذهب الباطل والبهتان

(قال الراوى) فعند ذلك اشتد غضب الوزير نجم الدين وصاح فيمن حوله من الرجال على هذا الولد الزنا وتربية الامة الخنا سوف أخذ منه بالثار واجلى عن نفسى هذا العار فالآن ثبت عندى قول عيسى وسوف أجعل هذا الغلام فى تجارته خاسر فعندذلك تجارت الخدام واقبلوا الى بيبرس وداروا به من كل جانب ومكان غير انهم لم يقدروا ان يتقربوا اليه ولا لاحد منهم جسارة ان يهجم عليه ومع ذلك لايعتنى بهم ولا يبالى باضعاف امثالهم (قال الراوى) وكان السبب في ذلك سبب عجيب وأمر مطرب بديع غريب وهو ان الامير بيبرس لما أخذ على منسك وطلع به الى الفرجة كما ذكرنا وساروا يتفرجون على أرباب الفنون كما وصفنا ولم يزالوا من مكان الى مكان حتى اقبلوا الى طوابق الحكم فلما عاينت اولاد الفنون الامير بيبرس استقبلوه ومدحوه وشكروه وذلك لوجهين أحدهما انهم يعلمونه انه قيم فى الصراع وبهلوان ومعالج كل انسان والثانى لانه صاحب كرم عليهم ويده مبسوطة بالعطايات اليهم هذا وقد فرشوا لهم

واجلسوهم من داخل طابقهم وجعلوا يلعبون بين أيديهم فبيناهم كذلك اذ أقبل عليهم رجل فقال له العرند بشاديده وكانوا هؤلاء يريدون الفرجة وهذا العرند باشة المركوبه الذي لنجم الدين البندقداري فلما وصلوا الى هـذا المكان فتأمل العرند فرأى بيبرس وعلى منك وهما جالسين من داخل الطابق كأنهم البـدور الطوالع فلما عاين ذلك ذهب عقله وغاب لبه وتقدم الى الامير بيبرس وباس يده وكذلك على وجلس الى جانبهم وجعل يحدثهم ويلاعبهم ثم انه قال لهم قوموا معي الى مكانى حتى تصيروا اخوانى وآخذكم معي الى ارض مصر وان اقمتم عندى كان لكم الفخر فقوموا معى الى الاصطبل حتى يشيع ذكركم بين اقرانكم لانى انا كبير المقدمين والعياق بارض مصر عز اولاد الشيخ سايس نجم الدين البندقدارى فلما سمع منه بيبرس ذلك الكلام قال له ياابى واى شيء يفيـدك منا اذا مضينا معك الى المكان الذى تريده وما نحن سياسين ولا خدام ولا غلمان فقال لهم العرند قم معى انت ورفيقك وانا أعلمكم الـكرار ويبقى لـكم عند الناس تذكار واى تذكار وتكونون انتم الاثنين برسمى ليلا ونهـارا ولا أخلى أحدا يدنو منكم لا من الكبار ولا من الصغار فقال له بيبرس وقد عرف المعنى ياأبى امض عنا الى حال سبيلك فقال له العرند اسمع قولى وطاوعنى في فعلى وان لم تسر معى طوعا أخذتك كرها فصاح عليه بيبرس وقال له امض الى حال سبيلك بلا قلة أدب فلمـا سمع منه العرند ذلك ضحك له وقال أنا قليل الادب ياحبيبى ثم مد يده اليه وقرصه فى خده وأراد أن يمسك لغده فغاب بيبرس عن الوجود وبقى حاضر في صفة مفقود وجرد الات الدمشقى وقال له أنت ماترجع عنى فقال له لست حايد ولا بد من أخذك واجعلك الليلة فى

حضنى وأحظا بوصلك فعندها زاد غبنه ورفع باللت يده وضربه به على رأسه ضربة جبار عنيد أخرج مخه من أنفه فوقع العبد الى الارض قتيل يخور في دمه ويضطرب في عندمه وطلب بعد ذلك اتباعه الذين كانوا خلفه ولوح اليهم بيده فتهاربت من بين يديه وقد جلس بعد ذلك مكانه كانه الاسد الهدار ولم يأخذه من ذلك افتكار ولا اضرار فهذا ما كان من أمر بيبرس وما جرى من نوبته (قال الراوى) وأما ما كان من أمر على منسك فانه لما عاين ذلك الاحوال طلب لنفسه الفرار والفلال وقد هرب فى ساعته في الحال هـذا وقد وصلت الاخبار بمـا جرا للعرند من الاضرار فهربت الناس في الغبار وساروا لايلون على احد وقد بالغوا فى الاقوال وقالوا انه قد قتل بيبرس الفا من الرجال فسار الرجل يجرى ويتلفت خلفه ومايصدق ان يصل الى الدار ويغلقها عليه بالاحجار الكبار فهذا ما كان من امر اهل الشام واما ما كان من أمر السياس فانهم انوا بتابوت ووضعوا العرند فيه وهو قتيل وقد ساروا به الي نجم الدين واخبروه بمـا كان وكان قبل ذلك تحدث معه عيسى في مثل هـذا الشان فثبت عنده الكلام واخذه الغضب والحردان وقال علي به فتراجعوا اليه الخدام كما ذكرنا وداروا من حوله ولم يجسروا عليه كما وصفنا فهذا كان الاصل والسبب وسنرجع الى كلامنا الاول باذن من لايزول ولا يتحول (قال الراوى) ولمـا اقبلت العساكر الي ذلك الطابق ورأوا الامير بيبرس جالس كأنه الاسد وعلى ركبتيه اللت الدمشقى تراجعوا على اعقابهم الى بعيـد ونادوه يأمير عليك السمع والطاعة اجب الوزير نجم الدين البنـدقدارى فقال لهم الامير بيـبرس سيروا أنتم قـدامى وأنا سائر على اثركم فقالوا له ولم لا نسير معنا ايهـا

الامير فقال لهم وقد وقعت له الهيبة فى قلوبهم وحق رأسى ان لم تسيروا قدامى والا ضربتكم بهذا اللت فلقت رؤوسكم ولا أبالى بكم ولا بامثالكم ولا بسيدكم فعندها ساروا قدامه كأنه طاردهم محتسبين منه وجدوا فى سيرهم وهم سائرين مسير الخوف والفزع ولم يصدقوا بانهم وصلوا الى الصيوان فدخلوا على الامير نجم الدين فقالوا له أيها الامير هذا الغريم قد أقبل فقال لهم هل أتيتم به متكتف أم قبضتموه بغير كتاف فقالوا له لا والله ياسيدنا وانما دعيناه الى ذلك فاجاب وسرنا قدامه وسار هو خلفنا كأنه الراعى ونحن الاغنام ومازلنا كذلك حتى اتينا اليك وهاهو الساعة بين يديك هذا وقد دخل الامير بيبرس واقبل على نجم الدين وسلم فرد عليه السلام فقال له هذا الذى قتل السايس وهو الآن بين يديك فاحكم فيه بما تريد فقال عيسى والله ياسيدى مادواه الا القتل فانك اذا قتلته رحتنا منه ومن اذيته ومن شؤم طلعته فعندها قال الوزير البندقدارى أنت الذى قتلت السايس قال نعم قال له لماذا قال انه رجل قليل الادب وقد اساء الادب في حقى وقد تكلم بى بما لا يليق وقد جرا منه كذا وكذا ثم أعاد عليه الحديث الذى جرى بينهما فعند ذلك قال له انك امرؤ مشهور بالفسوق والفساد والزنا والعناد وأنت رجل ظالم وفي فعلك غاشم ثم ان الامير نجم الدين صاح فيمن حوله من الرجال دونكم وهذا القرنا فتبادروا اليه الرجال وتكاثرت عنه الشجعان وادراوه كتاف وقووا سواعده والاطراف وقال بعد ذلك ارموه فى نطعة الدم فارموه وعيسى يقول عجلوا عليه والسياف ينتظر الاذن من الوزير نجم الدين البندقدارى هذا وعيسى افرح الناس فى قتل بيبرس فبينما السياف ينتظر الاذن من الامير وقد اذن له ان يضرب رقبته فرفع السياف يده حتى بان سواد

ابطه وعلى بالحسام الى الجو واراد ان ينزل به واذا بشخص اقبل من خلفه وقبض على الحسام فالتفت السياف اليه لينظر من فعل ذلك وقد بهتت الرجال وبهت عيسى الناصر وتأملوه واذا به على بن الاقواسى فلما رآه السياف اهابه وتأخر عن الامير وقد اخذ على منه السيف وتقدم به الى الامير وقطع كتافه وفك العصابة من على عينيه وقبله وطيب خاطره وناوله نته وتقدم بعد ذلك الى زوج خالته وقد ازال الله بغضة الامير بيبرس من قلبه وسار يحبه من ساعة اعطاه التيديلة وكان بيبرس قبل ذلك يوده ويحسن اليه ولما رآه على هذه الحالة اتى له بما هان عليه فتقدم الى زوج خالته وسلم عليه وقبل كتفه وباس يديه وقال على فى نفسه ازرع مع هذا جميل لعله يمحى البغضة من قلب امه وقد نظر نجم الدين الى الامير على وقال له ماالذى تريد يااخي فقال له ياوزير الزمان وسيد اهل مصر والشام انى جئت اليك ناصحا وفى امورى لك ناجحا وذلك انك اذا قتلت هذا الغلام لم تقدر ان تطا بقدمك ارض الشام ولا يهنى لك فيها طعام ولا شراب ولا منام ويعود قتله عليك دون غيرك وبالا تام ولم تر لك حبيبا فيها ولا فى مصر ولا فى سائر الانام فاى أرض تقلك وأى سماء تظلك بعد قتل هذا الغلام وأين تقصد من الاوطان فقال له نجم الدين وقد زاد غيظه عليه وتلك تحدثنى بهذا الكلام وانا لى فى أرض الشام أهلا واخوان فاذا ضاقت على الاقطار أقصد بيت أختى فاطمة الاقواسية صاحبه التذكار الذى أنا متزوج باختها فى تلك الامصار وما جئت هاهنا الا بسببها ومن أجلها فقال له انك لم تقدر تنظرها ولا تدخل عليها ولا تقابلها فقال له لاى شىء وانا ماجئت الا لاعزيها في ولدها وازيل عنها ماتجده من همها وغمها فقال له على ياوزير الزمان اعلم انك الآن تريد ان

تقتل ولدها بيدك وتمضي فيه بحكمك وبأمرك ونهيك وبعد ذلك تعزيها فيه فوالله لقد صدق المثل السائر حيث يقول ان من يقتل القتيل بحربته ويمشي بعدها في جنازته ويعزى فيه اهله ورفقته ويبكي عليه ويرخي دمعته فقال له الوزير وما المعنى في هذا الكلام ياعلي اطلعني على الحقيقة فلقد دخل قولك في قلبي واخذ بمسامعي ولبي فقال له ياسيدي اعلم ان هذا هو الامير بيبرس بن اختي فاطمة الاقواسية بنت حسن الاقواسي قال لها هذا ولد فاطمة قال نعم قال والله لقد اراد عيسى الناصر بذلك لوعتي وطردي من مصر والشام ولكن الحمد لله على السلامة له واني يطيب على قلبي ان افديه بنفسي وبمالي وروحي ولكن كيف العمل في باشت الشام واولاد الشام وقد شهدوا عليه الجميع بكل فعل شنيع وربما ارسل عيسى الى طائفة اولاد الشيخ واعلمهم بما جرى ويذكر لهم ان ما احدا احماه غيري وعلى كل حال هم اولاد مصر وعياقها ولا يقدر عليهم احد ولو قتلوني فيه فلا يبالون بمثل ذلك لا بالوزير ولا بالسلطان وبعد ذلك فالامر اليك فقال علي الرأي عندي انك في ذلك اليوم تطلق الامير بيبرس وتمهل هذه الحكومة الى غدا والمنادي ينادي في سائر أولاد الشام ان الاجتماع في المحل المنير والمكان الشهير والجامع الكبير جامع بني أمية غدا يوم الخميس المبارك فاذا حضرت الناس عند صلاة الظهر توقف الاثنين وهما بيبرس وعيسى الناصر الى جانبه على يد الشرع العزيز وتشهد الناس على الاثنين وتقام الدعوة على الفريقين فكل من ثبت عليه الحق الى صاحبه تنتقم منه على ما فعل في حق الآخر بقدر ظلومته وأيضاً تستنطق أولاد الشام على ما فعل بيبرس مع العرند وتأخذ المكاتبات بخطوط العلماء وما فعله الشرع لا أحداً يراجعه ابداً فلما سمع الامير نجم الدين ذلك قال لقد

قلت الصواب والأمر الذى لايعاب ثم انه نهض قائما على الاقدام وأخذ بيبرس ملء الاحضان وأجلسه في أعز مكان وعيسي قد ضاق عليه المكان وكادت مرارته ان تذوب مما نزل عليه من البهتان وأمر الوزير نجم الدين المنادي ينادي بما قدمنا ذكره فنادى النقيب وسمعتـه اولاد الشام ثم أمر الوزير بدفن العرند فدفنوه وانقضت الاحكام(قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ماكان من أمر الوزير فانه اقام فى السراية الى ثانى الايام وركب فى سائر اصحابه وسار طالب الجامع وكان قد آن وقت الظهر فصلي به نقيب الاشراف وقد حضرت اهل العلوم وأصحاب الانصاف وايضا حضر الامير بيبرس وعيسى ثم توافقوا الاثنين على يد قاضى الاسلام وقال القاضى ماذا تدعى ياعيسى فقال أدعى على هذا انه قتل خمسة وثلاثين من اولاد الشام وقتل كبيرهم سعيد الحبشى الركبدار الذى هو من سلالة بلال مؤذن النبي المفضال وفعل فعل الانذال من شرب الخمور ونكاح غير الحلال فقال شيخ الاسلام ياسادتنا يا أشراف يا اهل الجود والانصاف هل ما يدعى به هذا عيسى من الاقوال صحيح ام غير صحيح فى الاقوال فعند ذلك تقدم نقيب الاشراف وقال ان هذا اسراف وهذا بيبرس ماعلمنا عليه من سوء ولا فساد ولا تلاف وهو اشرف من عيسى عملا واوفى ذكراً واعظم قدرا وفعلا وما فعل ذلك عيسى معه الا من الغيرة والحسد وحق الواحد الاحد الفرد الصمد ونحن لانتحول عن الحق ولا نتكلم الا بالصدق فلما شهد نقيب الاشراف صدقت عليه العلماء والتجار الكبار والعمد من اهل ذلك الديار وعيسى قد صار قلبه على مقالى النار (ياسادة) فعند ذلك ظهرت براءته وسأله الامير نجم الدين عن العرند وقصته فاعاد عليه كلما جرى من قصته فقال عيسى ان بيبرس ركب علينا العدو وكادنا ولولا

وجودى أنا وعساكرى لكانت الاعداء بطشت بنا وأخذوا ارضنا وبلادنا وما منع العدو غيرى أنا فقالوا اولاد الشام هذا كلام ماخطر حق على لسانه ولا يسمعه عاقل فصيح البيان ولقد ذكر عيسى زور وبهتان وما هو الا حجر ازرق فى طريق المسلمين بان بيبرس هو الذى كسر العدو وأباده وأفنى جموعه وأجناده ورده عن البلاد ولولاه لهلك عيسى وملكت الشام وحورب الانام ولقد أخرجه الى خصمه بمفرده واعانه ربه على العدو وساعده وأخذ بيده وأهلك خصمه وضده وعاد بالاموال والغنائم والاثقال فعند ذلك خرس عيسى ولم يبد كلام ولا كان له لسان بين هذه الجموع والاخوان (قال الراوى) ياسادة يا اهل العرفان فلما سمع الامير نجم الدين ذلك البيان وتحقق عزم الامير وما له من العز والشان وبان له كذب عيسى والبهتان قال لا اله الا الله الملك المنان ثم التفت الى عيسى وقال له ياخوان ياقرنان يابن الف قرنان تريد ان تقلدنى بدم هذا الانسان وآخذ ذنبه فى رقبتى يا أخس الاقران وتذكر فيه ما هو فيك من النقصان وتذمه بغير وجه البيان ثم صاح فيه فتأخر الى وراءه وقال شيلوه من على الشام وقد رضوا بذلك علماء الاسلام ثم أمر له بالحديد والاصفاد فغلوه وجعلوه عبرة للعباد وأمر ان يسجن فى سجن ضيق ظلام ففعلوا به ماأمر الوزير الهمام وعاد ما دبره عليه وبال فسبحان من يظهر الحق ويخفى الضلال

(قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الوزير نجم الدين فانه خلع على الامير بيبرس خلعة سنية وقبله بين عينيه بالكلية وركب وركبه معه وساروا قاصدين الى بيت السيدة فاطمة الاقواسية ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى المكان وقد تسابقت الخدام واعلموا السيدة بقدوم ولدها وزوج اختها نجم الدين فنزلت اليهما وسلمت على زوج اختها

وسلم هو ايضاً عليها وعزاها فى ولدها وجلس مع الامير بيبرس واعاد عليها ماجرى ثم باتوا فى ارقى رتب العز والسعادة والمحبة والارادة فهذا ما كان من امر هؤلاء (ياسادة) ولما اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس من الروابى والبطاح وسلمت على زين النبيين وزين الملاح نهض نجم الدين وصلى ماعليه من الفرض لرب العالمين وكذلك الامير بيبرس ونزلوا وساروا الى ان وصلوا ديوان الشام فجلس الوزير وتكامل الديوان بالرجال والاخوان والعلماء واهل القرآن ولما تضاح النهار امر الوزير نجم الدين باحضار عيسى الناصر فاحضروه والى بين يدى الامير قدموه وقد رد الله بغيه عليه وما اضمره من سريرته اقبل اليه هذا ولما وقعت عين الوزير عليه امر به الى نطعة الدم فارموه وتقدموا اليه وعصبوه وتدب السياف على رأسه وقد انهدم اساسه ولا له حبيب مشفق من جلاسه ولما شاهد ذلك زاد وسواسه وتصككت اسنانه وادراسه وصاح بعلو صوته انا فى عرض ولدى الامير بيبرس فعند ذلك نهض الامير بيبرس وقبل يد الوزير وقال له ياسيدى اريد ان تقبل شفاعتى وتشفعنى فيه والا اجعلنى موضعه لاكون له الفدا ولاتشمت به العدا وقد استجار بى ووقع في عرضى وان من دون العرض ابذال المهج فلما سمع الوزير ذلك تبسم ضاحكا وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هذا يريد قتلك وهلاكك وانت تريد سلامته واقالته من هلكته فقال له الامير بيبرس ياسيدى رحم الله من قال هذه الابيات

دعتك الليالى يابن آدم ظالما	فخير الورى من يعف عنه اقتداره
يقول الك العقل الذى زين الفتى	ان لم تكن فقدر عدوك داره
وخذه بارحاب وعز ورفعة	وداره ما دمت تحت اقتداره

ولا تأخذ الباغين بأول مرة   ببغيه يرد به في نكباته
وسلم أمورك للذى رفع السما   وكون الاكوان في احكامه
ولا تعترض يوما على الورى   فيطردك الرحمن عن أبوابه

(قال الراوى) فلما سمع الوزير نجم الدين ذلك علم انه فصيح اللسان قوى الجنان تبسم ضاحكا وقال ياولدى قد شفعتك فيه وجعلته عتيق سيفك وطليق امرك وقد اجرته لاجلك فعندها نهض بيبرس واطلقه ومن غارات الموت اطلقه وقال له اعرف هـذا عندك ياعيسى فقال عيسى انت سيدى وعزيزى وقد ذهب عنى ذلك العناد وتبدل ياولدى بالمحبة والوداد وقد جزاك الله عن ذلك خير وكفاك شر كيدهم والضير كما فعلت معى من الجميل ونجيتنى عن الموت الوبيل هذا وقد حل كتافه وخلصه وقبل يده واخذه وقربه الى عند الوزير نجم الدين فأخلع عليه وامر له بالجلوس وقال له ادع لسيدى الامير بيبرس لانه هو الذى خلصك وتشفع فيك واطلقك فدعا له بالعز والامان والقاب منه بخلاف اللسان وترعزع الامير نجم الدين واجلسه الى جانبه وطلب منه الخراج بعد ان رضى عليه فأجابه بالسمع والطاعة (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء وأما ما كان من السيدة فاطمة فانها دخلت عليها امرأة عجوز من النسا المترددين اليها لاجل الاحسان فلما قابلتها قالت لها الحمد لله على سلامة ولدك الامير بيبرس فقالت لها وقد تعجبت أنا ولدى بحمد الله سالم فقالت القهرمانية اما بلغك ياسيدتى ماجرا قالت قد جرى من الوزير ماهو كذا وكذا واخبرتها بالقصة من اولها الى اخرها وكشفت لها عن باطنها وظاهرها وكيف عملوا الحكومة بجامع بنى امية وكيف جرا على عيسى وكانها كانت حاضرة فعند ذلك خلعت عليها من ملابسها واعطتها ونزلت الى الوزير وولدها وكانوا لم يخبروها بشئ

من الضروريات ولا ذكروا لها هذه البليات غير انهم قالوا لها قد تفرجنا على الموكب وأخبرها ولدها بكل جميل ولم يذكر لهـا ما جرى عليه من الامر الوبيل فلما ذكرت لها العجوزة ذلك نزلت كما ذكرنا وحققت الامر من زوج اختها كما وصفنا فاعاد عليها ذلك كله فقالت وعزة الله لو جرا في ولدى شيء من ذلك لكنت شكوتك للملك الصالح فقال لها الحمد لله على السلامة التامة وأعلمك ان عيسى صار عتيق سيف ولدك فلما سمعت منه ذلك حمدت الله تعالى وشكرته ثم تحدثت معهما قدر ساعة وصعدت الى قصرها هـذا وهم مقيمون في قاعة الجلوس ينتشون الراح بالحظ على صدورهم الى ان تداولت عليهم الايام قليلة من بعض الليالى تقدم الامير بيبرس الى الامير نجم الدين وقال له ياسيدى هل ترى مصر مثل الشام امهى احسن ام الشام احسن فقال له ياولدى اعلم ان مصر السعيدة ساكنها الامامين واولاد الامام الاكبر امام الثقلين وهما الحسن ثم الحسين والسيدتين الكريمتين وأهل بيت النبوة والسادات أهل المروءة وهى بلدة مسـعودة ولم يكن في العز مثلها بلدة موجودة فهنيئا ياولدى لمن سكنها وجعلها داره ويا سعد من قر فيها قراره ولقد ترنمت فيها الفصحاء بالاشعار وعجزوا عن ذلك الفطناء واهل الآثار لا يسكنها الا كل لبيب ولا يقيم فيها الا ذو عقل وتأدب قد احتوت أولادها الفصاحة والوجوه السماحة وبعدت عنهم الوقاحة ووالله ياولدى مامثلها في البـلاد ولم يكن كشكل أهلها في العباد ولقـد قال بعضهم فى مثل ذلك المعنى هذه الابيات

بـلد حوت كل المعـانى ... واهلها دائمـا فى التهـانى
وقد زادت دون البلاد فخارا ... وقـدرا ورفعا واستكانى
وقـد حوت المفاخر جمعـا ... وعن أوصافها بكل لسانى

فيها رجال اشرقت انوارهم ... كلاهم منسوب الى العدنانى
مثل الامام الشافعى امامنا ... بحر العلوم وكنز البيانى
كذا لليث فيها حقيق ... وكذا اتباعهم من الاخوانى
وفيها سيدة النساء بجمعهن ... وعمدة الابطال والاقيال والشجعانى
تزورهم الرجال حقا والنسا ... والاطفال والصبيان والشبانى
ينالون منهم كل ماأملوا ... ويعودوا بالعطايا مع الاحسانى
زينب الست الكريمة حقا ... ياسعد من وافت له بالامانى
يسعد بالوفا دنيا واخرى ... ويفوز بالفوز والرضا والجنانى
كذا نفيسة العلوم قيامه ... من مغيسة في العلم والقرآنى
ثم اولاد بنى عم نبينا ... اهل الوفا والصفا والامانى
واولادهم واتباعهم وخدامهم ... فلا تنس فضل المحبين بالامكانى
فيها رجال الله كامل جمعهم ... فيها رجال الغيث يا انسانى
لهم كرامات اعجزت كل الورى ... لهم ايادى معدودة البرهانى
لهم الوفا لمن وافى لهم ... لهم التضرع فى رضا الاخوانى
من لاذ والله باعتابهم ... نجا من الاضداد والنيرانى
الهى سألتك تنفعنا بهم ... دنيا وأخرى يارحيم يارحمن
بحق المصطفى سيد الورى ... كريم العطا عظيم الشان

(قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام وما قاله من الشعر والنظام وما أوصف لاهل مصر بالوفا والسماحة والمعرفة والملاحة تعلق قلبه بها وتمنى انه يطير اليها بأجنحة وزاد قلقة لاجل الاسياد وزاد جواه وهجر الرقاد وقبل يد الامير نجم الدين وقال ياسيدى سألتك بالله الا ماأخذتنى معك الى هذه البلدة الموصوفة وأرى هذه المدينة المعروفة

فان روحي عليها صارت ملهوفه فلا تتركني ياسيدى هاهنا وتسير وحدك وأنا من أجل ذلك فى الهم والعنا فقال له ياولدى مرحبا بك ويحل علينا أنسك وبركاتك ولعل ان يكون عبورك اليها خير من اقامتك ان شاء الله تعالى فان شئت ذلك فجهز أمرك وأخلص من شغلك فانى متى جمعت الخراج توجهت الى السفر والابتهاج فقال له السمع والطاعة (ياساده) ولما تقرر الحال بينهما على ذلك نهض الامير بيبرس آخر النهار الى المنام وكذلك نجم الدين الهمام هذا والامير لم يأخذه قرار ولا هدى له في الاعتكار بل زاد قلقه وكثر جواه وما صدق بالصباح ان يصبح حتى صلى فرضه وقرأ ورده وطلع الى أمه وصبح عليها وشكى اليها همه وغمه وقال ياأمى اعلمى ان لى عندك حاجة واروم منك قضاءها من غير لجاجة فقالت له ياولدى وما تكون حاجتك بلغك الله أمنيتك فقال لها مرادى ان أسافر مع زوج خالتى نجم الدين البندقدارى الى أرض مصر وأتفرج عليها وأفوز بزيارة السادات العظام وابلغ الرضى والامان وأعود بعد ذلك اليك في مدة قليلة من الايام ان شاء الله تعالى الملك العلام واقرألك الفواتح بكل مقام واذكرك عند الستات والامام وهذه حاجتى والسلام فقالت له ياولدى لا تذكر على لسانك هذا الكلام فما مصر الا بلدة مثل البلدان فلا تحمل نفسك الاسى والهوان وأنت على كل حال غريب من هذا المكان فقال لها ياأمى بحق المصطفى سيد أنبيائه انى منذ سمعت بحديث مصر زاد بى الحصر ونزل على القهر واعترانى الضرر وأذاب جسمي السهر وأخذنى الفكر وما بقلبي عن ذلك جلد ولا صبر وأنا فى عرضك يا أمي لا تمنعيني مما أتمناه فانى قد تعلقت أمالى وزاد وجدى وبلبالى وقد أعلمتك بحالى وأخبرتك بسؤالى وانى أطلب منك بلوغ أمالى فذلك خير مما ان لا أعلمك بارتحالى فيكون ذلك سبباً لتغير قلبك على ووبالى

(قال الراوى) فلما سمعت السيدة فاطمة ذلك زاد بها الغرام وقالت والله يا ولدى أنى عرفت من أغراك وفى الفراق أغواك وما شوقك الى ذلك الحال وأغراك عن الارتحال الا نجم الدين فلا كان الله له معين وانى ما كنت طالبة حضوره الى عندى فما أتى الا على غمى ونكدى فياليته ما وطأ أرض الشام وما أراد الا أخذك وبعدك ويحرمنى طاعتك ويحرق قلبي بفرقتك ويتهنى هو بك فى الرواح وأنا أقيم على البكاء والنواح في المسا والصباح فلا تسمع هذا الكلام ولا تعرض نفسك الى هذا المكان ولا تصدق ماقد ذكر لك من المقال الهذيان فقال لها يا أمى اعلمى أنى متوجه من عندك ومنزلك الى اختك ومنزلك وما أغيب عنك اكثر من ثلاثين يوما فلا تكثرى الملام ولا بد من ذلك والسلام

(قال الديناري) فلما تحققت السيدة فاطمة منه بكت بكاء شديداً ونهضت قائمة من وقتها وساعتها وقد أقبلت الى الوزير نجم الدين وقالت له انت الذى أغويت ابنى على السفر وطلبت بذلك لى الأذى والضرر فلا كانت ساعة جئتنى فيها فلقد جئت في طالع منحوس ولا بد أن يحل بك البؤوس باذن الملك القدوس فقال لها والله الذى لا اله غيره انه هو الذى قد سألنى عن مصر وحالها فقلت له ياولدى الله على زيارة الحسنين ثم الامامين والاحسنين ثم اطلعته على جميع مافيها من الامور والاحكام ثم قلت له بعد ذلك كله ياولدى خليك عند امك لئلا تقهر عليك وتحمل همك لان مالها ولا لها غيرك وهذه القصة التى جرت بيننا

قال الراوى فلما سمعت السيدة فاطمة ذلك من كلامه ضربت بيد على يد وقالت كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لكل اجل كتاب ولكل شيء اسباب ووالله لقد تعلق امال ولدى بالسفر وما

بقى يقبل فيه وعظ من ذكر ثم انها بكت وانت واشتكت وجعلت تقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

آه ياولدى لقد ابليتنى ... بحرقة الغرام ونكتة الابعاد
تريد تتركنى بلوعتى وبلوتى ... وتفنى عظامي ثم تذيب فؤاد
وتهجرنى من غير ذنب قد جنيته ... وتعدمنى سبيل الفضل والارشاد
فارجع يا ولدى عما رمته ... ودع ياولدى عنك ذاك البلاد
ولا تسمع قول الورى وكلامهم ... فما يريدون لك فضلا ولا اسعاد
فلا تتركنى اموت كميدة ... لانى اريد ان تكون داخلا فى فؤاد

قال الراوى فلما فرغت السيدة فاطمة من كلامها ونظامها اجابها الامير بيبرس على عروض شعرها يقول

ايا سيدة قد علا شأنها ... وخصها ربى بكل الرشاد
وفاض عليك الاله فضلا ... وخصك في الدارين بالاسعاد
انا خادم الاقدام حقا ... ومقبل الراس بعد الاياد
وانى واقع في العرض حقا ... متوسل اليك بزين العباد
طه رسول الله شفيع الورى ... رب العباد وسيد الاسياد
بحقه عليك ثم بفضله ... واتباعه والصحب والاجواد
انك لا تمنعينى من رواحى ... ودعينى انظر تلك البلاد
واتفرج ثم انى اعود اليك ... سريعا على رغم الاعاد
والتمس ذا لاثار حتى ... وابلغ المقصود من اسياد
فالله يبقى لى حياتك ... وبيدك ينيل المراد

قال الراوى فلما فرغ بيبرس من انشاده وما قاله من كلامه وشعره ونظامه قالت له امه ياولدى اذا كنت تريد الرواح فخذ جميع الملابس

والسلاح وخذ المال والنوال وما تحت يدى من الأثقال لعل أن ينفعك
على ممر الليالى والايام وكل ماتحصل عندى فانا أرسله اليك في كل عام على
انى لا أقدر أصبر على غيابك يوماً واحداً من الايام ولكن الامر فى ذاك
للملك العلام وانى أسأل رب الأنام بحق النبى محمد عليه السلام والآل
والصحب الكرام كما أن نجم الدين أغراك على الرواح وطاب بذلك ذلى
وافتضاحى لايرين الله وجهك الا وأنت بطل جحجاح تحكم على عساكر
تملا البطاح وتكون أنت سارى العسكر الجميع الرفيع منهم والوضيع فقال
الله تعالى يتقبل دعاك ويردنى عليك بخير تقر به عيناك هذا وقد التفتت الى
نجم الدين وقالت له يانجم الدين اعلم انك تريد أن تأخذ ولدى منى ومن
نظرى اليه تحرمنى وبعده لم تقر عينى ولكنه متوجه الى عند اختى فاياك
أن تغمه أو تقهره فانى أطالبه منك بين يدى خالقه فهو ساير بصحبتك
وأمواله معه مقرونة بخزنتك فتوصى به لاجل خاطرى وتوصى عليه اختى
غاية الوصية وأوعى حرمته بالكلية ولا تقل قيمته ولاتعمل شيئاً الا بمشورته
فوعزة الله ان جاءنى شاكى أو حصل له شيء يكون منه باكى فلاجازيك
عليه أعظم الجزاء وقد سلمته اليك والوكيل فى ذلك رب السماء فقال لها
نجم الدين سوف يظهر لك ذلك وأنا أقول ان اختك اذا نظرته فلم يبق
عندها أحد مثله ولا بد أن تفرح به وتكرمه وتعززه وتعظمه ولا تهينه
ولا تقهره وأنت فلا تخافى عليه ما دمت أنا في الحياه وماله على الا كل
مايتمناه ويرضاه فلا تتفكرى فى ذلك أبداً فقالت أنا رضيت بسفره والله
يصبرنى على بعده ولا يحرمنى طلعة وجهه ثم قالت لولدها ياولدى لاتهين
نفسك ولا تخاطر في الامور بروحك وان قصرت خالتك فى خدمتها
فاتركها وسر الى عندى ولا تحوجنى الى أحد من بعدك وانى أقول فما

لك راحة من بعدى فقال لها الامير سمعا وطاعة ثم ان بيبرس قبل يديها ورأسها وقال لها يا امى أريد منك الدعاء والرضا فدعت له وتقبل الله دعاها ثم قالت ياولدى لا تنسانى من المكاتبات فان الفراق منيب والاجتماع نصيب ثم انها بكت واشتكت وأنشدت تقول

متى الايام تسمح بالتلاق وتجمع شملنا بعد الفراق
وتخبرنا الليالى باجتماع ويزول الفراق والود باق
أظن النيل لو يجرى كدمعى ما خلا على الدنيا شراقى
يروى الحجاز وأرض مصر ثم يسير الى نحو العراقى
ولو أن النابمات مثل عيونى مااحتاجت الناس لكثر السواقى
فياولدى لقد أضنانى البعاد وأحرق مهجتى ألم الفراقى
فياولدى لقد أضنانى فراقك يا ولدى وألم قلبى ذا الشقاقى
وهذا كله لاجلك ياحبيبى لقد ابليتنى بالاحتراقى
سألت الله يجمعنا قريباً وانظر الى طلعتك بالاحداق

قال الراوى ولما فرغت السيدة من انشادها نهضت قائمة على الاقدام وقد جمعت الاموال التى عندها والاسلحة وجمعتهم في الصناديق وجمعت سائر المفاتيح وجعلتهم فى صندوق صغير واعطته اياه بعد ان سكت قفله واعطته المفتاح ثم اخرجت له مايوافقه وقالت له ياولدى هاهى الملابس والمال والسلاح والنوال وجميع ماتحتاج اليه وهذا مفتاح الصندوق ومن داخله المفاتيح قال فشكرها الامير بيبرس على فعالها (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء وأما ما كان من أمر عيسى شرف الدين فانه حضرت اليه الاموال من أرض حلب وغزة وقطية وحمص وحماه وجميع البلاد احضروا الخراج الى مابين يديه وقد أطلعوه الى الديوان ثم اخبروه

بحضور المال فلما سمع عيسى بذلك أخرج الخراج الذى على الشام
وارسل الرسل اعلموا بذلك الامير نجم الدين البندقدارى فنهض من
ساعته وركب شهبته وسار في غزوته ولم يزل سائراً الى أن وصل الى
الديوان فتلقاه عيسى ونهض له على الاقدام ثم أجلسه مكانه وقبل الارض
بين يديه ولما استقر به الجلوس احضر له الاموال وسلمها نجم الدين وأمر
بحملها الى بيت السيدة فاطمه الاقواسية فحملت في عاجل الحال على
الاكاديش والبغال وساروا بها وضموها كلها الى مال الامير بيبرس وقد
وضع الامير بيبرس يده عليها ثم أعطاهم وصلها فساروا به الي عيسى وأعلموه
بذلك فكادت مرارته ان تنفطر لما نزل عليه من تسليم الامير المال
والنوال وأعطاه لعيسى شرف الدين وبعد أخذ مجلسه نزل فى موكب
عظيم وروتق جسيم ولم يزل سائر الى ان أقبل الى بيت السيدة فاطمة
فسلم عليها وقال لها ان شاء الله يكون المسير غدا ان شاء الملك القدير ثم
التفت الى الامير وقال له جهز نفسك واقض حوائجك ولا يعوقك عائق
عن سفرك فقال السمع والطاعة لله ولك واعلم انى قد طيبت خاطرأمى
وأنا متجهز الى هذا الامر من ساعتى ووقتى وانها قد فرحت لسفرى
ورواحى وقد عولت على المسير معك في غدا انشاء الله تعالى (بارادة)
ومن تلك الساعة أحضر الامير بيبرس البغال والجمال والاحمال ثم حمل كل
مافي المكان من الاموال والامتعة والنوال ثم أخرج الصيوان الذى اكتسبه
من سرجويل وأمر ان يطلعوه الى ظاهر البلد وقال لهم لاتنصبوه بل
انصبوا خلافه فاجابوه بالسمع والطاعة ثم انه أخرج جميع ما كان عنداممه
من الذخائر والاموال والصناديق التى عليها الاقفال ثم رتب الغلمان والخدام
والاتقايين وافرض لهم الجوامك والماهيات وتسارعت اليه الخدام من الفراشين

والسقايين فانعم عليهم وأكرمهم واعطاهم واوهبهم وقال لهم جهزوا احوالكم الى السفر فقالوا سمعاً وطاعة ثم انهم بعد ذلك أخذوا النواصيل والتخاليع تسلموا الجمال والبغال والاكاديش والصناديق وجعلوا يجهزون الحال الى ثلاثة أيام واربع ليال هذا ولم يبق لبيبرس شيء فى ارض الشام وهو فى كل يوم يودع امه ويطلب منها الدعاء (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر باشت الشام فانه أخبروه الجواسيس بان الامير بيبرس سائر من ارض الشام وطالب مصر وذلك الاكام وان اكابر الشام قد اغتموا لاجل ذلك الاحكام ونزلت عليهم لاجل رحلته الاسقام فلما سمع عيسى ذلك الكلام فرح فرحا شديداً ماعليه من مزيد وقال الحمد لله الذى عفى ولا أورانا وجهه ولا بد ان اعمل زينة بالشام تضرب بها الامثال فى كل الاكام واصنع مولد عظيم لسيد الانام واجعله عشرة ايام ولا بد لى ان اعمل شنك ومهرجان (ياسادة) ولما كان يوم المسير تزينت البلد وركبت اصحاب الرتب وانعقد الموكب وتودع الوزير من السيدة فاطمة ونهض الامير بيبرس وقبل راسها ويديها وسألها الدعاء فعند ذلك قامت على اقدامها ودخلت الى قصرها وعادت بعلبة مربوطة مبرشمة وقالت يانجم الدين خذ هذه الامانة فهى هدية منى الى اختى فاذا وصلتم الى هناك بالسلامة فافتح تلك العلبة بينك و بين اختى وولدى وتودعت بعد ذلك منه وقبلت ولدها بين عينيه وقالت له الله يحسن شأنك ويردك على بالخير والكرامة ثم انعقد الموكب وركب الامير بيبرس عن يمين الوزير نجم الدين وعيسى شرف الدين عن يساره هذا واولاد الشام قد انكبت على الامير بيبرس تودعه الى ان سار خارج الشام قدر فرسخين ونزلوا في الخيام التى ضربت لهم واقاموا هناك مدة ثلاثة ايام وامر الوزير بالرحيل

فى اليوم الرابع وقد ركب الامير بيبرس وعاد الى بيت امه وودعها وقد تودعت ايضا هى منه وتودع من ابن الخياط وكذلك ابوه وعلى بن الاقواسى وزوجته بنت الخصانى واخذ بخاطر الشلبين فخر الدين حبظلم بظاظة ولم يتكبر على احد منهما ثم اوهب العطا للفقراء والمساكين وقبل الانك الذى لنقيب الاشراف وطلب منه الدعاء واخذ بخاطر القاضى محمد العقيقى واهل الشام الخواص منهم والعوام ولم يبق احدا الا ودعا له بالرفعة وعلو المقام وسار بالاتفاق والناس يضجون له بالدعا للملك الخلاق على سائر الاطلاق وهو يؤمن على دعائهم ويشكرهم على فعالهم وهو يمدحهم بالاشعار بهذه الابيات

ياسادتى زادكم رب السما شرفا	فهو الكريم الباقى على الدوام
واعطاكم الله ربى كل فضل	واشفاكم من كل السقام
وسقاكم الاله كؤوس الهنا	وابعد عنكم كيد اللئام
وانتم اهل السماح مع الوفا	وانتم السادات ونسل الكرام
وانتم اهل الاماجد كلها	على ممر الليالى والايام
سلامى عليكم فى كل وقت	ماغرد القمرى وناح الحمام

(قال الراوى) ثم انهم طلبوا المسير وتوكلوا على اللطيف الخبير ولم يزالوا مجدين المسير والجد والتشمير مدة عشرة ايام ولما كانت الليلة الحادية عشر نزلوا عند الغروب لاجل الراحة ونامت كل عين يقظانة وقد ازهرت النجوم واطلع على عباده الحى القيوم وطلبت العين حظها من المنام فنام الامير نجم الدين وتوكل على رب العالمين وقد دارت الغلمان حول المضارب وقد تهور الليل وروح القمر واسود الخافقين هذا والامير بيبرس لم يأخذه منام ولا هوى جفنه رقاد ثم انه نهض على الاقدام وسار يمشى حول الخيام

ويحرس الرجال بنفسه فبينما هو سائر اذ سمع اثنين يقظانين وهما مع بعضهم جالسين وهما يتحدثان مع بعضهم البعض ويتكلمون فى الطرقات والارض وكانوا هؤلاء الاثنين من القاطرجيه فقال أحدهما للآخر ياأخى انظر الى كلام الوزير نجم الدين البندقدارى معنا وما قد اوصانا عليه من الاقوال والكلام وانه والله على خاطرى عظيم من اجل ذلك الشان فقال له الآخر اعلم ياأخي ان كلامه هذا خوف على الامير بيبرس لئلا يضجر من الطريق وربما ان يعوقه معيق فلذلك طاب الطريق العسير وترك البر السالك اليسير ولولا ذلك ما أمرنا بما أمرنا به ولا حرج علينا ان نظهر أمره على أحد (قال الراوى) وكان الوزير نجم الدين قد جمعهم اليه وقال لهم اتركوا الطريق المستقيم وعرجوا على طريق آخر ولو كان غير مستقيم فقالوا له ولما ذلك ياسيدى قال لهم لان الامر جسيم والخطب عظيم وانتم لاتعرفون ماقد خطر ببالى ولا أحد منكم يظهره الى الامير بيبرس فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم عادوا وهم متعجبين من ذلك ولم يعلموا سببه حتى جاء الليل وجعلوا هؤلاء الاثنين يتحدثون فى شأن ذلك كما ذكرنا وقد سمعهم الامير كما وصفنا فقال احدهم للآخر ياأخى اعلم ان الطريق الذى امر بالسفر عليها بعيدة اربعة ايام بلياليها وما ادرى لاى شىء ذلك فقال له رفيقه ياأخي لعل ان يكون حمله على ذلك الخوف من الأعداء فدعنا نتحدث فى غير هذا الحديث فلربما ان أحدا يسمعنا (قال الدينارى) فما استتم كلامه الا والامير قدامه وهو يقول السلام عليكم ياخوانى فلما رأوه قاموا اليه وتلقوه واجلسوه ووقفوا فى خدمته وحيوه فلما استقر به الجلوس قال لهم ياوجوه العرب اعلمونى بحديثكم الذى كنتم تتحدثون فيه (فقال) أحدهم ياسيدنا اعلم ان أخي يقول لى اذا

كان الوزير يسير بنا في الليل حتى نقطع المراحل ونقيم النهار لكان أصوب لنا من مسير النهار وحر الجبال فقلت له ياأخي ومن يقدر يقول له مثل ذلك الكلام فدعنا الساعة من ذلك وهذا حديثنا الذي كنا فيه فقال الامير وقد تبسم لا تخافوا ولا تفزعوا واعلموا أني لا أبدي ذلك على اني سمعت ما انتم عليه وما قيل لكم وما أنتم معولين عليه وقد ذكرتم ماهو كذلك وكذا قال فلما سمعوا كلام الامير بهتوا ولم يتكلموا فقال لهم اخبروني عن الطرقات لاني ماأعرفها وعلموني عليها وها أنا أقسم بالله تعالى اني لا أذكر للوزير شيئاً من ذلك أبداً ولكم اسوة بي ولا يجرى عليكم شيء أبداً مادمت أنا في قيد الحياة فلما عاينوا منه ذلك قالوا له أيها الامير اعلم ان الطرقات اثنان فالطريقة القريبة الهينة العجيبة هي التي ذات اليمين والعسرة ذات اليسار قال فتعجب الامير وقال لهم ولاى شيء حرج عليكم ومعكم الامير نجم الدين عن المسير وعن ذلك الطريق الحميدة وامركم بالمسير في المسالك الصعبة الشديدة فقال له أحدهم اعلم يامولاى ان لذلك سبب عجيب وأمر مطرب بديع غريب واني أخاف أن أذكر لك طرفا منه فيكبر عليك الامر فيعقبني منك الضرر فقال له لك مني الزمام فقال له اعلم ان بين ايدينا بلد يقال لها العريش وبها ملك نصراني يقال له فرنجيل وهو فارس نبيل جبار عنيد ثقيل تضرب به الامثال وله قدر مسلوم على كل من جاوز هذا الرسوم فيأخذ منه العفر لكل من مر على قلعته من البدو والحضر وان لم يسلم اليه النفر فينهب كل مامعهم ويورثهم النكال والضرر واني اقول ان الوزير ... من المسير الا لاجل ذلك الامر المنكر وقد امرنا بالابعاد والسفر على غير هذا الطريق والبلاد ولا يتعرض لنا مثل هذا الكلب القواد

(قال الدينارى) فلما سمع الامير بيبرس من المتكلم ذلك الكلام قال لهم اعلموا انى اجهل الطريق وانتم تعرفونها على التحقيق ولكن أوصيكم وصية فلا تغفلون عنها بالكلية وذلك انكم اتيتم الى ذلك المضيق ونزلتم بهذا المفرق الذى يوصل الى الطريق القريب فاخبرونى به من غير تكذيب وسوف يحيينا الملك القريب المجيب وترون من فعالى ان شاء الله كل فعل عجيب وان لم تفعلوا ذلك عاقبتكم وعلى المخالفة بليتكم فقالوا له ياسيدى اعلم ان الطريق التى على اليمين هى احسن الطرقات واطيبها واجلها واقربها والعسيرة هى التى على جهة اليسار وقد عرفناك بما عندنا من الاخبار فخذ الان لنفسك ودبر امرك برايك فقال لهم بقى فى الامر شيء آخر وذلك انكم تقفون على راس الطريقين وتشيرون الى بأى اشارة كانت فانا اعرف ذلك فقالوا له سمعا وطاعة ثم انه اخلع عليهم واعطاهم المال وقال لهم أريد شيئا واحد وذلك انكم تجمعون من هذا الوادى شيئا من الاحجار الصابة والظاط الازرق والصوان الاصم لانى اريد ان اصنع منه شيئا ينفعنى فى مصر فصدقوا قوله وساروا الى ماندبهم اليه وجمعوا ذلك واتوه فى عاجل الحال بما طلب فعندها اخذه وجعله فى صندوق كبير واغلقه واقفل عليه بالاقفال الوائقة وتركه عنده واصرفهم الى اشغالهم (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلا واما ما كان من امر الوزير نجم الدين فانه بعد ان اخذ الراحة امر بالمسير فساروا وسار الامير الى جانب الوزير ولم يزالوا يجدون فى المسير الى ان وصلوا الى مفرق الطريق وقد التفتوا الى الامير باعينهم وارادوا ان يعرجوا الى جهه اليسار واذا بالامير صاح عليهم وهو كانه الصقر اذا كان ناظر الى الحمام وقال لهم ياويلكم هذا الطريق مستقيم قدامكم فلاى شيء تتركوها وتتبعوا غيرها وتسلكوها مع انها والله طيبه فقالوا له ياامير اعلم ان هذه

الطريق الذى نحن عليها فانها ما توصلنا الى ما نريد وما الطريق الا من هاهنا فقال لهم بحق راسى عليكم هذا القول صحيح ام لا فقالوا له والله ياسيدنا لقد اقسمت علينا وما نقدر اننا نكذب بعد ذلك ولكن ان الطريقين يوصلون الى ارض مصر والتى نحن فيها اقرب من التى عرجنا اليها ولكن الوزير هو الذى امرنا بذلك وقال لا تسيروا الا من هاهنا فقال لهم الامير سيروا على ما انتم عليه من الطريق وانا آخذ لكم الاذن من الوزير من غير تعويق فقال له الوزير وقد احتار فى امره اسمع ياولدى ان هذه الطريق قريبه للسالك لكنها صعبة المسالك لان في طريقنا ملك من ملوك الافرنج يقال له فرنجيل لكنه جبار عنيد وشيطان مريد يأخذ الغفر ويقتل كل من عبر بغير الغفر وينهب اموال المسلمين ولا يبالى من امير المؤمنين ولا يخشى سطوة رب العالمين فقال له الامير ياسيدى اذا كان لكم عادة بالغفر فلا مانع لكم عن ذلك فقالوا نحن ان جزنا عليه طلب الغفر وان لم نوصله اليه خرج علينا من عنده القلعة وينهب أموالنا ونحن لا لنا عادة بالغفر فقال له الامير ياوالدى لا تحمل هم على قلبك ولا يضيق لذلك صدرك فانا لاجل الراحة والطرق الصالحة أعطيهم الغفر من مالى ونوالى وأدفع لهم كل ما يطلبون منكم ولا ادعهم يقربون اليكم ولا يدنون منكم وذلك فيه راحة لى ولكم فقال له ياولدى اذا كان الامر على ما ذكرت والحال على ما وصفت فنحن نسير عليه وأنت تدفع له من مالك ما يقول عليه على انى ياولدى ما يمكننى ان أدفع ولا درهم واحد وحق الملك الواحد لان الذى معى أموال السلطنة ولا يكون فيها تصرفات لا لغيرى ولا لى انا فقال له ما عليك من ذلك نجاك الله من شر المهالك (ياسادة) ولما تقرر الحال بينهما على ذلك ساروا على العريش والماطنين وهويش ولما تقربوا من قلعة الملك افرنجيل التفت الامير

(قال الدينارى) فلما سمع الامير بيبرس من المتكلم ذلك الكلام قال لهم اعلموا انى اجهل الطريق وانتم تعرفونها على التحقيق ولكن أوصيكم وصية فلا تغفلون عنها بالكلية وذلك انكم اتيتم الى ذلك المضيق ونزلتم بهذا المفرق الذى يوصل الى الطريق القريب فاخبرونى به من غير تكذيب وسوف ينجينا الملك القريب المجيب وترون من فعالى ان شاء الله كل فعل عجيب وان لم تفعلوا ذلك عاقبتكم وعلى المخالفة بليتكم فقالوا له ياسيدى اعلم ان الطريق التى على اليمين هى احسن الطرقات واطيبها واجلها واقربها والعسيرة هى التى على جهة اليسار وقد عرفناك بما عندنا من الاخبار فخذ الان لنفسك ودبر امرك برايك فقال لهم بقى فى الامر شىء آخر وذلك انكم تقفون على راس الطريقين وتشيرون الى بأى اشارة كانت فانا اعرف ذلك فقالوا له سمعا وطاعة ثم انه اخلع عليهم واعطاهم المال وقال لهم أريد شيئا واحد وذلك انكم تجمعون من هذا الوادى شيئا من الاحجار الصلبة والظلط الازرق والصوان الاصم لانى اريد ان اصنع منه شيئا ينفعنى فى مصر فصدقوا قوله وساروا الى ماندبهم اليه وجمعوا ذلك واتوه فى عاجل الحال بما طلب فعندها اخذه وجعله فى صندوق كبير واغلقه واقفل عليه بالاقفال الواثقة وتركه عنده واصرفهم الى اشغالهم (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلا واما ما كان من امر الوزير نجم الدين فانه بعد ان اخذ الراحة امر بالمسير فساروا وسار الامير الى جانب الوزير ولم يزالوا يجدون فى المسير الى ان وصلوا الى مفرق الطريق وقد التفتوا الى الامير باعينهم وارادوا ان يعرجوا الى جهه اليسار واذا بالامير صاح عليهم وهو كانه الصقر اذا كان ناظر الى الحمام وقال لهم ياويلكم هذا الطريق مستقيم قدامكم فلاى شىء تتركوها وتتبعوا غيرها وتسلكوها مع انها والله طيبه فقالوا له ياامير اعلم ان هذه

الطريق الذى نحن عليها فانها ما توصلنا الى ما نريد وما الطريق الا من هاهنا فقال لهم بحق راسى عليكم هذا القول صحيح ام لا فقالوا له والله ياسيدنا لقد اقسمت علينا وما نقدر اننا نكذب بعد ذلك ولكن ان الطريقين يوصلون الى ارض مصر والتى نحن فيها اقرب من التى عرجنا اليها ولكن الوزير هو الذى امرنا بذلك وقال لا تسيروا الا من هاهنا فقال لهم الامير سيروا على ما انتم عليه من الطريق وانا آخذ لكم الاذن من الوزير من غير تعويق فقال له الوزير وقد احتار فى امره اسمع ياولدى ان هذه الطريق قريبه للسالك لكنها صعبة المسالك لان فى طريقنا ملك من ملوك الافرنج يقال له فرنجيل لكنه جبار عنيد وشيطان مريد يأخذ الغفر ويقتل كل من عبر بغير الغفر وينهب اموال المسلمين ولا يبالى من امير المؤمنين ولا يخشى سطوة رب العالمين فقال له الامير ياسيدى اذا كان لكم عادة بالغفر فلا مانع لكم عن ذلك فقالوا له نحن ان جزنا عليه طلب الغفر وان لم نوصله اليه خرج علينا بمن عنده فى القلعة وينهب أموالنا ونحن لا لنا عادة بالغفر فقال له الامير ياوالدى لا تحمل هم على قلبك ولا يضيق لذلك صدرك فانا لاجل الراحة والطرق الصالحة أعطيهم الغفر من مالى ونوالى وأدفع لهم كل ما يطلبون منكم ولا ادعهم يقربون اليكم ولا يدنون منكم وذلك فيه راحة لى ولكم فقال له ياولدى اذا كان الامر على ما ذكرت والحال على ما وصفت فنحن نسير عليه وأنت تدفع له من مالك ما يقول عليه على انى ياولدى ما يمكننى ان أدفع ولا درهم واحد وحق الملك الواحد لان الذى معى أموال السلطنة ولا يكون فيها تصرفات لا لغيرى ولا لى انا فقال له ما عليك من ذلك نجاك الله من شر المهالك (ياسادة) ولما تقرر الحال بينهما على ذلك ساروا على العريش والماطنين وهويش ولما تقربوا من قلعة الملك افرنجيل التفت الامير

الى الوزير وقال له ياوزير انجو أنت بنفسك وعيلتك ومال السلطان ومالى ومالك والجميع يكون معك وسر بالجميع قدامى وأنا خلفك وساير من بعدك على أثرك وانا معى هذا الصندوق المحمل على هذا البغل الكبير فاذا تعرضوا اليك فقل لهم ان صاحب القفلة هو فى أعقابنا ومعه الاموال وقد اعتدلكم كل مايلزم له الحال فحاسبوه على الغفر ولا تلقوا بينكم كدر ولا ضرر ثم سيروا انتم وانا احاسبهم وبالغفر اخلصهم وبعد ذلك الحقكم واسير معكم قال فظن الوزير ان ذلك منه حقاً وما قاله من الاقوال صدقا فسار كما امره وقد اخذ الجميع ولم يعلم بما اضمره وما اقتضاه مكره (ياساده) وتأخر الامير بيبرس الى وراء الركب وصحبته عشرة من الغلمان والصندوق قدامه

(قال الراوي) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر العريش فانه كان له ولد يسمى قمطه وكان يحبه محبة عظيمة وكان هذا قمطه كثير الفساد والزنا واللواط والخبث والسكر وكان كل يوم يطلب الاموال من ابيه فقال له يافليونى انا اعطيتك الغفر الذى يأتى الينا من المسافرين فهو يكفيك على ما تريد من الامور الكبار فقال له ولده وقد فرح بذلك فرحا شديداً المسيح ينصرك وعلى اعدائك يظفرك فقال له ابوه خذ بطارقتك وسر بهم الى المضيق وكل من مر عليك فى الطريق حاسبه وخذ كل ذلك اليك فقال قمطه الان ما بقى عليك ملام ثم اخذ بطارقته وامرهم ان يقفوا على الطرقات فوقفوا على الطرقات وجعلوا بها يفعلون تلك الامور المنكرات الى ان شاع ذكرهم فى الافاق وقد بلغ الخبر الى الامير نجم الدين بذلك الاتفاق فلذلك السبب امر ان يعرجوا على الطريق فمنعه من ذلك الامير بيبرس كما ذكرنا فبينما هم كذلك اذا اقبل عليهم نجم الدين بمال السلطان وماله ومال الامير بيبرس معه فلما نظروه البطارقة اوقفوه عن المسير

واعلموا به كبيرهم قمطه بسير ذلك الامير فلما سمع كلامهم ضحك واستبشر ونهض قائما على الاقدام وصاح على رجاله فاتوا بالجواد فركب وسار وقد اندفع عليهم وصاح يا مسلمين حاسبونا على الغفر الذى عليكم وعلى تجارتكم وعلى ما معكم من الاموال فقال له نجم الدين السمع والطاعة ولكن اعلم ان هذا المال ماهو لنا ولا لنا فيه ولا درهم واحد ولا دينار وما نحن الا رجال صاحب الاموال وهذه الاثقال والاحمال وان صاحبه سيأتى من خلفنا وعلى اثرنا ومعه كل ما تحتاجون اليه من مال ونوال فاذا اقبل اليكم فحاسبوه فمعه الاموال فخذوا ماتريدونه منه واتركوه ونحن رجاله كلنا ولنا عليه الاجمال والماهيه فى كل هلال

(قال الراوى) فلما سمع اللعين ذلك قال لهم سيروا تحت أمان المسيح وأمانى فعندها ساروا كما أمرهم وأما الكفار ساروا ينتظرون قدوم الامير قدر ساعة زمانية واذا به قد أقبل ومعه الصندوق والمماليك من حوله وهو سائر على مهل فلما قارب الانام صاحوا عليه ياغندار هات الغفر الذى عليك فقال لهم هل مروا عليكم اتباعى بمالى ومتاعى فقالوا له قدساروا علينا وعبروا علينا فقال لهم من الذى يأخذ الغفر منى وعليه يحاسبنى فقال له ابن البب أنا الذى آخذه فقال له من أنت فقال أنا قمطه بن الملك فرنجيل ملك العريش فقال له الامير مرحبا بك ياسيدى ولكن اسمع كلامى واعلم أنى فى أمرى على سبيل العجله وليس عندى مهله حتى انى أحاسبك وأكاتبك ولكن أنت عندى صاحب دين وعلم ويقين تخذ هذا الصندوق وادخل به الى بلدك فمثلك يؤتمن على أكثر منه فاذا فتحته تخذ الغفر منه وابقى الباقى عندك على سبيل الوديعة حتى أمر عليك ثانى دور فاعطيك الغفر الثانى وآخذ منك الباقى وأحاسبك كما تحب وتريد فان فضل لى شىء

أخذته وان جاء على شيء دفعته ولـكن وحق المسيح الطيب المليح انك لاتخونى في المال بحق دينك وما تعتقده في يقينك لاتخلى أحـد يقربه غيرك لانه لوكان غيرك ماسلمته له أبدا (قال الديناري) فعند ذلك قال له السمع والطاعه وفرح الغلام تلك الساعة وقد انطلا عليه المحال وما قال له الامير من الاقوال وقد تناول الصندوق وهو في جنان وجذبه فما جاءوا به لشدة ثقله فامر باحضار الكديش وجعلوه عليه وأخذوه وساروا وقد قال في نفسه وحق المسيح لم أدفع لصاحبه ولا درهم واحد واذا رجع في الدور الثاني ولم يدفع الغفر لآمر البطارقه أن ينهبوا ماله ونواله وما معه هذا وقد ساروا به وهم فرحين باخذ المال (باساده) وأما الامير فانه قد تبطن في البراري والقفار فهذا ما كان منه وأما ما كان من أمر اللعين قطه فانه سار بالصندوق وهو فرحان حتى وصل الى البلاد وطلع الى الديوان فلما رآه أبوه فرح به وقال له مرحبا أنت جئت بالغفر قال له نعم وحق المسيح أتيت بغفر مليح ولـكن في طول عمرك ما جاءك غفر مثله لأنه صندوق كامل ملآن من الاموال فقال له لاياولدى وحق المسيح مارأيت مثل ذلك أبدا وما جاء هذا الا بسعادتك فمن ذا الذى أعطاك هذا الصندوق قال له غلام خواجه له قافلة سائر بها فى الفلا وقال لى خذ منه الغفر واجعل الباقى لى عندك على سبيل الامانه الى ان أعود اليك مرة أخرى وقد سألته عن المفتاح فقال هو فى الركب الذى قد سار قدامى وقد نسيته ولـكن أنا مرادى ان اغالطه وأقول له اذا أقبـل ثانى مرة انه لافضل لك عندى دراهم وربمـا يعطينى صندوق آخر ثم أجعل هذه مثل ذلك في كل مره وان امتنع دتلته وآخذ مامعه فقال له ابوه الملك افرنجيل ياولدى لقد قلت الصواب ولـكن مرادنا ان تفتحوا الصندوق

الآن وتروا مافيه من الاموال لانى أخاف أن يكون فيه شيء غير المال فقال له قمطه اعلم ان صاحبه أقسم على ان لا أحد يمد فيه يده غيرى وقد حلفنى بدينى وحلفت على ذلك فقال له أبوه وأين المفتاح قال له اعلم ياأبى انى سألته عنه فذكر انه قد نساه وانا من فرحتى بكثرة المال ماشددت عنه فقال الملك علىّ بالقفال فتجارت اليه الرجال واتوا به من مكانه واوقفوه بين يدى الملك افرنجيل فقال له الملك أريد ان تفتح لنا هذا الصندوق بصناعتك ومعرفتك وفراستك من غير ان تكسر فيه لسان لانى اريد ان اقفله مثل ما كان فقال له البطريق سمعا وطاعه ثم لعب فيه بالعدد حتى تزحزح لسانه من مكانه وارتفعت السقاقيط وانفتح القفل فنهض الملك ورفع الغطا وتأمل واذا بالصندوق ملئان من وعر الواد والجبال من خاط وصوان وحجر فلما عاين البب ذلك ضحك من شدة الغيظ وشخر ونخر وكفر وتجبر وكادت مرارته ان تنفطر فقال له ولده قمطه لاى شيء تضحك وما يكون النخر فقال له ياولدى لقد سرنى هذا الذهب الاحمر لانه كنوز ذهب بجوهر ولارأيت مثله بطول العمر فتأمل ياولدى فتأمل واذا به احجار مجمعة من الاكام فقامت عليه القيامة وعاد على نفسه بالندامة والملامة وقد احمرت عيناه وكادت روحه ان تخرج من بين جنبيه وقال وحق المسيح والدين الصحيح لابد ان اركب خلفه واقطع رأسه وافنى جيشه واصرم عمره وآخذ أمواله ذخيرة ولا اعود الا برأسه مثل ماضحك على ولعب بعقلى واعطانى هذا الصندوق المنحوس فلاجعلن ايامه عليه بؤس ثم ان الملعون قمطه ركب من وقته وساعته في خمسمائة بطريق من جنده وعشيرته خلف الامير بيبرس يجدون المسير على اثره (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الامير

بيبرس فانه سار لما جاوز القلمة وقد قال لمن معه انى اظن ان القوم يتبعون اثرنا ولا يخفى عليهم حالنا وانا كفؤ للجميع الرفيع منهم والوضيع واريد منكم الان ان تحموا ظهرى من العدا وتأخذوا من الان اهبتكم الى لقاء اعاديكم فقالوا الفاهمان وكانوا عشرة لكنهم فرسان السمع والطاعة ثم اخذوا اهبتهم من تلك الساعة وساروا على مهل وكذلك الامير بيبرس تقلد بسيف صقيل وركب جواده النبيل وقد حدثته نفسه ان يلقى اهل الارض في طولها والعرض فبينما هو كذلك واذا بالغبار قد ثار وسد منافس الاقطار ساعة من النهار وتمزق الغبار وبان للنظار عن خمساية فارس من الكفار الاشرار وقد رفعوا على رؤوسهم الصلبان ونادوا حنه ومريم والصليب المضخم اين تنجون منا بالهرب ونحن اسكم في الطلب ياحمالين الحلب والحطب ثم تقدم اللعين قطه وهو يرتعد مثل الحية الرقطا وقال يامسلم كيف تخامرنى وتخدعنى بمحالك فلا بد ان اقطع اليوم منك اوصالك واقصر ايامك اما تدرى انى انا ابن البب فرنجيل الفارس النبيل دونك والقتال ياندل الانذال (ياساده يا كرام) فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام تغير لونه واضطرب كونه وكر عليهم راجعا وهو منهم غير فازعا وقال لهم ياكلاب الروم كيف تأخذون اموال عباد الحى القيوم فارجعوا الان ياويلكم الى ورائكم وفوزوا بأعماركم والا انزلت بكم الفنا وقتلتكم قتل الفجأة فقالوا له ان لم تسلمنا المال والا نأخذ راسك على وسط المجال فقال الامير والله لقد ساقتكم اعماركم الى مصرعكم وقصر اجالكم ففوزوا بالحياة قبل ان يحل بكم الممات وها انا قد نصحتكم ورجوعكم الى اوطانكم اصلح لاحوالكم وانجح لاموركم وها انا قد حذرتكم وانذرتكم وقد انصف من حذر واعذر من انذر والسلام على سيد البشر فلما

سمعوا اللئام كلامه بربروا بلغاتهم وتصارخوا باصواتهم وقد طمعوا فيه لانهم ما يعرفوا قدره ولا دواهيه ثم انهم طلبوه كل الطلب فقال الامير الان طاب فيكم الجهاد ولا اترك منكم من يرجع الى الديار ولا من يوصل الاخبار ثم انه جرد الحسام واستقبل القوم اللئام وقد داروا به من كل جانب ومكان وقد غطس فيهم بالحسام وكل من تقرب منه أطاح رأسه على الهام واذا دارت عليه الخيول صاح فيها فتعود على اعقابها ثم انه صار يخرق المممه ويجندل في الكفار ميمنة وميسرة وما زال على ذلك حتى أدرك اللعين قمطه بن اللعين فرنجيل فلما رآه اللعين وصل اليه مال بكليته عليه وقد تعاركا وفتحا في الارض ميدانا واجاد حربا وطعانا وقد خرجت من الاثنين ضربتين صايبتين واصلتين الى الجسمين وكان السابق بالضربة الامير بيبرس فاما ضربة الامير بيبرس فكانت مثل القضا النازل والبلاء الواصل لانها نزلت فقطعت البيضة والرفادة والعصابة ونزل السيف الى أم رأسه ونزل الى آخر أساسه وأما ضربة اللعين فانها كانت قصيرة فتلقاها الامير على اللت الدمشقي هذا وقد مال اللعين عن سرجه ووقع الى الارض يخور في دمه ويضطرب في عندمه فلما رأت الكفار الى ذلك حملوا حملة صادقة متوافقة وقدعلموا انهم أن عادوا الى الملك فرنجيل من غير ولده يقتلهم وفي دماهم يجندلهم فحملوا على الامير لعل ان يقتلوه او يأخذوه اسير فوجدوا ما املوه بعيد وقد رأوه من الفرسان الصناديد وقد كانوا علموا انه لما رأوا اهتمامه وعلو شأنه دبت فيهم الحميه والنخوة العربية فصاروا يحمون ظهره ويمنعون من قصده من خلفه ثم انه استقبل القوم وايلاهم بالاوم ونزل عليهم نزول السيل وعمل فيهم كما تعمل النار في الحطب وقد ايلاهم بالعطب ونزل عليهم التعب والنصب ولم يزال السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل من ابتداء ذلك النهار

حتى لبست الشمس حلة الاصفرار وقد ضاق بالامير المجال وامتلأت بالقتلا
ذلك الاطلال وقد قتل منهم ثلاثمائة وعشرين فارس والباقى بين مجروح
وناكس فعند ذلك القى الله الرعب في قلوب الكفار فولوا الادبار وركنوا
الى الفرار وتركوا الخيول والاسلحة والامتعة والغنائم فامر الامير بلم
الاسلاب فلموها والخيول فجمعوها وصار الامير بيبرس كانه مافعل شيء
بل زاد قوة ونشاط وشدة وانبساط لاجل مامن الله عليه من السلامة
والنصر على الاعداء وسار يقطع الارض والمهامة حتى أدرك الامير نجم
الدين قال وكان نجم الدين مازال سائراً من الصباح حتى ادركه المسا فامر
بالنزول لاجل الراحة ولاجل ان يكشف خبر الامير بيبرس فبينما هو
كذلك واذا بالامير قد اقبل ومعه الغنائم والاموال فتلقاه الوزير واجلسه
الى جانبه وسأله عن غيبته بعد ان سأله عن ذلك اللعين فاخبره بهلاكه هو
ورجاله فقال له الامير ياولدى اين كانت هذه الغيبة وما كنت أقول انك
تغيب عنى اكثر من ساعتين وما جيتنى الا عند المغيب فقال له يامولاى اعلم
انى ماعاقنى عنك الا اشتغالى برضا مولاى ومولاك لانى كنت أجاهد فى سبيل
الله حتى بلغت المنى من اعداء الله واعلم انى قتلت ابن ملك العريش ومعه خمسمائة
فارس أساوس ولولا هروب الباقيين ما كانوا عادوا سالمين ثم انه كشف له عن باطن
الامر وظاهره ولم يخف عليه حرفا واحداً فلما سمع الوزير نجم الدين اغتم غماً
شديداً ماعليه من مزيد وقال في نفسه ليتنى ما أتيت به من عند امه لانه والله
ماهو الا داهية دهما ومصيبة عظما وانى أخاف أن يقتل أحد من أهالى مصر
وأكون أنا السبب فى ذلك ومالى الا ان أدخل به فى الليل واجعله عند
خالته مقيما فى المنازل لايبرح أبداً حتى اكتفى شره وأحرس عليه البوابين
خوفا ان يقتل احدا من اهل مصر فاكون انا السبب وان هو يشكى من

الاقامة فى البيت ارسلته الى امه واكتفيت شره ثم ان الوزير اخفى الكمد واظهر الجلد وابدا السرور وضحك فى وجه الامير وقال له يا ولدى الحمد لله الذى نصرك على الاعداء من شئ مهم واعانك على قتلهم وقتل ابن ملكهم (ياساده) يا كرام ثم ان الامير جعل يتحدث مع زوج خالته الى ان طلبت العين حظها من المنام فقام يريد الرقاد ويعطى العين حظها من السهاد فهذا ما كان منه واما ماكان من الامير نجم الدين قال لاقاطرجيه اذا قربتم من ارض مصر فادخلوا بنا ليلا لانهاراً فقالوا له سمعاً وطاعة ثم ان الوزير قد وقع فى قلبه الرعب من الكفار وقد حسب الف حساب وخاف من هجوم الكفار وعودتهم فامر بالتحميل وسار يطلب مصر فهذا ما كان من امر هؤلا (قال الراوى) واما ما كان من الروم المنهزمين فانهم مازالوا فى هزيمتهم الى ان اقبلوا الى العريش فدخلوا على الملك فرنجيل ومعهم ولده قطعه قتيل ودخلوا عليه وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور فلما راى الملك ذلك الحال اخذه الانذهال وساءت به الظنون والاهوال ونزلت عليه الامراض والاعراض واظلم وجهه حتى نزل الدم وقد قامت عيناه في ام راسه ورمى التاج من على راسه وقال ياويلكم من فعل بكم هذه الفعال ودبر على ولدى هذه الاحتيال وقداوقع بولدى اعظم نكال فقالوا له بيبرس الاقواسي وهو الذى فعل ذلك وقد بلغنا انه هو الذى أخذ مال سرجويل المهرى وصيوانه وبلغ منه غاية الآمال ولولا ماهربنا من بين يديه لجعلنا طعاما للوحوش الطائرات ولا كان من يرجع الى الابيات (قال الراوى) فلماسمع اللعين فرنجيل ذلك صعب عليه وكبر لديه واظلمت الدنيا بين عينيه ثم التفت الى المنهزمين وقال لهم ياويلكم قدر ايش من الفرسان قالوا كناخمسماية بطريق فقال والاعداء قالوا له عشرة

انفار فقال لاجمل المسيح فيكم بركه ثم أمر بضرب رقابهم فقال له الوزير واى شيء يكون ذنب هؤلاء فدعهم ولا تقتلهم لانهم قد بذلوا المجهود ولكن خصمهم عليهم حقود فقال له دبرلي في أخذ ثار ولدى وحشاشة كبدى فقال له اعلم ياملك الزمان ان قوتنا لاتلحقنا الى قتال بيبرس ولا نحن أمثاله ولا نعد من ابطاله لانه شديد الباس قوى المراس فريد عصره ووحيد دهره اما تنظر كيف اتت لنا الاخبار بما فعل مع سرجويل من العار وكيف اذاقه الذل والاضرار وكيف أهلك عشائره وافنى دساكره والرأى عندى ان تصبر على ماانت عليه وترسل في طلبه العيون والارصاد حتى تأتيك عليه الاخبار بانه قد قرب من هذه الديار فاذا وصلت اليك الاخبار بذلك هنالك تخرج اليه وتأخذ منه الثار وتجلى عن نفسك العار وانت مقيم فى هذا المكان فلما سمع فرنجيل ذلك الكلام استصوبه وقال الآن خذوا ولدى واحرقوه لتكفر النار سيئاته ففعلوا به مثل ماامرهم وأطاع الوزير فيما امره وجعل له أيضا عيونا وأرصاد يراقبون الامير بيبرس (قال الراوى) فهذا ماكان من أمر هؤلاء وأما ماكان من أمر الامير بيبرس فانه سار هو والوزير نجم الدين وهم يوصلون سير النهار بسير الليل ويقطعون المهامه والاوغار الى ان اشرفوا الى تلك الديار وقد أقبلوا الى باب النصر فصاحت بهم الحراس من الوشاقية والغفرا وقالوا من الطارق فى هذا الليل الغاسق فقال لهم أنا نجم الدين ابن عم الملك الصالح فلما عرفوه فتحوا له الباب فدخل نجم الدين والامير بيبرس الى جانبه والاموال محملة قدامه ولم يأخذهم ضجر ولا ملل الى أن أقبلوا الى حيهم والاطلال (ياساده يا كرام) وكانت السيده شهوه زوجة نجم الدين قد افتكرت فى هذه الساعة بعلها وهاج عليها شوقها وتألم لغيابه قلبها فقالت لااله الا الله محمد رسول الله ماأصعب

الفراق وما احلا التلاق والله ان نجم الدين قد غاب عنى وبعده قد آلمنى فالله تعالى يسهل قصده وعن قريب تره ويهلك ضده ويقيم سعده ويقضى حاجته ويتم نوبته فلقد منعنى محياه عن الرقاد ولم اتلذذ بمتاع ولا بسهاد (قال ياساده يااجياد) صلوا على زين العباد فما تمت السيدة شهوه كلامها وما نطقت به من قولها حتى ضرب الباب عليها فقالوا الغلمان من بالباب فقال عبد الله نجم الدين ياأحباب فتجارت الغلمان وفتحوا الباب فدخل نجم الدين ومن معه ولد السيدة فاطمة ونزلت السيده أخت فاطمه واستقبلته وسلمت عليه وقد نظرت الى الامير فتوارت منه فقال لها زوجها نجم الدين ياشهوه هذا الغلام الامير بيبرس ولد اختك السيدة فاطمة فسلمى عليه ولا تفزعى منه فاقبلت اليه وسلمت عليه وفرحت به فرحا شديد ماعليه من مزيد وقال له الامير نجم الدين ياولدى قد اقبلنا الى مصر بالسلامه وهذا مكاننا الذى لنا فيه الاقامه فاحفظ أموالك فيه واجعل بين يديك مفاتحه ونواهيه وهذه الحواصل بين يديك والاماكن أمرها اليك فعند ذلك امر الوزير بذخر الاموال والصيوان وجميع مامعه من الاثقال في الحواصل وقفل بالاقفال الثقال هذا ونجم الدين قد اخذ الخراج وهومال السلطان وجعله في المقعد وأغلق عليه الابواب ووضع عليه المفاتيح وصعد الامير بيبرس والامير نجم الدين الى أعلا القصر وجلسوا واستراحوا وأخذ فى الحديث الى ان كان نصف الليل فتذكر الامير نجم الدين العلبه التى قدمنا ذكرها وافتكر الاقسام التى اقسمت السيده فاطمه بها عليه فنهض من ساعته ونزل الى المقعد واتى بالعلبه وقد كان ترك الامير عند زوجته فاعتزلت عنه الى بعيد حتى اتى زوجها وقد رآها متباعده فقال لها لاى شيء تمتنعين عنه وما هو الا ولد أختك كما قد اخبرتك وانه هو الذى بلغتك

عنه الاخبار بانه مات وماهو الا ممن سلم من جميع الافات وقد اتيت به الى عندك لاجل ان يطمأن قلبك وتعرفى مقامه وتزيدى فى اكرامه فما هو الا كما ذكرت اك ومن دمك ولحمك

(قال الروى) وكانت هذه السيدة شهوة فائقة فى الحسن والجمال والبها والكمال وقد كانوا بعض نساء الامراء يسمونها فوز فصارت لها اسمين مشهورة بهما فلما سمعت السيدة ذلك الكلام نهضت على الاقدام وأخذت ببرس ملء الاحضان وقالت الحمد لله على سلامتك ياولدى واجلسته الى جانبها وجلسوا الجميع يتحدثون وهم على غاية من الفرح الزايد هذا وقد التفت الوزير نجم الدين الى زوجته وقال لها اعلمى ان اختك قد أرسلت اليك معى امانة وهى هذه العلبة وحلفتنى واقسمت على بالاقسام البالغة انى لا افتحها الا بيننا نحن الثلاثة وقد اجبتها الى ذلك ولم افتحها ابداً وها قد جمع الله بيننا فعندذلك أخذتها السيدة وازالت غطاءها وتأملتها واذا من داخلها نقاب وشعيرية وفردة من خف وفردة بابوج فلما نظر الامير نجم الدين الى ذلك تعجب غاية العجب وقال لزوجته والله ان أختك مجنونه وليس لها عقل فقالت له ولاى شىء ذلك فقال لها عرفتك بانك صرحة برجل واحدة حتى انها ترسل اك خف غير كامل او بابوج كامل وكيف انها تحملنى هذه الاشياء ثم تشدد على فى الاقسام مع انها مثل عدمها لا تنفع بشىء فعند ذلك ضحكت السيدة شهوة وتبسمت فى وجه الوزير وقالت له اعلم ان اختى ما ارسلت الى هذا على سبيل الهدية وانما ارسلتهم الى على سبيل الكلام فلما سمع منها ذلك مسك الخف وقلبه يمينا وشمالا وقال لها والله ما فيه كتابه ولا كلام فقالت له اعلم ان الكلام ما يبقى فى الاحفاظ ولا بجسم وما هو الا معانى يعرفها كل من كان فهيم ومن لم يدر

المعانى فهو لاشك ابكم فقال لها وقد تعجب من قولها وهل فهمتى المعنى قالت نعم وحق نعمتك علي ورأس سيدى الملك الصالح فقال لها قولى لى عايه حتى اسمعه وأعرف مضمونه فقالت له وقد كانت فصيحة تدرى المعانى وتفهم المبانى وتنظم الاشعار ياسيدى تريد ان اذكره لك نظما او نثرا فقال لها نظما ونثرا فقالت له اعلم ان لسان حال اختى يقول لى اعلمى يا اختى ان هذا ولدى وقطعة من كبدى مثل هذا النقاب والشميرية التى مرفوعين فوق رأسى وقد أرسلته اليك ليكون عندك أعز ممن عندى ولاتتركيه وعن باب الكرم تحاديه ولا على لسانك تذكريه ويكون مثل هذه الفردة المداس المفردة التى لاقدر لها ولا قيمة حتى اذا تكامل ماتكون قيمته الى اسفل فى الارض يتلاقا كل ماعليه اعرض وهذا كلامنا فقال لها والله ان النساء يعرفون المعنى وانى اظن ان هذا هو الضمير ولكن نحن نجعله لاجل خاطرها فى اعيننا وفوق رؤوسنا من وقتنا هذا حتى يرجع ويعود الى امه ولا له منا الا الاكرام التام ونظمه وازالة همه وغمه ولكن أريد ان تذكرى لى هذه الاخبار بالشعر والنظام لانى ركنت اليها وعلمت ان اختك فصيحة وانت مثلها فعند ذلك انشدت تقول وانا وانتم نصلى على الرسول صلى الله عليه وسلم

سلام على الاحباب في كل لمحة	سلام جزيل على ممر الليال
يعم كل حبيب لنا وجيوشه	من الاصحاب والخلان العوال
وانى والله لا أسلوا هواكم	واصبحت من البعاد مثل خيال
وقد أرسلت لكم قلبي ومهجتى	وجسمى وعينى والنوال
فاكرموا اولداً كان عندى عزيزا	ولا تجعلوه مهانا كالنعال
لقد كان عندى فوق رأسى	ومن داخل الاجفان والامقال
وكان عزيز مكرما ومهابا	وكنت ارى في وجهه وجه الهلال

وكان سيد القوم حقا كلهم ... وكان صائبا في القول والافعال
وكان مقدما على كل أمر ... ومتوكلا على ذى الجلال
وما كان ذليلا ولا مهانا ... ولا مجالسا لرفقة اندال
ولكنه جرى عليه حكم الاله ... ولا مانع فى قضاء المتعال
وقد صار الآن غريب ارض ... بعيدا عن الأوطان والاطلال
فاكرموا ذلك الغريب الذى أتى ... ولا تحرقونى برجعه الافضال
وهذه وديعة بين ايديكم ... والله يشهد ويعلم كل حال
وقد استودعته عند خالق الورى ... رب العباد ومصطفى النوال

(قال الراوى) فلما فرغت السيدة شهوة من شعرها ونظامها قال لها نجم الدين وقد تعجب من كثرة فهمها هاهو عندك والجوار يخدمونه ويأتون اليه بكل مايحتاج ولا تدعيه يخرج من البيت فقالت له كيف توصينى على ولدى ثم التفت الى لامير بيبرس وقال له اعلم يابنى ان هذه خالتك فاسمع كلامها ولا تخالفها فى اقوالها ثم قالت السيدة شهوة ياولدى اعلم انك الآن جئت من عند امك الى عندى ومن حضنها الى حضنى فقال لها يا امى اجعلى لى محلا برسمى لانى احب ان اكون منفرداً وعن الناس منعزلا فقالت له أمه سمعا وطاعة ثم أمرت الجوار ان ينزلوا له فرشا من الفراشات المثمنة فى المقعد وينظموه له فاجابوها بالسمع والطاعة وفرشوا له من تلك الساعة ثم انها انزلت الامير الى المقعد واجلسته وجلست الى جانبه والجوار بين ايديهم واقفين فلما عاين ذلك قال يا أمى ان الوزير قد أتى من السفر وهو تعبان من شدة الضرر وأريد منك الساعة تطلعى الى عنده وتصلحى شأنه وانى اقول انه لابد له من الطلوع غدا الى الديوان بخراج السلطان فقالت له السمع والطاعة ثم انها نهضت اليه وتركت الجوار عنده لاجل قضاء حاجته

(قال الراوي) فهذا ما كان منه واما ما كان من السيدة فانها طلعت الى عند الوزير وتحدثت معه وجلست الى جانبه وقد جعل يتسلا بها ويلاعبها وتلاعبه حتى هاج به الم الذكر فقضى منها وطرأتم اغتسلا وناما لاجل الراحة فهذا ماكان من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من امر الامير بيبرس فانه امر الجوار بفرش النوم ففرشوا له المكان وانطلقت فيه الابخرة من الجاوى والعود والند والعنبر والريحان ثم نام الامير وتوكل على الملك العليم وقدخفف ماعليه من الثياب والسلاح وعلقهم عند رأسه وامر الجوار بالانصراف فانصرفوا الى أماكنهم فهذا ما كان من امر هؤلاء (ياساده يا كرام) ولما اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤوس الروابى والبطاح وسامت على كنز المداح محمد تاج الملاح انتبه الامير بيبرس من المنام وازال ضرورته وتوضأ وصلى الصبح وصلى على النبي الكريم واستقر في الجلوس والتسبيح واذا بالوزير قد اقبل عليه فقام له وصبح عليه واجلسه الى جانبه وقدم له ماراق من الطعام فأكلوا وشربوا وتدارتفعت الاوانى والزبادى وغسلت الافواه والايادى وذكروا سيد الانام النبي الهادى وقد عزم الوزير على الركوب وقال ياولدى انى اريد ان اسير الى الديوان وأسلم المال الى السلطان وأعود اليك وانت فى هذا المكان فقال الامير سمعا وطاعة (ياساده) وكان عند الوزير نجم الدين رجل بواب يقال له عبد القادر الامواجى فلما أراد الوزير الخروج من الدار صاح على ذلك البواب فحضر بين يديه فقال له لاتترك الامير بيبرس يخرج من الباب لانى أخاف ان يقتل احداً من الانام لانه لايبالى بقتل كل الانام فقال له اعلم انى لااتركه يخرج من المكان وآخذ عليه المفتاح وان صمد منه كسرت رأسه وحق الملك الفتاح ثم ان

الوزير سار بعد ان أخذ المال وأوصى البواب وتوجه الى الديوان يريد ان يسلم مال السلطان (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر امير المؤمنين وخادم حرم حجرة سيد المرسلين فانه بات اصبح مثلك يصلى على نبي له الورد فتح دخلت الاغوات اعلموه ان الديوان قد تكامل قال الملك وعلى الله الكمال ثم سار الملك وبين يديه الاغوات الكتابيه والمماليك الغرلابية فلما أقبل على العسكر قاموا له اجلالا وحياء من السلطان فابداهم بالسلام السنه أجابوه بالفريضة الشرعيه كما قال خير البرية هذا وقد بسط يداه وقرأ الفاتحة أم الكتاب وأهدى ثوابها الى النبي الاواب واصحابه وجميع الاحباب ثم الى ارواح من تقدم قبله من الملوك وما يأتى بعده ثم قرا المقرى وختم ودعا الداعى وختم ورقى المرقى وختم وقد صاح جاويش الديوان وهو يقول

يا حاكما بين جميع الورى انصف الانام بالعدل والانصاف
وخذ الحق لكل مظلوم وانصفه على الظالم المتهاف
وان ظلمت فانت مطالب بين يدى الحاكم والموقاف
يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا اولاف
الا من اتى ربه بقلب سليم فذاك الذى يفوز بالرفراف

(قال الراوى) قال الملك امنا من اين كنا حتى اتصلنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من الشدائد والمهالك ثم راق الديوان والتفت الملك ذات اليمين فاطرقت العساكر حياء من أمير المؤمنين وكذلك جهة اليسار ثم جمل الملك كلامه مع الاغا شاهين الافرم وقال له يا حاج شاهين الطير دخل القفص ومابقى عليه غصص والصياد اصطاد وهذا حكم رب العباد فتعجب الاغا شاهين من كلامه ولم يدرى معنى مرامه فبينما الملك

يدندن ويتكلم بمثل ذلك واذا بباب الديوان انسد والستار ارتخ وقد أقبل الوزير نجم الدين البندقداري وقبل الارض بين يدى الملك ثم خدم وترجم وأحسن مابه تكلم ودعا بدوام العز والبقا وازالة البؤس والشقا وتكلم الوزير نجم الدين بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات صلى الله عليه وسلم

عبيدكم قد اقبل ياسادتى ... يرجو من المنان لكم دواما
سلام عليكم بكامل جمعكم ... والسلام منى بداقبل الكلاما
فلا تردوا من اتى لمحلكم ... فانتم اهل الكمال على الدواما
فما زلتم في الاماكن حتى ... يقوم الناس فى يوم القياما
انتم السادات لكل الورى ... وفضلكم على الورى انعاما
وسيفكم الماضى فى رقاب العدا ... وبكم يرغم المشركين ارغاما
قد حفكم من الله غيث هاطل ... وزالت عنكم الاحزان والاسقاما
فاقبلوا من أتاكم مستنصرا ... والله يقبل من عليه تراما
قد فازوا بالنصر من رب السما ... ومدحهم بلطف وعز واختتاما
وفزتم بخدمة سيد الورى ... عليه منى صلاة وازكى سلاما

(قال الراوى) فلما فرغ الوزير نجم الدين من الدعاء والمدح والخدمة لامير المؤمنين تحرك الملك الصالح وقال حق يادايم ياحق يامعبود ياعلام الغيوب ياودود سلامات ياسيدى نجم الدين ياابن العم جبت الخراج قال نعم يا امير المؤمنين ثم امر باحضار الخراج فاحضروه الغلمان بين يدى السلطان فلما رآه فرح فامر برفعه الى خزانة بيت المال واذن للوزير نجم الدين بالجلوس فى مرتبته فجلس وراق الديوان وصمتت الحاضرين حياء من السلطان هذا وقد قال الملك ياحاج شاهين قال نعم يا امير المؤمنين قال له

لابد ان المغطي يبان لان الطير دخل القفص وانغلق عليه الباب وانحبس وحرج عليه الرجل بعدم الخروج وانه قال انا ماحبسته الاخوفا ان ينقر الطيور بمنقاره لان منقاره حاد عليهم ولانه اذا نقر طيرا صيب ولكن وعزة الله لابد من ظهوره وافشاء أموره لانه هو الغالب على اعدائه وانه مخصوص بالنصر من مولاه فاذا الذى تقول فى هذا الكلام صحيح ام لا فقال له الاغا شاهين الصحيح الذى تقوله يا امير المؤمنين مع انه لم يدرى معنى قوله بل قال فى نفسه والله ما اعرف لهذا معنى فقال الملك الصالح يا اخى انا رجل عبيط فلا تأخذ على كلامى في شئ ابداً كلما ورد على بالى قلته لانى معبوط عبط الجمال الذى كانوا يشيلوا ويرجعوا يأكلوا عاقول (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من أمر بيبرس فانه بعد نزول الوزير نجم الدين من المكان ضاق صدره لانفراده فنهض على الاقدام وفتح بعض رواجع المقعد وتأمل واذا ببعض الرواجع يتطلع على الطريق فجلس الى جهة الطريق وفتح المصحف وجعل يقرأ في كلام الله تعالى القديم وهو يترنم بتلك الصوت الحنين الرخيم حتى انه كان فى سماعه يحيي السقيم فصار يقرأ وكل من مر على ذلك المكان وسمع النغمة والالحان يقف تحت الراجع لاجل السماع حتى صار تحت الراجع خلق كثير من الناس فبينما هم كذلك واذا برجل قد اقبل عليهم وكان هذا الرجل يقال له الشيخ محمد طميطق الجميدى وانه لما رأى ذلك اللمة والجمية اقبل وهو متعجب من الواقفين فلما أقبل سلم عليهم وسألهم عن وقوفهم فقالوا له اعلم اننا نريد ان نسمع كلام الله تعالى بهذا الصوت الحنين فقال لهم ومن الذى يقرأ هنا هل هو ذكر ام انثى فقالوا له لاندرى فهل تقدر تظهر لنا أمره ان كان ذكر ام انثى ولك علينا فى نظير ذلك ثلاثين نصف فضه فتقدم من

دونهم الى تحت الراجع وتنحنح وصفق على يديه وصاح يامقرى يامقرى تفضل علينا وطل علينا من الراجع برأسك لاجل نصبح عليك ليكون نهارنا مبارك ووقتنا أزهر ونحن اولاد الحسنية وكلنا أهل كمال فى الكلية وانما نريد ان نرى هذا الوجه المنير فلما سمع بيبرس هذا الكلام من ذلك الرجل تبسم ضاحكا وعرف انه مزاح فطل من الراجع وقال له صباح الخير ياوالدى فلما طل برأسه من الراجع ورفعت اعينهم اولاد الحسنية فرأوا وجه كأنه القمر اذا ابتدر ليلة أربعة عشر فلما نظروا منه ذلك حارت منهم الافكار ومامنهم من نطق بمقال الا الشيخ محمد فانه قال ماشاء الله كان يخلق الله مايشاء سبحان من خلق وصور واتقن ياسيدى انزل الى عندنا حتى نتأنس معك فقال بيبرس ياوالدى سمعا وطاعة ولكن اصبر قدر ساعة حتى آتى اليك ثم انه نهض من ساعته على الاقدام وأخذ اللت بيده وخرج من باب المقعد والجوار ينظرون اليه ولم يقدروا يمنعوه ولا منهم من يقدر يتعرض له الى ان صار وسط الدار فقال فى نفسه يابيبرس اللبيب من دار ولم يمازح الناس فما هو الا كالحمار وأنا لابد لى أن أمازح أولاد مصر على قدر عقولهم واسايرهم على قدر حالهم لانهم على كل حال أهل خلاعه وفكه ولكاعه ويكثرون الكلام مع بعضهم وها أنا كاحدهم ثم سار الى أن وصل الى باب البيت فلما رآه البواب وهو مقبل عليه قامت عيناه فى ام رأسه ونهض على أقدامه وقد كشر على أضراسه وأغلق الباب في وجه الامير وقال له الى أين تريد تمضى فقال له اريد الفرجه على أرض مصر وأخرج الى البلد وانظر اهاليها فقال له البواب ارجع الى مقعدك ولا تخرج والا اقوم افلق قرعتك بهذا المفتاح فلما سمع بيبرس ذلك قال له اعلم يابواب انى لم يكن لى سيد الا مولاى الذى خلقنى ورزقنى واعلمك انى لست بمملوك الا للمالكى وهو

رب العالمين وأنا رجل حر مثل نجم الدين سوى بسوى وان زوجته هي خالتي وانا ان اقمت في البيت فبرأيي وان خرجت فبرأيي فلا احد يمنعني وانا ما اتيت الا بقصد الفرجه على مصر وبنيانها وأحوالها واولادها واغصانها وبساتينها ولاجل زيارة الاولياء الذين بها وا كثر قصدى زيارة سلطان مصر سيد الانام محمد الشافعي لعل ان يحصل لي منه القبول واقرأ عنده القرآن فافتح ودعني امضي واعود ولا تحوجني للحاجي والقمري فقال له البواب انا لا اقدر افتح لك الباب ابداً فادخل حيث امرتك ولا كسرت راسك فانى ممن لا يسمع قولك ولا يركن لعملك ثم ان البواب صاح فيه فسكت الامير وسار يلاطفه وهو لا يزداد الا منعاً فلما ايس منه الامير تقدم الى الباب واراد ان يفتحه فنهض اليه البواب بالمفتاح وهو قاصد راسه فلما راى الامير ذلك تلقى المفتاح على اللت وقال فى نفسه هذا رجل نحس لا تثبت عنده الكرامه الا اذا عاينها ثم انه رفع اللت وضربه بطرفه على راسه لطشا خفيفا فوقع اللطش على ام راسه فسال دمه وغاب صوابه ووقع خلف الباب مغشيا عليه فعندها تركه الامير بيبرس وفتح الباب وخرج فتلقاه الجعيدى وأولاد الحاره الذين قدمنا ذكرهم فسلم عليهم وسلموا عليه وترحبوا به وأجلسوه بينهم وجلسوا حواليه وقالوا له ياسيدى قل لنا ما اسمك قال اسمى بيبرس وأنا ابن اخت السيدة شهوه زوجة الوزير نجم الدين البندقدارى صاحب هذا المكان فقالوا له معرفة طيبة وصحبة موافقة فسر معنا ولك اسوة بنا فقال لهم سمعاً وطاعة ثم سار الامير معهم وقد تقدم الجعيدى اليهم وقال لهم أنا بقيت كبيركم أنتم الجميع فقالوا أنت خبيرنا ياشيخ محمد فقال له الامير ياوالدى انت كبيرى أنا وأنا لك فقال له الله يرقيك أعلا المراتب كما جبرت بخاطرى ولم يزالوا كذلك حتى أقبلوا الى

مكان وفيه دكان وعلى ذلك الدكان شاب صغير كثير الحياء والوقار وكان هذا الشيخ يصطنع العرقسوس وهو يسمى كريم الدين ابن الشيخ يحيى الشماع رجلا عالما من علماء الاسلام له هيبة ووقار غير انه فقير الحال ولا له اكتساب غير هذه الصناعه (قال الراوى) فلما أقبلوا الى ذلك المكان ورأهم ذلك الغلام نهض على الاقدام وترحب بهم وأجلسهم وقد رأى الامير بيبرس في وسطهم وهو كأنه القمر بين النجوم فقبل يده فقبل الامير رأسه وجلس بعد ذلك الامير وراق المكان وقد كان فى ذلك المكان والزمان لا يصطنعون القهوه بل كانوا يصنعون المقل السخن وهو شمر وعرقسوس ويصطنعون الحلاوات أيضا وذلك لان القهوة لم يكن لها بذلك الوقت قيمة ولا مزيه لكثرة حبتها هذا ولما استقر بهم الجلوس تقدم اليهم كريم الدين وبيده طبق كبير وفيه العسل المغلى المعقود بالنار الممتزج بالبهار وفى يده الاخرى قطعة من النحاس الاصفر يقال لها ملوق يأخذ بها الحلاوه فصار يعطى كل واحد منهم ملوق فلما فرغ من ذلك ناول كل واحد منهم طاسه من المغلى السخن وكان فى ذلك الوقت الملوق والطاسه بجديد واحد فلما استتم لهم ذلك قال بيبرس يا أخى ما اسمك فقال له عبدك كريم الدين فقال يا كريم الدين قال نعم قال له جميع ما أكلوه من الحلاوات والاشربه حسابه على انا فقال له كريم الدين ياسيدى أدام الله بقاك والله هذا نهار سعيد مبارك برؤياك ثم أخذ كريم الدين يباسطهم ويحادثهم الى ان أخذوا مجلسهم واستأذنوا الى الانصراف من الامير بيبرس فاذن لهم فانصرفوا الى حال سبيلهم وكذلك الجعيدى انصرف بعد ان قال للامير الموعد بيننا وبينك كل يوم هاهنا ثم انصرف الى حال سبيله

(قال الراوى) وبقى الامير بيبرس مع كريم الدين وراق لهم المكان

فقال له الامير بيبرس انا ابن اخت زوجة الوزير نجم الدين البندقداري
وهذا الحساب لك عندي وهذا منزلنا فاني الآن لاوجدت معي دراهم
حتى اعطيك ولكن هذا اول برج وتركه ومضى الى حال سبيله ودخل
البيت فراى البواب قد فاق مما هو فيه فلما رآه البواب ارتعدت فرائصه
منه وقال له ارجع عني ياسيدي وانني لا بقيت اقدر اقوم من هذا المكان
ابداً مادمت انت فيه حتى يأتني الامير نجم الدين اسلمه مكانه لانى ما انا
مستغني عن نفسي ولا عن روحي وان كنت سلمت هذه النوبة من يدك
ما اسلم الاخرى فعند ذلك اقبل اليه الامير بيبرس وطيب خاطره وباس رأسه
وقال له يا ابي ابرى ذمتي وسامحني في زلتي ولك مني عشرة دنانير ذهب
فقال له ياسيدي انت صاحب العطا وانني قد سامحتك ولكن اين الذي ذكرته
لي من المال فقال له هاهو حاضر ثم انه صعد الى المقعد ورجع اليه واعطاه
العشرة دنانير ذهبا وقال له اذا سألك سيدي نجم الدين فلا تخبره باني
خرجت من المكان فقال له ياسيدي وحق رأسك اني لابقيت اخرج عليك
لا ليلا ولا نهاراً وانا خادمك وان طلبت احداً يؤانسك احضرته الك
واحضرت الك كلما تريد فقال له جزاك الله عني كل خير ثم تركه بعد ان
طيب خاطره وصعد الى المقعد وجلس برهة واذا بالامير نجم الدين قد
اقبل وقد سأل البواب وقال له هل خرج الامير بيبرس الى ظاهر المكان
فقال له البواب لا وحق راسك ما خرج ابداً ولم يمر على غيرك انسان
فتركه وصعد الي المقعد فتلقاه الامير بيبرس ونهض له من مكانه واجلسه
وجلس الى جانبه وجعل يحادثه ولم يسأله عن الخروج ولا عن الدخول
ثقة بكلام البواب فهذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوي) وأما ما كان من كريم الدين فانه بعد ان تركه الامير

بيبرس وقال له اول برج جلس وهو متفكر في أمره وقد زاد به فكرا
وجعل يقول فى نفسه الساعة يأتى ابى من الجامع الازهر ويسألنى عن غلة
الدكان وهو يقول لى أين الذى بعت به فان قلت أنا مابعت شيئاً يقول لى
وأين البضاعة وان ذكرت له انها انسكبت على الارض يقول لى وأين
محلها وان قلت له بعتها شككك فما هذا بصواب لان قوتنا منها وما لنا غيرها
في كل يوم وان أنا قفلت الدكان وهربت فما ادرى ماالذى يصنع ابى بأمى
من أجلى او ربما يقول انه أخذ الدراهم وهرب بهم ولكن الوقوع فى
البلا أحسن من الاستنظار ومالى الا ان اجى بالحال والسلام فبينما هو
كذلك واذا بالشيخ يحيى الشماع مقبل عليه فلما رآه أقبل قام له على الاقدام
وباس يده فقال له السلام عليكم ياشيخ كريم الدين فقال له وعليك السلام
ياأبى فجلس على الدكان وقال له ياولدى هات الغله فناوله جديدا واحدا
من غير زياده وكان هو أول استفتاحه فأخذ الشيخ الجديد فى يده وتعجب
غاية العجب وقال ياولدى ماهذا وأين الدراهم التى بعت بها البضاعة حتى
اننا نشترى لوازم المحل الذى نحتاج اليها كل يوم فقال له يا أبى اذا كان
الكذب حجة مستقيمة يكون الصدق انجا عند أهل العقول السليمة أنا
أصدقك ياأبى اعلم انى جاءنى ولد مملوك من بيت نجم الدين البندقدارى
ومعه ثلاثين رجلا من أولاد الحسينية ودخل بهم الى الدكان وقال لى اعطيهم
حبا علي فاعطيت لهم ما كان عندى من البضاعة فلما قضوا مجلسهم انصرفوا
الى حال سبيلهم وانصرف هو بعدهم وقد أشار على بدبوس فى يدى وقال
لى أول برج لك عندى نخفت منه ودخلت الى داخل الدكان وتركنى
وانصرف الى منزل سيده وهذا الذى جرى أخبرتك به والسلام فلما
سمع الشيخ يحيى ذلك تغير لونه واضطرب كونه وقال له كيف تضيع مالنا

وثمن بضاعتنا وتتركنا نقاسى العذاب في هـذا اليوم والليلة القابلة بالجوع وتحرمنا وتطعم غيرنا ولكن انت الآن تحتاج الى الادب ومالى الا ان امضى الى القفاص وآتى من عنده بجريدة خضراء بهذا الجديد واضربك بها ثم انه تركه ومضى الى القفاص ليأتى بالجريدة فهذا ما كان منه وأما ما كان من الغلام كريم الدين فانه صبر على أبيه حتى غاب عن عينيه وقال في نفسه وما انتظارى بهذا القعود ثم انه ترك الدكان ومضى الى عند البيت بعد ان اغلق الدكان ومضى الى عند أمه وأخبرها بالخبر من أوله الى آخره فلما سمعت أمه بذلك فقالت له اقعد ياولدى وما الذى تقدر تفعل ان نصل اليه من الملوك وهو من طرف مثل نجم الدين البندقدارى والحمد لله على سلامتك الذى انت تخلصت منه فاطمأن قلب الغلام وركن الى قول أمه وجلس الى جانبها فهذا ما كان منه وأما ما كان من الشيخ يحيى فانه سار الى القفاص وناوله الجديد وأخذ منه جريدة خضراء كبيرة ومضى بها الى الدكان ليضرب ولده فوجد الدكان مغلوقة ولم يجد الغلام فاحتار في أمره وسأل الجيران فقالوا له ياسيدى غلق الدكان ومضى الى جهة الدار فسار الشيخ وهو في غاية من القلق وقد اشتد به الغضب على ولده وذلك لاجل فاقته وفقره وما زال متفكرا في أمره حتى وصل الى مستقره وعبر الى البيت فوجد الغلام الى جانب أمه فزاد حمقه فنهضت اليه أمه وقابلته وقالت له وقد صاحت في وجهه على أى شىء أتيت هكذا وأنت ماسك هذه الجريده وما الذى تريد ان تصنع وما هذه الفعال وقد ارعبت قلب الغلام واورثتنى لاجله الوبال وان هذه الفعال ماهى فعال اولاد الحلال هذا يدل على الكسوة التى اتيت بها اليه وما اراك الا مسيئا عليه وماسك بيدك الجريده انت تعلم ان عندى غيره او من يقوم مقامه

وان قتلته اري عندي خلافه اما تعلم انه واحد وعيني مطلعة اليـه كيف يعمل هو في المملوك يضربه او يشتمه فوالله لو كنت انت ماقدرت تكلمه حتى انك تهين ابني وتفعل هذه الفعال وهو حيلتي ثم انها بكت وانشدت تقول صلوا على الرسول

اياولدي مالي سواك حبيب ... انت قصدي وبغيتي ونصيب
ولم ارد غيرك يدخل داري ... ولم يكن لي عليك رقيب
تجير عليك ابوك حتى كانه ... يريد قتلك حقا من قريب
بعدالجوع والعري الذي انت فيه ... يعرضك لاهل البلايا رحيب
ويمضي ويأتي يأخـذ كلما ... جمعتـه من فضه وذهيب
كمثل الحاكم الذي لايرجع لخصمه ... ولا يعرف صديق ولا حبيب
فوالله ياولدي لقد ضرني الجوا ... وزادني ما انت فيـه لهيب
وهذا الشيخ لا يرحم اضعفنا ... ولا يدري صدقا ولا تكذيب
ومالي الا ارحل الى بلدة ... نكون من هذا المكان غريب
ونقضي زمانًا في غير ارضه ... لله ارضا كان منها قريب

(قال الراوي) فلما فرغت زوجـة الشيخ من البكاء والانتحاب جعلت تتكلم مع الشيخ يحي كلام كثير حـتى انه اندهى من قولها ولا عرف يرد عليها فقال لها اعلمي انه قد ضيع غلة الحانوت التي نأكل من جانبها كل يوم وانت تعرفي ذلك وتعرفي ان مالنا اكتساب غير هـذا فقالت له وايش الذي يعمل في المملوك حتى انه كان يضربه او يقتله فقال لها وكيف نعمل نحن الآخرين فقالت له اقعدوانا آتيك بخلاف الذي ضاع لك فقال لهـا ومن اين ذلك ثم قالت أصبر سوف ترى ثم غابت عنه وعادت ومعها كوز فخار أحمر وهو مسدود الفم ففتحت سداده وأخرجت منه

ستة انصاف فضةوكان النصف بستة جددواعطتهم اياهوقالت له ماتقول في ذلك فقال لها وقد تعجب ومن اين لك هذا المال فقالت له اعلم ان هذا من خدمتي في أبوك وذلك اني كنت أوضيه يعطيني جديد فاخذهوأجعله في ذلك الكوز وكلما كان عندي ستة جدد صرفتهم بنصف فضه ولم أزل على ذلك حتى توفى والدك رحمه الله تعالى وجمعت أنا هذا المبلغ وجعلته عندي الى الآن وقد نفعوا في هذه الساعة ولا ترجع تهين ولدى ففرح الشيخ بذلك ورمى الجريدة من يده واقبل على ولده وقال له ياولدى خذ هذا النصف هات لنا به عسل أسود وعرق سوس الى الدكان وهذا النصف الآخر هات لنا به قمح والثالث سمن وهات لنابالرابع لحم وخضار ولا بقي من المبلغ الا نصفين مع الشيخ هذا وقد مضى كريم الدين وقضا الحوائج الى البيت والدكان وعاد الى والده وأخبره بذلك فقال له ياولدى اسمع كلامى واعلم انى غداً مقيم في البيت ولا أروح الى الجامع وأنت تفتح الدكان على عادتك فاذا أتاك هذا المملوك هو وجماعته وأخذ البضاعة منك ولم يعطيك شيئا فشاغله بالكلام وارسل الى أى غلام كان حتى انزل اليه وآخذ حقي منه وأخلص أذنيه وأقلع عينيه واضربه على رأسه بهذه العصا والعلم الشاهد الشريف فقال الغلام سمعاً وطاعه (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح نزل الشيخ كريم الدين الى الجامع وصلى صلاة الافتتاح وعاد الى الدار وأخذ منها البضاعه وسار الى الدكان وفتحها وغلا العرقسوس وعقد الحلاوه وجلس وهو يقول يافتاح ياعليم اللهم اكفينا شر هذا النهار ياا كرم من كل كريم فبينما هو كذلك واذا بالامير بيبرس قد اقبل هو وأصحابه ودخل الامير الى الدكان وصبح على كريم الدين هو وباقى الاخوان فرد الصباح عليهم وهو منهم

فزعان فقال الامير اعطيهم حبا علي يا كريم الدين فعندها قال له يا أخي كل
يوم حبا عليك فقال نعم اعطيهم ولا تخاف فقال في نفسه لعل يعطيني البرج
الاول والثاني ففرق عليهم ماعنده من الحلاوات وكذلك الشربات فانبسطوا
أولاد الحسنيه وأخذوا حظهم بالكلية الى ان تضاحا النهار وكل منهم قد
عزم على الفرار هذا وكريم الدين ينظر اليهم ويتعجب من فعالهم وقلبه
يرجف من الامير بيبرس لايفعل معه مثل أمس هذا والامير بيبرس جالس
برهة يسيره وقال يا كريم الدين قال له نعم قال له ائتيني بهذه الطاسه
الكبيرة التي على هذا الرف فقال له سمعا وطاعة ثم ناوله الطاسه وقال له
وهو مرعوب هذه ورث عن جدي ابو ابي وقد ظن أنه يريد أخذ الطاسه
فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام ضحك وزاد في الابتسام وقد فهم
ماعند الغلام ثم مد يده الى جيبه أخرج كيسا حرير ومسكه بيده وفتح
فمه وقلبه في تلك الطاسه فامتلأت الطاسه وكان فيه خمسمائة دينار ذهب
فلما رأى ذلك كريم الدين انذهل عقله وانسلب وقد تعجب من فعل
الامير غاية العجب وأخذه الانبهار ولعبت سواعده والركب عند رؤياه لذلك
الذهب وقد ظن أن هذا منام وأضغاث أحلام وصار باهت لايدري معنى
الكلام فقال له الامير هل يكفيك هذا يا كريم الدين في بضاعة اليومين
والا أزيدك دنانير فقال له وهو مدهوش هذا والله شيء كثير وما هذا الا
فعل سلاطين وما هي فعال مماليك لمثل نجم الدين فقال له بيبرس خذ
الدراهم واعطيها لابيك لاني سمعت عنه انه من علماء الاسلام وأهل
الديانه والاحكام وأيضاً سمعت أنه فقير الحال فدعه يدعي لي على كل حال
لانه دعاءه مقبول عند الملك المتعال فاذهب الآن اليه واعطيه هذا المال
وها أنا قاعد لك هاهنا على الدكان حتى تأتي أنت من عند أبيك فنهض

كريم الدين وأخذ الدنانير وسار طالب أبيه وهو فرحان بما أعطاه الامير
(قال الراوى) فهذا ماكان منـه وأما ماكان من أمر الشيخ يحي
الشماع فانه مقيم في المكان عند زوجته فاخذتهم سنة من النوم فناما الاثنين
فرأى كل واحد منهما منام فلما انتبهوا قال الشيخ يحي لزوجته انا رأيت منام
فقالت له زوجته خير وسلام وأنا ايضا رأيت منام فهل رأيت انت مثل مارأيت
انا فقال لها لا ولكن اخبريني على منامك حتى أفسره لك فقالت رأيت
بيتي هذا كله نور وقد ظهرت فيه روائح حسنة زكية فبينما انا بذلك منبهجة
اذا أقبلت على شريفة سمراء عليها حلة خضرا وهى كأنها الشمس المضيئة
الزاهرة متنقبة بايزار اخضر وماسكة بيدها الشمال ولدى وبيدها اليمنى ولد
آخر فتأملته واذا به كانه البدر ليلة تمامه ورأيت بجبهته سبعة نقط سود
وبين حواجبه شعرة من الاسد والى جانب الشعرة سبع من اللحم يظهر
اذا غضب ويزول اذا لم يغضب فقلت لها وقد غشاني نورها يامولاتى من
تكون انت فقالت انا كريمة الدارين ها انا ام الايادى الطايلات انا غفيرة مصر من جميع
الجهات من الافات انا عمة الحسن والحسين من نسل سيد الكونين وهذا
نسبي وحسبي فقلت لها وانا خجلة نعم الحسب ونعم النسب ولكن من هذا
الغلام الذى فى يدك اليمنى فقالت اعلمى ياام كريم الدين ان هـذا محمود
المكنى بيبرس وهو الذى تفتح على يديه بلاد الكفار ومداين اهل الاشرار
وهو صاحب الفن والوقار وتكون مصر في حكمه في غاية من الافتخار
ويكتب اسمه على السواحل والاقطار هذا الامير بيبرس ابو الفتوحات
والنصر ويسمى الظاهر وسوف يكون ملكا وسلطان وتذل له رقاب الانس
والجان وهذا ولدك كريم الدين يكون له بعدته شأن وتكون له كلمة عالية
وشأن عظيم من كل شأن وهو اخبه على ممر الليالى والايام ويبقى بعدته له

ذكر يذكر ما دامت الشمس تظهر والقمر يسرح ويبدر فلما سمعت منها ذلك الكلام فرحت واقبلت اليها وقبلت يديها وقلت لها أدعي لي ولولدى وزوجي فقالت لي رفع الله عنكم الم الفقر والفاقه ثم انصرفت عني فاستيقظت من منامي وانا فارحة مسرورة فهذا منامي وما رأيته في لذيذ أحلامي قال فلما سمع الشيخ كلامها تبسم في وجهها وقال لها وحق خالقنا والهنا ومحيينا ومميتنا هذا المنام الذى رأيته اناوهويدل على كل خير وكل سرور وهنا وهذا منام صحيح لان قول السيدة صادق ولم يكن مفارق ففرحت بذلك الفرح العظيم ونال الشيخ بذلك سروراً عظيما فبينما هو كذلك واذا بالباب يدق دقا خفيفا فدنا الشيخ من الطاقة ينظر ماالخبر واذا هو بولده كريم الدين وقد أقبل فظن الشيخ ان المملوك قد أتى اليه فقال له يا كريم الدين ان كان جاءك المملوك الذى أتى اليك البارحة فأناأحضر العصا وانزل اليه معك فقال له ياأبي افتح الباب حتى أقول لك ففتح له الباب فدخل كريم الدين وهو في حال وتقدم الى أبيه بما معه من الذهب وقال لابيه انظر ياأبي الى هذا فاندهش الشيخ يحيى وارتعدت فرايسه وقال له من أن لك هذا الذهب الكثير الاحمر الذهب هل رأيت كنز اظهر لك في الدكان فقال لا ياأبي ولكن اعلم ان هذا الذهب اعطاني اياه المملوك فلما سمع ذلك قال له ياولدى أنا رجل طالب علم وأخاف من الله تعالى ان أنا أخذت هذا الذهب فهو حرام لاني أعلم ان هذا المال مال الوزير نجم الدين وان هذا المملوك قد سرقه وما هذه عطية مماليك ولا عطية صعاليك وانما هى عطية ملوك وسلاطين فقال له ياأبي لو كان سارقه ما كان يضعه في الطاصه ويسكبه فيها من غير مخافة فقال له ياولدى لاتطيل الكلام فلا بد ان الوزير يدور على ماله ويقرر عليه المماليك فيخبروه بذلك وربما

ان الناس يقولوا انه مايقعد الا في دكان كريم الدين فاذا علم الوزير بذلك فيطردونا من الدكان وربما يقطعوا راسى على بابها ويصلبوك على أعلاها فاذهب ياولدى اليه وسلمه المال ولا يأخذك فى ذلك طمع وقلة أدب فرجع كريم الدين بالدنانير فهذا ما كان من الشيخ يحيى الشماع واما ما كان من الامير بيبرس فانه جالس على الدكان ينتظر كريم الدين فغاب عليه وما عاد فقلق قلقا شديدا ولما اخذه القلق وزاد به ترك الدكان وذهب الى البيت وصعد الى المقعد واخذ كيسا آخر من الذهب وكان فيه الف دينار وعاق الصندوق ونزل الى الدكان وجلس عليها واذا بكريم الدين مقبل الى الدكان فسلم عليه فرد عليه السلام فقال له ياسيدى خذ الدنانير الذى اعطيتنى اياها واكفينى شرها وشر همها واذاها فقال له الامير ولاى شيء ذلك فقال لان ابى ماارتضى بذلك وقدامرنى اردهم اليك وهاهو مقبل خلفى وظن انك قد نسيتهم عندى فقال له الامير اعلم يا كريم الدين ان هذه منى اليك عطية كريم لايرد في عطاه فسر بنا الى ابيك حتى اعلمه بذلك فقال سمعا وطاعة فبينما هم كذلك واذا بالشيخ يحى الشماع مقبل وهو يوحد الملك الاول ويكثر من الصلاة على النبى المفضل فلما اشرف على الدكان ابداهم بالسلام (قال) فنهضا له قياما وقبل الامير يده وكذلك ابنه ثم اجلساه الى جانبهم فلما استقر بهم الجلوس قال له ياسيدى الغلام اعطاك الامانه فقال له ياسيدى هذه عطية وسر الاعظم ماانا سارقه ولا ناهبه ولا هو من مال احد من الناس ولا يخطر ببالك انه من مال نجم الدين وانما هو من مالى وصلب حالى لانى لست بمملوك الا الملك المملوك الحاكم على كل غنى وصعلوك واعلم انى انا محمود بيبرس بن السيدة فاطمة الاقواسية فلا يخطر ببالك شيء آخر فخذ المال وتوكل على الملك المتعال

وكل من سالك عن شيء اخبره بانك اخذت مني المال والنوال قال
فلما سمع الشيخ يحيى ذلك الكلام اطمأن قلبه وعلم ان هذا ماله ففرح
فرحا شديدا ماعليه من مزيد فقال له ياولدى اجلس واستريح حتى
ابشرك ببشارة مليحة وانا اسأل الله العظيم ونبيه الكريم ان يبلغك
ماانت طالبه بحق النبي واصحابه ويعطيك العز والشان على ممر الليالى
والايام ولا بد ان تكون ملكا وسلطان وسيد ملوك الزمان لانى
انا وزوجتى رأينا لك مناما ومثل مارأيت انا رأت زوجتى ثم حدثه
بالمنام من اوله الى آخره وقال له قد علمت انك صاحب هذه العلامه
لان المؤمن ينظر بنور الله تعالى وان الاشارات لاتخفى على بصير قال فلما
سمع الامير بيبرس ذلك الكلام من الشيخ تبسم ضاحكا فى وجهه وقبل
يده وراسه وقال له هذا يكون ان شا الله تعالى ببركة دعائك ياوالدى فقال له
اعلم انى اريد ان تكون انت اخوا ولدى بمقام عهد الله وانا اكون
والدكما فقال افعل ماتريد فنحن لك من جملة العبيد

(قال الراوى) ثم ان الجميع جددوا الوضوء وصلا كل واحد منهم
ركعتين لله تعالى وأوثقوا العهد على مايرضى الله تعالى ثم ان الشيخ غلق
الدكان وأخذ الاثنين الى منزله فاقبلت أم الغلام وبشرت الامير بالمنام
وتعاهدت معه وصارت أمه وأم كريم الدين فقال لها ياأمى تمنى علي وعلى
الله تعالى فقالت له تمنيت على الله وعليك وعلى جانبك السعيد انه اذا اعطاك
الله تعالى وصرت ملكا وسلطانا يكون ولدى هذا كريم الدين اخوك هو القاضى
بالديوان واذا توفيت تبنى لى مسجداً عظيما وتدفنى فيه وتبقى تزورنى
في كل شهر أربعة مرات وهذه تمنى عليك فقال لها الامير سمعا وطاعة
ثم انه مد يده الى جيبه وأخرج الكيس الذهب وناولها اياه وقال للشيخ

خذ هذه الف محبوب وابنى الدكان ووسعها واعمل فيها رفوف ودكك ثم اضربها بالبياض وزوقها بالحمرة والسيبداج وافرشها بالفراشات الفاخرات المثمنة والحلاوات الفاخرة وما عليك من أحد باس ولا خوف ما دمت أنا بقيد الحيات لان الوزير نجم الدين هو زوج خالتى وأنا قد أتيت معه من الشام ومعى الاموال الكثيره والانعام الغزيره وانى لا احد يحكم على (قال الراوى) ثم عزم الامير بيبرس على القيام فقبل يد الشيخ وسأله ان يدعوا له فقال له ياولدى جملك الله سعيد الدارين ويجعل فى وجهك القبول بجاه الحسن والحسين فأمن الامير بيبرس على دعائه وسار الى بيت الوزير نجم الدين البندقدارى (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من امر الشيخ يحيى الشماع فانه بات واصبح وصلى على من له الورد فتح وسار الى البنايين والمهندسين وامرهم بهدم الدكان وعمارتها ودفع اليهم ثمن مايحتاجون اليه من آلات الصنايع ودارت الاشغال والعمارات فانعقد وجه الدكان وانتقش بالالوان وعملت فيها الدكك والرفوف من خشب الزان الملون بسائر الالوان وقد امرهم الامير ان يعملوا مقعد عالى من داخل الدكان فتمت العماره ونقل اليها كل ما كانت تحتاج اليه من البضاعه وغير ذلك ثم فرشت وجعل فيها المساند والوسايد وصارت كأنها العروس إذ انجلت وهرعت اليها الناس واقبلت وجلس فيها كريم الدين والشيخ يحيى الشماع وصارت الناس تقبل اليه بغير امتناع واقبل الامير بيبرس وسلم فردوا عليه السلام واجلسوه فى محل الاكرام وما استقر به الجلوس حتى اقبلت اولاد الحسنيه وصبحوا عليه بالكلية وصبح عليهم وترحب بهم وأشار الى كريم الدين وقال اعطيهم حبا على ياخويا ففرق عليهم الحلاوات والشربات وانصرفوا الى حال سبيلهم وجعل بيبرس يتامل الى الدكان فاعجبته فاخرج كيسا من

الذهب وناوله للشيخ وقال له خذ هذه الدنانير وابنى بيتك وصلح شأنه فشكره الشيخ على ذلك وشرع فى عمارة البيت وتم له السرور والافراح وصار الامير بيبرس يتردد على الدكان ويأتى اليه الرفاق والاخوان وقد صار له جيشا عظيم من اولاد الحسنية وهم حواليه في كل يوم بالكلية وقد مضت على ذلك الايام وهم على ذلك المرام مدة من الزمان الى ان كان يوم من بعض الايام والامير جالس فى الدكان واذا بضجة كبيرة مقبلة فقال الشيخ يحيى ماالخبر فقالوا له هذا آغة الوشاقية فقال الشيخ يحيى الشجاع قم ياولدى خذ اخاك كريم الدين وادخلوا الى داخل الدكان واصعدوا الى المقعد واغلقوه عليكم حتى يمضى هذا الرجل لانه رجل فاسق من اهل الفساد وكل من اجتمع عليه فهو مثله يلوطون بالاولاد ويفسدون بالبنات ولا يبالون من احكام ولا محاكات ولا يخافون من رب الارض والسموات فقال الامير بيبرس ياابى وما لنا نحن به دعه يمضى الى حال سبيله ونحن فى حالنا وما لنا به علاقة فقال له ياولدى هو رجل سفيه وربما ينظر اليكم ويقبض على احدكم فلا يمنعكم منه مانع ولا من يدفعه على اخذكم دافع فلا تصدع قلبي واسمع قولى فقال له اعلم اننى لم انتقل من مكانى ولا اقوم وما سبيل اليه وما له سبيل علي لان كل انسان فى حاله ثم انه اعتدل وخرج الى خارج الدكان والشيخ ينهاه عن ذلك وهو لا ينتهى فبينما هو كذلك واذا بالاغوات الوشاقية قد اقبلوا ومقدمهم اغا يقال له ورشقون الوشاقى قدامهم وهو كأنه البعير الهائج وهو قابض بيده على غلام صغير من اولاد الاشراف والغلام يصيح فى يده وهو يقول يا اولاد مصر يا اهل الشجاعة والنخوة يا اهل المروءة والفتوة انا شريف من نسل السادات الاشراف أنسب للحسين وطه صاحب الانصاف فاغيثونى من يد هذا الرجل حجب البقيرى

والاسراف من قبل ان يسقيني شراب التلاف هذا والناس مجتمعين من حوله وهم يتفرجون عليه ولا فيهم من يحن عليه فاقبل اليه رجل كبير اختيار صاحب هيبة ووقار وشق الناس ودنى من الغلام حتى صار قريبا منه وقد اخذته الرحمة والشفقة عليه لكنه لايقدر ان يتكلم مع هذا الظالم الغاشم فلما دنى من الغلام قال له اذا انت حصلت دكان الشيخ يحيى الشماع فصيط بعلو صوتك وقل انا في جيرتك يا أمير بيبرس وانت ترى العجب ثم انصرف الرجل الى حال سبيله (ياسادة) وقد اقبل الغلام مع هذه الاغوات اللئام حتى وصل الى دكان الشيخ يحيى الشماع وقد تألم مما هو فيه من الافتضاح والاجواع فنادى وقال يا اهل الاسلام يا اصحاب المروآت والاكرام انا رجل شريف من نسل سيد الانام وقد اخذني هذا العبد ابن اللئام يريد ان يفعل بي فعال الانذال والاعدام فهل يكون لي منكم مجيراً ومحامي او نصيرا (ياسادة) فهو يتكلم بهذا الكلام والعبد يلطمه على رأسه حتى كاد ان يسقيه شراب الحمام فصاح الغلام انا في جيرتك يا أمير بيبرس فعند ذلك نزل الامير بيبرس من أعلا الدكان وتقدم الى تلك الغلمان وقال للوشاقي اكرم هذا الغلام كرامة لجده سيد الانام فقال له وما لك انت بهذه الاحكام يا قليل الادب والاحتشام فنحن لانعرف حرمة ولا ندعى زمام ولا نعرف سيد الانام وليس لنا حقيقة في الاسلام فقال لهم الامير وقد تعجب من هذه الاقوال اكرموه لاجل سيدكم الملك الصالح ملك الاسلام وسلطان الانام فقال له الوشاقي امضي الى حال سبيلك الان والا وحق ثبات الثور والفلك الذي يدور اقرنك أنت الآخر معه وجعلناك مثله فلا كنت ولا كان ولا عمرت بمثالك أوطان يانسل الحرام فلما سمع الامير بيبرس ذلك امتزج بالغضب وقد قوى عليه الكلام ومنه قد هام واستهام وظهر في وجهه سم

جدريات على جبهته من الطارقة اليمين الى الطارقة الشمال وعبس وجهه وعلاه الاصفرار وأخذته الحمية والنخوة العربيه وظهر له سبع من اللحم بين عينية وشمرة من الاسد بين حاجبيه ورقصت شواربه وارتعدت فرائصه ومناكبه وقد جرد اللت الدمشقي وضرب به رشقون على رأسه فتخلخلت أضراسه ومال الى الارض وقد اختلط طوله في العرض وخلص الامير الغلام من يده وقد انطبقت الامم وشاع الخبر بما صنع القضا وحكم هذا وقد تبادرت الرجال الوشاقية يريدون القبض على الامير بالكلية فصال فيهم وجندل منهم أربعة ذات اليمين وأربعة ذات الشمال وقد تجارت باقى الرجال فلحق منهم اثنين فسقاهم شراب النكال وما زال من خلفهم باللت الدمشقي وهم قدامه يجارون وكل من لحقه الحقه باصحابه الى أن وصلهم الى باب الخلا هذا وهو قابض على الغلام بيده الشمال واللت بيده اليمين وأولاد الحسنية خلفه وهم يقدمون آثار الوشاقية وما منهم الا من له سكين او نبوت ومن لم يكن معه شيء من ذلك اصطنع رجم الطوب (قال الراوى) ولما وصلوا باقى الوشاقية الى الخلوات وتفرقوا الى الفلوات التفت الامير بيبرس الى الغلام وقال له امضى الى أبوك واعلمه بهذه الاحكام ودعه يجمع الاشراف ويطلع بهم الى الديوان فقال له السمع والطاعة وقبل يد الامير بيبرس وسار من تلك الساعة

(قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أولاد الحسنيه فانهم قالوا للامير لاتخاف فارواحنا لك الفدا ولا تشمت بك العدا ونحن كلنا شاهدون وان أنت أنكرت القتل كنا معك على ذلك شاعدين فقال لهم ياأخواني الحق أولى وأحق ان يتبع فقالوا له سر بنا الآن الى القاضى الذى بالحسنيه حتى ندبر على قدر ماتراه ونشهد بما

وأيناه ثم انهم ساروا الى ان وصلوا الى القاضى وقد اعرضوا عليه القصه من اولها الى آخرها وكشفوا له عن ظاهرها وباطنها وما فعل الاغا بالشريف وكيف تكلم بهذا الكلام المنيف فثبت عند القاضى فسقه وعدم اسلامه وحنقه فكتب لهم بذلك حجه وانزل فيها الشهادة التى شهدوها والامور التى ذكروها فاخذها الامير ووضعها معه ورجع وجلس على الدكان وقد خاف الشيخ يحى الشماع عاقبة هذا الامر والشان (قال الراوى) فهذا ماكان من امر هؤلاء وأما ماكان من الوشاقيه فانهم أخذوا قتلاهم فى الاخشاب وساروا طالبين الديوان والملك الصالح نجم الدين أيوب ولى الله المجذوب ملك الاسلام فهذا ماكان منهم وأما ماكان من امر الملك الصالح أيوب ولى الله المجذوب فانه بات وأصبح مثلك يصلى على نبى له الورد فتح ظهر جلس على التخت وأحدقت حوله أرباب الدوله وأرباب الاحكام وقد قرأ المقرى وختم رقى الراقى وختم دعا الداعى وختم وصاح جاويش الديوان وهو يقول

الله يرضى حين تسأله الرضا ... وابن آدم حين تسأله يغضب
فلا تسألن من ابن آدم حاجة ... واسئل الذى أبوابه لا تحجب
فكم من سائل يعطى بغير تكره ... خير الاله عطاءه المناهب
وكم يحرم من بعد السلام تكره ... اذا سأل شخصا ابا متجنب

(قال الراوى) فقال الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من الشدايد والمهالك ياحاج شاهين الله الله قرب الاشياء ياقريب يامجيب هذا النهار طالعه سعيد فقال الوزير اللهم اكفنا شر هذا النهار ياعالم السر والجهار لان الوزير قد علم من السلطان ذلك وانه اذا قال هذه الالفاظ يعلم الوزير بانه طالع للديوان قتيل فينا الملك على مثل ذلك

واذا بالوشاقيه طالعين عليه وهم يقولون الله ينصر السلطان ويديم له العز والشان فقال الملك ماالخبر فقالوا تعيش راس مولانا السلطان في اغة الوشاقية ورجاله فقال الملك ياحي ياداىم يامعبود ياحق ياعلام الغيوب ومن قتل هؤلاء القتلا قالوا يامولانا قتلهم مملوك يقال له بيبرس من مماليك ابو وزير نجم الدين البندقداري فقال الملك ولاى شيء قتلهم فقالوا يامولانا السلطان كان هذا الاغا قد قبض على ابن نقيب الاشراف السيد علي بن السيد محمد النقيب وقد استغاث بهذا المملوك فاتاه وفعل بنا هذه الفعال بعد ان قتله وخلص من يده الغلام الشريف فعند ذلك صاح الملك الصالح ياي ياي هذا الغلام المقصوف العمر الا يأكل الهريسه بالسمن البقري لباس القفطان الاحمر المزوق يقتل اغات الوشاقيه ويفعل برجاله هذه الفعال الرديه ويخرق ناموس الملك ويفعل فعال أهل الشرك فلا كان ولا استكان ولا عمرت بغناه أوطان (ياسادة) فعند ذلك تحرك القاضي من مكانه وهز ديدبانه ونفض أكمامه وقعد وقام وتطور واستهام ونفض الاكمام وجنح الطيلسان وأدام له العز والشان وقال يامولانا أتكلم الكلمة الحسنه التي لافيها من السيئة شيء قط فقال الملك تكلم ياقاضي الله أعلم بحقيقة الحال وهو الذي لايخفى عليه حال من الاحوال فقال القاضي القاتل يقتل بوجه الشرع يامولانا السلطان هذا يقتل قتلة شنيعة وان كان قتله يعظم على مولانا السلطان أمير المؤمنين وامام الدين أنا امده من مالي وصاب حالي وزكاة عن قامي ومحبة في دين الاسلام والمسلمين بخمسين جواد وخمسين مملوك وخمسين كيس من المال وعليك ياوزير أيبك بمثلها فقال أيبك في نفسه انا مالي ياقاضي فقال له امضي فذلك لك في القرار المكين وهذا شيء اعرفه انا من قديم فقال الملك مثلك ياقاضي من يحامي على الاسلام وينفق الدراهم حبا في اقامة

الشريعة والاحكام ولكن احضروا لنا ماذكرتموه وبين يدى اوضعوه
حتى ننظر مايكون من أمر هذا الغلام ونقيم عليه الدلايل والبرهان في
عاجل الحال احضروا ما ذكروه بين يدى السلطان فقال الملك عشرة
من الاكراد تنزل الى هذا الغلام ويأتوا به الى هذا المقام فنزلت الاكراد
من الديوان الى الحسنيه وقد رأوا بيبرس جالسا على دكان الشيخ يحى الشماع
فسلموا عليه فرد عليهم السلام فقالوا له انت الامير بيبرس قال نعم قالوا
عليك سمع وطاعة اجب السلطان فقد أمرنا بحضورك الى بين يديه فقال
لهم على العين والرأس ولكن أنا عارف بالمضمون وما جرى من ذلك
الامر المحتوم غير ان هذه الدعوى مالها الا الشرع الشريف فارجعوا
الآن الي من ارسلكم وقولوا له ارسل اليه نايبا من طرف الشرع فانه
لم يحضر معنا فقالوا له سمعا وطاعة ورجعوا من قدامه خوفا منه ان يبطش
بهم لانهم رأوا الشجاعة لها دلايل ظاهره عليه فرجعوا الي الديوان واعلموا
السلطان بما جرى من الامر والشان فقال الملك كيف يعصى هذا الغلام
امر السلطان ويتكلم بهذا الكلام فقال له الشيخ العزيز عبد السلام الحق
له يا امير المؤمنين وانما نقول انه متمسك من شريعة سيد المرسلين
ويدرى الحق واليقين وقد امتثل أمر الشرع وطلبه بنفسه فلالك عليه
من سبيل لانه لو كان له عليك دعوه وطلبك الى الشرع بها فمالك انت
المخالفه وعلي ذلك انه ليس بعاصى فقال الملك اكتبوا له تذكره وأمروه
فيها بالحضور فكتب الشيخ العزيز عبد السلام تذكرة يقول فيها بسم
الله الرحمن الرحيم خطابا من قاضى قضاة الاسلام الى بين ايادى بيبرس
الهمام المقصود حضورك صحبة نايب الشرع والاحكام حتى تقوم عليك الحقوق
الشرعية وننظر مايكون من امر هذه القضية والحذر من المخالفة ثم الحذر

والسلام وختمه الشيخ بختمه وناولها لنايب من نوابه وقال له امضى الي باب دكان الشيخ الشماع مجد الغلام اعطيه التذكره يعمل بما فيها فقال سمعا وطاعة ونزل من الديوان وسار الي ان اقبل على الامير بيبرس وتأمله فاخذته الرجفة والانزعاج فجعل التذكره فى رأسه ورجع الى الاجاج ودنى من الامير وقال السلام على هذا السيد الخطير فرد عليه السلام وقال له ما تريد ياهذا فقال له اريد ان تدلني على باب الخلا فقال له هاهو نافذ من جهتين فاذهب من اى مكان اردت الي حال سبيلك فتركه النايب ومضى قدر ساعة وعاد اليه وقال له السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال له الامير وعليك السلام ما الذى تريد فقال له أريد سلامك فانى ذهبت الى بعض أشغال كنت أريدها وقضيت الحاجة ورجعت أريد الرواح فقال له سر على بركة الله تعالى فسار قليلا ورجع وسلم عليه فرد السلام عليه فقال له ياسيدى انا رجل جاني ومعي هذا الوصل وقد نسيت اسم صاحبه فاقرأ لى اياه لانى لم أعرف الخط ولا القراءة فقال له سمعا وطاعة ثم أخذ التذكرة منه وحلها واذا بها من الشرع الشريف وفيها ماتقدم ذكره فلما قرأها الامير بيبرس صاح على النائب وكان لما ناوله التذكرة تأخر الي بعيد فقال له لاتخاف وعليك من الامان فسر الآن امامى وانا خلفك وعلى أثرك فساروا الاثنين الى أن أقبلوا الى الديوان فتقدم الامير بيبرس وخدم وترجم وأحسن مابه تكلم ودعا للسلطان بدوام العز والبقا وازالة البؤوس والشقا وجعل يمدح بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

سلامى على هذا المقام وماحوى ... سلام جزيل يفوق المسك المعطرا
يطبق الارض بالعنبر الذى ... تعلوا به الاثمان سفرا وحضرا
يعم أمير المؤمنين وجنده ... كذا امة الاسلام سراً وجهرا

سلام محب قد اتى نحو ارضكم ... يطلب الاحسان كما تطلب الفقرا
يدوم امير المؤمنين وجنوده ... مادامت الاقطار والقبة الخضرا
ووالله انى لا يذحنا بكم ... وقد أتيت حماكم طالبا النصرا
فكم لكم مكارم مع عطا ... وكم لكم مجد وكم لكم ذكرا
فانتم حما الاسلام من نسل أحمد ... زادكم الله فخرا على فخرا
فخذوا بيد مريد قد أتى لحماكم ... وقد استغاث بكم من كل ذى شرا
وعار عليكم ان يضام نزيلكم ... ويقصد من الذكر شاع واشتهرا

(قال الراوى) فلما فرغ الامير من انشاده وما قاله من مقاله ونظامه صاح الملك الصالح بسم الله ماشاء الله اظهر ياظاهر واقصد حماهم وما عليك منهم ومن أسمائهم لابد ان القوم يخفض اسمائهم ويدثر ذكراهم تعالى ياولدى يامحمود يابيبرس ياعجمى يادمشقى يا ابن القان شاه جمك يا ابن السيدة انت اسمك ايش فقال له وقد تعجب ياسيدى اسمي بيبرس فقال له اسمك الاصلى هذا أملك اسم غيره فقال له اسمى الاصلى محمود فتنهد القاضى وقد اغتاظ منه وعرف انه هو صاحب الاشاره من أى البلاد انت فقال انا من ارض الشام فقال له هل كان مولودك بها أم لا فقال له لا وانما مولودى بارض العجم فكبرت بلوة القاضى وقال له من اى بلاد في العجم فقال له من خوارزم العجم فقال له من اى مدينة فقال له من مدينة المشرق والدربون فكاد القاضى ان تنفطر مرارته وقال له ما اسم ابيك فقال له القان شاه جمك وامى السيده ايق ثم ذكر له باقى النسب والنسب وقد زادت بلوة القاضى والكرب وقال في نفسه هذا وحق المسيح هو النسب الصحيح (قال الراوى) فقال الملك ياحاج شاهين الناس عرفت بعضها والعجميين اجتمعت مع بعضهم ثم قال الملك لاى شيء

قتلت هؤلاء الاغوات فقال يا أمير المؤمنين نعم انا الذى قتلتهم بيدى ولكن هم الذين بغوا وتعدوا علي فقال القاضى ثبت عليك القتل لاقرارك بلسانك ولا عذر لمن أقر فقال الملك تأن ياقاضى الى أن يظهر الحق فقال القاضى الآن ظهر الحق وبان وشهده كل انسان وقد أقر على القتل فقال الملك اخرص ياقاضى قصف الله عمرك ولا بلغت املك لانك رجل فضولى ثم ان الملك التفت الى الامير وقال له اخبرنى عن السبب فقالوا له ياأمير المؤمنين اقرأ هذه الحجة فأخذ منه الوزير الحجة وقرأها وعرف معناها وقد رأى فيها مافعله الاغا الوشاقى بشهادة الناس فعرضها على العلماء فقالت العلماء ياأمير المؤمنين لايجب على الاغا القتل بقبضه على ذلك الغلام لانه ربما رآه مرتكبا كبيره فأخذه بها ومن خوف الغلام استغاث بهذا الامير الهمام فقال القاضى هذا يقتل قتلة شنيعة (قال الراوى) فقال الملك ياقريب يامجيب قرب البعيد حتى يكون قريب ثم صاح أين الرجال الوحيدية عوجة يملص اذان هذا الغلام فأراد السياف ان يثور من مكانه واذا بنقيب الاشراف طالعا الى الديوان وصحبته كامل الاشراف والاخوان ومعه أولاد الطرق بأزرها حتى احتفل بهم الديوان وعلى اكتافهم البيارق الاسلامية مكتوب عليها اسم رب البريه وصاحب الهمة الهاشمية فلما صاروا فى الديوان قامت لهم كامل الرجال والوزراء والسلطان فقال لهم الملك الصالح ماالخبر ياساداتنا الاشراف فقالوا له الآن نريد منك هذه السجادة لانها متاع جدنا المصطفى وليس تليق الى مثلك وانك لم تصلح لها لانك رجل على غير الطريق الحميد وتفعل برأيك كما تريد فانزل عن هذه الرتبة ونحن نولى مانريد فقال الملك ولقد انزعج من فعالهم ولم يقدر يراجعهم فى افعالهم ياسادات الاشراف لاى شيء هذا الخلاف فقالوا له كيف تخدم الرجال الفواجر الذين ليس لهم دين ولا يعرفون

شيئا من اليقين وتقربهم اليك وتلبسهم اغوات وشاقيه وتمينهم على الفساد والتلاف ونحن نكتب فيك مكاتبة الى خليفة بغداد فيرسل لنا غيرك من العباد والاجناد لانك قد فسدت الارض المصرية التي ذكرها رب الانام في القرآن اربعة عشر مره وما تريد الامور المضرة فعند ذلك نهض الملك والوزراء واجلسوا الاشراف واخذوا بخاطرهم وقال لهم خذونا فالحق عندنا وما لنا الا رضاكم والذى تريدوه وما نفعلوا شيئا بغير اختياركم ثم اجلسوهم وحضرت الشربات وراقت الاشراف من الانفعالات وقالوا والله العظيم ماحمانا وحمى عرضنا الا هذا الغلام فقد زاده الله عزا واكراما فهو الذى ستر خرقتنا بين الانام فقال لهم الملك وانتم شهدتم فيه بالدين والصلاح فقالوا له نعم وحق الملك الفتاح وقد جرى من الامر ماهو كذا وكذا وقصوا عليه القصة من اولها الى آخرها والعلماء يسمعون ذلك فقال الملك ماذا انتم قائلون فيما سمعتوه ياعلماء الاسلام والمسلمين فقالوا له قد ثبتت براءة هذا الغلام فان هؤلاء كانوا مؤذين لكل الانام والمؤذي طبعا يقتل شرعا وما له من ديه فقال الملك من الآن الوشاقيه معزولون وما يلبس آغة وشاقيه الا هذا الغلام الذى صار فيه حميه لدين الاسلام فالبسه ياحاج شاهين يكون آغة وشاقيه فالبسه الوزير القفطان وقال له أوليتك الاغويه ثم أمر الملك بالقتلاء ان يدفنوهم وجميع مالهم للامير بيبرس فامتثلوا أمر السلطان واحتوى الامير على مالهم من الاموال ثم التفت الملك الى القاضى وقال له ياقاضى الاسلام هذا الاستفتاح مبارك وحق الملك العلام ولكن انت عملت الخيول والغلمان والدنانير على قتل بيبرس من غير اثبات أم على اظهار الحق من الباطل فقال يامولاى على اظهار الحق فقال الملك الآن الحق ظهر وبان وهذه الدراهم لمن بقوا الآن فقال القاضى لمن هو فى

رتبته سلطان فقال الملك وهم هبة منى الى الامير بيبرس عطاء كريم لا يرد
فى عطاءه انزل ياسيدى بيبرس الله يهلك ضدك ويقيم سعدك وينصرك على
كل من عاداك قول امين ياقاضى فقال القاضى امين البس يا بيبرس اغة وشاقيه
وعليك بتقوى الله فى السر والعلانية فقال بيبرس سمعا وطاعة هذا وقد
دعوا له الاشراف واوصوه بالعدل والانصاف وبعد ذلك نزل الامير
بيبرس وقد انعقد له موكب ملكى عظيم وتسلم المال ونزل من الديوان
قاصد بيت الوشاقية (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان
من الاشراف فانهم تصالحوا مع السلطان ونزلوا الى حال سبيلهم فهذا
ما كان من أمرهم وراق الديوان وكان القاضى قد التجم بلجام فقال الملك
يانجم الدين أنا سألتك عن الطير فذكرت لى انك ما اتيت به والآن قد ظهر
وبان الطير عندك فقال الامير نجم الدين وحق راسك ما اتيت بطيور
يا امير المؤمنين ابداً فقال الملك هذا الطير لا احد له فيه شىء ولكن
ياسيدى نجم الدين هذا الغلام مملوك والا حر فقال له هو حر يامولاى
وهو ابن اخت زوجتى فقال الملك الله تعالى يأخذ بيده ثم ان الملك نفض
المنديل تحولت الرجال ونزل القاضى من الديوان وصاح يامنصور ذهبت
الدراهم والفلوس ورجعت انا معكوس وفى هذه القضية متعوس فقال له
منصور اشكر المسيح وانه قد سلط عليك هذا الغلام وسوف يأخذ منك
المال اول باول حتى مايبقى عندك شىء من الحطام فقال له لا بشرك المسيح
بخير ولا باحسان فهذا ما كان منهم (قال الراوى) واما ما كان من الامير
بيبرس فانه نزل كما ذكرنا واقبل الى بيت الوشاقية واذا فيه مائة نفر
وعليهم اثنان اكابر اختيارية علائم الصلاح بين عينيهم بالكليه فلما تحقق
انهم على صلاح فالبس احدهم آغة وشاقية ثم البس الآخر ايضا باشا

بالبوابية وجعل لكل واحد منهم دولة خمسين انساناوانعم عليهم واعطاهم الخيرات واوصاهم بالعدل والانصاف وترك الجور والاسراف وبعد ذلك انصرف الى بيت الوزير نجم الدين البندقداري وجلس فيه واذا قد اقبل عليه الوزير نجم الدين وكان قد عاد من الديوان فقال له لاى شيء خرجت في هذا النهار والبواب لم يعلمني بخروجك فقال له خرجت وهو نائم ولم يعلم بخروجي وجلست على الدكان الذى بجانب البيت فجرى ماجرى وانا ماقتلت غير احدى عشر من هؤلاء الطاغيين فقال له الوزير ياولدى هل كان مرادك ان تقتل ناس كثير مثل مائة او الف فقال له نعم وحيات رأسك لولاهم وبهم لقتلتهم عن آخرهم فان هؤلاء قوم ظالمون ولا يراقبون رب العالمين فقال له نجم الدين ياولدى ارجع عن القتل من الآن فان قتل النفس لم يرضى به مولانا السلطان وأيضا ان الله غيور على خلقه فلا أحد يعارضه في حكمه بما أنه عالم بكل ماكان ياولدى فاعقل وتب عن القتل من هذه الساعة فقال له بيبرس سمعا وطاعة ثم ان الوزير تركه وسار الى مكانه واستقام بيبرس من بعد ذلك في أهنأ عيش الى أن كان يوم الجمعه والناس مجتمعه والى يتبسم في وجه من يصلى عليه (ياساده) يا كرام فبينما بيبرس جالسا على دكان الشيخ يحي الشماع واذا قد أقبل على الدكان جماعة من الرجال وهم حاملون بيارق فعند اقبالهم على الدكان تقدم واحد منهم ووقف قدام الدكان وقرأ الفاتحه فاعطاهم الشيخ يحى عشرة فضة فقال بيبرس للشيخ يحى ماهؤلاء ياوالدى فقال له هؤلاء فقراء قاصدين زيارة الامام الشافعي فقال بيبرس والله انى أنا اريد زيارة الامام الشافعي لاجل عسى الله ان يقبل منى الزيارة ثم نهض من على الدكان وتبع الاشارة فتبعه الشيخ يحى الشماع وولده كريم الدين والبعض من أولاد الحسنيه ولم يزالوا سائرين الى أن

أقبلوا الى الرميله فرأوا الطوابق منصوبه فتأمل بيبرس فرأى مسارعي يلعب ويقول انا اقت في مصر والشام ولا احد يغلبني ولا يلعب معي واستاهل القيامة انا فقال الحاضرون تستاهل فعند ذلك ترك بيبرس الاشارة واخرج من جيبه منديل وربط على طرف المنديل محبوب ذهب وربط جديد على الطرف الثاني وربط على الطرف الثالث شوية تراب وربط على الطرف الرابع فارغ ثم حدف المنديل في وجه الباشوش فاخذ المنديل ثم صاح الحمد لله رب العالمين ظهر لك خصم يلعب معك يا قيم فقال مرحبا انده عليه ففك الطرف الاول واذا فيه محبوب فوضعه في فمه وقال هذا حق العيش ورزق العيال وفك الطرف الثاني فرأى جديد والثالث تراب والرابع فارغ فصاح وقال هذا خصم كريم صاحب عطا جسيم لكن صاحب حمية وبأس صعب المراس فقال يحضر الى عندي فتقدم الامير بيبرس فتأمل ذلك القيم واذا به محمود المسارع الذي كان لاعبه في الشام

(قال الراوى) وكان السبب في مجيء محمود المسارع الى مصر وهو انه لما كان لاعبه في الشام وهرب من بين يديه بعد ان غلبه في الشام كما قدمنا في الكلام فقال أنا ما بقت لي اقامة في الشام ما دام فيها هذا الغلام وترك بلاد الشام وتوجه الى مصر لاجل ان يكون له الفخر والذكر الى القيامة ما دام ان لا أحد قدر ان يقوم مقامه ولم يعلم ان الايام تدور ويحضر بيبرس ثانياً ويجرى ما هو على الجبين مقدور فلما تداولت الايام وجرى ما جرى وحضر الامير بيبرس وهو قاصد زيارة الامام الشافعي ونظر الى الملاعب ونزل اليه هذا كان السبب (قال الراوى) فلما رآه محمود قال له انا ما تركت لك الشام وجيت الى مصر فاتبعتني ولكن في هذا النهار يكون الانفصال فقال له بيبرس هو كما ذكرت ولكن كيف

يكون المغلوب بيني وبينك فقال محمود بالرهان فقال بيبرس وأين الرهان حتى أراه فاخرج محمود العجمي دملج ذهب مفضض وفيه سبعة جواهر فقال له هذا الرهان بيننا فان انت غلبتني فهو لك وان أنا غلبتك آخذ متاعي وانت تشهد لي قدام الحاضرين انك عاجز حتى يبقى الفخر الي انا فقال له بيبرس رضيت بذلك لكن ياقيم اعلم ان باب السراع من أبواب الحرب والقراع فربما ان أحدنا يكون أحق على الآخر وان الحماقة لا دواء لها كما قيل عنها

لكل داء دواء يستطب به الا الحماقة أعيت من يداويها

وأخاف اذا أحدنا أخذه الحق على الآخر فيغتاظ عليه خصمه هل ترى القتل يكون بيننا مباح أو نتركه من بيننا ولم يحمل أحدنا سلاح فقال محمود اعلم ياغلام ان قتيل الملاعيب لايطالب به خصمه وبهذا تجري على كل قيم هذه الشروط فان هذا الحكم من قديم الزمان مشروط ومربوط فقال بيبرس نريد قبل ذلك نكتب على بعضنا حجج لاجل عدم المشاحنة والهرج فارسل محمود الباشوش وأحضر له قاضي محكمة طيلون فلما حضر أعادوا عليه ماجرى وأمروه الاثنين ان يكتب لهم حجة على هذه الشروط كما ذكرنا بشهادة الحاضرين وكانوا ناس كثيرة وقد سلموا الحجة الى الباشوش وكذلك جميع ملابسهم وما معهم وقالوا له كل من قتل الآخر يأخذ منك جميع المتاع الذي للاثنين ولما خلع بيبرس لباسه لبس الجلد والخلق ينظرونه ويدعون له بالنصر على خصمه هذا وقد لعب وقد لعب معه سبعة ملاعب تمام وبيبرس يقاومه بعزم واهتمام

(قال الراوي) فلما رأى محمود فعال بيبرس اغتاظ عليه وقال مابعد هذه الاثقال وهذه الدوخة الا تلاعيب باب الخوخة فقال له بيبرس افعل

كلما تريد وأنا عنك لا أحيد فعند ذلك فتح محمود العجمي رجليه قدر
شبر بشبره وقال لبيبرس هذا باب الخوخة فوت فقال بيبرس توكلت على
من نجى يونس من بطن الحوت وهو الحي الذى لايموت وتأخر الى
ورائه ثم انه انحدف كما تنحدف النبلة من القوس ففات من بين افخاذ خصمه
كالماء اذا اندفق أو الطير اذا انطلق فعند ذلك تعجبت الحاضرين وبعده
وقف بيبرس وفتح باب الخوخة حتى يفعل محمود كما فعل بيبرس فتأخر
محمود الى ورائه كما فعل بيبرس والحال ان بيبرس كان رشيق البدن وأما
محمود فانه كان غليظاً وقصده أن يرفع بيبرس على اكتافه ويرميه على
رقبته يقتله وكان بيبرس حاسب هذا الحساب فلما ان دخل رأس
محمود المسارعى أطبق بيبرس رجليه وجمل رجليه محكمين على
واردبه وقرط عليه فأراد محمود المسارعى ان يرفع بيبرس فوجده
هو والارض لايتحرك هذا ولما رأى نفسه تضايق جاهد نفسه على الخروج
ثانيا فما قدر على ذلك ولما تحكمت مسامير رجلين بيبرس في رقبته فما
وجد له براح من زنقته الا تسيب له مدافع السلامة من نقبته ودانت
منيته فتركه بيبرس مرمى فى مكانه وأخذ ماكان مع الباشوش وهم المتاع
والمفضض واقتفل فى حوائجه وفرحت جميع الناس الحاضرين والمتفرجين
بذلك النصر المبين ولبس الفضض فى ذراعه اليمين وقال هذا يكون من
نصيب المغسل الذى يغسلني وسار بعد ذلك الى الامام الشافعي وصلى الجمعه
وحمد الله تعالى ورجع الى مكان الوزير نجم الدن وجلس يأتى له كلام
اذا اتصلنا اليه نحكى عليه العاشق في جمال النبى يكثر من الصلاة والسلام
عليه (قال الراوى) وأما الباشوش فانه احضر تابوت ووضع فيه المسارعى
وحمله الى الحانوتيه وسار طالب الديوان وكان الملك الصالح أصبح يقول

ياشاهين هــذا نهار سعيد كل من له حق يأخــذ حقه والظالم يقابل بمـا يستحقه فهو كذلك و ذا بالتابوت في باب الديوان فقال الملك من قتل هذا القتيل فقال الباشوس قتله آغة الوشاقية فمنذ ذلك تنحنح القاضي وتزحزح من مكانه ونشر طيلسانه ومد لسانه وهز ديدبانه وقعد وقام وقال القاضي تحركوا ياأجدادي ياعراقيون دستور ادام الله سعادة مولانا السلطان أتأذن لي أن أقول كلمة حسنة ليست بسيئة قط ام اصمط فقال الملك تكلم ياقاضي فقال القاضي اعلم يامولانا ان هذا الغلام ماأتى من بلاد الاعجام الا لفساد الاسلام ويستقل بملكك والسلام وأنا قد أعلمتك فلا تصدقني ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبعد ذلك ياأمير المؤمنين القاتل يقتل فاقتــله جزاء بمـا فعل وان كان يعظم علي مولانا السلطان الحافظ الامام أنا أوضع من مالي وصاب حالي وزكاة قلمي محبة في دين الاسلام خمسين كيس من الذهب كل كيس فيه ألف دينار مسكوكا وثمن خمسين مملوك فقال لاى شيء ياقاضي تدفع ذلك على قتل بيبرس أم على أي شيء فقال القاضي هذا على ثبوت الحق واخفاء الباطل فقال السلطان اكتبوا عليه ماذكر فكتبوه ثم قال السلطان يانجم الدين احضر لي بيبرس حتى أجازيه بمـا يستحقه ويأخذ كل ذي حق حقه فنزل نجم الدين وقد رأى هذه دعوة قتــل فتعجب ولمـا وصل الى منزله فرأى بيبرس جالسا فسلم عليه فرد عليـه السلام فقال له انت عملت ايش في هذا النهار قال له قتلت واحد من غير زياده فقال له كنت اقتل خمسين والآن السلطان أرسلني يطلبـك فان قمت معي رحت أنا الآخر معك وان مارضيت بالقيام عصيت أنا الآخر والسلام فقال بيبرس لاى شيء تسير معي وأنا طالع الى السلطان (ياسادة) ثم انهم ساروا حتى اقبلوا الى الديوان فتقدم بيبرس وخدم وترجم وأفصح

مابه تكلم ثم دعى للسلطان بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم فقال الملك الله الله ياحاج شاهين انظر الى هــذا الولد من دون الاولاد اللهم عمر به الارض والبلاد اللهم اهلك ضده اللهم أتمم سعده تعال يابيبرس انت قتلت هذا الرجل قال نعم ياأمير المؤمنين أنا قتلته فقال القاضي لاعذر لمن أقر القاتل يقتل ولا عذر له فعندذلك اخرج بيبرس الحجة المكتوبة له واعلم السلطان بمــا جرى من أول الامر الى آخره فقال الملك يابيبرس هــذا لاينجيك أبدا كيف تكتب عليه حجة بالقتل وهومؤمن فقال بيبرس هذا ليس مؤمنا وما هو الا كافر وأنا أعرفه سابقا يا امير المؤمنــين قال فلما سمع الملك ذلك الكلام قال ياقاضي اكشف لنا عليــه وانظر ان كان صحيح كافر أو مؤمن فقال القاضي سمعا وطاعة ثم انه تقدم اليه وجسه بيده وقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم نصرانيا ياامير المؤمنين وقيل مجوسيا والله ان بدني تقشعر منه ياأمير المومنــين فقال السلطان ماتقول في ذلك الامر ياقاضي انمــا هي نفس حرم الله قتلها الا بالحق ولا يحل قتل الكافر بغير ذنب فقال الملك انا اعرف له ذنب غير هذا فقم على حيالك وخذ الجزمه التي فى رجل هذا اللعين ثم اخرج مافيها فقام القاضي واخرج الجزمه بعــد ان قرضها بالمقراض واذا فيها ورقة مكتوبة فيها أسماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال القاضي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال السلطان ماوأيت ياقاضي قال ياأمير المؤمنين أسماء أصحاب رسول الله يكتب اسمائهم في الجزمه هذا اللعين فمــا جزاءه الا الحرق بالنار والتذريه فى الهوى فقال له هذا جزاءه منك والذى ناله فدعنا منه وارسل احضر المــال فقال سمعا وطاعة ياامير المؤمنين فقال له اسرع ياقاضي فقال كذلك تعــالى ياحاج منصور قال له نعم قال له امضى الى حارة الروم واتيني بالمــال قال منصور لابد

لك ان تقدم المال والنوال ولا تنال نوال فقال السلطان تبع أستاذك يامنصور وامضى فما سمر الا لمن قدم فسار منصور وأحضر ماأمره به استاذه فلما حضر قال السلطان ياقاضى انت احضرت هذا المال لاجل قتل هذا الغلام والا لاظهار الحق ومنع الاثام فقال القاضى ياأمير المؤمنين هذا لاظهار الحق من الباطل فقال السلطان ان الحق قد ظهر وبان واشتهر وأما الباطل قد خفى واندثر فقال القاضى هذا مقصودنا ياأمير المؤمنين فقال السلطان بقى هذا المال حق من فقال القاضى حق بيت مال المسلمين فقال السلطان ان بيت مال المسلمين في غناء عنه وموجود من يستحقه وهو أحق منه وهو بيبرس وهو السبب فى احضاره ولو ثبت عليه القتل كان قتل ومن حيث انه برىء عن الذنب ولا عليه جناية فأنا أوهبته ذلك المال يستعين به على الزمان لانه على كل حال مجتهد في اصلاح الاحوال لعله يكون على يده اذهاب الضلال وهذا الامر لايتم الابأخذهذه الاموال فخذه يابيبرس وهبة منى اليك جعل الله الخير على يديك والنصر مقرونابين عينيك فتسلم بيبرس المال ونزل الى حاله ورمى فى قلب القاضى حسرة من الهم الذى ناله فهذا ما كان منه (قال الراوى) وأما ما كان من الملك الصالح فانه التفت الى الوزير الاعظم الاغا شاهين الافرم وقال ياشاهين اوضع يدك على جيب اللعين المقتول تحت حزامه وهات لى الصرة التى هى مملآنها حتى من مال حلال فقام الاغا شاهين ووضع يده كما أمره السلطان واخرج الصرة وقد تأملها واذا هى الصرة التى كان اعطاها السلطان الى على بن الوراقه (قال الراوى) فتعجب الوزير غاية العجب فقال له الملك الصالح لاتتعجب هذه بضاعتنا ردت الينا ثم أمر السلطان بحرق المقتول طبق كلام القاضى ففعلوا به كذلك قال وأما القاضى فانه سكت حتى مضى

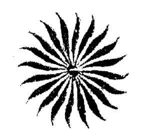
النهار ونزل آخر النهار الى حارة الروم وهو مغتاظ مما جرى فى ذلك
النهار فخلع ما كان عليه من ملابس العلم وقلع الفرجيه ولبس برنيطه ومسك
الناسومه بيده وضرب بها الخدين وصاح واى واى يابرتقش أروح فين
من هذا مقصوف العمر فقال له البرتقش مور بنا الى بلاد الروم فانها
احسن لنا من اقامتنا هنا فترى هذا الفعل المذموم فقال جوان وديني
وما أعتقده من يقيني لا أسافر الا ان أخذت هذا المقصوف وأضربه فى
بلاد الكفار ولا أخليه يعمر بلاد المسلمين فقال له البرتقش افعل كما
تقدر عليه من الحيل ولكن أتقن العمل (قال الراوى) وأما ما كان من
الوزير نجم الدين لما رأى بيبرس بريا من ذلك قال له ياولدى انت ايش
كان جمعك على هذا العجمي فعرفه انه قاصد الامام فقال له لاى شيء
ماركبت فقال استكلفت ان أشد الحصان فعندذلك احضر الوزير السياس
الى بين يديه بحضرة بيبرس وهو جالس وسامع وقال لهم هذا بيبرس
سيدكم فانه ولدى وأعز ماعندى واذا كان يقصد الى اى محل يريد
وطلب خيل يركب فلا تمنعوه واى جواد طلبه اعطوه وكلما أمركم بشيء
فلا تخالفوه فان شورته مثل شورتى وكلمته مثل كلمتى فقالوا الخدام جميعهم
سمعاً وطاعة له ولك أدام الله عدلك (ياسادة) ولما مضى الوزير الى الديوان
نزل بيبرس الى حوش المكان وصاح على السياس وكان الكبير عليهم اسمه
عقيرب فاتى اليه وقال له نعم يا أمير قال ماتريد فقال له شد لى حصان أريد
أن أزور الامام الشافعي وأصلى فيه هذا اليوم الجمعه فقال على الراس والعين
ولما مضى من عنده تذكر ان بيبرس هذا قتل المرند بالشام وان المرند
راس بيت السياس فقال عقيرب فى نفسه لابد في هذا اليوم من أخذ
اثار لجدى المرند منه الذى قتله هذا العلق بالشام ثم ان عقيرب احضر

السياس وأعلمهم بما جرى وبما يريد وقال لهم مرادى أن آخذ بثار جدى فقالوا له افعل ماتريد قال فعند ذلك أحضر الجواد الذى كان لسرجويل ووضعوا عليه العدة وسففوه اللجام وتقدم عقيرب الى السراعات وقد قطعها وخلاها ماسكة على شيء واهى لاينفع ثم فتح الحلقات التى للركاب وحلق السرج ثم بعد ذلك قدم الجواد الى بيبرس هذا وبيبرس لم يكن عنده علم بشيء من هذا فركب بعد ما ذكر اسم الله تعالى وسار قاصداالامام من الخلا من برات البلد (قال الراوى) فهذا ما كان منه وأما ما كان من عقيرب فانه أخبر مشاديده بانه قتل بيبرس ففرحوا واجتمعوا فى الاسطبل وصاروا يأكلون من الحشيش والافيون ويرقصون وهم فارحين مسرورين باخذهم تارهم من الامير بيبرس فهذا ما كان منهم

(تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع)

واوله ركوب بيبرس الجواد وقفزه به وغيوبه عن الوجود وهو قابض على مفرقة الجواد ومصادفة الوزير الاغا شاهين له

يطلب من المكتبة العلمية العمومية لصاحبها الحاج محمد أمين دربال بشارع الحلوجى قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسينى بمصر



سيرة الظاهر بيبرس

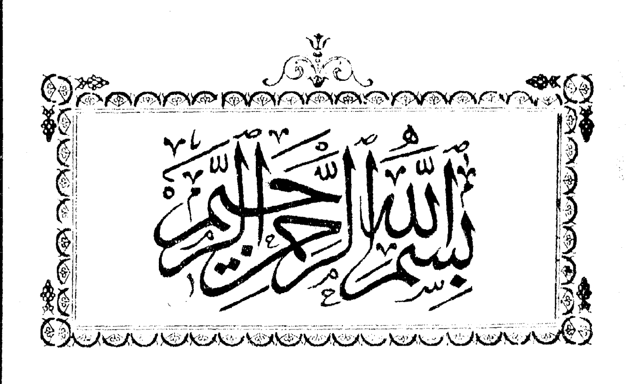
تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره ومشاهير أبطاله مثل شيحه جمال الدين وأولاد اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى لهم من الحيل والاهوال وهو يحتوى على خمسين جزء

الجزء الرابع

(الطبعة الاولى)

سنة ١٣٢٦ هـ — و١٩٠٨ ف

طبعت على نفقة الحاج محمد أمين دربال صاحب المكتبة العلمية العمومية بشارع الحلوجى بمصر قريبا من الجامع الأزهر والمشهد الحسينى



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قال الراوى) وأما ما كان من الامير بيبرس فانه لما ركب وخرج قاصد الامام الشافعى فاتى على الشيخ يحيى الشماع صبح عليه فرد عليه الصباح وقال له الى أين ياولدى فقال له انى اريد زيارة الامام الشافعى ولكن قصدى أروح من الخلا فقال له الشيخ تروح من البلد لاجل أن أروح معك ثم نهض الاستاذ وركب معه وكل من كان حاضراً من أولاد الحسنيه وساروا يتحدثون حتى وصلوا الى باب القرافة وكان ذلك الجواد له زمانا وهو واقفا ولا أحد ركبه من حيث أتى به الامير بيبرس من الشام هذا وقد هبت عليه نسمات الخلا فلعب الجواد تحت بيبرس وأراد الجريان فاراد بيبرس ان يأخذه مشوار فسه بالركاب فقفز به الجواد كأنه الريح العاصف فاراد بيبرس ان يقف فى الركابات كما ان له بذلك عادات فوقعت الركابات من تحت الرجلين فسقطا فى السرج فانحط وكذلك اللجام من رأس الحصان فمن

مفهوميته قبض على معرفته فمع رج الجواد في الحزام انقطعت الشريحه وباقى القشاط وتزحلق السرج لعدم الرباط فتعلق بيبرس باكتاف الجواد ودفع العده من على ظهره برجليه الى الارض بقدر السراع (ياساده) ياكرام ولما جرى الجواد ببيبرس أيس الامير من الحيات لان الجواد بقي عريان لاسرج له ولا لجام ووقعت عمامة بيبرس فلم يلتفت اليها وكذلك الساعه والمنديل وكيس المصروف وهو لا يعقل على شيء من ذلك وقدغاب عن الوجود ومانت يده على معرفة الجواد ورجليه في باطيه وهو طابق عليه ولم يزل يجرى به الجوادالى ان دخل به بين البساتين (قال الراوى) ولاجل أمر يريده الله تعالى من سلامة الامير بيبرس ان ذلك المكان فيه بيت الوزير الاعظم وهو الاغا شاهين الافرم بن الدرويش عثمان وبالقضا والقدر ان الوزير واقف على مصطبة البيت ينظر الى المماليك وهم راكبون يتعلمون ابواب الحرب والذى يعلمهم الاغا حسن بن دغان والامير ايدمر البهلوان كان في تلك الساعة قدام حسن بن دغان يتعلم الجولان فلما عاين ذلك الاغا شاهين صاح عليهم حوشوا ذلك الجواد الغاير براكبه فتجارت المماليك بالخيول وقد احتاطوا به يمينا وشمالا ومانعوه من الجريان وكان الجواد من اصايل الخيل فوقف ولم يجفل فمسكوه باليد وقدموه الى بين أيادى الوزير فتأمله وقال هذا أغاة الوشاقيه الامير بيبرس فتقدموا الخدام وخلصوه من على الجواد فعند ذلك أمر الوزير بدخوله الحمام وهو غايب عن الوجود كما ذكرنا فرشوا على وجهه الماء البارد فافاق على نفسه وكان الذى حمله وأدخله الحمام ايدمر البلهوان وكان الحمام في بيت الوزير فلما افاق بيبرس قال أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اين أنا فقال له

ايدمر انت عندى يا اخى فلما علم ان هذا اخوه ايدمر أخذه بالحضن وسلم عليه سلام الاحباب فقال له يا اخى طب نفساً وقر عيناً أنت من داخل حمام الوزير الاعظم الاغا شاهين فافرح والحمد لله على السلامة ثم انهم أخذوا حظهم في الحمام فارسل الوزير الى بيبرس بدلة من افخر الملابس فلبس ذلك البدلة وخرج هو وايدمر الى بين ايادى الوزير فلما وصل الى عنده قام الوزير اليه وتلقاه واجلسه الى جانبه بعد ان سلم عليه فقبل الامير بيبرس يده ووقف وأطرق برأسه الى الارض وصار يمدح الوزير بهذه القصيدة صلوا على ساكن طيبة صلى الله عليه وسلم

جزاك الله عنى كل خير … كما انقذتنى من سوء حالى
وصرت على انعاما وفضلا … ومعروف واحسان ومالى
لان المهر غار ولست ادرى … مكايدة العدا اهل الضلالى
سكرت من الهوى سكر صحيحا … وانا طابق اليمين والشمالى
وعنف المهر فى صدر حقيقا … ولم اعلم بما هو قد جرالى
ولولا انت كان المهر سارى … وارمانى على بعض الجبالى
ادام الله عزك من وزير … رفيع المجد محمود الفعالى
فعش فى رفعة وعلو مجد … وتؤمن نعاريف الليالى

(قال الراوى) فتبسم الوزير من الفاظ بيبرس وفصاحته وأمره بالجلوس فامتنع وقال العفو يا دولتلى وزير فقال له اجلس باطول ماقبل اتكلك انا على طول الزمان وهذا شيء بحكمة العزيز العلام فقال العفو ياوزير الزمان من اين كنا حتى اتصلنا فقال له الوزير اجلس ياولدى فانت صاحب المقال والله تعالى قد سبب الاسباب وجمعنا بينا من غير سبب ولا ميعاد ولكن اخبرنى انت كنت قاصد الى أى مكان حتى جرالك من

هذا الحصان ماجرى فقال له كنت قاصد زيارة الامام الشافعى رضى الله عنه فقال له الوزير ان هـذه الالطاف الذى حصلت لك من بركة الامام وقد نجيت من كيد اللئام ولـكن ياولدى لك عندى بشاره قم معى حتى أفرجك على ما يسر خاطرك (قال الراوى) ثم ان الوزير أخذ الامير بيبرس وساروا بين أيديهم المماليك والاغاوات حتى أقبلوا الى قاعة فدخل الوزير وبيبرس وطرد المماليك والاغاوات واغلق الباب ولم يعلم بيبرس بهذه الاسباب ولم يزل به حتى أقبل الى حائط في صدر تلك القاعة فتأمل بيبرس فى القاعه والحائط يرى لوحا من الرخام طوله أربعة أذرع وعرضه ثلاثة أشبار والى جانب هذا اللوح لوالب من النحاس الاصفر فمسك الوزير اللولب وفركه فزهق اللوح الى الجهة الاخرى وبان من داخله باب ثانى من خشب الساج الهندى وأقفاله من الذهب البندقى ومفاتحه معلقة بجانبه فتقدم الوزير وفتح الاقفال ودخل فانفتح واذا فيه قاعة لـماعه باربعة لواوين واذا بها قاعة مشيدة الاركان مليحة البنيـان وفى نظمها ونقشها تحير الاذهان وفى تلك القاعه فراشات مختلفة الالوان وكراسى موضوعه وصف ديوان وعلى تلك الـكراسى رجال ودول وأبطال وهم خمسـة وسبعون وهم جالسون وبالسلاح متقلدون منهم الخمسة والسبعون الاول أمره مابين مناحق وديلم وقفجق والخمسـة والسبعون الثانية فهم فداويه عراض الابدان طوال الاجسام ولـكن لم هم متفرقون عن بعضهم بل تصفيف كل اثنين أمير بينهم وأيضاً الاثنين الفداويه بينهم أمير خلاف صناجق وأمراء أكبارهم اكراد أيوبيه وموصليه وقفجق وفي صدر ذلك المـكان كرسى عالى عن الجميع وعليه صورة الامير بيبرس بعينـه وذلك الوزير يعنى

الاغا شاهين الى جانبه على كرسى من ذات اليمين وزير ووزير آخر عجمى ذات الشمال ورأى بين وزير الميسره وبينه رجل قصير القامه أسمر اللون محدق العينان أفلج الاسنان وهو يتحرك كأنه القدر على جمر النار كما قال فيه الشاعر فصيح اللسان صلوا على ولد عدنان

أسمر اللون وقد حاز كل المعالى ووجهه كالبدر عند الكمالى
قد خصه الله بالعنايه والفضل وعلمه الله خير الفعالى
حاز عقلا زانه الله بفهم وعلوا على جميع الرجالى
ذو هيبة وسكينة ووقار واقتدار ورتبة وجمالى
جل من خصه بذاك المعانى هو المهيمن ربنا ذوا الجلالى

(قال الراوى) فلما رأى الامير بيبرس ذلك تعجب وقال يا دولتلى وزير اعلمنى ايش يكون هذا الديوان وما يكون هذه الصور على صفة الرجال وما هذا الرجل الجالس بينى وبينك فقال له الوزير اعلم يا ولدى انك على طول الدوام يصير لك العز والاحكام وتتولى مملكة بلاد الاسلام وتجاهد في الاعداء الكفرة اللئام وأنت تحرس قبر النبي المظلل بالغمام وتذب بالسيف عن دين الاسلام ويخدموك خلق كثير لا يحصى عددهم الا الله تعالى العليم من مصر ومن الشام ومن جميع بلاد الاسلام ويكون لك ديوان مثل هذا الديوان ولا بد لك ان تجلس على كرسى مصر ويكون لك العز والنصر وتكون هذه صفة ديوانك وأما هذا الرجل فانه يكون سلطان على الفداويه ويكون حكمه على أيامك ويكون شريكك في الجهاد فى طاعة رب العباد ويسمى أبو الفتوحات والنصر فقال له بيبرس يا أبى ولاى شىء هذه العساكر لايتكلموا فقال له الوزير اعلم ياولدى انهم أشباح بلا أرواح فقال له اخبرنى وما السبب الذى اوجب صناعة هذه

الصور ووضعهم في هذا المكان فقال له ان هؤلاء لهم حكاية احكي لك عنها ولكن بعد أن تكثر من الصلات على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك سبب عجيب وأمر مطرب غريب نريد أن نذكره على الترتيب حتى أن المستمع يلذ ويطيب بعد الف صلاة والف سلام على النبي الحبيب قال الوزير اعلم انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان بهذه المدينة رجل يقال له أحمد بن باديس السبكي وكان رجل حاذقا لبيباً فطينا وأديبا وكان يعرف أشكال الرمل ويصرف الامور بالليل والنهار وكان يعرف مايأتى فى كل ليل ونهار من الامور والاحكام الى يوم من الايام ضرب الرمل ودققه واستخرج أشكاله وتبينه فتبين له انه يظهر في آخر الزمان ملك وسلطان ويكون أصله من خوارزم العجم ويكون اسمه محمود بيبرس الدمشقي وينصر الاسلام فى مدته وتهلك جيوش الكفرة اللئام ويكون مجاهداً فى سبيل الملك العلام فلما عرف ذلك نظم هذا الديوان وقد اصطنع هذا الرجل على هيئته بالديوان وكتب على صورة كل شخص من هؤلاء الصور اسمه وقد عرفت ذلك بالكتابة وعرفت انك أنت صاحب العلامة فاقرأ ياولدى حسبك ونسبك قال فقرا الامير بيبرس حسبه ونسبه واذا فيه مكتوب يامتصل الى هذا المكان ومطلع على مافيه من الاتقان ان كنت انت محمود بيبرس الدمشقي العجمي الخوارزمي بن القان شاه جمك احمد بن محمد بن مصطفى بن مرتضى ابن سعيد بن رشيد بن اسماعيل بن ابراهيم بن ادهم فانت صاحب الامارة والاشارة واعلم انى بشرتك بهذه البشارة وهى اعظم البشارة ولكن عندى غيرها اذا حضر اوانها فلا تنسانى من الرحمة والفواتح والقرآن والسلام على نبى ظللته الغمام (قال الراوى) فلما عرف الامير بيبرس ذلك الامر على

انه صاحب الاماره قرى الفاتحه واهدى ثوابها الى روح النبي صلى الله عليه وسلم والى روح من صنع هذه الحروف وهو المرحوم احمد بن باديس السبكي واموات المسلمين ثم ان الوزير عاد بالامير بيبرس واعاد الابواب على ما كانت عليه واخذه وقال له ياولدى اصحى أن تحدث بهذا الكلام ودعه سراً بيني وبينك حتى ان الله تعالى يقضى ماهو قاض فان كل شيء له وقت وأوان واذا أراد الله بامر فلامرد له وهو الحنان المنان فقال له بيبرس يادولتلى وزير الامر لله اللطيف الخبير (ياساده يا كرام) وبعد ذلك صعدوا الى المقعد وحضر الطعام وأكلوا حتى اكتفوا وارتفعت الزبادي وغسلت الايادي وذكرت قامه النبي الهادى هذا وقد تكلمت المماليك فى حق الوزير وقالوا انه اختلا بهذا العلق وأغلق عليه الابواب وأخر يقول هذه سبيبه ضاله فقال الآخر اننا ماوجدناه أخذ أحداً منا ابداً فلاى شيء أعجبه هذا الولد الضعيف الذى كانت رائحته منتنة فى الحمام فكيف انه يطردنا ويغلق الابواب ويستخفى به فقال واحد منهم هذا كله من رجل مقرى بجامع طيلون كتب الى بيبرس على بيضة رحمه ورصدها له على النجوم بالمحبة والقبول هذا ما كان من أمر هؤلاء المماليك

(قال الراوى) وأما ما كان من الامير بيبرس فانه جلس مع الوزير يتحدثون فقال له الوزير يا أمير بيبرس أنا قصدى أن أتخذك ولدى بمقام عهد الله تعالى واوثق بيني وبينك مقام العهود لعل بذلك أبلغ المقصود وان هذه بغيتي منك ياوالدى علي تمنى واشتهى منك لا ترد كلمتى فقال له الامير بيبرس يا دولتلى وزير أنا عبدك وخادمك فقال الوزير ياولدى وأنا اعلم يا ولدى انك لابد لك من على طول الايام من جلوسك على مصر وانا اكون وزيرك كما انا عند الملك الصالح ايوب ولى الله المجذوب فاذا

كان بيني وبينك هذ العهد تبقى ياولدى تنظر لى بما يرضى الله تعالى كما قال في هذا المعنى حيث يقول

العهد لاينقص ابدا ولا ينفك ولا ينداس
ومن يخونه في الدنيا يوم القيامة ينفضح بين الناس

(قال الراوى) فعند ذلك قاموا الاثنين اسبغوا الوضوء وصلى كل واحد منهم ركعتين وبعد ذلك وضع الوزير يده على يد بيبرس وقال له اتخذتك ولدى بمقام عهد الله ورسوله فهل لك ان تقبلنى ابوك على ذلك العهد والميثاق فقال له الامير بيبرس وانا استخرت الله العظيم وجملتك ابى على هذا العهد والميثاق والشاهد بذلك ربنا الملك الخلاق وبعد ذلك قرأ الفاتحه بعد قرأة قول الله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ماتفعلون وقال له الوزير اعلم ياولدى ان كل من خان هذا العهد كان خصمه النبى صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فقال له الامير بيبرس رضيت بذلك ثم قال له الوزير يا أمير بيبرس انا مرادى انلا تقطع زيارتك وحضورك يوماً الى عندى حتى انى أعلمك ابواب الحرب ومقام الطعن والضرب والجولان والنزال وممارسة الابطال فانك الى ذلك محتاج حتى تصير فارس هذا الزمان وليث الحرب والطعان فقال له بيبرس افعل يا ابى ماتريد فانى لااخالف أفعالك في كل ما تريد

(قال الراوى) ثم ان الوزير قال له اعلمنى يابيبرس انت لما اتيت الى هذا المكان كنت مثل السكران والحصان الذى انت راكبه كان عريان من غير سرج ولا لجام فما سبب ذلك فحكى له الامير بيبرس على ماوقع له بما تقطع السرع والشراع والركاب واللجام وبعده قبضت على صدره برجلى وقبضت على مفرقته بيدى وماتت اعضائى كذلك وقد لسب الهوى

في اذاني ولا فقت الا وانا في الحمام ولولا حضرتك كنت شربت كأس الحمام فقال له الوزير ولولا ذلك لكان من الذى شد لك على هذا الحصان فقال له ماشد لى على هذا الحصان الا باش سايس متاع الوزير نجم الدين وهو يقال له عنبرب فقال له الوزير هل بينك وبينه ثار قال لا بل احسن اليهم واعطيهم واكرمهم فقال له الوزير لابد لهم عليك ثار فقال له نعم ياوزير الزمان انى قتلت منهم سايس وهو رجل اكبرهم وانا بأرض الشام وهو يقال له العرند فقال له الوزير ان هذا العرند كبيرهم وكلهم اولاده واتباعه ومامنهم الا من يقبل يده واعلم ان الجميع يطلبون ثاره منك ولو على طول الزمان ولكن الله يسلمك من مكرهم وانا ياولدى اقبل نصيحتى وخذ لك رجلا سايس يكون مخصوصا بك فكل ماتطلب ركوب حصان يكون هو الملزوم بركوبك فقط دون غيره ولا تعتمد على سايس زوج خالتك فانهم ماهم مخصوصين الا بسيدهم واذا خدموك انت تبقى مثل زيادة عليهم ولا ينفعك الا كاقات لك خدم لك سايس لنفسك مخصوص بجامكية وجراية وعلوفة لانك لاتستغنى عن الركوب وانت صاحب رتبة عظيمة فى الديوان فقال له الامير بيبرس صدقت ياوزير سمعا وطاعة فقال له الوزير اياك ثم اياك أوصيك كل الوصية فاحفظ وصيتى ولا تنساها واعمل بها ولا تأباها اصحى تخدم رجلا يقال له عثمان بن الحبلة لانه رجل جبار لايصطلى له بنار فى أرض مصر وقد أذل اهلها وقد بلاهم بالقهر وما دأبه الا خطف العمايم ولا يبالى من الاكابر ولا من الاصاغر وقد جاءتنى فيه شكايات وعيب مرار عديدة وأنا أعين له الامراء والخدام واطلب منهم أنهم يقبضوا عليه ويحضروه الى فما أحد قدر على ذلك وقتل من الامراء سبعة ولات وكلما لبس والى يقتله ولايبالى وقد قطعت عليه سبعة فرمانات بختم السلطان

محل مايمسك يقتل فلم يتمكن من ذلك وبعدها ركبت أنابرجالى اليه فطردنى الى الديوان وهو كانه عفريت من عفاريت سيدنا سليمان من عند البساتين ومن البساتين الى الديوان سبعة مرات والصواب ياولدى انك تجتنب خدمة هذا الرجل فانه من جبابرة هذا الزمان واحذره ولا تأخذ منه أمان فان الذى مثل هذا الرجل لا يؤمن بل ان يكون خوان وسيدنا على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه قال شعر حيث قال صلوا علي باهى الجمال صلى الله عليه وسلم

بنوا الفلاحة لا تصغوا لهم ابداً ... فانهم بقر ان أكرموا بطروا

اذا تقاضوا فكان الظلم سيمتهم ... وان تولوا على حكم القرا كفروا

(قال الراوى) ثم ان الوزير قال لبيبرس ياولدى ها انا أعلمتك والنصيحة يقبلها المؤمن السليم القلب وهذا ماعندى والسلام قال فلما سمع الامير بيبرس منه ذلك الكلام قبل يديه وقال له سمعاوطاعة والله ياوزير الزمان لا أخدم احداً الا باذنك والذى يريده الله لى هو الذى يكون

(قال الراوى) ثم ان الامير بيبرس تودع من الوزير ونزل الى سلم الركوبة فقدموا له السياس الحصان فانعم عليهم بمائة دينار وركب وأراد المسير واذا بالشيخ محمد طقيطاق والرجال واقفون ينتظرون عودة الامير بيبرس فنزل الامير بيبرس لما رأى الشيخ يحيى الشماع فسلم عليه وهناه بالسلامة وكذلك اولاد الحسنية وحدثوه بجميع ماوقع منه والسبب فى ذلك انه لما خرج من باب القرافة وأراد ان يأخذ الحصان شوط وماحة كما ذكرنا فكانوا اولاد الحسنية معه وكذلك الشيخ يحيي الشماع ولما جرى له ماجرى تبعوا أثره وكلما وقع منه شيء صاروا يأخذونه ولما ان مماليك الوزير حاقوا على الجواد وأخذوه واوقفوه قدام الوزير وبيبرس على ظهره

في اذاني ولا فقت الا وانا في الحمام ولولا حضرتك كنت شربت كأس الحمام فقال له الوزير ولولا ذلك لكان من الذى شد الك على هذا الحصان فقال له ماشد لى على هذا الحصان الا باش سايس متاع الوزير نجم الدين وهو يقال له عنيرب فقال له الوزير هل بينك وبينه ثار قال لا بل احسن اليهم واعطيهم واكرمهم فقال له الوزير لابد لهم عليك ثار فقال له نعم ياوزير الزمان انى قتلت منهم سايس وهو رجلا كبرهم وانا بأرض الشام وهو يقال له العرند فقال له الوزير ان هذا العرند كبيرهم وكلهم اولاده واتباعه ومامنهم الامن يقبل يده واعلم ان الجميع يطلبون ثاره منك ولو على طول الزمان ولكن الله يسامك من مكرهم وانما ياولدى اقبل نصيحتى وخذ لك رجلا سايس يكون مخصوصا بك فكل ماتطلب ركوب حصان يكون هو الملزوم بركوبك فقط دون غيره ولا تعتمد على سايس زوج خالتك فانهم ماهم مخصوصين الا بسيدهم واذا خدموك انت تبقى مثل زيادة عليهم ولا ينفعك الا كما قلت لك خدم لك سايس لنفسك مخصوص بجامكية وجراية وعلوفة لانك لاتستغنى عن الركوب وانت صاحب رتبة عظيمة فى الديوان فقال له الامير بيبرس صدقت ياوزير سمعا وطاعة فقال له الوزير اياك ثم اياك أوصيك كل الوصية فاحفظ وصيتى ولا تنساها واعمل بها ولا تأباها اصحى تخدم رجلا يقال له عثمان بن الحبلة لانه رجل جبار ولا يصطلى له بنار فى أرض مصر وقد أذل اهلها وقد بلاهم بالقهر وما دأبه الا خطف العمايم ولا يبالى من الاكابر ولا من الاصاغر وقد جاءتنى فيه شكايات وعيب مرار عديدة وأنا أعين له الامراء والخدام واطلب منهم انهم يقبضوا عليه ويحضروه الى فما أحد قدر على ذلك وقتل من الامراء سبعة ولات وكلما لبس والى يقتله ولايبالى وقد قطعت عليه سبعة فرمانات بختم السلطان

محل ما يملك يقتل فلم يتمكن من ذلك وبعدها ركبت انا برجالى اليه فطردنى الى الديوان وهو كأنه عفريت من عفاريت سيدنا سليمان من عند البساتين ومن البساتين الى الديوان سبعة مرات والصواب ياولدى انك تجتنب خدمة هذا الرجل فانه من جبابرة هذا الزمان واحذره ولا تأخذ منه أمان فان الذى مثل هذا الرجل لا يؤمن بل ان يكون خوان وسيدنا على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه قال شعر حيث قال صلوا على باهى الجمال صلى الله عليه وسلم

بنوا الفلاحة لا تصغوا لهم ابداً فانهم بقر ان أكرموا بطروا
اذا تقاضوا فكان الظلم سيمتهم وان تولوا على حكم القرا كفروا

(قال الراوى) ثم ان الوزير قال لبيبرس ياولدى ها انا أعلمتك والنصيحة يقبلها المؤمن السليم القلب وهذا ماعندى والسلام قال فلما سمع الامير بيبرس منه ذلك الكلام قبل يديه وقال له سمعا وطاعة والله ياوزير الزمان لا أخدم احداً الا باذنك والذى يريده الله لى هو الذى يكون

(قال الراوى) ثم ان الامير بيبرس تودع من الوزير ونزل الى سلم الركوبة فقدموا له السياس الحصان فانعم عليهم بمائة دينار وركب وأراد المسير واذا بالشيخ محمد طقيطاق والرجال واقفون ينتظرون عودة الامير بيبرس فنزل الامير بيبرس لما رأى الشيخ يحيى الشماع فسلم عليه وهناه بالسلامة وكذلك اولاد الحسنية وحدثوه بجميع ماوقع منه والسبب فى ذلك انه لما خرج من باب القرافة وأراد ان يأخذ الحصان شوط رماحة كما ذكرنا فكانوا اولاد الحسنية معه وكذلك الشيخ يحيي الشماع ولما جرى له ماجرى تبعوا أثره وكلما وقع منه شيء صاروا يأخذونه ولما ان مماليك الوزير حاقوا على الجواد وأخذوه واوقفوه قدام الوزير وبيبرس على ظهره

فوقفوا ينتظرون خروجه وقال الشيخ يحيي لايمكن لنا المسير الا اذا طلع
من هذا المكان لعل الله ينجيه ببركة الامام الشافعي الذى هو قاصد اليه
وما داموا وهم واقفين حتى خرج الامير بيبرس هذا كان الاصل والسبب
وقد أعطوه جميع ما كان وقع منه وكذلك عدة الحصان وهو السرج
واللجام وساروا معه على مهل الى ان وصلوا الى حضره الامام الشافعي
ابن ادريس فصلوا فيه الجمعه وزاروا وعادوا الى اماكنهم (قال الراوى)
وأما الامير بيبرس فانه دخل الى بيت الوزير نجم الدين فلما دخل
وجد السياس وهم يصفقون ويغنون وقد راى عقيرب وهو فرحان بما فعل
بالامير بيبرس وهم يشربون الخمور ويقولون قال الفجور قال فلما دخل
الامير بيبرس صاح عليهم وقال ياعقيرب وكان عقيرب يعرف صوته فلما
سمع ذلك الندا سكت مما كان فيه وسكت كل من كان معه من
السياس الذين معه وكفوا عن شرب الخمور على مزبلة الخيل وخرج ينظر
ما الخبر واذا هو الامير بيبرس فلما رآه قد أقبل ارتعب عقيرب وخاف
وتخبل ولكنه اظهر الجلد وأخفى ماعنده من الكمد وتقدم الى ما بين
يديه وقال له زياره مقبوله ياامير فقال له الامير اللهم تقبل ولكن ماعلمت
انت بما جرى فقال عقيرب جرى ايه فقال له الامير انقطعت الشريحة
والحلق تفتحت كلها وانا كنت رايح أموت لولا ان الله نجانى لكان الحصان
رمانى فقال له عقيرب يادولاتلى يبقى الحلق قديمة والشريحه دابيه فقال له
الامير بيبرس صدقت ياعقيرب ثم نزل بيبرس على السلم ورمى كيس من
الدنانير الى الارض وقال ناولنى الكيس ياعقيرب وكان ذلك من بيبرس
مقصوده حتى يتمكن عليه فتقدم عقيرب يناوله الكيس فصبر عليه حتى
انحنا وكانت يد الامير على اللت فضرب عقيرب على ظهره رماه الى الارض

وداس على رقبته وصار يضربه ويشتمه ويسبه ويقول له ياخائن هذه الفعال
الذى انت تفعلها قصدك بها هلاكى هل ترى من الذى يخلصك من يدى
ويمنعنى من اذاك وانا لابد لى فى هذا اليوم من تكسير عظامك وانعل امك
وابك (ياساده يا كرام) هذا والسياس قد هربوا واحد بعد واحد ولا
واحد منهم قدر ان يتقدم اليه وانزل الله الرعب فى قلوبهم ولم يزل عليه
بالضرب حتى عبر الامير نجم الدين الى بيته فلما رأى ذلك الحال وماجرى
لعقيرب سائسه تقدم الى الامير وقال له ياولدى ماالخبر وماهذا الامر المنكر
فاخبره الامير بما جرى وتدبر من أول القصة الى آخرها وكيف طاب
الحصان وكيف شده له وكيف تقطع الركاب والسرائج ولولا ما كانت
مماليك الوزير الاعظم والا كان الحصان هج بى فى الجبال فلما سمع الوزير
نجم الدين ذلك صعب عليه وكبر لديه وتأسف على تلك الفعال وبعدها قال
له ياولدى ربما يكون بذلك معذور فان كان هذا تعمدا منه فها هو قد
لقاه الله ببغيه وعاقبة تعمده وان كان له عذر فلا يخفى على الله خافى فان
العفو الیق فى حقك جزاك الله خيرا وانا ياولدى انظر لك سائس لنفسك
ويكون من غير هؤلاء السياس يكون براني فان هؤلاء كلهم بنو أقارب ولا
لهم أمان فقال له على الراس والعين ياسيدى ثم ان نجم الدين صعد الى
السراية عند زوجته وترك الامير بيبرس على عقله وارادته فلما افاق الامير
بيبرس من غيظه احضر عقيرب وقال له خذ اجرة ضربك فمد يده وأعطاه
خمسين دينارا وقال له سامحنى ياعقيرب فسامحه وقال له الله يبرى ذمتك
ياأمير (قال الراوى) ثم أن الامير بيبرس قال ياعقيرب أريد ان أسألك
عن شيء فقال له عقيرب ايش هو ياسيدى اسأل كلما سألت فقال له انا
مرادى واحد سايس يكون بخدمتى مخصوص حتى اذا ركبت يكون دائما

معي وها انا مرادي منك تعلمني اين تباع السياس فقال له تحب سائس خشب والا سمك والاقزاز والاطين فقال له ياراجل أحب سايس مثلك يتكلم ويمشي فقال له عقيرب انا من بني آدم فقال له بيبرس انه من بني آدم فقال له عقيرب بنوا آدم يباعوا ياشلبي فتبسم بيبرس من كلامه وقال عقيرب ان بنو آدم خلقهم الله تعالى لايباع منهم الا العبيدوالمماليك وانما السياس احرار ياشلبي فضحك من كلامه ثم قال ياعقيرب انا لما حضرت من بلاد الشام الى مصر لم اعرف مصر ولاحالها فقال له عقيرب الدنيا كلها عليه مغطيه وأما مصر فانها ظاهره ليس مخفيه واما المثل الساير يقال طريق ابوزيد كلها مسالك ولكن انا اقول لك اعلم ان السياس خمسة بيوت اولهم بيت اولاد ريحان وبيت خنفس وبيت هيضم وبيت وكال دقنة وبيت أولاد الشيخ فقال له بيبرس ياعقيرب واين محلاتهم فقال في باب النصر بيت اولاد هيضب والازبكيه فيها بيت اولاد وكال دقنه والرفمه فيها بيت اولاد ريحان وباب اللوق فيها بيت اولاد خنفس والرميله فيها بيت اولاد الشيخ فاذا كان مرادك في خدمة سايس فانا ادلك على ذلك فاذا توجهت الى جهة من الجهات الخمسة فقل لهم انا طالب سايس يكون كاهن جوايكي حازم جداوي معدول القامه كامل الهامه جميل الصوره ابيض اللون قاعد ورا وقدام رقيق الشفة مكحل العينان فاذا اتيت بهذه الصفة انتظمت خيلك وصاروا اعظم من خيول الوزير فقال له بيبرس لابد ما اجيب سايس على هذه الصفة وقد ظن ان كلامه له حق فعند ذلك نزل بيبرس وشد جواده خوفا من النوبة التي جرت وركب وسار وهو لايعرف أسماء الحارات التي كان ذكرها له عقيرب ولايعرف الاخطاط فسأل رجلا من الطريق وقال له ياابي باب اللوق فين فبهت الرجل من كلامه ولم يعلم ما معناه غير

انه قال له أيها الامير انامالى باب علوق فقال له بيبرس ياأبى المحل الذى يباع فيه السياس فقال له ياسيدى انا حر وما اعرف ذلك السؤال ثم ان الرجل صاح على رجل آخر معرفته يقال له الشيخ حسن وقال له ياشيخ حسن انظر ما الخبر فقال له سر معى وانا أريك مطلوبك فسار معه الى باب اللوق وقال له آدى مطلوبك وهذا مكان السياس فقال له يا ابى جزاك الله كل الخير ثم أعطاه عشرة دنانير فاخذهم وانصرف الى حال سبيله وهو يدعو الى الامير بيبرس

(قال الروى) وأما بيبرس فانه تقدم الى محل السياس وسأل عن كبيرهم فأرشدوه اليه فتقدم الى كبير السياس وسلم عليه فرد عليه السلام فاخبره بما قال عقيرب فلما سمعت السياس ذلك تصايحت عليه وارادوا ان يضربوه فنعهم كبيرهم وعلم ان هذا تسليط عدو من السياس فقال له اخبرنى من أين انت فقال له أنا من بيت الوزير نجم الدين البندقدارى جيت واياه من الشام فقال له لعلك انت الذى قتلت العرند بارض الشام قال له نعم فقال له ياولدى ان الذى أغراك على هذا الكلام ما كان يريد به الا قتلك لانه يريد ان يأخذ بثار العرند منك فسر الى الرميله فات هناك على انى أقول لك ان هناك بيت أخى فاسأل عن أولاد الشيخ فانه لايخدم بالجهة التى انتم بها الا هم لانه ياولدى كل محل له قانون فسار بيبرس الى الرميله لكن بعد مالف جميع الاماكن التى ذكرناها وكلما عبر على بيت بهذه الكيفية يقولون له لايخدم فى بيت الوزير نجم الدين الا اولاد الشيخ فلما عبر الى الرميله رأى أربعة صواوين مضروبة وكل صيوان له جيش والسياس الذى دفنه سودا على جهة والامرد على جهة والاشياخ على جهة والحليق كذلك والكبير عليهم جالس على مصطبه بين الاربعة صواوين بحيث انه يناظرهم جميعا فلما رأى ذلك الامير بيبرس اعجبته البيت وقال هذا أفخر البيوت

ورأى على كل صيوان رجل نقيب هذا وبيبرس سار الى ارميله وتفرج
على اولاد الفنون والملاعيب وهم يعرفوه ويمدحوه ويستقبلوه وهو يعطيهم
من الاحسان ثم بعد ذلك عاد الى محل السياس ودخل على الشيخ الكبير
فرآه رجل اختيار له شيبة ووقار وجميع السياس الذين تحت يده في ادب
ففرح بذلك واستبشر ثم تقدم وقرأ الفاتحة الى الشيخ وسلم على النقباء
فقالوا له ماتريد فقال اريد سائسا يكون شاطرا قويا قالوا له سمعا وطاعة
ولكن انت من أى بيت قال من بيت الوزير نجم الدين البندقدارى فقال له
الشيخ اعلم ان كل سائس له طالب وكل مخدوم له طالب وانت ايش
طلبك فوصف الصفة التى عامها له عقيرب فلما سمع الشيخ كلامه قال
لهم هاتوا سيدى احمد مناع كفر الشرفه فلما حضر قال له هذا الذى انت
طالبه فتأمله واذا به غلام جميل الصورة ابيض اللون يعدع اللوبان
وعليه من الملابس الوان باللباس الدندكى والدكة المزركشة السائلة الى
الارض وعلى راسه شال احمر وهو كانه البدر ليلة كماله فلما رآه
بيبرس تغيرت احواله وقال له هذا ايش يابى فقال له بيبرس هذا
مطلوبك الذى طلبته فقال له بيبرش هذا ماهو الذى انا طالبه ولا
اعرف ذلك وهذا كله من سيئات عقيرب ولكن أنا طالب سائس
جديد يكون يضرب الرجال واما هذا ماهو طلبي فقدم له غيره
وكان اسمه شعلان فلم يعجبه فقدم له نصار من كفر الهجين فلم
يعجبه كذلك جعفر بن شنته وام صالح فلم يعجبه فقدم له خامس
يقال له منصور من سرس القته وكفر المشنه فلم يعجبه وما زال
الشيخ يعرض عليه سائس بعد سائس حتى عرض عليه الجدعان الذى
فى الصواوين الاربعة فلم يعجبه منهم ولا واحد لاصغير ولا كبير فتعجب

الشيخ وقال عجبا ثم التفت الى بيبرس وقال له روح الى بيتك وانا
اجيب لك سائس يريحك حكم مطلوبك يكون شاطراً فى خدمتك
لانى عرفت مطلوبك فبينما الشيخ مع بيبرس فى الكلام واذا بضجة
وقعت والناس تجارت ذات اليمين وذات الشمال وهربت جميع السياس
من الصيوان وكذلك النقباء ولم يبق الا الشيخ بمفرده وبيبرس معه
(ياساده يا كرام) ولما عاين الشيخ ذلك قال له ياشلبي فوز بعمرك
فى هذه الساعة لان هذا الولد جبار عنيد وشيطان مريد فتأخر بيبرس
وتأمل واذا به شاب احمر حلو المنظر قالب سكر جل سبحان من خلق
وصور طويل فى القامة غليظ الهامة عليه ملابس فاخره وبيده رزه مكتوب
عليها الاجر على الله وهو مقبل من بعيد ويغنى ويقول هذا الموال صلوا
على ضمين الغزال

يامنية القلب يااللى صرت ماتختجش فادعوا على والا قلت ما يختجش
خايف أقول لك عليه لكن مايختجش احبه حبا شديدا وهو فى القلب متفرس

(قال الراوى) وكان هذا السائس يقال له عثمان بن الحبلة الذى وصاه
الوزير عليه بانه لايخدمه ولم يزل عثمان سائر حتى أقبل الى الصيوان فلما
رآه الشيخ أقبل نهض له على الاقدام وباس يده وقال له مرحبا بجـدى
فزاد بيبرس العجب كون ان هـذا الاختيار يقول للولد الامرد جـدى
فقال عثمان ياولدى ياسليمان قال نعم ياجـدى قال أين الجدعان قال له هم
ينظروك ويقعدوا قال عثمان جاش لك اليوم حاجـه من الدراهم قال له
لا والله ياجدى وهاهو الكوز وفرغ الكوز فلم يجد فيه شيء فالتفت الى
بيبرس وقال له ياشلبي أتيت الى هنا لاى شيء قال له أريد رجلا سائسا
يخدمنى فقال له سليمان ياجدى هذا طالب سائس وأعرضت عليه السياس

فما أعجبه ولا واحد فقال له وانت ما اعجبك شي ولا واحد من الجدعان كلهم فقال له بيبرس لا والله مااعجبني ولا واحد منهم فقال له هل ترى انا اعجبك يعني اخدم ياشلبي عندك فقال له بيبرس اما انت فأعجبتني ولكن أنا اعجبك ام لا فقال نعم اعجبتني ياشلبي فقال بيبرس في نفسه هذا الذي وصاك عليه الوزير الاغا شاهين الافرم ان لا اخدمه فقام كبير السياس وقال ياسطى انت تخدم هذا الشلبي فقال عثمان اخدم فقال بيبرس وانا اخدمك واتوكل على الله وقال في سره ان استطاع والا اقتله واريح الناس من شره هذا كان ضمير الامير بيبرس واما ضمير عثمان فان مراده ان يخدم عنده ذلك اليوم ولما يدخل الليل يقتله ويأخذ ماعنده ويروح الى حال سبيله (قال الراوى) وهذا ضمير الاسطى عثمان بن الحبلة وهذا له ضمير ولله مشيئة وتدبير انه على كل شيء قدير فعند ذلك أخرج بيبرس عشرة من الدنانير الذهب وأعطاهم الى كبير السياس فاخذهم وأراد ان يضعهم في جيبه فنظر اليه عثمان فناولهم اليه من غير كلام ولا شقشقة لسان فاخذ عثمان الدنانير وقال للامير بيبرس سر ياشلبي فسار بيبرس وسار عثمان وهو مغطى رأسه وسائر مع الامير فقال بيبرس ياسايس ما اسمك قال له اسمي الاسطى قزاز وانت ياجدى اسمك ايه فقال له أنا اسمى دقاق فقال له عثمان ياجندى الدقاق يكسر القزاز وانت مالك اسم غير هذا الاسم فقال بيبرس لا (قال الراوى) فبينما الامير بيبرس يمشى وعثمان وراءه واذا قد أقبل رجل سايس فباس يد عثمان وقال له ياجدى انت خدمت عند هذا المهر النصيص فسمع بيبرس كلامه وأخفاه وقال في نفسه هذه تنشال في القاوق فتركه السايس ومضى فاقبل عليه آخر وقبل يده وقال له انت خدمت ياجدى قال نعم خدمت عند هذا العلق وقد قال بيبرس في نفسه والاخرى

تنشال عندى هذا وهم لم يزالوا سائرين كذلك حتى وصلوا الى الحسنية
فقال عثمان ياجندى انت من بيت من فقال له الامير بيبرس يا اسطى انا
من بيت الوزير نجم الدين البندقدارى فقال له عقيرب هناك قال له نعم
وهو الذى علمنى على وصفة السياس وقال لى هات لى سايس طاجن خوانك
واخبره بما قاله عقيرب فقال له اذا انت دخلت من باب البيت فقول ياعقيرب
أدينى جبت لك طاجن خوانك فقال له الامير بيبرس طيب يا أسطى ولما
دخل الامير بيبرس الى باب البيت صاح ياعقيرب وكان هذا مشدود الاسطى
عثمان وأما الامير بيبرس نزل من على الحصان وطلع الى المقعد وجعل ينظر
مايجرى بين هـذا الاسطى عثمان وعقيرب فبينما الامير ينظر واذا بعقيرب
نادى على السياس وقال لهم ياجدعان هذه علقة جاء بها الينا بيبرس وكان
عثمان لايبان منه غير الاعيان والا السيقان لانه لافف نفسه فى برنوص ابيض
ودخل الى السرير الذى هو لعقيرب وجلس عليه فلما رآه عقيرب قال لمن
حوله من السياس دخلوا الحصان وأنا اريكم مايكون هذا السايس ومن
أين يكون من البيوت ثم ان عقيرب دخل فوجد الاسطى عثمان جالسا وهو
مغطى رأسه بالبرنوص فقال له سلامات ياولد فقال له عثمان تسلم ياعم قال له
انت من أولاد من ومن أى بيت فقال له ياعم أنا من أولاد هيضم فقال
له مرحبا ولو انكم اعداءنا اقعد ياجدع على كيفك تأكل وتشرب وتأخذ
جامكية ولا تخدم ولا تهين نفسك ابداً ونحن نعمل لك كل ما كان يخصك
من خدمتك حتى تكون ثيابك نظيفه ولـكن ياولدى المعرفة تدل على
الصلاحية فما اسمك فقال له ياعم اسمى عثمان بن الحبلة (قال الراوى) فلما
سمع عقيرب بذلك الاسم غاب عن الوجود وبقى حاضر فى صفة مفقود فما
كان منه الا ان قال أنا في عرضك يا اسطى عثمان هذا وعثمان قد كشف

عن وجهه وقال له انت لك زمان في هذه الصنعة يا كلب أنا كبيرك ولكن عمري لم استعمل الطواجين الخوانك ولا غيرهم ولا أعرف الفساد انت ياعقيرب تقول للجندى هات لك طاجن خوانك لاجل ان اكون أنا معيرة بين الناس بك ويتكلموا في حقى بالادناس ولكن أنا أعرف يا كلب فقال له فى عرضك يا أسطى فجذبه من خناقه ورماه وضربه بالرزة ثلاثة ضربات فقال له عقيرب تبت يا كبيرى فسيبه فخرج عقيرب يجرى

قال صاحب الكلام صلوا على البدر التمام ياساده يا كرام ونرجع الى ما تقدم لنا من الكلام وهو ان الاوسطى عثمان بن الحبلة لما ضرب عقيرب تلك الثلاثة ضربات وهرب عقيرب وهو يصيح ويقول انا فى عرضك يا أسطى عثمان فدارت به السياس فاعلمهم بما جرى فلما سمعت السياس ذلك الكلام نهضوا على الاقدام وأقبلوا الى عثمان وباسوا يده وما منهم الا من يقول سلامات ياجدى وجد جدى ثم وقفوا بين يديه (قال الراوى) وبعد ذلك قال عقيرب يا كبيرى أنت خدمت عند الشلبي قال عثمان ياولد أنا أضحك عليه ثم التفت عثمان فرأى العدة معلقة فقال ياولد هذه عدة من قال عدة حصان الشلبي قال له ناولني اياها فانى أريد أخذها أجرة مشوارى قال عقيرب ياجدى واذا سألنا كيف نقولوا له عليها قال عثمان اذا هو سألك عنها فقول له أخذها عثمان في أجرته من الرميله الى هنا فاحمد ربنا الذى جاءت في العدة ولا جاءت فيك لان هذا رجل قتال قتلا قال له عقيرب سمعا وطاعة ثم ناوله العدة فوضعها في ملايته وحملها على عاتقه وخرج من الاصطبل فنظره الامير بيبرس فصاح عليه وقال يا أسطى ما هذا الذى على كتفك قال له هذا غسيل الاسطوات لان هذا قانون فى كل السياسة اذا خدم

عندهم سايس جديد يغسل لهم حوايجهم فقال له يا أسطى هذا عيب كبير بكون انك تاخذ غسيل السياس وتطلع به من بيتنا وانما طلع الغسيل الى فوق عند الجوار وهم يغسلوه لأن هذا لا يصح انك تخدمني وتغسل غسيل الناس فقال له عثمان ماهو غسيل وانما شرايح قدم وأنا أريد بيعهم وناخذ ثمنهم فقال له يا أسطى اذا كنت انت محتاج الى دنانير انا اعطيك كلما تطلب فقال له أقول لك الحق هذه عدتك وأنا أخذتها في نظير مامشيت من الرميلة الى ذلك المكان فانى انا لم أخدم واسأل علي يقولوا لك عثمان بن الحبلة وانما أسكت واحمد ربك الذى طلعت أنا من بيتك وانت سالم فقال له يا أبي جزاك الله كل خير فخذنا وخذ مني كلما تريد وتعالى خذ هذه المائة دينار مني اليك فاطلع وخدهم وسر الى حال سبيلك (قال الراوى) فلما سمع عثمان بالمائة دينار ضره الطمع وطلع الى المقعد وقد كان الامير وقف له خلف الباب فلما عبر عثمان ضربه باللت بين اكتافه فوقع الى الارض وأراد ان يقوم فحط الامير رجله على رقبته وفك بوشيته من على رأسه وكتفه بها كتافا شديداً وصلبه في العامود وتأمل بيبرس واذا على حزامه شرنبه فقال له هذه جاعلها لاذية خلق الله تعالى فأخذها منه الامير فقال له عثمان لاى شيء هذه الفعال فقال له بيبرس انا مرادى انى اذوقك حرارتها حتى انك تعرفها وضربه بها ولم يزل يضربه حتى كاد أن يغشو عليه وارمى بعد ذلك الشرنبه تحت رجليه وتركه مربوطا وأخذ الملاية واخرج العدة منها وقال الى السياس وحيات راسى كل من حله لايلوم الا نفسه ثم تركه وصعد الى النوم حبل من لاينام (قال الراوى) هذا وقد فاق عثمان من غشوته مربوطا ولم يزل على هذا الحال الى ان ذهب النهار بضياؤه واقبل الليل بظلامه فلما طال الحال على

عثمان صاح على عقيرب وقال ياعقيرب تعالى ياولدى فكنى فسمع عقيرب نداءه ولكن لم يرد عليه فقال له عثمان وحق المبرقعة بالانوار لابد أن اخدم الجندى بقلب خالص ونية صادقة واقلك ياعقيرب يابن القحبة كيف هو يضربنى وانت واقف تنظر ولا تحوش عنى ولا تقول حاش عن كبيرى فقال له عقيرب يا كبيرى هذا عتر ظلمة هذا قتال قتلا هذا الذى قتل كبيرك المرند بارض الشام (قال الراوى) فلما سمع عثمان هذا الكلام قال هذا الذى قتل المرند قال عقيرب هو بذاته وصفاته فقال عثمان هذا جندى جبار وانا ما أقدر عليه ولكن ياعقيرب حلنى حتى أقعد معك فاذا طلع النهار اربطنى فى مكانى فقال له عقيرب انت لم ترضى بذلك وربما ينزل هو يلاقك متكوكا فيعرف انى انا الذى حليتك فيقتلنى فقال له وحيات دقنك يا عقيرب لابد ماأخليك تربطنى مثل ما كنت فعند ذلك تقدم عقيرب وحله وفك كتاف عثمان فلما تخلص عثمان قبض على عقيرب وربطه مكانه وضربه علقة كبيرة وتركه مربوط وأخذ العدة وجعلها فى الملاية ونزل بها على حمايه ولما اتى الى الباب وجده مقفولا وكان البواب نايم والمفتاح تحت راسه فسرقه وفتح الباب وخرج منه وأغلقه كما كان وترك عقيرب يصيح ويستجير فلا يرى له مجير (قال الراوى) وقد سار عثمان الى ان اقبل الى المراغة والقبر الطويل وطرق الباب ففتحت له أمه الباب فدخل فتلقته أمه فعلق ماممه وهى العدة وقال ياأمى أنا جيعان هل عندك شيء يؤكل فقالت له عندى وزة محمرة والخبز فقال هاتى قدامى فقدمت له ذلك فكسر أول لقمة من رغيف وأخرج نسره من الوزة وملا رز وأراد أن يضعهم في فمه فتفكر العلقة التى ضربها له بيبرس فنزلت دمعته على وجنته وقال لامه شيلى الاكل فقالت له ياولدى لاى شيء لم تأكل وأنت قلت انك جيعان وأراك تبكى وما هى

عادتك وانت ابو عياق مصر انت قتلت الولات وكرشت الوزير فما بكيت والآن فما الذى ابكاك فقال عثمان اعلمي ياأماه أنه اخذنى ولد جندى اشقر له سبعة نفر بين عينيه وله نقطة سودة فى جبهته وشعرة واقفة بين حواجبه ومعه حديدة مكبية باربعة وعشرين حرفا فاعل الله يخرب بيت الذى عملها له فضربنى بها فوقعت الى الارض فأخذ البوشية من على رأسى وكتفنى بها وربطنى فى عمود المقعد ثم ان عثمان حكى لامه كلما جرى من المبتدى الى المنتهى ولما خلصت وجيت كنت جيعان ففكرت العلقة أنسدت نفسى وانا مرادى ان اقوم له آخذ منه ثارى واجلى عنى عارى واربطه مثل ماربطنى واجمع ثمانين مشاديدى اولهم عقيرب وزعيرب وشعلان ومهران ومدكور ومداع الشكل وصدغ المرض وابو الشمات ومعاص الحاكم وابوا الجلب وابوا العدب وأخذهم واطلع مغار زغاية فى ملعب احمد بن طلون مجمع العياق واذا اجتمعنا نحن الثمانين احير الجدعان لاجل ان يأخذوا لى بالثار واكون غالبا ولم اكون مغلوب خايبا فقالت له امه افعل ماتريد الله يكون فى عونك ويقويك والمبرقعة بالانوار معك وتنجيك قال آمين ثم نزل من عندها وجمع الثمانين غلاما مشاديده وسار بهم الى مغاير زغاية واخذهم وجعل يحكى لهم ماجرى له وهم يتعجبون وكل منهم ضمن له ان يأخذ له بالثار ويمحى عنه العار ويقتل ذلك الجندى ولا يبقى له آثار فهذا ما كان من عثمان (قال الراوى) واما ماكان من الامير بيبرس فانه لما قام من النوم وصلى صلاة الصبح وأكل ماوجد من الطعام وأخذالات في يده ونزل قاصداً عثمان ليضربه فلما اقترب منه تأمله واذا به عقيرب وهو المربوط على العمود فقال بيبرس فى نفسه الوكيل كالاصيل وانامالى الا اضربه فتقدم اليه وصار يضربه من غير أن

يكلمه فلما أعياه الضرب صاح انا في جيرتك ياسيدى بيبرس انا عقيرب حوش يدك انا عقيرب ماانا عثمان فقال له وأين عثمان ياقليل الادب وأين العدة فقال له العدة أخذها عثمان وراح الى حال سبيله ولكن ارجع عن ضربي وانا أجمع لك حق العدة متاعك من الاسطوات ونخدم لك على حصانك ولاتخاف من شيء وهذا راح بخاطره وقد أخذ العدة أجرة مشواره وكان مراده يقتلك فقال له بيبرس جزاك ماحل بك ولكن وحيات راسي ان لم تقول لى على بيت عثمان والا قتلتك ولا أحد يطالبنى بك فقال له اسمع ياسيدى واعلم ان كل من قال على بيت عثمان يقتله وانا اذا قلت لك على بيته أحلفك يمين الله على انك ماتقر بى أبداً فحلف له برأسه وقال له انا أعرف ان الفتنة أشد من القتل ولقد أجاد الشاعر حيث قال

نام علي النمام واحذره فما	يكن المكروه الامن نقل
لا تقل أصلى وفصلى أبداً	انما أصل الفتى ماقد حصل
قد يسود المرء من غير أب	وبحسن السبك قد ينفى الزغل
وكذا الورد من الشوك وما	ينبت النرجس الا من بصل
واترك الغادة لا تحفل بها	تمسى فى عز وترفع وتجل

(قال) فقال عقيرب باسيدى حلنى وانا ادلك على بيت عثمان فحله الامير بيبرس فقال له اعلم ياسيدى ان بيت عثمان فى المراغه والقبر الطويل وهو الذى مشهور بيت غزيه الحبله وذلك الحاره اسمها حارة غزيه لانها مسميه بام عثمان فاذا وصلت الى المراغه والقبر الطويل تسأل على الحاره والبيت فلا بد أن تستدل من أحد اذا رأيت (قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس من عقيرب ذلك الكلام وقد اشتغل قلبه بخدمة عثمان ولا بقي له صبر على أى وصف كان وفي الحال شد على ظهر الحصان وركبه بعد

ان شده وأخذ الات بيده وسار الى أن أقبل الى الرميله وبحر العالم وسأل من رجل كان سائر في الطريق وقال له ياأبي أين المراغه التى فيها القبر الطويل فقال له الرجل ياشابي القبر انا ماليش قبر لانى على قيـد الحياة ولالى قبر طويل ولا قصير فقال له يابى هذا اسم حاره بتاع سايس فقال له ياسيدى انت لسانك تركى وانا مالى معرفة بالتركى واذا برجل آخر اقبل وقال ايش تقول فقل لى ياشابي وانا اعلمك وأدلك فان هذا لايعرف شيء فقال له بيبرس انا أحب مراغه وقبر طويل فقال له سير معى وانا اريك محلها فسار معه حتى ادخله الى الحاره وهى حارة القبر الطويل فقال له هذه الحاره فقال له بيبرس جزاك الله خيرا وأعطاه عشرة فضه فأخذهم منـه ودعا له ومضى الى حال سبيله واما الامير بيبرس فانه دخل الى ذلك الحاره فرآها واسعة وفيها دكاكين وقهاوى واماكن ولكن مع انه غريب لايعرف أحدا فبقى كأنه الاطرش فى الزفة فاقبل على دكان رجل عطار وتحول من على الحصان واقبل وجلس الى جانبه وقال له السلام عليك ياابى فرد عليه السلام وقال له ياسيدى هل لك منى حاجة حتى تريد قضاها فقال له بيبرس نعم ياابى أنت من أهل هذه الحارة ام انت عطار بالنهار وفى الليل تروح الى بيتك وتجهل اهـل الحاره لعدم سكنتك معهم فقال له العطار ولاى شيء تسألنى عن هذا السؤال فقال له لما انت رجل كامل والذى مثلك لا يقل لا الصدق وهذا سبب سؤالى اليك فقال له ياسيدى هذه حارتى وتربيت فيها من صغرى حتى انى صرت اختيار كما ترانى ولا رجل ولا امرأة فيها مقيما الا اعرفهم حق المعرفة فقال له بيبرس اذا سألتك عن احد تدلنى عليه قال نعم قال اخبرنى عن مكان عثمان بن الحبله (قال الراوى) فلما سمع العطار ذلك الكلام كان له عقـل وطار وغاب عن دنياه وبقى عبرة لمن

يراه وقد اختار كيف يرد عليه فقال له ياسيدى انا ابيع عطارتى لكل من اراد وهى قرنفل وحبهان وفلفل ومستكا ومحاب وكافور وجميع العطارة توجد فقال له بيبرس انا ياابى ماأريد عطارة انا أريد تدلنى على بيت الاسطى عثمان بن الحبله قال له العطار ياشابى هذا دكانى قدامك خذ كلما تريد بيدك منها وانا نزلت لك عنها ثم أن العطار أخذ مركوبه ونزل من الدكان (قال الراوى) وقد كان قدام دكان العطار رجل خضرى فنادى على بيبرس وقال له هذا رجل مجنون وانت لاى شيء تكلمه وهو لاله عقل قال له بيبرس انا سألته أولا فقال انا قديما في هذه الحارة واعرف أهلها على التمام وكان عاقلا ولما انى سألته ثانياً تجنن فقال عجب قال له الخضرى اسألنى وانا أدلك على ماأنت طالبه قال له انا الذى سألته عن بيت الاسطى عثمان بن الحبله قال الخضرى ياشابى هذا الاسم ليس هو في هذه الحاره مطلقا ولا أحد يدلك عليه ابداً ولو تسأل أينما سألت عن طول المدة فاذا أردت ان تريح نفسك فارجع من حيث اتيت والا ان كان احد اعلمك بهذا الاسم انه فى هذه الحاره فاطلبه وهو يدلك عليه فلا تظلم نفسك ولا تظلم الناس وراقب الله ياسيدى واخزى الشيطان وانا قد نصحتك والسلام (قال الراوى) فعند ذلك تفكر الامير في نفسه وعلم انه لم يدله أحد خوفا من عثمان لان كل من دله يقتله كما عرف عقيرب فخرج من ذلك المكان وعلم ان ماأحد يدله على منزل عثمان لامن الرجال ولا من النساء ثم قال في نفسه يابيبرس الصواب انك تدبر على معرفة بيته من غير ان يعلم أحد فنظر في الطريق واذا هو يجد فرن يعنى كوشه فى ذلك الحاره ومن داخل الفرن نسوان وكل منهم معه عجين يريد خبزه فقال بيبرس في نفسه ان الذى يعرف البيوت فرداً فرداً في جميع البلاد ثلاثة وأما فى مصر اربعة

البقال والفران ومسحر رمضان ورابعهم فى مصر وهو المنادى فى ايام النيل يابيبرس الصواب انك تعمل حيله مع هذا الفران عسى انك تستدل منه على بيت عثمان (قال الراوى) ثم ان الامير بيبرس لما هتف له عقله بهذا الهاتف نزل عن حصانه وأوقفه بباب الفرن وتأمل واذا بالفران واقف قدام باب طاقة الفرن وهو يحمى ويغنى فى هذا الموال صلوا على شفيع الغزال صلى الله عليه وسلم

يابنت ياللى تبيعى العيش وتتاكى   يابخت من فردك على الفراش وتتاكى
قالت انا بنت عذره لى نسب واصل   بفرع عالى ولا أعرف احد واصل
ان كان مرادك ومالى في الحلال واصل   فقلت عرضك سايم ياستى وتتاكى

(قال الراوى) فلما سمع بيبرس ذلك الكلام من الفران ضربه على وجهه وقال له ياقليل الادب يامهان لاى شىء اتلفت خبز سيدى الاسطى عثمان وحرقت وجهه في بيت النار وخمرته ياخبيث يامكار وهو أرسلنى اليك حتى أخلص منك حقه واقابلك على مستحقه وأرمى عليك كل داهية وعلة كما خمرت خبز سيدى عثمان ابن الحبلة فانك سرقت منه خمسة ارغفة كبار وحرقت احدى عشر ياخبيث يامهان فقال له الفران انا فى هذا اليوم وأمس ماخبزوا عندى بيت سيدى عثمان عيش ولا عمرى سرقت له منه شىء ولا حرقت له عيش وان كان العادة بتاعه ارسلتها الى البيت من الصباح وهى عشرون رغيف خاص وليس لى منه مناص فقال له بيبرس تكذب بملعون سيدى أمرنى ان اكسر رأسك بهذا الدبوس وأجعل يومك هذا عبوس فقال الفران ياشابى حوش يدك واذهب الى الحريم واسأل عن هذا الفعل الذميم فان كان هذا الامر بتأكيد فافعل ماتريد فقال له بيبرس سر قدامى فسار معه الفران بعد ان وقف أجيره عوضه يخبز للاولاد والنسوان

ولم يزل الفران سائر وبيبرس تابع له الى ان اقبل الى بيت الاسطى عثمان ففرح بيبرس فرحا شديدا ماعليه من مزيد فلما اراد الفران ان يطرق الباب منعه بيبرس وقال له اصبر ياأبى فقال الفران لابدلى حتى ادخل اناوانت واسمع كلام الحريم هل الذى قلته لك صحيح ام لافقال له بيبرس ياشيخ اعلم انى كنت تائها عن البيت ولا أحد رضى يدلنى عليه وضاقت حيلتى فلعبت بعقلك حتى دلتنى ومن تعبى ارحتنى ولكن خذ هذه العشرة دنانير ذهب وروح الى حال سبيلك (قال الراوى) فلما سمع الفران هذا الكلام غاب صوابه وايقن بموته وذهابه وقال اعلم ان كل من دل أحد على بيته يقتله ويعجل للمقابر مرحله وانا مابقى لى معيشة في مصر ابدا ثم ان الفران أخذ العشرة دنانير وأخذ عياله وسار طالبا بلاده خوفا من عثمان ان يعدمه حياته فهذا ما كان من الفران (قال الروى) واما ما كان من الامير بيبرس فانه طرق الباب فارتفعت من الباب السقاطة وانفتح الباب فاراد بيبرس ان يدخل بجواده واذا برغيف من الرصاص خرج عليه من صدر المكان مثل حجر صوان فحاد عنه فراح فى الهوى واراد الرامى ان يعيدها واذا بقائل يقول ارجع ياولدى شلت انامك وفصلت مفاصلك كيف هذا ياولد الزنى تضرب الذى دخل الى دارنا فاذا وكان هذا الضارب فرج عبد عثمان والمتكلمة غزية الحبلة ام عثمان وبعد ذلك نزلت وتأملت في وجه الامير بيبرس تجده على رأى الذى قال هذه الابيات أنا وأنتم نصلى على زين الصفات

وتركى له على الخد خال ... كمسك فوق كافور نقى

تعجب ناظرى لما رآه ... فقال الخال صلى على النبي

فقلت له ملكت نصاب حسن ... فزكى على ضياء الخد العبي

فقد ابا حنيفة لى امام   فتى ان لازكاة على الصبى
فصدقنا فلا نعطى زكاة   كذاك الشافعى والمالكى
فقلت فتونك من فقيه   أماتجب الزكاة على المالكى
وما لم تأتها طوعا والا   أخذناها بحكم الحنفى

(قال الراوى) فقالت اهلا وسهلا ومرحبا عدد ما مشيت من محلك الى هذا المكان لقد تشرفت بك الاوطان ثم قالت

لو تعلم الدار بمن زارها فرحت   واستبشرت ثم باست موضع القدم
وانطقت بلسان الحال قائلة   اهلا وسهلا باهل الجود والكرم

هذه دارنا حلت بها البركة بقدومك الينا فانا جاريتك وعثمان خديمك والعبد غلامك وما منا أحد الا يكون تحت امانك وزمامك فقال لها بيبرس يا أمى هل انت أم الاسطى عثمان قالت له نعم ياصاحب هذا الوقت والاوان فقال لها اين عثمان احضريه الى حتى أراه بالكلية فقالت أنا أدلك عليه فانه في مغائر الزغيلة ولكن بعد ماتأ كل حق زادنا وتشرب شرابنا حتى يكون لك مالنا وعليك ماعلينا ثم أخذت يده وأطلعته الى أعلا المكان واجلسته فى قاعة لماعة باربعة لواوين ودرقاعة وهى ملانة من عمائم كبار ومقل وجبب ملونات وشيلان وجوخات وبراص وطقوم وغير ذلك فقال بيبرس يا أمى عزيزة قالت له لبيك ياولدى قال لها انى أرى بيتك من تحت فيه دكك وكراسى وستارات مثل بيوت السادات والقادات ولما طلعت الى فوق أراه مثل بيوت دلالين الاسواق الذين يبيعون هدوم الناس بالدلالة فقالت له يا بيبرس هذه العمائم والهدوم فان ولدى عثمان يخطفهم من الناس والامم وكل من منعه عن حاجة أنزل به الموت والعدم ولو كان حاكما او أمير محتشم ولا يخشى من عتب ولا لوم وهذه عادته وهاهى

عدة جوادك الذى أتى بها فى هذا اليوم ثم انها كشفت له عن العدة الذى
أتى بها عثمان من عنده وقالت له هذا الذى يأخذه ولدى من عند الناس
ولا يخشى من جزع ولا باس فتعجب بيبرس من ذلك وقال لا حول ولا
قوة الا بالله العلى العظيم (قال الراوى) ثم قدمت له الطعام الذى كانت
قدمته الى ولدها عثمان فرآه مخروج منه نسيرة والرغيف مكسور منه لقمة
والشيالة ملانة بزر فقال لها يا أمى أنا ما آكل فضلة الواكلين فقالت له
ياولدى وعزة الله الرحمن الرحيم ما كسر هذه اللقمة ونسر هذه النسيرة
من الوزة وملا الشيالة بالرز كما ترى الا ولدى عثمان وكان جيعان وأراد
ان يأكل مثل عادته فتفكر مافعلته معه فنزلت دموعه على وجنته ثم انها
حدثته بما كان من أمر ولدها عثمان وما حكى لها وما قاله من الامر والشان
فلما سمع منها الامير ذلك تعجب وقال لها وهو الآن في مغارة الزغلية
وملاعب احمد بن طالون فقالت له نعم يانور العين فقال لها بيبرس انا لا آكل
حتى اروح اليه واجتمع عليه اما ان يهديه الله الى خدمتى والا آتيك براسه
واريح الخلق من شره وباسه فقالت يا ولدى ترفق به فان هذا خدامك وانا
اسأل الله العظيم ان يهديه الى سراط مستقيم فقال آمين وبعد ذلك أراد
بيبرس ان يقوم فقالت له غزية الجبلة هل لك ياولدى ان تصبر حتى اقص
عليك مارأيته فى المنام بالامس ومافسرته ولا لاحد حكيته فقال بيبرس قولى
يا أمى فقالت رأيت فى منامي الست أم القناع الطاهرة بنت النبى المختار
المبرقعة بالانوار وهى سيدة السيدات السيدة نفيسة رضى الله عنها ونفعنا بها
وهى تقول لى ياجبله طيبى نفساً وقرى عينا وافرحى فرحا شديداً بخدمة
ولدك عثمان عند هذا الملك السعيد فان سعد ولدك أقبل وذهب عنه الشقاء
وتحول واتت له الهداية والولايه والرعاية من مولاه خالق البرايا ورأيتك

انت في يدها اليمين وولدى في يدها الشمال ونور وجهها أضوى من الهلال فقلت لها ياسيدتى من هذا الغلام الذى على يمينك فقالت لى هذا بيبرس محمود العجمى وسوف يكون ملكا وسلطانا ويبقى له كلمة تسمع وحرمة ترفع وهو صاحب العز والوقار والمجد والافتخار وينصر دين النبى المختار ويهلك جيوش الكفار وأما هذا ولدك فانه يكون له على يده شان وأى شان فاذا أقبل اليك فى غداة غدا فاكرميه غاية الاكرام واقرى له منى السلام واذا طلب ابنك يخدمه فدليه عليه فانه شفوق عليه وينال على يده الهداية وتحصل له العناية من خالق البرايا فلما انتبهت يا أمير من منامى وانا غارقة في افتكارى ما اشعر الا وانت فى ديارى فلما رأيتك علمت انك انت صاحب الصورة الصحيحة والعلامة الواضحة وها انا يا امير اخبرتك بالقصة من أولها الى آخرها وأعلمتك باطنها وظاهرها وبعد ذلك فانا اوصيك عليه لانه واحد من الدنيا فترفق به الى ان يزول مابه (قال الراوى) فلما سمع بيبرس ذلك منها قال لها يا امى اذا كان هذا الحال حاله ولعل الله ان يرزقه الهداية ولكن نسألك الدعاء فدعت له ولولدها ثم نزل بيبرس وفتح الباب وركب جواده وصار ولكن متحير فى أمره وقال فى نفسه من الذى يدلنى عليه وعلى المغائر ثم اقبل على رجل يبيع البطيخ وقال له عندك بطيخ مليح قال نعم من بلدنا الذى يقال لها سوادة الذى قال فى حقها الشاعر هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

بطيخ بلدنا سوادى احمر وصغير واصفر
عيبه بياضه ولكن ممدوح اذا كان احمر
شفت حبيبى تشابه لونه ممزوج بالسكر
خلى العوازل يموتوا بالذبح الله اكبر

(قال الراوى) فاشترى منه الامير عشرون بطيخة كبار ودفع فيهم دينار وسأل عن الحمار واذا برجل مقبل عليه يقال له الشيخ على الاعرج وكان هذا علي الاعرج معكوس يحب الصبيان فصاح عليه الرجل البطاطخى وقال له تشيل هذا البطيخ وتوديه الى الشافى لحد الامام فقال له على الاعيان ثم حمل البطيخ وسار به حتى خرج من الحاره فقال الحمار ياجندى أنت من أى بيت قال من بيت الوزير نجم الدين البندقدارى والآخر يعبدها فقال بيبرس فى نفسه حسبى الله ونعم الوكيل ثم تبسم بيبرس فى وجه الحمار فقال له أنا كان لى مملوكا رفيقى فى بيت نجم الدين وكنت أعطى له الدراهم وكل ما اكسبه اليه وهو يحدثنى الى أن صار عنده شىء كثير من المال وأخذ صاحبه وانت ان أردت علو المراتب فصاحبنى وطاوعنى حتى تصير مثله فتبسم الامير بيبرس وقال له أنا رضيت بذلك ومن الآن أنا رفيقك فاخرج له الاعرج ستين فضه وقال له ياشلبى خذهم حطهم فى جيبك هذا مكسبى البارحة فاخذهم بيبرس ووضعهم فى جيبه فقال له الاعرج جميع ما اكتسبه أعطيه اليك فقال له الامير بيبرس جزاك الله خيرا هذا وقد طمع الاعرج فيه وقال له ياسيدى من أخذ الاجره حاسبه الله بالعمل فقال له بيبرس وما تريد قال له انت تعرف طلبى فقال له وما هو قال أريد منك الوصال ياوجه الهلال قال له بيبرس اصبر حتى نبعد عن الاموات ونحن الآن فى القرافة وحيث نخرج منها ونزور الامام ونعود الى مكان خالى وافعل ماتريد لاجل لاتشهد علينا الاموات يوم القيامة فقال له لاى شىء وأنا كلما تأتينى صيدة أتيت بها الى التربة فقال له هذا حرام عليك فقال له اعطينى بوسة قال له بعد أن نقضى حاجتك هذا ولم يزالوا سائرين الى أن أقبلوا الى الامام فقال له هذا الامام قال له يا أبى الامام الكبير قال له الامام الليث قال نعم

فساروا الى ان أقبلوا الى الامام الليث وقال له هاهى مغائر الزغابة فقال صواب الحمار فقال له ياسيدى أنا لم اقدر أروح الى ذلك المكان وانما ياسيدى سامحك الله في الستين فضه واجرة البطيخ وخليني امضى الى حالى فان مغاير الزغليه محل الهلاك وكل من وصل اليه لاله خلاص منه ولا فكاك فقال له بيبرس والله ياشيخ ان لم تسير معى والا أقتلك واعجل من الدنيا مرتحلك فقال الحمار ياشلبي وأنت أى شيء شغلك هناك فقال له وأنت أى شيء لك في هذا السؤال فيما لا يعنيك سر والا ضربتك بهذا الالت فسار الحمار وهو على غير مراده وايقن بموته وتيتيم أولاده ولم يزل ساير حتى وصل الى المغاير (قال الراوى) فعند ذلك نزل بيبرس من على الحصان وضرب الحمار باللت أرماه وقلعه عمامته وكتفه بها وجعل رأسه عند رجلين حماره وكان فى بيض الحمار ذباب صار كلما يقرص الحمار يرفص برجليه وجه صاحبه حتى عذبه والحمار يستغيث فلا يغاث وربط بيبرس الحصان مع الحمار فى طرف حجرة بجانب مغار وتركهم وسار (قال الراوى) ولم يزل بيبرس ساير الى أول مغار فلم يجد أحد أبيض ولا اسود وكذلك الثانى والثالث والرابع والخامس والسادس فوجدهم الجميع فارغين فوصل الى السابع واذا فيه رجال وهم جالسين ونظروا الى عثمان وهو بين الجميع يحدث وهم له سامعين وعثمان فى تلك الساعة يضرب الشور مع الجماعة ويقول لهم ياجدعان من يأخذلى بالثار من الولد المملوك متاع ابن بندق الذى بيته في الحسنية فانه ضربنى وتعدا عني فنهض ولد من السياس وقال له لا تحمل همه يا كبيرى فقد مات بيبرس وانا اقتله حالا وأجيب لك رأسه ثم انه نهض من وقته وهو ماشياً على أقدامه الى ان وصل باب المغار واذا بالامير بيبرس واقفا كأنه الاسد الغضبان واللت في يده فرجع السايس وقد زاد به وجده

فقال له عثمان مالك رجعت ياجدع فقال يا كبيرى رأيت عجبا فقال ايه العجب فقال ان الغلام الذى ذكرته لنا قد جاء الى عندنا فقال عثمان رأيته أنت أتى الى هنا قال نعم فقام عثمان على حيله وتبعوه مشاديده ووصلوا الى باب المغاره فرأى بيبرس واقف واللت في يده فقال له عثمان انت جيت الى هنا ياشلبي قال بيبرس نعم ياحبيب قلبي ولا أفارقك اما أن تخدمني والا اقتلك وأريح الناس من شرك فقال له عثمان الخدمة بالفلوس ماهى بالدبوس قال له بيبرس أنا كنت لا أعرفك انت الذى كنت جاهل وسرت معى على أنك تخدمني وبعده سرقت عدتى وأردت الهروب فضربتك ولكن تستاهل وصبرت الى أن أتى الليل ولعبت بعقل السايس حتى سيبك وهربت وأنا أعلم انه مابقا لك خلاص الا بالخدمة عندى والا موتك يكون على يدى ويكون بهذا اللت الحديد لان طبعك بليد فقال له عثمان ابعد عنى هذه الحديده المكبيه هلك الله من صنعها لك وجعلها في لحيته فقال له بيبرس وأى شىء قولك فى الخدمه قال له عثمان روح فارقني والا أنبطك وأخلى مشاديدى دول يتعاونون عليك ويقتلوك ولا ينفعك أحد من الوزراء ولا من الملوك فقال له بيبرس اذا كنت شاطر اخرج الى عندى وها انا قدامك حتى أعرفك قدرك ومقامك انت وكل من معك ومشاديدك وأقوامك

(قال الراوى) فلما سمع عثمان كلامه خرج من المغار وهجم على الامير بيبرس وضربه بالرزه فتلقى بيبرس ضربته على اللت فانكسرت نصفين وبقى النصف في يد عثمان والنصف الآخر طار ووقع جانب الحمار ثم ان بيبرس هجم على عثمان وضربه باللت أرماه الى الارض ودار كتافه وقوى سواعده وأطرافه ونادى ياجدعان هذا كبيركم هل فيكم من له نخوة يأتى الى عندى يطلب خلاصه من يدى فقالوا له خذه ياجندى وروح لحالك ما احد منا

يريد قتالك قال فأخذه بيبرس وسار به الى عند الحمار فلما نظر الحمار ذلك صاح انا فى عرضك ياسيدى بيبرس خلصنى من هذا العذاب فقال له تتوب عن اللواط يا ابن الكلب فقال له تبت على يديك وان رجعت ثانياً اقتلنى فنظر عثمان الى الحمار وقال له ياشيخ على انت الذى جبت الجندى الى عندى قال نعم أنا جبته الى هنا واليوم يقطع عمرك ويريح الناس من شرك بهذا الالات الذى تراه معه فقال له عثمان لابد ما أقتلك قال له الحمار ان خلصت من بين يديه افعل كلما قدرت عليه رد بالك ياشابي تطلق هذا فانه أذية لخلق الله خطاف عمايم ظالم غاشم قاتل النفس الذى حرم الله قتلها هذا وبيبرس يضحك عليهم ثم انه أخرج عشرة ذهب وأعطاهم للحمار وقال لشداديد عثمان خذوا هذا البطيخ حلاوتكم لانكم تركتم كبيركم وأخذ عثمان وركب ظهر الحصان وسار به وعثمان بين يديه مكتف من يديه ولم يزل بيبرس سائر به الى ان اقبل الى باب الخلا قدام السيده نفيسه فقال عثمان يابيبرس اطلق كتافى فان دخولى معك في مصر وأنا مكتف يضحكوا على الهضيبة وأولاد مصر وان لم تطلق كتافى وحق هذه السيده لا أخدمك أبد فان النار ولا العار فقال له بيبرس أنت خايف من ضحك الناس عليك وانا خايف ان تعصى على خدمتى فقال له عثمان ان أطلقتنى من الكتاف أخدمك ولم يكن لى خلاف فظن الأمير بيبرس ان كلامه حقا فاطلق كتافه وأعطاه عمامته لفها على رأسه وقد تركه الى جانبه ولما علم عثمان أنه خاص جرى قدام بيبرس الى باب السيده حتى وصل الى الباب ومد يده الى الضبة فانفتحت فدخل الى الرحاب ومد يده أغلق الضبه كما كانت ودخل تحت التابوت وهو يقول لها يا أم البيت انا فى حماكى

قد اتيت قوى حيلك انا طول عمرى خديمك وأجى كل يوم واكنس مقامك واذا لم تقومى من مكانك وتنبلى هذا الولد والا ما أبقى من زوارك على أحد حتى اتبعهم وآخذ عمايمهم ودفافيهم وصار عثمان يهلس بمثل هذا الكلام مايشعر الا وبيبرس دخل عليه في المقسام قال وكان بيبرس لما رأى عثمان دخل فى رحاب السيدة نزل عن حصانه وسلمه لرجل من الخدامين الواقفين وتبع عثمان الي الرحاب فقامت فى وجهه خدامين الاعتاب وقالوا له ارجع أنت لك أن تهجم على مقام السيده أما تخشى الله ولا تخاف من صاحبة هذا المقام فقال لهم بيبرس اسمعوا يا اخوان أنا رجل داخل مع السايس لانه هرب منى فقالوا له السايس ما اسمه قال اسمه عثمان بن الحبلة فقالوا له اسمع ياجندى ان الذى ذكرته لايخدم أبداً ولا عمره خدم الا عند السيدة كريمة الدارين وانظر كيف انها فتحت له الضبة بغير مفتاح وكيف دخل عليها وجلس عندها وهو يحدث معها وانت تريد ان تهجم عليه فارجع يا جندى أحسن لك والا اذا عارضتها فانك تهلك فان هذا الرجل تابعها فان كان هى تأذن لك فى الدخول فتقدم أنت الى الضبة فان أذنت لك في فتحها فتكون بلغت المامول ولكن يكون بادب واذا أرادت السيدة وصولك فلا مانع لكن وأنت لاعتابها خاضع فقال بيبرس سمعاوطاعه (قال الراوى) ثم ان الامير بيبرس تقدم الى قدام السيدة وقرأ الفاتحه ووهب ثوابها الى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ثم الى روح السيدة نفيسة وبعد ذلك بسط أياديه تحت القبة ودعى الله سبحانه وتعالى وطلب قضاء حوائجه وبعد ذلك توجه الى مقام السيدة ثانيا وقال لها ياسيدتى انت تعلمى ان هذا الرجل انهمك في المعاصى وفي أكل الحرام وضيع كل صباه وجريه في الضلال وركوب الاثام وانا ياسيدتى

اردت ان اجعله عندي خديم لعل الله سبحانه وتعالى ان يوفقه واياي الى
طريق الخير والصلاح ويكون باذنك ياسيدتي واطاب منك فى ذلك السماح
فأنت صاحبة الشورة ورايك فيه الصلاح فاذا سمحتي لى فيه اخذه واتوبه
عن المعاصي واخدمه على يدك ونكون انا واياه اتباعك وها انا واقف
ملازم الاعتاب فان رضيتي ياسيدتي فافتحي لى القبة حتى اجوز فى الرحاب
وان منعتيني يا سيدتي عن الدخول ارجع مكسور الخاطر بلا فائدة ولا
محصول ولكن ياسيدتي ان أهل البيت لايخيبوا من قصدهم فافتحي لى
الضبة حتى آخذه باجازة منك واجبري خاطري لعل ببركاتك ان يزول
عنى جميع الكبائر وابقى أقول دخلت سيدتي بانكسار ورجعتي بانجبار
(قال الراوي) ثم ان الامير بيبرس بعد ذلك الكلام قرى الفاتحه
ثانيا ووضع يده في الضبة وقال بسم الله الرحمن الرحيم وجرها فانفتحت
قال فلما راوا الخدام ذلك قالوا له ياشلبي ادخل فلا بأس عليك ان السيدة
راضية عنك هذا وقد أخذ الاذن بيبرس ودخل واذا بعثمان من داخل
الستر ومامسك فى يده الحجر وهو يقول انبطيه يأم البيت وبيبرس سامع
كلامه فتبسم ضاحكا ثم انه شال الستر ووضع يده على اكتاف عثمان فصار
عثمان متحيراً منه وقال له انت جيت ورائى الى هنا فقال له أنا وراءك أينما
كنت ولا أتركك ابداً الا اذا كنت تخدمني غصبا دون الرضى والا اقتلك
وارح الناس منك فقال عثمان انت لك عندي دين وتريد قبضه مني فقال
له دع عنك هذا الكلام لابد ان تتوب وتخدمني او اقتلك والسلام فقال
عثمان يأم البيت انبطيه هاهو عندك فقال له بيبرس ياعثمان اعلم انها سيدتك
راضية انك تخدمني وتريد انك ترجع عن اذية الناس فقال عثمان ببقى يا أم
البيت أنا دخلت تحت زمامك ومسكت سترك على مقامك وطول عمري

فحلف له بيبرس وقبض على عثمان واراد الرجل ان يخرج واذا بعثمان نظر اليه ولمس شاربه فخاف الرجل ورجع دخل الميحاض وترس الباب على نفسه فقال له بيبرس لاى شيء رجعت ياسيدى قال انه يلمس شاربه وينظر بعينه فقال له ياعثمان اتق الله تعالى ثم انه اخره الى بعيد وخرج الشيخ ومقلته تحت باطه وسار يجرى ويلتفت الى وراه حتى دخل الى منزله وأخبر أهله بما جرى وأقسم بالايمان انه لايخرج الا بعد ثلاثة أيام فهذا ما كان منه (قال الراوى) وأما ما كان من عثمان فانه دخل وأزال الضرورة واستنجى وخرج فقال له بيبرس اجلس على الميضة حتى أعلمك الوضوء فقال له والوضوء يبقى ايه فقال له انت عمرك ماصليت أبدا قال لا وحياتك ياجندى ثم جلس عثمان وقال له الامير قل بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله على هذا الماء الطاهر وتمضمض بالماء ثلاثة مرات هكذا وقل كذا واستنشق هكذا واغسل وجهك ثلاثة مرات هكذاوانوى فرض الوضوء عند غسل الوجه واغسل رجليك ثلاثه بعد يديك وعلمه الوضوء من أوله الى آخره فقال له روح انت الى حالك وأنا أتوضأ فتركه الامير بيبرس ودخل الى المسجد ووقف يستناه (قال الراوى) وأما عثمان فانه جلس على حجاب الميضة وكان الى جانبه اليمين رجل عجمى من الدراويش وكان يخاف شر عثمان فبالامر المقدر كان جلوس عثمان الى جانبه فلما جاءت عينه فى عين عثمان خاف خوفا شديدا ماعليه من مزيد ونزل الى وسط الميضة بحوائجه وغطس فى القاوق الذى على رأسه وكان شبيه الدلو صغير القعر كبير الدائر فأخذه عثمان وجعل يملاه ويفرغ به فى مجرة الماء وأما العجمى فلما ضاقت نفسه خرج رأسه من الماء فوجد عثمان ناظر اليه فعاد ولم يزل على هذا المنوال وهو يقول الامان ياأسطى عثمان

وقد تجارت الناس الى داخل المقام فعاد بيبرس الى الميضة فرأى ما ذكرنا فقال ياعثمان قال نعم قال له لاى شيء تفعل ذلك ثم انه نظر العجمى فتبسم ضاحكا واخذ القاوق ورده اليه ووضأ عثمان واخذه ودخل الى مقام السيدة نفيسة رضى الله عنها ثم قال لعثمان انت تعرف الفاتحة قال عثمان اعرف منها قطعتين قال صححها علي قال عثمان الشيطان الرجيم وللضالين فقال بيبرس ياعثمان اعلم ان الفاتحة سبعة آيات وفيها اربعة عشرة شدة فاذا اعدمت واحدة منهن بطلت الصلاة ثم قراه الفاتحة وعلمها له فلما حفظها قال له صلى وقل نويت اصلى ركعتين لله الله اكبر فقال عثمان نويت اصلى ركعتين مثل ماقال الاشقر الله اكبر فقال له بيبرس ماهو كذا قل نويت اصلى ركعتين لله الله اكبر من غير زيادة فقال عثمان من غير زيادة ثم قال الله اكبر طريقتين فقال له لا ياعثمان طريق واحد قال عثمان طريق واحد هذا ولم يزل عثمان يتخالف مع بيبرس حتى كادت ان تنفطر مرارته وصلى ركعتين بجهد جهيد ثم اخذه وسار به الى ان ادخله الى النقيب وتوبه عن جميع المعاصى وعن الاذية التى كان يفعلها فقال عثمان تبت على ماكان من المعاصى الا بيت الدقيق فظن بيبرس انه على العيش فقال فى نفسه ومن يتوب عن الدقيق فقال ياعثمان ماتتوب عن ذلك وانا اذنتك لبيت الدقيق وكان بيت الدقيق عند عثمان البوظه هذا يكون له كلام هذا وقد وثق عهد الله بينهما على المقام وفرق بيبرس واعطى وفرح بعثمان وعثمان فرح به وخرج فقدم له الجواد فركب وسار الى جانبه حتى وصلوا الى القبر الطويل ودخلوا على غزية الجبله ووقف بيبرس بالجواد على باب البيت فقال عثمان ياأشقر من الذى عرفك طريق بيتى فقال له رجل من هذه الحارة فقال له عثمان خليك مكانك حتى أعرف

هذا الرجل واقتله لانى حالف يمين كل من عرف احد بيتى لابد من قتله فقال له انت تريد ان تنقض العهد والميثاق والتوبة الذى تبتها والاتفاق فقال له أنا حالف فقال له بيبرس انت حلفت قبل التوبة والآن فانت تبت عن المعاصى فقال عثمان وحلفت يمين آخر وهو انى ماأدخل بيتى الا برأسك فى يدى فقال له الامير وأنا حلفت كذلك فقال له عثمان خلينى اقطع رأسك وانت اقطع رأسى وادخل أنا برأسك وادخل انت برأسى لاجل ينفك اليمين فقال له بيبرس أنا أحلل لك اليمين من غير قطع رؤوس وهوانى اقبض على شوشتك وانت كذلك وأنا أضرب الباب برأسك وانت تضرب الباب برأسى وتدخل وانت قابض على راسى وانا كذلك' ينفك اليمين والسلام فقال له عثمان ومن الذى علمك هذا الكلام وانت شاب صغير والله ان كلامك ذى جبنة المهات كلما ناحت خر عسلها هذا وقد دخلوا البيت وهم في سرور ففرحت الحبله وتلقت الاثنين وأخذتهم بعلو الاحضان وسلمت عليهم سلام الاحباب فقال عثمان ياحبله افرحى أنا بقيت شاب تائبا خائفا تائب لالى ولا على وخدمت الاشقر على مقام المبرقعة وبقيت اخوه هاتى الغدا ياحبله هذا وقد احضرت المائدة فأكلوا الاثنين وانشالت الاوانى وغسلت الايادى وذكرت قامة النبي الهادى (ياساده يا كرام) فقال عثمان قوم ووروح الى بيت نجم الدين البندقدارى فقال له لاى شيء انت لاتروح معى فقال له حتى اجمع مشاديدى وأقول لهم انى بقيت رجل تائب ولا بقيت اخطف شيء والذى يخطف شيء فهو له واقضى شغلى فقال له بيبرس وما هو شغلك قال بس أقول لهم اخطفوا وكلوا واشربوا على قدر حالكم واجمع المشاديد واعلمهم بما جرى على من هذا الامر الشديد واقول لهم كلوا واشربوا واخطفوا على قدر حالكم

واحكي لهم قصتي واكشف لهم نوبتي وافوض أمرهم الى أنفسهم واقول لهم كلما خطفتوه فهو لكم ولا احد فيه يشارككم لانى الآن بقيت رجل خائف تائب عائب دائب فاذا انا فعلت ذلك اعود اليك قال فلما سمع الامير بيبرس كلامه تعجب وزاد به الابتسام وقال له ياعثمان من شروط التوبة النصح للملك العلام فان كنت ياعثمان تسمع مني قولي وتركن الى عملي وفعلي فاحفظ توبتك وارفع الى الله تعالى قصتك وقضيتك عسى الله ان يتوب عليك ويقبلك وان رجعت عن المتاب فاعلم ان الله شديد العقاب وانه يصب عليك العذاب كما اخبر الله تعالى في القرآن المجيد على لسان سيد بني عدنان صاحب الفخر والارشاد قوله تعالى (ان ربك لبالمرصاد) ثم ان بيبرس لم يزل يحذر عثمان ويوعظه بشيء من القرآن ويشير له من احاديث سيد الانام ويوعظه ويظهر له البيان ويزجره بكل ماقدر عليه من الكلام ويخوفه من عتاب الملك المنان الذى لايشغله شان عن شان حتى لان ثم ان بيبرس جعل يقول له هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

الا يا أخي فاسمع كلامى   وكف نفسك عن الحرام
واتق الله فى كل وقت   واحفظ لسانك لا تنام
فان خفت ربك نات مجدا   وعزاً ورفعة واعلى مقام
واعطاك ربك دار خلد   واسكنك ربك دار السلام
ويرحمك الله مع كل محب   ويحشرك فى زمرة الاسلام
وان لم ترجع عن ذى المعاصى   وتترك الحرام والاثام
والا غرقت في وسط بحر   من النيران زائدة الاضطرام
تقع الامعاء منك حقا   وتقطع الاكباد مع العظام

فالدنيا دار لكل فانى   والآخرة خير لكل الانام
وهو مرغوبى وغاية مرادى   فنعم الدار خير المقام
وكل من على وجه الارض يفنى   ويزول الصباح مع الظلام
فارجع ياأخى عن ظلم النفس   وكن ياأخى راجيا مستهام
فطوبى لمن تاب لله حقا   وياشقاوة من عاد الى الخصام
فما الدوام قط لغير ربى   هو الكفيل بكل الانام
رازق العباد كريم العطايا   صاحب الاحسان والانعام

(قال الراوى) فلما فرغ الامير بيبرس من شعره وما قاله من نظامه ونثره تعجب عثمان منه ومن فصاحة لفظه ودخل عقله فقال له عثمان لقد سمعت كلامك واعجبنى نثرك ونظامك فانزل الى حالك واتركنى حتى اقضى ماقلت لك فقال له ياعثمان انا متوكل على رب العالمين وسائر الى بيت الوزير نجم الدين وانت الى أين قاصد وعلى ماانت وارد فقال له الى مغاير الزغليه وتلك الرسوم الخالية واجمع مشاديدى واقول لهم بما جرى لى بالكلية واطلعهم على تلك القضية فقال له ياعثمان تب الى الملك الرحمن وتوبهم عن الاذية ولا تدعهم يأذوا احد من البرية فقال له عثمان بعد ان تضحك عليه أتوبهم لاجل ان يموتوا من الجوع وبصير أشجع مافيهم مفجوع وهذه الصناعة يأكلون منها ولا لهم سواها فقال له سر بهم الى عندى ودعهم يخدمونى ويخدموك وأنا أكفيهم من المال الذى اعطانى ربى فقال له عثمان وانت عندك خير كثير حتى أقدم اليك بهذا العشرة فقال لا ولكن ياعثمان كل انسان برزقه ويوجد له من خلقه ولعل الله ان يوجد الخير على قدومهم ويزيد ربنا فى رزقى ورزقهم فقال له عثمان والله ياأشقر لقد صدقت فيما به نطقت ولكن سر انت الى بيتك وانتظرنى

حتى اذهب اليهم وأتوبهم وأعود اليك بهم فعند ذلك سلم عليه بيبرس
ونزل من المكان وركب جواده وسار طالب الاوطان فهذا ما كان من
الامير بيبرس (قال الراوى) وأما ما كان من أمر عثمان فانه بعد نزول
الامير من عنده قوى حيله وأظهر جلده ونزل من عند أمه غذية وسار
طالب مغارة الزغليه ولم يزل سائر والخلق تخشاه ويهربون من قدامه كل
من رآه حتى انه اشرف على المغار وهو يسبح الله الملك القادر القاهر
هذا وقد نظروه غلمانه ومشاديده فتلقوه وقبلوا يديه وبالسلامة هنوه
وعن أحواله سألوه فاخبرهم بما جرى له والامر الذى ناله وقص عليهم
القصة من أولها الى آخرها وكشف لهم عن ظاهرها وباطنها ثم انه قال
لهم الآن أريد منكم انكم تكونون مثلى وتفعلون كفعلى وتتوبوا الى الله
وترجعوا عن أذية الخلق وتخدموا عند الاشقر الذى اعطاه الله القوة
والمنظر وأنا أسأل الله أن يتوب عليكم كما على قد تاب لانه
كريم حليم تواب فقالوا له انت سيدنا وأميرنا ونحن فى طوعك
وانت كبيرنا فلو أمرتنا ان نخوض البحار لخضناها ولو وقدت لنا
النار لدخلناها فافعل بنا كما تشتهى وتريد ونحن لك اطوع من العبيد فنلك
الامر ومنا الاجابة وعن قولك قط لانحيدفلماسمع عثمان منهم ذلك الكلام
انسر به وهام وقد فتح الله على قلوبهم وعليهم قد تاب وغفر لهم فعند
ذلك اخذهم الاسطى عثمان وسار بهم الى رحاب السيدة صاحبة المقام
المبرقعة بالانوار وأمرهم بالوضو فتوضوا وعلمهم كيف انهم يصلوا وقدفعل
بهم كما فعل به الامير بيبرس وزال عنهم التعس والنكس وخرج بهم بعد
ذلك من المقام وسار بهم الى نحو بيت الامير الهمام فلما صاروا فى وسط
الطريق أذن عليهم الظهر بالتحقيق فقال لهم الاسطى عثمان اننا نريد ان

نصلي الظهر مع الاخوان وهو حاضر قبل ان يفوتنا وقته ويغيب فنحن نصليه من قريب فقالوا له افعل ماتريد فتقدم عثمان الى رجل فخار وقال له ياشيخ أعطني واحد وثمانين ابريقا يكونون قد بعضهم ولا تزيد واحد منهم على امثاله فقال له سمعا وطاعة ياأسطى عثمان وناوله الاباريق وهو خايف فزعان فاعطى لكل رجل من رجاله ابريق فاخذوهم في الحال من غير تعويق هذا والرجل الفخار قد لعبت ركبتاه وتفصلت منه يداه ورجلاه وقد لاحت من وجهه عيناه وعثمان يعلم منه ذلك ولا يعتني عليه حتى كاد الرجل من شدة خوفه من عثمان ان يغشى عليه فقال له عثمان كم يكون حق هؤلاء الاباريق فقال له الرجل سر فقد سلك الله لك الطريق وكفاك شر المضيق واعلم ان ثمنهم وصل الي من قبل ان تأتيني وتمر علي فقال له اعلم ياشيخ انى تبت عن ذلك الفعال التي كنت افعلها ولا بقيت افعل مثل الامور التي كنت انت وغيرك تعهدها مني ثم ان عثمان بعد ذلك اخرج دينار من الذهب وناوله اياه فاخذه لما سمع كلامه وفهم معناه ثم ان عثمان انتقل الى رجل آخر عطار عنده السلب فاخذ منه لكل ابريق حبلا من الليف الاحمر قدر ذراعين او اكثر وأمرهم ان يربطوا ذلك الاباريق بالحبال ففعلوا ذلك في الحال ثم دنى من السهريج فامرهم ان يملوا الاباريق فملوها وقال اذا وجب علينا الوقت نصليه حاضر فى الاسطبل ولا نتعب أرواحنا في كل محل فقالوا له لقد قلت الصواب واتيت بامر لايعاب ثم انهم حملوا الاباريق تحت اباطهم وعلقوا حبالهم في أعناقهم فصاروا كأنهم فقراء من أرباب الطريق وأهل التحقيق هذا والناس قد نظروهم وحاروا من أمرهم وتعجبوا من حالهم وهم يشيرون اليهم ولم أحد يقدر على التكلم بل انهم يسررون بعضهم ويقولون هذا عثمان بن الحبله الذى انزل على الناس البلا والمحنه وحق من

خلق الخلق وبسط الرزق ورزق اليسير وهو الكريم المقتدر ماهذه الاباريق الا مليانين خمرا حقيق وهذا قد جعله على سبيل الهزل وباهل الطريق وما هو الا زنديق ولا يعلموا بانه قد تاب ورجع عن اللوم والعتاب وكذلك كل من له من الجند والاحباب والغلمان والاصحاب ولم يعلموا بانهم خدموا الامير والسيد الخطير (ياساده) وقد اطلع الله الاسطى عثمان على اسرارهم وعلم بما في قلوبهم وما ظنوه من ظنهم فاقبل عثمان الى الرجل المتكلم الذي هو بالله قد أقسم وسلم عليه فرد عليه السلام وقد صارت الدنيا في وجهه ظلام وأخرج العمامة من فوق رأسه وناولها الى عثمان وهو منزعج الحواس فقال له عثمان اعلم ياهذا ان ربي كريم يغفر كل ذنب عظيم ولكن أنا تبت عن هذا الامر الذميم وفعلت فعل رجل كريم فالبس عمامتك واصغي الى قولي بكليتك فلبس الرجل العمامة على رأسه وقد ظن ان عثمان يهد منه أساسه فقال له امسك هذا الابريق فمسكه الرجل من غير تعويق فقال له عثمان اشرب منه على قدر الأطاقة فقال ولماذلك يا أسطى فقال له بعد ان تشرب اخبرك والا ضربت بالرزه رأسك واسكنتك رمسك فعندها أخذ الرجل الابريق وشرب منه على قدر مايطيق وأنزله من على فمه وناوله اليه فاخذه وقال له هذا ماء عذب صافي التذويق أم هو خمر عتيق فقال له بل هو ماء وحق من خلق الاسماء فقال له اعلم انى مافعلت معك هذا الفعال الا لاجل ان ترجع عن الايمان والاقسام الباطله بالملك العلام فقال له لك على ذلك ثم ان عثمان تركه بعد ان اشرف على التلف من شدة خوفه على مهلكه وسار عثمان هو ومشاديده حتى أنهم دخلوا الى بيت الوزير نجم الدين البندقدارى فرآهم بيبرس من المقعدوهم بذلك الاباريق فتعجب غاية العجب ولم يعلم مالهذا الامر من سبب ثم انه نادى بعثمان

فاجابه بالتلبية فقال له احضر الى عندى أنت ومن معك من مشاديدك فاخذهم عثمان وطلع بهم الى عنده فى الايوان وقال لهم بوسوا يد الامير فتقدموا وسلموا ودعوا وخدموا وباسوا يده فقال الامير ياعثمان ماهذه الاشياء والاباريق التى انتم تحملونها وما فيها فقال قد جعلناهم لاجل الوضو وقد ملیناهم من السهريج حتى اذا جاء وقت من أوقات الصلاه يكون عندنا الماء حاضر قال فلما سمع الامير بيبرس من عثمان ذلك الكلام تعجب وقال له ياعثمان اعلم ان هذا الماء مكروه فى الوضوء لانه مسبل للشرب وقد جعله صاحبه سبيلا لمن كان عطشان ولا يجوز الوضوء به الا باذن من صاحبه والا فالوضوء جايز مع الكراهة وان الماء بعد ذلك كثير فقال له عثمان واذا وجبت الصلاة فى أى مكان يتوضوا فقال له الامير بيبرس اتركوا هؤلاء الاباريق فى الاسطبل واستريحوا من حملهم بذلك الحبال واذا جاء وقت الصلاة فعندكم الحنفية وهو الحوض الكبير الذى بجانب البئر وعليه خمسة عشر بزبوز فتوضوا منه والسلام فقال الاسطى عثمان سمعا وطاعة ونحن نفعل ذلك من تلك الساعة فقال الامير بيبرس الذى اعلمكم به انى رجل لا اريد اذية أحد من الناس وانتم كنتم قبل هذا الآن تفعلوا فعل الارجاس والآن رجعتم على ما كنتم عليه فلا تظلموا أحد من البياعين ولا من المتسببين وعليكم بالحق والانصاف واتركوا الجور والاسراف وانا أعطيكم كلما تطلبوه من الاموال ورزقى ورزقكم على ذو الجلال ثم انه اعطى لكل واحد منهم خمسين دينار واعطى لكل واحد ثمن بدلة يلبسها كما يختار وقال لهم اعلموا ان هذه الدراهم لاجل المصروف الخارج عن المصالح اللازمات من مأكول ومشروب ومحايات وانما هى لكم تنفقوها فى الاسواق في فاكهة ومثل هذا الاتفاق واما الآخرين فكل واحد يشترى بدله يلبسها واذا نفدت

هذه الدراهم باجمعها اطلبوا غيرها من الاسطى عثمان وعثمان يأخذ منى
مايشاء ويختار لانى اعلم ان الحياء يمنعكم منى فافهموا ما ذكرته لكم ولا
تتركوه واحتفظوا عليه في عقولكم ولا تنسوه لانكم تعرفوا عزمى وهمتى
ولا تتفكروا شيئاً من براعتى ولا تظنوا ان كبيركم يحميكم فان بلغنى خبر
بانكم ظلمتم أحد من الناس اذقت كل من فعل ذلك العذاب واورثته الوسواس
لانى تكلفت لكم بكل ماتحبون من مونه وكسوة وغير ذلك فلا تعرضوا
أرواحكم الى الهلاك فقالوا له بعد أن قبلوا يده يا أميرنا رضينا بهذه الشروط
ثم انهم نزلوا الى الاسطبل فتلقاهم عقيرب وفرح فرحا شديدا ماعليه من
مزيد وقبل يد الاسطى عثمان فقال له اصلح شأن الاسطبل فاجابه بالسمع
والطاعة وقد نهضوا وأصلحوا شأنه وكنسوه ووضعوا الاسرة والفراش
من فوقها في صدر الاصطبل فجلس عثمان وقد وقفت في خدمته الثمانين
جماعته والثمانين الاخرى الذى لعقيرب وما زال على ذلك الحال الى ان
جاء وقت العصر فسمع عثمان الاذان فقال الصلاة ياجدعان فعندها تجاروا
الجميع وتوضوا وفي أولهم عثمان من الحنفيات فقال عثمان ياعقيرب انت
اعمل مبلغ وأنا اعمل لكم امام فقال عقيرب هذا هو الصواب وقد صفهم
عثمان صفوف وجعل كل صف منهم عشرة واوقف عقيرب وراءهم وتقدم
هو امامهم هذا كله يجرى والامير بيبرس يسمع ويرى فلما رآهم على ذلك
الحال أخذ المماليك الذين له ونزل اليهم وقد قصد الفرجة عليهم فتقدم
عثمان وقال نويت أصلى فرد صلاة العصر أربعة ركعات انا وهؤلاء السياس
الثمانين متاعى والثمانين متاع عقيرب الله اكبر فعند ذلك نووا الجميع وراه
فى الحال وقد قالوا مثل ماقال ثم ان عثمان قرأ نصف الفاتحة والتفت الى
الجدعان وقال لهم خلوا كتافكم جنب بعض لا يتأخر أحد منكم عن صاحبه

وعاد يكمل النصف الآخر من الفاتحة هذا والامير بيبرس لم يقدر ان يتكلم بما به من الضحك على عثمان وجماعته ثم انه قال ياعثمان بطلت صلاتكم لان الكلام يبطل الصلاة وان الصلاة لها أركان معدودة فان بطل ركن واحد بطلت الصلاة فقال عثمان يبقى الكلام حرم قال له نعم يحرم الكلام في الصلاة ويبطلها فانوى ثاني مره فقال عثمان الصلاة الاولى مانفعت قال له نعم فقال عثمان نويت اصلي العصر أربع ركعات وانا الامام وعقيرب الدائر يدور طريقين الله اكبر فضحك الامير بيبرس عليه ومد يده اليه يعني ارجع للنية فرجع عثمان ثالث مرة وقال نويت الصلاة بالسياس الله اكبر فاشار الامير اليه فعند ذلك اغتاظ عثمان وقال له حشش يدق في بيضك ولا يرخيك حتى تطلع روحك ان هذه صلاتنا وعلى قدر ما نعرف نقرأ وما نصلي الا كما نعرف ثم قرأ شيئا من الفاتحة وقال الله اكبر وحنى القوس وأخرج رأسه من بين رجليه وقال ياعقيرب اجعل رجلك جنب رجل رفيقك فقال بيبرس هذه عوض التسبيح ثم انه قال ياعثمان ان هذه الصلاة باطلة فقال عثمان ولاي شيء قال لانك خرجت من الصلاة وتكلمت بكلام اهل الدنيا فقال عثمان انا تكلمت من تحت والتخريج من فوق قال له بيبرس يا اخي الكلام مبطل ان كان من تحت او من فوق فقال عثمان اعلم انا من اولاد أبو شافع وانت من اولاد ابو حنيفه فانت بنية ونحن بنية والبيوت ماهي مثل بعضها فقال له الامير افعل ماتريد فصلى عثمان على هذا الترتيب وصلت وراه اتباعه واتباع عقيرب ولما فرغ من هذه الصلاة اخرج السبحة وقد اخذها من يد سيده وجلس على سريره وجعل يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصلوات والرجال يسمعون منه ويقولون مثله وهو يقول اللهم صل

على سيدنا محمد وآله وصحبه عدد الخيول الشهب اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد الخيول البلق اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد الخيول الدهم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد الخيول الحمر اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد الخيول الشقر اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد الخيول العرج اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد الخيول العمى اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد الركابات وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد اللجامات وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد الشكلات وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد الكحيلات اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد الأوتاد اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد الاكاديش اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد الجدعان وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله عدد الحمير والجمال والخيول كلها والبغال والبقر والأغنام والطير والوحش والهوام وما فيهم من الشعور والاوبار وعدد مايخطوا بها ارجلهم من ابتداء الدنيا الى يوم الميعاد وعلى آله وصحبه وسلم (قال الراوى) ولما فرغ عثمان من الصلاة على سيد ولد عدنان قال له الامير بيبرس ياعثمان تم الصلاة على سيدنا محمد بأى صفة مقبولة ليست مردودة وتصح الصلاة عليه بكل ما كنت تقدر عليه ولكن تعظيما لقدره عليه الصلاة والسلام فينبغى ان يقال عدد الاشجار والامطار والبحار والانهار ولا تقول الخيول الدهم والزرق وغير ذلك مماقاته من المقال فقال له عثمان نحن صلاتنا هذا وليس لك بنا حاجه قال ثم ان عثمان جلس في مكانه وطلع بيبرس الى ديوانه وصلي وراء الامام الذى للوزير نجم الدين البنقدقدارى (ياساده)

باكرام ولما فرغ الامير من الصلات وجلس أمر باحضار الطباخ فلما
حضر قال له مرادى انك توسع المطبخ بالخشن والضان وتجعل لى مطبخا
تفردى وعلى رأيى وتعمل فيه برسمي لاجل رجالى وكل ما كان تحت
يدى وكل ما كنت تحتاج اليه من اللوازم انا اعطيك اياها ولا تسئل أحد
غيرى فى معناه فقال له ياسيدى على الرأس والعين وجميع ما فعلته فهو
حسن لاشين وانا أسأل الله تعالى ان يعلى قدرك والى اعلا المناصب
يرفعك ففرح الامير بدعاه واخرج شيء من المال واعطاه وشكر فعاله ونزل
بعد ذلك الى حاله وجعل يشتغل بما به امره وقد باتوا تلك الليلة على اتم
حظ وأكمل راحة وقد آمنوا على انفسهم من التعب والتراحة ولما اصبح
الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح نزل الامير بيبرس وصلى صلاة
الافتتاح واكل ما راح من الطعام وصاح بعثمان فاقبل اليه وخلفه الغلمان
وهما الطائفتان وقبلوا يد الامير ووقفوا ينتظرون ما يأمرهم به من الامور
فقال الامير يا عثمان انا قاصد دكان اخى كريم الدين فقال عثمان انت تعرفه
يا امير فقال له هو اخى فى عهد الله تعالى وابوه ابى وامه امى على ما يرضى
رب العالمين وانت ياعثمان تعرفه قال انا اعرفه من قبلك بعدة ايام لانى
نبطته واخذت منه الثلاثة عمايم الكبار فقال بيبرس وقد تبسم لاحول ولا
قوة الا بالله العلى العظيم ياعثمان انى لم ارى احد سلم من شرك وجزاك
على مولاك ولكن من الآن يامشتى ان فعلت شيء مايكون خصمك الا
هذا الات الدمشقى فقال عثمان خيب الله من دمشقه ثم بعد ذلك خرج بيبرس
من البيت وركب وسار الى الدكان والاوسطى عثمان خلفه والغلمان وكان
البرنس على رأسه وقد سار يقرط على اضراسه فلما أقبل الامير الى دكان
كريم الدين نهض له وتلقاه وقبل يداه واجلسه وأكرم مثواه وكذلك أولاد

الحاره قد اتوا وسلموا وجلسوا وبعد ان استقر بهم الجلوس التفتوا الى الامير بيبرس وقالوا له انت قد احرمتنا من انسك ايها الامير لانك من مدة لبست المصبغات وشقيت وانت قد امتنعت عنا بالكلية وقد غيبتك عنا خدمة مولانا السلطان وهذا يا أخي ماهو من شروط محبة الاخوان ولا مرافقة الخلان لانه قد قال الشاعر

مالأخ الا من وافاك حرجا ورعا عهد ودك في الرخاء
وأعانك في كل صعب وابذل المجهود حقا والعطاء
واعطاك من ماله كل مارمه وان وقعت كان اث الفداء
فهو الاخ الصديق حقا فلا تكف عنه في الاشياء
وما دون ذلك فاجتنبه فانه والله ليس له وفاء
فكن صديقا لكل محب وكن بعيداً عن صحبة الاشقياء

(قال الراوى) فلما فرغ المتكلم من هذه الابيات قال له الامير بيبرس اعلم يا أخي انى كنت مشغول في امر من الامور وقد تيسر لى باذن الملك الغفور وحصلت فى ذلك امداد السيده نفيسة العلم صاحبة العطا والجود والحلم فببركتها بلغت المقصود وقد نلت غاية المطلوب من الرب المعبود فقال له الشيخ يحيي الشماع ياولدى من مدة ثلاثة ايام ما رأيناك اعيانا ياصاحب الاحترام فأين كنت ياولدى وما سبب هذه الغيبة فقال يا أبى كنت ادور لى على خدام حتى يكون لى راحة من شدة الوحدة والايام ويساعدنى على ركوب الخيل وخدمة الحصان فقال له الشيخ يحيي ياولدى جعلك الله في الامان وهل رأيت لك خدام قال نعم قد استخدمت رجلا ابن حلال فقال له الشيخ يحي من يكون هذا الرجل وما اسمه بين الرجال اخبرنى بحقيقة الحال حتى انى اوصيه عليك وأخليه يحفظ مقامك ويرعى

زمامك ويقبل يديك فقال له ياسيدى هو رجل اتيت به الى عندى يقال له ابن الجباه عثمان وحق صاحب الامتنان ثم انه حدثه بالقصة التى جرت له مع الاوسطى عثمان من أولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها (قال الدينارى) ولما سمع الشيخ يحى بذكر عثمان غاب عن الدنيا ونسى الاوطان وقد اسودت الدنيا بين عينيه ولا بقى يعرف ما بين يديه ثم ان الشيخ من شدة خوفه من عثمان لم يفهم من الامير ماذكره له من البرهان بل انه اخذ العمامة من على رأسه وأرماها داخل الدكان وقد بهت الامير من فعاله وما نزل عليه من الهوان وقد جلس الشيخ وهو منزوع الرأس منزعج الحواس وقد سكت عن الكلام وزاد به الوسواس والانذهال من شدة ما سمع من الاقوال فزاد بالامير العجب من ذلك الحال وقال له ياسيدى لاى شيء فعلت هذه الفعال ورميت العمامة الى داخل الدكان فقال له ياولدى لا تسألنى عن فعالى التى فعلتها فوحق رأسك ماعندى عمامة غيرها وان هو اتى واخذها يتكدر عيشى من أجلها لانى ياولدى من العلوم ومالى في دار الدنيا سوى ما على بدنى من الهدوم وهذا ياولدى رجل قبيح لا يهدى عن الاذية ولا يستريح لانه اخذ منى مثلها ثلاثة عمايم كبار قبلها وان هو منى طلبها لاأقدر منعها واقعد بعد ذلك بحسرتها فقال له يا أبى لاتخاف ولا يأخذك لاجل ذلك ارتجاف فوحق صاحب الالطاف ان عثمان قد تاب عن الجور والاسراف وقد توبته عن الافعال الذميمه على مقام السيده نفيسه الجليله الكريمه فالبس عمامتك على رأسك وهدى روعك وسرك ويأتيك بكل ما آخذه منك لاجل انك تصالحه ومما فعل فى حقك تسامحه ويصالحك وتصالحه ثم ان الامير قص عليه القصة ثانيا بعد ان هدى روعه وقل عنه هوله وقد قال الشيخ ياولدى اذا كان الامر كما ذكرت والحال على ماوصفت نخليك

الى جنبي مقيم لأني أخاف من رؤيته خوفا شديد ماعليه من مزيد فقال له الامير يا والدي لا تخاف أبداً فروحي لك الفدا من كل سوء وردي فلما سمع الشيخ يحى لبس عمامته واعتدل في قعدته وهدا روعه وسريرته وجلس يتحدث مع الامير بيبرس فهذا ما كان من نوبته وأما ما كان من أولاد الحسينية فانهم حاروا مما سمعوا وقد أهالهم ذلك وقد علموا ان مابقي لهم مقام مع الامير بيبرس مادام انه خدم عثمان فاظهروا الجلد واخفوا الكمد واصطبحوا على حسب العادة وسلموا على الامير بيبرس وراحوا الى حال سبيلهم فهذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من عثمان فانه سار خلف الامير بيبرس وعلى رأسه الملاية وقد وقف بعيد من الدكان وجعل ينتظر الى خروج اولاد الحسينية ومعه الجدعان وقد اوقف عقيرب الى الجهة الاخرى وذلك خوفا ان ينفلت منهم انسان فبينما هو كذلك واذا برجل مقبل عليه وقد كان معهم فى الدكان فلما وصل الى عثمان كشف الملاية عن رأسه ورقص له شواربه واحدق نحوه بالاعيان فانزعج الرجل وأخذه الانذهال من ذات الحال فأشار اليه عثمان بيده فأقبل اليه وقد قلع عمامته من على رأسه بيده وأتى بها اليه فقال له عثمان أنا تبت فقال له الرجل خذ هذه وبعدها تب واتركني امضى الى حالي فقال له عثمان امض من هاهنا الى الدكان وقل للشيخ كريم الدين ان رجل واقف خلف الدكان يريد ان يكلمك لاجل شيء عرض له من الاحكام فلا تتوانى عنه بل اجبه فى عاجل الحال فقال له سمعا وطاعة فقال عثمان سر اليه ولا تذكر اليه انه أنا ولا تمهل عليه فسار الرجل وهو يتعثر في اذياله ولا تسئل على ماجرى له لان خراه نزل فى سرواله لما أصابه من الخوف من عثمان وافعاله فكركب بطنه عليه

وقد انفرطت عروق مخرجه فاذا سأل عن روحه مما جرى عليه ثم ان الرجل عاد الى الدكان وهو على ماذكرنا من الامر والشان وقال يا كريم الدين اجب رجل يدعوك اليه فى شيء قد عرض له وهو يريد يسألك عليه ولا تتوانى لانه في انتظارك يريد ان يأخذ خطابك وجوابك فقال سمعا وطاعة ثم انه خرج معه الى ان اقبل به الى عثمان فلما تحققه زاد به الهيمان ونزل عليه الخذلان وارتعب منه القلب واليدان فقال انا فى عرضك يااسطى عثمان فقال له عثمان لا تخاف فانى تبت عن الاذى والبهتان وقد خدمت عند الامير بيبرس من امس فقال له ياسيدى قد بلغنا ذلك والله تعالى يجعله عليكم عاما مباركا لانك بقيت اخينا فالله يعطيك كلما تتمناه فقال له عثمان انى اريد ان اسألك عن شيء واحد فاصدقنى فيه بحق الملك الماجد وسرها فى مقامها ان تخبرنى على ما اسألك عنه والا انبطك بهذه الرزه فقال له قل ماشئت وانا اخبرك عن كل مارمت فقال له أولاد الحارة يأكلون من عندك حلاوة ويشربون عرقسوس ولم ارى واحد منهم يعطيك شيء من الفلوس هل ترى لك عليهم ماهية ام يعطوك حقك بالشهرية فقال لي على الصحيح من قبل ان تجملك طريح فقال له اعلم يااسطى عثمان ان لهم اربعة اشهر تمام وهما يأتوا الى الدكان ويأكلوا ويشربوا على سيدك الامير بيبرس وحق الملك المنان قال فلما سمع عثمان ذلك الكلام قال له امضى انت الى دكانك ولا تبدى شيء للامير فى سؤالك فأجاب بالسمع والطاعة وعاد الى مكانه من تلك الساعة ولا يبدى لاحد خطاب ولا يتكلم بشيء من الاسباب فهذا ما كان منه (قال الراوى) واما ما كان من عثمان فانه وقف فى مفارق الطريق وارتصد اولاد الحسينية في المضيق فبينما هو واقفا لهم واذا بهم قد اقبلوا عليه ولا يعلمون بذلك فلما

رآهم رفع الغطا واقبل عليهم مثل القضا وطرق رزته وزاد في جرته
وقال هذا المو'ل اليبن قالت اى شي ابحث قالت له غالب والنفس مالت
لعمرك والحب غالب والجميل قاللى اى شي مرادك قلت له طالب وسالك
اسوق عليك بساكن المعالى ابو طالب (قال) ولما فرغ عثمان من
مواله وشاهدوه اولاد الحسينية وقد رأوا ماصنع من اعماله حارت
منهم الافكار وزاغت منهم الابصار وتمنوا ان الارض تبلعهم وبهم تغار
ولا يقفوا بين يدى هذا الجبار وكانت أرجلهم في الارض قد تسمرت
وقلوبهم من الخوف ارتجفت ومفاصلهم تخاخات ولا بقوا يدرون من أين
أتوا ولا من أين يذهبوا فقال لهم عثمان اسمعوا مقالى وانتم تعرفون فعالى
هل عندكم خبر خدمت انا عند من قالوا له لا نعلم بشيء من ذلك ياسطى
قال عند الامير بيبرس اغاة الوشاقية وقد بلغنى انكم في عشرته من مدة
أربعة أشهر وأنتم تأكلون حلاوة وتشربون عرقسوس ولا تحاسبوا على
أثمان البضاعة ولا تدفعوا فلوس وان الرجل جعلنى وكيلا حتى اخلص
له ثمن البضاعه ولا ينكسر فيها بالاضاعه فقالوا له يا اسطى انه كان يعطينا
كلنا وحقه على سيدك وهو يوصيه علينا فقال عثمان هل كان قريبكم أو
ابن عمكم حتى يطعمكم ويسقيكم ولا يأخذ منكم بل يعطيكم ولكن
حاسبونى والا انبطكم بالرزة وتفقدكم الاحبة والاعزة فقالوا له الحساب ظاهر
كل واحد منا عليه ماية وعشرون جديد وأنا رضيت بهذا الكلام السديد
فقالوا له اعلم ان الذى معنا نعطوه اليك والذى يبقى علينا تصبر علينا
ونحن ندفعوه لك فقال عثمان انا مرادى اعجل ولا اصبر على أحد منكم
ولا أمهل هذا وقد اخرجوا مامعهم من الجدد وسلموه لعثمان فاخذها
وقال لهم واين الباقى فقالوا له مامعنا خلاف ما أعطيناك فقال عثمان عمايكم

تسد فى الذى عليكم وحوايجكم فقالوا له خذ هذا الطربوش قال عثمان بقرش وهذا الشال قال بقرش وهذه العمامة قال بقرش وهذا اللباس قال بقرش والبلغة بقرش وكان عثمان عنده القرش والجديد حسابهم واحد لا يزيد ولا ينقص ولم يزل يفعل بهم ذلك الفعال حتى تركهم مثل ما نزلوا من بطون امهاتهم فوقفوا الجميع الى جانب بعضهم وحاروا مما عاينوا وضاقت عليهم الارض وحلف كل واحد منهم انه لا بقى يقرب ذلك الدكان ولا [illegible] بيبرس لا ليلا ولا نهاراً ما دام عثمان على ذلك الشان هذا وقد ساروا [illegible] عورتهم بأيديهم فهذا ما كان منهم وأما ما كان من عثمان فانه جمع الحوائج وجعلهم عقدة كبيرة وأقبل الى جانب الدكان ووضعهم فى الارض وجلس عليهم وترك أصحابهم فهذا ما كان منه وأما ما كان من أولاد الحسنيه فانهم ماهان عليهم ذلك الفعال وخافوا ان يسيروا الى أماكنهم على تلك الحالة وقد اخذهم الاندهال فقالوا العقلاء منهم نمضوا ونعلموا بيبرس لعل ان يزول عنا ما نزل بنا من النحس والنكس فقالوا لهم الآخرين ان عثمان هناك وان رآنا يورثنا الهلاك فقالوا لهم لابد لنا من ذلك ولا تشمت فينا العدى اذا رؤنا على حالة الردى ثم انهم ساروا باجمعهم حتى انهم وقفوا قدام الدكان وكان الامير بيبرس لا يعلم بشيء من ذلك الايقاع لانه كان متلهى مع كريم الدين والشيخ يحيى الشماع فلما وقفوا قدام الدكان وقد نظرهم الامير بيبرس على ذلك الشان تغير لونه واضطرب كونه وقال لهم ما حالكم وما الذى جرى عليكم ومن اخذ متاعكم وتركم عبرة لمن يراكم فقال واحد منهم يا مولاى انى ارسلت عمامتى الى البيت لاجل أن يغسلوها لانها قد نزل عليها نجاسة وقال الآخر وانا ارسلت الخضرة واللحم فى الهدوم والعمامة وقال الآخر اناجبتى فيها مواضع وقد أعطيتها لرجل

صانع يخيط مافيها من الفتوق والقواطع فقال الآخر أما انا فكانت ملابسى كلها حمرة فأخذتهم الحداية وطارت بهم ولا أدرى فى أى مكان تركتهم فقال الامير وأين شالك الذى على اكتافك قال له أكله الفار وهو على الصفة فأخذته وسلمته الى رجل رفاى حتى انه يرفيه ويصلح العيوب الذى ظهرت فيه وصار الامير كلما سأل واحد منهم على متاعه ولباسه يحدثه بهذا الكلام الهزيان خوفاً وفزعا من عثمان لانه كان يسمع قولهم وينظر اليهم وهو يضحك عليهم ولا يبدى كلام ولا ينطق بشفة ولا بلسان (ياساده) فلما سمع بيبرس ذلك الكلام قال لهم ياناس هذا كله ما دخل عقلى ولا تصور فى فكرى فعليكم بالصدق والصحيح فلا تخافوا ولا تفزعوا فقال واحد منهم يامولاى انت لبيب وتفهم المعانى من قريب وانا أقول لك عن ذلك الاشارة فكن فاهما لها باحسن عبارة فالذى جرى علينا من بعض أتباعك وياليتنا ماعرفناك ولا اجتمعنا بك فما نابنا من المعرفة الا ما رأيته أنت مما نحن فيه من الصفة فقال لهم الامير ومن هو الذى فعل هذا الفعل وأورثكم هذا الوبال فقال رجل منهم وهو يشير بأصبعه الى عثمان ولا يقدر ان يتكلم بكلمة واحدة بلسان لا اله الا الله واحد أحد فرد صمد لا له شريك ولا رفيق ولا ولد فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام سار الضيا فى وجهه ظلام وخرج الى خارج الدكان فرأى الاسطى عثمان وهو جالس على الحوايج كأنه سلطان فتقدم الى عنده وقد قال له وقام على الاقدام ونظر الامير الى ما معه من حوايج وامتعه فقال له ماهذا الشان وماالذى معك ياعثمان فقال له ما معى الا هدوم هؤلاء العرصات الذى يأتون اليك فى كل الاوقات فقال له وقد تعجب انت نقضت التوبة ياعثمان قال لا وحق

الملك الديان ولكن انا أخذتهم ببيع وشرى من غير ظلم ولا افترى واسألهم بما جرى يخبروك عنه فالتفت الامير اليهم وعن ذلك سألهم وقد أمنهم علي انفسهم فأخبروه بالقصة من أولها الى آخرها وكشفوا له عن باطنها وظاهرها فقال لعثمان ويلك ولاى شيء فعلت هذا الفعال القباح فقال عثمان اقعد وحده يامشكاح اما تعلم ان هؤلاء أولاد مصر مامنهم الا له صناعة [illegible]ل فيها بقوته وقوت عياله فلما رؤوك تركوها وبصحبتك بدلوها وقد [illegible]م اربعة اشهر بطالين ومعك لاهين ولاعبين فان انت أقمت على هذا الحال أخذوك وأكلوا اما كان معك من المال واذا انت نفد ماعندك من المتاع تركوك وما منهم من يعرف لك ارتفاع وربما ان الناس يقولون قد حل قدم عثمان عليه ثم انه نفذ كل ما كان له من الامتعة والاموال الذى كانت بين يديه فعند ذلك عرف الامير ان عثمان خايف عليه فقال له يا أخي اعطيهم متاعهم لاجل خاطرى ولا تقهرنى ولا تعصى أمرى فقال لهم عثمان خذوا حوايجكم والبسوها واذا كان من الغدا اجمعوا انفسكم الى هذا المكان وبادروا اليه حكم ما كان لكم من الزمان فقال واحد منهم ان انت نظرتنى بعد هذا اضرب رقبتى وحلف آخر تسعين يمينا انهم في الحسنيه باجمعهم لا يقيموا ثم انصرفوا بعد ان أخذوا أمتعتهم وذهبوا الى حال سبيلهم فهذا ما كان من حديثهم (قال الدينارى) واما ما كان من امر الامير بيبرس فانه أخذ عثمان واقبل به الى الدكان وأمره ان يصافح الشيخ يحى وولده وان يقبل يداه وقد اطمأن قلب الشيخ من جهته وأراد الامير بيبرس ان ينزل من الدكان واذا بالاغا الذى البسه آغة وشاقية مقبل عليه وقد قبل يده فقال له الامير الى اين ماضى فقال اريد ان اشق ارض مصر فأوصاه الامير بالعدل والانصاف وعدم

الظلم والاسراف وأمره بالمسير الى شغله فهذا ما كان من أمره وبعد ذلك سار الامير الى بيت الوزير نجم الدين وبات تلك الليلة الى الصباح ولبس بدلته وتقلد بآلته ونمشته وتوضى وقضى فريضته ونزل على سلم ركوبته فقدم له عثمان مركوبه فركب وسار وعثمان الى جانبه ولم يزل ساير حتى انه خرج من باب القرافة وسار طالب الخلوات فبينما بيبرس ساير على هذه الحالات وأذا بعثمان تعلق بلجام الجواد واعاقه عن المسير فقال له بيبرس ما هذا الفعل الخطير فقال له الى اين انت ساير من الجهات وما الذى تريد بطلوعك الى الخلوات فقال له الامير وقد تعجب ولاى شىء تسأل عن ذلك ياعثمان فقال له لابد ان تخبرنى عن هذا الامر والشان والا أرجع عن خدمتك وأعود الى ما كنت عليه لان الاقدمين قالوا فى الامثال سايس من غير جامكيه فاتحته معه وأنا أقول سبوح قدوس الخدمة معى بالدبوس لانى فهمت الضمير وعلمت انك انت تريد ان تعمل على حيلة وتصطادنى الى الوزير أبو فرمه يقتلنى وهو الذى سلطك على ودبر لك فى ذلك حتى بمكرك تحايلت على لانك مثل العقارب خاين العهود وفعالك مثل فعل النمرود قال فلما سمع الامير بيبرس ذلك تعجب منه وقال له من هو ابو فرمه الذى تذكره وتخشى بأسه وتنكره فقال له رفيق ابو قوطه فقال له الوزير والسلطان فقال انا ماضى ياعثمان الى بيت أبى وزير الزمان قال عثمان أما تدرى انه عدوى وأنا عدوه لانى قد فعلت معه فعال تعجز عنها فحول الرجال وقتلت له فى هذه البلدة سبعة ولات ولو وقع فى يدى لسقيته كاس فناه وقد قطع على سبعة فرامانات فى جميع الجهات محل ما يمسكونى ويقدروا على يقتلونى ويحرقونى ولا أحد يطالب من فعل ذلك بدمى وبعد ذلك فانا ما امضى معك أبداً ولو سقيت كاس الردى

(قال الراوى) فلما سمع الامير ذلك الكلام علم ان الحق بيد عثمان وانه فعل فعل مايفعله قط انسان فقال له وقد تعجب منه ياعثمان لاتخاف ولا تكون فزعان وعليك الامان ثم الامان واعلم انى ما افرط فيك أبداً مادمت تشم نسيم الهوى وروحى دونك الفدا من كل الاهوال والردى وما لك الا ما يسر خاطرك ومع الوزير اريد ان اصالحك فقال عثمان انا ادبر لك تدبير فان عملت به طاوعتك وفى مسيرك تبعتك وان كنت خالفتنى خالفتك وتركت الخدمة وبعدت عنك فقال بيبرس قال ماتريد فقال اذا وصلت انت الى هناك وطلعت الى الوزير واخبرته بالخبر والتدبير وذكرت له انك خدمت عثمان فان رايت منه الفرح والسرور والرضى والحبور فطل برأسك من المقعد أو من الشباك وقل لى وارميش فاذا سمعتك قلت ذلك علمت انه على راضى غير غضبان وان رأيته عند سماع ذلك الاقوال زاد به الغيظ والانذهال طل لى من المقعد وقل لى شقا فأعرف أنا انه غضبان واحط يدى على رزتى واقطع بها داير كل من كان عنده من الرجال حتى أخلى منهم الديار والاطلال وأنت أيضاً تحط يدك في الت وتقتل الوزير ومن كان عندك فى أعلى المكان من كبير وصغير وتملكوا البستان وبيوت الوزير بما فيها من الاموال والخير الكثير ولا تخاف من أحد من الانام وان عارضك ابو قوطه أقتله أنا والسلام ولا احد يقدر علينا من الانام (قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس من عثمان هذا المقال تعجب من قوة قلبه وظهر له عند ذلك منه عدم الخوف والانذهال وقال فى نفسه الرأى عندى أن اطاوعه على قدر عقله حتى انى آخذه واوصله ومع الوزير أصالحه ثم انه التفت اليه وقال له ياعثمان قد سمعت كلامك ورضيت بما ذكرت

لى من مقالك فقال عثمان انا لا اصدقك في المقال ولا تسمح نفسى بالمسير الى ذلك الديار حتى انك تحلف لى بمقام السيدة المبرقعة بالانوار فقال له الامير وسر مقام السيدة المبرقعة بالانوار صاحبة الندهة والتذكار انى اخبرك ياعثمان بكل مادار بيننا من الكلام ولا أكتم عنك منه شيء فى الاذهان فقال له عثمان سير ياأمير ولا تخاف من سلطان ولا من وزير قال ولم يزالوا سائرين الى ان اقبلوا الى البساتين وقد دخلوا الى مكان الاغا شاهين فنزل بيبرس من على جواده وطلع الى المقعد فقام له الوزير وتلقاه واجلسه الى جانبه وأكرم مثواه وجعل يتحدث هو واياه فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما عثمان فانه بعد ان صعد سيده الى المقعد التفت الى كبير السياس الذى هو للاغا شاهين وهو جالس على جهة اليمين وبين يديه الغلمان سامعين ولامره مطيعين فصاح عليه عثمان وقال له ياغلام وأشار بيده اليه وقد زاد تعجبه حيث انه اشار اليه من دون الحاضرين ولم يراعى قدره فقال فى نفسه ما هذا التكبر فى هذا السايس ومالى الا ان اقوم واسير الى عنده وانظر مايريد واجازيه على فعله ثم نهض السايس وسار ومن خلفه غلمانه الصغار والكبار حتى وصل الى عثمان وتأمله فعرفه ولم ينكره فارتعب قلبه وتفصلت ركبتاه وصابه وتقدم الى عثمان وباس يده وقال له سلامات يا جدى وجد جدى ومن هو أحب عندى من أهلى ومالى وولدى ولما رأوه غلمانه فعل تلك الفعال قبلوا يد عثمان كلهم في عاجل الحال فقال عثمان خذوا الجواد وسيسوه وسيروه فقالوا له سمعاً وطاعة ثم ان كبيرهم أخذ الجواد وجعل يسيسه بيده واقبلت جميع السياس فامرهم بخدمة الاوسطى فوقفوا عنده وبين

يديه وما منهم الا من هابه وخاف منه وهو يحكم ويأمر وقد تعجب من ذلك كل الحاضرين فهذا ما كان من أمر هؤلاء

(قال الدينارى) واما ما كان من الامير بيبرس فانه قال له الوزير يا ولدى ان لك اربعة ايام وانت هاجرنا فلاى شيء هذا الهجران فقال له يا أبي اعلم انى سمعت قولك واسكنته فى آذانى وبين أعيانى وقد عملت به ومضيت اخدم لى رجل سايس حتى يساعدنى على الجواد لانك نظرت ما قد جرى لى من الانشاد فقال له الوزير هل رأيت لك خادم فقال نعم رايت لى رجلا ابن حلال عظيم الخصال قليل المثال والله يا ابى انه رجل مليح وقدره رجيح ولسانه فصيح فقال له الوزير عسى الله يكون ابن حلال وليس هو من الرجال الانذال فقال له بيبرس نعم وحق رأسك ياوزير الزمان انه رجل مصان فقال له الوزير والله ياولدى انك حببتنى فيه وشوقتنى ان انظر اليه واعرف معانيه وان كلامك اوقع حبه فى قلبي واسكنه مابين اضالعي ولبي لانك كلما رأيته حسنا كان حسن فما اسمه ياولدى حتى انادمه وآراه واعطيه شيئا من الحطام لاجل ان يفتح لك عيناه واوصيه عليك بكل ما اقدر عليه فقال ياوزير الزمان انى أخاف ان اقول لك على اسمه واذكر لك حسبه ونسبه وشكله ورسمه تتغير متى تسمع ذكره لانه اخبرنى بامر قد حصل له واعلمنى بكلما جرى عليه وله واوصانى انى لا أخبر أحداً باسمه فقال له الوزير اعلمنى لانى اخاف ان يكون هذا الذى خطر ببالى فقال له وحق الملك الديان اسمه الاوسطى عثمان (قال الراوى) فلما سمع الوزير من بيبرس ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال يابيبرس هذا آخر العهد بيننا ولم يكن بعد ذلك اجتماع من بعد ما حصل هذا

الايقاع لان هذا الرجل جبار عنيد وشيطان مريد يقتل النفس المحرمه ويهين الحرمه ويشرب الخمر ويؤذى الناس بالمنكر وانه ليس له دين ولا اعتقاد في يقين وقد قتل لى سبعة ولات فى مصر وطردنى ثلاث مرات ولو وقعت في يده لقتلنى ثم ان الوزير أخبر الامير بيبرس بالقصة من اولها الى آخرها وكشف له ظاهرها وباطنها فقال له ياوزير الزمان كان العهد به اول الاوان واما هو لآن فقد تاب ورجع عن الامر المعاب وقد عاهدنى على مقام ام الاسياد وأعاد عليه القصة التى جرت وكيف انه سأل عن بيته وكيف سار خائفه الى مغائر الزغابة وكيف انه علمه الصلاة وما جرى من يوم غاب الى هذا اليوم وصار الامير يتكلم والوزير يتعجب وقد قال له اعلم يا ولدى ان الله سلمك منه لسعادتك والا كان قتلك ولكن ياولدى ان كان الامر كما ذكرت والحال كما وصفت فادعه الآن يأتى الى عندنا حتى ننظر كيف الحال فقال له ياوزير الزمان انى اتفقت معه على السؤال والجواب وذلك انى اذا اتيت اليك واخبرتك بمجيئه فان انت رضيت اطلب له من المنعم واقول له أرميش يعلم انك راضى عليه فيصالح معك وان لم ترضى اقول له شقا فاذا سمع ذلك يقتل الذى عنده فى الحرش وانا اقتل الذى عندى فوق ونملك البيت بما فيه ولا أحد يتعرض لنا وان تكلم الملك الصالح يقتله برزته لانه ضمن لى ذلك فما أنت قايل (قال الراوى) فلما سمع الوزير تبسم ضاحكا وقال له يا ولدى ان كان عثمان تاب فالله كريم تواب وانا قد سامحته فاطلبه الى عندك حتى انظر اليه واحدثه فقال سمعا وطاعة ثم طل بيبرس برأسه وصاح ياعثمان فقال عثمان شقا والا رميش فقال له بيبرس رميش فقال عثمان اياك شقا قال له ياعثمان ارميش قال عثمان خير ياجدع قال بيبرس اطلع ياعثمان كلم الوزير قال

عثمان وسرها فى مقامها ما اطلع الا اذا ارسل لى اربعة مماليك من عنده يسندونى الى فوق حتى يطاعونى فقال الوزير سمعا وطاعة ثم امر له الوزير بأربعة مماليك يسندوه فنزلوا اليه وقبلوا يده فقال لهم الوزير ارسلكم جبا والا يأخذكم ثانى فسمع الوزير ذلك فقال له جباوحيات راسي ياعثمان هيبة كريم لا يرد في عطاه فعند ذلك التفت الى المملوك الاول وقال له ما اسمك قال له اسمي رشوان قال له انا اريد ان اغير اسمك بشرط ان احد ناداك باسمك واجبته طيرت رأسك من على بدنك بهذه الرزة وقد سميتك حنيش فقال سمعا وطاعة وانت اسمك منيش وانت ابو حبله وانت ابو الدوح فعندها عرف كل واحد اسمه وساروا بعثمان الى الاغا شاهين فلما رآه الوزير قد اقبل عليه اخذته منه هيبة عظيمة فقام له على الاقدام وترحب به ومد له يده فطرقها عثمان بيده حتى كاد ان يخلع زنده وقال له مرحبا يا جدع فاشار اليه بيبرس بعينه ولم يقدر ان يتكلم ومعنى ذلك يعنى الزم الآدب فقال هاهو الذى قال لى ارحب وسلم علينا سلام السياس ثم ان الوزير قال له اجلس ياعثمان فجلس عثمان الى جانب الوزير هذا وبيبرس يغمزه يتأخر فقال عثمان الارض ارض الله وانت تغمزنى لاى شيء غمزك حنش يدق فى بيضك ولا يرخيك حتى تطلع روحك انت وكل من كان يشدد لك على ظهر الدنيا

(ياساده) فتبسم الوزير وقال للامير دعه ياولدى يفعل مثل مايريد من مرامه فقال عثمان يأبو فرمه قال نعم قال له قبل كل حساب قطع لنا الفرامانات السبعة ودع ماكنا فيه من العناد والهجمة فعندذلك أمر الوزير باحضارهم فاحضروهم الخدام فسلمهم الوزير الى عثمان فأخذهم عثمان ولصقهم فى داير المكان وقال للوزير اعلم انى ماعملت هذه الاعمال الا انك اذارايتهم

تترحم على اصحابهم وتخشى سطوة من قتلهم فتبسم الوزير من قول عثمان ومد يده اليه واعطاه ألف دينار فأخذهم منه عثمان ثم ان الوزير صاح على الاربعة مماليك وقال لاحدهم يارضوان فما رد عليه جواب فظن الوزير انه ماسمعه فصاح بالثانى وقال له يارشوان فما رد عليه فتعجب من ذلك الشان فتركه وصاح ياصالح فما رد عليه جواب فتعجب الوزير وقال لهم ياعثمان ولاى شيء مايردون على باللسان ولا يلتفتون الى قولى ولا بكلمة من الكلام فقال عثمان ياوزير الزمان سبحان من يغير من حال الى حال فانى قد غيرت أسمائهم وبذلك قد أمرتهم فقال له عيط عليهم انت ياعثمان فعندها صاح عثمان وقال ياحنيش واذا بواحد منهم قال له نعم ياأسطى عثمان فصاح بالثانى يامنيش فرد عليه فى عاجل الحال وكذلك الآخرين صاح عليهم بأسمائهم فردوا عليه وتبادروا اليه فتعجب الوزير غاية العجب وضحك وزاد به الطرب ثم انه صافح عثمان وسامحه وقبلوا بعضهم وجلسوا وقد احضر الطعام فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا فقال الوزير يابيبرس يلزم انك كل يوم تأتى الى عندى حتى انى أعلمك الحرب والقتال والطعن والنزال فقال له سمعا وطاعة ياوزير الزمان وقد تودع من الوزير وأخذ عثمان وسار الى ان أتى الى الديار وصار فى كل يوم يركب ويأتى الى الوزير الاغا شاهين ويتعلم أبواب الحرب والتمكين وكلما تعلموه المماليك فى طول السنين تعلمه هو فى أقل من شهرين حتى انه بلغ في الحرب طول الباع وقوة القراع وصار جبار لايصطلي له بنار فعند ذلك التفت اليه الوزير وقال له ياولدى وحق الملك الماجد انى لابقيت اعرف من الحرب الا بابا واحدا وذلك الباب يقال له حرب الابخرسيات ولكن صاحبه الذى علمنى اياه أمرنى انى لاأعلمه لاحد غيرى من الانام لاشيخ ولا غلام ولو كان ابنى من صلبى

بيبرس وترك كل المماليك ولا سأل عن أحد خلافه فاغتاظوا لذلك ونزل عليهم البلا والمهالك وتكلموا في حق الوزير بكل قول خطير وقالوا ان هذا ولد الزنا قد فضله الوزير بكل قول خطير عنا وأكرمه دوننا وما لنا الا ان نعمل عملا نفرق به بين الاثنين ونقتل هذا ولد الزنا فاتفق الرأى بينهم على انهم يلبسون مثل العرب ويقفون له في الطريق والخلاوا اذا أقبل بيبرس ينزلون به العطب وينهبوا ماله وما معه من السلاب ولما تقرر الحال بينهم على ذلك جعلوا يدبرون أنفسهم ويخرجون الى الاودية الخوال وقد تم لهم مايريدون واجتمعوا وخرجوا له في وسط الطريق واكمنوا له (قال الراوى) فهذا ماكان من أمر هؤلاء وأما ماكان من أمر الامير بيبرس فانه مازال يتحدث مع الوزير الى ان أمسى المساء وأراد الرواح فقال له الوزير ياولدى دعنا الساعة في الانشراح حتى يأتى ميعادك بالامس وتسير وما عليك خوف ولا تفكير فاستحى بيبرس من كلام الوزير وصار يتحدث معه حتى تنصف الليل وطابت العين حظها من المنام فقال الوزير ياولدى قم الآن الى منزلك واكمل فيه ليلتك وكان قصد الوزير بذلك كله ان يقوى قلبه ويعوده على المسير بالليل والنهار ويعلمه أمور الرجال الكبار فقال له الامير سمعا وطاعة ثم صاح بعثمان فقدم له الحصان وقال له يادولتلى خذ حذرك الآن من غدرات الزمان فقال الامير بيبرس ياعثمان فهانحن متوكلون على الملك المنان هذا وقد سار والاثنين وخرجوا من البساتين وتوسطوا الطريق المستقيم واذا قد خرجت عليهم طائفة من العربان فنادوا عليهم بأصوات مثل أصوات الثيران وهم يقولون في نداهم الى أين تذهبون والى أين تقصدون ونحن لكم منتظرون ولقتلكم متحضرون فلما رآهم الامير على ذلك الحال وعرف ما قصدهم من السؤال صاح بعثمان دونك انت

واياهم الآن ولا تبقى منهم على وجه الارض انسان وها أنا معك احميك وبهذا
اللت اراعيك وسوف تنظر ما افعل فيهم بعينك فقال له عثمان سمعا وطاعة
وهجم عليهم الامير باللت الدمشقى من ذلك الساعة وقد طلب كبير هؤلاء
العرب ونزل عليه وطلبه اشد الطلب ولما وصل اليه لعبت مفاصله وارتبك
وصاح بأعلى صوته ياأمير لا تضربنى فانا أسلم اليك روحى فعند ذلك قبض
عليه الامير وجذبه من بحر سرجه والى الارض رماه وقد أراد ان يعدمه
الحياة فانقض عليه عثمان كانه فرخ من فروخ الجان وضربه بالرزه
وهى النبوت على رأسه كاد ان يعدمه مهجته وقال يا امير ما عليك
من هذا بل كن الى غيره فتبادر فقال له الامير سمعا وطاعة
ثم انه صاح انا الامير بيبرس مجلب السرور ومزيل العكس فلما
سمعوا المماليك نداه خافوا منه ومن شدة قواه فعند ذلك ترجلوا عن
الخيول وصاحوا وباسرارهم أباحوا وقد قالوا له ياأخينا لاتؤاخذنا فاننا
ماعرفناك ولو أننا عرفناك ماطلبناك فلما سمع الامير قولهم عرفهم وقال
لهم من انتم ومن أين أقبلتم والى اين كان قصدكم وماالسبب الموجب لخروجكم
الى هذا المكان وقالوا له اعلم ايها الامير اننا قدتواترت علينا الاخبار بان هنا
رجال اولاد زنا يقتلون المسافرين بالليل والنهار فلما سمعنا بذلك اتفقنا
على ان نكمن لهم ونعاقبهم على سوء فعالهم بعد أن تدور يدينا عليهم فقالوا
لنا أصحابنا اذا كان ذلك يكون بالليل حتى اذا أقبل الظلام نخرج عليهم في
حالة العريان ونكمن لهؤلاء القوم حتى نأخذهم ونذيقهم العذاب والهوان
ولما تقرر الامر بيننا على ذلك التذكار خرجنا فى جنح الاعتكار واتينا
هاهنا الى هذا الوقت فما وجدنا أحد فاردنا الرواح الى المكان فرأينا
شخصا ظهر لنا وبان فظننا أنه من أولاد الحرام فخرجنا عليه ونحن طالبين

الاذى اليه ومرادنا القبض عليه فرأيناه أنت ولكن الحمد لله على سلامتك فلا تؤاخذنا فى ذلك لاننا وحق الملك المنان ماعرفنا أنه أنت الا الآن فلما سمع بيبرس ذلك تركهم وتأخر عنهم وكان قلبه سليم فظن ان كل ما قالوه صحيح فقال لهم امضوا الآن الى حال سبيلكم ولاتعودوا تتعرضوا الى مثل ذلك فربما تحل بكم المهالك فقالوا له جزاك الله كل الخير ووقاك كل هم وضير وقد التفت الامير الى عثمان وقال له سر بنا واتركهم يمضون بسلام فقال له عثمان يادولاتلى ما هذ بصواب لانى ان تركتهم الآن يمضون الى الى الاوطان فربما يقعون في مضرة أو تنالهم شدة فى مثل هذه الكرة واذا كان ذلك يعتب علينا الوزير ويقول لنا كنتم أوصلتموهم الى عندى ولا تتركوهم في وسط البر الاقفر والرأى عندى أنى اوصلهم الى البيت وما اتركهم الا فى محل الامان ولايبقى علينا عتب ولا ملام فشكره الامير على ماقاله وهو لايدرى مايروم من أعماله ثم تركه الامير وسار قاصد الديار ولا يعلم مايفعل عثمان مع المماليك من الاضرار ولما سار بيبرس الى مكانه وترك عثمان مع المماليك فصبر عثمان الى ان غاب الامير ووقف وقال للمماليك اسمعوا ما أقول والا انزلت بكم البلاء المهول وحق السيدة نفيسة العلم أهل الجود والكرم والحلم ان لم تنزلوا عن خيولكم وتخلعون كلما كان عليكم من ثيابكم والا قبضت عليكم واكتفكم بعد أن اضربكم بهذه الزره وآخذكم معى الى السياس يتبدلون عليكم ثم بعد ذلك أقطع خبركم وأمحى أثركم فعندها نزلوا عن الخيول وخلعوا ملابسهم فأخذهم عثمان وأخذ الخيول وتركهم عراة فى تلك البرارى والقفار ثم سار عثمان قاصد سيده فهذا ما كان منه (قال الراوى) اما ماكان من امر الوزير الاغا شاهين فانه بعد ان ذهب الامير بيبرس من عنده طلب بعض المماليك ليقضيه حاجة فما رآه فصاح بالآخر

فما وجد له خبر فجعل يصيح بهم واحد بعد واحد فلم يجد احد فتغير الوزير من هذا الامر المنكد فنزل الى حوش الديوان وجلس على سلم الركوب وصاح بالبواب فأقبل اليه وقبل يديه فقال له الوزير وقد زاد غيظه وحمقه اين المماليك فقال له وقد ارتعب من هذا الامر والسبب ياوزير الزمان قد خرجوا مع بعضهم يطلبون زيارة الامام فقال له الوزير كذبت ياملعون ولأى شيء فى النهار مايدورون ثم انه صاح على السياف وقال وحق راسى ان لم تقل على الكلام الصحيح والصدق المليح والا جعلتك طريح فقال له ياوزير الزمان اعطينى الامان فقال له لك الامان منى ومن كل انسان فقال له اعلم أيها الوزير المهاب انهم أخذهم الغيظ الشديد من موافقة هذا البطل الوثاب معك وهو بيبرس وقد زعموا انه لك من الأصحاب وتكلموا فى حقك أنت واياه بكل معاب وقد تقرر الحال بينهم ان يقفوا له في الطريق ويعدموه السعادة والتوفيق وقد اوصونى على انى أفتح لهم الباب وهذا الكلام هو الصواب الذى لايعتريه زور ولا اكذاب وحق مسبب الاسباب فلما سمع الوزير ذلك تعجب غاية العجب وقال له وحق الذى عن العيون قد احتجب أنه كفؤ لهم بكل سبب ولو كان معهم أمثالهم من الترك والعرب ولكن انا اجازيهم على فعالهم اذاهم اقبلوا منكسرين من يد خصمهم لانى اعلم انه اقوى واشد منهم باسا واعظم مراسا لاسيما ومعه هذا الشيطان الذى لايفزع من انس ولا من جان الاوسطى عثمان وان فاتنى حذرى ولم يخطىء فكرى فلا بد ان بيبرس يقبض عليهم والى عثمان يسلمهم وعلى كل حال لابد ان الامير يسلم الجميع الى عثمان ولا بد ان يأخذ خيولهم وما معهم من ملابسهم واسلاحهم ويتركهم عريانين يقاسوا العذاب المهين وانا الآخر لابد ان آثر فيهم ثم انه امر باحضار

الفراشين والسقايين فاتوا اليه فى عاجل الحال اجمعين فامرهم ان يكنسوا الحوش ويرشوه وبالماء يغرقوه فاجابوه بالسمع والطاعة وقد شرعوا فيما فيه مأمورين ثم صاح أيضاً بالفراشين فاتوا اليه فامرهم بالتأليف وان يعلقوا اربعة تجفات وكل واحده فيها خمسمائة فتيله عشرة شمعات فاجابوه ايضاً وقد فعلوا هـذه الصفات ثم امر الصويه ان يسرجوا في وسط الحوش المشاعل فصار كل منهم لما امره به فاعل و بعد ذلك جلس الوزير وقـد صار الحوش مثل النهار في أقل من لمح البصر ثم بعد ذلك احضر البواب وقال له اغلق الابواب واذا اتى واحد من خلف الباب فلا تفتح له الا بعد ساعة بالمنكاب فقال له سمعاً وطاعة (قال الراوى) وكان ذلك وقت الشتاء القاطع والبرد المتصارع ثم امر الوزير باحضار اربعة من الخـدام بالفلاقة والكرابيج فحضروهم الى بين يديه ووقفوا فبينما هم كذلك واذا قـد اقبلت المماليك وهم كاذكرنا عريانين وعلى مافعلوه نادمين وقد خافوا عاقبة الامر وخافوا ان يشيع الخبر ايضاً وان يعلم الوزير بهذا الامر المنكر فيصير عليهم اعظم صرصر وضرر فتسارعوا الى الرواح وما زالوا كذلك حتى دخلوا البساتين واقبلوا الى البيت متسارعين والبرد قـد آلمهم حتى وصلوا الى الباب وطرقوه طرقا خفيفا وقـد اضعفوا اصواتهم ولانوا فى كلامهم وجعلوا يطرقون الباب والبواب لا يرد عليهم جواب ولا يبدى لهم خطاب حتى مضت الساعة وقد اثر معهم البرد كل الاثر وكاد ان يقصم منهم الرقبة والظهر ولما مضت الساعة فتح لهم الباب ودخلوا بين الابواب وهم على مثل ذلك الحال فلما نظر اليهم ورأى حالهم صار يضحك ويهزأ بهم وهم يقولون افتح لنا البرد قد آلمنا وقتلنا وتعلق خصانا في حلقنا ففتح الباب وعبروا واذا بهم قد نظروا فى وسط الحوش اشتهار ورأوا ما فعل الوزير

وقد زاد بهم الاذى والدمار وحاروا فى أمورهم ولم يدروا مايقولونه من جوابهم وقد وقعوا بين يدى الوزير وقد صبر عليهم قدر ساعة وهم على مثل ذلك الامر الخطير ثم قال لهم بعد ان عرف منهم انهم ايسوا من الحياة وحل بهم التدمير اين كنتم الى الآن غايبين ومن أخذ ملابسكم وانتم بالشجاعة موصوفين فقالوا الله اعلم ياوزير الزمان اننا كنا قاصدين زيارة الامام وخرجنا نلتمس الآثار من اعتاب الكرام فبالقضاء والقدر خرجت علينا العرب وفعلوا بنا هذه الفعال وهذا هو السبب وقد كادوا ان يورثونا العطب ولولا اننا تركنا الخيول والاسلحة ماعاد منا من يرد جواب ولا يعود الى الرحاب فلما سمع ذلك منهم ضحك عليهم ضحكاً عاليا ثم أمر الخدام ان يمدوا واحداً بعد واحد ففعلوا ماامرهم به الوزير وضربوا كل واحد علقه بمايتين كرباج وهم على مثل هذا الحاج وكانوا يرمون الواحد منهم على الارض من غير فراش حتى يصير عبرة بين الناس وبعد ذلك امر لهم بالكساوى فأخذوها وقد كادوا ان يقتلوا انفسهم فتركوهم وسار كل واحد منهم الى مكان هذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوى) واما ما كان من الوزير فانه ارسل الى الامير في الليل اربعة من الخدام وما زالوا سائرين الى ان وصلوا اليه وقبلوا الارض بين يديه وقالوا اجب مولانا الوزير في هذه الساعة من غير تأخير فقال سمعا وطاعة ثم انه سار حتى اقبل على الوزير وسلم عليه فتلقاه واجلسه الى جانبه وقص عليه ذلك الامر وما جرى من عثمان فاخبره بانه ما عنده خبر بذلك ولا اخبره عثمان بما فعل فقال الوزير وحق الملك ذى الجلال ان الفعال التى فعلها عثمان ماهى الا فعال الرجال الذى لايخافون الابطال (قال الراوى) ثم ان الوزير امر باحضار الطعام فحضر في الحال حضر فأكلوا وشربوا

ولذوا وطربوا وجلسوا يتحدثون الى ان مضى الليل بالاعتكار واقبل النهار بالانوار فصلوا صلاة الافتتاح فى وقت مااصبح الصباح وصبروا على هذا المنوال الى ان اقبل وقت الزوال وهم يتحدثون مع بعضهم ولما صلوا الظهر تودعوا من بعضهم وسار الامير الى بيته ومعه الاربعة مماليك وعثمان ولما ركب بيبرس جواده انعم على الخادمين وسار الى بيت نجم الدين وبات تلك الليلة وهى ليلة الجمعة ولما أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح صلى الامير صلاة الافتتاح وجلس الى ان تضاحى النهار وسار الى مقام الحسين وصلى صلاة الجمعه وعاد الى منزله وبات تلك الليلة ولما اصبح الله بالصباح وكان هذا يوم السبت فركب الامير بيبرس واخذ معه عثمان وقل له سر بنا الى بولاق لانى اريد النزهة فى هذا اليوم فقال له عثمان سر على بركة الله الملك الوهاب وسبحان مسبب الاسباب هذا نهار سعيد مبارك لان هذا النهار انا عارفه لابد ان تفنى فيه الاعمار من اهل النفاق والاشرار (قال الراوى) واعجب ماجرى فى هذه السيرة والامور المطربة الغريبة كما نقل الدينارى وابن الدويردارى وناظر الجيش وكاتب السر انه كان بمصر حارة تسمى درب مصطفى بك وفيه حارة وفيها عشرة انوال والعشرة صنايعيه يصنعوا فيها القماش وكان لهم فى كل يوم سبت غداء يأكلوه فى بولاق وكانوا يجمعون من بعضهم ثمن الغدا وقد تقرر الامر بينهم الى ان كان يوم جمعه فجعلوا فيه طريق لكل واحد منهم وصاروا على ذلك مدة من الايام وكان فيهم رجل مكار صاحب خداع وحيل واصطناع يسرح ويروح معهم على هذا المنهاج واذا جاء عليه الدور يطلع لهم بكل الاحتجاج وكل مره وهو يفعل لهم فعلة بديعة ونكتة غريبة ويأتى اليهم ويشكوا حاله هو وحريمه بين

أيديهم ويقول لهم ان زوجتي هذه الليلة وضعت وما عندي مايفعل الغدا ولكن اعذروني في هذا الدور واذا جاء الدور الآخر فيكون علي وأعوضه لكم لان الذى معي على قدر كفاية أم المولود فيقولون له ياأخي معلوم أن زوجتك أحق منا بذلك الامر ونحن عذرناك في مثل ذلك الدور الثاني يقولون له غدا السبت وعليك الدور فيبكي ويقول لهم قد دفعت هذا الدور ما كان معي الى الداية وأنتم تعلموا حالها واذا اتى الدور الثالث ويقولون له عليك الغدا بكره فيقول لهم قد وقعت مني الدراهم وكل ماوقع عليه الدور يعتذر بمثل ذلك الاعتذارات وما زال معهم على ذلك الحال حتى كادت مرايرهم ان تنفطر وتضايقوا منه واتفقوا على انهم يقطعوه عنهم بالكلية فلما جاء الدور عليه كان اليوم الذى ركب فيه الامير بيبرس ولما قالوا له اصحابه على الدور فقال لهم يا اخواني ان الفلوس وقعت مني ولا اكسب ولا درهما واحداً فقالوا له يا أخينا الى متى هذه المحاوله وانت كل جمعه تعمل معنا هكذا ولكن اعلم انك لابقينا نخلوك تدخل علينا فاذا جاء غدا بخير سر أنت وحدك ونحن وحدنا ولا تتبعنا ونحن لابقينا نصحبوك ولا تصحبنا فقال لهم يا اخواني اعلموا ان هذا ماهو كلام الاصحاب مع بعضهم فاذا كنت فقيراً من دونكم خذوني معكم لاخدمكم وانا أقضي لكم كلما تحتاجون اليه واتغدى معكم ويكون لكم الفضل على فقالوا له لا كان ذلك أبدا ولو شربنا كؤوس الردا فقال لهم وانا ما يمكنني ان أفارقكم ولا خطوة واحدة ولو ضربتموني بنعالكم وما زالوا معه في المشاجرة والكلام وهو لا يفتر عنهم الى ان أمسى المسا فاتفقوا في غيبته مع بعضهم انهم يسيروا في غيابه ويغيروا المحل الذى كانوا يجلسوا فيه كل جمعه وصرفوه ببهتانهم وقالوا له اذا كان لك

غرض فى نزاهة نفسك فسر انت وحدك ونحن لاجل خاطرك نغضوا ولا نروحوا وبطلنا هذه النزاهة التى أوجبت لنا الخصومه والمفارقه ثم عادوا عنه وانصرفوا الى حال سبيلهم وباتوا الى ان أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أخذوا بعضهم حكم اتفاقهم وتركوه وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى رجل زيات وبعضهم سار وأتاهم بخبز حار ولما وصل به الى الزيات أمروه أن يرقسه لهم ويجعله مثل الهريسه ففعل الزيات مثل ما أمروه وأخذوا القصعة من عنده ووضعوا عنها رهنا فقال لهم الزيات هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب ثم ساروا مع بعضهم وقد قصدوا نزاهة انفسهم بعد ما حضروا الفطور وتوكلوا على الملك الغفور وما زالوا في سيرهم مجدين والى نحو البحر طالبين الى أن أتوا الى محل الخضره في اماكن فسيحة وكان جلوسهم الى جانب ساقية دايرة والماء منها جارى الى تلك المضارب والبرارى فجلسوا هناك وحمدوا مالك الممالك وقالوا الحمد لله الذى أرحنا من ذلك الرجل الثقيل وابعدنا عن ذلك الرجل الرزيل ثم انهم وضعوا تلك القصعة بينهم وظنوا أنهم صفى لهم عيشهم وبلغوا امامولهم وأرادوا أن يسموا ويأكلوا واذا برفيقهم قد أقبل عليهم وتقدم اليهم وقال لهم السلام عليكم فقد طال بى مادورت عليكم فلا أحد رد عليه سلام ولا أبدا له كلام بل كأنهم الجموا بلجام فقال لهم ما بالكم معرضون ومعى لا تتكلمون فقالوا له من أين جئتنا ومن أين لك معرفتنا ومن الذى عرفك بمكاننا فقال لهم دلنى عليكم النصيب لانى خايف عليكم ان أحداً يؤذيكم وينهركم فسألت الله أن يرشدنى اليكم وقد أجاب الله دعائى ورأيتكم فقالوا له ياهذا اعلم أننا قد طال شقانا وزاد بلانا ومللنا مما نحن فيه من الشقا واستقر الحال بيننا أننا نعمل هذا الطعام ونمزجوه بالسم الخارق

لاجل ان يكون كل منا للدنيا مفارق ولاجل ذلك هربنا منك وها نحن أعلمناك وخفنا عليك ان تشرب كأس فناك لانك ما انت مثلنا لا تحمل هما على قلبك مثل همنا فدعنا على حالنا وما نحن فيه من امورنا فلما سمع كلامهم فهم عسكره مقصودهم فقال يا اخوانى اعلموا انه ما بقالى طمع فى الحياة بعدكم وعلى كل حال لى اسوة بكم ولو كنتم فعلتم ذلك فى غيبتى لقتلت نفسى من أجلكم وبعد ذلك فما يأكل احد منكم حتى أكون قد بدأت بنفسى فقالوا له انا لا نريدك ان تأكل معنا ولا تشاركنا فيما دبرنا فقال لهم وحق خالق النمله لا أمكنكم ان تفعلوا بانفسكم هذه الفعال ولو ضربت بجلد الجمال فعند ذلك تصايحوا عليه وقد تسببوا فى قولهم عليه وبربر كل منهم فى وجهه وأرادوا ان يقوموا اليه ويضربوه فرأى عين الغدر بانت له منهم بعد وتأخر عنهم ولكنه كادت مرارته أن تنفطر فبينما هم على ذلك الحال واذا بالغبار قد علا وثار وسد منافس الاقطار واقبل الامير بيبرس والاسطى عثمان وهو مغطى رأسه بالملايه والامير راكب كأنه البدر ليلة كماله فلما رأوه افتتنوا حسنه وجماله وقالوا من يقوم منكم ويدعو لنا هذا الشلبى حتى نحظى بكماله لانه مليح القوام اذا أتى الينا كمل حظنا به فقال واحد منهم اعلموا ان ما يدعوه الينا الا الرجل عوف الذى طردناه لانه مربى فى القواده وله بذلك عاده فقالوا له اذا كان ولا بد سر انت اليه وقص القصة عليه ودعه يأتينا به فسار اليه المتكلم فرآه واقفا على اعلا الجسر فقال له أجب الجماعة فقال أنا مالى بهم حاجه فقال له دع عنك ذلك الكلام وسر اليهم باهتمام لانهم حبهم الله اليك وأرسلونى أدور عليك وأعاد عليه الامر الذى جرى وأخبره بما قالوا فى غيبته فسار اليهم وسلم عليهم فقاموا اليه وردوا عليه السلام وقالوا له ياشيخ عوف أن أردت أن تأكل وتكون موافقا لنا فادعوا الينا هذا الغلام الشلبى

وخادمه حتى يأتي الينا وينادمنا ويأكل من طعامنا ويصفوا لنا برؤيته زماننا وبعد ذلك فانت معنا على ما أنت عليه ولا نكلفوك بشيء لا تقدر عليه فلما سمع كلامهم قال لهم يا اخواني هذا أمر هين وما هو على ببعيد ثم انه سار الى البر وقاطع الطريق على الامير بيبرس وعارضه ووقف في صدر الحصان وقبل يده وقال له ياسيدي اعلم اني رجل معلم قزاز ولي عشرة رجال صنايعيه وآتي بهم الى هنا كل سبت وأصنع لهم غدوة مليحة وقد أتيت بهم اليوم على حسب العاده وأجلستهم في وسط هذه الخضره وتلك الاراضي النضره ولما أتيت أنت ونظروك فتمنوا على أن تجلس معهم وتؤانسهم لاجل ما يكمل حظهم وتأكل معهم من طعامهم لأنهم اليوم قد اشتهوا على الرفيسه فعملت لهم كما طلبوه فأبوا عن الاكل الى ان تأتي أنت معهم وأني أريد منك أن تجبر خاطري وتجلس وتشرفني أنت وخادمك فقال الامير ولما ذلك يا أبي فقال له عوف لأني عرفت أنك اهل الاكرام وما أظنك ان تمنع نفسك عن الفقراء ولا تأكل لهم طعام فاشار بيبرس الى عثمان وأراد ان يستفهم منه أيأذن له في الرواح لهم ام لا فاذن له فسار واياه الى ان أقبل عليهم فابداهم بالسلام فردوا عليه بالتحية والاكرام وقاموا الكل واقفين له على الاقدام وفرشوا له بعض دفافيهم ولا قعدوا على حيلهم الا لما جلس الامير والى جانبه الاسطى عثمان والشيخ عوف وجلسوا الآخرين وقالوا له آنستنا وحلت بركتك علينا وحصل لنا بكم الشرف الجليل ثم قدموا القصعة الرفيسه التي كانوا عملوها غداهم فتقدم الشيخ عوف وقال بسم الله يامولاي فتقدم بيبرس وعثمان ولا أحد يعلمه أيضا فتقدم الشيخ عوف وجماعة القزازين وسموا بسم الله الرحمن الرحيم وقبض كل منهم قبضة على لقمة من القصعة ووضعها في فمه وارادوا ان يأخذوا الثانية واذا بعثمان كشف رأسه فبان وجهه ولحيته فعرفوه معرفة كاملة فوقعت

اللقمة في أزوارهم لانهم أنكروا ذلك ورفعوا أيديهم من القصعة وتأخروا الى ورائهم ومانزلت اللقمة الى جوفهم الا بعد جهد جهيد ولعبت اسنانهم وارتعدت فرائصهم وانكسرت ظهورهم واحتاروا في امورهم وحمدوا الله على قلة طعامهم وقالوا في انفسهم هذا والله ذنب الشيخ عوف الذى منعناه من مرافقتنا فارسل الله لنا من أكل غدوتنا وفى هذ الوقت يأخذ عمايمنا لاننا حقنا عليه كل الحوف فأنالنا الله الذل والخوف فقال لهم بيبرس لما رآهم امتنعوا من الطعام كلوا يا أسيادى قالوا نحن أكلنا كثير قبل قدومك كل انت ورفيقك هذا وعثمان ينظر اليهم ويرمقهم حذراً ويلعب شواربه لهم ويظهر لهم بغيه وتجابيه وسيده لم يعلم بذلك أبدا وما زال على ذلك الحال حتى أكل الامير بيبرس وعثمان وشبعوا وغسلوا اياديهم وأراد الشيخ عوف أن يتأخر واذا بعثمان نظر اليه وقال له وحق الكريمة أم الاسياد ان ابقيت شيئاً من هذا الزاد لاكسرن رأسك بهذه الرزه فقال له سمعا وطاعة ولم يزل يأكل حتى لعقها باسانه وقام الآخر غسل يديه هذا كله يجرى والرجال القزازين كادت مرايرهم ان تنفطر مما جرى من ذلك الامر لانهم قد انحرموا من هذه الغدوه ثم ان الامير ركب جواده وقال سر ياعثمان فسار عثمان معه وكان علق القصعه فى الرزه ووضعها على كتفه وغطاها بملايته وكانوا كلهم ينظرون اليه ولا قدروا ان يتكلموا معه وما ردت ارواحهم الا بعد مابعد عثمان عنهم وكانوا قد يئسوا من انفسهم وقالوا لعوف ياأخينا عوف سامحنا فيما جرى منا في حقك ولا تؤاخذنا ونحن فى عرضك أن تسير خلف عثمان وتأتينا بالقصعة منه لاننا واضعين عليها رهن ستين فضه عند الرجل الزيات فقال لهم الآن علمتم انكم ما تستغنون عنى ولا بد لكم من الاحتياج الى فقالوا له صدقت فيما به نطقت ومن أجل ذلك

سألناك وفي أهم حوايجنا بمثالك فقال لهم لاتخافوا وانا أسير خلفه وآتيكم بها ثم انه سار حتى وصل الى الامير وعارضه فى الطريق وقال له فى عرضك ياسيدى انا عمامتى مرهونه عند الرجل الزيات فى مقام القصعة التى كانت فيها البسيسة فقال له وأين هى الان قال هي الان مع خادمك عثمان ياسيدى فالتفت الامير الى عثمان وقال له لاى شيء فعلت هذا الامر هو انت فعلت مثل المثل السائر بين الناس الذى يقولونه انهم يأكلوا الهدية ويسرقون الزبدية فقال له ياأشقر لاتقول هذا الكلام لان هؤلاء يستاهلوا ذلك واكثر منه لانهم ماعزموك الا ليتمسخروا عليك ويستهزؤا بك ولولا انى كنت معك ما كانوا الا يخونوك وانا ما اكرمتهم الا لاجلك ولولا انك كنت معى ما كنت الا قتلتهم فلما سمع بيبرس منه ذلك الكلام ضحك ضحكا عاليا وقال له اعطيه القصعه وسر بنا الى حال سبيلنا فاعطاها للشيخ عوف ورجع بها اليهم هذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من عثمان والامير بيبرس فانهم ساروا وشقوا أرض بولاق الى ان اتو الى سوق السبت فاذا هم نظروا الى زاوية مليحة عظيمة وعلى بابهـا رجل فقيه جالس يبكى مما نابه وأصابه فوقف بيبرس بالجواد وقال ياعثمان اصبر حتى انظر الى بكاء هذا الشيخ وماأصابه فقال له عثمان وانت ماالذى حملك على ذلك هوانت مخلص حقوق الناس فقال له خليك من هذا الكلام وسر اليه وانظر ماذا جرى له واخبرنى باحواله فقال عثمان انا مالى شغل فى ذلك سر أنت اليه صدغك مالكك فعند ذلك نزل الامير من على جواده وسار الى ان قرب من الشيخ فرآه واضع يده على خده وجالس يبكى وينوح من قلب مضنى مجروح لانه في هموم وأسا وجالس يعدد كما تعدد النسا فقال له الامير بيبرس السلام عليكم ياسيدى فما رد عليه السلام بل صار ينشد ويقول صلوا على الرسول

صبراً لاحتكامك يا الهى	فانى راضى بحكمك والقضاء
انا صابر لك فى كل امر	لك فيه ياسيدى رضاء
جاروا علينا ثم اعتدوا	وتجبروا وما راعوا جزاء
فخذلى يامولاى الحق منهم	وخلص يا كريم الاعتداء
لقد عاد الاسلام كما بدا	وسطوا علينا الاشقياء
وتجاروا علينا وأهانونا	وانت العليم بنزول القضاء
فاملى يامولاى تكن جابراً	وتورث اعدائى كاس الفناء
فانت حقا رب الخير كله	وانت الحليم كثير العطاء
حاشاك ان تغفل عما حل بى	فوسيلتى المصطفى المرتضاء
صلى عليه فى كل وقت	مادامت الارض والسماء

(قال الراوى) فلما سمع الامير من الرجل الفقيه هذا الكلام وذلك الشعر والنظام تأسف وعلم انه مظلوم وقد سمعه أيضاً يشكى من الملك الصالح ويدعو عليه فتقرب منه الامير وقال له ماحالك وما الذى جرى لك وايش الذى ابكاك ومن بهذا الغم ابلاك اخبرنى به لعل الله يدفع عنك مايضرك ويجلب لك كل امر يسرك فقال له دعنى ياولدى هاانا الكئيب الولهان الذى عادانى الزمان ورمانى بطوارق الحدثان وابلانى بالذل والحرمان لان قصتى تحير العقول وتجلب كل امر مهول فقال له الامير وماهى قصتك فقال له اعلم انى خادم بهذه الزاويه من مدة اربعة سنين ولى فيها اربعة وظائف وهو انى وقاد وكناس وملا وأقوم بالناس للصلاة ولى على ذلك فى كل شهر اربعة قروش آخذهم من مطبخة العسل لانه وقف لهذا المسجد وفيه رجل عنيد ماترم يهودى يقال له عزار ولى عنده أجرة اربعة أشهر بستة عشر قرشا فبينما انا جالس فى صباح هذا اليوم واذا بابنتى

اقبلت علي وقالت لى يا ابى لك البشاره فقلت لها بماذا تبشرينى فقالت امى وضعت ولدا وسميناه محمد قم واقضى لها لزومها واعطى للدايه حق بشارتها فقمت مهرولا الى مطبخة العسل ودخلت الى اللعين عزار وصبحت عليه وقلت له اصنع معروفا معى في هذا اليوم واعطينى شيئاً انفسح فيه لانى محتاج وزوجتى وضعت فقال لى ايش وضعت فقلت له ولد قال وما اسمه فقلت له محمد فوالله ما سمع منى هذه الكلمة حتى لطمنى بكف على وجهى رمانى الى الارض خشيت ان عيونى خرج منهن شرار النار وقال لى انت ضاقت عليك الدنيا حتى سميت ولدك بهذا الاسم قم من وجهى في هذه الساعه واذهب الى بيتك وسمى ولدك بغير هذا الاسم اما موسى او عيسى او ابراهيم وائتى الى عندى أعطيك دراهمك وازيدك عليهم مائة دينار ذهب والا وحق موسى الكليم اذا ما غيرت اسم ولدك ما تأخذ منى درهما ولا دينار واحد فضة كان او ذهب فرحت من عنده مكسور الخاطر وعلمت انه من قبل الملك الصالح فسبيته وشتمته وتكلمت بما سمعته وهذه قصتى وما جرى لى فان كان فيك مروءة اكشف ظلامتى فافعل ذلك ولك الاجر من الله تعالى في هذا ثم انه تضرع وبكى وأن واشتكى وانشد يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

قد سلمت أمرى لمن رفع السما بجملة منه واقتدار

وفوضت امرى اليه فانه هو العليم بسرى واجهار

بليت بقوم لئام فاسرعوا وتجاروا على ظلمى وحق البار

ومالى مغيث الا الاله فهو العالم بسرى واجهار

لانه خبير بحالى كله وهو الحليم العليم القهار

مع ان هذا قضاؤه وانا مسلم للاقتدار

فان كان ربى به راضيا   فلا اعتراض ولا اعتذار
وكنت أطاب منه النجا   فلقد اصابنى اضرار
ظلمنى عدو الدين جهراً   ولطمنى لطمة جبار
وكنت أطاب منه حقى   فابى وعارضنى بفعل جبار
وانا ابكى على ماحل بى   من اهل الكفر والاشرار
فقد عادالاسلام حقا غريباً   فى هذا الديار

(قال الراوى) ثم ان الشيخ بعد مافرغ من اشعاره التفت الى الامير بيبرس وقال له ياولدى اتركنى ابكى على حالى وارفع دعوتى لمن يعلم سؤالى فقال له الامير بيبرس قم بنا وسر قدامى وأرنى مطبخة العسل وانا أخلص لك حقك واقتص ممن ظلمك فقال له الاسطى عثمان دع عنك هذا الحال ودعنى انا أسير اليه واقتص منه بما جرى فقال له الامير ياعثمان دعنى فلا بد لى من المسير معه وانظر بنفسى لهذا اليهودى وأجازيه على ماقدمت يداه فقال له عثمان ان كان الامر كما ذكرت سر بنا حتى ننظر من يخلص لهذا الرجل حقه ان كان انا والا انت فركب الامير وسار عثمان فى ركابه وشيخ القضية على أثرهما ولا زالوا سائرين حتى وصلوا الى باب مطبخة العسل فنزل الامير عن جواده وقال لعثمان امسك هذا الجواد وقف به حتى أعود اليك فقال له عثمان الاولى تقف به أنت وانا الذى أخلص حق هذا المظلوم فتبسم الامير بيبرس وقال هذا لايصح ياعثمان فقال عثمان وحق الاسم الاعظم لابد من دخولى الى هذا المكان فبينماهم فى هذه المشاجرة واذا برجل مقبل فى صفة سائل فعرفه عثمان فكشف رأسه له فعرفه أيضا ذلك الرجل وناداه عثمان ولدى باسمعان فقال له نعم ياجدى وجد جدى ودنا منه وقبل يده فتعجب الامير بيبرس وقال له من هذا ياعثمان قال له

هذا رجل مراوحي قال اني لم انظر معه مراوح فقال عثمان مايبيع مراوح ولكنه حرامي سارق المراكيب من المساجد لانه يصبر على الرجل حتى ينوي الصلاة ويقول نويت انا الآخر ويأخذ مركوبه ويدعه على حاله في صلاته فتعجب الامير بيبرس من ذلك وقال لعثمان مامرادك قال مرادي ان امسك هذا الجواد حتى ارجع اليه فقال بيبرس أخاف ان يأخذه ويروح الى حال سبيله فقال عثمان لاتقول هذا الكلام واعلم أن هذا الرجل لايخاف من الله مثل مايخاف من عثمان وأنت وغيرك تعرف ذلك ثم ان الاثنين دخلوا مطبخة العسل ودخلوا الى ان انتهوا الى صدر المطبخة فوجدوا فيه مصطبة عظيمة مثل الايوان وفي وسطها سرير من خشب الساج عظيم وفوقه مرتبة ومساند ومن فوقها زربية من حرير مزركشة بالذهب واللعين عزار ملتزم مطبخة العسل جالس من فوق ذلك الفرش وقدامه صينية من النحاس وعليها صحن عسل وصحن جبن وخبز وعيش خاص وهو جالس يأكل فلما نظر الامير مقبل عليه قام له على الاقدام وتلقاه بالتحية والاكرام وقال له أهلا وسهلا بوجه البدر ليلة كماله فصبح عليه الامير بيبرس فرد عليه الصباح وأخذه بيده وأجلسه الى جانبه فرآه مليح الوجه حسن المنظر عظيم الريحة والمسك والكافور لائحة أعطافه والعود فائح منه والهيبة نازلة عليه والشجاعة لائحة ما بين عينيه وقال يامرحباً بأهل الجمال والكمال وصار الكلب يمازح الامير بعد ان عرض عليه ان يأكل معه فابى الامير ذلك فصار يلاعبه ويضاحكه وظن بعماء قلبه انه يواصله ويبلغ منه أربه فقال له الامير يامعلم عزار حاجتي عندك حاجة وأريد قضاها فقال وماهي ياسيدي ولو كان لك الف حاجة تقضى في الوقت والحال على العين والراس فقل لي الان على ماتريد فنهار صباحك سعيد فقال له مرادي منك حاجة ان تعطى لهذا الرجل

أجرته التي هي له عندك لانه فقير ومحتاج وزوجته وضعت ولا معه شيء ينفقه عليها فقال اليهودي على العين والراس نعم انا عندي له ستة عشر قرشا خذهم ياسيدي الشيخ وهذا من عندي زيادة كرامة لهذا الامير ثم أعطاه تسعة قروش فأخذهم الشيخ وأراد الانصراف الى محله فناوله الامير بيبرس قرطاس فيه مائة دينار ذهب وقال له سر الى حال سبيلك كان الله في عونك ونسألك الدعاء في الاماكن الطاهرة فأخذ الشيخ الدراهم وصار يدعوا للامير بعلو صوته بكل خير ورفقة هذا ما كان منه (قال) وأما ما كان من عدو الله اللعين عزار فانه التفت الى الامير وقال له ياشلبي أنا الاخر عرضت لي عندك حاجة أريد قضائها لانه في الامثال قيل في معنى ذلك حوله بطوله ياغلام وللك نظيرها فقال له الامير وما هي الحاجة اخبرني بها حتى اقضيها لك قال هو ان تسير معي الى المقعد الذي انا ساكن فيه وتنادمني وأنادمك وتسقيني الخمر العتيق وتسمح لي بقبلة من فمك وان تمت الجميل نلت انا وصالك حتى اشكرك عند كل الامراء لاجل مايعلو شأنك ويعظم مقامك وكلما تحتاج اليه انا أعطيك اياه ولا تحتاج بعدها الى شيء أبداً (قال الراوي) فلما سمع الامير هذا الكلام من اللعين ممزوج بالغضب وظهرت في وجهه سبعة جدريات ملكيته من الطارقة اليمين الى الطارقة الشمال وسبع من اللحم بين حاجبيه ونهض في عاجل الحال واقفا على قدميه وضرب اليهودي باللت الدمشقي على راسه انزل اضراسه وهوى راسه ووقع على الارض قتيل وفي دماه جديل وارادوا الذين في المطبخة يخرجون الى الامير يقتلونه واذا بالسدار أقبل وسيفه في يمينه مشتهر واراد أن يهجم على الامير واذا بصيحة وقعت في رأسه من خلفه وضربة نزلت عليه أرمته الى الارض قتيل فتأمل الامير من فعل به هذه الفعلة واذا به عثمان فقال بيبرس ويلك ياعثمان ولماذا

فعلت هذه الفعال وقتلت هذا الانسان وهو من اهل الايمان فقال عثمان اعلم ايها
الامير مثل ماقتلت انت رجل اناقتلت رجل وكما انت أخي أنا أخوك فكيف يا أخي
يهون علي ان تتعب وانا ارتاح اوكيف اذا اثبت عليك القتل تقتل وانا اعيش بعدك
لا كان هذا ابداً واذا متنا نموت جميعا واذا عشنا نعيش جميعا فقال له الامير
ان هذا الرجل الذي قتلته انا رجل يهودي وأما الرجل الذي قتلته أنت
مسلم وانا قتلته بوجه الحق فقال عثمان وانا ايضا قتلته بوجه الحق كما قال الله
تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) كما انه اراد
قتالك قتلت انا قاتلك وخصمك تعذرني أما أنت مايظهر فيك معروف ابداً
بعد ذلك الحال فقال له الامير لا تقول هذا المقال أبداً وانا كنت اردده باللت
هي أحسن ولو كان قاتلي لانه رجل دين صالح وأيضاً اسمه صالح فقال
عثمان وحق الملك المتعال الذي ارسى الجبال ويعلم كم وزنها من ذرة ومثقال
ماهو الا كمثله وشكله وماهو الا ابن عمه ولما رأيتك فعلت هذا الفعل
بأخيه عجلت أنا الاخر دماره لاجل أن يلحقه ويوافيه لاننا اخوة سوى
وجئنا سوى وهذا ماعندي والسلام هذا والامير بيبرس قد خاف من عاقبة
هذا الامر وقال ياعثمان كيف يكون التدبير فقال عثمان الرأى اليك ايها
الامير اعلم انى علمت ان هذا الرجل يهودي ماله دين واما الذي قتلته
انت مظلوم ونقتل فيه نحن الاثنين فقال عثمان ومن يقتلنا فيه قال
الملك الصالح قال عثمان أنا أكفيك شره واكسر بهذه الرزه ظهره
فقال بيبرس أنا مالى ذنب فيه أما انت دبر نفسك كما ترى فبينما هم
كذلك واذا بالرجال الصنايعيه الذي في المطبخ طالعين عليهم ويقولون
أراحكم الله كما ارحتمونا من هؤلاء الاثنين لان الذي قتله عثمان أفسق من
الذي قتله هذا الامير لانهما متعصبان على الضلال والعكوسات ومفسدين

بالبنين والبنات ومرتكبين المحرمات فلما سمع الامير منهم هذا الكلام قال لهم
تشهدوا بذلك يارجال قدام الملك الصالح قالوا نعم نشهد بين يدى الملك
القديم الفاتح فقال لهم الامير جزاكم الله عنا كل خير ولكن ياعثمان سر
من هاهنا الى محكمة بولاق وائتنا بواحد كاتب منها يكتب لنا شهادة هؤلاء
الناس وها انا هنالك في الانتظار فقال السمع والطاعة هذا ماجرى هاهنا
وأما ما كان من القاضي الذى كان جالس بمحكمة بولاق وكان عثمان ضربه
ثلاثة مرات وأخذ منه ثلاثة مرات الزمالة وتركه مريض من شدة الضرب
في منزله وقد ضعف وما حصلت له العافية الا ذلك النهار وكان عثمان مرتب
عليه كل شهر قرشين ياخذهم منه فلما تعافى ونزل الى محكمته طلب من الله
ان يسهل له رزقه ولما جلس في مكانه ا سل النياب والغلمان والاصحاب
والقضاه فحضروا وكنسوا وفرشوا ووضعوا الدكك وهندسوا المكان وجمعوا
الجريد وملوا الزير من الماء الجارى من البحر الكبير ووضع القاضى
الصندوق بين يديه وجلس الى أن تضحى النهار فما اتى اليه أحد من النساء
ولا من الرجال فقال للرسل أما تعلمو يارجال ان علينا قرشين للاسطى
عثمان وقرشين أجرة هذا المكان وما ارجل منكم يحتاج الى مصروف
بيته وكل ما كان فما تقولوا اذا طلبوا عيالكم منكم نفقاتهم فقالوا وما نفعل
لقد ضاقت بنا الحيل فقال لهم سيروا في حارة بولاق وشوارعها وكل منكم
يقول ياطالبة الرسول عسى انكم تأتون بدعوة ننتفع بها فقالوا له هذا لايجوز
فقال الضرورات تبيح المحظورات نفقوا في الحارات وقولوا ياطالبة الرسول
فخرجوا وفعلوا ما أمرهم فبينما أحدهم سائر جهة حارة تسمى الجوابر وهو
ينادى ياطالبة الرسول فنادته امرأة وقالت له اصبر يابياع الغاسول فقال لها
وقد وقف قبح الله ذلك ولا رحم أحيائك ولا امواتك هو انا بياع غاسول

انا قاصد من بيت القاضي واسمي رسول فان كنت تشاجرتي مع زوجك او كان طلقك او ضربك او أهانك سيرى قدامي ودليني عليه اوعرفيني دكانه حتى اقبض عليه وأقدمه قدام القاضي يقتص منه ويريحك من ذاته ويجازيه على فعاله ولايمنعك من الخروج والدخول فقالت له يامعرص لاصبحك الله بخير ولا اوراك طول عمرك خير تشير على بطاب زوجي الى بيت القاضي ألا كنت ولا استكنت انت والقاضي كذلك قبحك الله وما رحمك وما رضي عنك ثم انها صاحت وولولت ولمت نسوان الحارة وضربوا ذلك الرسول علقة مليحة حتى رضرضوا عظامه فشق حارة بولاق تماما والناس تسبه ولم يلقى دعوة ينتفع منها ابدا والناس كلهم يضحكون عليه ويتمسخرون به وهو لا يقدر ان يرد لهم خطاب ولا جواب ثم عاد الى القاضي من غير فائدة فقال له كانك ماأتيت بدعوه فقال الناس في هنا وسرور هذا وقد اقبلت رفقاه وكل منهم مقهور غير مجبور فلما رآهم قال لهم لا تخافوا ولا تحزنوا انما الرزق بيد الخالق ثم ان القاضي نظر الى خارج المحكمة فرأى اثنين واقفين مع بعضهم يتحاسبون فصاح على الرسل ائتوني بهؤلاء فتسارعت اليهم الرسل وأحضروهم بين يديه فقال لهم مابالكم واقفين بأزاء المحكمه فقالوا له لاندرى وانما نحن مشغولين وبيننا حساب ولو كنا علمنا انها محكمة ماوقفنا بأزائها كفانا الله شرها فقال لهم ماعلمتم بانها محكمة فقالوا ماعلمنا ثم قال لهم قولوا والله العظيم ما علمنا انها محكمة بأزائنا فقالوا ذلك قال لهم بقي عليكم محصول اليمين كل واحد قرشين قالوا امامعنا قال ملزومين بضرب الجريد والحاصل فقال واحد منهم أنا معي قرش واحد قال الآخر وانا كذلك خذهم على قدر حالنا وان وقعنا في يدك ثانيا افعل ماتشاء فاخذ القرشين منهما وخرجوا يدعون عليه ويقولون اللهم كما ظلمنا ان تخلص

حقنا منه فى هذا النهار انك على كل شىء قدير وبعبادك لطيف خبير فبينما هم كذلك واذا بعثمان واقف بباب المحكمه يغنى ويقول

ظنوا العدا انا متنا ولامتنا وتباشروابالفرح فى طول غيبتنا
ان أذن الله وعدنا مثل عادتنا فى نطعة الدم نجعلهم غنيمتنا

(قال الراوى) فلما رآه القاضى قال أهلا وسهلا بالاسطى عثمان وقد انتقض وضوءه وقلع مقاته من على رأسه وناولها له وقال خذ المقلةياأسطى عثمان واتركنى من الاذية واعلم ان لى شهرين مريض مانزلت الا هذا اليوم وأنا عارف ان لك على أربعة قروش نخذهذه المقلة هذا الوقت وبعد يومين اقوم لك بدفع المبلغ من الدراهم فقال له عثمان لا تقول فى حقى هذا الكلام واعلم انى تبت فقال القاضى خذها وارجع تب ثانيا واعلم ان باب التوبة مفتوح فقال البسها ولا تخاف واعلم انى جاءتنى عندك حاجة شرعية قال على العين والراس قدمها عندى وأناأجعل الحق باطلا والباطل حق قال لا تقول هذا الكلام واعلم انى ماأنا طالب الا الصدق فى الكلام واقامةالدعوى شرعية كما أمر سيد الانام فقال سمعا وطاعةياعثمان فقال عثمان عزل المحكمة انت ورجالك وخذ كلما فيه من حصر وسجاجيد والفلقة والجريد والصندوق والدواية والورق والمحافظ وهذا الزير ثم تقدم عثمان وعقد الجريدوالفلقة والحصر وجعلهم عقدة وحملهم رجل من القضاة والشكك جعل كل اثنين لواحدوالبساط والفراوى فلما رأى القاضى ذلك ظن ان عثمان اكرمه لانه ماأحوجه الى شىء يحمله فقال له عثمان يامولانا وانت تحمل هذا الزير الكبير بما فيه من الماء الكثير فقال له ياأسطى دعنى أفرغه لان الماء كثير فقال له لا يمكن ذلك وماهى الا شيلتك ومن قسمك ثم ربطه عثمان بالحبال وحمله عليه وسار عثمان خلف الجميع

(قال الراوى) وقد نظرت الناس الى ذلك فصاروا يتفرجون ويتضاحكون ويتكلمون ويقول الآخر انظر ياأخي الى القاضي وما فعلوا فيه لانه شهد شهادة زور فيقول الآخر هذا رجل ظالم أخذ مني الشهر الذى فرغ ستين فضه فقال الآخر حبسني عشرة أيام بغير حق فقال الآخر انه طلق زوجتي مني وقد تكلم العالم والقاضي سائر والرسل قدامه كما ذكرنا الى ان وصلوا الى مطبخة العسل وتأمل بيبرس فرأى ماذكرنا فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال ياعثمان أنا قلت لك اثنينا رجل واحد نائب من طرف القاضي يكتب لنا حجة بشهادة الناس والاهات لنا المحكمة بما فيها فقال عثمان لايصح الا هكذا ولاى شيء جبت الزير فقال لأن فيه ماء بارد فلربما ان احد منا يشرب لان هذا الماء الذى فى هذا المكان نجس فقال له وهذا الفراش والتكك فقال لاجل الجالس قال والجريد قال عثمان لربما يكون أحد عليه ذنب فيضربوه ولاجل أن يبقى لايحتاج الى شيء فتبسم الامير من قوله وقال له الله يجازيك بفعلك ثم انه التفت الى الشيخ وسلم عليه وقبل رأسه ويديه وطلب منه السماح فى ذلك بعد ان كانت الرسل قد انزلوا الزير من على ظهر القاضي ثم انه اجلسه الامير وصبر عليه الى ان هدأ روعه وقال له يامولانا لاتؤاخذنا بأفعال عثمان ولا تتغير منه فقال له ياسيدى اعلم ان فعاله على قلبى أخف من الماء البارد على كبد العطشان وهل يكون موجود من يتغير من الاسطى عثمان وهو جميله على كل انسان فضحك الامير وفهم المعنى وقال له ياسيدى اسأل أهل هذه المطبخة عن هذين الرجلين فسألهم الشيخ فشهدوا باجمعهم على انهم من أهل الضلال وكتب الشيخ الحجة بذلك وذكر فيها جميع ماقدمنا ذكره وختم عليها القاضي وسلمها الى الامير فأخذها منه وارضى

خاطره بحطام الدنيا واصرفه الى حال سبيله وارسل معه من يوصل له الفراش والتكات وهو الرجل الذى كان ماسك الجواد وثلاثة من أهل مطبخة العسل وترك القتلى وأخذ عثمان وسار راكبا وكان الفقيه الذى هو أصل ذلك كله حاضراً فقال له ياشيخ اعلم ان الله أخذ لك بالثار واذاق خصمك الهلاك والدمار ولكن أريد منك ان تمضى الى شيخ الاسلام وتعلمه بهذه الامور والاحكام وتدعه يطلع الى الديوان فقال له سمعاوطاعة فهذا ما كان من هؤلاء (قال) وأما الامير بيبرس فانه التفت الى عثمان وقال له اعلم ان الرجل الذى قتلته انت مسلم وان العين بالعين والسن بالسن والحر بالحر والعبد بالعبد واذا ثبت عليك القتل يقتلوك فقال له وما الذى افعل فقال له أريد منك تنكر القتل وتقول أنا ما قتلت أحدا وأنا أعلم انه ليس احد يشهد عليك لان الناس كلهم يخافون منك فاذا وصلت الدعوة الى يد الملك الصالح فقول له لاقتلت ولا رايت ولا نظرت فاذا انت فعلت ذلك فلا عليك جناح فقال عثمان هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب ثم انهم ساروا الى بيت الوزير نجم الدين فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من أمر الملك الصالح والزناد القادح والبحر المليان السايح الصالح ايوب ولى الله المجذوب بن الفاضل بن الكامل ابن سعيد السعدا ابن شهيد الشهدا ينسب الى حبيب النجار ينسب الى سيدنا وحبيب النجار نوح عليه السلام فانه بات واصبح مثلك يصلى على من له الورد فتح صلى فرضه وقرأ ورده فدخل عليه الاغا جوهر الصالحى واعلمه بان الديوان تكامل قال الملك الكمال لله تعالى ولرسوله ثم قام الملك الى الديوان وهو يتوكا على قضيب من الخيزران حتى اقبل الى التخت وبسط اياديه وقرأ الفاتحة واهدى ثوابها الى روح سيدنا محمد والاولياء والاصحاب ثم الى ارواح

الملوك المتقدمين من قبله ومن يجلس مكانه من بعده ثم ختم القراءة وجلس على سرير ملكه وابدا اهل دولته بالسنة فردوا عليه بالفريضة الشرعية وكل واحد منهم لازم مكانه وجالس في موضعه لانه كان مايريد القيام له من احد منهم وذلك من كثرة تواضعه ثم سلم ذات اليمين وذات الشمال أمنت العساكر الاخيار وراق الديوان وقرأ القارئ وختم ورقى الراقى وختم ودعى الداعى وختم وصاح جاويش الديوان وهو يقول صلوا على الرسول

الملك لله الواحد الاحد　　الذى تكفل بالورى حرا وعبد

ورزق العباد منه تكرما　　سبحانه جل عن ند وعن ضد

تعالى ربنا عن كل شيء　　جعلت عليه اعتمادى وسند

فقال الملك آمنا من أين كنا حتى اتصلنا سبحان من عنده كل مالك كمملوك وكل غنى كصعلوك ياحاج شاهين الحق بيد الطير والطير الآخر شاطر قوى ومسعود قوى لما نظر الطير قد نقر الطير كان الطير أخذته الغيرة فتنبر الطير الآخر والله ياحاج شاهين الحق بيده فقال الاغا شاهين من هؤلاء يامولانا السلطان فقال الملك انت يارجل لا تؤاخذنى على كلامى أنا رجل عبيط اتكلم بكل ماخطر على بالى فلا تؤاخذنى في مقالى هذا النهار طالعه سعيد فقال الوزير اللهم اكفينا شر هذا النهار فبينما هم في الكلام والملك الصالح يدندن واذا بالحمالين طالعين الى الديوان باليهودى والسدار فقال الملك حق يادايم ياحق يامعبود ياعلام الغيوب ياناس هو طريق الترب من هاهنا قالوا له تعيش رأس مولانا السلطان قال فيمن قالوا في أمين مطبخة العسل هو والسدار فقال الملك من هو الذى قتلهم قالوا له قد قتلهم الامير بيبرس آغة الوشاقية وخادمه عثمان وقد احضر وهم الى بين يدى السلطان ليظهر الحق ويبان فقال الملك الله الله ياحاج شاهين تبقى الدنيا قد سابت

هؤلاء الاثنين ودور الحق على غطاه حتى أراهم يقتلوا وينهبوا وانا موجود
لا كان ذلك ابداً (ياساده) فلما رأى القاضى الملك وقد امتزج بالغضب
تحرك من مكانه ونفض اكمامه وجنح طيلسانه وهز ديدبانه وقال لا حول
ولا قوة الا بالله أبد الاسلام غريب وسيعود كما بدا تحركوا يا اجدادى
ياعراقيون يامولانا السلطان تكلم كلمة مافيها من السيئات قط أم اصنط فقال
الملك تكلم ياقاضى فقال القاضى انا كم اقول لك القول مراراً وأعيده لك
تذكاراً واجهاراً واقول لك ان هذا الغلام ما أتى من بلاد الاعجام الا يريد
أن يفسد ملكك وانت تكذبنى ولا تصدقنى ولا حول ولا قوة الا بالله
يامولانا السلطان هذا الغلام يقتل قتله بعد قتله وخادمه معه لان بوجه
الشرع يامولانا لا يقتل اليهودى الا اذا كان عاصيا عن اداء الجزية وهذا
رجل يدفع الجزية ولا يحل قتله والثانى رجل ناجح فالح واسمه صالح سنى
سنوى وأنا اعرفه لانه رجل من أهل الخير فاقتلهما يامولانا السلطان قتلة
لا حياة بعدها أبداً وان كان يعظم قتلهما على مولانا أمير المؤمنين فاساعده
من مالى وصلب حالى وزكاة نعمتى ومحبتى فى دين الاسلام والمسلمين بمائة
جواد ومائة مملوك ومائة كيس من الذهب وعليك ياوزير ايبك بمثلها فقال
ايبك وأنا مالى ياقاضى فقال له ارسل وامض واحضر ماذكر واعلم انه
عندى فى المسود مسطره ومذكور لك فى دفتر وهو فى قرار مكين وانا
مبشرك بهذا فقال الملك تحط ياسيدى ايبك والا لا فقال له احط يامولانا
السلطان فقال السلطان حضروا لنا ماذكرتموه حتى نرسل الى هذا الولد
المقصوف العمر المغرور بالبهتان وفعل الفجور فقال القاضى امضى يامنصور
وأتى بالمال والخيول وانت ياايبك ارسل وأتى بالمال المذكور فارسل ايبك
وفى عاجل الحال أرسلوا جميع ماذكروه وأحضروه بين يدى السلطان من

المال والخيول في حوش الديوان فقال الملك انزل يانجم الدين واحضر لنا
هذا الغلام حتى ننظر مايكون من الامر والشان فاجاب نجم الدين بالسمع
والطاعة ونزل فى عاجل الحال من تلك الساعة ولم يزل سائر حتى وصل الى
بيته ودخل على الامير بيبرس وسلم فنهض الامير ورد عليه السلام فقال له
يابيبرس اعلم ان عليك دعوة فى الديوان وقد أمرنى الملك ان احضرك الى
هناك والسبب فى ذلك انه قد قيل عنك انك قتلت رجلان في بولاق انت
وعثمان وقد أمرنى بحضورك السلطان فان مضيت معى سرت انا واياك وان
أقمت هاهنا اقمت انا واياك فقال له الامير يا ابى لابد ان اسير اناواياك الى
الديوان وما يجرى على الا ماقدره الملك الديان ثم انه أخذالامير معه وسار
حتى وصل الى الديوان وتحول عن الجواد وسلمه الى عثمان و. عدمع نجم
الدين الى اعلا الديوان ولما وقعت عينه على عين السلطان صاح وهو يقول
نعم امدك الله بالعمر والبقا كما امد نوحا بعمر نال فيه شفا فقال الملك بسم
الله الرحمن الرحيم ما شاءالله كان وما لم يشاء لم يكن اللهم عمر بك الارض
والبلاد اللهم اهلك ضدك اللهم اقم سعدك قل آمين ياقاضى قال القاضى آمين
اثنين ثم قال الملك ياسيدى بيبرس عليك بالحق ولاتبالى فانه ياولدى سفينة
النجاة فاخبرنى انت قتلت هؤلاء الاثنين فقال لا وحق جد الحسنين وانما انا
قتلت هذا الرجل اليهودى لاجل ماقد جرا منه

تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس وأوله محادثة بيبرس مع الملك الصالح
والحكم بحرق جثة اليهودى وزميله بالنار وذرها في الهواء

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ مصر الكبير

الذى جمع احوالها وعوائد اهاليها وماوقع بها من الحروب والحيل والخداع وما كان بها من العجائب والغرائب التى حيرت النبلاء وادهشت عقول الاذكياء وهذا التاريخ جامع لهذه الاحوال من سنة (٦٠٠) من الهجرة واخبار ملك مصر من ابتداء ايام الملك العادل صلاح الدين الايوبى اول الملوك الايوبية وشجرة الدر والمماليك خصوصا ما وقع فى زمن الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة السلطان الظاهر محمود بيبرس

وهى مقسمة خمسين جزء

الجزء الخامس

الطبعة الاولى — سنة ١٣٢٦ هـ — و ١٩٠٨ ف

طبعت على نفقة عثمان أمين دربال تباع بالمكتبة العامية العمومية بشارع الحلوجى بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسينى



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قال الراوى) ثم ان الامير بيبرس حدث الملك الصالح بقصة الفقيه وكيف امره الملعون بتغيير اسم محمد وكيف ضربه على وجهه وقص عليه القصة من اولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها واخرج الحجة واعطاها الى الملك وقال له اقرأ هذه الحجة يا مولانا السلطان فقراها الملك وعرف معناها وقال للقاضى اقراها وسمعنا معناها فقرأها واذا فيها خطابا من الشرع الشريف الى كل من عارض حاملها نعم انه قتل اليهودى لكن بعد ان شهدت الناس انه طلب منه الفاحشة وسبه وتكلم معه الى كل مايؤدى الى تلفه وما الذى جرى من الاول الى الآخر فقال القاضى هذه الحجة باطله ومن يقدر ان يخالف بيبرس فقال الملك تأنى ياقاضى لانه قد أقر بالقتل فدعنا الآن من اليهودى ومن قتل هذا الرجل المسلم الذى هو معرفة القاضى قالوا له قد قتله خادمه عثمان قال الملك

احضر لنا عثمان يابيبرس ثم نزل الى عثمان فرآه جالسا على رأى من قال هذا المثال صلوا على سيد ولد عدنان

ماعندى خبر يخلى من عمرى ولا السليم بحالات السليم يدرى
ولا الذى واصل احبابه الى الفجر مثل الذى انقطع قلبه وهو يجرى

(قال الراوى) فاقبل اليه بيبرس وقال له يا عثمان كلم الملك قال عثمان أبو جوطه قال نعم قال عثمان هذا رجل ماقيش وايش الذى يخرج من يده قال له قم ياعثمان بلا قلة ادب وان سألك انكر القتال وقل لاقتلت ولا رأيت فقال سمعاً وطاعة ثم أخذه وسار الى باب الديوان واذا بعثمان صاح ياليل موال

اجيكم كلما نهق حمار نصار وكلما هبهبت جروة على أعلا دار
يامن على صحن خده سرجة زيت دحار قتلتنى غدرا يا ابى محطمه قول حار

قال ثم صاح عثمان الخير عليكم من الطاقه الى العلاقه ومن الدوه للشاوره صباح الخير عليك يا بو جوطه الفاتحه منا فى صحايفك وصحايف الاسطبل الذى ربى صغرك وعلمك ضرب الكعكه والمديد فقال القاضى هو سايس يامقوت قال الملك اسكت ياقاضى انت والسايس ماله رضى الله عن القنبر على ساعى ركاب النبى قال عثمان صباح الخير عليك يابو فرمه صباح الخير عليك ياأبيت ياعين القط اللقيط السلام عليك انت يا رجل يا ابن عبد السلام خزاك الله ياقاضى ياعدو الخدود يامتموس يااللى من الحاره الضيقه الظامه التى يعرفها ابو قوطه قال الملك ياقاضى ان عثمان يقول لك يامنقوش يعنى ايش قال القاضى اعلمك انه قد رآنى وأنا ولد صغير مريض بالجدرى من مدة ذلك يقول لى يامنقرش فقال عثمان اتكلم يابو قوطه قال الملك لاياشيخ عثمان نحن ناس من الاحرار كاتمين الاسرار ياقاضى اسكت

لان عثمان ظلامه مافيه نور أبداً فاحترس لنفسك منه لئلا يكشف الغطا ولا يبالي باحد أبداً فقال القاضي هو رجل عظيم قال الملك ياعثمان أنت قتلت هذا الرجل لاى شيء قال عثمان عز الله جل الله مافي الكون غير الله قل هي أنت يابو قوطه لا اله الا الله محمد رسول الله قال الوزير في نفسه الآن يذكر كلما جرى وأما عثمان قال ياملك نحن رحنا الى بولاق فوجدنا رجلا في بيتو ويدعي عليك وهو يقول الله يقصف عمرك ياصالح ربنا يقلب تختك ياصالح فقدنا اليه وسألناه عن حاله فاخبرنا بما جرى له ثم ان عثمان حدث الملك بالقصة من أولها الى آخرها وكشف له عن ظاهرها وباطنها ولما رحنا الى مطبخة العسل وقتل بيبرس اليهودي وأنا نبطت رفيقه وقد علمت مثل ماتعلم أنت انه صديقه فقال لي بيبرس هذا مسلم والعين بالعين قات له ابن عمه وما يخبر عنه قال لي انكر وقل لا رأينا ولا سمعنا ولا معنا خبر فلما اتينا الى عندك اخبرناك وخبر خبرين ثلاثة لاشفنا ولا رأينا ولا معنا خبر مما ذكر فقال القاضي اقرارك مولسالك لا عذر لمن أقر وما هذا المظلوم الا رجلا عفيفا شريفا فقال الملك ياقاضي اصبر ثم ان الملك صاح يادايم ياحق اظهر الحق واعلى كلمته واخفض الباطل وقل قيمته واشار الملك بيده واذا بالرجل الفقيه طالع ومعه شيخ الاسلام واهل مطبخة العسل بالتمام فقال الملك ما الخبر فقالوا يامولانا السلطان نحن الصناع الذي في مطبخة العسل وقد اتينا نؤدي الشهادة بين يديك احتسابا لان هذين الرجلين افسد من في الكونين واحدهم قد عرفنا انه يهودي والثاني لا نعرف له دين وحاشا ان يكون من المسلمين وما نقول انه لايعتقد في ملة او يقين فقال الملك حق يادايم ياحق ياعلام الغيوب ولكن ياقاضي من شهدت فيه الناس بالفسق وقلة الدين يكون على غير استقامه ولكن

من الرأى ان تقوم وتكشف لنا عليه فقال القاضى انا اعرفه رجلا شريفا عفيفا قال الملك قم بلا كثرة غايه فقام القاضى ومد يده الى التابوت وقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اقشعر بدنى يا امير المؤمنين قال الملك ما رأيت يا قاضى قال نصرانيا يا امير المؤمنين والعلم الشريف قال الملك ماجزاهما عندك ياقاضى قال القاضى يحرقوهما بالنار ويذرونهما في الهواء قال الملك افعلوا ما قال القاضى وعزة الله ماذنبهما الا الحرق بعد الموت ثم قال الملك للقاضى لاى شيء بذلت هذه الدراهم والمماليك والخيول على قتل هذا الغلام عنية بالبغى والاسراف او على اظهار الحق من الباطل فقال القاضى حفظ الله مولانا الامام لاظهار الحق من الباطل كانه الشمس الضاحية فى السماء الصافية فقول هؤلاء حق قال القاضى هذا المال حق الى بيت مال المسلمين قال الملك اعلم ياقاضى ان بيت مال المسلمين غنى عنه وهو من عندى هبة كريم لايرد فى عطاه الى بيبرس فلما سمع ايبك ذلك قرأ الفاتحه ثم ان الملك التفت الى الوزير وقال له ليس بيبرس ملتزم مطبخة العسل واخراج القصب بارض بنها وا كتب له حجة بأنها له من غير مال ينزل بيبرس من الديوان بعد ان البسه الوزير الكرك بأنه ملتزم بنها وكتب له الحجه قال وكانت بنها العسل فى قسم نجم الدين البندقدارى فلما وصل الامير بيبرس الى البيت وعبر الى المقعد وقد التقى بزوج خالته فسلم عليه وجعل تحدث معه وقد هناه بأخذ بنها وانشرح خاطره من ذلك فبينما هم كذلك واذا قد دخلوا عليه عشرة رجال فلاحين بنها العسل فقال لهم الامير ما معكم من الاخبار قالوا له معنا كتاب من عند شيخ العرب سرحان ونحن من رجاله من عهد سيدنا نجم الدين البندقدارى فقال لهم

نجم الدين اعلموا ان التزام بنها صار الآن لولدى ثم قال له خذ منهم الكتاب وانظر مافيه من الخطاب فاخذه بيبرس وحله وقراه واذا فيه خطاب من المعلم سرجان الى بين أيادى الوزير نجم الدين ان الواصل لكم صحبة حاملين الكتاب رجل يقال له شرف الدين وهو المعلم ببنها القديم وان هذا الرجل من أهل الجور والفسق وقلة الدين ولا عرفنا له ملة ولا يقين وقد قتل بيده من الاشراف عشرة ويتم اطفالهم واذاقهم الحسرة وقد قبضنا عليه وهو يفعل حتى شهدت الرجال كلهم عليه وهؤلاء العشرة من بعض الشهود وعندنا غيرهم كثير من العباد مثل فلان وفلان وقد ارسلناه اليك وهو مكتوف اليدين ومقيد الرجلين فالمطلوب منك ان تجازيه على فعاله وان تعجل عليه في القتل من بعد عذابه وارتحاله وتمحى آثاره وتعجل بدماره وتريحنا منه ولا ترجع عنه حتى تسقيه كاس حتفه ومع هؤلاء العشرة مائة دينار ذهب تأخذهم اليك واذق هذا الرجل العذاب وهذا اول حاجتنا عندك وربنا يتمم سعدك والسلام على نبى تظلله الغمام قال الراوى فلما سمع بيبرس هذا الكلام التفت الى الرجال وقال لهم وأنتم ياناس شهدتم على هذا الرجل بأنه شرير ونحس من الانحاس فقالوا نعم ياسيدنا هو رجل كذاب كثير الفسق والذهاب فقال لهم وأين هو الآن فأتوا به واحضروه في عاجل الحال اليه وتأمله الامير ونظر اليه وكان صاحب بصير فبانت له في وجهه علامة الصلاح والخير وأخذته عليه الرحمة لكنه ما يدرى كيف يصنع فى هذه المحنه وقد نظر المعلم شرف الدين الى حاله وما نزل عليه من عذابه فجعل يتنهد كمداً ويتصعد مدداً وجعل ينشد ويقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

قد سلمت أمرى للطيف العالم   وأرحت نفسى من جميع العالم

وفوضت امرى الى نحو خالق ... مبرى العظام من الم الآلم
فربى عليم بحالى كله ... وهو علم بما تكن الحمايم
فربى قدير على ان يغيثنى ... وهو الكريم وهو ارحم راحم
وهو العليم بما قد حل بى ... من اهل اشرار واهل حرايم
تمدوا على بجورهم وتجبروا ... وشهدوا على بما ليس يعلم
وذكروا عنى فعالا كريهة ... وهى لهم شأنا وربى أعلم
فان كان لى قدراً رميت به ... وان كانت الاخرى فلم أتجرم
فلا بد لنا يوم القيامة موقفا ... ينجوا به المظلوم ممن يظلم
ولابد لنا من ميزان نؤدى بها ... وصحايف كتب بكل مأثم
بيض وسود تراها فى كل موقف ... ومنا من يأخذ كريم وما يكرم
ولا بد من نار تخاف سعيرها ... ولا بد من جنات تزد تنعم
فهنالك الناجى يبان حقيقه ... وهنالك الطاغى يجر ويقد
ورب العرش جل جلاله ... هو القاضى بين العباد وحاكم

(قال الراوى) ولما فرغ الرجل من انشاده التفت اليه الامير بيبرس وقال له ياشيخ انت قتلت عشرة من الرجال فقال لا وحق الملك المتعال الذى أرسى الجبال وعلم كم وزنها حبة ومثقال لاعمرى قتلت ولا نهبت وانما المجازى هو الله فقال له الامير بيبرس الآن ترى عاقبة فعالك وسوف تظهر اعمالك ثم انه نادى ياعثمان خذ هذا الرجل وادخله الى السجن والتفت الى تلك الرجال وقال لهم خذوا رد الجواب وسيروا الى صاحبكم وقولوا له لابد مما ذكرت ان يحصل وان الامير لم يخالفك أبداً واقروه عنى جزيل السلام وقولوا له قد فعل الملتزم كلما به قد أشرت فقالوا سمعا وطاعة وساروا الى حالهم

وأما ما كان من الامير بيبرس فانه صاح بعثمان ولما حضر اعاد عليه ما جرى من أول الامر الى آخره وكشف له عن باطنه وظاهره فقال عثمان يا دولتلي وحق مالك الممالك الذى كل شيء دونه هالك هذا الرجل مظلوم وحق الحى القيوم ولا جرت منه هذه الفعال وحق الملك المتعال والذى أقوله انه هو الذى ينفعك في ارض بنها العسل ويظهر لك الاصل الاصيل بالزغل وانا قد عرفته أكثر منك فتأنى فى أمرك وفعالك ولا تكن عجولا وما قال هذا عنه الا من هو أفسق خلق الله تعالى فقال له بيبرس سمعا وطاعة وقد علم ان قوله صواب ماهو هزيان ثم انه أمره ان يمضى الى السيد شرف الدين ويحله من وثاقه ويفرج عنه مابه من ضيق خناقه فاجابه عثمان الى ذلك الشان ونزل الى السيد شرف الدين وهو يبكى وينوح من كبد مضنى مجروح واولداه عليك ياشرف الدين والله انه رجل صالح ياخساره ياشرف الدين ولم يزل كذلك حتى اقبل عليه فلما رآه شرف الدين ارتعدت فرائصه وخفق فؤاده وتكدر وارتعبت أكباده وقال له ماالذى جرى يا أخى فقال له اعلم ان الملتزم فى هذه الساعة يريد ان يضرب عنقك فلما سمع ذلك السيد شرف الدين قال كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون كل نفس ذائقة الموت ثم انه جعل يندب نفسه ويبكى وينشد ويقول

رمتنى الايام ظلما بجهلها ... وكم من أمثالى رمت الايام
فعلت الجميل مع غير أهله ... فخانوا الجميل واتبعوا الملام
وقد بليت بقوم مايعرفون لى ... جميلا ولا يرعوا لى زمام
وقد زرعت طيبا في ارض خبيثة ... فلما تناها حده طرح لى سقام
وقد ظلمونى من غير ذنب بدا ... واثبتوا على كل فعل حرام

وقولونى بزور لم أقول به ... وأثبتوا على كلام فى كلام
وذكروا عنى انى قتلت نفسا ... زكية حرم الله قتلها حرام
ولكننى ان مت مت شهيداً ... وربى عالم بكل مرام
ويكفينى انى مت على الهدى ... وارثا لدين أهل الاسلام
أشهدك يا ربى انى مسلم ... ومسلم لك فى كل احتكام
اموت على دين خير الورى ... فهو الشفيع غدا فى الزحام
ربى على ملة الاسلام امتنى ... وتبقى يا مولاى للاسلام
وانت وكيلى فى جميع امورى ... تأخذلى حقى من جميع الاخصام

(قال لراوى) ولما فرغ من أشعاره وما قاله من نظامه قال له قم الآن وأجب الامير فلا شك انك رجل ظالم قاتل النفس شرير شارب الخمر المصير ثم ان عثمان أخذه الى الامير فتأمله واذا به ذاعقل رزين كثير العقل فقال له الامير يأبى مالى أراك على هذه الحالة الشنيعة وقد نزلت بك هذه الامور الوضيعة فقال له ياولدى كل شىء بقضاء الله وقدرته وما يقدر أحد ان يخالف حكم الله وأمره وما يقع فى ملك الله الا ما يريده فقال له وما معنى هذا الكلام قال له ان خادمك ذكر لى انك تريد ان تضرب عنقى وتورثى كاس حتفى وتجعل يومى كامسى فلماسمع الامير ذلك التفت الى عثمان فقال عثمان وأنا مالى انا قلت له الجندى يريد ان يضرب عنقك ويعدمك مهجتك ويريحك من نفسك وما ذكرت له غير ذلك وحق السيد المالك فقال بيبرس لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم ان الامير هجم على السيد شرف الدين وحل كتافه والوثاق واطلقه مما هو فيه من ضيق الخناق وفك أياديه من الاخشاب فقال له ياأبى عليك منى الامان من التلاف والعذاب فلا يأخذك فزع ولا جزع ولا تسمع كلام

هذا الرجل الخرفان الذى هو عثمان فاترك كلما كان يقوله من الكلام ثم انه أخذ بخاطر الرجل واجلسه الى جانبه وأمر بالطعام وأكل معه وقد صفى لهم الوقت وطاب وآمن الشيخ على نفسه من الالتهاب ومما كان فيه من العذاب وبعد ان استقر به المقام وفرغوا من أكل الطعام التفت الامير الى الشيخ شرف الدين وقال له يا أبي حدثني بقصتك واطلعني على قضيتك فقد صح عندى انك صادق انسان مظلوم من دون كل انسان فعليك بالصدق ولا تبالى واذكر ماجرى من أول القصة فقال له والله العظيم لا أقول لك الاحقا ولا أتكلم بين يديك الا صدقا فروق ذهنك وكثر بالصلاة على نبيك (قال الراوى) وكان لذلك الرجل سبب عجيب وأمر مطرب غريب اسمع ياأمير انى قد كنت معلما بارض بنها العسل وسائل سكر الحرمين وقصبه وسكر السلطنة وكل منهم له عندى جزء معلوم الى ان كان يوم من الايام ركبت فرسى وسرت بالسكر قاصد أرض مصر فمررت على عرب يقال لهم عرب الرمله فتأملت فرأيت رجلا حراث وهو قابض على غلام عريان وهو يضربه ضربا شديدا ماعليه من مزيد وذلك الولد يستغيث فلا يغاث فلما رأى ذلك الغلام قد قاربت منه جعل يستغيث بى فتقدمت اليه وقلت له ياشيخ اتق الله واخشى عذابه كيف تعذب هذا الغلام بهذ العذاب أما بلغك قول النبي عليه السلام الراحمون يرحمهم الرحمان ارحموا من فى الارض يرحمكم من في السماء فلما سمع منى ذلك الرجل هذا المقال فلم يلتفت الى بل انه ازداد فى ضرب الغلام فاخذتنى عليه الشفقة فتحولت من على ظهر جوادى ودنوت منه في الحال وقلت له اخبرنى عن ذنبه وما الذى فعله من الفعال فقال لى اعلم ياشيخ انى انا رجل حراث انا وهذا الغلام عند شيخ البلد غلام ولنا عليه في كل يوم ثلاثين بتاوه وقرصين

خبز ومخلين بصل نأكلهم أنا وهذا الولد ونحن نحرث له الارض كل يوم فلما كان هذا اليوم غاب علينا الغدا فارسلت هذا الولد الى دار الشيخ ليأتينا بما نأكله فغاب عني وعاد وما معه شيء من الزاد فسألته عن ذلك فاخبرني انه توجه الى الدار فوجدهم يخبزون فقال لهم انظروا لنا عندكم قدر عشرة بتاوات واعطوه ذلك فأكلهم وعاد الى عندي وما معه شيء واخبرني بما فعل فلما سمعت منه ذلك وكان قرط علي الجوع فالتهب فؤادي والضلوع فنهضت اليه من شدة جوعي وأتيت بأربعين عود من الرمان والبرقوق وربطته كما ترى وحلفت اني لا أتركه الا معدوم وجعلت أضربه واستريح وكلما قرط علي الجوع أعيد عليه العذاب وقد كسرت عليه خمسة وعشرين عودا وصار كما ترى يخرج دمه ظاهر الجلود وقد أقبلت انت الي وسألني عن ذلك أخبرتك فسر الى حال سبيلك ودعني اكسر عليه مابقي من العيدان ولا أتركه حتى يشرب كاس الهوان فقلت له اكرمه لاجل خاطري لانه قد وقع في عرضي فقال لي أنا رجل لا أعرف ذلك الا ترامو ولا أعرف العرض ولا الزمام فجعلت أتحايل عليه بأي حيلة كانت فلم اصل اليه فلما اعياني الامر وقل مني على ذلك الغلام الصبر قلت له تعطيني هذا الغلام وأنا اربيه لوجه الملك العلام وتأخذ هذا الكيس فيه خمسمائة شريفي ثمنه فلما سمع مني الفلاح ذلك طاش عقله وضاع صبره وقال لي بعتك اياه فقلت له خذ ماذكرت لك وناولته الكيس واخذت الغلام والبسته عباتي وارسلته مع رجل من الفلاحين الى البلد والغلام يدعيلي ويطلب لي السعد من الازل الابد ثم اني بعد ذلك توجهت الى مصر ووجهت السكر ووافيت كما كان علي من الطلب لبيوت الوزراء وبعد ذلك رجعت الى بنها العسل وأنا في كل أموري

على عجل لاجل هذا الغلام الذى الى وصل فلما وصلت البلد ارسلته خلف الفقيه وعملت له قديه وعلمته القرآن وذكرت له بعض معانيه وهو شهيد عليه والله تعالى لم يصل ثوابه اليه ولما فرغ من ذلك اتيت له برجل نصرانى وقلت له علمه القلم الديوانى فاطاعنى وما عصانى الى أن صار كاتب حاسب قارى ناجب فطين لبيب وصار يحسن الخط والتضريب وصاروا اهل البلد ينادونه يا ابن المعلم فلما نشأ وقرأ وفهم قلت له ياولدى أنا الآن صرت رجل كبير ومالى قدرة على التحصيل والتطبيخ والعصير وأريد ان أعبد الله في المسجد بطول النهار وأقيم فيه الى عند الاعتكار وانت ياولدى اولى من غيرك واحق بالتقريب وأريد منك ياولدى اكلي وشربى وخذ انت كلما كان تحت يدى واحكم على كلما كان فى حكمى ثم انى سلمت له المطبخه والارض والدار وصرت فى المسجد مقيم آناء الليل وأطراف النهار وأنا أحمد الملك الغفار فلما كان هذا العام الماضى أرسل الينا الوزير نجم الدين من طرفه من يتسلم السكر وكان صحبة الرسول رجل كاتب يقال له قدوير والمملوك الرسول يقال له صالح فلما وصلوا الى هناك فتلقاهم ولدى سرجان وقد أكرمهم غاية الاكرام وقد جعل لهم محلا برسمهم ولما أقبل الليل اجتمعوا ببعضهم وشربوا الخمور وأغضبوا بأفعالهم الملك الغفور وصارت الكاسات عليهم تدور وأرسل سرجان أتاهم بثلاثة من النسوان الفواجر فجعلوا يرقصون بين أيديهن ويفعلوا المحرمات وداموا على هذه الصفات حتى رأوهم الناس فبينما انا جالس فى المسجد واذا قد أقبلوا على أربعة من الرجال الفقراء فسلموا علي وجلسوا الى جانبى وساررونى وقالوا لى فى أذنى قد جرى من الامر كذا وكذا واعادوا على فعال ولدى وقالوا هم الآن فى المكان الفلانى

مضوا عنى بعد ذلك فنهضت من وقتى وساعتى وذهبت الى ذلك المكان
ودخلت اليه من غير ان يرانى انسان واذا قد وجدت الثلاثة على الفساد
من السكر والنساء والاولاد فاقمت خلف الباب ونظرت ذلك الحال
والمصاب فبينما أنا أنظر واذا بمراة منهم أقبلت بعد أن رقصت ودنت من
سرحان وعلى حجره قعدت وجلست ومد يديه الاثنين من تحت ابطها
وشبك على نهودها وقرط عليها وهى تتاوه له وتمايل عليه وتقبله وهو
كذلك يضحك ويقبلها فلما نظرت الى ذلك تغيرت وقد التهب فانى بالنيران
واتيت الى عنده وقلت له ياويلك ياقرنان كيف انك تقرأ القرآن الذى نزل
على قلب ولد عدنان وتفسد بالنسوان وتغضب بفعلك الملك الرحمان ثم انى
ضربته على وجهه بيدى من شدة غيظى عليه وتركته ونزلت وانا منزعج
الراس كثير الفكر والوسواس وقد اقبلت الى منزلى وانا لا أتكلم ولا
أدرى عاقبة هذا الامر المحكم ولما ضربته الكف بين أصحابه صعب
عليه وكبر لديه وكذلك على صاحبيه واتفقوا على هذا الرأى الذى اوقعونى
فيه وقد صبروا الى الليل واتوا بهؤلاء العشرة القتلا وانزلوهم فى دارى
من غير علمى وقد اكمنوا الى الصباح فلما جاء الصباح أردت النزول الى
الجامع مثل عادتى حتى اصلى فريضتى وما أدرى ماقد جرالى من مضيق
فلما توسطت الدار وجدت القتلا مطروحين على الجدار فقلت لا حول ولا
قوة الا بالله ومن اين لى هذه القتلا ومن الذى أتى بهم الى دارى ولكن
الرأى الصواب أن أدفنهم ولا أظهر أمرهم خوفا ان الناس يقولون عنى
انى قتلتهم ثم انى صرت أحفر الارض واذا بشيوخ البلاد والمشدين والملوك
والكتاب وولدى سرحان على هاجين والى نحو دارى طالبين ثم انهم
دخلوا الى الدار فرأونى أحفر الارض والقتلا بين يدى وقد نظروهم كل

النظار ورأونى انا احفر الارض واريد ان ادفنهم فهجموا علي ولطموني حتى اعموني وقالوا لي انت الذى فعلت هذه الفعال وقتلت هؤلاء القوم يانذل الانذال ثم انهم اوثقوني كتاف وقووا مني السواعد والاطراف وجعلوا في يدي الخشب وكادوا ان يورثوني العطب بعد ان لففوني دائر البلد وانا لا ابدي كلام ولا أذكر لاحد مرام ثم انهم غطوا رأسي بالغطا وارسلوني مع هؤلاء العشرة الى مصر القاهرة وقد ارسلوا معهم جواب الى الوزير نجم الدين يأمروه بقتلي وصلبي فأتيت اليك وقصصت القصه عليك فلما نظرتني أمرت بحبسي ثم ان عثمان اقبل علي وقال لي سيدى يريد يضرب عنقك لانه رأى القتل ثابت عليك ثم أخذني وأحضرني الى بين يديك فسألتني وأخبرتك وهذه قصتي والسبب وحق من عن العيون قد احتجب وهذا ماجرى من أول الامر الى آخره والله على ماأقول وكيل خبير (قال الراوى) فلما سمع الامير ذلك تعجب غاية العجب وقال والله انه يحق لهذه الاعاجيب ان تكتب بالذهب ثم قال ياابي شرف الدين اني قد اعطيتك الامان والزمام وما عليك خوف ولا ملام وحق الملك العلام غير انك لا تعارضني فيما افعل من الاحكام حتى ادبروا كشف هذا الابرام ومن فعله ولا تلوم علي فيما اعمله ولا تصدق عثمان ولا يأخذك من جانبي خوف ولا فزعان لاني اريد احقق هذا الامر بمعرفتي فقال له افعل ياولدى مابدالك نجح الله أعمالك فقال ياعثمان امضى بسيدى شرف الدين الى السجن فسار به عثمان وتركه في السجن مثل ما كان فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من الرجال الفلاحين فانهم ساروا الى بنها العسل ودخلوا على سرحان واعطوه رد الجواب وقالوا له انه يقرئك السلام ويفعل كلما امرته به من الاحكام فلما سمع منهم ذلك فرح

غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وايقن بهلاك شرف الدين ونهب ماله على يقين ثم اقام على ماهو عليه من سكره وفساده فهذا ما كان من امره وأما ما كان من امر الامير بيبرس فانه التفت الى عثمان وقال له يا أخي اريد منك ان تمضي الى بولاق وتنظر لنا مركب صغير تسع اربعة من الانفار حتى اننا ننزل فيهـــا ونقصد بنها العسل وتلك الديار ونعمل على قدر ماترى من الاعمال فأجابه عثمان الى ذلك الشان واخذ رزته وسار ولم يزل سائر بالاتفاق حتى وصل الى بحر بولاق فتأمل واذا بالريس فرحات جالس مقدم الذهبية التي للسلطان وبين يديه اتباعه والغلمان فقال عثمان والله ما يصح لنـــا الا هذه الذهبية حتى نسافروا فيها ونفوسنا هنية مطمئنة مرضيه ثم ان عثمان اقبل خاتف الرئيس وضربه بالرزة حتى ظن انه قد مات فلما فاق التفت الى الضارب فوجده عثمان وكذلك عرفوه سائر الغلمان فنهض سريعا على الاقدام خوفا من الاسطى عثمان وقال له اهلا وسهلا ماالذي تريد ياعثمان فقال عثمان الفاتحة فقال له حلت بركاتها ولــكن ياعثمان الفاتحه من خلف او من قدام قال عثمان ان هذه الطارقات كلها مسالك قدعنا من هذا كله واعلم انني اريد هذه المركب اسافر فيها الى بنها العسل وتعود انت سريعا على عجل فقال له ياعثمان هي ذهبية السلطان لم ينزل فيهاغيره انسان فقال عثمان ومن هو السلطان قال له الملك الصالح جايل الشان فقال عثمان قطعت منك ومنه الاذن واليدان والرجلان فوعزة الملك اثنان لا اسافر الا فيها ولم انزل في غيرها فقال له الريس فرحات ياعثمان اسمع كلامي ولا تكن عنيـــد فان اردت ان تسير في هذه المركب فأتيني باذن من عند السلطان الملك الصالح حتى لايعتب على بعتاب او من الوزير الاغا شاهين والا وعزة الله

فللك المبين الذى تكفل برزق العالمين وخالق الاولين والآخرين ان لم تأتيني بأذن من الملك لم انتقل بها لو كنت من الهالكين فقال عثمان اعلم اني اخاف منك ان تتركني وتهرب بعد ان امضى فقال له ولاى شئ ذلك والله لا فعلت ذلك ابدا ولو سقيت كاس الردى فقال عثمان امامن خصوص الاذن فانا اتيك به ولكن وحق من لم يطلع احد على غيبه وقد تكفل بارزاق خلقه ان تركتني وهربت لا بد انى اجد ورائك فى الطلب واذيقك بيدى كاس العطب واذبحك من قفاك ذبح التيوس واصلبك على مقدمتها وحق الملك القدوس ولا ابالى من المعلم صالح ولا من كل مروح وسارح فاصلح انت شأنها وعمر مقادفها واجعل فيها النمل والتماليق وافردهذه القلوع والتزاويق حتى امضى الى الملك المهاب وآتيك بالجواب ثم تركه وسار وهو لايقر له قرار ولا يأخذه اصطبار حتى دخل الى الوزير ودخل الى الديار فوجد الوزير جالس وبين يديه الحصان فقال عثمان صباح الخير ياوزير الزمان فقال الوزير اهلا وسهلا ومرحبابك ياسطى عثمان ما الذى تريد من الامر والشان فقال سيدى يريد النزول الى بنها العسل وقد سرت الى الريس فرحات في بولاق وقلت له خذ لك منى قرش كامل واوصل سيدى الى بنها العسل فابى عن ذلك فطلبت ان اضربه بالرزه فقال لى انا لاافعل ذلك حتى تأتيني بخطاب من ابوفرمه او من السلطان صاحب الهمة فقلت له قدعظمت شأنهما وهما عندى مثل الهوى ثم انى تركته واتيت اليك أريد ان تكتب لى قوله بيدك وبخطك وختمك فانى حلفت ان لاأسافر لا فيها فقال له الوزير سمعاً وطاعة ثم كتب له الوزير تذكرة الى الريس فرحات يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فهذا خطابى واصل اليك أيها الريس فرحات بقضاء حوائج الاسطى عثمان وتوجهه

الى كل ما يريد فى الذهبية الملكية وما عليك في ذلك ضرر ولا خوف وخطنا وختمنا حجة علينا بعدم المعارضة لو أتت مع عثمان سنة كاملة والسلام على من تظلله الغمام ثم انه ناوله التذكره وعلم عليها وختمها واعطاها لعثمان فأخذها وقال له بقى عليها ياوزير الزمان حاجة أخرى فقال له وما هى ياعثمان قال أريد من يسافر مع الاشقر من الخدام لانه فقير ولا عنده زاد ولا عبيد ولا حشم فقال الوزير سمعا وطاعة ثم رسم له بمائة مملوك وأمرهم بمائة خاصة ومائة ركوبة وزوربه ثم رتب له طباخين وفراشين وكل ما كان يحتاج اليه من فراش ومخدات وضيافات وعلوفات وقال يا عثمان ان كنت تريد شيئا غير هذا فقل لى عليه فقال عثمان جزاك الله كل خير وكفاك كل هم وضير وسوف يصل اليك اكثر من هذا ولكن المماليك وهبة ولا يعودون والا يعودون اليك بعد ان يوصلونا فقال له كل هذا هبة كريم لا يرد فى عطاه ياعثمان فاخذهم الاسطى عثمان وسار بهم الى ان وصل الجميع الى بولاق وسلم التذكرة الى الرئيس فرحات فأجاب بالسمع والطاعة ورتب الذهبية بكل ما كانت تحتاج اليه وانزل المماليك والخيرات وسلم الجميع الى الريس فرحات وقال له اسبقنى بالذهبية الى شبرا فاجابه لذلك وعاد عثمان الى بيت الوزير نجم الدين وقابل عقيرب وقال له ركب الاشقر وسر بنا الى بولاق تأخذ انت الجواد ونحن نسير الى ينها المسل ومعنا الخيول التى للمماليك والسياس ولا تعلم أحد بهذا العمل فقال سمعا وطاعة ثم صعد الى بيبرس وسلم فرد عليه السلام فقال له اتيت بما أمرتك به قال نعم اكتريت مركبا صغيرة قوية فعند ذلك نهض بيبرس وركب جواده ولبس سلاحه وعدة جلاده وسار

طاب بولاق وأمر عثمان ان يركب شرف الدين ويسير به الى هناك ففعل عثمان ذلك ولما وصلوا الى هناك قال الامير بيبرس أين القارب يا عثمان قال عثمان كان هنا وراح كان الرجل أخذه وهرب فقال له الامير انظر انا غيره فقال عثمان هذا لا يصح ان بنى آدم يربطوه من لسانه ولكن سير الآن خلفى حتى انظره ثم سار عثمان وتبعه بيبرس على الاقدام ولم يزل كذلك حتى أقبلوا الى شبرا وتأمل عثمان فرأى مركب السلطان وهى كأنها العروس اذا انجلت والدنيا اذا أقبلت فقال عثمان هذه من مركب يا أشقر قال نعم هذه مركب السلطان صاحب العدل والامان فقال عثمان انى أرى القلوع من حرير فقال نعم يا عثمان قال عثمان لو كان يأخذ الملك الصالح قلعا منهم يلبسه على بدنه أحسن من الدلق الذى نسل جلده وارق لحمه وابرأ عظمه وأكثر سقمه وكان يبيع قلعا منهم ويشترى به لحمة يأكلها لانى ما أراه يأكل الا قراقيش ناشفة فقال الامير لا تتكلم فيما لا تعلم لانه هو بحاله اخبر وما هو الا من أولياء الله العظام فقال عثمان أريد ان اتفرج عليها وانزل انا وانت اليها حتى ننظرها ونتأملها فقال له بيبرس سمعا وطاعة ثم ان الامير نزل هو وعثمان وشرف الدين وكانوا تركوا الخيول مع الخدامين فأخذهم عقيرب وسار الى ما أمره به عثمان هذا والامير قد سار هو وعثمان وشرف الدين الى ان وصلوا الى الذهبية واذا بالسقالات موضوعة والآلات مرتبة مصنوعة فلما توسط الامير الذهبية واذا بالمدافع قد خرجت من جوانبها والغلمان قد قامت على أقدامها ونهض الرئيس فرحات وقد تبادرت الغلمان من سائر الجهات وما منهم الا من قبل يد الامير بيبرس وتأمل الامير الى صدر الذهبية واذا قد وضع له كرسى من الساج الهندى بأربعة عساكر من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وأخذه الريس فرحات من تحت ابطيه

واجلسه على ذلك الكرسي وهو يمدحه ويثني عليه وقد وقفت المماليك في الخدمة بين يديه فلما رأى بيبرس ذلك الحال كاد ان يأخذه الدهش والانذهال وقال والله ماهذا الا امر غريب ماخطر لي على بال ثم قال في نفسه لابد ان الرئيس مافعل هذه الفعال الالاجل ان يريد العطا والمال ولكن ما الذي اعطيه الآن وهو رئيس السلطان ثم انه جعل يتفكر في مثل ذلك الشان واذا به يرى المركب قد سارت على كف الرحمن والقلوع قد خرجت مثل اجنحة الطيور والنسور والعقبان والجميع ساروا بالرياح ملانين وفي عاجل الحال وقدموا الثيران وذبحوا الاغنام واشتغل الطباخ ودقت الطبول في الذهبية وغنت الملاحين والنواتيه ولما رأى الامير ذلك تعجب وكاد عقله ان يسلب ولم يعلم باطن الامر فالتفت الى عثمان وقال له ياعثمان ما الخبر وما هذه الافعال التي قدجرت فقال عثمان اسمع يااشقر واختار لك خيرة من اثنين اما ان تجلس في مكانك ولاتسأل على ماجرى لك واما ان ارميك في البحر فتشرب كاس وبالك فلما سمع الامير من عثمان ذلك تبسم ضاحكا وقال له اخبرني ياعثمان عن هذا الامر والشان فقال عثمان انه قد جرى كذا وكذا ثم ان عثمان حدثه بالقصة من اولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها وكيف انه قابل الريس فرحات وكيف مضى الى بيت الوزير فقال ياعثمان وبأى شيء اجازى انا هذا الوزير وما أنا على مكافئته بقدير فقال عثمان والله مالك مجازيه الا بالشرورات والامور والموبقات فقال له ياعثمان لا تذكر هذا الكلام فقد قرأنا في القرآن المنزل على سيد ولد عدنان هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال عثمان اعلم انك رجل مثل العقرب خاين العهد والمذهب وكل من فعل معك جميل لا تجازيه الا بالشر والويل

ولكن دعنا الساعة من الملاججة والكلام واعلم ان الرجل الذى انت ذاهب اليه أديب بن أديب وعن المحرمات لايحيد ولا يفيد ولايمدك فى عينه الا هذا الملك العظيم اذا رآه وما من الله به عليك من العطاوالتكريم وما فعلت ذلك الا حتى أوقع فى قلوب الاعداء الهيبة والرعب فعلم الامير بيبرس ان قوله صواب وهذا الامر لايعاب فشكره على ذلك وساروا ولو كانت لهم اجنحة لطاروا ولم يزالوا يجدون السير الى ان كان وقت العصر وقد نظر الامير بالنظر فرأى مركباً مليانة سكر مقبلة من ناحية بنها العسل ومتوجهة الى مصر فلما نظر شرف الدين الى ذلك التفت الى بيبرس وقال له انظر ياسيدى الى هذه المركب وكيف انها مليانه سكر وان جميع مافيها من مالى ومال أمير المؤمنين وما هم الا يريدوا ان يرسلوها هديه الى بعض رفقائهم فلما سمع الامير ذلك قال للرجال والغلمان الذين حوله صيحوا على الريس الذى بهذه المركب حتى يأتى الينا وننظر مافي مركبه ويعرضه علينا فصاحوا عند ذلك الملاحين والمماليك وكل من فى الذهبية وهم يسمعون ذلك ولا يلتفت أحد منهم فقال عثمان صيح عليه لانك انت المفتش الكبير ولا بد ان يصغى لقولك الكبير والصغير فنهض بيبرس ووقف على مقدم الذهبيه وصاح ياريس ياريس فلم يلتفت اليه ولا عبأ به بل هو سائر على ماهو عليه وهو يدير مركبه ويقول الى ملاحينه افعلوا كذا وكذا ولم يجب المنادى ولم يجاوبه فقال له عثمان كان الريس لايسمع كلامك ولاردعليك خطابك ارجع انت الى مكانك وأنا آتيك به وبكل مافى المركب ثم ان عثمان تقدم الى مقدمة المركب وكشف رأسه ومسك الرزه فى يده وصاح ياراجل ياريس أنا عثمان بن الحبله فى المراغة بيتى والقبر الطويل ولى عبد اسمه فرج وعلى باب بيتى قنديل معلق بحبل طويل وسرها فى مقامها اذا لم تأتى الى

عندى لانط وراك واذبحك من قفاك على مقدم مركبك وانجز بخنجرى باقى غلمانك وأقرابك وانهب كل ما كان معك وأرميك في البحر حتى يأ كلك السمك (قال الراوى) فلما سمع الريس صوت عثمان وماقاله من الاقسام الذى يعرفها كل انسان حتى صاح باعلا صوته ميل عليه يا ابن كشاف اطوى القلاع ياشموت ارخ الطرف ياعلان حول القارب ياشملان ولم تكن الا طرفة عين حتى طاوا وصاروا الى جانب بعضهم المركبين فلما نظر بيبرس الى ذلك تعجب وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وهنا اقبل الريس على الامير قال له ياهذا كيف اصيح عليك خمسة مرات وانت لم تجبنى قال يامولاى كان الريح قاعد فى اذانى وانى لم أسمع من نادانى قال له ولما صاح عليك عثمان كيف سمعت نداه فقال له اعلم ان صوته دخل فى آذانى كانه الرعد اذا رعد والبحر اذا ازبد فقال عثمان وحيات رأسك هذا يسمع ظراط النمل وماجاء اليك الا من خوفه منى والا لم يقبل ثم ان الامير سأله عن وسقه الذى معه في مركبه وكان السائل له عثمان فقال له وقد خاف منه الخوف الشديد اعلم ان هذا الوسق عسل وسكر ساقه ابو الشيخ سرحان وأعطانى هذ الكتاب وامرنى ان اسير به الى رجل خمار يقال له ناصر وأمرنى ان اسلم اليه جميع ما في المركب وآخذ بداله من عنده شيأ آخر لا اعرفه انما هو مذكور في الكتاب فعند ذلك حل الامير الكتاب وقرأه واذا فيه خطابا من المعلم سرحان الى بين أيادى ناصر الخمار الذى نعلمك به اننا قد صفى لنا الوقت وطاب لنا الحظ وأهلكنا الاخصام وذلك اننا عملنا ملعوب على شرف الدين واتهمناه بعشرة أرواح وقد أشهدنا عليه جماعة من الفلاحين وأرسلناه الى نجم الدين يقطع أثره ويصرم عمره وقد جاءنى رد الجواب من الملتزم الجديد بأنه يفعل كلما أشتهى وأريد وحدنا

ربنا على ازالته ونظافة البلد من طلعته ولا بد ان أنهب داره وأسبي زوجته لانى أنا الآن صرت المعلم الجديد الكبير والريس الجديد الشهير وقد أرسلت اليك هذا السكر والعسل القطار وتستعوض لنا حقه خمر عقار وتحضر الى عندنا ليتم بك السرور والاستبشار ونقيم مع بعضنا على ما نحن فيه من الفرح والاستبشار والازهار آناء الليل وأطراف النهار والسلام (قال الراوى) فلما فرغ الامير من قراءة ذلك الكتاب ورأى ما فيه من الخطاب قطعه قطعا وجعله بضعا ورماه الى البحر وقال ياعثمان حول هذا السكر الى عندنا الآن فقال له عثمان سمعا وطاعة ثم أمر الرجال بتلك البضاعة وقال لهم حولوا ياجدعان والا أرميكم فى البحر وأسقيكم الهوان فلما تهيأ الفراغ من ذلك قال لهم سيروا الآن الى حال سبيلكم فانكم مالكم عندي ذنب ولا لكم دعوى ولا طلب فساروا وهم لا يصدقون بالنجاة قال ولم يزل الامير سائر في الذهبية الي ان أقبل الى بنها العسل وقد طلع عثمان قبله ومعه الدولة والغلمان وقد علموا بذلك الشان اهل البلد والاوطان ففتحوا دار الملتزم وكنسوها وهيأوها وفرشوها وطلع الامير بيبرس وبصحبته شرف الدين ولم يعلم به أحد من الفلاحين لانه كان قد جعله بين عشرة من الغلمان وألبسه مثلهم وصار كانه منهم فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من سرجان فانه لما بلغه مجيء الملتزم نهض على الاقدام وسار الى عنده فلما رآه الامير بيبرس نهض له وسلم عليه وصافحه واجلسه في موضعه واظهر له غاية الاكرام وكان ذلك خبثا من بيبرس وخديعة وفي مثل هذا قال الشاعر

ولى صاحبا لما رآنى مقبلا   من مكره تزحزح لى من مكانه

وسايرنى مادمت عنده جالسا   ولما تركته عضنى بلسانه

(قال الراوي) فلما نظر سرجان الى هذا الاكرام ورأى ما هو فيه من العز والاحترام كبرت نفسه عنده وظن ان ما في الدنيا كلها مثله وقد خاف الامير من صورته وشكله والا فما كان ترحب به ولا قام له ثم انه جلس مكان الامير كما ذكرنا وتركه ولم يعتني به ولم يجلسه ولم يسأل عنه قدر ساعة من الزمان ونهض بعد ذلك على الاقدام وسار الى محل اقامته ليتزود ولا ابدى عند خروجه سلام ولا كلام ولم يدري بانه قد ولت عنه دولته ورماه الزمان بالنكال والحدثان هذا ولما خرج من عند الامير تعجب من فعله وأخذه التحيير وقال الامير ان هذا الرجل قد أعجبته نفسه وتكبر على ابناء جنسه ولا بد لي ان أسكنه رمسه واجعل يوم حياته كامسه واني اسلبه نعمته ويصير هذا القرنان مثل عادته لانه طغى وبغى وتعدى وطغى وخان العيش الذى رباه فلعن الله أمه واباه ثم ان الامير اضمر له في سره كل أمر يهينه فهذا ما كان منه (يا سادة) ولما ... بالامير المقام نحو شهر كامل من الزمان أرسل اليه سرجان يقول له غدا يكون قص القصب فقال الامير على بركة الله الكريم لمختص ... به بعد ان جاء الاعتكار أحضر السيد شرف الدين الى بين يديه في ال... وسأله عن مثل هذه الاخبار وقال له يا ابي غدا قص القصب فقال له السيد شرف الدين والله يا امير لقد سألتني عن أمر كبير غدا تركب انت وسرجان يكون الى جانبك وتطوف على القبطان معك فاذا رأى القصب الذى يكون طايب يتركه لاجل الذهاب ويمضى الى القصب القوى القطير ويأمر الرجال بالقطع والتكسير وذلك لاجل انه اذا قطع الاخضر الناقص للتطييب فلم يخرج منه شيء لعدم الاستواء واذا فرغ من ذلك عاد الى القصب المستوى وأمر بقطعه ويكون قد اكله السوس فما يخرج منه عسل ولا يتدبر منه فلوس واذا انت نظرت

ماخرج فى ذاك العام فيحاسبك العام القابل مثل هذا الفرض وهذا لاجل
ان يكون الوفر كله اليه والمال يكون له ويأتى اليه وهذه حالته والسلام
(قال الراوى) فلما سمع الامير ذاك الكلام اعجبه وقال والله
ما احلا قولك وما اطيبه ولكن غدا يكون ما يكون باذن من لا تراه العيون
ثم ان الامير جلس يتحدث مع السيد شرف الدين الى ان انتصف الليل وجلب
نجم سهيل قال له ياابى امضى الى المكان الذى برسمك حتى تأخذ من
النوم حظك فقال سمعاً وطاعة وقام من عند الامير ونزل عند عثمان ونام
وتوكل على الملك العلام ولم يدرى ماخطر بقلب الامير من التدبير في مثل
هذا الامر الخطير ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح
وطلعت الشمس على رؤوس الروابى والبطاح اقبل سرجان وصحبته الكسارين
وجماعة من الفلاحين وطلب الامير فنزل اليه وسلم عليه فقال له من غير
رد السلام سر بنا حتى نقطع القصب من قبل ان يحل به العطب من السوس
فسار معه الامير حتى انتهوا الى غيط كبير فرأى الامير قصبه قد طاب واستوى
فتركه سرجان ومضى الى مكان غيره فرأى الامير القصب هناك كله تفوا
قصير قال سرجان اقطعوا من أوائل هذا المكان قال الامير لاى شيء ياابى
تترك القصب المليح وتتبع هذا المكان الذى مافيه منفعه ولا آن له أوان
قال له سرجان اعلم انك جاهل بالارض لا تعرف لذلك طول ولا عرض
وأنا خبير بحالى عليم بكمال اشغالى فدع عنك اللجاجه فما لك في ذلك من
حاجة فقال له الامير اسمع ياهذا وحق اللطيف الخبير ما اعمل الا بفعلي
ولا أفعل الا بعقلى والرأى عندى ان تتركوا هذا القصب القطير حتى يطيب
وتقطعون من الذى طاب من قريب فما تصلون الى هاهنا حتى يكون هذا
بدأ اصلاحه وآن أوانه ونجاحه ثم صاح فى الرجال اقطعوا من هاهنا

واسمعوا قولي انا فعند ذلك نظرت الرجال الى سرجان فقال لهم أطيعوه في هذه النوبه فما هي الا سنه مظلمه سودا فتقدمت الرجال وقطعت القصب في عاجل الحال وكان كما أمرهم الامير الريبال وما قطعوا الذى طاب حتى يكون الآخر آخذ فيه الطياب وقد زادت بسرجان البليات وكثرت منه الشكوات وعاد الامير بعد ان قص القصب وعثمان يراقبه مراقبة الاسد ولا بقيت منه ولا كعبة ومن هذا الامر العجيب سرجان قد تحيروا التهب ولما تهيأ الفراغ من ذلك أرسل سرجان الى الامير يقول له غدا شيل القصب الى العصارات قال الامير الامر لله مدبر الكائنات ثم بعد انذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار جلس الامير في الدار وارسل احضر السيد شرف الدين ذات الفخر والافتخار ولما استقر به القرار قال له ياأبى غدا شيل القصب قال له نعم اعلم إن الجماله لهم عادات على أولاد البلد فيأتون اليهم بشيء من الزاد فيعطونهم من القصب كما اشتهى الواحد منهم فلما سمع الامير ذلك الايراد علم انه يذهب اكثر من نصف القصب فى الطريق ولايجتمعون على بعضه بالتحقيق فقال الامير ومن يحرس الجمال والجمالين ويمنعهم من ذلك الامر المهين قال عثمان هذه نوبتي ودعوا القصب في عفارتي وسلموه لي ولايذهب منه شيء بعيداً عني فقال الامير هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب ثم نهض السيد شرف الدين الى مكانه وجلس الامير الى الصباح فحضر سرجان ونزل الامير على حسب العادة ثم ساروا الى المخازن والاسواق وجلسوا يشاهدون التحميل بالاعيان وحملوا القصب على الجمال وساروا به بين الطرقات والاطلال وقد مشى خلف الجمال عثمان وعينه تراقب أول الاحمال فلما توسط الطرقات وسار المقدم بالجمال واذا ببنت صغيرة قد خرجت من دار وقد اقبلت على المقدم وصيحت عليه وعلى

أصحابه وقالت له أمي تسلم عليك وتقبل يديك وتقول لك ياحاج سليمان كل عام وأنت في أمان وكل قصب وأنت بخير واحسان وقد أرسلت اليك خمسة فطاير كبار وخمسة قطع جبن من الابقار فقال لها هاتي مامعك وخذي ماأعطيه لك ثم انه أخذ منها ماقدمنا ذكره وأقبل الى الجمل الاول وبركه وانزل من عليه لبنت قصب كبير وقال لها خذي هـذا وسلمي لي على أمك كثير وبعد ذلك أراد الجمـال أن يسير ويترك القصب الى البنت التي سلمت عليه واعطته الفطير واذا برزة عثمان تقعقع بين اكتافه كأنها الازمير اذا وقع على الحجر الكبير فصاح الجمال آخ فقال عثمان ماهذا الانعباط فقال له هذا قـد انفك الرباط وأنا أصلحه واربطه أشـد رباط قال عثمان افعل ذلك وسر والا اسقيك برزتي شراب المهالك والتدمير قال فأخذ الجمال القصب وأعاده الى مكانه ورد الفطير والجبن الى البنت وقال لهـا سلمي علي أمك وقولي لها هذا العام ماهو أوانه فرجعت البنت الى أمها وأعطتها ماأخذته منها واخبرتها بالحال وأعادت عليها السؤال (ياساده) وسارت الجمال على هذا الحال الى أن دخل القصب المعاصر بالتمام والكمال ولم ينقص منه شيء ثم بعد ذلك أغلق عليه الاماكن واستلم عثمان المفاتيح وعادوا الى عند سيدهم فوجدوه مستريح والى جانبه هـذا الرجل الكشيح قال له الامير القصب راح الى المعاصر قال له نعم روح والسلامه من الخساره ثم بعد ذلك عاد الامير الي دياره وسار سرحان الى دياره وقد كان قال للامير غدا يكون التقشير فلما توجه احضر الامير شرف الدين وقد رآه بكل الامور خبير ولما استقر به الجلوس قال له ياأبي غدا تقشير القصب فاخبرني ايضاً بهذا السبب فقال له اعلم انه اذا كان اول سنة نزول الملتزم تأتي الفعالين الى تقشير القصب وكل رجل منهم له دفتر الملتزم ثلاثة فضه

يحاسب عليها سرجان في كل عام كان ويأخذها لنفسه ولا يعطي واحد من
الشغالة درهم واحد بل أنهم يعرفون منه ذلك الشان فكل منهم يأخذ
شقاة قصب من الديوان والملتزم لايعلم بذلك ولو كان حاضر مشاهد قال
له الامير وقد تعجب وكيف يكون ذلك قال اذا جاء آخر النهار تنظر الى الرجل وهو
مروح الى الدار فتجد على رأسه عقدة عظيمة كبيرة جسيمة على قدر مايشيل
واذا سأله احدعنها يقول هذه قشور نريد نحرقه في الفرن وكل واحد منهم
على هذا الشان وذلك يكون في نظير الاجره وسرجان يحاسبه عليها بالدفتر
المرة بعد المرة فقال عثمان وهذه الاخرى على وما لها غيرى بالكليه
ثم انصرفوا الى اماكنهم وناموا الى الصباح فركب الامير وعثمان وساروا
الى تلك الاماكن والاوطان وجلس الامير واشتغلت الرجال الى ان عزمت
الشمس على الارتحال وجعل كل واحد منهم له عقده وخرج الاول وكان
سرجان حاضر ذلك الوقت لم يتحول ولما خرج الرجل الاول قال عثمان ما
هذا الذى على رأسك يارجل قال هذا من قشور القصب نحمي بها الفرن
فقال له عثمان اريني اياه ثم جذبه عثمان من اطواقه فانفرط القصب ووقع
من على أكتافه فقال عثمان هذا قشور ام قصب ياقرنان فقال له قصب
ياسيدى وما هو قشور ولكن هذا في نظير اجرتي وكذلك جميع رفقتي
لان المعلم سرجان لايعطينا اجره بل يحاسب عليها ويأخذها لنفسه ونحن
نأخذ هذا القصب في نظيرها فقال له عثمان رد هذا الى مكانه واذ كان لك
حاجه اطلبها وان لم يعطيك فاخبرني وانا أخلصها لك فعاد الرجل وادخل
مامعه واخبر أصحابه فرما كل واحدمنهم ما كان معه في مكانه وخرجوا الجميع
الرفيع منهم والوضيع وقالوا أيها الامير اعطينا اجرة التكسير والتقشير فقال
لهم وكيف ذلك ومن الذى كان يعطيكم اولا فقالوا له اننا كنا لا نأخذ

شيء ثم أعادوا عليه القصة من أولها الى آخرها وكشفوا له عن باطنها وظاهرها فقال الامير ياعثمان أين سرجان فقال له هاهو جالس على باب العصار وهو ينظر ذلك ويرى فقال ائتيني به فذهب عثمان اليه وقال له أجب الاشقر وأسرع ولا تتأخر فقال له السمع والطاعة ثم سار اليه في تلك الساعه فقال له الامير اعطى الى هؤلاء حقهم قدامي فاعطى لكل واحد منهم حقه وقد ذاب كبده ونزل عرقه ثم انصرفوا الى حال سبيلهم وقد اشتد بسرجان قلقه وزاد حنقه ولم يعلم من أين هذه المصيبة قد أتته ثم انه التفت الى الامير وقد زاد به النحس والنكس وقال له غدا عصير القصب فقال الامير سبحان من عن العيون قد احتجب ثم سار الامير الى بيته وأحضر شرف الدين وسأله عن عصير القصب وصناعته وما يفعل سرجان معه من مكره وخيانته فقال له يا أمير الذى فعلته مايسوى عقال بعير كله وما يكون التدبير الا فى غدا لانك ترى الرجل وهو خارج آخر النهار وله قليطه بين رجليه لا يكاد منها ان يشد عضويه وذلك يكون جره كبيره او قدره مليانه من العسل فيخرج بها على مثل هذا العمل فاذا توانيت عن ذلك يذهب نصفه أو أكثر من ذلك وذلك كله لاجل عدم التحصيل واذا كان العام القابل يحاسبك على مثل هذا العام الذى يخرج فيه فقال عثمان والاخرى على انا هذا ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح حضرت الشغالين وحضر الامير وسرجان المعلم الكبير واشتغلت الرجال ودارت المصارات بالبهايم ولم يزالوا على مثل ذلك الحال الى ان كان آخر النهار وخرج الاول فاستقبله عثمان وقد رآه كما ذكرنا فقال عثمان ماهذا قال له اعلم ياسيدى انا رجل مريض وقد بليت بهذه الداهية التى تراها بين رجليه فقال عثمان أنا أزيلها عنك بالكليه ثم ان عثمان ضربها بالرزه فسال العسل وانكسرت الشربيه فقال

عثمان احمد رب البريه الذى أزال عنك مثل هذه القضيه فقد خفف الله ظهرك من ثقلها بسر هذه الرزه قد أزالها فاذهب الآن الى مكانك وأنت سليم مما كان اعتراك واهانك فما كانت الا داهية عظيمة فاشكر رب القدرة الذى ازال عنك هذه النقمة فقال له الرجل وقد انزعجت حواسه واختطفت اضراسه وانهدم أساسه وزال صبره وعظم ضره وأباح بما فى سره ياسيدى عثمان ماهذه الفعال والهوان والله ان هذه ما كانت مصيبة ولا داهية وانما هى فى اجرتى موافيه فقال عثمان حاسب على اجرتك انت وكامل رفقاك ولا تقربوا شيئاً من هذا العسل ودعوا ما انتم عليه من العمل فما هذا العام مثل العام الاول فلما رأوا اشتغاله ذلك زادت بهم الخساره وتركوا ما كان معهم وخرجوا وحاسبوا على اجرتهم مثل ما كان في امسهم وذهبوا الى حال سبيلهم (ياساده) يا كرام وقد زادت بلية سرجان ونزلت عليه المذلات والهوان وبقى حيران ولم يدرى كيف جرى هذ الشان ولما تهيأ الفراغ من ذلك قال سرجان غدا طبخ العسل وتمام ذلك العمل فقال الامير على بركة القدير القديم الازل ثم سار الى بيتـه واحضر السيد شرف الدين واخبره بهذا الامر المكين فقال له اعلم ان الفعال التي فعلتها ماتسوى شيء فى نظير التى تراها غدى وتشاهد فعالها فقال الامير وكيف ذلك قال له غدى توقد النار وتنصب الحلل ويسكب فيها العسل ويصبر سرجان الى ان يتم العمل ويدخل السوى ذلك العسل فيوضـع الحطب الاخضر فى الـكوانين فيصعد الدخان على جميع الحاضرين والناظرين فلا يقدر احد ان يرى كفه ولا يقدران يكفه فيفور العسل وينزل الى الارض بالعجل فيتلبس بالتراب وما يبقى الا شىء قليل ويصير كله الى الذهاب وذلك انه الذى يقع لايكون لك عليه حساب ولا يحاسبك الا على الذى يبقى من غير انسكاب وبعد ذلك اذا صفى له

الوقت وطاب اونتهى بينه وبينك الحساب وطلبت أنت الرواح يجمع تلك العسل الذى نزل منه فى التراب ويرسله الى مصر المحميه يشتروه منه الرجال الحلوانيه بنصف الثمن لان كل ماجاء منه فائده ويحاسبك ثانى سنه على هذه العاده فلما سمع الامير ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والله يا ابى انى نظرت ذلك في بولاق ورايت هذا الامر بالاتفاق والرجال يشترونه مسواق ولكن يا ابى اريد منك انك تكون انت الذى تحمى على الكوانين حتى ارى الشك من اليقين فلما سمع السيد شرف الدين ذلك تغير لونه واضطرب كونه وقال يادولتلى والله عندى موتى أحسن من اكون اوقد النار تحت القدور وما هذا الا غاية الذل والعار ويرانى هذا ولد الزنا وتربية الخنا بهذه الحالة فاقتلنى ولا تشمت بى اهل العناد والضلال ثم ان السيد شرف الدين بكى وان واشتكى وانشد يقول صلوا على الرسول

الا يا زمانى طال ما اتعبتنى ... ورميتنى منك بالموبقات

وسلطت على يادهرى قوم لئام ... واذقتنى الحسرات والنكبات

خانونى والله من غير ذنب بدا ... وربى عليم بكل الصفات

وشهدوا على زور مع اتفاق ... وقالوا قاتل النفوس المحرمات

ووجهونى الي رجل كريم ... اباحنى الامان والعطيات

واكرمنى والله واعلا منزلى ... وما اهاننى يوما بالسيئات

وقد قلت ان هذا فعال كرام ... وكشفت له كامل الخبيات

والآن يريد من امرى هوانا ... وتشمت بى اللئام الطاغيات

والموت عندى اعلا مقام ... ولا ارى نفسى في الحسرات

ولكن سلمت امرى لرب السما ... فهو المقدر بكل الحادثات

(قال الراوى) ولما فرغ السيد شرف الدين من اشعاره وماقد ناله

من اضراره بكى وقال للامير ياولدى لاتفعل ذلك الامر المنكر فانى أريد أن أموت واقبر ولا أرى بعينى هذا الضرر فقال له الامير اعلم انى أعطيك الزمام والامان من كل شيء كان وان لى فى ذلك أوفر حظ ورمأب كثيرة فلا تحمل على نفسك هم فباذن الله تعالى زال عنك الكرب والسقم والبلا والغم ووالله ياأبى انى قد بان لى منك الصلاح والفلاح والنجاح واعلم ان روحى لك الفدى ولا تشمت بك الاعداء الا اذا أنا شربت قبلك شراب الردى فلما سمع السيد شرف الدين ذلك اطمأن قلبه وهدئ روعه وأجاب الامير الى ماطلبه وقد علم انه يريد بذلك بلوغ ما ربه (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح نزل الامير بيبرس الى المطبخة وقد أتى عثمان بالمعلم شرف الدين وهو على ذلك الحال المهين والامير يهز رأسه ويقول له سوف ترى مايحل بك يا كثير الفساد فما أنت الا رجل أشر العباد (باساده) ولم يزل على ذلك حتى أقبل المعلم سرجان الى ذلك المكان وتأمل فرأى شرف الدين وهو مسلسل فلما رآه امتزج بالغضب وزاد عليه الامر والتهب والتفت الى الامير وقال له وانت الى الآن ماقتلته ولا أرحتنا من طلعته فقال له ياسيدى اعلم ان هذا رجل لئيم وما أردت ان أقتله حتى أعذبه العذاب الاليم واعلم انى كنت أشفى قلبى منه فى المسا والصباح وهو كامل ليله ونهاره فى البكاء والنواح وما أتيت به في هذا النهار الا حتى يحمى الكوانين وينظر بعد العز العذاب المهين وقال سرجان والله لقد أصبت فيما فعلت وبعد ذلك نقتله قبل ان تسير من هاهنا فقال هو كذلك ثم ان سرجان التفت الى شرف الدين وقال له ادخل ياشيبة الضلال ويارأس الكفر والمحال احمي تحت الكوانين وهذا جزاء فعالك التى فعلتها في الناس اجمعين

فدخل السيد شرف الدين عند الكوانين وهو ينشد ويقول

لك الحمد يامولاى في كل ساعة	على كل النعماء وكل القضا
فانى سلمت أمرى كله	اليك كى أفوز منك بالرضا
وانى لاحتكامك صابر	اذا ماكنت في الضيق أو في الفضا
عسى بلطفك يارباه لى	تلطف اذا ماقد عم القضا
وانى قد توسلت اليك ياخالقى	بمحمد المرسول شفيعا من لظا
عليه صلاة الله ثم سلامه	ماجاء حادث أمر ثم انقضا

(قال الراوى) ثم انه جلس وصار يحمى الى ان دخل العسل الى قريب السوى وسرجان يضحك عليه فلما رأى سرجان العسل قد دخل السوى قال يارجل اوضع عود نار زايد ثم رفصه برجله فعند ذلك أخذ حزمة من الحطب الاخضر ووضعها واذا بالدخنة قد انعقدت وزاد الدخان حتى الدنيا اظلمت وخرج سرحان وبيبرس الى خارج المطبخة حتى هدى الدخان ورجع بيبرس الى المطبخة ونظر الى الخلل واذا بهم خاليين من العسل فلما عاين ذلك اسودت الدنيا فى عينيه وما بقى يعرف ما بين يديه وقال ياسرجان اين العسل وما هذا الذى فعلته فقال له اعلم انه دخل السوى وانعقد وصار بعد سيلانه مجمد فقال له الامير وأين هو الذى تجمد واين الذى قعد وانعقد ثم انه صاح عليه وضربه بالات على صدره ارماه الى الارض وأمر الامير باطلاق المعلم شرف الدين من الحديد تحلوه وأمر بسرجان فحلوه وسلسلوه وكتفوه واهلكوه وقال الامير ياعثمان قد أوليتك عذابه فأمر عثمان بالاسواط فاحضروها وجعل يضربه بالاسواط حتى غشى عليه وكادت روحه ان تخرج من بين جنبيه من شدة ماقد نزل عليه ثم أمر الامير بسجنه ومضى عثمان الى الكاتب فزير فوجده فى البيت فقبض

عليه وضربه برزته اسقاه كاس منيته وارسل المملوك الذى كان في صحبته الى نجم الدين مع سائس من رفقته ونهب عثمان جميع مادارت عليه يد مرجان واحضر أكابر البلد ومشايخها واقسم بالله العظيم ان لم يخبروه بالخبر اليقين والا يعذبهم العذاب الاليم فعند ذلك قالوا له أعلم ان هـذا الغلام مرجان ولد غير حلال وهو الذى دبر هـذه الفعال وقتل هؤلاء العشرة وهم كفار من أهل النفاق والضلال وتهموهما فى هذا الرجل الفاضل وقد شهدنا على ذلك زورا ومحال وأعادوا عليه القصة التى جرت فأخذ الامير عليهم المكاتيب بما ذكروه من الاقوال الحادثات وكتب الشهادات وأعاد المعلم شرف الدين الى ما كان عليه من الامر الاول وجعل يعذب مرجان فى الليل والنهار فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأقام الامير فى أرغد عيش واهناه وقد رجع شرف الدين الى ما كان فيه من مبتداه وجمع السكر الملبس بالتراب وأعاده الى الحلل وصفاه وسى منه ما نزل عليه من التراب وانعقد السكر وبلغ منتهاه ودخل على الامير وقبل يداه وقال له قد قضى الامر وعقد السكر وبلغ منتهاه فقال الامير ياعثمان أريد ان تأخذ هديه من السكر الى ابى الوزير فقال عثمان والله لقد نظرت موضع النظر ثم انه اوسق مركبا وركب عثمان وسار وترك سيده في ذلك الديار وما زال كذلك الى ان وصل الى بولاق فنهض عثمان وقال ياريس رد بالك من السكر وانظر اليه كل النظر فوحق من خلق البشر ان ذهب منه راس ما يكون عوضه الا رأسك ورفقاك من بعـدك فقال الريس لاصحابه سمعتم ياأولاد الزوانى سمعت ياابو طبرق وانت ياابو العمايم اوعوا لانفسكم من هذا الظالم الغاشم هذا وقد تركهم عثمان على مثل ذلك الشان وسار حتى اقبل الى مكان يقال له الواجهه فرأى رجلا عطار قدفتح هناك دكان

وكان جديد وزوقها وكل ما كان معه جعله فيها وجلس على بابها وقال توكلت على الله الذى من توكل عليه كفاه يافتاح يارزاق تبعث لى الأرزاق فبينما هو يقول ذلك واذا بعثمان مقبل عليه والرزمه نزلت بين كتفيه فارتهب العطار وحار واخذه الفزع والانبهار وقال له أنا في حيرتك ياأسطى عثمان فقال له لاتخاف ولا يأخذك فزع ولا ارتهاب فقال له ما تريد فقال له أريد منك الفين فرخ ورق وميتين شلة خيط فقال له على العين والراس وفي عاجل الحال احضر له ماطلب فقال له عثمان احملهم اديهم الى ساحل البحر وأنا سائر خلفك بهذه الرزمه فقال له بالله عليك ياأسطى عثمان تسير قدامي انت فقال عثمان سير وانا اسير بجنبك ثم ساروا الى ان وصلوا الى المركب ووضعوا فيها ذلك الورق والخيط وقال عثمان وصل الثمن ياشيخ والا تأخذه فقال له اخذت الثمن من قبل ان يأتي من بلاده (قال) وانصرف العطار الى حال سبيله هذا وعثمان اقبل على الريس وغلمانه وقال لهم اجعلوا كل راس فى فرخين من الورق وتشدوا عليه بالخيط شدا موثقا فقالوا له سمعا وطاعة وصاروا يشتغلون في ذلك وقد تركهم بعد ذلك وانصرف واقبل على رجل قفاص وقال له وهو مغطى راسه عندك اقفاص للماورد فقال له نعم عندى جميع ماتطلب قال له أريد الف قفص فقال له سمعا وطاعة ثم انه قام فى عاجل الحال وفتح حاصل كبير فتأمل عثمان واذا به ملآن من ذلك الشان فعند ذلك قال له ائتيني بالشيالين فاحضر له ماطلب في عاجل الحال فأمرهم الاسطى عثمان ان يشيلوا ذلك الاقفاص ويسيروا بها الى جهة البحر فقال له القفاص وأين الثمن ياشيخ العرب فقال عثمان هاهو حاضر معى ثم انه كشف رأسه فظهر له وجهه وشخصه فبال القفاص على نفسه وخمد فى ذلك الوقت حسه وتمنى ان الارض تبلعه وقد رأى

الرزه بعينه فايقن بوباله فقال له عثمان وكم يكون ثمنهم فقال له ياسيدى توجه
انت الآن وأنا أحاسبك ساعة أخرى من الزمان فقال له عثمان اعطى
اجرة الشيالين وخلى حسابنا حسابا واحدا فاعطى الى الشيالة الاجرة
وساروا الى ان وصلوا الى البحر والمركب وتأمل عثمان واذا بالسكر مافوف
فى الاوراق ومشدود بالحبال فامر بان يضعوا فى كل قفص راس فاشتغلت
الناس وفعلوا ذلك الفعال وقال عثمان صفوا الجميع على جهة البحر سطرا
فأجابوه الى ذلك وأخذ الرزه وسار الى الحسنية وسأل عن شيخ الجماله
فارشدوه اليه فاقبل عثمان فى عاجل الحال اليه وضربه بالرزه بين كتفيه
فصاح اخ اخ فقال له عثمان الفاتحة قال له الرجل حصلت فضائلها ما تريد
قال عثمان أريد خمسمائة جمل وخمسمائة حمار ممالى كبار فقال له سمعا وطاعة
وأمر الرجال فأحضروا ماطلبه فى تلك الساعة فقال عثمان بقى عليك شىء
آخر وهو ان كل جمل يكون خلفه جماله وكل حمار يكون خلفه حماره فقال
سمعا وطاعة وسير الحمارين والجمالين صحبته فقال عثمان سر انت الآخر
معهم بالجملة حتى تنظر الحمول وتراهم بالكلية فأجابه الى ذلك وساروا الجميع
حتى وصلوا الى البحر ونظر شيخ الجمالين الى ذلك الحال فتعجب
ولكنه لم يقدر يتكلم بل قال فى نفسه ما هذا الا شيله خس حقير من
غير زياده ثم اقبل على عثمان وقال له ماالذى تأمرنا به الآن فقال أريد
كل قفص تجعلوه على جمل وتوسقوا عليه بالسلب وكذلك كل حمار يكون
عليه قفص والحمار خلفه لئلا يقع من ثقل الحمل الذى عليه وكل قفص
تدوروا عليه باجمعكم وتشيلوه بين أيديكم أنتم الجميع وتصيحوا وتقولوا يامهون
كل عسير حتى تشيلوا الجميع فقالوا سمعا وطاعة وصاروا الجمالين عند
مشيل كل قفص يجعلون له رونق عظيم ويجتمعون عليه أكثر من أربعين

ويتعاونون عليه من الشمال واليمين وهم يصيحون ياضمين العاجزين هون
هذا الحمل الثقيل يا أكرم الاكرمين ثم يرفعونه والناس ينظرون اليهم
ويضحكون عليهم ويقولون لهم الله يعطيكم القوة ويشد عضدكم بالعافية
والمروه ولم يزالوا كذلك حتى حملوا الف راس من الحمير والجمال
وقال بعد ذلك عثمان احملوا الجمال قطرات وهم خمسمائة والحمير بينهم عشرات
عشرات وأنتم تجعلون انفسكم عشرة جماعة كل جماعة ماية ثم انكم تجعلون
عشرة بالزماره ومثلهم بالدربكة والباقى يصفقون ويغنون والى بيت الوزير
يطلبون فاجابوه بالسمع والطاعة وساروا من تلك الساعه ولم يزالوا على ذلك الجد
والتشمير الى ان وصلوا الى البساتين ببيت الوزير (قال الراوى) فبينما الوزير
جالس فى بيته واذا به قد سمع الضجه والعياط فطل من الطاقه فرأى تلك
الرجال والجمال والحمير والاحمال وهم يصفقون ويرقصون ويزمرون ويطبلون
فتعجب الوزير من ذلك والحاضرين وقال ماالخبر فقالوا له ان الاوسطى
عثمان قد أقبل بالف جمل وحمار محملين من عند سيدى بيبرس بهدية وهى
سكر من بنها قد اقبل فقال الوزير جزاه الله كل الخير وقد ظن انه سكر كثير
فقال للغلمان اخلوا الحواصل فقال له الخزندار ياوزير الزمان جملك الله
فى عز وأمان اعلم ان الرجال المقبلين الف رجل ومعهم عثمان وصحبته الف
جمل وحمار وكل واحد معه رأس واحد من السكر ومحمله على ذلك الجمال
والحمار فضحك الوزير وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولاى
شىء يفعل ذلك عثمان ولكن اصبروا حتى ننظر مايكون فى جوابه هذا وقد
اقبل عثمان الى عند الوزير وقال له السلام عليك يابو قرمه احفظ قدر ماوصل
اليك من النعمه بقا خيرنا عليك قناطير وقناطير احفظ سكر بنها العسل قال
الوزير وما قدر ذلك السكر قال له الف راس محملين على الف جمل وحمار

والف رجل جمالين وحمارين فقال له الوزير ولاى شىء أتيت بهذا السكر الكثير وهو يضحك فقال عثمان أما سمعت ياوزير الزمان من الرجال العمد قالوا كبر الجرن ولا شماتة الاعداء فضحك الوزير وقال ياعثمان والجمل قدر ان يشيل الراس قال عثمان الامانه من الله الذى يعلم عدد الانفاس قال الوزير مقبول ياعثمان ولوكان أقل من هذا الشان فقال عليك اجرة الحمالين والشيالين الفين قرش فقال له الوزير اعلم ان السكر كله لم يساوى خمسين قرش ياعثمان فدعهم يأخذون السكر ويمضون به حيث ارادوا من غير ضرر فقال عثمان تظلم انت خلق الله وتأكل اجرهم وتتعرض الى نهبهم ولا تخاف من ربهم فوعزة الله لابد ان تدفع اليهم الفين قرش أما تعلم ان الله خلق الناس درج يرزقون من بعضهم البعض فقال الوزير لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والله ان الهدية لم تجى ربع الاجره ثم ان الوزير اعطاهم الدراهم فأخذوهم وانصرفوا الى حال سبيلهم وهم يدعون له ويثنون عليه فهذا ما كان من أمرهم (قال الراوى) وأما ما كان من عثمان فانه قد أراد الانصراف الى سيده فاعطاه الوزير كتاب وقال له خذ هذا الكتاب فهو بالسلام عليه وقبل عنى يديه ورجليه فأخذه وسار طالبا سيده حتى وصل اليه ودخل عليه من غير سلام ولا كلام فقال له الامير أهلا بالاوسطى عثمان أوصلت الى بيت الوزير قال نعم قال له هل رأيت أحد من الدوله أو أحد رآك فقال عثمان انا مضيت فى السر ولا أظهرت أمرى الى احد خوفا ان يعتبوا عليك ويقولون لك انك هاديت الوزير وما هاديتنا من الهديه بشىء ففعلت ذلك لاجل ان لا احد يعلم بالقصة فقال له جزاك الله كل الخير ياعثمان الله لم يحرمنى منك لانى لم أرى مثلك ولكن هل عطاك الوزير كتاب قال نعم ثم ناوله الكتاب فحله وقراه

واذا فى أوله هذه الابيات

كتبت كتاب الشوق منى اليكم وفى أملى انى أعود اليكم
وتجمعنا الدنيا التى فرقت بيننا لان قلبي لا يروم سواكم
واحظى بكم حتى لو كان ساعة لان فؤادى معلق بهواكم
أمر على الابواب من غير حاجة لعلى آراكم اوأرى من يراكم
سقانى الهوى كاس حب مروق فيا ليته لما سقانى سقاكم
شكوت لقاضى الحب يحكم بيننا بشرع الله بينى وبينكم
ولعل الدهر المفرق بيننا يسمح لنا بالاجتماع معكم
ان طال حكم الله بينى وبينكم اموت غريبا والسلام عليكم
ولو كنتم فى القبر ناديت باسمكم فتحيي عظامى حين أذكر اسمكم
وان خيرونى فى الديار وغيرها جعلت انا روحى فدآ اليكم

(قال الراوى) ولما فرغ من نظامه قال خطابا من الوزير الاكبر والمحب المغرم الوزير الاغا شاهين الافرم الى بين أيادى ولدى الامير والسيد الخطير اعلم اننا ماريد الا بقاكم وطول عمركم والنصر على اعدائكم وبعد فقد وصلت الينا الهدية المرسله من عند جنابكم بالتمام والكمال وقددفعنا اجرة الجمالين والحمارين الذين قرش لان الرجل المرسل بالهدية رجل أهل كرم ماريد الظلم وقد احضر لنا الهدية على الف جمل وحمار وكل حمل عليه راس واحد في قفص بعد ان لفها في الورق والخيط وهذاشىء لم يؤثر عندنا أبداً لان روحنا وجسمنا لاحبابنا والسلام على من تظلله الغمام قال فلما فرغ الامير من قرأة الكتاب رفع رأسه الى عثمان وقال له هذا يصح ياعثمان قال عثمان وكلنا نظام خالق الله هاهو الرجل بقرش والحمار بقرش والجمل بقرش فقال له وما منعك ان تجعلهم على جملين او ثلاثه

قال عثمان هذا لا يصح ابداً ربنا جعل ناس ترزق من ناس والسكون عامر فتركه الامير وعاد الى الدار وهو يشتغل بعذاب سرجان ليلاً ونهاراً ولا تسأل عما كان يفعله فيه عثمان من العذاب والهوان (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من سرجان فانه طال عليه المدا وشمتت به الاعداء وجعل يستغيث ولا يغاث فبينما هو كذلك واذا قد أقبل عليه رجل من الفلاحين اتاه الى السجن وسلم عليه وقد رآه يبكى وينوح من كبد مجروح فقال له يزول ياسيدى فقال له ياولدى لى عندك حاجه قال وما هى قال تروح الى عكرمه وتسأل عن شيخ العرب عجوه وأخيه أبو ناب وتقص عليهم حالى وما قد جرى لى وتذكر لهم انى وقعت فى عرضهم ومحتاجهم ان يأتيا لى ويطلقونى ومما انا فيه يخاصونى ويقتلوا شرف الدين وبيبرس ويجعلون أيامهم مثل أمسهم وينهبوا مالهم ويأخذوا ما كان تحت أيديهم وبعد ذلك لهم عندى كما يطلبونه فقال سمعاً وطاعة وتركه وسار طالبا شيخ العرب ابو ناب واخيه عجوه ولم يزل ساير الى ان وصل الى عكرمه وسأل العرب عن المشايخ فأرشدوه الى بيت كبير من الشعر فدخل فرأى الاثنين وهما جالسان فقبل الارض بين أيديهم وادى الرسالة اليهم فقالوا له سر انت الى حال سبيلك ونحن لابد لنا من الرواح الى بنها العسل ونهب ما كان فيها وسبيه من حمار وجمل وشيخ وغلام وبطل وامرأة وولد ولا بد من قتل بيبرس وشرف الدين ونجعلهم عبرة للناظرين أجمعين فلما سمع الرجل ذلك الكلام سار وقد طوى الارض والاكام الى ان وصل الى سرجان واعد عليه ماجرى من الشان ففرح بذلك فرحا شديد ماعليه من مزيد وظن ان الدنيا تقبل اليه وهؤلاء العربان يفعلوا ماقد قالوا عليه (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء وأما

ما كان من الامير بيبرس فانه جالس ذات يوم فى الدار اذا قد اقبل عليه رجل من مشايخ العرب الكبار وسلم على الامير سلام الاحباب فتلقاه الامير تلقية الاعزه والاصحاب واجلسه الى جانبه ولما استقر به الجلوس قال له يا أبي من تكون انت وما اسمك وفى ماذا قد اتيت فقال له اعلم ياولدى انى قد أتيت اليك ناصحا ومحذرا من الاعداء فخذ حذرك من أهل البغي والاعتداء فقال له الامير وكيف ذلك قال له اعلم انى انا رجل يقال لى ابراهيم شيخ عرب الغربيه ولى بنت جميلة قد رزقنى الله اياها وفى طول عمرى لم ارزق سواها وهى تسليني على حالى وتصرف عنى غمومى واحوالى وقد سميتها بدريه وكان قد اتقن صنعها صاحب القدره فسمع بها هذا الرجل الذى قد أتيتك من أجله وهو يقال له ابو ناب واخوه يقال له عجوه وكل واحد منهما سفيه واى سفيه رزقهم الله بالف داهية وبلوه فلما سمع باخبارها ارسل الىّ طلبها فقلت والله لا كان ذلك ابدا ولا أزوج ابنتى لاحد من الاعداء لان هؤلاء عربان مالهم زمام ولا امان ولا يعرفون الملك الديان ولا يصلون الفرض ولا يعرفون سنة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انى آبيت عن ذلك وأرسلت اليه اقول له ماعندى بنات فلما سمع اللعين ابو ناب ذلك الكلام والخطاب شخر ونخر وتجبر على الملك الوهاب وصار يعوى كعى الكلاب وقال وحق الشعاب والهضاب وكل من كان خراب انا كنت اطلبها لنفسى دون الاصحاب والآن فما بقيت اجعلها الاضجيعة لعبدى سعيد الذى يأكل لحم الكلاب قال وكان هذا سعيد عبد اسود لئيم انكد ابن زنا لايطاق ولا يبالى بضيق الخناق ولا يعرف ربه الواحد الخلاق ثم ان الملعون صبر الى الليل والاعتكار وهجم علىّ بالرجال الاشرار فنهب مالى واخذ بنتى الى داره واراد منها ان يقضى اوطاره سبته وشتمته ولعنت

اجداده وانصاره فأمر بحبسها وقد تشفع فيها حسنها وجمالها والا كان قتلها ووكل عليها هذا العبد ولد الزنى فلما رأيت ذلك أنا انقطعت من هذا النكال وحرت في كل الاعمال وارسلت أربعة من العربان جواسيس يأخذون لى الاخبار ويطلعون على كل الاسرار وما فعلت ذلك الا حتى اجد له الفرصه وافعل به مثل مافعل معى وازيل عنى الغصه فبينما انا جالس ذلك النهار واذا قد اقبلت على العربان واخبروني بان سرجان ارسل يستنجد على هلاكك بعجوه وابو ناب واعادوا على مادار بينهم من الخطاب وبعد ذلك فاعلم انهم اليك هذه الليلة قادمين وعلى مكانك هذا نازلين وقد حذرتك منهم والسلام (قال الراوى) فلما سمع الامير هذا الكلام انعم عليه واعطاه خلعة سنيه وخمسماية دينار وقال له ابشر بالنصر على الاعداء وقال له أيضا قد وهبت لك مالهم انت ورجالك ولا بد من خلاص ابنتك ولكن اذا اقبل الليل تمكن انت بعربانك ورجالك فى البر ويكون كل واحد منهم واخد حذره حتى اذا اقبل ابو ناب فأنا أقلع انيابه واعجل له كاس مصابه واسقيه كاس عذابه وكذلك اللعين عجوه اعجل له كاس فناه ولا عاد يعود الى نجعه ويراه مع ذلك فانت تكون انت ورجالك عليكم الملابس البيض لاجل ان تكونوا من العرب القابلين فقال سمعا وطاعة ثم انصرف شيخ العرب ابراهيم من تلك الساعة وشرع فى تدبير امره واعلم عربه بما كان فى سره فهذا ما كان من أمر هؤلاء قال وأما ما كان من الامير بيبرس فانه التفت الى عثمان وقال له تكون حاضر انت ورجالك الثمانين ورجال عقيرب والمماليك كامنين خارج البلد لاجل اذا اقبلت العرب تكونوا انتم منهم اقرب ولكن لا تصيحوا الا اذا سمعتم التكبير وسمعتم فى العرب النفير والتدمير فقال عثمان سمعا وطاعة ومضى الى ذلك من تلك

الساعة ثم ان الامير لبس السلاح وتحضر الى العربان حتى مضى النهار واقبل الليل بالاعتكار وقد ترك الدوار من غير مصباح وفتح الباب على آخر افتتاح وطلع الى المقعد وهو متحضر لمن يصعد فلما مضى ثلث الليل الاول واذا بثلاثة أشباح بانت له وقد رأهم بعينه مقبلين نحو الدار وكانوا هؤلاء العبد سعيد وابو ناب وعجوه مشايخ العربان والجميع يعوون مثل عي الكلاب ولما تقاربوا من الدار واذا به مظلم زايد الاعتكار فصاح ياجندي أين المال احضره الينا في الحال والا اصعد اليك وآخذ روحك من بين جنبيك فلما سمعه بيبرس اخذ النبله والقوس واوتق النبله وحررها والى ابو ناب أرسلها فوقعت في فمه خرجت من نقرة قفاه فوقع على الارض قتيل وقد صاح باعلا صوته قبل خمود نفسه لا رحم الله اباك ادركني ياعجوه فقد نزلت بي البلوه فتقدم عجوه لينظر ما الخبر واذا بالحسام من خلفه قدأقبل والى وسطه نزل فوقع الى الارض كانه جمل وكان الذي ضربه بهذا الحسام شيخ العرب ابراهيم البطل الهمام فعند ذلك أراد العبد ان يهرب واذا بلطش وقع على راسه نزل اضراسه ووقع الى الارض واختلط طوله بالعرض وكان هذا اللطش من عثمان هذا وقد اقبلت العربان الى ذلك المكان وهم يريدون نهب الاموال وسبي النسوان واذا قدخرجت عليهم المماليك والسياس ودارت بهم العربان التي مع الشيخ ابراهيم من كل جانب ومكان وطلبوا العرب أشد الطلب وفعلوا معهم مثل ماتفعل النار في الحطب ولم يكن الا ان تناصف الليل وخمدت الضجات وطردت الاصوات وزعق غراب البين على العربان بالشتات ولا ابقوا منهم ديار ولا نافخ نار ولما فرغوا من هذه القضيات امر الامير باحضار سرجان فاحضره عثمان فقال له انظر بعينيك ياذليل يامهان مافعل الزمان بتلك العربان الذين طلبت انت منهم النصر على

والهجوم الى وانحت لهم مالى ونوالي ثم أمر بضربه فضربه عثمان الف وأعاده الى السجن فقال الامير وحق رأسي لابد من ركوبى الساعه الي عكرمه واخلص لهذا الرجل ابنته واهجم على الحي وهو مقفول وأنهب مافيه ولا أدع منهم أحداً من الرجال ولا ابقيه ثم ركب الامير في ساعة الحال وسار وبصحبته الشيخ ابراهيم وهو يشكره على هذه الفعال ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى ذلك المكان ونزلوا عليه مثل القضاء فنهبوا وسبوا وقتلوا وفتكوا وما تضاحى النهار حتى ملكوا الحي بما فيه من الانعام والسبايا والاموال فاباح الامير كل ذلك الى الشيخ ابراهيم ورد له ابنته رداً جميلاً وقد نفذ كلمته وارتفعت حرمته وصار يهادى بيبرس ويكرمه وقد أمر الامير بالرجوع عن الحريم فتراجعوا عن النساء وقد جمعوا الاسلاب وعادوا الى اماكنهم وقد نصرهم الله على اعدائهم فهذا ما كان من امرهم

(قال الراوى) ولما كان ثانى الايام أمر الامير بيبرس برمى القتلا الى الفلوات فرموها ثم ان الامير قال ياعثمان احضر لى سرجان فاحضره بين يديه وأعاد العقوبة عليه وقال له انظر كيف نصرنى الله على الاعداء الذين أرسلتهم انت الى ثم اعاده الى السجن فضاق صدر سرجان وعيل صبره وعدم مصطبره فقال أنا مالى الا ان اوسل الى أبي دياب في مصر حتى يرى هذا الامر بنفسه ويدبره بفعله (قال الروى) وكان هذا ابو دياب هو الرجل الحراث الذى قدمنا ذكره فى كلام شرف الدين وانه لما صار سرجان فى هذه الرتبة اتى اليه ليزوره فاكرمه غاية الاكرام وقال له اعلم انى ما كنت افعل معك ذلك الفعال الا لاجل ان تنال مرتبة العز فقال له ياابى خذ هذه المركب سكر وسير الى مصر وافتح لك دكان وبيع واشترى كل ماتحتاج اليه من السكر ارسل لى عليه وكذلك اذا طلبت

منك شيئاً فتقضيه وترسله الى عندى فقال له ياولدى على عيني ورأسى
ثم انه توجه بالسكر الى مصر واقام في السكرية وجعل يبيع ويشترى
فهذا ما كان من اصل مجيئه الى مصر ولما تداولت الايام واحتكمت هذه
الامور والاحكام وضاق صدر سرجان كما ذكرنا وارسل الى ابيه كتاب
مع رجل من اتباعه فصار به حتى اقبل الى السكرية وأرشدوه على من سأل
عنه بالكلية فلما رأى دياب سلم عليه وقبل يديه وقال له خذ هذا الكتاب
فاخذه وقراه وفهم مافيه من المعنى واذا فيه خطابا من سرجان الى بين
ايادى ابى دياب اعلم انه نزل عندنا رجل ملتزم يقال له بيبرس وقد فعل معنا
كذا وكذا وشرح له جميع ماجرى من اول الامر الى آخره وكيف فعل
هو مع شرف الدين وكيف فعل الامير معه وكيف أعاد المعلم شرف الدين
الى مكانه وكيف انه قتل العرب والقصة التى جرت فلما قرأ الكتاب امتزج
بالغضب وقال لابد من خلاصه من يد قناصه فلم لي عليه وقل له ان اباك
دياب يسعى لك فى هذا الامر والسلام بكل سبب من الاسباب فتركه الفلاح
وعاد طالباً المعلم سرجان فهذا ما كان من الامر والشان وأما ما كان من
الشيخ دياب وما يفعل من الافعال والاعجاب وذلك انه بعد ان سافر من
عنده الرسول صبر الى الليل ودياج الاعتكار وطلب بيت الشيخ صلاح
الدين قاضى الاسلام ولم يزل سائر الى ان وصل الى حارة الروم وطرق
الباب فقال الشيخ من بالباب فقال له ها أنا الشيخ دياب ففتح له منصور
الباب فدخل وسلم سلام الاحباب وجلس الى جانبه وأعاد عليه الامر من
أوله الى آخره فقال له الامر اقرب من هذا ولكن انت تسير من هاهنا
الى الرميلة ترى هناك مكانا وتجد هناك رجالا حشاشين وهم على مثل ذلك
مقيمين فادخل اليهم وسلم عليهم وارغبهم بالمال ووفق لك منهم أربعة يشهدون

بطيبة ابنك وفسق الامير بيبرس وشرف الدين وا كتب اعلاما الى الديوان وأنا أساعدك فى هذه القضية بكل ما اقدرعليه فقبل يده وانصرف من عنده وسار الى الرميله فرأى المحششة الذى فيها الحشاشين فدخل عليهم وجلس بينهم واذا بهم غايبين وفي حالهم منهمكين فسلم عليهم فانتبهوا وقالوا له نهارك سعيد فقال لهم أريد منكم أربعة انفار يشهدون فى الديوان قدام ملك الاسلام بان سرجان رجل مصلى الفرض طيب نظيف العرض وبيبرس وشرف الدين الاثنين خائنين العهد واليمين قاطعين الطريق خائنين الرفيق فقالوا له سمعاً وطاعة ولكن هات لنا أجرة الشهادة فقال لهم وما الذى تريدون فقالوا له هات لنا أربعة أرطال معجون وهات لنا العشا وكلما نحتاج اليه من الدراهم والكيف ونحن نطلع معك الى الديوان ونشهد لك بما تقول لنا عليه بالزور والبهتان فقال لهم الشيخ دياب اذا سألكم الملك وقال لكم من أين انتم تقولون له فلاحين من أرض بنها العسل فقالوا له على العين والراس ثم انه أعطى لكل واحد منهم مائة دينار ذهب واعطاهم كلما كانوا محتاجين اليه وبات عندهم تلك الليله وهو يقربهم ويعرفهم وعلى الشهادة يواضبهم الى ان اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح صلى الملك الصالح صلاة الافتتاح وجلس على كرسى مملكته وقد احدقت به كبار دولته وتكامل الديوان وقرأ الفاتحة لسيد الانام وطلع القاضى والوزراء وأهل المراتب والامراء وأمنت العساكر وقرأ القارى وختم ورقى الراقى وختم ودعى الداعى وختم وصاح جاويش الديوان يقول أنا وانتم نصلى على طه الرسول

الملك لله الذى خلق الورى … وكل ماسواه فهو فانى
واعبد الملك يامن تعظ … من ان يدرك الا كفانى
سلم أمورك لاله فمن … سلم له الامر كان فى امانى

وقل يا الهى كن راحماً فانت الذي عودتنا بالامتنانى

(قال الراوى) فقال الملك الصالح آمنا من أين كنا حتى اتصلنا ياحاج شاهين الحق بيده الراجل دبر الرجل والرجل عمال بوصيه الرجل ولكن ياحاج شاهين أسأل الله العظيم رب موسى وابراهيم ان الله لاينطقهم الا بالحق ولا يسلكهم الا طريق الصدق وان الله تعالى يتوب على كل عاصى ويلبسهم الولاية وينظر اليهم بالكفاية والرعاية قولوا آمين يارجال فامنت على دعائه الرجال وقال الاغا شاهين من هؤلاء الرجال يامولانا السلطان قال له أنا رجل عبيط ماعليك من كلامى (قال) فبينما الملك يدندن ويتكلم بمثل هذه الاقوال واذا بدياب يقبل الارض بين يديه وهو يقول انعام يامولانا السلطان قال الملك مرحبا بالرجل الحرات الذى اسمه دياب ابن عمرات بن أبى طبله بن رشوان انت اسمك ايش قال يامولانا السلطان اسمى دياب وأنا رجل مظلوم وقد أتيت اليك لاكشف ظلمتى واتدبر قصتى فقال له القاضى وما قصتك أيها الرجل هل هى مسطرة فى كتاب أم تخبر بها انت من غير جواب فقال الملك اسكت ياقاضى حتى اسمع أنا كلامه وانظر من ظلمه ولا أريد كتاب ولا جواب فقال له يامولانا اعلم ان لى ولد يقال له سرجان وهو يصلى فرضه ويقرأ القرآن وكان معلما ببنها العسل الى ان كان هذا العام نزل بها الامير بيبرس واجتمع برجل يقال له شرف الدين وهم هناك الاثنين على الفسق والفساد مقيمين وقد قتلوا ونهبوا وسبوا وغصبوا فلما رأى ولدى فعالهم نهاهم عن أمورهم فاغتاظ عليه بيبرس غيظا شديدا ماعليه من مزيد وقبض عليه وسجنه وجعل يعذبه ويهينه ويعاقبه وهو على ذلك الشان من مدة سافر بيبرس الى ذلك المكان فلما بلغنى ذلك من ولدى أتيت الى جانبك السعيد ورأيك المفيد وعزمك

الشديد والسلام (قال الراوى) ولما فرغ الشيخ دياب من كلامه تحرك القاضى من مكانه وهز ديدبانه وجنح طيلسانه وقعد وقام وقوس العمام ونفض الاكمام واطلق لسانه وقال ايش ايش تحركوا ياأجدادي ياعراقيون انا كم أقول لك القول مراراً وأعيده عليك سرا واجهارا واقول لك ان هذا الغلام ماأتى من بلاد الاعجام الا يريدان يفسد ملكك فلا تصدقنى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ياأمير المؤمنين أريد ان أتكلم الكلمة الحسنة التى مافيها من السيئات شيء قط أم أنصط فقال الملك تكلم ياقاضى قال القاضى هذا الرجل رجل مظلوم وقد ظهرت عليه المظلومة وكل الناس تشهد فيه بالصلاح والخيرات وكذلك ولده من أهل الاحسان والطيبات وهذا الغلام قد اتفق مع شرف الدين على أذية المسلمين وفساد أهل التقوى واليقين ولا سيما عثمان ابن الحبلة ياأمير المؤمنين وهذا الولد يقتل قتلة عظيمة وان كان يصعب قتله على مولانا السلطان الحافظ الامين أنا اوضع من مالى وصاب حالى وزكاة عن قامى ومحبتى فى دين الاسلام والمسلمين خمسين جوادا وخمسين مملوكا وخمسين كيسا من المال وعليك ياوزير ايبك مثلها فقال ايبك وانا مالى ياقاضى فقال له القاضى لاتتكلم واحضر ماتقرر عليك فى الحال فانه هذا كله لك والسلم الشريف ولا يكون بريئا منى يوم القيامة هذا وقد احضروا جميع ماذكر من المال والمماليك ووقفت السياس فى حوش الديوان بالخيل الحسان فقال الملك ياشيخ دياب هل عندك بينه يشهدون لك بهذه الاسباب قال نعم ياامير المؤمنين قال له ائتنى بهم ما تقول يا قاضى الاسلام فى هذه الاحكام فقال القاضى لا اقول شيئا قط قاطبه هذا وقد نزل دياب الى باب الديوان وكانوا الاربعة هناك واقفين وقد كانوا تأخروا فى الفطور ففطروا وجلسوا فى الشمس وقد طلع المسجون

فى رؤوسهم فبقوا لايعرفو يومهم من امسهم ولا يعقلون مابين ايديهم فبينما هم كذلك واذا بدياب قد أقبل عليهم وقال لهم سيروا معى الآن فقالوا له الى أين نروح ياعم الشيخ فقال لهم قد طلبكم الملك للشهادة قالوا له على أى شيء نشهد وما معنا خبر فقال لهم على الدعوة التى حدثتكم بها الليلة الماضية قالوا له ياابى مامعنا خبر اخبرنا بها الساعة فأعاد عليهم الشهادة التى يريدها منهم فقالوا له نبقى نطلع نشهد انك رجل فاسق وابنك مثلك وشرف الدين صالح وبيبرس مثله فقال لهم اقلبوا هذه الشهاده وقولوا انى صالح وولدى مثلى وشرف الدين فاسق وبيبرس مثله فقالوا عد لنا الماضى من أوله ولم يزل يكرر عليهم الشهاده ويعلمهم عليها تمام سبعة مرات حتى ضاقت منه الانفاس وايقن بالهلاك والانعكاس ثم انهم ساروا بعد ذلك الى الديوان وقالوا نعم يابيه قال الملك اهلا وسهلا انتم ايش قالوا نحن جماعة اصحاب كتب وكيف يابك فقال الملك من أى البلاد قالوا من قصر المائدة يابيه قال الملك قصر المايده هو ايش ياقاضى قال القاضى ان الفلاحين يسمون بنها العسل بقصر المائدة فقال الملك كلامك مصدق ياقاضى وأنتم تشهدون على اى شيء قالوا نشهد على ان هذا الرجل فاسق وابنه أنحس منه وبيبرس صالح وشرف الدين أصلح منه وهذا الرجل اتى الينا البارحه وأعطى لكل واحد منا شدقين ذهب وقال لنا اشهدوا قدام السلطان بالباطل فاتينا اليك وقد انطقنا ربنا بين يديك بالحق فقال لهم الملك انزلوا الله يرزقكم الولاية انتم الاربعه فتقبل الله دعاه وقد نزلوا هؤلاء الاربعة وقد البسهم الله الولاية فيسكنون الاماكن الخراب فهذا ماكان من أمر هؤلاء قال وأما ما كان من أمر الملك الصالح فانه قال للاغا شاهين ارسل احضر لنا بيبرس وشرف الدين وسرحان حتى ننظر مايكون من أمرهم فقال له الوزير السمع والطاعة

ثم ارسل له أغا يقال له الاغا بلال الصالحي من تلك الساعه فركب الاغا وطاب بنها العسل وسار السايس الذي برسمه يدل به الطريق فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوي) واما ما كان من دياب فان الملك أمر بسجنه الى ان تستقيم الدعوه ففعلوا ذلك وسجنوه فهذا ما كان من امره وأما ما كان من الاغا بلال الصالحي فانه لم يزل سايرا الى ان وصل الى بنها العسل واقبل الى الدوار فتحول عن دابته وسلمها الى سايسه وتركه واقفا خلف الدوار وسار حتى وصل الى الامير بيبرس وسلم عليه فرد عليه السلام وقال له ما حالك قال له اجب الملك الصالح فانه طالبك فقال له سمعا وطاعة ثم اجلسه وجعل يتحدث معه قدر ساعة من الزمان فهذا ما كان من امر هؤلاء وأما ما كان من عثمان وما جرى له مع هذا السايس من الكلام العجيب والامر المطرب الغريب الذي نريد ان نسوقه على الترتيب حتى ان المستمع يطيب بعد الف صلاة ترضى النبي الحبيب وذلك ان عثمان لما نظر الى ذلك السايس واذا به من اولاد هيضم وماهو من اولاد الشيخ مثل عثمان فقال له من اتى بك حارتنا ياوجه حمارتنا ياهيضمي يا ابن القحبه قال له السايس وانت مالك ياولد ياعثمان يا كثير الزور والبهتان ثم ان السايس اخرج الخنجر من حزامه وأوما به الى عثمان ورجع الى مكانه فقال له عثمان عذبه فقال يا عثمان انت تقدر ان تعذبه قال نعم وسرها في مقامها ما اخرجتها ابداً ورجعتها مكسورة الخاطر ثم ان عثمان ضربه بها في قلبه فاخرج معاشه من قلبه فوقع قتيلا وفي دماه جديلا وكان هناك ساقية مهجورة فالقاه فيها واذا به غاطس وكان عثمان قد جرده من ملابسه ونزل خلفه وربطه وامر الرجال فشدوه الى فوق الساقيه وطرحه عثمان فنزل الى الساقيه مرة اخرى فقال له عثمان هربت يا هيضمي ثم انه نزل ايضا خلفه وربط

واخرجه وجعل يصب عليه وهو يتزحلق وينزل الى الساقيه هذا والاغا يتحدث مع الامير بيبرس وقد لاح منه التفاتة فرأى الجواد سايب فى الخلا يرعى ونظر الى عثمان فرآه يفعل بالسايس هذه الفعال فلما رأى ذلك امتزج بالغضب وعلم ان سايسه قد شرب شراب العطب وقال للامير انظر يا أمير الى فعال عثمان وما فعله من الامر والشان فقال اصبر حتى انظر مايكون من هذا الامر والشان ثم نزل بيبرس الى عند عثمان وقال له ماهذه الفعال قال له هذا رجل هيضمى قال له ما هو مسلم قال هو مسلم ولكن من اولاد هيضم قال هيضم هو ايش هل هو مذهب خامس وما أنا ممن يعرف تلك الفعال ثم انه هجم على عثمان وقبض عليه في عاجل الحال وأمر بوضعه في القيود والاغلال فقال له عثمان انت رجل خاين العهود وعن فعالك الذميمة لاتحود فقال له انت قتلت النفس المحرمة ونقضت التوبة وعدت الى التجرمه فقال له عثمان سوف ترى مايكون هذا وقد أمر الامير بيبرس على بنها العسل مملوكا من اتباعه وأوصاه بالعدل وأخذ سرحان والاغا وشرف الدين ونزلوا جميعاً فى الذهبيه وطلبوا مصر المحميه الى ان وصلوا الى بولاق فهذا ما كان من امر هؤلاء وما جرى لهم من الاتفاق (قال الراوى) وأما ما كان من أمر الملك الصالح فانه بات واصبح وهو يصلي على من له الورد فتح وقد ظهر وجلس على الكرسى وجعل يدندن ويقول ياحاج شاهين الحق أحق أن يتبع الحق بيد الطير لانه بيد الطير والله يتولى السراير ولم يعلم بباطن الامر لان الرجل كان قتل امرأة بغير ذنب فسلط عليه الله من يقتص منه ولكن الامر ما أحد يعرف حقيقته الا صاحب الامر

(قال الدينارى) وكان هذا الرجل السايس الذى قد قتله عثمان يقال له عويس قد أرسله سيده الى بلد يقال لها المنصوره ليأتيه منها بحاجة من عند

صديق له هناك فلما سافر وجد امرأة في طريقه فاخذ مامعها وقتلها لانه لما سباها طلب منها الزنا وراودها عن نفسها فابت فقتلها وتركها وسار في قضا حاجته وعاد ولا أحد يعلم بذلك الارب العباد فلما كان هذه الايام وأقبل مع سيده وظفر به عثمان أخذ منه بالثار وجلي هذا العار لانه كان من أهل الاسرار وهذا تكلم الملك الصالح بمثل هذه الاخبار وعدنا الى سياق الحديث باذن الملك المغيث ثم ان الملك الصالح صاح أين كاتب القرمه قال نعم يامولاي قال له اكتب عندك القرمه سايس يقتل سايس لاله ديه فقال الكاتب السمع والطاعة ثم انه كتب في الحال ماأمر به الملك الصالح لانه على رأى الذي قال جالس السلطان واحذر بطشه لا تعاند من اذا قال فعل ثم بعد ذلك راق الديوان وتكامل بالرجال والاخوان واذا قد طلع الاغا من باب الديوان وصحبته عثمان وهو في القيود على مثل ذلك الشان وقد قرنوه بمرجان وتقدم بيبرس الى الديوان وقال نعم يا أمير المؤمنين قال الملك سبحان الفتاح العليم تعالى يا بيبرس ماالذى فعلت في بنها العسل من الامور ثم ان الامير بيبرس تقدم وخدم ودعي وانشد يقول صلوا على الرسول

سلامي على ملك الملوك	سلام جزيل كثير زايد
يخص أمير المؤمنين وجيشه	وفضل رب العباد تزايد
عبدكم ومحبكم اقبل نحوكم	يرجو حبكم ياسادتي ويشاهد
فاسمحوا له من فضلكم	جزيل العطا فانتم الاماجد

(قال الراوى) فقال الملك تعالى يابيبرس ما الذى فعلت في بنها العسل من الامور والفساد فقد بلغنا انك فعلت فعال نكيره وامور كبيره وشهدوا عليك الناس وهذا الرجل الذى أغرهم على ذلك وهو دياب فعند ذلك

قال ياملك الاسلام ارسل احضر المملوك الذى لنجم الدين واسأله يخبرك بالخبر اليقين لانه كان هناك مع الكاتب قراويز قال وكان ذلك المملوك لما ارسله عثمان الى سيده نجم الدين سلمه الرسول اليه واخبره بما كان من خبره وامره فاستخبره بذلك نجم الدين بالكلام الطيب واللين وما زال به حتى اخبره بما جرى وما فعل عثمان وبيبرس مع سرجان والقصة المتقدمة فقال نجم الدين فى نفسه لابد ان هذه الامور ان تتصل الى الملك الصالح ولا بد من ان الامير بيبرس يحتاج الى بعض البينة فهذا الغلام يكون من جملة الشاهدين ثم انه وضعه فى السجن الى ذلك الوقت فلما تكلم الملك مع الامير بيبرس انطقه الله بذلك وتذكر المملوك الذى لنجم الدين فأمر الملك باحضاره فلما حضر بين يديه سأله فأخبره بالحال ولم يخف عنه شيئا من المقال فقال الملك والله العظيم هذا الكلام هو الصحيح لانى أراه مليح ثم دعى للمملوك وامر له بخلعة سنية والف دينار وقال له عليك بالعباده فى المساجد فنزل المملوك من ساعته ولم يرجع الى بيت سيده بل الى المسجد وقد زهد الدنيا والبسه الله الولاية فهذا ما كان منه وأما ما كان من الامير بيبرس فانه أخرج الحجه الذى كتبها بالشهادة على اكابر بنها السبل وقدمها للملك فاخذها وناولها للقاضى فحلها وقرأها واذا فيها ماقد ورد وتقدم وفيها اسماء الشهود وختم القاضى التى بتلك الناحيــة فلم يتكلم القاضى ولا بحرف واحد وكانه قد التجم بلجام لانه رأى الملك الصالح وقد اقسم ان هذا القول هو الحق فسكت القاضى على مضض منه وقد تقدم الآغا الى بين أيادى الملك الصالح وقال يامولانا السلطان انا ارسلنى الوزير الى بيبرس فاخذت خدامى وسرت اليه فاكرمنى وما قصر فى المسير معى ولكن عثمان قتل السايس متاعى من غير ذنب قال الملك ايش وأين عثمان

يا بيبرس قال هاهو مع سرجان في الحديد قال الملك ائتوني بهما فاحضروهما فتأمل الملك الى عثمان فرآه منكس الراس فقال له مالك هكذا يا عثمان قال له كما ترى يابوجوطه عدوك قال الملك وعزة الله تعالى ماتعمل عليه دعوى الاوهو منطلق من الحديد مطلوق اليدين ولم يحله الا الاغاشاهين بنفسه فعند ذلك نهض الوزير وحل وثاقه فصاح عثمان تكنتاك ياليل

يامنية القلب ياللي تعجن النكنتاك   ان هون الله علينا وجينا حيكم

يافرحة العلق لما ينظر النياك   يقول لصرمه انبسط حبيبك جاك

قال الملك ياعثمان دعنا من هذا الكلام الهزيان واخبرني بما جرى من الامر والشان قال عثمان عز الله جل الله مافي الكون غير الله قول يابوجوطه لااله الا الله عليك ياقاضي يامنقرش ياابن القحبه غضب الله عليك في الدنيا ويوم العرض قال الوزير في نفسه هذا الوقت يذكر ماجرى قال عثمان يا ملك نحن رحنا الى بنها العسل وهذا الاغا قبل الينا بالرجل السايس الذي تعرفه أنت يابوجوطه قال الملك ياعثمان ربك سريع العقاب سريع العطاب طيب ياسيدي عثمان قال عثمان ولما نظرت اليه رأيته من اولاد هيضم قلت له وانت من جاء بك هنا قال لي وانت مالك باولد ياعثمان وحط يده على الجنبيه وأوما بها الى فقلت له غدبها قال انت تقدر تعدمها ونجعته بها مثل ما أنا رايح أنطلك هذا الوقت قال الملك لا ياعثمان خذ بالك منه ياحاج شاهين لانه رجل عبيط مثلي قال عثمان ولما نزل الاشقر فقال لي ماهذا ياعثمان قلت له قتيل قال لي من الذي قتله قلت له أنا الذي قتلته قال لي لاي شيء قتلته قلت له لانه من أولاد هيضم قال لي ماهو مسلم قلت له مسلم ولكن من أولاد هيضم قال لي مذهب خامس قلت له طايفة نكرة عندنا في كار السياس قال لي أنا ما أعرف ذلك ومن قتل يقتل قلت له روح الى ابو جوطه وقول له اترك هذه الدعوى

فسكنى وفعل معى هذه الفعال وأتى بى اليك سألتنى أخبرتك وهذه حكايتى
والسلام قال الملك ياناس خذوا هذا الرجل وادفنوه فى مقابر المسلمين
فان شاء الله يرحمه وان شاء يعذبه وانت ياعثمان لابقيت تعمل مثل هذا
العمل لاننا كتبنا فى الغرمه سايس يقتل سايس ماله ديه قال عثمان حياك
الله قوالله لابد أن أقطع أولاد هيضم ولا بقيت منهم بقية قال الملك
لا ياعثمان لاتتبع القتل أبداً وارتد فقال الردى ثم انه نزل من الديوان من
غير ان يمسه ضرر ولا هوان وبعد ذلك التفت الملك الى شرف الدين
وسرحان ودياب وقال هم الله يرتب عليهم من جميع المعاصى الله حببهم
فى بعضهم اللهم وفق بينهم انزلوا الى حال سبيلكم وعودوا الى محلكم
وعليكم بتقوى الله ربى وربكم فنزلوا من الديوان وقد أزال الله الحقد فى قلوب
بعضهم وقد زالت البغضة من بينهم وعادوا الى بيتها السابق والله الدعاء
قد قبل وقد أوقع الله حب الجميع فى قلب الامير بيبرس وحبه فى قلوبهم
وصاروا يكاتبونه ويهادونه وهو يهاديهم ويرسل اليهم السلامات (قال الراوى)
فهذا ما كان من امر هؤلاء وأما ما كان من الملك الصالح فانه التفت الى
القاضى وقال له ياقاضى عمات الفلوس والمماليك لقتال بيبرس عنية
والا لاظهار الحق من الباطل قال الملك الحق بان وظهر واشتهر فقول
المال لمن ياقاضى قال القاضى لبيت مال المسلمين قال الملك هى مستغنية عنه
قال القاضى هو اليك قال الملك هو هبة الى بيبرس هبة كريم لا يرد فى
عطاه انزل ياسيدى بيبرس فرغت السنة وولى على بنها احداً من طرفك
والزم أنت محلك حتى يبان لك منصب غير هـذا فنزل بيبرس وفرق
السكر على الاغوات والامراء والمماليك وعمل حسابه فرآه زايد على
الاصل الطاق عشرة فاوهب واعطى وتصدق وقد اغتاظ القاضى والزم

بيبرس بيت الوزير نجم الدين وقد تداولت الايام الى ان كان يوم من
الايام بات واصبح وصلى صلاة الصبح ودخل الى زوج خالتـه يريد أن
يصبح عليه فرآه قد غرق في معجنة من الطين وهو يعجنه مثل العجين
فتعجب الامير غاية العجب وقال فى نفسه لاحول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم وما الذى يجرى اذا أتى برجل فاعل يفعل ذلك بالاجره
فوالله ما الأكراد الا بيت الشح والبخل (ياساده) ياكرام فبينما هو يقول
فى نفسه ذلك الكلام واذا بالاستاذ نجم الدين قد كشف عليه فقـال له
يا مولاى أنا اسمى ايش فقـال له بيبرس اسمك الامير نجم الدين قال
وكنيتى قال له البندقدارى قال له اعلم انى ما كنيت بذلك الالاجل
هذا السبب وذلك انى فى كل عام اذا أقبل هذا الوقت أصنع هذه
المعجنه من الطين الحلو واشغلهـا بسحيق الزعفران وقشر العنبر
واجعلها حبوباً مثل البندق المقشر واجففها واهدى بهـا الامراء
وأهل الدوله والملك والوزير بالجمله فاذا أرسلت الصينية وهى مليانه من
هذا الحب العجيب يأخذوها ويرسلوا عوضها ذهبا احمر بعـدده فلذلك
كنيت بالبندقدارى ومنها يكون اكلى وشربى وقضاء سائر احوالى ولا
تظن ياولدى انى رجل بخيل أعجن الطين لاجل شىء آخر مثل بنيان وما
هذا الا لاجـل ذلك الشان فقال له الامير ولأى شىء ذلك الطين الذى
تعجنه فقال له اعلم أن الملك الصالح له عاده من العام الى العام وذلك انه
يغدو الى الجيزه فى هذا الاوان وهو فصل الربيع وصحبته أهـل الدوله
ويكون ذلك في يوم خميس مع ليلة الجمعة وهناك رجل من اصحاب الرسول
يقال له ابوهريره قد امتلات به الجيزه بركات شهيره ونفحات غزيرة وهو
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا حصل الملك هناك يجتمعون

الاكراد عليه ويأكلون ما طاب لهم من الزاد وبعد ذلك يجتمعون ويذكرون رب العباد فاذا فرغوا من ذلك الايراد يشير الملك بيده الى الحى الاعلى ويقول يادايم يا كريم ياجواد فتأتى الطيور من جميع الفلوات والبلاد ويحومون على رؤوسهم باذن رب العباد فاذا اتت الطيور باذن الملك الغفور يقول الملك لارباب الدوله وهم فى صحبته أى طير ارميه والى الارض اهويه فيصفون له اى طير كان فيشير اليه فيقع سريعا الى بين يديه فينهض اليه ويقبضه ويفرج الدولة عليه وبعد ذلك يطلقه الى حال سبيله فيعودون الطيور الى حال سبيلهم ويعدون له ذلك من جملة الكرامات ويعلمون ان الملك باقى اليه من دون البريات ولا يقدر أحد يرمى طائر قبله وهذه عادته وشغله وبعد ذلك كل من اراد الرمى يرمى مايشتهى ويريد بذلك البندق (قال الراوى) فلما سمع بيبرس ذلك أخذه الاشتياق الى الرواح الى ذلك المكان فبينما الامير على مثل ذلك اذ اقبل عثمان اليه وقال له الآن يجب عليك ان تساعد الامير على مثل ذلك وكان عثمان قد سمع كلامهم مع بعضهم الاثنين فقال له نجم الدين تقدم ياعثمان فتقدم عثمان والامير وصاروا يعجنون الطين هذا وعثمان يكبب واحده ويسرق خمسة وهو لايحول عن ذلك ولا ينسى والامير لم يعلم بشىء من ذلك الى ان استتم البندق ونزل الامير وعثمان من ذلك المكان وجعل عثمان يجفف البندق الذى أخذه الى ان انصلح شأنه وجمعه واحترس عليه الى ان كان يوم الرمى وكان الوزير نجم الدين قد فرق البندق على بيوت الامراء والوزراء وأرباب الدولة وأخذ منهم عادته مثل كل سنة وخرج الفرمان وعمل عليه السلطان ونزل به المنادى يعلم الناس وينادى فى الشوارع والازقات وهو يقول مولد أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ليلة الجمعة القابلة (قال الراوى) وكانت تلك الليله عند الناس

لهـا شأن عظيم وهرع اليها الغنى والفقير وكانت لهم مسرات من العام الى العام فلما نزلت المناداة ازدحمت المواكب ونزل كل انسان الى وصله طالب وكذلك الامراء أمرت الفراشين ان ينصبوا لهم الوطقات ويسبقونهم بالخيام والسرادقات فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من الامير بيبرس وعثمان وما يقع لهم من الامر العجيب والذكر الملذ الغريب الذى هو أعجب من كل عجب ويجب ان يكتب ويسطر فى ورق ولو كان بماء الذهب وذلك ان بيبرس قال لعثمان أريد منك تسبقنى الى الجزيره وتنظر لنا مكانا بعيداً عن الناس وتنصب لنا خيمة على قدر ماتسعنا نحن الاثنين حتى نسير مع جملة الناس وننظر مايكون من هذا الشان فقال له عثمان سمعاً وطاعة ثم ترك سيده ونزل من عنده وصاح بملء رأسه وتطويل نفسه ياعقيرب يا ابنى قال عقيرب نعم يااسطى قال له اين الفراشين الذين هم للوزير نجم الدين البندقدارى فعند ذلك نادى عقيرب على الفراشين فلما حضروا قدام الاسطى عثمان قال لكبيرهم ان الجندى لما اتى من أرض الشام ليس عنده خيام اوسرادقات فقال كبير الفراشين ياسيدى ان عنده خيام وسرادقات فقال له عثمان اين موضوعين الآن فقال له يااسطى ان الجميع في الحواصل فقال افتح فعند ذلك فتح الحاصل الاول فوجد فيه خيام كثيرة وايضاً فتح الحاصل الثانى فوجد سوى ربع الدنيا ايوان سرجويل المهرى وكان موضوعا هناك في الايام التى اتى فيها سرجويل بك بيبرس من الشام وكان هذا الصيوان من أعجوبة الزمان لانه يقام على ثلاثمائة وستين عمودا من الذهب وفى رأس كل عمود رمانة من الذهب الاحمر الوهاج وكان فيه ثلاثمائة وستون ساعة وكان اذا ارتمى على وجه الارض كأنه المدينة المبنية فقال عثمان الى كبير الفراشين ماهذا فقال له يااسطى هذا سوى ربع

الدنيا صيوان سرجوين المهري فقال الاسطى عثمان هذا الذي يصلح بنا نرموه في الجزيره فقال له كبير الفراشين هذا الصيوان تريد له الجمال والرجال لاجل حمله الى الجزيرة فقال الاسطى عثمان ابقى هنا حتى آتى الك بالرجال ثم انه رجع الى الاصطبل وأخذ رزته وحملها على اكتافه وسار الى قرب باب زويله ووقف قدر ساعه واذا بعشرة جمال ومعهم سبعة من الرجال وهم حاملين التبن فصاح عليهم الاسطى عثمان واشار لهم بالرزه وقال لهم لمن هؤلاء الجمال فقالوا له للوزير الاغاشاهين الافرم فقال لهم سيروا على دار الوزير نجم الدين البندقداري فخافوا الجماله وساروا كما أمرهم الاسطى عثمان ثم بعد ذلك جلس قدر نصف ساعة واذا بسبعة جمال قادمين حاملين الحطب وأشار عليهم الاسطى عثمان وقال لهم يارجال لمن هؤلاء الجمال فقالوا له للوزير ايبك التركماني فقال لهم سيروا الى دار نجم الدين البندقداري فساروا من حينهم ثم انه جلس قدر ساعة زمانيه واذا بعشرة جمال أيضا رافعين شعير فتعرض لهم الاسطى عثمان وسألهم لمن تلك الجمال فقالوا له الى الشيخ صلاح الدين العجمي قاضي الحضره فقال لهم سيروا على دار نجم الدين الوزير ولا زال كذلك الى ان جمع قدر مائة جمل وسار خلفهم الى دار الوزير نجم الدين ونزل تلك الاحمال من فوق الجمال وأمرهم برفع الصيوان سوى ربع الدنيا على بولاق فرفعته الرجال على الجمال وقد سبقهم الاسطى عثمان الى بولاق وكشف رأسه ونادى على الريس على رأسه وقال يارجال أماتعرفوني انا الاسطى عثمان انا ابن غزيه الحبله وبيتنا في المراغه والقير الطويل وعندنا عبد اسمه فرج وعلى باب دارنا قنديل فلما سمعت الرؤساء صوته اتته مسرعين وقبلوا يديه وقالوا له السلام عليك ياجدي وجد

جدى ويا أعز من عندى فقال لهم الاسطى عثمان مرادى منكم ياجدعان ان تودولى خيمة الجندى الى الجيزه بالشط فقالوا له على الرأس والعين فهم في الكلام واذا بالجمال قد اقبلت وعليهم الصيوان فنقلهم الرجال الى الزوارق ثم رجعوا الجماله الي حال سبيلهم هذا ما كان منهم

(قال الراوى) وأما ما كان من الاسطى عثمان فانه لما وصل الى الجيزه نزل ونزل الصيوان وكان معه عقيرب فقال له ياجدى ان هذا الصيوان يريد له الرجال لنصبه فقال له عثمان اجلس هنا ورد بالك حتى نأتى لك بالفراشين والرجال ثم رجع الى ساحل الجيزه واذا بفراشين السلطان قد اقبلت ومعهم ايوان السلطان والخيام والسرادقات فعند ذلك صاح عثمان على كبير الفراشين وضربه بالروزه بين اكتافه وقال له الفاتحة فقال له ياجدى الفاتحة من تالى او من قدام فقال له عثمان كلها طرق مقبولة ثم قال ياجدع اعلم ان لنا خيمة صغيرة تريد منك نصبها انت ورجالك فقال له السمع والطاعة ثم ترك خيام السلطان ونادى على رجاله وذهب مع الاسطى عثمان فوجد الصيوان موضوع قطع على وجه الارض فقال له هذه الخيمة يا اسطى عثمان فقال له نعم يامعرص فقال له ياجدى ان هذا الصيوان يريد لنصبه خمسمائة من الرجال فقال له عثمان اجلس هنا الى ان تأتيك الرجال ثم رجع الى ساحل الجيزه واذا بفراشين الوزير الاعظم الاغاشاهين الافرم ففعل معهم مثل ما فعل مع فراشين السلطان وكذلك فراشين الوزير ايبك والقاضى وجميع أمراء الديوان ولما اجتمعت الفراشين أمرهم برفع الصيوان فدارت الرجال فرفعوه وضربوا اطنابه ومدوا حباله فظهر كأنه المدينة المبنية على وجه الارض وكانت حباله من الابريسم وأطنابه من انياب الفيل فاوهج البر من لمعانه وضرب قدامه الصوارى والتعلقات وانتصبت فيه الساعات فقالوا الفراشين

يا أسطي عثمان ان هذا الصيوان يريد له خمسمائة قنديل وعشرين متر زيت فقال عثمان اذهبوا الى حال سبيلكم فذهبوا الفراشين الى حالهم هذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من الاسطى عثمان فانه قد وضع الملاية على رأسه وصار الى ان وصل الى رجل عطار ووقف عليه وقال له هل عندك قناديل قزاز فقال له نعم ياسيدى وكان ذلك العطار معد لبيع القناديل وعنده منهم كثير فلما وقف عليه الاسطي عثمان وسأله عن القناديل فقال له كم تريد منهم ياسيدى فقال أريد خمسمائة قنديل فعند ذلك فرح العطار ونزل من دكانه وفتح حاصل بجنب الدكان وكان ذلك الحاصل ملآن بالقناديل فعد له منهم خمسمائة قنديل وقال له ياسيدى لابد تأتى لهم بالاقفاص لتوضع فيهم فقال له عثمان رد بالك منهم حتى تأتى لك الاقفاص ثم تركه وذهب الى رجل قفاص وأخذ منه قدر خمسين قفص ونادى على الحمالة رفعوهم وذهب الاسطي عثمان امامهم فقال له القفاص أين حقهم ياسيدى فقال له عثمان اذهب معى الى دكان العطار تأخذ مالك ولكن اعطى اجرة الحمالة وتأخذ حقه فدفع القفاص الى الحمالة أجرهم وساروا جميعاً الى دكان العطار ووضعوا القناديل فى الاقفاص فعند ذلك قال العطار والقفاص لعثمان هات الدراهم يارجل فكشف عثمان رأسه ونادى وقال أنا عثمان بن غزية الخبله ورفع الرزه وانقلبت عيناه وصار عبرة لمن يراه فارتعب العطار الرعب الشديد وكذلك القفاص وقالوا له سامحنا ياجدى عثمان ونحن قبضنا حقهم من قبل ان يأتوا من بلادهم فردهم عثمان وصار الى الصيوان ووضعهم هناك فى وسط الديوان بل الصيوان فقال له عقيرب بقى عليك الزيت يا أسطى عثمان فسار الى رجل زيات وكان دكانه امام العطار وكان العطار لما نظر عثمان نادى عليه وقال له ياسيدى ان أردت ان تشترى الزيت فان الزيات الذى امامى

عنده زيت طيب وكان السبب في ذلك ان العطار والزيات كانت بينهم
عداوة سابقة ولذلك سلط عليه الاسطى عثمان فلما سمع عثمان منه ذلك
الكلام قصد من حينه الى ذلك الزيات وأخذ منه عشرين متر زيت وفعل
به مثل مافعل بالعطار ورجع بالزيت الى الصيوان وعلقوا القناديل وعمروهم
فقال له عقيرب ياجدى بقي عليك فرش الصيوان فقال له عثمان ياعقيرب
كلما يخصك بالصيوان من الفروشات والاقامة آتيك به في هذه الساعة ثم
تركه بعد ما أوصاه برد البال ورفع رزته وسار الى ساحل الجيزة وصبر حتى
أتى فرش السلطان فتعرض الى الغلمان والمماليك وسألهم عن ذلك الفرش
فقالوا له فرش السلطان فقال لهم ياجدعان وسرها في مقامها ان خالفتموني
فيما اقول لكم عليه لضربتكم بهذه الرزه فعند ذلك أخذهم الخوف والفزع
فقالوا له ياسيدى عثمان قل ماتريد فنحن لقولك سامعين ولأمرك مطيعين
فقال لهم أبو جوطه معزوم عند الجندى الى الصيوان فسيروا بالفروشات الى
هناك فقالوا له سمعا وطاعة وقد ساروا من حينهم الى الصيوان كما أمرهم
الاسطى عثمان ثم صبر ساعة من الزمان حتى أتى فرش الوزير الاغاشاهين
ومعه المماليك والغلمان ففعل بهم الاسطى عثمان كما فعل بفراشين السلطان
وأيضاً فراشين الوزير ايبك والقاضي صلاح الدين وجميع الأمراء وبعد
ذلك رجع الى الصيوال وفرشه ورتبه حتى صار على أحسن حال ورتب
كل شيء في مكانه وكان ذلك اليوم يوم الاربع وفي صبحية الخميس يقدم
السلطان وجميع الدولة (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم
بنوره ولاح وقد اقبل الامير بيبرس الى الجيزه فنظر عن بعد واذا بصيوان
سرجويل مضروب كانه مدينة ظهرت على وجه الارض فتعجب من ذلك
الحال وغضب غضبا شديداً ونادى ياعثمان فقال له لبيك ياجندى فقال له من

أمرك ان تفعل هذه الفعال وان هذا الصيوان لماينظره السلطان يأخذه منا ثم ان الامير نادى على الفراشين وأمرهم بقلع الصيوان فاجابوه لذلك وكان عثمان تركهم مع الامير بيبرس وسبق الى الصيوان وجلس هناك واذا بالفراشين أقبلوا يريدون قلع الصيوان فصاح عليهم الاسطي عثمان وقال لهم وحق المبرقعة بالانوار ان وضع أحد منكم يده على وتد من الاوتاد اضربته بهذه الرزة أعدمته الحياة فعند ذلك رجعت الفراشين الى الامير بيبرس وأعلموه بالحال فغضب وسار الى عثمان وهجم عليه بالمت وأراد هلاكه فهرب منه عثمان وصار يجرى والامير خلفه وفى ذلك الوقت اقبل السلطان ومعه أرباب دولته فارتمى عثمان قدام الشهبه ونادى أنا فى عرضك يا ابو جوطه فكنى من هذا الجندى لانه اراد هلاكى وقال لى مابقيت تخدم عندى الا اذا عزمت ابو جوطه فقال له السلطان هذا أمر قريب ياعثمان سر وها نحن معك فسار مع الملك والدولة قاصدين الصيوان وكان السلطان مكاشف على ذلك الحال له فى صباح ذلك اليوم الذى قدم فيه الى الجيزه لما تكامل الديوان وراق بالرجال وقرأ القارى وختم ودعا الداعى وختم وصاح جاويش الديوان وقال

الله ربى مالك الممالك كلها ۞ والخلق جميعا وجمع العالم

يرضى الجميع منه بفضله ۞ ويعم الورى بخير النعائم

(قال الراوى) قال الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من المهالك الله الله ياحاج شاهين لم يخلق الله شيئا احسن من جبر الخواطر اعزموا بنا يارجال الى الجيزه ثم قام السلطان وكامل الرجال ونزلوا وقدم ابو الخير الشهبه الى الملك وكان لابس الدلق وطاقية الزعف ومتقلد بالسيف الخشب وسار بين أرباب دولته والنوبة السلطانية تدق على رأسه الى ان وصل الى بولاق وركب فى الدهبية وسار حتى وصل الى

ساحل الجيزه وعارضه عثمان وتكلم بما ذكرنا وسار قاصد الصيوان كما وصفنا
فلما دخل الملك الى الصيوان أخذ على اليمين ومعه الاغا شاهين وايدمر
البهلوان والقاضي المعز بن عبد السلام وجماعة الاكراد وأما الوزير ايبك
والقاضي صلاح الدين وعلاى الدين وقلاوون الالفي وجماعة المبغضين الى
محمود بيبرس أخذوا على الشمال فقال عثمان هذه قسمة مباركة اهل
اليمين فى اليمين وأهل الشمال في الشمال ثم ان الامير لما جلس الملك خرج
من الصيوان ونادى ياعثمان فقال له لبيك ياجندى فقال له من أمرك
تعزم السلطان وأرباب دولته ومن أين لنا اقامتهم في هذه الليلة فقال له
عثمان الامر ساهل ها أنا ارجع الى ابو جوطه واقول له ان الجندي يقول
لك روح الى حال سبيلك فنحن ماعندنا اقامة لك ولرجالك فغضب الامير
من قول عثمان حتى كادت مرارته ان تنفطر وقال له ياعثمان كيف يكون
الحال ثمن نحن حتى نطرد السلطان ولكن دبر رأيك ياعثمان كيف يكون
الحال فقال له عثمان ان أردت تستر عرضك في هذه الليلة تقف قدامى
وترقص وتقبل يدى وتقول لى يا أسطى عثمان ياساكن المراغه والقبر
الطويل وعندك عبد اسمه فرج وعلى باب دارك قنديل مربوط بحبل
طويل أنا فى عرضك ان تسترنى في هذه الليله فعند ذلك فعل محمود مثل
ماأمره الاسطى عثمان فتركه عثمان وسار الى طباخين السلطان وقال لهم ياجدعان
أبو جوطه معزوم عند الجندى ونريد منكم الطعام تأتوا به الى الصيوان
فاجابوه بالسمع والطاعة وسار الى طباخ الوزير الاغا شاهين وفعل به مثل
طباخين السلطان وكذلك بقية طباخين الامراء جميعا ولما اشتغلوا بطبخهم
اقبل الاسطى عثمان على كبير الطباخين وضربه بالرزه على اكتافه وقال له
الفاتحة فقال له الفاتحة من تالى او من قدام فقال له طرق الله كلها مقبولة

فقال له ماتريد ياأسطى عثمان ها انا اطيب لك الطعام فقال له عثمان وسرها فى مقامها ان لم تطاوعنى فيما آمرك به لضربتك بهذه الرزه فقال له ما الذى تريد قال له أريد الوزير ايبك والقاضى وجماعته لم يأكلون من طعامنا فقال له هذا أمر هين ياسيدى ثم ان الطباخ نادى على غلامه وقال له ائتى لنا بجانب ملح فاتى له الغلام بشكارة ملح فوضع نصفها فى الطعام الذى أراد به المقصود ولما تهيأ به الفراغ من ذلك وحضر الطعام وانبسط السماط قدام السلطان وأيضا سماط ايبك التركمانى فوضعوا الطعام قدام السلطان فمد يده وقال بسم الله فاكلت الرجال حتى اكتفوا فهذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما الوزير ايبك والقاضى ومن معهم فانهم بعد ساعه قدموا لهم الطعام فمد القاضى يده وجماعته وأرادوا ان يأكلوا من الطعام فلما وضع اللقمة فى فمه وجده مالح تحرم وكذلك الوزير ايبك ومن معه فقال لهم القاضى اعزموا بنا لنختلط على سماط السلطان فقاموا جميعا مسرعين وساروا الى موضع السلطان فوجدوه نفض يده من الطعام وقال ارفعوا السماط اللهم اجعل البركة فى اهله واجعلهم منصورين على اعدائهم ثم قرأوا فاتحة الكتاب وانقضى الحال فجلس القاضى وجماعته ولم يبدوا كلام وسار القاضى يظهر الجلد ويخفى الكمد ثم قال ياامير المؤمنين انى اردت ان اتكلم كلمة حسنة ان ولدك المحفوظ المنصور بيبرس ما ظهر بهذا الايوان الا طالب به فتنة بين الروم والاسلام وان الله لايرضى بهذا والذى ظهر لسان حاله يقول ان امير المؤمنين ليس له صيوان مثل هذا وان اصل هذا الصيوان غنيمة وان الغنائم مرجوعها الى بيت مال المسلمين فعند ذلك تكلم الوزير الاغاشاهين الافرم وقال ياامير المؤمنين ان بيبرس كان قد قال لى ان هذا الصيوان لايصلح الا للسلطان وأنا أريد أعرضه عليه فقلت له ابقيه الى

ليلة مولد ابو هريره رضى الله عنه انصبه فى الجيزه فان عجب أمير المؤمنين يأخذه وأنا الذى أذنته بذلك فان أردت اخذه تخذه فقال له السلطان مثلك من يكون وزير وبأمور الدهر خبير والآن يا قاضى الايوان قد صار حقى ورزقى وأنا هبته هبة كريم لا يرد فى عطاه الى ولدى بيبرس واسأل الله العظيم ونبيه الكريم ان هذا الصيوان لاينتصب على رأسه الا وهو ملك وسلطان وأيضا نسأل الله أن هذا الصيوان لاينتصب فى وجه كفار الا وينهزمون وينكسرون ثم ان السلطان قام على اقدامه وقامت الاكراد ونصبوا الورد بذكر الله حتى اصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح نخرج من الصيوان وخرجت معه الاكراد وكانت الى السلطان من كراماته ان يقف فى ذلك اليوم وينادى يادايم يادايم فتأتيه الطيور من سائر الاجناس ويأخذ من ذلك البندق ويؤتى فى القوس ويقول الى الاكراد أى طير اضربه فيقولون له الطير الفلانى فيضربه السلطان ويسقط على وجه الارض فيأخذوه الاكراد ويتأملوا فيه ثم يطلقوه الى حال سبيله ولما كان ذلك اليوم وخرج السلطان ونادى على الطيور وداروا به مثل العاده فقال للاكراد أى طير تريدون ان أضربه فقالوا له اضرب لنا الطير الفلانى الاخضر فمد السلطان القوس وأراد ان يضربه فسقط الطير على وجه الارض فهاج السلطان وغضب غضبا شديداً وقال من الذى أخذ طيرى ومن الذى أراد ان يأخذ ملكى ثم انه تبدل من حال الى حال فتقدم له الوزير الاغا شاهين الافرم وقال له وحد الله يا أمير المؤمنين وان هذه امور مقدره ولكن اضرب لنا غيره ولا زال الوزير بالسلطان الى ان زال غضبه وراق بدنه وقال اى طير اردتم ضربه يارجال فقالوا له اضرب لنا الطير الاحمر فمد السلطان القوس ليضرب الطير واذا بالطير سقط فعند

ذلك تبدل السلطان وصار عبرة لمن يراه وزاد به الغضب وخرج الزبد على اشداقه فتقدم له الوزير ثانيا وصار يقول وحد الله يا امير المؤمنين اعزك الله بالنصر المبين ولا زال به حتى زال غضبه وقال اى طير اردتم يا رجال فقالوا له اضرب لنا الطير الابيض فمد السلطان القوس ليضربه واذا بالطير سقط مثل الطيور الاولين فهاج السلطان وقال ائتونى بالذى اراد زوال ملكى فتجارت الغلمان والمماليك في ذلك العالم واذا بهم وجدوا الامير بيبرس وعثمان فداروا بهم وتمكنوا على بيبرس وقدموه الى السلطان

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان عثمان لما سرق البنادق من عند نجم الدين وخباهم الى ان كان ذلك اليوم وجلس هو وبيبرس الى ان وقع ما وقع ونادى السلطان ياداير وحضرت الطيور فقال عثمان ياجندى اضرب لنا الطير الاخضر فضربه وايضا الثانى والثالث وتجارت الغلمان كما ذكرنا وتمكنوا عليه وقدموه الى السلطان كما وصفنا وهذا كان السبب ولما قدموا الغلمان محمود قدام السلطان ومعه القوس والبنادق فقال السلطان ارموه فى نطعة الدم فشالوه الى نطعة الدم وعصبوا عينيه وانتدب السياف على رأسه فنادى السلطان ياداير واذا برجل اقبل من البر وهو يركض الى ان وصل قدام السلطان فتأملوه الرجال واذا به على بن الاقواسى بل ابن الوراقة فتأمله السلطان ونادى هاتوا صاحبى الذى اخذ مالى فتمكنوا به الغلمان وقدموه قدام السلطان فقال له السلطان اين الصرة التى اعطيتها لك لتشترى لى بها مملوك والى الآن لم رايت ذلك المملوك فقال له ياسيدى ان المملوك هو الذى عندك الآن فى نطعة الدم فقال السلطان ياداير ان كان هذا هو مملوكى فانا سامحته لوجه الله تعالى فعند ذلك اطلقوه من الوثاق وقدموه قدام السلطان فقبل الارض بين يديه فقال السلطان ياحاج شاهين ان

المملوك حر لوجه الله وكذا جابة المماليك الذين اشتروا معه ولكن لابد تحكى لنا على قدومك هذه الساعة فقال يا امير المؤمنين أنا فى هذه الساعة كنت على شط بولاق فاخذتنى سنة من غير سنتى فافتحت عينى الا وانا هنا وهذه حكايتى والسلام (قال الراوى) ثم ان السلطان امر بقلع الخيام والسرادقات ورجوع كل احد الى مكانه فارتفعت الخيام ورجعت الناس الى اماكنهم وانفض الموكب ورجع السلطان بارباب دولته الى مصر والنوبة تدق على راسه الى ان وصل ديوان قلعة الجبل ورجع بيبرس الى دار الوزير نجم الدين البندقدارى ورجعوا الصيوان الى الحواصل وباتوا تلك الليلة (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح صلوا على محمد زين الملاح تكامل الديوان ودخل الاغا الصالحى على الملك وقال له الديوان تكامل بالرجال فقال الملك وعلى انه الكمال ثم قام وهو يتوكأ على قضيب خيزران حتى وصل الى الديوان فقامت له الرجال على الاقدام وسلم فردوا عليه السلام والتحية والاكرام وجلس على تخت قلعة الجبل وهو يوحد القديم الاول فعندذلك قرأ القارى وختم ودعا الداعى وختم ونادى جاويش الديوان وأنشدو قال صلوا على النبى المفضال

الملك لله الذى خلق الورى   وكل ما سواه فهو فانى
فاعبد الملك يا من تتعظ   من قبل ان تدرك الاكفانى

قال الملك آمنا من أين كنا حتى اتصلنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من الشدائد والمهالك ثم راق الديوان ومن كان عادته الجلوس جلس ومن كان عادته الوقوف وقف واذا بالامير بيبرس طالع الى الديوان وهو يقول هذه الابيات

سلامى على هذا المقام وذا الحما   سلامى على امير المؤمنين تقدما

عظيم أمير المؤمنين وجيشه ... لقد حفلت فيه ملائكة السما

(قال الراوى) فقال الملك انظر يا وزير الزمان الى هذا الولد المبارك المسعود الذى سعادته فى كل يوم تزيد ولكن لبسه سلاح دار ليكون دائماً حاضر فى الديوان فقام الوزير وخلع على بيبرس خلعة والبسه سلاح دار وقال الملك ياوزير الزمان لابد أن تعطيه خملة في ديوان قلعة الجبل فاجابه الوزير بالسمع والطاعة واعطاه قاعة عظيمه في قلعة الجبل وقال له الوزير لابد إن تنتقل الى هذه القاعة التى اعطاها لك الملك فاجاب بيبرس بالسمع والطاعه ودخل الى تلك القاعة ومعه الاسطى عثمان وداروا فيها فقال عثمان ياجندى هذه القاعة مظلمه فلابدان تفتح فيها شباك والنور أحسن من الظلام وما أحد يكرهه من الانام فدعنا نفتح هنا شباك حتى يدخل علينا النور ويزول عنا الارتباك فقال له الامير افعل مابدالك ودبر ماحضر ببالك فعند ذلك نهض عثمان ومسك الرزه بيده وضرب بها الحائط فسقط البياض فبان من تحته لوح من الرخام الاسود والى جانب اللوح عقرب من النحاس ففركه عثمان واذا هو اللوح الرخام انفتح وظهر من خلفه باب مغلوق وهو بالاقفال موثوق فطل عثمان من بين الالواح فرأى قاعة كبيرة لها ثلاثة شبابيك من النحاس مقتربين وهم على أماكنهم محتكمين وعلى كل شباك صندوق كبير قدر ثلاثة أذرع فى الطول ونصف ذلك القدر فى العرض وعليهم الاقفال بالمفاتيح ومكتوب على وجه ذلك المكان ثلاثة أسطر تمام فعند ذلك أشار عثمان الى الامير بيبرس فاتى اليه فقال له انظر ما تكون هذه الكتابة واقرأها واخبرنى عن معناها فقرأها الامير واذا هى مكتوبة بامتصلا الى هذا المكان ومطلعا على هذا البنيان هذا الرجل من الاخوان المجاهدين في سبيل الملك الديان وقد خرج من ذمتى الى ذمة هذا الرجل

دون كل انسان وهو على غيره حرام وماهو الا بيبرس العجمى الخوارزمى الدربندى الدمشقى بن القان شاه جمك ابن الست ايق بن القان شاه طلمه ابن القان شاه لمه بن احمد بن محمد بن مصطفى بن مرقطا بن ابراهيم بن آدم ولى الله المطمطم يستعين به على الجهاد فى طاعة رب العباد (قال الدينارى) وكان السبب في ذلك سبب عجيب وأمر مطرب غريب يجب أن نسوقه على الترتيب حتى ان المستمع يلذ ويطيب بعد الف صلاة والف سلام ترضى النبي الحبيب وذلك ان أحمد بن أباديس السبكى كان عنده رجل رمال وكان عنده مال ونوال وكان خبير بسائر الاحوال وما يجدد من ذلك فى العالم من الامور والاشغال ففى يوم من بعض الايام

قال له ياوردان اعلم انى أريد منك أن تبين لى من من الملوك صاحب فضل وبرهان وتذل له الشجعان والاقران ويملك سائر البلدان وتطيعه الانس والجان والاوطان ويظهر دولة الايمان ويبطل شرائع أهل البهتان حتى تى اذا علمت ذلك أوهبته مالى ونوالى وما كان لى من عقارى وذلك كله لاجل نصرة الاسلام ومحبة منى في دين الاسلام فقال له وردان السمع والطاعة ثم انه ضرب الرمل وحقق الاشكال وأزال الانكيس والحمره واعتمد على مثل النظره فظهر له شكل آخر غريب الصفات بعد أن ولده من الامهات والبنات واقترنت الجماعة بالجماعات وظهر الاجليد في بيت الميزان وأخبره بذلك الانسان الذى قدمنا ذكره من الكلام فأعلمه بما بان له من الاحكام فقال له والرأى فى ذلك قال له تجعل المال فى هذا المكان لانه لابد له من العبور اليه والدخول عليه وصحبته انسان يقال له عثمان وهو صاحبه ورفيقه وخادمه وخليله وصديقه فلما علم ذلك وضع المال وكتب على باب ذلك المكان ماقدمناه من الامر والشأن فهذا كان السبب

في ذلك الشأن ونرجع الى حديثنا الاول وانا واتم نصلى على النبي المفضل
ولما قرأ الامير بيبرس الكتابة فتح ذلك المكان ودخل هو وعثمان وعمدوا
الى الصندوق الاول واذا بالمفتاح فيه ففتحه وتأمل واذا به من الذهب
الاحمر الابريزى وفتح الثانى واذا به من الجواهر الكاملة المعانى وفتح
الثالث واذا به من والفصوص والمعادن الكبار فعدوهم واذا بهم خمسة وسبعون طيرا
فلما رأى الامير ذلك فرح واتسع صدره وانشرح وقد زال عنه الهم والطرح ثم ان
الامير بيبرس التفت الى عثمان وقال له اعلم ان البقايا كلها للسلطان وان هو علم بما رأينا
أخذه منا وما في القصه الا انا نكتم هذا الامر عن سائر البشر وما نذكر عن
ذلك بخبر لاحد فقال عثمان ان هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب
فعند ذلك اطمأن الامير بكلام عثمان وظن انه صاحب اسرار وكتمان فهذا
ما كان من هذا الامر والشأن (قال الراوى) وأما ما كان من أمر
عثمان فانه بعد أن فرش القاعة واجلس الامير بيبرس فيها تركه ومضى
وكان اخذ شيئا من المعادن ونزل الى الاسطبل وبات تلك الليلة الى ان
اصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح انطلق عثمان ووقف قريبا من
باب الديوان فبينما هو كذلك واذا قد أقبل عليه القاضى وركابه في ركاب
ايبك التركمانى فعارضهم عثمان وصبح عليهم وقال لهم السلام على أهل
السلام فقال القاضى ما تريد يا عثمان قال له انظر بعينك ياقاضى الاسلام ما
قد أعطانا الله من الخيرات والانعام ثم اخرج له عثمان قرطاس من
الذهب الاحمر الابريزى وقال له هذا رأيناه فى صندوق محرر
ومثله صندوق من الجوهر ورأينا صندوق آخر كله من جناح العقاب مثل
الطير ثم ان عثمان اعاد عليه القصة من اولها الى آخرها وكشف له
عن باطنها وظاهرها حتى كأنه حاضرا مناظرها قال ولما سمع

القاضي ذلك انفطرت مرارته وزادت عليه بليته وكذلك ايبك تمت حسرته هذا وقد تركهما عتمان وهما على ذلك الشأن فهذا ماكان من عتمان (قال الراوي) وأما ماكان من القاضي فانه صار متفكرا في ذلك الشأن هو وغلمانه وايبك التركماني وساروا طالبين الديوان فهذا ما كان منهم (قال الراوي) وأما ما كان من السلطان فانه بات وأصبح مثلك يصلي على من له الورد فتح صلى الفريضة وقرأ ورده وقد طلع النهار واتضحت الانوار ودخل الاغا جوهر الصالحي اعلم السلطان بأن الديوان تكامل ثم نهض على الاقدام وسار الى الديوان وابدى الحاضرين بسنة السلام وردوا عليه على طريقة سيد الانام عليه الصلاة والسلام وبسط اياديه وقرأ الفاتحة أم الكتاب وأهدى ذلك الثواب الى النبي الأواب والتابعين والاصحاب ثم الى ارواح الملوك المتقدمين قبله والمتأخرين من بعده ثم انه جلس على كرسي قلعة الجبل وهو يوحد القديم الازل وقد تكامل الديوان وجلس الوزير والامراء والخدام وسائر الاقران ثم قرأ القاري وختم ودعى الداعي وختم ورقى الراقي وختم ثم صاح شاويش الديوان يقول

لله الملك والملكوت جميعا ... وجميع العالمين فوانيا

وكل المخلوقين تفنى ... ووجه ربك باقيا

فلا تغتر بالمال وطول الحياة ... وكثرة الجيش العاتيا

فهذا كله هالك ... ويبقى الاله الباقيا

(قال الراوي) فقال الملك الصالح آمنا من أين كنا حتى اتصلنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجي من الشدائد والمهالك سبحان من عنده كل ملك كمملوك وكل غني كصعلوك فقال الملك ياحاج شاهين من اعطاه خالقه من يخالقه سبحان المعطي المانع صاحب الفضل الواسع ربنا اعطاه وهو

يريد ان يكتم ماأتاه فرزقه مولاه بمن يظهر ماأخفاه ولما ان الرجل اعطاه
ربه وقد نظره الرجل فأباح الرجل للرجل والرجل كاد أن يقتل نفسه مما
نزل به من البلاء النازل فتعجب الاغا شاهين من الملك الصالح وقال ياأمير
المؤمنين وما معنى هذا الكلام فقال له أنا رجل عبيط والرجل الخواص كل
مرة أوصيه يجيب لى الخوص من النخلة العدلة يأتينى به من النخلة العوجة
فقال الاغا شاهين لا اله الا انت سبحانك ماأعظم شأنك وما أقوى برهانك
خلقتنى ورزقتنى وبهذه الرجال العظام ابليتنى وفى زمرتهم قد حشرتنى ومع
ذلك فانى لم أعلم قولهم وما يذكروه من خطابهم الاليم انى أسألك بحرمة النبى
الهادى ان لاتحرمنى من اسيادى (قال الراوى) وبعد ذلك تحرك القاضى
من مكانه وتحرك مسرعا على أقدامه ووقف في محل الطلب وكان بيبرس
قد أقبل الى وظيفته ووقف فى مكان خدمته هذا وقد قال القاضى ولدك
يا أمير المؤمنين المحفوظ المنصور الذى سعادته على رأسه مثل المصباح الامير
بيبرس قد رأى في المكان الذى انت أوهبته له ثلاثة صناديق من الذهب
والجواهر جناح العقاب بالذهب والوهاج والذى اقوله ان هذا كله
حق الى بيت مال المسلمين فهو أحق بالاقايا من دون كل البرايا فقال
الملك احق يابيبرس مايقول القاضى من المقالات فقال لا ادرى بشىء من
تلك الاشياء بل ان عثمان هو الذى فتح المكان ونظر فيه بامكان فقال الملك
انزل ياسيدى بيبرس وأتينا بعثمان فقال سمعا وطاعة يامولانا السلطان ثم نزل
بيبرس وهو لايدرى مايقول وذلك لما اعتراه من الغم والنزول ولم يزل
سائر الى ان وصل الى عثمان فرآه جالسا وبين يديه السياس وهو جالس
فقال له السلام عليكم فقال له عثمان عليك السلام عودنى فقال الامير ياعثمان
السلام يبقى بالعود قال عثمان سلام السياس هكذا قاعدته فقال الامير ياعثمان

ادن مني حتى اني أساررك في أذنك فقال عثمان ان كان معك حاجة وانت
ماخوم نزلها عن اكتافك فقال له الامير اعلم ان مامعي الا سر أريد ان
أطلعك عليه فقال عثمان انت تحكي وأنا أسمع فقال له انت أخبرت القاضي
بما رأينا بالامس فقال له عثمان ادى عيني وعينه هوورفيقه ابيك واوريتهم
عينة اللقيه وأخبرتهم عما جرى بالحرف الواحد فقال له الامير جزاك الله
خيراً هذه الشروط التي جرت بيني وبينك بالامس فقال له والذي جرى
ماهو قال له اطلع الى الديوان واخبر بذلك السلطان وقد أمرني بحضورك
الى بين يديه في هذه الساعة فقال عثمان يا أشقر سر من هاهنا اليه وسلم لي
عليه وقل له الاسطى عثمان يقرئك السلام ويقول لك اترك هذه الدعوة
وتلك القضية لانها دعوى فارغه بالكلية وان لم تفعل ذلك يطلع بالرزه اليك
ويأخذ روحك من بين جنبيك قال فلما سمع الامير بيبرس ذاك الكلام
من عثمان اغتاظ غيظا شديد ماعليه من مزيد وصاح فيه وقال له يا كلب
ياقليل الادب بقى انا أرجع للملك وأقول له اترك هذه الدعوة لانها فارغة كما
قال الاسطى عثمان قال عثمان ويعني ماذا يجرى فقال له قم على حيلك واجب
السلطان والا ضربتك بهذا اللت على راسك احمدت به انفاسك فقال له
عثمان انا اعرف الناس بك لانك مثل المقارب خاين العهود ولكن سر وانا
اسير معك ثم سار معه وقد جعل الامير بيبرس يلاطفه بالكلام ويقول
له اعلم ياسطي عثمان انى قد نكرت اللقيه من السلطان وقلت له انا مارأينا
شيء واسال الاسطى عثمان فاذا هو سالك ماالذي تخبره به من الامر
والشان قال له عثمان اقول له مثل ماتعلمني فقال له اعلم كيف نقول
كلامنا من غير زياده ولا نقصان احسن ونقول له ماسمعنا ولارأينا ولالقينا
ولانظرنا فقال له عثمان سمعا وطاعة ثم ساروا الاثنين الى ان وصلوا

يريد ان يكتم ماأتاه فرزقه مولاه بمن يظهر ماأخفاه ولما ان الرجل اعطاه
ربه وقد نظره الرجل فأباح الرجل للرجل والرجل كاد أن يقتل نفسه مما
نزل به من البلاء النازل فتعجب الاغا شاهين من الملك الصالح وقال ياأمير
المؤمنين وما معنى هذا الكلام فقال له أنا رجل عبيط والرجل الخواص كل
مرة أوصيه يجيب لى الخوص من النخلة العدلة يأتينى به من النخلة العوجة
فقال الاغا شاهين لا اله الا انت سبحانك ماأعظم شأنك وما أقوى برهانك
خلقتنى ورزقتنى وبهذه الرجال العظام ابليتنى وفى زمرتهم قد حشرتنى ومع
ذلك فانى لم أعلم قولهم وما يذكروه من خطابهم الليم انى أسألك بحرمة النبى
الهادى ان لاتحرمنى من اسيادى (قال الراوى) وبعد ذلك تحرك القاضى
من مكانه وتحرك مسرعا على أقدامه ووقف في محل الطلب وكان بيبرس
قد أقبل الى وظيفته ووقف فى مكان خدمته هذا وقد قال القاضى ولدك
يا أمير المؤمنين المحفوظ المنصور الذى سعادته على رأسه مثل المصباح الامير
بيبرس قد رأى في المكان الذى انت أوهبته له ثلاثة صناديق من الذهب
والجواهر جناح العقاب بالذهب والوهاج والذى اقوله ان هذا كله
حق الى بيت مال المسلمين فهو أحق بالاقايا من دون كل البرايا فقال
الملك احق يابيبرس مايقول القاضى من المقالات فقال لا ادرى بشىء من
تلك الاشياء بل ان عثمان هو الذى فتح المكان ونظر فيه بامكان فقال الملك
انزل ياسيدى بيبرس وأتينا بعثمان فقال سمعا وطاعة يامولانا السلطان ثم نزل
بيبرس وهو لايدرى مايقول وذلك لما اعتراه من الغم والنزول ولم يزل
سائر الى ان وصل الى عثمان فرآه جالسا وبين يديه السياس وهو جالس
فقال له السلام عليكم فقال له عثمان عليك السلام عودنى فقال الامير ياعثمان
السلام يبقى بالعود قال عثمان سلام السياس هكذا قاعدته فقال الامير ياعثمان

ادن منى حتى انى أساررك فى أذنك فقال عثمان ان كان معك حاجة وانت ملخوم نزلها عن اكتافك فقال له الامير اعلم ان مامعى الا سر أريد ان أطلعك عليه فقال عثمان انت تحكى وأنا أسمع فقال له انت أخبرت القاضى بما رأينا بالامس فقال له عثمان ادى عينى وعينه هوورفيقه ايبك واوريتهم عينة اللقيه وأخبرتهم عما جرى بالحرف الواحد فقال له الامير جزاك الله خيراً هذه الشروط التى جرت بينى وبينك بالامس فقال له والذى جرى ماهو قال له اطلع الى الديوان واخبر بذلك السلطان وقد أمرنى بحضورك الى بين يديه في هذه الساعة فقال عثمان يا أشقر سر من هاهنا اليه وسلم لى عليه وقل له الاسطى عثمان يقرئك السلام ويقول لك اترك هذه الدعوة وتلك القضية لانها دعوى فارغه بالكلية وان لم تفعل ذلك يطلع بالرزه اليك ويأخذ روحك من بين جنبيك قال فلما سمع الامير بيبرس ذاك الكلام من عثمان اغتاظ غيظا شديد ماعليه من مزيد وصاح فيه وقال له يا كلب ياقليل الادب بقى انا أرجع للملك وأقول له اترك هذه الدعوة لانها فارغة كما قال الاسطى عثمان قال عثمان ويعنى ماذا يجرى فقال له قم على حيلك واجب السلطان والا ضربتك بهذا اللت على راسك اخمدت به انفاسك فقال له عثمان انا اعرف الناس بك لانك مثل المقارب خاين العهود ولكن سر وانا اسير معك ثم سار معه وقد جعل الامير بيبرس يلاطفه بالكلام ويقول له اعلم يااسطي عثمان انى قد نكرت اللقيه من السلطان وقلت له انامارأينا شيء واسال الاسطى عثمان فاذا هو سالك ماالذى تخبره به من الامر والشان قال له عثمان اقول له مثل ماتعلمنى فقال له اعلم كيف نقول كلامنا من غير زياده ولا نقصان احسن ونقول له ماسمعنا ولارأينا ولالقينا ولانظرنا فقال له عثمان سمعا وطاعة ثم ساروا الاثنين الى ان وصلوا

الى الديوان وقد صاح عثمان وهو غير فزعان يغني ويقول هذا الموال

جئتكم كما نهق حمار في غيط ... وكما نجحت جروه على أعلا حيط

يامن على صحن خده مسرجة زيت ... قتلتني غدر ياابي مخطمه مخيط

صباح الخير عليك يا ابو جوطه الفاتحة مني في صحايفك وصحايف الاسطبل الذي علمك ضرب الكفة والحديدة فقال القاضي هو سايس يا ممقوت قبح الله ذاتك قال له عثمان مرض في خناقك فقال الملك والسايس ماله يا حاج شاهين ماهو مسلم من المسلمين رضى الله عن السيد علي ساعي ركاب النبي قال عثمان صباح الخير عليك يا ابو فرمه خيرنا عليك قناطر ونواطر احفظ سكرنا قال الوزير اخذت مني قدر حقه مائتين مرة قال عثمان صباح الخير يا ايبك ياعين القط اللقيط قال ايبك مرض يالقط عقلك فلاح خطاف عمايم قال عثمان صباح الخير عليك ياقاضي يامتقرش يابن القحبه ياللي من العطفة الظلمة الضيقة التي يعرفها ابو جوطه بعد الفاتحة تسمع خير يا ابو جوطه قال الملك الصالح خير ان شاء الله قال عثمان عز الله جل الله مافي الكون الا الله قل معي يا ابو جوطه لا اله الا الله عليك ياقاضي غضب الله قال الاغا شاهين هاهو ياتي العبارة بحمد الله قال عثمان نحن لما دخلنا القاعة التي اوهبتها انت لنا وفتحناها فوجدنا فيها صندوق من الذهب البندقي ومثله من الجوهر والثالث من التبر جناح العقاب فلما رآهم الدولتلي بيبرس قال لي ياعثمان ان اللقايا لابو جوطه يأخذها منا ويحرمنا منها قلت له ابو جوطه رجل تيس فصاح في فقال الملك الله تعالى يسامحك ياعثمان في كل ماقلته في حقي ياعثمان احكي ماجرى بعد ذلك قال عثمان ثم انه قال لي اذا احد سألك عن هذه فقل له نحن لاشفنا ولارأينا وما معنا خبر ولا انا عالم بذلك قلت له هذا هو الصواب

والامر الذى لايعاب ثم اخذت بعض الذهب والجوهر والتين واعلمت القاضى وايبك بما جرى واوريتهم الذهب فلما طلعوا الى عندك اخبروك وسألت انت الامير فنكر وشهد القاضى وايبك على بذلك فارسلته الى احضرنى بين يديك وقد سالتنى أخبرتك بالذى جرى وحق من يعلم ويرى وبعد ذلك لاشفنا ولا رأينا ولا سمعنا خبر ولا لنا بذلك علم قال القاضى قرارك من لسانك ولا عذر لمن اقر قال الملك اسكت ياقاضى دم على قلبك ثم ان الملك التفت الى الاغا شاهين وقال له اللقايا لمن قال للسلطان أمير المؤمنين قال الملك وحق من تعالى فى علاه هذه اللقية هدية من عندى الى ولدى الامير بيبرس هبة كريم لايرد في عطاه ياحاج شاهين هذه اللقية كانت حرام والآن قد حلت لانها بقيت باذن صاحبها وقد أذن الله انه لايأ كلها الا حلالا وبعد ذلك دع الذى ينكاد في كيده ولكن ياسيدى بيبرس اعلم ان لكل شىء سبب من الاسباب انزل ياسيدى احضر لك رجل فقيه يصلى بك ويعلم عثمان الخط والقرآن فقال سمعا وطاعة ياملك الاسلام ثم ان بيبرس نزل هو وعثمان وقد فرحوا بما نالوا من الامتنان والاحسان وما نزل على الاعداء من الغيظ والهوان قال وقد وقع على القاضى من ذلك مالم ينزل على أحد من الرجال وجعل يدبر المكايد هو وايبك فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من الامير بيبرس فانه نزل من الديوان وقال ياعثمان ائتنا برجل فقيه فقال سمعا وطاعة ثم تركه ومضى الى باب القلعه واذا هو برجل فقيه يقال له الشيخ اسماعيل الملوى مقبل وكان هذا الشيخ اسماعيل يخاف من عثمان خوفا شديد ماعليه من مزيد لان عثمان كان ضربه بالرزه وأخذ عمامته مرتين وكان من تلك المده الى الآن وهو مريض

فلما سمع ان عثمان تاب ورجع عما هو فيه فرح قلبه وقد اتته العافية ونزل ذلك النهار لاجل ان يطوف على رواتبه ومحلاته التى كان يرتزق منها فصادفه عثمن فى هذا المكان فلما رآه الشيخ انتقض وضوءه ولعبت مفاصله وقال له اعذرنى يا اسطى عثمان لانى كنت عيان وخذ مقلتى وارجع عن اذيتى فقال له عثمان انا تبت عن أمور النقصان فقال له خذها منى وارجع توب فقال له عثمان أنا تبت وتاب علي علام الغيوب فسر معى وكلم الاشقر لاجل ان يعود عليك النفع منه ويزيل عنك الضرر فقال له الشيخ سمعا وطاعة ثم ان الشيخ سار معه الى ان وصل الى سيده بيبرس فلما رآه نهض له قائما على الاقدام ورحب به واجلسه فى اعز مكان وقد اطمأن قلب الشيخ من عثمان ولما استقر به الجلوس قال له الامير يامولانا اعلم انى ما اتيت بك الا لاجل القراءة عندى والصلاة جماعة فقال له الشيخ وقد ظن انه يريد ان يقرأ القرآن مرحبا ياولدى فقال له اعلم انى اقرأ القرآن واريد ان تقرى عثمان القرآن فقال له انا اخاف من عثمان ان يسقينى شراب الهوان لانه فعل معى كذا وكذا وحدث الامير بما فعل معه عثمان من اول الامر الى آخره فقال له عليك الامان من عثمان ومن كل انسان وعلى انا الضمان فقال الشيخ سمعا وطاعة ثم ان الامير اخرج قرطاسا من الذهب وناوله الى الشيخ اسماعيل الملوى وقال له خذ هذا وجمل نفسك بالثياب واخزن بيتك حتى انك لا تكون مهتم القلب من جهة الاكتساب وتأتى الى عندى ههنا لاجل الصلاة وتعلم عثمان القراءة فقال له سمعا وطاعة ودعا له وقد أمر الامير بيبرس عثمان ان يقبل رأسه ويده ففعل عثمان ما أمره به مولاه وطيب خاطر الاستاذ ونهض الاستاذ الى مكانه وقد علا قدره وشأنه وذهبت احزانه

وبعد ان قضا اشغاله عاد الى المكان واحضر عثمان وكتب له اول الهجاء وهى الاحرف الهجائيه وقال لعثمان ماهذه قال عثمان الطويلة هذه قال نعم قال عثمان هذه شبهة الرزه قال له الشيخ هذه يقال لها الف قال عثمان يكومك قال الشيخ ما معنى ذلك قال له تقول مالف يعنى تعبان قال له الف الف يا عثمان قال عثمان الف أروح فين قال له الشيخ الف قال عثمان الف وهذه باء قال عثمان انا خوفتك حتى انك تقول لى باء قال له هذا اسمها فقول مثل ما اقول لك فقال عثمان وما قرأت حرفا الا بجهد جهيد وقد فتح الله على عثمان حتى قرأ الهجاية وفك الخط وكتب وتعلم وقد اجتهد معه الاستاذ غاية الاجتهاد (قال الديناري) فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر المماليك التى للسلطان وما كان منهم من الحديث العجيب والامر المطرب البديع الغريب الذى نريد ان نذكره على الترتيب حتى ان المستمع يطيب بعد الف صلاة والف سلام ترضى النبى الحبيب وذلك ان بيبرس لما سكن في القلعة امر له الملك بالترتيب الملكى من الفطور والغدا والعشا فامتثل الطباخ الامر وأرسل له أول يوم الصفرة كاملة وثانى يوم الغدا والعشا على العادة فلما كان ثالث يوم طلعت الصفرة وقد وضعها الخدام بين يدى الامير بيبرس فتأملها واذا فيها اربعة صحون من غير زيادة وكلهم خضار فقال بيبرس فى نفسه لعل ان يكون الطباخ نسى العادة جل من لا ينسى ثم انه عزم على عثمان فابى وقال انا مالى فيه لا آكل الطعام فاكل الامير بيبرس وارتفعت الصفره الى وقت العشاء فوجدها الامير مثل ما اتت اليه في الظهر فتعجب الامير من ذلك وعزم على عثمان فابى وذكر له انه عيان فلما جن الليل جلس الامير وفتح الختمة وجعل يقرأ فى كتاب الله عز وجل الى ان اتى الى قول الله تعالى « فمن اعتدى عليكم » فنهض

عثمان الى عند الامير وقال له ياسيدى اعلم انني مريض ولما سمعت هذه الآية الشريفة طابت نفسي عليها فاكتبها لى حتى احملها في راسى حجاب فقال له الامير ياعثمان كلام الله كله شفاء ومعانى ومعرفة ولكن اخاف ان تكون قاصد بها شيئا آخر فقال له لا وحق رأسك وذقنك فكتب له الامير هذه الآية وهو سليم القلب لا يدرى مايريد يفعل عثمان فلما أخذها عثمان نهض بالرزه وسار الى الطباخ وقد ضربه بالرزه بين كتفيه فصاح آخ فقال عثمان الفاتحة فقال الطباخ الفاتحة من ورا والا من قدام فقال عثمان الطرق كلها سالكة فقال الطباخ حلت فضائلها ماتريد فقال له أريد ان تعلمنى على الترتيب الذى أمرك به ابو جوطه لنا في الغدا والعشا فقال له ياسيدى عثمان لكم كذا وكذا وذكر له اشياء كثيرة فقال له ولاى شيء انتم ترسل لنا حكم ما امرت فقال له اعلم انى ارسل لكم ذلك كله فى كل وقت ولكن اعلمنى ماالذى جرى فاخبره عثمان بأمر الصفره فلما سمع الطباخ ذلك من عثمان صاح على غلامه وكان اسمه سليمان فاتى اليه فقال له اعلمنى على الصفره الذى تحملها الى الامير بيبرس كيف تعمل له ناقصة واصدق فى المقال فقال له يامولاى انك انت بعد ان ترتب لى الصفره وأنا اسير بها فيقبضوا على المماليك فيأكلوا مطايبها وما يتركوا خلاف الاربعة اشكال الخضار فلما سمع عثمان ذلك قال له اسمع انا لا افعل شيئا حتى أرى بعينى فاغرف الصفره وارسلها مع الغلام خافى ثم ان عثمان ترك الطباخ ومضى الى السلالم وتوارى في ركن هناك ولم يزل كذلك الى ان اقبل الغلام بالطعام وكانت هذه الساعة حصة الغدا وقد خرجت المماليك وهم أربعة الذين اتفقوا على ذلك الحال مع بعضهم وهم سنقر وشتك وعلاى الدين وقلوون فلما وقفوا وعبر عليهم الغدا فصاروا يسألون الطباخ لمن هذه الصفره فيقول لهم

الى فلان يقولون امضى بها اليه والثانية لمن فيقول الى فلان فيتركوها ولم
يزالوا كذلك على هذا الحال الى ان اتى الغلام بسفرة الامير بيبرس وعثمان
ينظر ويرى وهو واقف فقالوا للغلام لمن هذه الصفرة فقال للامير بيبرس
فقالوا له نزلها هاهنا وكانت هذه عادتهم وقد نزلها الغلام فتقدموا اليه
وا كلوا مطايبها وقام علاى الدين الى الابحر الازرق وهدم بناه وقبض على
ا كثره بيده فقال عثمان وقد زاد بلاه هدمت قبة الاسلام ولكن وعزة الله
الآن جاء شاهد هذه الآية التى اخذتها من بيبرس وانتم اتعديتم عليه
بجوع الكبد وأنا اتعدى عليكم بعرى الجسد ثم انه تركهم ومضى الى حال
سبيله ورجع الى سيده ولم يبدى كلام هذا وقد اقبلت الصفرة ووضعت
بين يدى الامير فقال لعثمان تقدم فقال انا مالي نية الى الطعام ثم انه صبر
الى الليل بعد أن نامت المماليك وأخذ الرزه وسار طالبا مكانهم ولم يزل
حتى دخل المكان وتأمل فرأى التيجان ملقيين الى جانب المكان فاخذ
الجميع وكانت عدتهم خمسة وسبعين فأخذهم وخرج الى الخلا وجلس
عثمان يترقب الصباح الى أن انفجر الفجر فسار طالبا جهة الطريق قال
فبينما هو كذلك واذا بالدلال مقبل عليه وكان هذا الدلال دلال عثمان
وكان يقال له الشيخ عمران القلسي وكان متعود على عثمان كلما نهبه يأخذه
منه ويبيعه حراج الى أن صاحب الحاجه يشتريها منه بالثمن ولم يقدر أن يذكر
انها حاجته خوفا من عثمان وسطوته فلما تاب عثمان انقطع الدلال فى بيته
عند النسوان وضاعت مصالحه وصار لايقدر على شيء من العمل وبطلت
أسبابه وعظمت مصايبه فجعلت زوجته تواجعه بالكلام الغليظ وهي تقول
له وبعد قعادك هاهنا مثل الوليه وما بقيت ناقصاً الا الرقد أو انك تجيب
لك دولاب فقال لها وكيف أفعل بعد أن تاب عثمان بن الحبلة وتركني

بهذه المصيبه والله والله ما كان لى غرض في توبته لانى كنت سعيداً فى مدته فقالت له زوجته ان رزقك ماهو مقيد بعثمان ولا متعلق بانسان بل رزقك على الكريم الديان فقوم الآن صلى صلاة الافتتاح وتوكل على الكريم الفتاح واقصد أحد الاسواق والله لك رزاق فقال لها السمع والطاعة الله يسهل لنا الارزاق ثم انه خرج من عند زوجته على مثل ذلك الاتفاق وصلى صلاة الافتتاح وعبد الملك الخلاق الرزاق وقصد الى جهة السوق كما أمرته زوجته وهو لايدرى مايكون العمل فى قصته فبينما هو كذلك واذا بعثمان مقبل اليه ولما دنى منه سلم عيه فلما رآه فرح برؤيته وسلم عليه وقبل يديه وقال له ياأسطى عثمان لاى شيء تبت هذه التوبه وان الوقت بدرى عليك وباب التوبه مفتوح فارجع الى ما كنت عليه ولا تتوب حتى يقرب ظهور يأجوج ومأجوج فقال له عثمان دعنا الساعه من هذا الكلام وخذ مامعى واعطينى ثمنه فى عاجل الحال فقال له ماهذا قال خمسة وسبعون تاجا وسبعين فرشا فقال له الدلال وقد فرح بكلامه اصبر حتى آتى اليك بالدراهم وعاد في عاجل الحال الى زوجته وأخبرها بان عثمان نقض التوبه وأتى له ببيعة قيمتها خمسة وسبعون قرش ففرحت الاخرى بذلك ونهضت واقترضت له الدراهم من الجيران فأخذهم وسار الى عند عثمان وناوله اياهم فأخذهم عثمان وأعطاه التيجان ومضى كل واحد منهم الى حال سبيله

قد تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس وأوله أخذ عثمان تيجان المماليك وبيعهم للدلال وشرائه فطير بثمنهم وأكله الفطير مع الامير بيبرس

يطلب من المكتبة العلميه العموميه لصاحبها الحاج محمد امين
دربال بشارع الحلوجى قريبا من الجامع الازهر
والمشهد الحسينى بمصر

سيرة الظاهر بيبرس

اكبر تاريخ لمصر والشام

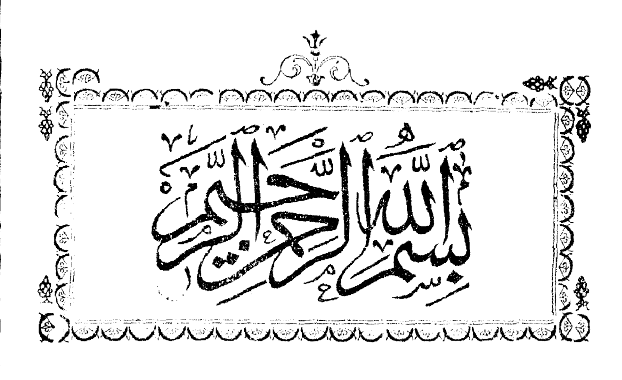
الذى جمع احوالهما وعوائد اهلهما وما وقع بهما من الحروب والحيل والخداع وما كان بهما من العجائب والغرائب التى حيرت النبلاء وأدهشت عقول الأذكياء وهذا التاريخ جامع لهذه الاحوال من سنة (٦٠٠) من الهجرة واخبار ملك مصر والشام من ابتداء ايام الملك العادل يوسف صلاح الدين الايوبى اول الملوك الايوبية وشجرة الدر والمماليك خصوصا ما وقع فى زمن الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة السلطان محمود الظاهر بيبرس

تاليف الدينارى والدويدارى وامير الجيش المشهور
بكاتم السر رضى الله عنهم اجمعين

وهى مقسمة خمسين جزء

الجزء السادس

الطبعة الاولى — سنة ١٣٢٦ هـ — و١٩٠٨ ف
طبعت على نفقة علي امين دربال تباع بالمكتبة العالمية العمومية بشارع الحلوجي بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسيني



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قال الراوي) فاما الدلال فانه عاد الى الدار وأعرض على زوجته هذا الحال فقالت له اعلم أن هؤلاء ماهم من الناس وما خطفهم عثمان بل انهم تيجان المماليك الذين للسلطان ولا بد أنهم فى غدا يدورون عليهم فلم يجدوهم فيخبروا بذلك سيدهم الملك الصالح فيقرر الخدام ومن جملتهم عثمان وأما عثمان كما تعلم انه قريب الاقرار ولا يعرف انكار فاذا هو أقر عليك فيأخذوهم من بين يديك وتموت الدراهم على الناس وربما ان الملك يأمر بضرب رقبتك فيضربوها فى الحال ويعايرونى بك أهل الحاره ويقولون لى ياريشه يازوجة المضيع قال فلما سمع القلسى من زوجته ذلك الكلام خفق قلبه وانفك صلبه وقال لها وكيف أصنع بذلك بعد الفوت لابشرك الله بخير ورماك فى المهالك فقالت له اذا كنت أنا أعلمك بامر تطاوعنى فيه قال نعم أطاوعك ولا أعصى لك أمرا أبداً فقالت له تمضى من هاهنا الى بيت الوزير الاغا

شاهين الافرم وتعلمه بما جرى وكيف فعل عثمان والقصة من أولها الى آخرها فيسر بقولك ويأخذهم من عندك ويتم عليك بثمنهم ويضعفهم لك بالمثن ولا يظلمك لأنه رجل ذو احسان ولا يبقى عليك ملام فقال لها والله لقد قلت الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انه تركها وأخذ التيجان وذهب الى بيت الوزير الاغا شاهين الافرم واستأذن عليه فى الدخول فتسارعت اليه الخدام وقالوا يامولانا بالباب رجل يريد الدخول اليك فقال لهم على به فأدخلوه فلما قارب مكان الوزير سلم وخدم ودعا وترجم فقال له الوزير ماالخبر فقال قد جرى من الامر يامولاى ماهو كذا وكذا وأعاد عليه القصة من أولها الى آخرها وكيف ان عثمان باع له التيجان وكيف أخذ الدراهم فقال له الوزير وقد علم المعنى وعلم بالاشياء كأنه حاضرها وما خفى عليه ان هؤلاء تيجان المماليك لانه رحمة الله عليه كان عاقلا فطينا لم يسمح الزمان فى وقته بمثله الا ان يكون مارنى الذى للبيب رومان ورشيد الدوله الذى للقان قلاون لأنهم الثلاثة كانوا ميزان واحد غير ان الوزير الاغا شاهين أعظمهم قدراً وأوفاهم ذكراً لانه على كل حال في بلاد الاسلام ومتعاطى الامور والاحكام وهما فى بلاد الشام ولم يرد عليهما مثل ماورد عليه فلما عرف المعنى قال للرجل الدلال اسمع ما أقول لك ياشيخ فان قبلت كلامى فلا باس عليك وان لم تقبله فلا أغضبك أبداً ولا كانى رأيتك ولا نظرتك وبيع عند غيرى اذا لم يعجبك قولى فقال له ياوزير الزمان قل ما عندك من المقال فقال له انت قد دفعت خمسة وسبعين قرشا وأنا أتجاوز عن مثلهم لوجه الله من مالى وأعيد هذه التيجان لاربابها فان كان لك مرام تأخذ فيها ماية وخمسين قرشا والا امضى بها من حيث أتيت فقال الدلال اعلم ياوزير الزمان انى لا اقدر ابيعها لاحد غيرك ولولا ذلك ماتيت بهما اليك

لانى أعرف منك الكرم والاحسان ولكن اريد ان تعطينى زياده على
ذلك الشان فقال له الوزير لا وحق راسى والملك الديان فقال له اعطينى
الدراهم وخذ اياهم فناوله الوزير الدراهم واعطاه التيجان وسار الدلال
الى حال سبيله وقطع الطريق ووصل الى بيته واعطى أرباب الديون ما كان
عليه وكسى زوجته وقضى مصالحه وجعل يدعوا للوزيرهو وزوجته فهذا
ماجرى في نوبته (قال الراوى) واما ما كان من الوزير الاغا شاهين
فانه اخذ التيجان وركب من ساعته وسار الى قلعة الجبل ودخل على
المماليك وكانوا انتبهوا من منامهم وجعلوا يفتقدون ملابسهم فرأوا التيجان
قد عدمت فجعلوا يدورون عليهم وينظروا بعضهم بعض فبينما هم حايرين
واذا بالوزير قد دخل عليهم فنهضو له على الاقدام وقبلوا يده وردواعليه
السلام فقال لهم ياولادى اعلموا انى دخلت عليكم وانتم نيام وقد رايت
الباب وهو مفتوح فاخذت هؤلاء التيجان وانتم نيام وما درى بى انسان
منكم فلو كان احد غيرى ماأعادهم اليكم فانتبهو لانفسكم واحرسوا ملابسكم
فقالوا له سمعا وطاعة ثم ناولهم التيجان فاخذوها ولبسوها وطلع الوزير
بعد ذلك الى الديوان وجلس فى مكانه فهذا ماكان من الوزير الاغا شاهين
(قال الراوى) وأما ماكان من عتمان فانه لما باع التيجان أخذ الدراهم
كما ذكرنا وسار الى دكان رجل فطاطرى وكان صاحب عتمان من قديم
الزمان لان عتمان كان نهبه اربعة مرات وهو يحسب حسابه ويتمنى انه
يموت ولا يرى شخصه فبينما هو كذلك واذا بعتمان مقبل عليه فانزعج
وحار فى أمره وتمنى ان الارض تبلعه فقال له عتمان لا تخاف واعلم انى
تبت للخفى الالطاف ثم ناوله الخمسة وسبعين قرش وقال له اصنع لى قصعة
فطير بالسمن البقرى والعسل النحلى فترسلها مع غلامك هذا الى القلعة

واذا سأله أحد عن ذلك يقول له انها من عند غزيه الحبله امى وهكذا فى كل يوم ولا يحتاج انى اوصيك فقال له سمعا وطاعة وفرح الرجل بالدراهم وتمنى ان عثمان ياتيه فى كل يوم عشرة مرات بعد ان كان لايقدر ان يرى هذه الصفات هذا وقد سار عثمان الى سيده وجلس عنده وقد استيقظ من نومه وصلى فرضه وقرأ ورده فبينما هو على مثل ذلك واذا بالغلام مقبل عليهم وقد وضع الطعام بين ايديهم فلما رآه الامير ورأى ذلك الطعام المفتخر اعجبه وقال للغلام من اين هذا قال له يامولاى من عند سيدتى غزيه الحبله ام سيدى الاسطى عثمان فقال الامير جزاها الله كل خير ثم انه تقدم وجعل يأكل وعثمان معه وقال والله ياعثمان هذا شيء عظيم فقال له عثمان لما تمس رأسه تعقله والله انها اكله حلوه ولكن آخرها مثل الصبر فقال له الامير ولاى شيء ذلك ياعثمان قال عثمان هذا فى المثال فقال له الامير دعنا من هذه الامثله المقبحه قال له كل وانت ساكت اولها حلوه وآخرها مره قال له انا بعد ذلك لم آكل شيأ منها فقال له كل ولا تخاف من شيء هذا الكلام سائر بين كل الناس ولم يزالوا على مثل ذلك حتى اكلوا واكتفوا واخذ الغلام القصعة وعاد الى معلمه فهذا ما كان منه

(قال الراوى) واما ما كان من الملك الصالح ايوب ولى الله المجذوب فانه جلس على كرسى قاعة الجبل مثلك يوحد القديم الازل ولما تكامل الديوان وجلست العساكر والرجال قرأ القارئ وختم ودعي الداعى وختم ورقى الراقى وختم صاح شاويش الديوان يقول

لله الاوامر والنواهى ... وما كان في الدنيا سيذهب
فافعال الكرام تعد ... بنعمة باقية ليس تذهب

قرب العطاجزيل العطا وهو الكريم الغنى الموهب

(قال الراوى) قال الملك الصالح آمنا من اين كنا حتى اتصلنا ياحاج شاهين مامن ظالم الا سيبلى بظالم ناس مسلطه على ناس ومجازى الناس رب الناس وابدان مسلطها ربنا على ابدان والكون عامر فقال الاغا شاهين فى نفسه هل ترى مايكون معنى هذا الكلام لااله الا انت يامولاى انت الذى خلقتنى ورزقتنى وبعشرة هؤلاء السلاطين وبحبهم ابليتنى ومع ذالك فانى لااعرف مايقولونه ولا معنى مايذكرونه فاسألك اللهم بحرمة النبى الهادى لاتحرمنى من اسيادى فبينما الملك يدندن والوزير يتعجب واذا بالامير بيبرس يقبل الارض من باب الديوان وهو يقول شعر

سلامى على ذا المقام والحما سلامى على امير المؤمنين تقدما
امير المؤمنين وجيشه قد حفت بهم ملائكة السما

(قال الراوى) فلما فرغ الامير بيبرس من شعره قال له اهلا وسهلا ومرحباً بسيدى بيبرس والله ياحاج شاهين انه رجل سعيد ثم ان بيبرس اقام فى خدمته وانشد يقول صلوا على الرسول

تصحبك السعاده كل وقت وهناك الاله بما اعطاك
واخذل اعداء الكل جمعا وافقر محبك واهلك أعداك
وأيدك الله بالنصر حتى تبلغ ماترومه من مولاك
وتفوز بالظفر والفوز حتى يؤيدك البارى ويبسط يداك
عبدك قد اتاك يريد فخرا من بعض ماا كتسبت يداك

(قال الراوى) ولما فرغ الامير بيبرس من تلك الانشاد أخذ الطير جناح العقاب ووقف على راس السلطان والسلطان يتأمله ويشاهد نقله فطير بالسمن بالنظر اليه عن سائر العسكر وكل منهم قد تكلموا كثر وهو

يتأمل اليه ويقول سبحان الخالق الاكبر هذا وقد دار بين أرباب الدولة القيل والقال واكثروا من الهرج وذلك المقال هذا وقد علم الملك الحال الى ان كان آخر النهار ونفض الملك المنديل نحوات الرجال ونزل كل من كان حاضراً هناك وكذلك نزل الامير بيبرس والقاضي وأهل الدوله ولما أقبل الليل نزل عثمان على المماليك وأخذ منهم الحياصات وأعطاهم الى الدلال وكان قد أوعده أنه يلاقيه في ذلك المكان فجعل الدلال ينظره حتى جاء اليه وأعطاه الحياصات فأخذهم الدلال وذهب الى بيت الوزير وباعهم له مثل النوبة الاولى وكان عثمان قد مرّ على الرجل القطاطرى وقال له اعمل لنا رفيسه ففعل الرجل وارسلها مع غلامه وجعل الامير يأكل وعثمان يقول له الاولى مثل الصبر والاخرى مثل الطين وثالث يوم سرق الساعات ورابع يوم سرق الخناجر وخامس يوم سرق السيوف وسادس يوم سرق المزود والبوابيج وكان الوزير كلما جاءه الدلال بشيء من ذلك يعطيه الطاق مثله فلما كانت الليلة السادسة وسرق عثمان فيها المزود والبوابيج وقابل الدلال فقال له ما معك يا اسطى عثمان فقال له هات الخمسة وسبعين قرش لقدام فناوله الدلال الدراهم وأفرغ له مافى حجره فقال له ياعثمان هذه البيعة كلها ماتسواشي قرش واحد فقال له عثمان قيم هذا على ماسبق حتى يبقى شيء على شيء فأخذهم الدلال وسار بهم طالب بيت الوزير واستأذن في الدخول عليه فأذن له فى الدخول فدخل ووقف فى باب المكان وسلم على الوزير فقال له الوزير ادن منى ياشيخ فقال له ياوزير الزمان انى اصابنى عذر بليغ وهو الذى منعنى من الدخول من ذلك الباب وذلك انى صليت الصبح فى جامع طيلون وجئت عند الخروج فسرقوا لى مركوبى وما رأيت معى دراهم حتى كنت اشترى غيرها وأنا في

أمري علي عجل فقلت في نفسي بعد ان أقابل الوزير وأسير من عنده واقضي حاجتي وأتيت الى عند الوزير لآخذ الدراهم واخذتهم الى عنده لان هذا شيء كثير فأعطاه الدراهم والقاهم اليه والدلال نفض حجره في قاعة الدار وخرج يهرول فقال له الوزير وقد اعجبه ذلك الحال يادلال خذ البيعه وهات الدراهم لانهم لم يسوا قرشا واحداً وأنا لست بشاري فقال له ياوزير الزمان قيم شيئاً على شيء فضحك الوزير وكان يقول للدلال هذا الكلام على سبيل المزاح هذا وقد قال الوزير لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ان الوزير ركب وقد ترك المزاود والبوابيج ولم يأخذهم وسار الى عند المماليك ووبخهم بعد ان سألهم على ماضاع لهم من تلك الليلة فأخبروه فاكثر عليهم الملام وأغاظهم بقبيح الكلام وتركهم وسار طالب الديوان

(قال الراوي) صلوا على سيد ولد عدنان فلما نظروا المماليك الى ذلك الشان قالوا لبعضهم والله مانظن ان الوزير يأتي الى هنا كل ليلة ويأخذ متاعنا ويعود بعد ذلك يتكلم معنا وما هذه فعال الوزير أبدا ولكن من الرأى اننا نكون هذه الليلة نائمين مستيقظين وعلى الكلام مع بعضنا ساكتين وينام بعضنا بخلاف البعض فيكون هذا رجلاه على رأس الآخر وهذا رأسه عند رجلين الآخر حتى تنظروا من الذى يأتى ان كان هو الوزير أم خلافه فقالوا هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب فهذا ماكان لهم من الاسباب (قال الديناري) ياأحباب صلوا على سيد الاسياد محمد خير العباد صلى الله عليه وسلم وأما ما كان من عثمان فانه في كل يوم لما يبيع الهدوم يعطى الدراهم الى الفطاطري على العادة ويصنع له ماأراد من الاطعمه الى ان كانت الليلة السابعة التي قد اعتدوا فيها المماليك فصبر عثمان الى ان نام الامير بيبرس ونزل الى عندهم وتأمل عثمان في المكان واذا

بالمماليك منقسمين قسمين ذات اليمين وذات الشمال وهم بخلاف بعضهم كما
ذكرنا فتأمل عثمان في المكان فلم يرى شيئاً يأخذه الا الاكراك السمور
فتقدم ولبس الكرك الاول والثانى من فوق الاول وكذلك الثالث فصار
كانه الضرف المنفوخ وأراد أن يلبس الرابع فما قدر بل ضاق عليه فتقمط
فيه وقد انفرج فبينما هو كذلك واذا بالمماليك نهضوا على الاقدام متسارعين
الى عثمان وقد أخذه الصياح من كل جانب ومكان ونزلوا عليه بالعيدان
والقطع الخيزران وهو يصيح من قلب ملئان الحقنى يابيبرس ياأشقر فقد
ظفروا بى هؤلاء المعرصين فوقعت الصيحة فى اذن الامير بيبرس فأفاق
من احلام نومه ولم يدرى ما الخبر وهو يسمع حسن الصوت فصار يهرول
الى ان دخل قاعة المماليك فرآهم قائمين على عثمان وقد أرادوا ان يسقوه
شراب الهوان وقد ضيقوا عليه من كل مكان فلما عاين ذلك فاهان عليه عثمان
فصاح عليهم وشرع باللت فتراجعوا الى ورائهم فصبر الامير حتى هدأ روعهم
وسألهم عن حالهم فأخبروه بما تم عليهم وما فعل عثمان معهم فالتفت الى
عثمان وقال له لاى شيء ياعثمان فعلت هذه الفعال فقال له عثمان لاجل
السم الهارى الذى يذوب قلبت اما تدرى انى في كل يوم آتى اليك بالفطير
والحلاوات والكنافة والمدموجة والهريسة فقال له ومن الذى أمرك
بذلك فقال عثمان ومن الذى أمر بذلك وما أمرنى أحد غيرك فقال الامير
حسبى الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم تظالمنى
ياعثمان قال عثمان انا ماقلت لك أولها حلوه وآخرها مره وكل من أكل
لقمه يلطم لطمه فقال الامير والله الذى تعالت قدرته وجلت نعمته وتنزه في عظمته
انا لاأعلم بشيء من ذلك ولا أدرى ولا لى من ذلك علم ولكن مضى الذى
مضى وسامحوا عثمان فى ذلك لاجل خاطرى فقالوا له هذا أمر لايكون

أبدا وما بيننا وبينك الا السلطان فجعل الامير يطيب خاطرهم ويسألهم العفو عن ماجرى فلم يرضوا بذلك وقالوا لابد ان نشكوا الى السلطان فتركهم علي حال سبيلهم ومضى خلف عثمان وقد أخذه من ذلك الغضب وكان عثمان قد سبقه وكمن في مكان آخر حتى طلع الامير وطلبه فما وجده فطلع الى فرشه ونام باقى ليلته على غيظ وكذلك المماليك جعلوا يدبرون أمرهم وهم لايصدقون بالنهار ان يطلع فهذا ماكان من أمرهم (قال الراوى) وأما ماكان من الملك الصالح فانه بات وأصبح ظهر وجلس على التخت تكامل الديوان بالعساكر والرجال قرىء القارىء وختم دعا الداعى وختم صاح شاوش الديوان وهو يقول صلوا على الرسول

يا خائفا من دهره كن آمنا ... وانظر الى هذه الابيات نصت بهم الشعرا
كم من صحيح بات وسط المقبرا ... كم سقيم عاش بعلته
كم من غنى بات فارح بماله ... اصبح الصباح وهو في زمام الفقرا
كم من فقير بات شاكى بقدره ... اصبح الصباح وأحواله ميسرا
كم من سلطان بات ظالم فى حكمه ... وعنده رجل في الاسجان مسيرا
أصبح السلطان مسجون يافتى ... وأصبح المسجون يتعاطى ان حكم الامرا
هذه دلائل ربنا فى حكمه ... وارفع يداك للذى بسط الثرى

(قال الملك) آمنا بالله سمعنا خيرا ورد العاقبة الى الخير يا ربنا خاتمت خير قبل منتهى الاجل وصار الملك يتعاطى القصص ويزيل الغصص بالجد والانصاف حكم ما أمر مولانا جد الاشراف واذا بالمماليك نهضوا من على كراسيهم ومراتبهم ووقفوا فى محل الطلب عن آخرهم قال الملك ماالخبر قالوا ياأمير المؤمنين أمدك الله بالنصر والتمكين اعلم ان بيبرس أوصى علينا عثمان سرق حوائجنا ولم يزل كذلك حتى قبضناه بأيدينا فنزل الينا بيبرس

وخلصه من أيدينا ثم انهم أعادوا عليه القصة من أولها الى آخرها وقد كشفوا له عن باطنها وظاهرها فلما فرغوا من الكلام واذا بالقاضي تحرك من مكانه وقد جنح طيلسانه وهز ديدبانه ونفض اكمامه وقنبر العمامة وأبدأ في كلامه وقال يامولانا السلطان أنا كم أقول لك هذا القول مراراً وأعيده لك اسراراً واجهاراً وأقول لك ان هذا الغلام قد أتانا دسيسة من بلاد الاعجام يريد ان يفسد ملكك ويزيل سعدك وما هو الاضدك وأنت تكذبني ولا تصدقني ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يامولانا السلطان قد دور الحق على اعطاه حتى رآه وهذا الآخر عثمان مؤذي لكل الانام وقد جرت له العوائد بذلك الشان وهذا أمر مضر يامولانا السلطان ينبغي ازالة الضرر في كل الاديان فقال الملك اسكت ياقاضي حتى يظهر الحق وبان ثم التفت الملك الى الامير بيبرس وقال له أحق مايقولون فى حق عثمان فقال الامير وحق رأس السلطان لم يكن لى علم بذلك الشان فقال الملك ائتينا بالاسطى عثمان حتى نسمع مقاله وماالذى قد جرى له فاجاب الامير ونزل الى عثمان وقال له قد انقامت الدعوى على يد السلطان فقال له عثمان وماالذى يجرى وسوف تنظر وترى فقال له أخاف عليك أن يثبت عليك القاضي الدعوى على يد السلطان بالسرقة فيقطع يدك فقال عثمان وكيف العمل أيها الامير قال له اذا انت وقفت قدام السلطان وسألك عن هذا الشان تقول له انا لم اعلم بذلك ولا معي خبر ولا لى علم ابدا بما قد جرى وان كلامهم حقا وما قالوه صدقا فيأتون على بينة يشهدون فقال عثمان هذا هو الصواب ثم طلع الى الديوان وصاح ياليل موال

ظنوا العدا انا متنا وما متنا وتباشروا بالفرح فى طول غيبتنا

ان اذ الله وعدنامثل عادتنا جعلنا الاعادى بالسيف غنيمتنا

(قال الديناري) فقال الملك اهلا وسهلا ياشيخ عثمان انت قد حصل منك كذا وكذا قال نعم ولكن كل شيء له سبب من الاسباب قال الملك سبحان مسبب الاسباب وما الاصل في ذلك ياعثمان قال عثمان خذ اقرى هذه الورقة فاخذها الملك وقراها واذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من اعتدى عليكم الاية قال الملك آمنت بالله العظيم وبالنبي الكريم صدق ربي ومن يكذب بشيء من القرآن يكفر والعياذ بالله تعالى هذه آية عظيمة ياشيخ عثمان من كلام الله تعالى فمن ابطلها أبطل الله رجاه قال الملك نعم قال عثمان يا ابو جوطه انك لما امرتنا بالانتقال الى هذا المكان ورتبت لنا الاطعمه في الغدا وفي العشا رتبت لنا قدرايش قال الملك رتبت لكم ماهو كذا وكذا من طعام وشراب وارز وحلوى قال عثمان اول يوم طلعت لنا الصفرى كامله فاكلنا وشربنا وحمدنا الله تعالى وثاني يوم كذلك واليوم الثالث طلعت لنا الصفره فيها اربعة اصحن اول صحن منهم شاربك الذي انقطع والثاني منهم رجلك التي انجزعت والثالث يدك التي اتملخت والرابع قرعتك التي وقعت يعني شربه وملوخيه وقرع ورجله فلما رأى ذلك الاشقر قال لعل ان يكون للطباخ حصل عذر ذلك اليوم قدم الى الطعام فقدمت له الطعام فقال لي افطر ياعثمان فقلت له انا شبعان فأكل هو فلما كان العشا كذلك وثاني يوم كذلك فلما تداولت على ذلك خمسة أيام قلت انا لابد ان اكشف هذا الامر ونزلت الى الطباخ وسألته عن ذلك فاخبرني بانه يخرج الصفره كامله كل مره ثم انه احضر الغلام الصفرجي فقال له الغلام بعد ان سأله عن ذلك ياعمي اعلم ان المماليك يقفون لي على رأس السلالم ويأخذون صفرة الطبردار من دون الطعام ويأكلونها وما يبقون فيها سوى الاربعة اصحن فقلت أنا لابد لي ان أشاهد ذلك بعيني ثم أمرت الطباخ فأحضر الطعام

واحتمله الغلام وسار به في وقت الغدا وسرت انا قبله وكمنت فى السلالم وجعلت انظر بعينى فلما أقبلت الغلمان بالطعام خرجت المماليك وهم اربعه بشتك وسنقر وعلاى الدين والخطير وصاروا يسألون الغلمان لمن هذه الصفرة فيقولون الى السلحدار فيتركوه والاخرى الى الشيطان فيتركوه وما زالوا على مثل ذلك حتى اقبل الغلام بصفرة الاشقر فقالوا لمن هذه فقال الغلام الى الطبردار قالوا له نزلها هنا فنزلها فاكلوا ماطاب لهم منها وقد مد يده علاى الدين الى قبة الاسلام فهدمها فى مره واحده وقال للغلام ارفعها الان واديها الى اصحابها فلما عاينت ذلك ياأمير المؤمنين قلت والله لابد أن اجازيهم على فعالهم ولما انهم اعتدوا علينا بجوع الكبد فانا لا اتعدى عليهم الا بعرى الجسد ثم تركتهم وطلعت الى عند الاشقر وانا كاتم هذا الامر فى نفسى الى ان جاء وقت العشا فصلينا وجلس الاشقر يقرأ في القرآن فسمعته يقول هذه الآيه فقلت له اكتبها لى لانى كنت عيان وسمعتها فشفانى الذى انزلها فقال لى صدقت ياشيخ عثمان لان القرآن كله شفاء وموعظه وهدى ولكن أخاف ان تكون قاصدا بها أمرا من الامور خلاف ماذكرت فقلت لاوحق رأسك ودقن ابو جوطه فلما حلفت له بذلك صدقنى ولم يعلم بانى حلفت بذقنك باطلا قال الملك سامحك الله ياعثمان قال يعنى ايش ان هى الا شوية شعر ولو كان الشعر فيه خير ماكان يطلع بقرب الاير قال الملك قول ياسيدى عثمان وما الذى جرى بعد ذلك قال عثمان ثم ان الاشقر كتب لى هذه الآيه فأخذتها وصبرت عليه الى ان نام ونزلت الى المماليك وسرقت اول ليله التيجان وثانى ليله الحياصات ولم ازل اسرق منهم كل ليله حاجة وامضى بها الى الدلال وابيعها بخمسة وسبعين قرش واجيب بها الفطورات العظام والمدموجات والحلاوات واقول

(قال الدينارى) فقال الملك اهلا وسهلا ياشيخ عثمان انت قد حصل منك كذا وكذا قال نعم ولكن كل شىء له سبب من الاسباب قال الملك سبحان مسبب الاسباب وما الاصل فى ذاك ياعثمان قال عثمان خذ اقرى هذه الورقة فاخذها الملك وقراها واذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من اعتدى عليكم الاية قال الملك آمنت بالله العظيم وبالنبى الكريم صدق ربى ومن يكذب بشىء من القرآن يكفر والعياذ بالله تعالى هذه آية عظيمة ياشيخ عثمان من كلام الله تعالى قال من ابطلها أبطل الله رجاه قال الملك نعم قال عثمان يا ابو جوطه انك لما امرتنا بالانتقال الى هذا المكان ورتبت لنا الاطعمه فى الغدا وفي العشا رتبت لنا قدرايش قال الملك رتبت لكم ماهو كذا وكذا من طعام وشراب وارز وحلوى قال عثمان اول يوم طلعت لنا الصفرى كامله فاكلنا وشربنا وحمدنا الله تعالى وثانى يوم كذلك واليوم الثالث طلعت لنا الصفره فيها اربعة اصحن اول صحن منهم شاربك الذى انقطع والثانى منهم رجلك التى انجزعت والثالث يدك التى انملخت والرابع قرعتك التى وقعت يعنى شربه وملوخيه وقرع ورجله فلما رأى ذلك الاشقر قال لعل ان يكون للطباخ حصل عذر ذلك اليوم قدم الى الطعام فقدمت له الطعام فقال لى افطر ياعثمان فقلت له انا شبعان فأكل هو فلما كان العشا كذلك وثانى يوم كذلك فلما تداولت على ذلك خمسة أيام قلت انا لابد ان اكشف هذا الامر ونزلت الى الطباخ وسألته عن ذلك فاخبرنى بانه يخرج الصفره كامله كل مره ثم انه احضر الغلام الصفرجى فقال له الغلام بعد ان سأله عن ذلك ياعمى اعلم ان المماليك يقفون لى على رأس السلالم ويأخذون صفرة الطبردار من دون الطعام ويأكلونها وما يبقون فيها سوى الاربعة اصحن فقلت أنا لابد لى ان أشاهد ذلك بعينى ثم أمرت الطباخ فأحضر الطعام

واحتمله الغلام وسار به في وقت الغدا وسرت انا قبله وكنت في السلالم وجعلت انظر بعيني فلما أقبلت الغلمان بالطعام خرجت المماليك وهم اربعه بشتك وسنقر وعلاى الدين والخطير وصاروا يسألون الغلمان لمن هذه الصفرة فيقولون الى الساحدار فيتركوه والاخرى الى الشيطان فيتركوه وما زالوا على [illegible] حتى اقبل الغلام بصفرة الاشقر فقالوا لمن هذه فقال الغلام الى الطبردار قالوا له نزلها هنا فنزلها فاكلوا ماطاب لهم منها وقد مد يده علاى الدين الى قبة الاسلام فهدمها في مره واحده وقال للغلام ارفعها الان وادبها الى اصحابها فلما عاينت ذلك ياأمير المؤمنين قلت والله لابد ان اجازيهم على فعالهم ولما انهم اعتدوا علينا بجوع الكبد فانا لا اتعدى عليهم الا بعرى الجسد ثم تركتهم وطلعت الى عند الاشقر وانا كاتم هذا الامر في نفسي الى ان جاء وقت العشا فصلينا وجلس الاشقر يقرأ في القرآن فسمعته يقول هذه الآيه فقلت له اكتبها لى لانى كنت عيان وسمعتها فشفانى الذى انزلها فقال لى صدقت ياشيخ عثمان لان القرآن كله شفاء وموعظه وهدى ولكن أخاف ان تكون قاصدا بها أمرا من الامور خلاف ماذكرت فقلت لاوحق رأسك ودقن ابو جوطه فلما حلفت له بذلك صدقنى ولم يعلم بانى حلفت بذقنك باطلا قال الملك سامحك الله ياعثمان قال يعنى ايش انا هى الا شوية شعر ولو كان الشعر فيه خير ما كان يطلع بقرب الاير قال الملك قول ياسيدى عثمان وما الذى جرى بعد ذلك قال عثمان ثم ان الاشقر كتب لى هذه الآيه فأخذتها وصبرت عليه الى ان نام ونزلت الى المماليك وسرقت اول ليله التيجان وثانى ليله الحياصات ولم ازل اسرق منهم كل ليله حاجة وامضى بها الى الدلال وابيعها بخمسة وسبعين قرش واجيب بها الفطورات العظام والمدموجات والحلاوات واقول

للاشقر كل فيسألني عن ذلك فأقول له من عند امي غزيه الحبله فمافيه شيء
ضر فلما كانت الليله الثامنة نزلت اخذت الاكراك وجعلت البس واحد بعد
واحد حتى ضاق الفوقاني وانجزع فنهضوا علي المماليك وقبضوني وجعلوا يضربوني
الى ان استغثت بالاشقر فاتى الي وخلصني منهم وسألني عن الخبر فحكيت
له القصة فصار يتعطف بخاطر المماليك ويسألهم السماح فلم يرضوا بذلك
وقالوا غدا نقيم الدعوى على يد الملك الصالح فخاف الاشقر منك وقال لي
انكر هذا الامر لانه ان ثبت عليك الحرام يقطعون يدك لاسيما القاضي
وهو ضدك فقلت له دعني انا وابوجوطه ولاالك بنا دعوه فقال لي ياعثمان
اخاف عليك منه قلت له هذا تيس ثم اتفق الحال على اني انكر ذلك وقد
اتوا المماليك وشكوا اليك حالهم وسألته عن ذلك فقال لك انا لاادرى
فارسلت احضرتني فاخبرتك بما قد جرى وحق مكون الاكوان هذا
ماجرى من ذلك الامر والشان ونحن لاشفنا ولارأينا ولا عندنا علم
بذلك (قال الديناري) فلما سمع الملك ذلك التفت الى القاضي والمماليك
وقال له ماتقول ياقاضي في هذه الايه فقال القاضي ياملك الاسلام لااقول
شيئا ابدا في ذلك فقال الملك للمماليك وانتم لاى شيء فعلتم هذه الفعال اما
لكم تراتيب مثلهم والله ياحاج شاهين الحق بيد عثمان فيمافعله والعيب بدأ
من هؤلاء الكلاب ثم انه اغتاظ وقال اين الرجل ابو حديده عوجه قال
نعم قال الملك امرتك ان تقاص هؤلاء الاربعة آذانهم لانهم فعلوا ذلك
الفعال فعند ذلك قال له الوزير الاغا شاهين رحمة الله عليه وعلى جميع
المؤمنين ياملك الاسلام وحق رأسك ان عثمان كان يبيع هذه الحاجات الى
الدلال والدلال يأتي بهم الى عندى ويأخذ مني قدر الذى اعطاه الى عثمان
مرتين في كل يوم وانا آتي اليهم بحوائجهم واعطيهم لهم وكل ذلك حبا فيك

يا أمير المؤمنين ولا اتكلم بكلمة واحده ابدا والان فمن الرأى السديد حيث ان عثمان جزاهم على فعالهم فيكفيهم ماجرى عليهم واتركهم وامر الامير بيبرس ان ينتقل من عندهم ولا يجاورهم فقال الملك اطلقوهم ثم قال ياحاج شاهين ناس ترزق من ناس والكون عامر ولكن ياسيدى بيبرس انتقل من جوارهم الى داخل القلعه واسكن بالمكان الذى بجوار مكانى ولا تقرب مكان هؤلاء المماليك فقال بيبرس سمعا وطاعة ثم امر عثمان بالانتقال اليها فعبرها عثمان فرآها توهج الابصار وتحير فيها النظار وقد رآها مفروشة كانها عروسة تجلا ولم تحتاج الى شئ من عند الامير فانتقل اليها الامير بيبرس ذلك اليوم وقد زال عنه التعب واللوم فلما جن الليل وانسدل بالظلام وانهزم النهار بالارتحال نهض الملك الصالح ودخل الى سرايته واعلم السيدة فاطمه بما جرى من قصته فقالت له والله ياملك الاسلام ان قلبى قد أحب هذا الغلام من دون كل الانام فقال لها الملك وكذلك انا الآخر احبه قلبى من دون البشر فقالت له ياملك الاسلام اعلم انى انا من غير ذريه وانت وان كان لك ذريه فما هى الا بين يديك وانا أريد ان تجعل هذا الغلام ولدنا فهو أحق بما ملكت ايدينا لانه والله بطل همام وفارس ضرغام والعباده لها عليه شهود وأعلام فقال لها الملك هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب فقالت له ان اردت ذلك ياأمير المؤمنين فانهض اليه وآتى به الي عندنا عن يقين فقال لها على الرأس والعين ثم ان الملك نهض في عاجل الحال وطرق الباب فأجابه عثمان وقال من الطارق فى الليل الغاسق فقال له افتح ياشيخ عثمان انا الفقير الى الملك المنان الملك الصالح فقال عثمان امضى الى حال سبيلك ياقرنان انت لك النهار والاالك الليل فى الظلام فقال له ياشيخ عثمان افتح الباب لانى قد عرض لي سبب

من الاسباب فقال له امضى الى حال سبيلك والا أقوم لك بالرزه واسقيك كاس العذاب لانى عرفت منك انك ماأتيت فى الليل الا وانت تريد ان تقصد بالاشقر وتعلمه على كل امر منكر لانك رجل كثير الالجاج والخطر (قال الراوى) وكان الامير بيبرس مشتغل بالصلاة والقراءة والعبادة فتم ماهو فيه على غاية العجله وقال من هذا ياعثمان الذى طرق الباب وانت تجاوبه بأصعب خطاب قال عثمان هذا ابوجوطه فلما سمع بيبرس ذلك الكلام من عثمان نهض مسرعا على الاقدام وتقدم الى الباب وفتحه للسلطان فدخل عند ذلك السلطان وقد قبل يده الامير بيبرس وأجلسه ووقف بين يديه فى الخدمة فلما استقر به الجلوس قال له الامير ادام الله بقاء مولانا السلطان وأعزه على كامل الاقران ماالسبب الذى اوجب دخولك الى ذلك المكان فقال له الملك اعلم ياولدى ان لهذا سبب وأى سبب وحق من على عرشه استوى وعن الابصار احتجب وما اتيت في هذا الوقت ياولدى الا لاوثق عهد الله بينى وبينك فقال عثمان ماتلف ووقع به الخسران ولا بقا ينفع فيه شيء من ذلك الشان فعند ذلك غمزه بيبرس بطرفه فقال له عثمان غمزك حاش يكومك انت واياه سوى كلمة الحق تقف فى الزور فضحك الملك الصالح من كلامه وقال دعنا الساعه من الهذيان ثم ان الملك وضع القبضه بينه وبين بيبرس وقال له ياولدى هذا عهد الله شهد الله علينا انك ولدى وانا والدك فى مقام عهد الله على مايرضى الله والله وملائكته ورسله علينا من الشاهدين وحسبى الله ونعم الوكيل والله على ما اقول وكيل

(قال الراوى) ولما انقضى العهد بينهما أمر الملك باحضار الطعام وأحضر الدقة والقراقيش وقال بسم الله كلوا مما قسم الله فهذا زاد الفقراء فقال عثمان بلا لهجة حاش يدق فى بيضك هذا وقد تقدم الامير بيبرس

وأكل لقمة والملك الصالح كذلك وأما عثمان فانه تقدم اليهم وأكل لقمة وسرق ثلاثة ووضعهم في جيبه فقال الملك الصالح وقد كشف عليه الدالة ياشيخ عثمان لكل شيء سبب وبيان ولا شيء ياسيدى ياشيخ عثمان لما ينفع حتى القمح في البيت فقال عثمان انت مالك ياغاير جاتك داهيه من دون الملوك انت لسانك فيه حته زايده فقال له الملك انت لسانك أطول منى ولكن الحق لك على ياشيخ عثمان هذا وقد جلسوا يتحدثون مع بعضهم الى ان تناصف الليل فقال عثمان للملك الصالح قم الى بيتك خلينا ننام فنهض الملك على الاقدام وتركهم وسار من عندهم الى سرايته ودخل فرأى السيدة فاطمة مثل الجمل الهائج الولهان وهي تبرجم كانها ذكر النعام وهي تقول لاى شيء انت تجعله ابنك من دون الانام وتحرمنى أنا من ذلك الامر والشان فلا كان ذلك أبدا ولو سقيت كاس الردى ولا أسلط عليك الجارية حرير فلما سمع ذلك الملك من السيدة فاطمة تركها وعاد راجعاً الى القاعة وكان عثمان بعد ان خرج الملك قفلها وجعل بيبرس يعاتب عثمان ويقول له انت تقول للملك كذا وكذا من الكلام وتتكلم فى حق السلطان وعثمان لايعتنى به ولا يرد عليه سؤال فبينماهم على ذلك الشان واذا بالباب قد طرق عليهم فقال عثمان ارجع بقا بلاغلبه وكثرة الكلام فما رجوعك اليه بعد ان أفسدته والا أقوم لك بالرزه واسقيك كاس التلاف فقال بيبرس من بالباب فقال له عثمان هاهو الرجل الذى كان عندنا فقام ونهض بيبرس وفتح الباب وقبل يد الملك فقال له ياولدى سر معى الى السيدة فاطمة زوجتى شجرة الدر فقال الامير سمعا وطاعة للملك فى النهى والامر قال عثمان جاتكم داهيه انتم وهى سوى هذا والملك لايؤاخذ عثمان على مايقول وبيبرس يغمزه ويسكته عن هذا القول وهو

لا يمتني به (ياساده) (يا كرام) ثم ان الامير بيبرس سار مع الملك الى السرايه وقد وضع بينه وبين زوجته القبضة وكان ذلك لاتمام سعادته وكمال براعته وتذكار قصته وقد أراد الله ذلك لما فى علم مشيئته ثم بعد ذلك عاد الامير الى قاعته وترك السلطان عند زوجته فلما رآه عتمان قال له اخذك ابو جوطه خسرك فى الظلام فقال له الامير ياعتمان لا تتكلم بمثل هذا الكلام فقال له غدا تسمع هذه الاحكام من سائر الانام (ياساده) ولم يزل بيبرس يسكت عتمان وهو يزيد فى الهذيان الى ان لاح الفجر وبان وعلا النهار للاعيان وترتب الديوان وحضر اليه سائر الاعوان وقد وقع لكلام عتمان شاهد عظيم وبرهان وشاع الامر بعد الكتمان واتضح الحال لكل انسان وذلك ان المماليك المبغضين جعلوا يتكلمون في حق أمير المؤمنين وقد ثبت عندهم عن يقين ان الملك الصالح ولايته مثل الطين وقد قال بعضهم لبعض ألم يكفيه النهار الطويل وهو يتأمل فيه حتى كاد عنقه ان يميل حتى يأخذه ليلا الى قاعة جلوسه ويعضه ويبوسه ويجعله مثل الحريم فقال واحد منهم لابد ان يعمله خضض وما هو الا ادهي منه وانحس فقال الآخر والله ان هذه ولاية سوداء وقال الثالث يخاطه وما زالوا فى قيل وقال وضرب امثال واقبح مقال حتى ظهر الملك الصالح وجلس على تختـه بين الرجال واحدقت به سائر العمال وقد قرأ القارى وختم ودعى الداعى وختم ورقى الراقى وختم صاح شاويش الديوان وهو يقول

اما غيرت ذى الدنيا وأحوال الملوك تتغير
قد جل الذى في ملكه يغير ولا يتغير

قال الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من الشدائد والمهالك سبحان من عنده كل مليك كمملوك وكل غنى كصعلوك ياحاج شاهين قال

نعم ياأمير المؤمنين قال له أما سمعت قول رسول رب العالمين وهو سيد الاولين والآخرين حيث يقول هذا الحديث رحم الله امرأ ذب الغيبة عن نفسه قال نعم ياأمير المؤمنين ولاى شيء ذلك الكلام قد حدث منك فى هذا المقام قال له قد خطر ببالى ذلك والله يعلم ما فى قلبى ولكن ياحاج شاهين أريد أن تنظر لولدى بيبرس خدمة غير هذه الطير جناح السقاب لان الناس لهم ألسن كالمبارد وأنا أخاف من كثرة الكلام البارد فقال له يامولاى تلبسه سلحدار السلطنة قال الملك لبسه سلحدار وهو يلبس بمعرفته من بعض اتباعه طبردار فعندذلك البسه الوزير بمعرفة ذلك المنصب العظيم واتى بمملوك خاص والبسه طبردار وذلك لاجل أن يكون القابض كله اليه ولا يخرج من بين يديه (ياساده) وقدأقام بيبرس فى السلحدار مدة عشر أيام فقلق الملك عليه فقال وقد هام ياوزير الزمان انا قلت الك لبس بيبرس سلحدار لاجل ان يكون بعيدا عنى وماأريده الا ان يكون دائما قدامى حتى انى أبلغ ماأروم من مرامى وما اشتهى منك الاان تلبسه منصب يكون في ديوانى فان بعده يؤلم قلبى وجنانى فقال الوزير يامولانا أزال الله عنك الغصص تلبسه الآن أمير قصص يعنى معناه كل من كان له دعوى أو قصه معروضه للديوان يأخذها منه ويقدمها الى السلطان فقال الملك لبسه الآن فلبسه الوزير ووقف في باب الديوان وقد زادت علة القاضي ونزلت عليه الاحزان وقلاوون وعلاى الدين ومن معهم من الغلمان المبغضين لهذا الانسان

(قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر القاضى فانه قد كبرت غاته وكادت تتفطر مرارته وحلت به حسرته وقلت نهضته وذلك لانه لم يبلغ من بيبرس منيته ثم انه رجع الى مكره وخداعه وكيده ولعنته

وحيلته فجعل يدبر هــذه النوبة بكل ما يقدر عليــه من مكــره وقد
صبر على بليته حتى انفض الديوان ونزلت الرجال الى حال سبيلهم ونزل
القاضي وغلامه الى حارته ولمــا وصل الى حارته وهي حارة الروم زادت
عليه الهموم وتواترت عليه ساير الغموم فالتفت الى غلامه وقال له استاذك
كاد ان يموت ويقضي نحبه فقال له ولاى شيء ذالك فقال له لاجل هــذا
الغلام الممقوت الذي كل مادبرت له مهالك يعلوا به منصب ومنه يسلك
ولم يهلك ولــكن خذ ياولدى هذا الــكتاب وسر به الى قلعة بوارش واعطيه
الى عزقول البوارشي وامره ان يعمل بما فيه ثم انه ناوله الــكتاب فاخذه
وسار به الى ما امره به ولم يزل سائر الى ان وصل الى قلعة بوارش ودخل
على عزقول وكان هذا عزقول فداوى نصرانى ثقيل الدماغ يلقب بختانى
يعاق قوقانى يقتل القتيل ويمشى فى جنازته فلما دخل عليه البرقش بن
سيف الروم عرفه فسلم عليه وقال له ما معك من الاخبار فناوله الــكتاب
فتناوله اللعين وقراه وفهم رموزه ومعناه واذا اوله صليب واخره صليب
وعنوانه صليب ونحن وانتم نوحد القريب المجيب خطابا من شيخ الاراجيس
ومن هو في الارض خليفة ابليس التعيس النحيس الــكاهن جوان بن
عصفوط الغيلوطى الى بين ايادى فليوتى عزقول اعلم ياولدى ان السيد
المسيح اعلمنى ان قتل هــذا الغلام على يديك فحال وقوفك على هــذا
الــكتاب تكون رجلك فى الركاب وتسير من ساعتك حتى تأتى الى ديوان
مصر وانت لابس ملابس الخواجات التجار واذا دخلت تجد غلاما هناك
واقف على باب الديوان فاذا عاينك يسألك عن حالك لانه يلتقى القصص
فاذا سألك وقال لك ما معك فاعلم انه هو المطلوب فقل له معى قصة اريد
اقدمها الى مولاى امير المؤمنين ثم اعطيه القصه وهي ورقة بيضاء ملمومه

فاذا هو اخذها وانصرف عنك واعطاك ظهره فاضربه بحسامك على عاتقه يخرج من علايقه فاذا فعلت ذلك تقول سيمون ياسيمون يحفظك حوارى طيار من الحواريين الكبار يأتى بك الى عندى ولم يكن لاحد عليك من سبيل وانى قد وهبت لك مائة سنة زيادة لك فى عمرك وعشرة فدادين فى سقر قول ياوركة عالم الملة جوان شكر يامسيح والسلام (قال الراوى) فلما قرأ الملعون الكتاب فرح وطاب وقال يافرحتى ويابهجتى الذى عالم الملة كاتبه ثم ركب من وقته وسار طالب ارض مصر ولم يزل سائر وهو لم يأخذه قرار حتى وصل الى الديوان وكان البرتقش أخذ منه رد الجواب وعاد به الى استاذه جوان يعلمه فيه بانه قادم على أثر البرتقش فلما قرأ الجواب فرح الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد ثم انه جعل ينتظره فهذا ماكان منه واما ما كان من اللعين عرقوب فانه ركب من وقته وساعته وقلع ملابسه ولبس ملابس الاسلام وسار حتى وصل الى مصر وطلع الى الديوان كما ذكرنا وزعق مظلوم وقدم قصته فاخذها منه الامير بيبرس وعاد راجعا واعطاه ظهره للمقدم فعقول فهذا الملعون حتى التفت وحط يده على الشاكرية واراد ان يضرب الامير بيبرس واذا بشاكرية لمعت ونطعت أخذت دماغ الملعون فسقط الى الارض قتيل وفى دماه جديل فعند ذلك قال القاضى مايحل من الله رجل مظلوم يقتله بيبرس فى الديوان قتل ماقتل يقتل وعلى قتله مائة جواد ومائة مملوك ومائة الف دينار ذهب من مالى وصلب حالى ابتغاء لمرضاة الله تعالى وزكاة عن قامى وانت ياابيك عليك مثلهم فقال الملك ارسل احضر لنا المال حتى ننظر مايكون من هذا الحال فلما حضر المال قال الملك الصالح يابيبرس انت قتلت هذا البشر قال له لا وحيات رأسك يامولانا السلطان

وحيلته فجعل يدبر هــذه النوبة بكل ما يقدر عليــه من مكــره وقد
صبر على بليته حتى انفض الديوان ونزلت الرجال الى حال سبيلهم ونزل
القاضي وغلامه الى حارته ولما وصل الى حارته وهى حارة الروم زادت
عليه الهموم وتواترت عليه ساير الغموم فالتفت الى غلامه وقال له استاذك
كاد ان يموت ويقضى نحبه فقال له ولاى شيء ذالك فقال له لاجل هــذا
الغلام الممقوت الذى كل مادبرت له مهالك يعلوا به منصب ومنه يسلك
ولم يهلك ولــكن خذ ياولدى هذا الــكتاب وسر به الى قلعة بوارش واعطيه
الى عزقول البوارشي وأمره ان يعمل بما فيه ثم انه ناوله الــكتاب فاخذه
وسار به الى ماامره به ولم يزل سائر الى ان وصل الى قلعة بوارش ودخل
على عزقول وكان هذا عزقول فداوى نصرانى ثقيل الدماغ ينقب تحتانى
يعلق فوقانى يقتل القتيل ويمشى فى جنازته فلما دخل عليه البرتقش بن
سيف الروم عرفه فسلم عليه وقال له مامعك من الاخبار فناوله الــكتاب
فجابه للعين وقراه وفهم رموزه ومعناه واذا اوله صليب واخره صليب
وعنوانه صليب ونحن وانتم نوحد القريب المجيب خطابا من شيخ الاواجيس
ومن هو فى الارض خليفة ابليس التعيس النجيس الــكاهن جوان بن
عصفوط الغيلوطى الى بين ايادى فليونى عزقول اعلم ياولدى ان السيد
المسيح اعلمنى ان قتل هــذا الغلام على يديك فحال وقوفك على هــذا
الــكتاب تكون رجلك فى الركاب وتسير من ساعتك حتى تأتى الى ديوان
مصر وانت لابس ملابس الخواجات التجار واذا دخلت تجد غلاما هناك
واقف على باب الديوان فاذا عاينك يسألك عن حالك لانه يلتقى القصص
فاذا سألك وقال لك مامعك فاعلم انه هو المطلوب فقل له معى قصة اريد
اقدمها الى مولاى امير المؤمنين ثم اعطيه القصه وهي ورقة بيضاء مسمومه

فاذا هو اخذها وانصرف عنك واعطاك ضهره فاضربه بحسامك على
عاتقه يخرج من علايقه فاذا فعلت ذلك تقول سيمون ياسيمون يخطفك
حواري طيار من الحواريين الكبار يأتي بك الى عندي ولم يكن لاحد
عليك من سبيل واني قد وهبت لك مائة سنة زيادة لك في عمرك وعشرة
فدادين في سقر قول بابركة عالم الملة جوان شكر يامسيح والسلام
(قال الراوي) فلما قرأ الملعون الكتاب فرح وطاب وقال يافرحتي
ويانتيجتي الذي عالم الملة كاتبه ثم ركب من وقته وسار طالب ارض مصر
ولم يزل سائر وهو لم يأخذه قرار حتى وصل الى الديوان وكان البرتقش
أخذ منه رد الجواب وعاد به الى استاذه جوان يعلمه فيه بانه قادم على
أثر البرتقش فلما قرأ الجواب فرح الفرح الشديد الذي ماعليه من مزيد
ثم انه جعل ينتظره فهذا ماكان منه واما ما كان من اللعين عرقوب فانه
ركب من وقته وساعته وقلع ملابسه ولبس ملابس الاسلام وسار حتى
وصل الى مصر وطلع الى الديوان كما ذكرنا وزعق مظلوم وقدم قصته
فاخذها منه الامير بيبرس وعاد راجعا واعطاه ظهره المقدم زعقول فهذا
الملعون حتى التفت وحط يده على الشاكرية واراد ان يضرب الامير بيبرس
واذا بشاكرية لمعت ونطعت اخذت دماغ الملعون فسقط الى الارض قتيل
وفي دماه جديل فعند ذلك قال القاضي مايحل من الله رجل مظلوم
يقتله بيبرس في الديوان قتل ماقتل يقتل وعلى قتله مائة جواد ومائة مملوك
ومائة الف دينار ذهب من مالي وصلب حالي ابتغاء لرضاة الله تعالى
وزكاة عن قامي وانت ياابيك عليك مثلهم فقال الملك ارسل احضر لنا
المال حتى ننظر مايكون من هذا الحال فلما حضر المال قال الملك الصالح
يابيبرس انت قتلت هذا البشر قال له لا وحيات رأسك يامولانا السلطان

ماقتلته فقال القاضي انت قتلته فبينماهم كذلك واذا باثنين فداويه اخوات من اولاد اسماعيل واحد اسمه صقر اللوالي والثاني اسمه صقر الهجان وقد تقدما وباسا يد السلطان وقالا بيبرس ماله ذنب ولا قتله الا نحن وهذا نصراني اسمه عزقول البوارشي لاننا تبعنا اثره من حين عبر الطريق الي ان وصل الي هذا المكان فرأيناه تحايل على بيبرس واراد ان يقتله فقتلناه فقال الملك الصالح اكشف لنا عليه ياقاضي فنهض اليه القاضي وتأمله فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الملك ماالخبر ياقاضي قال هو نصراني ياأمير المؤمنين قال ماجزاؤه ياقاضي قال يحرق ويذرا رماده في الهوى فقال الملك افعلوا ماقال القاضي فأخذوه وفعلوا به ذلك ثم قال الملك الصالح ياسيدي بيبرس خذ هؤلاء الاثنين واعزمهم عندك واكرمهم غاية الاكرام ثم قال ياقاضي الآن ظهر الحق فقال القاضي ان الحق ظاهر مثل الشمس فقال الملك وانت ياقاضي المال الذي دفعته انت وابيك على قتل بيبرس او على اظهار الحق فقال القاضي على اظهار الحق فقال الملك ولما بان الحق قال له يرجع المال الى بيت المسلمين فقال الملك بيت مال المسلمين مستغنياً عن ذلك قال يرجع لمولانا الملك قال الملك انا أهبته هبة كريم لا يرد في عطاه الى ولدي بيبرس ثم ان الامير بيبرس اخذ تلك الاموال وأخذ معه الاصقار ونزل بهم من الديوان وسار الى دار نجم الدين البندقداري وقد اكرمهم غاية الاكرام ولما انبسط معهم بالليل وكثر بينهم الكلام قالوا لبيبرس ياسيدنا انت اليوم صاحب مرتبة في الديوان ومقصود وتأتيك الناس للضيافات وغير ذلك فلا بأس ان تشترى لك داراً خصوصية لنفسك فقال لهم بيبرس ياأخواني أنا مملوك وان المملوك لايملك فقالوا له الاصقار انت لست بمملوك بل أنت ابن ملك من الملوك الاكابر وقد ثبت ذلك عندنا في جفر

جدنا الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه وكان هذا بتقدير اللطيف الخبير فقال لهم بيبرس هذا شىء لا يكون الا بعد العتق قان عتقنى الملك فعلت تلك الفعال (قال الراوى) فلما سمعوا الاصقار منه ذلك المقال قالوا له وكيف يكون ذلك الامر وانت ثابت عندنا فى الجفر بانك لست بمملوك وما انت الا من أولاد الملوك وكل هذه تقادير من الله تعالى فهو اللطيف الخبير ولكن نحن فى غداة غدا نطلع الى الملك الصالح ونسأله فى تلك المصالح فقال لهم افعلوا ما بدا لكم ولا يكون الا ما اراد ربى وربكم ثم انهم اقاموا الى أن أصبح الله الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤوس الروابى والبطاح وصلت على سيدنا محمد سيد الملاح صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ذوى الأقوال الصحاح ركبوا مع بعضهم وساروا قاصدين الديوان فهذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من الملك الصالح ايوب ولى الله المجذوب فان الاغوات دخلوا عليه وأعلموه بان الديوان تكامل فقال الملك وعلى الله الكمال ثم نهض على الاقدام وهو يتوكأ على قضيب خيزران وقد سارت بين يديه الغلمان حتى وصلوا الى باب الديوان وسلم على الاخوان فأجابوه بالسلام على لسان واحد ثم تواثبوا اليه حتى انه بسط يديه وقرأ الفاتحة وأهداها الى روح النبى صلى الله عليه وسلم ثم الى أرواح أحبابه وأولاده وذريته وما تناسل وتواصل بينهم ثم الى ارواح الملوك السابقين قبله والمتأخرين بعده وجلس السلطان وجاءت بعده الرجال وقرأ القارى وختم ودعى الداعى وختم ورقى الراقى وختم صاح شاويش الديوان يقول صلوا على الرسول

الدوام لله باقى سرمدا قبل كل الوجود وبعد الزوال

وكل ما نظرت عيناك زائل ويبقى وجه ربك ذو الجلال

(قال الراوى) قال الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من الشدائد والمهالك سبحان من عنده كل مليك كمملوك وكل غنى كصعلوك ثم أن الملك أراد ان يتعاطى القصص ويزيل الغصص واذا بالاثنين الفداويه يقبلون الارض بين يديه فلما رآهم الملك ترحب بهم وأمرهم بالجلوس فجلسوا وقد وقف الامير بيبرس في مكانه وراق الديوان فقال الملك ياحاج شاهين اعلم ان الناس تكلموا بالحق ونطقوا بالصدق والله ياحاج شاهين ان الحق معهم ولكن ياسيدى بيبرس قال نعم ياأمير المؤمنين قال له انا يوم كنا في أرض الجيزة ماقلت لك أنت حر لوجه الله تعالى والمؤمن ياولدى عند قوله اذا قال صدق واذا وعد وفى وان اؤتمن لايخن اما كفاك هذا وانى أشهدكم علي يامعاشر الحاضرين من اخواننا المسلمين ان هذا بيبرس حر لوجه الله الكريم ولاجل خاطره جميع المماليك الذين اتوا معه احرارا لوجه الله الكريم اكتبوا لكل واحد حجة معه بذلك ليذهب الشك باليقين فاجابوه بالسمع والطاعة وكتبوا لهم الحجج واعطوا لكل واحد منهم حجه (ياساده) ولما سمعوا الاثنين المقادم من الملك تلك الاشاير والمعالم انبتوا له الولاية والمكارم وقالوا لبعضهم هذا هو سؤالنا الذى كنا نريده فقد جابنا عليه من قبل ان نذكره بين يديه ثم انهم قالوا له والله يا امير المؤمنين ان هذا اخانا الدولاتلى مكتوب عندنا ومثبوت فى جفر امامنا الاكبر انه ليس بمملوك وما هو الا من بعض اولاد الملوك قال لهم صدقتم فيما به نطقتم ولكننى اشتهى منكم انى اسمع تاصيلته فى هذا الوقت والساعه حيث انه ورد عليكم فى جفر ان عمكم صاحب الشفاعة لاجل ان يظهر الحال ويذهب المحال وتفرح المحبين وتكمد المبغضين فقالوا سمعا وطاعة ياأمير المؤمنين (قال الراوى) وكان لذلك سبب عجيب وامر مطرب غريب ولذلك ان

ابوه شاه جمك كان له اخوين الاول يقال له شاه طلمه والآخر يقال له شاه لمعه
وكان ابوهما كبير السن وقد اراد ان يمتحن اولاده حتى اذا راى منهم
مايكون يصلح من بعده للسلطنة يجلسه بها في حياته فاجلس الاول في
بعض الايام وهو شاه طلمه وقد امره ان يحكم بين الرجال فحكم فيهم
الى آخر النهار فأتى ليلا الى عنده واجلسه الى جانبه وقال له كيف رأيت
نفسك قال له رأيت نفسي مثل السبع الكاسر والدوله حولي مثل الغنم
فقال له والله يااخي مثل ماراًيتهم رأوك ثم اجلس اخاه الآخر ثاني يوم
فحكم الى آخر النهار وقد سأله ايضاً وقال له كيف رايت نفسك قال مثل
الصقور الجارح والدولة حولي مثل الطيور الضعاف فقال له قد رأوك
مثل ماراًيتهم فلما كان اليوم الثالث اجلس ولده الصغير وهو شاه جمك
وسأله آخر النهار وقال له كيف رأيت نفسك قال رأيت نفسي كاني عصفور
ضعيف ما بين صقور شوا . قد تهيأ لي اذا نظرت اليهم ياكلوني فقال
له والله وهم كذلك ومثل رك وما يصلح للمملكه الا انت ثم
انه اولاه المملكه وتحول عنها ورسمه بها دون اولاده فلما رأوا ذلك
هذين الاثنين امتلات قلوبهم عليه غيظا وحمقا وقالوا لبعضهم كيف يكون
هذا اصغرنا ويوليه ابوه المملكه دوننا ولا بد لنا من هلاكه وسوء ارتباكه
ثم انهم اظهروا له الفرح والاستبشار وفي قلوبهم منه النار وجعلوا يدبرون
له المكايد ويتمنون له النوائب والشدائد ولم يزالوا على ذلك مدة من الايام
وهو يحكم بينهم بالامان ويخرج من القصر الى اعلا مكان وعليه الحرس
خوفا من الخوان الى ان توفي ابوهم ودفنوه وعملوا له مايحتاج اليه من
اللوازم وقد تهيأ الفراغ من ذلك وجلس شاه جمك على تخت ابيه وقد
اطاعوه سائر اجناده وقد اجلس اخوانه وجعلهم وزراءه عن يمينه

وشماله وقال لهم هاانتم وزراءى وانا وانتم بالسوى وانا مطيعا لامركم
ثم انه انعم عليهما وساواهما بنفسه وقد ظن بذلك تصفى له قلوبهما فلما
كان فى يوم من الايام دخل عليه بعض احبابه وساوره فى اذنه وقال
له انى جئتك ناصحا فلا تكن لقولى تاركا وانى اعلمك ان اخواتك قد
اتفقا على قتلك مع بعضهما وقد اضمروا لك الشر والعناد وابذلوا مالهم
على بعض الرجال الشداد الذين يتعصبون لهم ولاجل سلامتك انا كنت
حاضرا فى ذلك المجلس وقد اتفق الحال على انهم يورثوك كاس النكال
ومالت اليهم قلوب جميع الرجال والرأى عندى انه لابقالك ها هنا مقام في
هذه الديار والاطلال ماداموا قاصدين ذلك الحال قال فلما سمع شاه جملك
ذلك المقال من ذلك الرجل المفضال وكان يثق بقوله دون كل الرجال
صبر الى الليل حتى اقبل بالانسدال ورحل من خراسان وترك الاهل
والاوطان وسار مجدا فى البرارى والقفار وهو حزين القلب ولهان لايقر
له قرار فى بلد ولا فى مكان وقد تاسف على ماحل به من اقاربه وكيف
طلبوا هلاكه ومصايبه وهو ينشد ويقول هذه الابيات

يادهر كم ذا تعاندنى ... وترمينى فى كل المصايب
يادهر جاروا علي رفقتى ... وصار عدوى اعز حبايب
يادهر قد عاهدتنى ... بانك توفى جميع مطالب
خنت عهدى وقد ابدلته ... بعد الصفا بالنكايب
ولكن هذا فعالك بالورى ... وكم قبلى ضاقت عليه المذاهب
فلا عتب عليك ولا ... ملام ولا أمان لكاذب
ولكننى اصبر على بلوتى ... وبالصبر أبلغ جميع مكاسب
فان كان لى سعدا موافقا ... نلته بامر رب غالب

وان كان هذا من قسمتي ... فلا اعتراض على الكريم الواهب
واني أسلمت أمري لمن ... انشأ الورى من الماء الساكب

(قال الراوي) ولم يزل القان شاه جمك سائر الى ان وصل الى أرض توارزي العجم باذن باري النسم ومنها الى خوارزم سار قاصدا فبينما هو سائر في بعض الطرقات واذا قد وجد في طريقه سبعا غضنفر قدر الثور الكبير وقد هجم على رجل كبير طاعن في السن وهو راكب على جواد وقد أعاقه الاسد وكاد ان يكسره وهو يستغيث فلا يغاث ويستجير فلا يجار ولا له قوة على مدافعة الاسد بل انه سلم أمره الى الفرد الصمد وقطع اياسه من سائر البشر ورفع طرفه الى صاحب الامر والقدر وأنشد يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

يارب ياربا ياخالق الورى ... يامن تعالى عن شريك واصحاب
أغثني ياخالقي مما حل بي ... بحق محمد سيد الاصحاب والاحباب
وارسل لي مجيرا بجاه المصطفى ... واطلقني ياخالقي من مصاب
توسلت اليك بخير الورى ... طه الشفيع لنا يوم العذاب
لا تكلني الى نفسي طرفة ... فلقد ضاق صدري ودني ذهاب
وأنت العليم بما حل بي ... وأنت المغيث مسبب الاسباب

(قال الراوي) فبينما الرجل يستغيث ويستجير ويتوسل بطه البشير النذير واذا قد أقبل عليه القان شاه جمك ونظر الى ماهو به من الامر الخطير فعرف ان ذلك الاسد قد ضايقه وسد عليه طرائقه وقال في نفسه فرج عن هذا الرجل كربه فلعل الله ان يفرج عنك كربك ثم انه نزل عن جواده الى الارض وشد منطقته طولا وعرضا وصاح الى اين يا كلب البر فلما رآه الرجل فرح به وايقن بالخلاص وأما الاسد فانه ترك مطلوبه

والتفت الى القانشاه جمك وصرخ عليه وضرب الارض بيديه ورجليه وأراد أن يهجم عليه واذا بالقان شاه جمك استقبله بين عينيه بالحسام فنزل السيف وسط جبهته وقد هوى بجثته وقد سطا الشجاع بشجاعته والاسد بقوته فلم يزل السيف بين عينيه حتى خرج من بين فخذيه فوقع الى الارض قتيل وفى دماه جديل ثم أن القان شاه جمك مسح الحسام فى شعر الاسد وتركه وأقبل على ذلك الانسان وقال له لا بأس عليك ياوالدى فقال له لاشلت يداك ولاشمتت بك أعداك ولا كان من يشناك ثم انه أخذه وسار به وقد ركب الى جانبه وصار ذلك الانسان يمدحه ويقول هذه الابيات

اجارك الله من النار والبلا ... كما أجرتنى من شدتى وهوانى

ووفقك الاله لكل فضيلة ... وفضلك ربى على سائر الاخوانى

ولولاك انى كنت هالكا ... في وسيع البر والوديانى

ارسلك لى خالق السماء ... الله تعالى واحد منانى

سطوت على الاسد بهمة ... ما نالها ملك ولا سلطانى

ولم أقدر اجازيك بكل مالى ... ولا بملكى ولا أعيانى

(قال الراوى) ولم يزل سائراً به الى ان اقبل الى ارض خوارزم العجم ودخل الى مكانه واذا قد اتت اليه سائر اعوانه وانعقد له موكب عظيم وسار القان شاه جمك الى جانبه وقد عظم فى عينه فقال له ياسيدى ومن أين جاء اليك هذا الاسد ولم لاخرجت في بعض الغلمان والخدام فقال له ياولدى أعزك الله وابقاك اعلم انى خرجت في بعض الايام الى الصيد والقنص واغتنام اللذة مع الفرص وكان معى من الرجال سبعون بطلا فلما وقفنا في حلقة الصيد وقع لنا غزالة فقلت لمن معى ضيقوا عليها وكل من نفدت منه يكون خصمى اذا لم يأتى بها فلما سمعوا منى اجابوا بالسمع والطاعة وضيقوا

الحلقة على الغزاله واذا بها هجمت على قربوص سرجى فتركت اللجام وأردت اقتنصها فهجمت من فوق رأسي الى الخلا فلمارأوا أصحابي ذلك تبسموا ونظروا الى بعضهم بعضا ففهمت انهم يتغامزون على فقلت لهم اذهبوا انتم الى حال سبيلكم وها أنا لها كفايه ثم انى تركتهم ومضيت خلفها الى ان أقبلت الى ذلك المكان الذى اتيتنى انت اليه وعبرت فاردت الدخول خلفها واذا بالاسد قد خرج على فتركت الغزاله ووقفت مع الاسد وجعلت استغيث الى ان اغاثنى بك ربى وهذه قصتى والسلام فقال له ياسيدى الحمد لله رب العالمين على السلامة ثم انهما لم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى الديوان فجلس الملك وجلس القان شاه جمك الى جانبه واولاه وزيره بالميمنة وبالغ في مكرمته وكان اسمه القان عبد الله ثم انه زوجه بابنته وقربه الى مرتبته وشرع له في الافراح والليالى الملاح وادخله على ابنته وكان اسمها ايق فلما كان بعد الصباحية اجلسه الى جانبه وسأله عن حاله ومن اين هو والى اين كان يريد ولم يسأله قبل ذلك ابدا وهذه عادة اهل الفضل والناس الكرام ولما سأله عن حاله قال له انا رجل من خلق الله تعالى وكنت سائر فى ملك الله تعالى فلما سمع ذلك منه علم بالفراسة انه من أعيان الناس الكرام اهل الحسب والنسب والاحتشام وايضا انه قد شاهد ذلك من فعاله واحكامه فقال له بالله عليك الا ما اعلمتنى بقصتك واطلعتنى عن سبب غربتك فلقد ظهرت لى اشارة الطيبة والامور الغريبة فلما سمع منه ذلك اعاد عليه قصته وما قدمنا ذكره من نوبته فتعجب من ذلك وكتب له حجة بالسلطنة من بعده وختمها بختمه ولم يزل مقيما عنده الى ان اتته الوفاة ودنى أجله فأوصى عليه دولته وسائر اهله وقد اوصاه ايضا على ابنته ثم قضى نحبه فواروه التراب وعملوا له مايحتاج اليه ولما تهيأ الفراغ من

ذلك جلس على كرسى ملكه وهو يحكم بين الرجال ويفضل الابطال بالمال فأحبوه سائر الرجال واطاعوه فى الاقوال والافعال وقد صار بينهم له كلمة تسمع وحرمة ترفع وقد رزقه الله من الاولاد بخمسة ذكور فسمى أحدهم تقتمر والثانى سم الموت والثالث وابدغدى والرابع وايدغمش وهذا الصغير محمود وكان هذا محمود احبهم عند والده وكان ابوه لايصبر عليه فلما كان يوم من الايام خرج الى صلاة الجمعة وأخذ أولاده عن يمينه وشماله ولما قضت الصلاة تأمل القان شاه جمك فرأى اخواته الذين قدمنا ذكرهم فى ذلك الجامع وقد بلوا من الفقر مما لايطاق فلما عرفهم تركهما ولم يسأل عنهما بل قال لبعض خدامه خذ هذين الرجلين وامضى بهما الى الحمام ولبسهما افخر اللباس وائتونى بهما ففعلوا ما امر به الملك واتوا اليه بهما وهو جالس على تخت خوارزم العجم فلما وقعت عينه عليهما نهض لهما قائما على الاقدام وأخذهما بملء الاحضان واجلسهما الى جانبه وقد سألهما عن حالهما وقال لهما ماسبب قدومكما وهذه الحالة حالتكما ولم يبدى لهما شيئا من الامور التى سبقت منهم فقالوا له والله ياأخانا ان سبب قدومنا وغربتنا فى البلاد انه عز علينا فراقك وتركنا ارضنا لاجلك ومن شأنك وسرنا ندور عليك في سائر الارض في الطول والعرض وقد ذهب مالنا وتكدر عيشنا والحمد لله على سلامتك فلما سمع منهما ذلك الكلام ترحب بهم واجلسهم وزراءه وقد زاد حسدهم وكثر حقدهم ولم يراعوا له جميل واضمروا له الشر وقالوا لابد لنا ان نحسره على ولده هذا ونحرق عليه كبده

(قال الراوى) وكان سبب قدومهم الى ذلك المكان وفقرهم وما صاروا فيه من الهوان كلام عجيب وامر مطرب غريب وذلك ان القان شاه جمك لما ارتحل من عندهم وطلب بلادا غير بلادهم جلسوا على التخت بارض

خراسان وصار هذا يحكم يوم واخوه يوم وقد طغوا وبغوا على من
عندهم وكان البخل طباعهم فضاقت قلوب الدولة منهم وقالوا لا بد لنا من
قتلهم كما افجعونا فى اخيهم وابلونا بما لا نطيق من قلة المال والرفيق فلما
اتفقوا على ذلك الشان سائر الرجال نهضوا اليهم وقبضوهم قبضا باليد
وقد اوثقوهم كتاف وقووا منهم السواعد والاطراف وهموا بقتلهم فقالوا
لهم ياقوم لأى شىء فعلتم ذلك فقالوا لهم اعلموا اننا لم نريدكما
علينا ابدا ونحن نولوا على انفسنا من نريد ونختار فقالوا ما هذا
صواب فاطلقونا مما نحن فيه ونحن نبذل لكم الاموال فقالوا
لا والله لو اعطيتمونا مال الدنيا ما فعلنا ذلك ابدا لانكما أفجعتمونا
فى ملكنا واستوليتم عليه وهو اخيكما وما فيكم خير لبعضكم فى اخيكم
فكيف نأمن نحن منكم فقالوا ياقوم اذا لم تفعلوا ذلك فاتركونا نمضى
الى حال سبيلنا واطلبوا لكما ملكا غيرنا ولا تقتلونا فقالوا لهما رضينا
بذلك ثم انهم ضربوا كل واحد منهم ثلاثمائة سوط وطردوهما واولوا
وزيرا قد اختاروه لانفسهم وحكموه على رقابهم فخرجوا هذين الاثنين
هاجين على وجوههما (قال الراوى) وساروا فى البرارى الى ان اتوا
الى ذلك المكان واجتمعوا باخيهم وسالهم على حالهما فانكروا ذلك وذكروا
انهما تركا الملك لاجله ومن شفقتهما عليه فشك فى قولهما وقال في نفسه
لعل ان يكون ذلك حقا وقد مضت الاحقاد (ياساده) وجرى ماجرى
وقد اجلسهما وزراء عنده كما ذكرنا واضمروا العناد كما قدمنا الى ان كان
يوم من الايام ذكروا له انهم يريدون الصيد والقنص وقالوا له ياأخينا نريد
ان نأخذ محمود معنا فقال لهم سمعا وطاعة وقد وصاهم عليه ثم انه ركب
محمود بينهما وسار معهما خمسون فارسا وقال لهم لا تغيبوا عنى ولدى فقالوا

له ا كثر ما نغيب سبعة ايام او عشرة ايام فقال لهم دونكم وما تريدون ثم انهم ساروا حتى تبطنوا فى ذلك الوادى فنصبوا خيامهم وقاموا حتى امسى المسا وناموا سائر الرجال وكانوا قد اتعبوهم بشدة المسير فلما عاينوا ذلك اغتنموا الفرصه وهجموا على محمود واوثقوه كتاف وقووا سواعده والاطراف وجعلوا فى فمه الاكره وشدوه على جواد من الخيل الجياد وركبوا ايضا وساروا فى تلك البرارى والقفار

(قال الراوى) ولم يزالوا الخمسين فارس نائمين الى الصباح فأفاقوا على نفوسهم وطلبوا ابن ملكهم ووزرائهم فلم يجدوا لهم خبر ولا وقفوا لهم على اثر فظنوا انهم انتبهوا من النوم قبلهم وساروا يتصيدون الى آخر النهار فلاجاء اليهم من يخبرهم فطلبوا البرارى وتفرقوا فى وسيع البطاح فلم يروا لهما اثر فرجعوا خائبين وطلبوا الملك شاه جمك واعلموه بما جرى وكان فلما سمع ذلك قامت عليه القيامه وعاد على نفسه بالملامه وبكى وان واشتكى وحس قلبه بالفراق فانشد وجعل يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

فديتك رفع الصبر بعدك ام حلا	وقد غبت عنى ماالمنام وما حلا
وما حال حب غاب عنه حبيبه	وما حال عن حفظ الوداد وما حلا
ولما رأيت القلب مال مع الهوى	بعثت له دمعا من العين مرسلا
حبيبى لقد أودعت فى القلب حسرة	وما اودع القلب الوداد وما قلا
واوحشت طرفا طال ما بات ساهراً	لوجه كساه الحسن كالقمر الجلا
فنقلت من عينى الى وسط مهجتى	وما عادة الاحباب ان تتنقلا
وقالوا متى امسى فؤادك بالمنى	مليا من البلوى فقلت وقد خلا
فقالوا أترضى ان تموت صبابة	فقلت نعم قالوا اسمع النصح قلت لا

اقول لاجفاني وقد صار ميتتي ... بقلب قفا نبكي حبيباً ومنزلا
فمن بعده ماذقت طيب مسرة ... ولم انظر اللذات الا تخيلا
ولم انس اياما تقضت بقربه ... وكاس المنا في مجلس الانس يجتلا
يمر به الساقي فيختال وجهه ... كما قمر في كفة الشمس اقبلا
ومحبوبنا يجلوا علينا جماله ... وكل صدا في القلب لما حلا حلا
يميل دلالا وهو في نشوة الصبا ... ويحق للمعشوق ان يتدللا
غزالا يغار الطير من لفتاته ... وان سم يحاكيه رسم الفلا فلا
عشقت اهيفا حلو الشمائل ... رشيقا نحيل الخصر ابيض اكحلا
ثنياه ريحان وثغره جوهر ... وقلبي مسروراً اذا مقبلا
قضا الدهر بالتفريق آها لفقده ... وآها لقلب عنه ان تبدلا
فان مرت الايام دون وصاله ... فياضيعة الاعمار تقضى سهلا

(قال الراوي) وقد سمعت امه بذلك فلبست ثياب الاحزان وتنفست الصعدا من قلب ولهان وجعلت تندبه بهذه الابيات

وحقكم ان قلبي لم يطق تجلدا ... على الفراق ولو كان الوصال غدا
يقول الى طيفكم ان الوصال غدا ... وهل اعيش على رغم المدا وغدا
وحقكم ياسادتي من بعد فرقتكم ... مالذ لي طيب عيش بعدكم ابدا
وان قضى الله نحبي بحبكم ... اموت في حبكم من اعظم الشهدا
آه محب في زوايا القلب مرتعه ... ومن اجلكم جزعا نومي لقد شردا
ان كان في حبكم ترضوا بسفك دمي ... فانه فوق خدي لقد شهدا

(قال الراوي) ثم انهما جعلا يندبانه بالاشعار ويرخوا عليه الدموع وقد انقطع منهما الاياس ولزما البيت من دون الناس فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر محمود فانهم لما أخذوه وساروا به حتى آمنوا على

أرواحهم ممن كان خلفهما الى ان عبروا تلك الارض ودخلوا به الى مغار على حافته عين ماء وأراد أحدهم قتله فقال له الآخر يا أخي لاتفعل لاننا على كل حال فى الغربه وما ندرى مايجرى علينا فقال له وكيف نعمل في هذا ولد الزنا فقال له نحفر له حفرة هاهنا ونلقوه فيها بالحياة وهو بذلك الكتاف ونضع على قلبه حجره ونتركه حتى انه ان عاش فبرزقه وان مات فبأجله على انى أقول انه لم يعيش بعد ذلك أبدا وان عاش أكلوه الوحوش علي انه لم يقدر ان يمنع نفسه منهم وهو بهذا الكتاف فقال له هذا هو الصواب ثم انهم فعلوا به تلك الفعال وأدخلوه في ذلك المكان وحفروا له الحفرة ووضعوا الحجر على صدره بعد ان ألقوه على ظهره وقالوا له هذا قبرك حتى تلاقى ربك فقال لهم وقد تغرغرت عيناه بالدموع وما الذى فعلت معكم من الفعال حتى ترمونى بهذا المثال فقالوا له هذا جزاءك وجزاء أبوك يانسل الحرام فلما سمع منهم ذلك رمق بطرفه الى السماء وقال اسأل الله العظيم رب موسى وابراهيم ان يخلصنى مما أنا فيه من الهوان وأرى دم اعمامى يجرى فى ذلك المكان وهو يختلط بهذا الماء والتراب وأراهم بالاعيان وأنا على الحياة وأرى ذلك وأشاهده عيان قال فتقبل الله دعاه وسوف يكون ذلك ان شاء الله (قال الراوى) وقد تركوه اعمامه وذهبوا الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر محمود فانه أقام على هذه الحالة باقى ذلك اليوم والليلة وهو يبكى وينوح من قلب مظنى مجروح وجعل ينشد ويقول

يادهر بليتنى بالبعاد ... وبعد الديار وطول التمادى

واوقعتنى فى يد قوم لئام ... لايحفظون ولايرعون ازديادى

وقد قضى على الله بانى ... أصير أسيرا كثير السهادى

ماقى على ظهرى طريحا   مغلل الرجلين مكتوف الايادى
ولكن سألت ربى خلاصى   فهو الرحيم لكل العباد
توسلت في أمري اليه بمن   يشفع لنا في يوم المعاد

(قال الراوى) وما زال يبكى وينوح على حاله ويستغيث الى ربه بكل ماخطر بباله الى ثانى الايام فبينما هو كذلك واذا به قد مر عليه رجل من دراويش الاعجام يظهر للناس الاسلام وهو رفضى يعبد الشيطان وكان يسمى محمود العجمى والارفاض يقولون له عبد الشيطان فلما رأى محمود قال فى نفسه خذهذا الغلام واوصله الى الشام وبيعه هناك وخذ ثمنه فهوأحسن منه ثم انه دنى منه وأخذه وسار به حتى وصل الى الشام فمرض محمود لاجل أمر يريده الملك فرماه في الحمام حتى تداولت عليه الايام وكان ذلك الرفضى يتفقده من الميعاد الى الميعاد ويقول ان عاش بعته وأن مات دفنته وكل من يسأله عنه يقول انه مملوكه حتى آن الاوان وأرسلت انت ياأمير المؤمنين علي ابن الوراقى من مصر بأمرك فاشترى هذا بالعمرة المجهولة وجرى من الامر ماقد تقدم ذكره وشاع بين الناس أمره وهذا تأصيله والسبب وحق من عن العيون احتجب (قال الراوى) فلما سمع الملك الصالح ذكر هذا التأصيل من المتادم وانهم رأوها مرسومه بالجفر الاكبر وهى مؤرخه بكل حرف محرر فرح الملك فرحا شديدا ماعليه من مزيد وكذلك الاغا شاهين الافرم وكان الامير بيبرس ذكر له هذه الصائبة عند أول مقاباته معه كما قد ورد فى كتابنا فانشرح خاطره وتمت أفراحه وهدت سرائره لانه عنده مايثبت ويقيد وقد اطلع الامير عليه حتى يعينه شاهده (ياساده)وقد زاد غيظ القاضى وكادت مرارته ان تنفطر وكذلك المماليك المبغضين هذا وقد كتب الملك للماليك حجج العتق وقال الملك

ياولدى بيبرس قال نعم ياأمير المؤمنين قال له انزل من هاهنا واشترى الك بيتا بشرط انك تصلى غدا صلاة الجمعة في جامع طولون فقال سمعا وطاعة ثم نزلوا معه الاثنين المقادم وباتوا تلك الليلة وهم يتذكرون كلام الملك الصالح ويثبتون له الولاية والكرامة حتى صلوا صلاة الصبح وتودعوا من الامير وركبوا خيولهم وساروا طالبين قلاعهم فهذا ماكان منهم (قال الراوى) وأما ماكان من الامير بيبرس فانه ركب جواده وسار طالب جامع طيلون وكان قد دخل وقت الجمعة وعثمان قد سار معه الى ان قربوا للجامع فنزل الامير بيبرس عن جواده وقال امسك الجواد ياعثمان حتى أصلى خلف الامام فقال له عثمان وأنا ماأصليش فقال له انت شافعى وانا حنفى والاولى انك تصليها انت بعدى ظهرا ودعنى أصلى أنا خلف الامام فقال عثمان أنا أعمل حنفى وانت خليك من اولاد ابو شافع فى ذلك النهار فقال له هـذا لايصح ياعثمان فقال له اعلم ان الامر أقرب من ذلك وهو اننا ندخل الاثنين ونترك الحصان وحده هاهنا فان بقى حتى نعود اليه أخذناه وان هرب قبل خروجنا فى داهيه انت واياه وان طابت غيره أنا أسرق لك حصان غيره فقال له هذه الصدقة التى تعملها بعد الصلاة ولكن ياعثمان انظر من يمسك لنا الحصان فقال عثمان سمعا وطاعة ثم تأمل ذات اليمين وذات الشمال واذا بعالم قد أقبل يريد الجامع وعليه الملابس الفاخرة يريد الجامع والمحفظه بين يديه ظاهره والمقله على راسه كأنها حمامه ظاهره فلما قارب عثمان وعرفه وتأمله أقبل اليه وقبل يده وقال له سلامة ياجدى وجد جدى فقال له عثمان امسك هذا الحصان حتى أصلى واطلع فقال له سمعا وطاعة فلما نظر بيبرس الى ذلك قال له ياعثمان اتق الله تعالى كيف انك تفعل هذه الفعال مع رجل مثل هذا الشيخ المفضال فقال له اعلم ان هذا

الرجـل من جملة الطائفة التي كانت تحت يدى قبل التوبة ولما انى تبت
فضل هـذا الرجل على حالته وانه بالنهار عالم وبالليـل حرامى ظالم واسمه
عنـدى مراوحى فلما سمع الامير ذلك قال لاحول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم ثم ان الامير دخل الى الجامع وجلس في المحراب وجلس
عثمان قدام المنبر وجعل الرزه قدامه وكشف راسه وقد صعد الخطيب
الى أعلا المنبر وقد رأى عثمان والرزه قدامه فلعبت مفاصله ونسى
الخطبه ولم يعرف منها ولا كلمه واحده وقد صار مثل السعفه وذلك
لان عثمان كان ضربه قبل توبته وأخذ منه عمامته وأقام في بيته
مريض ولا شفاه الله تعـالى الا في ذلك اليوم وكانت هـذه أول
خطبته بعد مرضه ولما رأى عثمان ذهب عقله وزادت بليته وغابت
عنـه فكرته وقد آن أوان الخطبه والرجال مستعدون لاجلها فقال
الخطيب أيها الناس انتم هاهنا قاعـدون وعثمان هاهنا حاضر معكم
وكان ضربنى ضربا وجيعا واخذ عمامتى وتركنى بحالة شنيعة فانا انهيكم عن
الصلاة في هذا الجامع والجوامع كثيرة فالعاقل من يكون لقولى سامعا
ولكلامى طائعا من قبل ان يحل بكم المنون وينهب ارواحكم برزته مثل
المجنون قال فلما سمعوا المؤذنون الذين فوق الدكه ردوا عليه وقالوا هانحن
هاربين والى السطوح طالعين (قال الراوى) وكانت هذه الالفاظ باعلا
اصواتهم فهاجت الناس وحارت فى امورهم ونزل الامام وصلى بالناس
على حسب الامكان وتعجب بيبرس من ذلك الشان (ياساده)
وما فرغت الناس من ذلك الفرض حتى أسرع عثمان الى الابواب واغلقهم
ووقف على الباب الكبير وتركه مفتوح فلما خرج احد المصلين وهو
يستغفر الله ويسبحه قال له عثمان تقبل الله قال له الله يتقبل منى ومنك

قال له عثمان انت صليت كم ركعة فقال الرجل فى نفسه كثر له لاجل ان يقول هــذا دين ثم قال له صليت عشرة ركعات قال له عثمان احسبهم لى قال له اثنان تحية المسجد واثنان فريضة الجمعــة واثنان سنتها وأربعة فرض الظاهر هذه العشرة فقال له عثمان يبقى عليك عشرة قروش صاغا لى على المسلم كل ركعة بقرش فلما سمع الرجــل ذلك طار عقله وذهب لبه وقال والله أنا ما معى ولا قرش كامل فقال له عثمان اخلع ملابسك فناوله العمامة فقال عثمان بقرش وكذلك العرى قال عثمان بقرش ولم يزل حتى عراه من جميع ملابسه ثم أقبل على الثانى وقال له صليت كم ركعة قال له عثمان صليت اثنين قال عثمان بقرشــين فناوله العمامه والصارمه وخرج ووقف الى جانب رفيقــه ولم يزل عثمان على ذلك الحال حتى خرجت أغلب الناس والذين تبقوا فى الجامع اعلموا الامير بمــا فعــل عثمان فلما سمع الامير منهم ذلك الكلام نهض على الاقدام وسار حتى شاهد الامر بالاعيان فصاح فيــه وطلبه أشد الطلب فلما رآه عثمان على ذلك السبب تركه وهرب فصاح عليه بأعلا صوته لا تخاف ياعثمان فقال عثمان لا أعود حتى تحلف لى انك لم تؤذينى فحلف له الامير على ذلك واقبل اليه وقال له ولاى شيء فعلت هذه الفعال فقال عثمان لاجل أجرة الصلاة لانى جعلت كل ركعة بقرش وانها والله كل ركعة تسوى مال أهل الدنيا لمــا فيها من الثواب فقال له الامير اعلم ياعثمان ان الله قد سهل دين الاسلام وجعــله سهلا على كل من له فيه مرام فان وجد المــاء والا يتيمم بالتراب وان لم يقــدر يصلى قائمــا صلى جالسا وان لم يقدر صلى راقد ويدخل أى مكان أراد من المساجد فلا أحد يمنعه من ذلك ومع هذا كله فانهم لا يصلون ولا يعبدون فمــا أدراك اذا كانت الركعة بقرش فلا أحد يدخل المساجد ابدا

ثم انه أمرهم أن يأخذوا ملابسهم فأخذوها ودعوا له وانصرفوا وقد خرج باقى الناس من المسجد وأراد الامير أن يركب ويسيروا واذا به يسمع مناداة ينادون فقال ياعثمان ما الخبر فقال عثمان هؤلاء دلالين يدللون على الاماكن والبيوت فسار الامير نحوهم فسمع الدلال ينادي ويقول معاشر الاخوان معنا بيت فى المكان الفلانى وبيت في المكان الفلانى وهذا بيت فلان وهذا بيت فلان وفيهم كذا وكذا وما زال يذكر بيت بعد بيت حتى قال معنا بيت الامير احمد بن أباديس السبكى أوله خضرة الحنه وآخره سواقة السباغين وله أربعة أبواب بأربعة حيشان الباب الاول بخضرة الحنه والباب الثانى بجوار السيدة زينب والثالث عند باب الميضة والرابع بجوار زين العابدين من داخله ثلاثمائة أوده عدد السنة وأيضا من داخله أربعة وعشرون بستانا وفيه أربعة وعشرون ساقية وفيه اربعة وعشرون مقعدا وكل مقعد فيه قاعة ومجلس وأوده لا تشابه الأخرى بل بخلاف بعضهما شغل الصناع الشطار ولو اننا رفعنا كل محل وما فيه من المعادن الكبار مثل الياقوت الاحمر والكهرمان والعقيق والمرجان وكل شيء يأخذ بالابصار من اللمعان (قال الراوى) وكان الامير احمد ابن أباديس السبكى يصطنع الكيميا ويدرك علم جابر وكان يضرب الرمل ويعرف معانيه وقد رسم جميع مافي ذلك المكان من ماله ونواله وكذلك كلما وجده الامير بيبرس خارج ذلك المكان مثل اللقيه التى وجدها الامير فى بيت الوزير الاغا شاهين ولقية القلعة فهى من ماله ايضا وكذلك ماعثر به فى دكان الشيخ يحيي الشماع وكل ذلك من مال الامير احمد ابن اباديس السبكى وقد رسمها وطلسمها بمعرفته وحسن خبرته على اسم الامير بيبرس لما تبين له في رمله انه من اهل الجهاد فى طاعة رب العباد وقد رجعنا الى ما كنا فيه من

الايراد فلما رجع الدلال وسمع الامير بيبرس وهو ينادى على ذلك المكان صاح بعلو صوته على الدلال ونادى يادلال اكثر من ثلاثة مرات والدلال ينظر اليه ولم يعن به فصاح به عثمان بعد ان كشف راسه وقال يارجل يادلال وسرها فى مقامها ان لم تأتى والا ضربتك بهذه الرزه ضربة افلق بها راسك فعند ذلك رجع الدلال مسرعا الى الاسطى عثمان وقبل يده ووقف يرتعد فلما رأى الامير ذلك قال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ياشيخ انا ناديت عليك اربعة مرات فلم ترد على جواب ولم تلتفت الي والتفت الى عثمان من مرة واحدة فلأى شيء ذلك فقال له الدلال اما انت فلا سمعتك ولا رايتك وانت تنادى ابدا واما عثمان فان نداه نزل فى آذانى مثل الرعد القاصف فضحك الامير من قوله وقال له من هو صاحب هذا البيت فقال له ياسيدى ان صاحب هذا البيت له اربعة ستات وهو الامير عنقا بن ابادیس السبكى وانا دلال وابى من قبلى وجدى كذلك وطاعنا ندلل على ذلك البيت وكل من أتى وتفرج عليه فلم يبيعوا له هؤلاء الستات وهم البنات المذكورين وكل جمعه لابد انى ادلل عليه فلما كانت هذه الجمعه دللت عليه وقد أحضرنى لك الاسطى عثمان فسألتنى عن ذلك أخبرتك والسلام (قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس ذلك قال لابدأن أمشى معك واتفرج على ذلك البيت ثم سار عثمان والامير بيبرس والدلال وأقبلوا الى باب من الاربعة أبواب وكان فى وسط الباب حلقة صغيرة فتقدم الدلال وفتح باب الخوخة وقال الامير ادخلوا من هاهنا فقال الامير افتح لنا بابه الكبير فقال له ياسيدى ان هذا الباب له مده ماانفتح ولا قدر أحد على فتحه ابدا وان الستات قد اوصونى بذلك وقالوا لى اذا رأيت شخصا قد فتح الباب بيده فاحضره الى عندنا فقال له الامير أين المفتاح

فاعطاه فوضعه الامير في الضبه وعشق الاسنان فى بيوتها وجرها بقوة واذا بالضبه قد فتحت باذن الله تعالى من غير مشقة فلما رأى الدلال ذلك تعجب غاية العجب ودخل بعد ذلك البيت واذا به في غاية مايكون من الاوصاف الحميدة وقد أعجب الامير فقال للدلال سربنا الى أصحابنا فأخذه الدلال وسار به الى الستات وكانوا هؤلاء الستات عتقا الامير احمد بن ابا ديس وكانوا مقيمين بمنزل اعده لهم غير هذا المكان فلما اقبلوا هؤلاء استأذنوا على السيدات فأذنوا لهم وقد اقبل الدلال اليهم فقالوا له ولاى شيء اتيت فقال لهم اتيت لكم بمن يشترى البيت فقالوا عسى ان يكون آن الاوان فاين هو الشارى فصاح الدلال بالامير فطلع الامير وخلفه عثمان فلما عاينوهم قالوا من يريد البيت من هذين الاثنين هذا الرجل الذى يخطف العمائم من الناس ام هذا الرجل المملوك فقال لهم هذا الغلام فالتفتوا اليه وقالوا له أحق مايقول الدلال قال نعم قالوا له ما اسمك يافتى قال لهم اسمى بيبرس فلما سمعوا ذلك التفت بعضهم الى بعض ثم قالوا له هذا هو اسمك الاصلى اوحادث عليك فقال لهم لا بل هو حادث واسمى الاصلى محمود فلما سمعوا ذلك نظروا الى بعضهم وامروه بالجلوس فجلس فقالوا له عسى ان يكون لك في البيت نصيب فقال لهم هذا شيء في علم الله القريب العجيب فقالوا من اى البلاد انت فقال لهم من ارض الشام وارض دمشق فقالوا له مولود بها ام نزيل قال لهم نزيل واما مولدى في ارض خوارزم العجم فقالوا له نريد منك شيئاً واحداً وهو انك تحكى لنا على حسبك ونسبك فاعاد عليهم الناصيله من اولها الى آخرها كما ورد وتقدم وسمعته أذنا كم الرائقة ومعانى عقولكم الفائقة والاعاده مافيها افاده سوى الذكر والتوحيد (قال الراوى) فلما سمعوا الستات ذلك الكلام من الامير بيبرس تكلموا مع بعضهم بلغة

الايراد فلما رجع الدلال وسمع الامير بيبرس وهو ينادي على ذلك المكان صاح بعلو صوته على الدلال ونادي يادلال اكثر من ثلاثة مرات والدلال ينظر اليه ولم يعن به فصاح به عثمان بعد ان كشف راسه وقال يارجل يادلال وسرها في مقامها ان لم تأتي والا ضربتك بهذه الرزه ضربة افلق بها راسك فعند ذلك رجع الدلال مسرعا الى الاسطى عثمان وقبل يده ووقف يرتعد فلما راى الامير ذلك قال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ياشيخ انا ناديت عليك اربعة مرات فلم ترد علي جواب ولم تلتفت الي والتفت الى عثمان من مرة واحدة فلاى شيء ذلك فقال له الدلال اما انت فلا سمعتك ولا رايتك وانت تنادى ابدا واما عثمان فان نداه نزل في آذاني مثل الرعد القاصف فضحك الامير من قوله وقال له من هو صاحب هذا البيت فقال له ياسيدى ان صاحب هـذا البيت له اربعـة ستات وهو الامير عنقا بن ابادیس السبکی وانا دلال وابى من قبلى وجدى كذلك وطاعنا ندلل على ذلك البيت وكل من أتى وتفرج عليه فلم يبيعوا له هؤلاء الستات وهم البنات المذكورين وكل جمعه لابد انى ادلل عليه فلما كانت هذه الجمعه دللت عليه وقد أحضرنى لك الاسطى عثمان فسألتنى عن ذلك أخبرتك والسلام (قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس ذلك قال لابدأن أمشى معك واتفرج على ذلك البيت ثم سار عثمان والامير بيبرس والدلال وأقبلوا الى باب من الاربعة أبواب وكان في وسط الباب حلقة صغيرة فتقدم الدلال وفتح باب الخوخة وقال للامير ادخلوا من هاهنا فقال الامير افتح لنا بابه الـكبير فقال له ياسيدي ان هذا الباب له مده ماانفتح ولا قدر أحد على فتحه ابدا وان الستات قد اوصونى بذلك وقالوا لى اذا رأيت شخصا قد فتح الباب بيده فاحضره الى عندنا فقال له الامير أين المفتاح

فاعطاه فوضعه الامير في الضبه وعشق الاسنان فى بيوتها وجرها بقوة واذا بالضبه قد فتحت باذن الله تعالى من غير مشقة فلما رأى الدلال ذلك تعجب غاية العجب ودخل بعد ذلك البيت واذا به في غاية مايكون من الاوصاف الحميدة وقد أعجب الامير فقال للدلال سربنا الى أصحابنا فأخذه الدلال وسار به الى الستات وكانوا هؤلاء الستات عتقا الامير احمد بن اباديس وكانوا مقيمين بمنزل اعده لهم غير هذا المكان فلما اقبلوا هؤلاء استأذنوا على السيدات فأذنوا لهم وقد اقبل الدلال اليهم فقالوا له ولاى شيء اتيت فقال لهم اتيت لكم بمن يشترى البيت فقالوا عسى ان يكون آن الاوان فاين هو الشارى فصاح الدلال بالامير فطلع الامير وخلفه عثمان فلما عاينوهم قالوا من يريد البيت من هذين الاثنين هذا الرجل الذى يخطف العمائم من الناس ام هذا الرجل المملوك فقال لهم هذا الغلام فالتفتوا اليه وقالوا له أحق مايقول الدلال قال نعم قالوا له ماسمك يافتى قال لهم اسمى بيبرس فلما سمعوا ذلك التفت بعضهم الى بعض ثم قالوا له هذا هو اسمك الاصلى اوحادث عليك فقال لهم لا بل هو حادث واسمى الاصلى محمود فلما سمعوا ذلك نظروا الى بعضهم وامروه بالجلوس فجلس فقالوا له عسى ان يكون لك في البيت نصيب فقال لهم هذا شيء في علم الله القريب العجيب فقالوا من اى البلاد انت فقال لهم من ارض الشام وارض دمشق فقالوا له مولود بها ام نزيل قال لهم نزيل واما مولدى في ارض خوارزم العجم فقالوا له نريد منك شيئاً واحداً وهو انك تحكى لنا على حسبك ونسبك فاعاد عليهم التأصيله من اولها الى آخرها كما ورد وتقدم وسمعته أذناكم الرائقة ومعانى عقولكم الفائقة والاعاده مافيها افادة سوى الذكر والتوحيد (قال الراوى) فلما سمعوا الستات ذلك الكلام من الامير بيبرس تكلموا مع بعضهم بلغة

يعرفونها مع بعضهم ومعنى كلامهم انهم يقولون لبعضهم ان العلامات قد ظهرت منها البعض وباقي البعض فمن منكن يظهر لنا باقي العلامات فقالت واحدة انا اسأله في ذلك ثم تقدمت اليه وقالت له وانت عندك ثمن هذا البيت قال لها نعم انا قادر على ثمن عشرون بيت مثله فقالت له انت تذكر نفسك بالغنى والمقدره ولاى شيء حالك هكذا وما عليك كسوة تسوى درهم واحد وهذا دليل على انك غير صادق في قولك وما ذكرته من محالك وقلة عقلك

(قال الراوى) فلما سمع الامير ذلك قال لهم وقد اسودت الدنيا فى أعيانه وظهرت له سبعة نقط جدريات سود ملكته من الطارقة اليمين الى الطارقة الشمال وشعرة اسد بين عينيه وسبع من اللحم بين حاجبيه اذا نظرته المرأة الحاملة تضع حملها لوقتها وساعتها فلما نظروا البنات الى ذلك العلامات عرفوها وقالوا لا تأخذ على خاطرك فاننا ما ذكرنا لك ذلك الا على سبيل المباسطة والمزاح ومع ذلك اننا بعناك البيت وعرفنا انك صاحب العلامات والاشارات ولقد كنا لك في الانتظار وهذه المفاتيح وهذه الحجج وهذه الاوراق التي لاحمد بن ابادیس السبكى جميعها من نصيبك وان هذا كله بغير مقابلة شيء وما هو بدراهم وانما هو بحاجتين اول حاجة انك تلعب لنا بهذه القنطاريه التي لاحمد بن ابادیس السبكى فهى تمام المعرفة والامارات وان خرج من يدك تلعب بها نأخذها اليك قال وكانت هذه القنطارية وزنها مائة رطل سبكى فهى تمام المعرفة وهي مطلسمة ولا احد يقدر يلعب بها ابدا لانها مطلسمه على اسم بيبرس فلما سمع ذلك نهض قائما على الاقدام وسار الى ان وصل الى القنطارية وجذبها بيده فاقتلعها من مكانها مثل العصا الخفيفة ولعب بها عشرة ابواب من الحرب وايضا

لعب بها انداب فلما رأوا ذلك منه قالوا له وقد فرحوا غاية الفرح هناك الله بما اعطاك انت صاحب الاشارات المرسومه والعلامات المرقومه ومابقى عليك من ثمن هذا البيت الا حركه واحدة فقال لهم ماهى الحركة الثانية قالوا له نريدك ان تبنى لكل واحدة منا بيت بحارة بجامع وتسمى الحارة باسم صاحبتها فاذا ماتت تدفن بهاولاينقطع ذكرها منها فقال لهم سمعاوطاعة فقال لهم وما اسماؤكم قالوا له السيدة عمرته والسيدة مسكه والسيدة لاله والسيدة الخويدريه فقال لهم سمعا وطاعة (قال الراوى) ثم انهم اعطوه الحجج وسلموها اليه وأخذ القنطاريه وكان فرحه بها اكثر من فرحه بالبيت ثم ان الامير ارسل الاسطى عثمان فى عاجل الحال فأتاه بالقاضى الذى بطيلون وقد فعل به عثمان مثل مافعل بقاضى بولاق وقد قدمنا ذلك من افعال عثمان فلما حضر كتب له حجة جديده واشهد فيها على السيدات المصونات بأنهم باعوا البيت الى الامير بيبرس ولما انفصل الحال من ذلك امر الامير باحضار المهندسين وقال ياعثمان ائتينى بجماعة المهندسين فلما حضروا عنده ترحب بهم واجلسهم وحياهم واكرمهم وجعل يسألهم عن ذلك المكان وانه وجد فيه اربعه قوائم مثل الدعائم الكبار فتوهم من ذلك وسألهم عنها فمنهم من قال هؤلاء ركايز البيت والبيت مركوزه عليهما فقال لهم وهؤلاء ليس لهم منافع غيرانهم يحملون العلو فقال بعضهم ربما جعلوهم زينة قال ولم يكن لها نفع سوى ماذكر فقالوا نعم ثم ان الامير اراد ان يترك ذلك واذا به يرى رجلا فقيرا عليه ثياب رثه وهوجالس منفرد بنفسه عن المهندسين وكان الامير بيبرس حليما فأقبل بنفسه اليه فوجده جالسا كما رآه لكنه على رأى الذى قال هذه الابيات

أرى الفقر يذهب انوار الفتى   مثل اصفرار الشمس عند المغيب

وإذا كان المرء بين اهله   وقد بلي بالفقر قالوا غريب

(قال الراوى) فلما نظره الامير بيبرس قال للمهندسين هذا الرجل معكم قالوا لا وانما لشدة فقره يسير معنا لاجل الاحسان وما هو الا سائل فقال له وقد جلس الى جانبه ياأبي انت مالك صنعه فقال له مهندس وما انا سائل وان هؤلاء المهندسين كلهم اتباعى واتباع أتباعى ومشاديدى ومشاديد مشاديدى وما منهم الا من يكرمنى ويعرفنى فى اول زمنى فلما عاقنى الزمان وركبتنى نوائب الحرمان أهانونى وعنهم قد أبعدونى وكأنهم لايعرفونى فلما ضاقت بى حيلتى واشتدت مصيبتى نهضت هذا اليوم وقصدت رحاب السيده نفيسة العلم وصليت فيها صلاة الافتتاح وجلست بجوار المقام وانهطل دمعى سجام وقد اشتد وجدى وقل صبرى وجلدى وقد صرت استغيث بها واقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

أتيت لحيكم يابنى هاشم   مستجيراً بجدكم طه المرسل
خذوا بيدى وانجدونى تكرما   وفرجوا كربى المتسربل
وانجدونى بنجدة النبوة   بحق من هو خاتم وهو اول
ضاقت حيلتى ولا أحد سواكم   يكن لى نصيرا من كل تذلل
انتم اهل التقى والمحامد كلها   وانتم اهل العفو ثم التكمل
توسلت بكم الى قدر جدكم   طه رسول الله خير مرسل

(قال الراوى) ثم ان الرجل قال للامير وبعد ذلك أخذتنى سنة من النوم فرأيت السيده في أفخر زينة وهي تتبختر فى حلل الجنه وتقول لى ياعلى زال عنك الفقر والمه باذن الملك الاكبر فانهض الى ولدى بيبرس فى بيت احمد ابن أباديس السبكى تجده قد جمع المهندسين فتكون أنت فى الجمله فيأتى اليك ويسألك فتخبره بكل مايسألك عنه وحدثه بما فى البيت

من الامور العظام فانتبهت من منامى واتيت الى هنا فوجدت المهندسين عندك فسألتهم عني فقالوا لا نعرفه ابداً وهذه حكايتى والسبب وبعد ذلك وحق رأسك ورأس أمير المؤمنين أن هذا البيت ما بقى الا على رأسى ورأس أبى من قبلى وجدى من قبل أبى ولا أحد يعرف فيه شيء غيرى فاعطى هؤلاء شيئاً من النقود لاجل ان تكون حسنة بدت لهم منى في نظير سيئة بدت الى منهم وبعد ذلك تصرفهم الى حال سبيلهم وأنا أخبرك بكل ما تريد

(قال الراوى) فلما سمع بيبرس ذلك الكلام من على المهندس اطاعه فيما أمره به وفرح بقوله وانعم على المهندسين وصرفهم الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمرهم واما ما كان من أمر على المهندس فان الامير خلع عليه خلعة سنية وأعطاه الف دينار وقال له امضى الى بيتك وادخل الحمام والبس البدله فاذا كان من الغد تأتى الى هنا فقال سمعا وطاعة ثم ان المعلم على المهندس أخذ البدله والدراهم ونزل من ساعته وانفق على أهل بيته ووسع عليهم ولبس البدلة بعد ان تنظف وبات تلك الليلة وهو مستريح القلب فلما كان الصباح سار المعلم على الى البيت بعد ان صلى صلاة الافتتاح فوجد الامير قد اتى ومعه الاسطى عثمان فسلم عليه فاكرمه وأجلسه الى جانبه واكلوا ماراج من الطعام ولما تهيأ الفراغ من ذلك قال الامير بيبرس للشيخ على المهندس يافتى أريد منك ان تفرجنى على غوامض هذا المكان فأجابه بالسمع والطاعة ثم نهض معه وأخذ بيده واتى به الى اول قاعة وفرجه عليها واتى به الى الثانية واذا بها خلاف الاولى وهكذا كل قاعة بخلاف ماقبلها بحيث اننا لو وصفنا قاعة واحدة منها لطال علينا الشرح فى ذلك لان الواصف يتحير من وصفها ومازالوا يدخلون من قاعة ويخرجون من أخرى حتى انهم توسطوا المكان واذا بدعامة سوداء متصله من أدنى

المكان الى أعلاه غريبة البناء فقال الأمير بيبرس ماهذا ياابى قال له ياسيدى هذه دعامة وانا أعرف مافيها وأعرف كيف أفكها في ساعتى هذه ولكن قبل ان اطلعك على حقيقة الامر لى عليك شرطين وفيهما بشارة عظيمه لك ولى فاما الشرط الاول فان السيدة الكريمة اخبرتنى انك تكون على مدة الزمان ملكا وسلطان وتجلس على سرير قلعة الجبل وتكون لك كلمة مسموعة وحرمة مرفوعة وانى اريد ان اتمنى عليك اذا بلغك الله مناك وبلغ لك سعادتك واعطاك فاكون أنا مهندس السلطنه وذريتى من بعدى الا اذا قضى الاجل واندارت الذريه فماذا انت قائل فقال له الامير لك على ذلك ان شاء الله تعالى وهذا الشرط الاول وما يكون الشرط الثانى قال له تأمر خادمك ان يمتنع الى خارج المكان حتى نقضى ما نريد وبعد ذلك يعود فقال له سمعا وطاعة ثم التفت الى عثمان وقال له امضى الى خارج المكان حتى نقضى ما نريد وبعد ذلك احضر الينا فقال عثمان وسرها في مقامها لم اطلع ولا افارقكم ابدا فقال الأمير للشيخ على المهندس هذا ماعليك منه ودعه يكون معنا فقال له ياسيدى هذا شيء يريد الاسرار والكتمان وما ينبغى اظهاره لاحد غيرك فقال عثمان وانا الآخر من اهل الاسرار فقال له الشيخ على واذا نظرت شيئا لا تبيح به قال نعم اذا كان من قبيل ذلك فوصوا انتم انفسكم (قال الراوى) ثم ان الشيخ على المهندس أخرج من جيبه شيء مثل الازمير ونقر به فى الحائط ثلاثة نقرات وتأخر عليه واتى الى الجانب الآخر ونقر ايضا وتأخر ولم يزل حتى استدل على الباب فنقر وقور حتى كشفه واذا به باب صغير من النحاس الاصفر المطلسم فتأمل الامير بيبرس الى ذلك فوجده مسبوك لم يعمل فيه الازمير فارسل الشيخ على المهندس واتى باجزاء يعرفها وقطرها بالنار ومزجها وصفاها

وكانت هذه تسمي ماء الانحلال وجعل يسكبها على رأس الباب والماء يأكل النحاس حتى اذابه عن آخره ثم دخل على المهندس والامير بيبرس على اثره وعثمان على اثر الامير فوجد من داخل المكان قاعتين قاعة على اليمين وقاعة على الشمال وكل من رآهما يظن انه على وجه الارض لانهما في التفصيل شبهة القاعتين الفوقانيتين فعبروا هؤلاء القاعتين ودخلوا الى الاولى واذا بها اربعة لواوين على كل ليوان شبكة من اللؤلؤ الابيض الرطب المنظوم بسلوك الذهب والفضة وأرضها مفروشة بالزعفران الجنوى غالى الاثمان وهو مضاف بالعنبر الكنوزى ومن داخلها فراشات مطرزة بالحرير وشيء كثير من الحلى والحلل على اسرة من خشب الصاج الهندى المصفح بالذهب الخاص المعدنى ووجدا على كل ليوان شخص من النحاس الاصفر ومعه مقشة من الرصاص وفي كل اربعة وعشرين ساعة تأتيه اسماء روحانية فيكنس المساء ويلقى مايخرج منه الى الارض ويتصل الى القاعة واذا نظروا النظار ظنوا انه من الزعفران وتهب منه روايح زكية تطرب كل من شمها بنسمات عطرية والانهار تشق تلك القاعة من عيون الاسره والشخوص فيسير الماء من سائر المواضع ويجرى من خلفه ومن امامه وذلك كله بكواكب متصلة الاحجار بسقف المكان والاعطار مدلاة الى اسفله وثمرها من الجواهر والمعادن والمرجان وكانت هذه قاعة جلوس الوزير احمد بن اباديس السبكى فى اوان الزهور والربيع وكان هو يسميها بالجنة الصغرى وكان كل ما فيها من هذه التماثيل صنعة المعلمين اهل الفراسة ولاهى بعلوم اقلام ولا عمل من اعمال الكهان وكان اذا جلس فيها يأمر الخولى ان يدور السواقى فاذا اندفع الماء وجرى ووصل الى الاشخاص فتدور من ثقل الماء فاذا تحركت اللوالب والعقارب الى ذات اليمين فتجرى المياه وتمايل الاشجار وتهب

الرياح على الانهار فيطيب له المقام بذلك الدار وقد نظر الامير الى تلك اللواوين فوجد دون الاسره كل ليوان عليه ستار فتقدم وكشف الستار الاول واذا من خلفه اربعة صناديق على قدر الليوان وعليها الاقفال بالمفاتيح فيها ومكتوب على كل صندوق بالعربي ياواصلا الى هذا المكان ومطلعا على هذا الامر والشان اعلم ان هذا وقف لله تعالى على الغزاة والجهاد في طاعة رب العباد وقد اوهبته الى ملك المسلمين بيبرس العجمي الخوارزمي البربندي الدمشقي ابن القان شاه جمك الذي ينتهي نسبه الى ابراهيم بن الادهم رضي الله عنه واني قد أعددته له لا لغيره ورصدته بعلوم النجوم والفلك يفعل به ما يشتهي ويريد وكل من عارضه تصرفت فيه قدرة الله تعالى وصار هذا المكان قبره حتى يلتقي ربه فلما قرأ الامير الكتابة خر على الارض ساجداً لله تعالى ثم تقدم الى الاول وفتحه واذا به قطع من المعادن الكبار وكذلك الآخرين فلما نظرهم كان عثمان على اثره يرى ذلك ويتفرج وقد مد يده وجعل يأخذ من كل صندوق شيئا ويجعله من داخل ملابسه قال ثم انتقل بيبرس الى الليوان الثاني ورفع ستاره واذا هو مثل الاول وزياده فتركه واتى الى الثالث واذا به من الياقوت والدر واللؤلؤ الرطب ثم تقدم الى الليوان الرابع وقد فرح الفرح الشديد ورفع ستاره واذا فيه اربعة صناديق حجج بيوت وخانات وحواصل ومطابخ وقهاوي ودكاكين وحارات ووكايل وحمامات من مصر القديمة الى اصوان ومن مصر الى الفيوم هذا وعثمان كلما يرى شيئا يأخذ منه ثم نظر الامير الى الفسقيه واذا فيها أربعة وعشرون سرجا من الذهب الاحمر الوهاج المرصع بالفصوص الكبار ثم انه وجد ثمانية واربعين بشتا من الزرد النضيد ومثلهم من السيوف الهنديه ومثلهم من الشواكر اليمانيه المجلية بالذهب والفضة ومثلهم اتراس

فلما نظر الى تلك الاشياء حمد الله على هذه النعمة وقد عظم المعلم على فى عينه لانه أطلعه على مكان لم يرى مثله في بيت لوزير ولافي الديوان وما يشبه ذلك الا بكنوز سيدنا سليمان بن داوود عليه السلام وفى مثل ذلك المكان قالت اهل العرفان هذه الأبيات الحسان

دار حوت كل المعانى ... من كل صنف مثمن فانى

بها رياض قد ازهرت ... وانهارها زادت الدفقانى

قد احتكمها وزير مليك ... ماهر يدرى غوامض الازمان

له خبرة بكل الامور ... له صولة على كامل الاخوان

قد اتقن هذا بصناعة ... ماحازها كسرى انوشروان

لاولا قيصر فى الورى ... وماتشابه الا كنوز سليمان

فيالها من رياض مبدعات ... ويالها من كنوز تدهلان

وسميتها بالجهاد وبالغزا ... يرجو بهامن الهادى الغفران

فيارب سامح واغفر لى زله ... وتب علينا وتحنن باحسان

(قال الراوى) ثم ان الامير بيبرس سار بالمعلم الى القاعة الثانية واذا بها أربعة لواوين أيضا مثل الاولى غير ان كلها اوانى من اليافوت الاحمر وكذلك بابها من الياقوت وكامل ارضها وحيطانها وارضيتها من العقيق وفيها اوانى من المرجان وكانت هذه الدار يجلس فيها الوزير احمد ابن ابادیس فى زمن الشتا ويسميها النار الحمرا ويقال ان هذه الاوانى مكتوب على كل آنية منهم انه دوآء من الداء الفلانى وذلك اذا كان الانسان فيه مرض كذا او كذا فيضع الماء السخن او البارد او العسل المقطر أو الابيض أو الزيت الطيب يضع ذلك فى الآنية الفلانية وينجمها تحت النجوم ويشرب منها عند النوم أو عند الصباح يبرء من هذا الداء أو

يغتسل به أو يضع شيئا من الماء في انفه أو فى اذنه أو في عينه وذلك على اختلاف الامراض وكل شئ مكتوب عليه ما يناسبه وباب المكان مكتوب عليه النار الحمرا فلما نظر الامير الى ذلك قال والله ما هى نار وانما هى انجبار فرحم الله من صنع هذا المعروف ثم لما تهيا الفراغ من ذلك خرجوا من المكان وانعم الامير على المعلم على بانعام زائد وذلك انه أعطاه من كل شيء ملئ يديه وقد نزع الله الفقر من جوفه ثم امره بهندسة المكان وتصليحه فأجابه الى ذلك بالسمع والطاعة فهذا ما كان من امر الشيخ على المهندس (قال الراوى) واما ما كان من أمر الامير بيبرس فانه التفت الى عثمان وقال له ياعثمان لاتخبر أحد بأننا وجدنا هاهنا شيئاً فقال له عثمان اوصى نفسك أنت الاخر ولكن أعطينى من ذلك شيء فقال له هاهو قدامك خذ منه ماتريد فقال عثمان سمعا وطاعة ثم أن عثمان أخذ ماأراد من ذلك وطلع الامير وغلق الابواب وسلم المفاتيح الى على المهندس وصار يوصى عثمان بالكتمان فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر عثمان فانه خرج من البيت وصبر الى آخر النهار لانه قال اللهم صبرنى واعينى على كتمان هـذا الامر الى آخر النهار فلما وصل الوقت ترك الامير في مكان اقامته وسارهو الى باب الديوان واقام واقفاً الى ان نزلت الدولة والرجال ونزل القاضى وقال له طـق فى عينك ياقاضى أنت وابيك وانظر ماأعطانا الله تعالى من حطام الدنيا الفانية فقال له القاضى اريني ياشيخ عثمان فاخرج له من جميع الاصناف فلما رأى ذلك كبرت علته وكادت ان تنفطر مرارته وقال ياعثمان حدثنى عن ذلك المكان الذى وجدتم فيه هـذه الخيرات العظام فقال ياقاضى اعلم اننا نزلنا نشترى لنا بيت احمد بن اباديس السبكى فوجدنا فيه

من القيعان كذا وكذا وجعل عثمان يصف للقاضي اوصاف ذلك المكان
وقال له وجدنا فيه قاعتين فيهم كذا وكذا وحدثه بما رأى الامير فى
المكان بالحرف الواحد فقال القاضي وقد كادت روحه ان تخرج من
عينيه هذا شيء لايحصيه القلم ويكل عنه الواصف ثم تركه عثمان ومضى الى
حال سبيله وترك القاضي يتقلب على الجمر (قال الراوى) واما ايبك
فانه التفت الى القاضي وقال له أنت سبب ضياع فلوسى ومتاعى وهذا
الرجل بيبرس رجل مسعود وانظر الى نفسك انك كلما تدبر له لاجل
هلاكه يعلوا به شأنه ويعظم سلطانه وقد أخذ مالنا واحتوت يده على بيت
الوزير احمد بن اباديس السبكى وما حوى من الامكان وكيف أخذ القاعات
والبيوت والحجج فقال له القاضي اصبر وما صبرك الا بالله واعلم انه قد
آن الاوان وقرب موته وهلاكه وانه قد دنت حياته وسوف ترى ذلك
عيانا وانى ابشرك بأن هذا البيت لرأسك خاصه ولا أحد ينازعك فيه
فقال له دبر لنا تدبير يكون مناسب فى هلاك هذا الدبوس فقال له سمعا
وطاعة ثم بعد ذلك انصرفوا الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمر هؤلاء
(قال الراوى) واما ما كان من امر الملك الصالح فانه ذات يوم من الايام
ظهر وجلس على التخت وقد تكامل الديوان وجلست الرجال وراق
الديوان وقرأ القارى وختم ورقى الراقى وختم ودعى الداعى وختم وصاح
شاويش الديوان يقول

لا تغرنك الدنيا وما فيها ... فاصرف هواها وحاذر ان تعانيها
فما هى بعد العز الا زوال ... وماتراه ذاهب فى نواحيها
فاغتنم وقدم بين يديك فعلا ... تراه فى الآخرة يعانيها

(قال الراوى) قال الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المعطى

المالك ثم ان الملك اراد ان يدندن ويهمهم ويترجم وقد قال ياحاج شاهين
أنا عبد الله وانت عبد الله وانا أعطاني ربي فلأى شيء تخانقني والذي اعطاه
واجده من يقدر يعانده فارجع ياشاهين عن الحسد وابعد الطير عن الطير
والطير نهب الطير والطير بقي طير من طير وكبرت حوصلته فقال له الاغا شاهين
ما الخبر ياأمير المؤمنين فقال له الملك أنا رجل عبيط فلا تؤاخذني في كلامي
فالله تعالى يسبل عليك ستره ويجعلك عزيزا مهابا سيداً في الدارين فقال
الاغا شاهين اللهم تقبل سبحانك اللهم وبحمدك خلقتني ورزقتني وبعشرة
هؤلاء السادات اختبرتني اللهم لاتحرمني من اسيادي بجاه سيد العباد (قال)
واذا بالقاضي تحرك من مكانه ووقف في محل الطالب بعد ان جنح طيلسانه
وقبل الارض بين يدي الملك وقال نعم ياأمير المؤمنين فقال الملك مالك
ياقاضي قال القاضي ولدك المحفوظ المنصور الامير بيبرس الذي سعادته تضيء
على وجهه كالمصباح قد اشترى بيت احمد بن ابادبس السبكي ولقي فيه لقيات
عظيمات فقال الملك حق ياداعم ياعلام الغيوب ان بيبرس لم يطلع هذا
النهار الى الديوان فهذا دليل على اثبات قول القاضي انه لقي لقايات عظيمات
ودليل على انه اشترى بيت الوزير احمد بن ابادبس فذاك دليل على اثبات
قول القاضي وقال انه كبرت نفسه على الوزير والملك وان اصله مملوك من
الكفار ولا يرجع الفرع الا لاصله فقال الوزير شاهين ان بيبرس لم يتكبر
ابدا على أمير المؤمنين وانما انت الذي أمرته ان لا يأتي الى هنا الا بعد
ان يشترى له بيتا فقال الملك ولكنه اشترى البيت فلأى شيء لم يطلع
الى الديوان هذا الدن خر الخردن الا كال الهريسة بالسمن البقري الذي
يلبس القفطان الاحمر المزوق فعند ذلك ظن القاضي ان الملك اشتد به
الغضب وكذلك الوزير ايبك فبينما هم كذلك واذا بالامير بيبرس يقبل

الارض قدام السلطان وهو يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

ياسيداً حاز السيادة كلها ... وملكا ملك الفضائل كلها

الله يعطيك الفضايل كلها ... على جميع الخلائق كلها

ويعم امرك بالفضائل كلها ... بحق ماجاء فى الم نشرح وتنزيلها

عبدك وخديمك الآن قد اتى ... بنفس ذايلة يريد اعتزازها

(قال الراوى) فلما سمع الملك شعر الامير ونظمه وكيف انه مدحه ودعاله فقال الملك وقد زال مابه من الكلام الاول وقال الله الله ياشاهين اللهم عمر بك الارض والبلاد وجعلك الله ملكا وسلطان اللهم أقم سعده اللهم اهلك ضده تعالى ياسيدى بيبرس انت حق اشتريت دار احمد بن ابادیس السبکی قال نعم فقال ان القاضى يقول انك لقيت فيه لقية كبيرة قويه فقال بيبرس انا لا رأيت فيه شيئا لاقليل ولا كثير فقال القاضى انا اخبرنى بذلك عثمان بن الحبله واورانى الاماره وشهد بذلك الوزير ايبك فقال الملك انت المدعى وايبك شطر والشطر كالعدم ولكن لابد من ارسالنا الى الاسطى عثمان ونسأله عن ذلك الامر والشان فان هو اقر فلا عذر له وان لم يقر فلا بد ان نقوى هذه الدعوى ببينة أخرى والا فدعواك باطل سر يابيبرس وأتى الينا بعثمان فقال له بيبرس سمعا وطاعة ثم نزل الى تحت القلعة وصاح ياعثمان فقال عثمان حنش يا كاك من بيضك انت مالك قال له تعالى حتى أقول لك فقال له عثمان يعنى سر مدغدغ اخبرنى بما أتيت فيه فقال له انت قابلت بالامس القاضى والوزير ايبك واعلمتهم بالعباره فقال له عثمان قابلت ايبك والقاضى واخبرتهم بكذا وكذا واعاد عليه ماجرى بينه وبين القاضى من الكلام وكيف اخبره بجميع الاحوال فتأسف الامير وقال ياعثمان اللقايات للسلطان وهذه دعوى كبيره وانا انكرتها منه وها هو طالبك قال عثمان موجود

المالك ثم ان الملك اراد ان يدندن ويهمهم ويترجم وقد قال ياحاج شاهين أنا عبد الله وانت عبد الله وانا أعطانى ربى فلأى شيء تخانقني والذى اعطاه واجده من يقدر يعانده فارجع ياشاهين عن الحسد وابعد الطير عن الطير والطير نهب الطير والطير بقى طير من طير وكبرت حوصلته فقال له الاغا شاهين ما الخبر ياأمير المؤمنين فقال له الملك انا رجل عبيط فلا تؤاخذنى في كلامى فالله تعالى يسبل عليك ستره ويجعلك عزيزا مهابا سيداً فى الدارين فقال الاغا شاهين اللهم تقبل سبحانك اللهم وبحمدك خلقتنى ورزقتنى وبعشرة هؤلاء السادات اختبرتنى اللهم لاتحرمنى من اسيادى بجاه سيد العباد (قال) واذا بالقاضى تحرك من مكانه ووقف في محل الطالب بعد ان جنح طيلسانه وقبل الارض بين يدى الملك وقال نعم ياأمير المؤمنين فقال الملك مالك ياقاضى قال القاضى ولدك المحفوظ المنصور الامير بيبرس الذى سعادته تضىء على وجهه كالمصباح قد اشترى بيت احمد بن ابادبس السبكى والتى فيه لقيات عظيمات فقال الملك حق يادايم ياعلام الغيوب ان بيبرس لم يطلع هذا النهار الى الديوان فهذا دليل على اثبات قول القاضى انه لقى لقايات عظيمات ودليل على انه اشترى بيت الوزير احمد بن ابادبس فذلك دليل على اثبات قول القاضى وقال انه كبرت نفسه على الوزير والملك وان اصله مملوك من الكفر ولا يرجع الفرع الا لاصله فقال الوزير شاهين ان بيبرس لم يتكبر ابدا على أمير المؤمنين وانما انت الذى أمرته ان لايأتى الى هنا الا بعد ان يشترى له بيتا فقال الملك ولكنه اشترى البيت فلاى شيء لم يطلع الى الديوان هذا الدن خر الخردن الا كال الهريسة بالسمن البقرى الذى يلبس القفطان الاحمر المزوق فعند ذلك ظن القاضى ان الملك اشتد به الغضب وكذلك الوزير ايبك فبينما هم كذلك واذا بالامير بيبرس يقبل

الارض قدام السلطان وهو يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

يا سيداً حاز السيادة كلها ... وملكا ملك الفضائل كلها

الله يعطيك الفضايل كلها ... على جميع الخلائق كلها

ويعم امرك بالفضائل كلها ... بحق ما جاء فى ألم نشرح وتنزيلها

عبدك وخديمك الآن قد اتى ... بنفس ذليلة يريد اعتزازها

(قال الراوى) فلما سمع الملك شعر الامير ونظمه وكيف انه مدحه ودعا له فقال الملك وقد زال ما به من الكلام الاول وقال الله الله ياشاهين اللهم عمر بك لارض والبلاد وجعلك الله ملكا وسلطان اللهم أقم سعده اللهم اهلك ضده تعالى ياسيدى بيبرس انت حق اشتريت دار احمد بن ابا ديس السبكى قال نعم فقال ان القاضى يقول انك لقيت فيه لقية كبيرة قويه فقال بيبرس انا لارأيت فيه شيئا لاقليل ولا كثير فقال القاضى انا اخبرنى بذلك عثمان بن الحبله واورانى الاماره وشهد بذلك الوزير ايبك فقال الملك انت المدعى وايبك شطر والشطر كالعدم ولكن لابد من ارسالنا الى الاسطى عثمان ونسأله عن ذلك الامر والشان فان هو اقر فلا عذر له وان لم يقر فلا بد ان نقوى هذه الدعوى بينة أخرى والا فدعواك باطل سر يابيبرس وأتى الينا بعثمان فقال له بيبرس سمعا وطاعة ثم نزل الى تحت القلعة وصاح ياعثمان فقال عثمان حنش يا كك من يصك انت مالك قال له تعالى حتى أقول لك فقال له عثمان يعنى سر مدغدغ اخبرنى بما اتيت فيه فقال له انت قابلت بالامس القاضى والوزير ايبك واعلمتهم بالعباره فقال له عثمان قابلت ايبك والقاضى واخبرتهم بكذا وكذا واعاد عليه ماجرى بينه وبين القاضى من الكلام وكيف اخبره بجميع الاحوال فتأسف الامير وقال ياعثمان اللقايات للسلطان وهذه دعوى كبيره وانا انكرتها منه وها هو طالبك قال عثمان موجود

سلطان غيرك يامفش روح انا اوليتك سلطان بدل من ابو جوطه واوليت
عقيرب وزير ميمنتك بدل من ابو فرمه فقال الامير ياعثمان دعنا من هذا
الهزيان وتعالى معي الى السلطان فقال عثمان روح قول للملك عثمان عصى
عليك ولا رضي يأتي اليك فقال الامير ياعثمان سر بلا قلة أدب فقال له
عثمان سير وانا أسير معك واذا سألني أخبره بما جرى فقال الامير لا ياعثمان
اذا سألك انكر ذلك هذا وقول له القاضي كذاب ونحن لارأينا شيئا ولا نظرنا
شيئا ولا معنا خبر بشيء فقال عثمان السمع والطاعة ثم ان الامير سار بعثمان
وطلع الى الديوان فبينما الملك جالس واذا بعثمان يضرب برزته باب الديوان
وهو ينشد ويقول هذا الموال صلوا على ولد عدنان

ظنوا العدا اننا متنا وما متنا   وتباشروا بالفرح في طول غيبتنا
وان هون الله ورجعنا مثل عادتنا   في منقع الحط نجعلهم غنيمتنا

صباح الخير عليك يامعلم صالح الفاتحه في صحايفك وصحايف الاصطبل
الذي ربي صغرك وعلمك ضرب الكفه والحديده قال القاضي قبح الله
ذاتك هو سائس يامقوت قال الملك السايس ماله ياحاج شاهين رضي الله
عن القنبر خادم الامام الاكبر قال عثمان صباح الخير يابو فرمه خيرنا عليك
قناطير ونواطير احفظ سكر بنها قال الوزير أخذت قدر حقه مائة مره
قال عثمان صباح الخير عليك ياايبك اللقيط قال ايبك مرض يلقط عقلك
فلاح خطاف عمايم قال عثمان صباح الخير عليك ياعين البساريه قال علاى
الدين اخرس يافلاح يا كلب قال عثمان صباح الخير عليك ياقاضي يامنقرش
يامقلة الزغل يااللي من العطفة الظلمة الضيقة ياعدو الجدود قال
القاضي صباح الخير عليك ياشيخ عثمان قال عثمان مرض في قلبك اكثر ماجاء
لك ياابن القحبه بعد الفاتحة تسمع خير يامعلم صالح قال الملك خير ياعثمان

احكي لي ماجرى قال عثمان عز الله جل الله مافي الـكون غير الله قول مني انت يابوجوطه لااله الا الله عليك ياقاضي غضب الله قال الملك لااله الا الله قال عثمان نزلنا من عندك نهار الخميس صلينا الجمعه في جامع طيلون وعملت على كل واحد من المصليين قرش في كل ركعه وأخذت حوائجهم فحضر الاشقر تـكلم معي رديت الحوائج لاصحابها وسرنا الى حالنا قابلونا الدلالين فرجونا على بيت الوزير احمد بن ابادیس رحنا لاصحابه عشقوا الاشقر اعطوه البيت من غير فلوس وقد جاب المهندسين فحضر الرجل على المهندس قال له اطرد خديعك فلا رضيت قال له هذا رجـل صاحب سر وفتح المحلات فدخلنا كلنا راينا ستة عشر صندوقا على اللواوين الاربعـة من الذهب البندقي وهذا من الجواهر الـكبار وهذا من المعادن والحجج ومن الخيرات العظيمات ثم اخرج له ما كان هناك وأخذه قال الملك ياعثمان القاضي يقول اللقايات للسلطان ولكن هـذه اللقايات لمن ياقاضي قال القاضي لك ياامير المؤمنين تتعاون بهـا على الغزوات والجهاد في طاعة رب العباد قال الملك وجميع مالقاه بيبرس وهبة مني اليه هبة كريم لايرد في عطاه فماذا تقول ياقاضي قال القاضي هذا شيء لا اعرفه ابدا يامولانا غير اني اقول ان هذا بيت كبير والاولى ان كل واحد من الدولة يأخذ منه قطعة ويعملها بيتا لنفسه لاني اعرف انه يزيد على خمسة وسبعين بيتا فقال الملك يابيبرس انت اشـتريت ذلك البيت بكم فقال له ياأمير المؤمنين اشتريته بهـذه القنطاريه وانها وزنها مائة رطل ابادیسی مطلسمة ياأمير المؤمنين قال له الملك وهل رأيت أحد غيرك حملها ولعب بهـا قال لا ولـكن قد ذكروا لي انه قد جاء ناس كثير ولا أحد قدر يرفعها من مكانها وما هي الامكتوبة باسمي فقال اوضع القنطاريه هاهنا في الديوان وانا افصل لـكم هذه القضية

فعند ذلك وضعها الامير بيبرس فقال الملك كل من له مقدره يلعب بهذه القنطاريه ولودورا واحدا فانا أعطيه شيء من البيت يعمله لنفسه وانا كذلك لانى اريد ان آخذ منه قطعة وانا أول من يلعب بها ثم ان الملك قام وتقدم الى القنطارية ومسكها بيده وقد وضع عليها شيأ من أسراره فصارت مثل جبل أحد واراد الملك ان يرفعها بعد ذلك فلا قدر عليها (قال الراوى) وما فعل الملك ذلك الا خوفا من القاضى ان يلعب بها لما يعرف الملك من شدة خبثه ولو كان الامير بيبرس اراد ان يلعب بها في ذلك الوقت لما قدر من السر الذى وضعه الملك عليها (ياساده) ثم ان الملك عاد الى مكانه وقال ياحاج شاهين هذه ثقيله قويه قم انت العب بها فقام الوزير فلم يقدر ان يحركها وكذلك الامراء فقال القاضى انا العب بها ولى نصف ذلك البيت ياأمير المؤمنين فقال الملك لك ذلك ياقاضى ان انت لعبت بها اونقلتها من مكانها قال وكان القاضى يقدر على ذلك كما ذكرنا وما منعه من ذلك الا وضع يد الملك الصالح عليها لانه اودع فيها سرا خفيا لايعلمه الا الله هذا وقد نهض القاضى على الاقدام وشمر عن ساعديه وتقدم اليها ومسكها وتجبر عليها بهمته وجذبها بقوته وأراد ان يرفعها فوجدها ثابتة كأنها ملحومة في الارض بالرصاص المذوب هذا وقد ضرب مدفع السلامه فتضاحكت الرجال عليه وقال له الملك ماهذا ياقاضى قال له ثقيله ياأمير المؤمنين فقال ايبك والله لقد راح منا البيت وراحت منا فلوسنا هذا وقد تقدموا اليها كامل الدوله ولا احد قدر يلعب بها ابدا فقال الملك انا أقوم أشوف نفسى ثانى مره حتى آخذ نصف البيت لانه بيت كبير ياحاج شاهين ثم ان الملك قام اليها ثانيا ومد يده اليها فأخذ الامانه التى كان قد وضعها عليها ثم رجع وقال والله ياحاج شاهين انها ثقيله فهل تقدر ان تلعب بها ياببيبرس قال نعم ثم قام الامير اليها

وأخذها في يده مثل العصا ولعب بها اوفى من عشرين باب فقال الملك ياسيدى بيبرس هنيت بما عطيت والله ياحاج شاهين يستاهل • علة على قلب المتضايقين انزل ياسيدى بيبرس اعمل لنا عزومه في بيت احمد بن ابادیس السبكي وتكون عزومه كبيره فقال سمعا وطاعه (قال الراوى) فبينماهم في ذاك الكلام واذا بابي على الرداد يقول كل عام واتم طيبين البحر اوفى وزاد فقال الملك الصالح بشاره عظيمة مباركه يابيبرس اعمل العزومه فى هذا اليوم حتى ننزل نجبر البحر ونأتى الى عندك فقال بيبرس سمعا وطاعه هذا والقاضى وايبك قد كبرت علتهما هذا والامير بيبرس اراد المسير الى منزله لاجل العزومه فتقدم اليه الاسطى عثمان وقال له خليك انت قاعد وانا أعمل العزومه فقال له بيبرس جزاك الله خيرا ياعثمان ثم ناوله قرطاس من الذهب وقال خذ هذا وامضى الى بيت احمد بن ابادیس السبكى واعمل العزومه حتى نأتى فقال عثمان سمعا وطاعة وسار عثمان وجمع الطوايف العكرة وقال لهم تشمروا وتحزموا مولانا اراد ان يعمل العزومه لابوجوطه ثم انه اشترى عشر قناطير بصل من تحت القبانى وحملهم مع الرجل وسار الى بيت بن ابادیس ووضعهم في وسط الحوش وقال للسياس هاتوا القزانات الكبار واملوها بالماء وركبوها على النار وقشروا البصل وحطوه فيها حتى أعود اليكم فقالوا له سمعا وطاعة ثم انه تركهم وسار الى العطار وقال له هات السبعة صباغات كركم أصفر وعصفر ملون برتقانى وزنجار عراضى وبقم احمر وبقم أسود وكمون كرمانى ونيلة زرقا فأعطاه العطار فسار به الى السياس ووضع كل قرطاس فى قزان وأطبق عليهم الغطايات وكانوا السياس وضعوا فيهم البصل المقشر فلما أقبل عثمان امرهم بزيادة النار فزادوا فيها وقد صعد الدخان الى العنان فهذا ما كان من عثمان

(قال الراوى) وأما ماكان من الملك الصالح فانه كشف على عثمان وفعاله فصار يدندن ويقول ياحاج شاهين الرجل عبيط وأنا عبيط وكل ماعمله فهو عندى مقبول وأنا راضى بفعاله لكن الفضيحة لايرضى بها أحد من الناس ولا يرضى بها رب الناس ولكن انزل يابيبرس الى عثمان وانظر ان كان عمل المزومه والا لم يعملها فقال بيبرس السمع والطاعه ثم انه صار من ساعته ولم يزل سائراً حتى أقبل الى خضرة الجنه واذا بالدخان عاق من ساير الاماكن فظن ان عثمان هيأ لاشغال ففرح بذلك وقال الحمد لله رب العالمين ثم انه دخل الى عثمان فلما رآه صاح بالسياس وقال اشتغلوا ياجدعان فقالوا سمعاً وطاعة فقال بيبرس ماالذى عملت ياعثمان فقال عملت شيئاً عمركم ماأكلتوه ابداً فقال له أرينى اياه فقال عثمان هاهو بين يديك فتقدم الامير وكشف القزان الاول فرآه أسود مثل الحبر فقال ماهذا ياعثمان قال له أضرب الكبشه ترى العجب فضرب الكبشه واذا به بصل اسود غير مستوى فقال ماهذا ياعثمان قال له هذا يخنى اسود لا ذقته فى عمرك انت ولا أبو جوطه فقال وهذا أيش قال يخنى احمر قال وهذا قال يخنى ازرق وهذا اخضر وهذا اصفر ولم يزل كلما نظر لونا من هذه اشتد به الغضب وجعل يلوم عثمان على هذه الفعال وقد أمر بكب كل مافى هذه القزانات ووقف يدبر أمره ويتفكر فى نفسه وفى ماجرى له من فعال عثمان وان الملك الصالح لابد من مجيئه فى ذلك النهار لاجل العزومه فانشد يقول صلوا على الرسول

من الكريم علي من فضله ... وجاد باحسان وفضل وامتنان
وجاد ببيت كبير واسع ... مرسوما برسمى من سابق الازمان
ولقيت فيه من كل معادن ... وجواهر وقواطع ويمان

ورأيت فيه كل حجة مثبوتة | من ارض مصر الى العدنان
كذا الصعيد وجرجا وغيرها | وكم حزت فيه امكانا وآمان
وعاندني شيخ الاسلام تعمداً | واراد نزعي وقتلي على الامكان
وساعدني واعانني عليه ربي | وفزت بالبيت حقا على الاقران
ولعبت ادواراً بقنطارية احمد | السبكي وزيراً مدبرا بالاخواني
وعزمت الملك ثم كامل جيشه | وألزمت بذلك اخي عثمان
فأتى الى المكان بجيشه ورجاله | وفعل فعالا من نزغة الشيطان
واني تحيرت في أمره وفعاله | والامر لله الواحد المنان

(قال الراوى) ثم ان الامير بعد ان فرغ من انشاده التفت الى عثمان وقال له امضى واحضر لي شيخ الطباخين وجماعته فاجابه الى ذلك وسار وقد أخذ رزته ومضى الى قهوة الطباخين فوجد الجميع جالسين فاقبل من خلف الشيخ وضربه بالرزه بين اكتافه فالتفت اليه الشيخ بسرعة لينظر من الضارب له واذا هو عثمان فقال له ما الخبر يا اسطى عثمان فقال عثمان الفاتحة فقال له الفاتحة من خلف ام من امام قال له كلها طرقات سالكة فقال له والذى تريد ما هو قال له تأتى انت وعيلتك الى بيت احمد بن ابادبس تكلموا الدولاتلي فقالوا له سمعا وطاعة ثم ان الشيخ جمع الطائفة وسار من تلك الساعة الى ان وصل الى بيت الوزير فلما رأوا الامير سلموا عليه فترحب بهم وقال للشيخ أريد منك سماط طعام فيه من جميع الالوان ويكون ذلك كله في ساعتين من غير زياده وكلما طلبته فهو حاضر بين يديك فقال له اذا كان الامر على ما ذكرت فأنا أصنع لك ذلك بشرط ان تمنع عنا عثمان ورفقاه وأما اذا كان معنا فلا نعرف السماط ولا في عشرة ساعات فقال له لك ذلك يا اسطي ثم ان الامير بيبرس احضر

عثمان وأوصاه بذلك الامر والشأن وحلفه بالسيده انه لا يتعرض لهم في شئ ثم صار الطباخ يرتب اشغاله وكل شيء حاضر بين يديه (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك الصالح فانه التفت الى الوزير وقال له ياحاج شاهين تقوم بنا نحضروا العزومة عند بيبرس لاجل يحصل لنا ان شاء الله السرور ويكشف عنا كل هم وضرور لان الله ما خلق أحسن من جبر الخواطر قوم بنا ياشاهين نفك الضيق فان فيها اغاظة الاعداء وفرح كل صديق فقال الوزير الامر أمرك ياأمير المؤمنين امدك الله بالفتح المبين (قال الراوى) هنالك قام السلطان قدام الجميع والدولة من خلفه حتى وصلوا قاعة الكبش الذى فيهامحل المقصود ودخل الملك منزل احمد بن ابادبس السبكى وعند الدخول كان السلطان دخل اولا وتبعه الوزير والاكراد وبقية الدولة والامراء وغيرهم وعندما دخلوا في الدهليز وبقوا في رحبة الحوش أخذ السلطان ذات اليمين وقال ان هذا طريق المؤمنين الصالحين واما اليسار فانه طريق الكفار واخبر ياشاهين مأواهم النار (قال الراوى) ومادام السلطان يتفرج على ذلك الاماكن صناعة المهندسين الى ان وصل الى القاعة التى كانت تسمى الجنة ونظر السلطان اليها فأعجبته هو والوزير فجلس السلطان وأمر الوزير فجلس وكذلك ارباب الدولة كلا على قدر مرتبته من عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس كعادته (قال الراوى) ياساده يا كرام صلوا على خير الانام وأعجب ماوقع من العجب ان القاضى والوزير ايبك والامير قلاوون وعلاى الدين ومن يلوذ بهم من تلك الطائفة المخالفه فانهم كانوا في آخر الناس ولما دخلوا الى حوش البيت ونظروا السلطان واتباعه توجهوا فكانوا مستعجلين لاجل الفرجه على ذلك الدار وساروا على

جهة اليسار وكان القاضي أمام الجميع سار الى ان انتهى بهم الى القاعة التى
كانت تسمى بالنار الحمره فقال القاضي لاصحابه فما يكون احسن من هذه
القاعة في هذا الدار وجلس القاضي ومن معه وقد كان السلطان ومن معه
بلا تشبيه ولا تمثيل في التقدير فريق في الجنة وفريق في السعير (قال الراوى)
وأما عثمان بن الحباله لما نظر الى ذلك ورأى دولة الملك الصالح انقسمت كذلك
قال عثمان ما أحسن هذه القسمة التى لا كانت على بال أحد ثم انه مضى
الى الطباخ وقال ياطباخ اعلم ان ابو جوطه وابو فرمه والناس الذين معهم
دخلوا الجنه وأما أعداءنا الكلاب دخلوا النار وانا وسر المبرقعه ان ذاقوا
طعامنا لاقطع من الدنيا رزقك فقال له الطباخ واذا وضعنا الطعام يأ كل
الخاص والعام قال عثمان هم متفرقين يا ابن القحبه قال له الطباخ استريح انت
ياعثمان ثم ان الطباخ امر واحد من غلمانه فمضى واتى له بفرد من الصبار
فلما حضر جعله تحت يده وبعد ذلك تقدم وغرف الطعام وتقدمت الفراشين
والصحنجيه ورصفوا على الطبالى وحملوا على رؤوس الطبالجيه ودخل معلم
الفرش وفرش البيت ووضع الكراسى ووضع فوق الطباق النحاس ورسم
القبب بالطير من صناعة الحلوانية وصوانى البقلاوه والفطورات من صناعة
الفطاطرية ورسم مناظر الاضلاع المحشية والقوازى وصار يرسم كل شيء
في محل حتى أوفى ما يليق بالحاضرين وبعد ذلك صاحت الجاويشيه
بسم الله هنالك تقدم السلطان وسمى بسم الله وكذلك الوزير والدوله كبير
وصغير وجعلوا يأ كلون ويلذون ومع بعضهم يتحدثون وأما حضرة القاضي
فانه كان في النار كما ذكرنا وصحبته الوزير ايبك وعلاى الدين ومن يلوذ بهم
فاتفقوا انهم اذا حضر لهم الطعام يأ كلون منه وما بقي يتلفوه فبينما هم
كذلك واذا بالفراشين قد حضروا وفرشوا البيت ورصوا عليه الاطعمة

حتى انه رسم السماط وقال بسم الله ياسادات وكان المعلم الطباخ مزجه بالصباره فتقدم القاضي وايبك ثم وضعوا ايديهم وأرادوا ان يأكلوا فطورات وبقلاوات واذاهم على هذه الحالات ومثلها الحلاوات فتركوا الجميع واتبعوا الخضارات فرأوها على هذه الصفات فقال ايبك آه ياقاضي كيف نحن نقعد بالجوع والله وبالله انت رأيك فاسد لو كنا مع بعض شاه كنا اكلنا معه فقال القاضي تفضلوا بنا وقام القاضي أولا وتبعوه أصحابه وقال امشوا بالعجله لاجل ان تلحق سماط السلطان ياوزير ايبك قال الوزير ايبك هيا ياعلاى الدين وعلاى الدين يقول هيا يابشتك وياسنقر وتموا سائرين حتى وصلوا الى محل السلطان الصالح واذا به اكل واكتفى وقام كل من كان على السماط وسمعوا السلطان يقول الله الله اولا في الدخول أهل الجنه للجنه وأهل النار للنار لان أهل اليمين مشوا يمين وأهل الشمال مشوا شمال ياحاج شاهين وأما من جهة المأكول فى الجنـة فان الله حرمها على الـكفار وبعد ذلك قال بيبرس لعثمان كل من أكل في آنية من هذه الاوانى ارسلها الى بيته فقال عثمان تعالوا ياخدامين ابوجوطه فحضر ابو الخير سايس الشهبه فقال له عثمان انت ياعم الجدعان ما اكلتش هات رجالك ولما حضرت سياس السلطان قدم لهم طبق ورص عليه أربعة آنية من الموصوف بالذهب المرصع بفصوص المعادن وأمرهم عثمان ان يأخذوهم ويمضوا بهم الى سراية السيده فاطمة شجرة الدر وكذلك مثلها الى السيدة فاطمة الكردية وفعل كذلك الى سراية الوزير الاغاشاهين الافرم وكذلك ايدمر البلهوان وكافة من له مفهومية فيهم لمحبة الامير بيبرس حتى فرق جميع الاوانى هذا ما كان من عثمان (قال الراوى) وأما ايبك فانه التفت للقاضي وقال له ان كل من اكل طعام يأخذ أوانيه له نحن نرجع الى محلنا ونأخذ أواني طعامنا

ثم انهم رجعوا الى المحل الذى كانوا فيه ينتظرون الاوانى فرأوا على رأى من قال هذين البيتين

سار وا وسار الربع يندبه الثرى قلت بابوا فما بانوه
فاسأل منازلهم يجيبك يافتى فاتوا بها وكأنهم ما كانوا

(قال الراوى) لهذا الكلام العجيب والامر المطرب الغريب صلوا على طه الحبيب فلما وصلوا الى المكان فما وجدوا لا طعام ولا أوانى والسبب في ذلك ان عثمان بعد خروج القاضى خلا بنفسه وكب الطعام ورفع الاوانى وأما الملك الصالح بعد خروج الناس من الاكل ومن الشرابات فذكروا الله في ذلك المحل وبعد تمام ذكر الله وفروغ المجلس قال اللهم اجعل هذا البيت عامر بما فيه الى يوم القيامة فاستجاب الله دعاءه وبعد ذلك اراد الانصراف. واذا بعثمان اقبل الى السلطان عند قيامه وقال له استنا ياجدع قال السلطان مرحباً بك ياشيخ عثمان فقال عثمان انت يابوجوطه قلت انها لقمة عرس تاكل وتنسلت ياجدع البيت وحده من غير ونيس ما ينفعش وانما تقول للاشقر يعمل قيصريه بدكاكين وربع فوق كل صف من الدكاكين وتكون قيصريه مملوك حارة كاملة بيوتها ودكاكينها محفوظين وتختم لاستاذى على فرمان سلطانى بعدم مرور المحتسب والوالى فيها لا نهار ولا ليل لاجل ما يتشرف مملوكك على مملوك غيرك لانه مملوك السلطان وكل حاكم حرص فيها يكون دمه مهدور للجلاوى رغما على انف القاضى المنقرس وابيك الغليظ وعين البساريه الدبر وسر المبرقمه يا ابوجوطه ان ما كتبت لى ما اقول لا اخليك تطلع الا أعمل خلاصى معك والا اشكيك لام البيت (قال الراوى) فقال الملك الصالح وعليه بذلك ياعثمان هذا شيء مافيه ضرر بل

انه نافع ان شاء الله تعالى اكتب ياشاهين له فرمان دستور مكرم يعمل كلما شاء واكتب له اسعار الى كافة الدولة أصحاب الاسلام المطلوق ممنوعين لا أحد منهم يطأ ارضا يكون بيبرس فيها لكون ان بيبرس مقدم على جميع أرباب الدولة بنظر السلطان اليه

قال الراوى فعند ذلك كتب الفرمان الملوكى والاسعار السلطانى ووضع العلامة بيده الملك ووضعت اختامهم الوزراء وكبراء الدولة كما ذكرنا وبعد ذلك ركب السلطان ومشى الامير بيبرس فى ركابه فأمره بالركاب فركب وسار على اثر السلطان وكان الوزير شاهين فى الميمنة وايبك فى الميسرة وما زال السلطان حتى دخل الى شارع السيده زينب رضى الله عنها فنظر الخليج ممدود على ظهره خشب يدوس عليه المار من على الخليج فقال الملك الصالح ياشاهين هنا يحتاج قنطرة لاجل راحة الناس في العبور فقال ايبك يا بعض شاه أؤمر بيبرس يعمل قنطرة هنا تبقى تنفع المؤمنين فقال له الملك الصالح صدقت ثم التفت الى بيبرس وقال له ابنى ها هنا قنطرة ولكن تكون كاملة الاوصاف وكذلك كل محل يكون مثل هذ اجعل له قنطرة بالبنا الحجر وعقد طيب بالمؤن الطيبة لاجل منع الضرر عن الناس عسى الله ان يرحمنا بسبب ذلك واذا مشوا الناس عليها بلا تعب يترحمون على من بناها جيلا بعد جيل وانت ياولدى يبقى لك فى العماره صواب واما أنت ياشاهين اكتب له حجه بعمارة اربعة قناطر على طرف السلطنه ويبنى ايضا الحارة التى مراده بنيانها والدكاكين والاماكن لاجل ان يصير الشغل متواصل لاينقطع ابدا فقال الوزير على الرأس والعين ولما وصلوا الى قاعة الجبل وجدوا القديم الارل جالس السلطان على تخته وامر الوزير ان يكتب الامر والاشعار الى بيبرس

بعمارة القناطر وأخذ بيبرس الاشعار والامر ونزل من القلعة بعد ما رمى عليه الملك الصالح قفطان وقال له انت معمرجي باشا

(ياساده) وبعد ذلك خرج الامير بيبرس من الديوان فتلقاه عثمان ونظر الى ذلك القفطان فقال له مبارك لملك ان تكون مشد تراب اوآغة كلاب فقال بيبرس ياعثمان ايش هذا الكلام فقال له عثمان اياك تكون ابست صدار مطبخ لاجل يبقى عندنا الاكل بكثره فقال له بيبرس انا لبست السلطان معمرجي باشا ياعثمان فان السلطان لما طلع قصد مقام السيده يروم زيارتها فنظر الى الافلاق الخشب كما ترى فأمرني ان أضع محل الاخشاب قناطر ومرامى وانا رأيت ان تحضر لى شيخ المهندسين فقال له عثمان اذا كان الامر كذلك يكون اول المعاملة قنطرة المبرقعة فانها حرام البيت وصاحبة الشورى فقال له انت حضر لى المهندسين فقام عثمان في الحال واحضر المهندسين فلما نظر بيبرس اليه قام وركب واخذه الى مقام السيده زينب وقال اعلموا أن السلطان امرنى ان ابنى هنا قنطره ولكن تكون غريبة المثال فقال المهندس يادولاتلي ان الطريق اعوج هاهنا واذا وضعنا جدار يبقى الصور اعوج ومع صورته يضرب فيه الماء فيكون سريع العطب فاذا كان ولا بد من بنيانه فيكون قنطرتين قصاد بعضهم فقال له بيبرس افعل ياابى الذى تعرفه فعند ذلك امر الحجارة بقطع الحجر من الجبل وحضرت النحاتين ونحتوه وكذلك الجباسين وجهزوه في ايام قليلة وانعقدت قنطرتين التى تجاه السيدة وصنع على وجه الواحده سبع ذات اليمين ولبوه ذات الشمال وكذلك فى الثانيه فسموهم العوام قناطر السباع وكذلك وعقد قنطره في فم الخليج من خارج البوابه وكذلك الذى تحت عنهم وكان جدارها رخام وهو ساس القنطره وسموه العوام الخليج

المرحم وكان الامر كما ذكر ومن بعد تمام القناطر اجتهد الامير بيبرس في بناء الحارة والدكاكين واربع من فوق الدكاكين ودار الامر كذلك حتى انتهت الحاره من البنا فكانت كلما تكلفوه على طرف السلطان من احجار ومؤنه واجرة صناعه وأما الحارة فانها كانت على طرف الامير بيبرس وبعد ذلك دخل المهندس وقال له يادولاتلي اعلم ان الحاره تمت فنهض بيبرس وتفرج على ذلك الدكاكين والاربعة قناطر والحاره والبيوت فعند ذلك جلس الامير بيبرس في بيت احمد ابن أباديس وانعم على المهندس والنقاش وكذلك أرباب الصنائع وجبرالله خاطرالجميع وطلعوا جميعا حامدين شاكرين (قال الراوي) وبعد ذلك قال بيبرس ياعثمان مرادي منك ان تاتيني بناس يكونون من أرباب السبب والصنائع فقال له عثمان سمعا وطاعة ثم ان عثمان طلع الى السوق ونظر الى بعض أناس بشارع الصليبة ونقا عشرة أنفار منهم أثنان زياتين واثنان خضاريه يابس وخضاريه أخضر واثنان جزارين خشن وضان ورجل علاف ورجل مزين ورجل قهوجي ورجل فكهاني فلما اوقفهم بين يدي الامير بيبرس قال لهم أنتم ايش صنائعكم فعرفوه صنائعهم فقال للزياتين انتم تكونوا في باب الحارة وقد رتبهم واحد على اليمين وواحد على الشمال ومن بعدهم الخضاريه الخضري الناشف ذات اليمين والخضري الاخضر ذات الشمال وهكذا الى آخر العشرة وقال لهم انتم أول ناس سكنوا في ملكي فكل واحد منكم يأخذ مني ثلاثمائة دينار مائة يشترى بها سبب ومائة تكون ارضية على الجاني الذي يأخذ الاستئجار والمحتاجين لربما رجل يكون محتاجا يأخذ شيئا ولم يكن عنده دراهم فلا تردوه واعطوه وعندما يتيسر الحال يأتي لكم بحقكم وأما المائة الثالثة فتكون بيد الواحد منكم نقدية لاجل التوسع

في الاخذ والعطا هذا لارباب السبب وكذلك القهوجي وأما المزين فانه يحضر عدة طيبة وهي مرايات وطشوت وطاسات وبشا كير ويأخذ الثلاثمائة دينار لحيرانه ويستغنى عن المصرف حتى تدور دكانه فان الواحد لا يعلم محاله لكن بشرط ان البيع لايكون الا بالجد والانصاف ولا يكن فيه غدر على خلق الله والرطل الزياتي اربعة عشر وقية وها انتم جميعا كل واحد منكم يبقى له ثلاثة رساميل رأس مال سبب في دكانه ورأس مال في جيبه نقديه ورأس مال عند الزبائن لاجل عدم المضايقه ولكن بشرط ان تكون السدد نضاف قويه وكذلك شربة الزيات نضيفة وكذلك المزين وعدة القهوجي كمثل الملبوس النظيف مع عدم الوسخ وكل من سكن في دكان يحط اولاده وحريمه في البيت الذي فوقه وأجرة الدكان والبيت سبعة سنوات من غير أجرة ومدة السبعة سنوات مؤنة بيته من القمح والسمن والزرع وكل ما كان يلزم بشرط انكم تكونوا على ملازمة صلاة الوقت ولا أحد يتأخر عن صلاته أبدا وأيضا السقا والزبال على طرفنا بشرط النظافة من جهة الرش والكنس وكل واحد يعلق قنديلا على باب بيته وقنديل في الدكان من المغرب الى الصباح هذا لامقطوع ولا ممنوع يكون حفظا لمتاعنا ثم اني أعلمكم ان لايدخل حارتي محتسب بالنهار ولا والى بالليل لاجل انكم تكونون آمنين في الليل والنهار من الطارق بشرط عدم النقص في الاوزان وعدم الزياده في الاثمان وبعد ذلك فكل من كان يريد السكنى في أملا كنا على هذه الصفة فاخبروه بذلك وكل من اراد فليحضر والله تعالى يسبب لكم فقالوا يادولاتلى سمعا وطاعه فعند ذلك دفع لهم الامير كل واحد ثلاثمائة دينار وسمعت به الناس فحضر ناس كثيره ورضوا بذلك الشروط ولامضت ثمانية ايام الاوالحاره عامره من الدكاكين والبيوت

مسكونه وصارت الحاره عامره ليلا ونهارا (قال الراوى) وصارت هذه الحارة بيع وشرى مع عدم الجور والاسراف وتبعها النساء والرجال وسكنوا فيها عطارين ودخاخنيه ونقلية وحلوانية وفطاطريه وقد امتلات الدكاكين وكان يزيد على التسعين دكان وخلفهم وكائل وفوقهم أماكن الى السكنة فصارت هذه الحارة لم يكن فى مصر مثلها ابدا ولما نظر بيبرس الى حارته وازدحام الناس وطلب المساكن والدكاكين فعمر اربعة حارات وجعل في كل حاره جامع ومساكن يسكن فيها الناس وسماهم باسمائهم وباخطاطهم وهم حارة عمرشاه متركب قنطرة عمرشه وحارة لالاه وحارة مسكه وحارة الجودريه وهؤلاء الحارات مشهورين الى وقتنا هذا لان الدكاكين بحارة الامير بيبرس كثيره واما البيوت البيت الواحد متركب على دكانين او ثلاثة فبقت الساكنين سكنوا عيالهم في تلك الحارات واقاموا هم فى دكاكينهم (قال الراوى) وكان رجل صناعته مزين ودكانه بجانب حمام باب البحر وعادته انه يقوم في الفجر يدخل الحمام يشتغل فى كاره يعنى يحلق ويحجم حتى الى قرب الظهر يروح الى بيته يتصافا مع زوجته ويتم نهاره فى بيته الى يوم من بعض الايام اشترى من حارة ايبك التركمانى اربعة أرطال لحم بدرهمين فضه وخمسة ارطال باميه بنصف درهم ونصف رطل سمن بدرهم فضه ثم انه مضى الى بيته فقالت له زوجته من أين أتيت بهذا ياسيدى فقال لها من حارة المعز ايبك فقالت خيبه الله هو وحارته والله ما هذا الا لحم نعجه عجوزه وهذه البامية شايخه وهذا السمن فانه مخلط وثانيا وزنهم ناقص وكذلك اللحم عظام كله والاربعة ارطال فى حارة الامير بيبرس قدر هذا مره ونصف قسما بالله الذى لا اله الا هو لايمكن ان تستريح فى هذه الظهريه ولا تراني لك ضجيعة ولا سامعة لقولك ولا مطيعة الا ان تقوم

ترد هذا اللحم والخضره والسمن الذى أتيت به من عنده وتروح تجيب من حارة الامير بيبرس فان الناس الذى فيه عددهم نظاف وملابسهم نظاف وبيعهم بالجد والانصاف كما أمر سيدنا محمد جد الاشراف (ياساده) فقال لها زوجها هذا اليوم مضى ومن الآن مابقيت اشترى شيئا الا من حارة بيبرس ولما كان من الغدا اشترى نفقته من حارة الامير بيبرس فوجد فرق بعيد بين هذا وذاك في الوزن والفرط فى الثمن فعلم ان الحق في ذلك بيد زوجته فحكى لاصحابه فى دكانه وفي الحمام وتسامعت الناس بذلك فصارت حارة بيبرس هى أحسن الحارات التي في مصر وشاعت هذه الاخبار وصار كل من اشترى لمنزله شيئا تسأله زوجته من أين جبت هذا فان قال من خلاف حارة بيبرس لازم ترجعه ولا تقبله والقى الله محبة حارة بيبرس وسكانها فى قلوب أهل مصر نساءاً ورجالا هذا ماجرى صلوا على خير الورى (قال الراوى) وأما ما كان من القاضى صلاح الدين فانه سمع بهذه الحاره التى انشاها بيبرس فقال لابد لى من الفرجة فيها ثم انه ركب بغلته وسار الى ان دخل الى تلك الحارة فوجدها كالبستان وسكانها كالاغصان وهم فى امن وآمان من تصاريف الزمان وكان ذلك آخر النهار بعد نزولهم من الديوان ولما نظر الى تلك الحارة لحقه منها كل بلية وهى قدامه مثل العروسة المجلية وهى نزهة لمن يراها فلما رأى ذلك ضاقت في وجهه المسالك فتنهد تنهيد وزاد به غيظ شديد وضاق صدره وعيل صبره لما له من العداوة ان يرجى بها المودة الاعداوة من عاداك فى الدين (ياساده) فصار ينتقل من مكان الى مكان وعيناه في أشد الغارات ودام ماشى وكتم مابه من الحرارات حتى انتهى الى آخر الحارة ولما زاد به الغيظ التفت الى غلامه وقال ايش رايت يامنصور انا والله ضاقت على جميع الامور وكلما

افتح هذا الغلام باب ينجو منه بستر وحجاب ويعلوا قدره ويهاب فقال له الغلام وكيف يكون الحال اذا كان تدبيرك يطلع كذاب والامر لابد له من خطاء وصواب فقال القاضى لابد ان نتسبب فى انقطاع أجله بكل الاسباب (قال الراوى) وبعد ذلك ساروا الاثنين وما زالوا سائرين حتى خرجوا من مصر ماشيين ووصلوا الى دير الطين وكان بذلك المكان دير راهب لعين معرفة القاضى من مدة سنين واسمه مشمتين فلما وصل القاضى الى الدير طرق الباب فطل ذلك الراهب فعرفه ونزل سريعا وفتح له الباب وسلم عليه واجلسه الى جانبه ولما استقر به الجلوس سأله الراهب عن حاله فقال له حالتى حالة المسكين ذهبت منى كثير من الاموال ولا بلغت آمال وأنا خايف على دين النصارى الذى ما بقى له اماره لاسيما اذا ارتفع قدر هذا الغلام الذى اسمه بيبرس فانه لايبقى لطائفة دين النصرانية ذكر لانه اذا صار سلطان على المسلمين لم يبقى لدين النصارى ذكر يذكر فى جميع اقطار البلاد فانه يهدم الديور ويجعلهم قصور ويهدم الصوامع ويجعلهم جوامع ويقيم شعائر المسلمين ويهلك النصارى أجمعين فعند ذلك تعجب الراهب من القاضى وحار فى أمره وقال المسيح يكفينا شره ويمكننا منه ومن قتله حتى نعدمه مهجته (قال الراوى) فبينماهم كذلك واذا بالباب طرق فطل الراهب وقال للقاضى ان الوالى حضر فقال ياراهب ومن هو الوالى فقال له هو حسن اغا الذى من اتباع المعزايبك فقال له ولاى شيء أتى الى هذا الدير قال الراهب لانه نصرانى وما هو مسلم فقال له القاضى اخفينى فى موضع حتى أرى كيفيته فعند ذلك ادخله فى مخدع (قال الراوى) ولما طلع الوالى خلع ماعليه من الملابس متاع الحكم والولاية ولبس التقمليه وشد الزنار ووضع على رأسه قلنسوة وجعل الصليب بين عينيه وسجد للصليب لعنة الله

عليه فبينما هو كذلك واذا بالقاضي اقبل اليه فرأى ماذكرنا من الفعال فقال له قبح الله ذالك ياملعوت انت نصراني نعوذ بالله منك ومن صفاتك لانه حال حرقك باليمين وسوف اعلم بك أمير المؤمنين (يا سادة) فلما سمع حسن اغا ذالك المقال قال له يامولانا القاضي هو نصراني وقد كشف الله لك ذلك وها أنت رأيتني في الدير ولكن انت ما الذي أتى بك الى هنا وانت رجل قاضي شهير هل ترى هذا الجامع الازهر اما نظرت الصليب على بابه والاماره وانه دير مخصوص للنصارى فضحك القاضي من هذا الكلام وقام قائما على الاقدام ووضع من على رأسه مقلته ورمى الحذفه وخلع فرجيته فبان من تحت ملابسه الفوقانيه ملابس على بدنه نصرانيه فلما نظر حسن اغا الى ذلك فرح فرحا عظيما فقال له من انت ياقاضي الديوان قال انا هو جوان ابن عصفوط صاحب بحيرة يغره لم يكن في بدنه طاهر ولا شعره فقال حسن اغا انت نصراني فقال نعم نصراني صحيح يشد الزنار ويعبد المسيح فقال له اقعد الى جانبي فانت بقيت اكبر حبايبي فعند ذلك جلسوا الاثنين في المصاحبة والوداد على شرب الخمور والفساد والضلال وعدم الرشاد وبعد ذلك صار جوان يبكي فقال له حسن اغا لاى شيء تبكي يا ابي فقال له اما تنظر مافعل بيبرس وكيف انه بنا حاره وجعلها أحسن حارات مصر وجعل فيها مسببين وارباب صنايع وبقت عامره وكل ما تسمع بذلك تتوقد في قلبي النار وانا من هذا الحال محتار وفي غاية مايكون من الافتكار واريد منك ياولدى ان تجتهد في حرقها وتصبحها خراب قفار لاجل ان يطمأن خاطرى وتهدى سرائرى فقال له ارتاح وانا في الليلة القابلة احرقها لك من قبل الصباح ولا يطلع النهار الا وهي رماد ودثار واتفقوا على ذلك الامر المحتوم وعند الصباح ذهب القاضي الى منزله بحارة الروم هذا ماجرى هاهنا يا كرام صلوا على

خير الانام واما ما كان من أمر حسن اغا فانه ذهب الى بيته ثم تفكر فيما طلب منه القاضى (قال الراوى) وكان لمصر سبعة ابواب * اولهم باب النصر * وباب الفتوح * وباب الحديد وباب الشيخ ريحان * وباب القرافه * وباب الغريب * وكان كل باب منهم له مقدم يغفره من الداخل والباب السابع باب الحجر * وكان كل مقدم له رجال من تحت يده للخدمة والغفر ولكن الاكبر على جميع مقدمين الدرك بباب الحجر وهو الحاكم على الجميع والمتكلم عليهم يقال له المقدم مقلد مقدم البوابه وكان مقلد هذا من اولاد الزنا المسميه وهو رأس كل بلية ورأس كل حرامى وشرطى وخطاف عمايم وله رجال من تحت يده ايضا تغدو مناظرة على البلاد بالليل وعنده مفهومية فى القياده ويده تدور على المرصين الذين يسرحوا الاولاد فى مصر للخانات والذين يمرصون على النسوان كذلك وهو مستوفي الشروط من جميعها (ياساده) فلما عرض هذا العارض على الوالى من جهة حرق حارة بيبرس فتصور له ان لا أحد يقدر على ذلك الا المقدم مقلد فعند ذلك أرسل الوالى الى المقدم مقلد رسول وهو يقول له تفضل الى الامير الوالى فانه عرضت عليه حاجه وهى لازمة اليك فقال سمعا وطاعة ثم انه لما سمع ذلك الكلام نهض قائما على الاقدام وهو لايخشى ملام لانه تربى على أكل الحرام والفسق وشرب المدام وركوب الآثام وهو كما قيل في حقه هذه الابيات

ومقدم الف الشدائد كلها ... ومقلد بالشر والحرمان
وله على فعل الحرام جسارة ... ما يختشى من سطوة المنان
ويداه قد الفت على فعل الاذى ... وذوى الاذيه عنده غلمان
قدره عظيم عندهم ... وعلى القبائح كم له نشان

لكنه حقا ذليلا ناقصا عند الكرام معذب ومهان

(قال الراوى) ولما حضر المقدم مقلد الى بين يدى الوالى حسن أغا قام له على قدميه واجلسه بعد ماسلم عليه واكرمه غاية الاكرام وامر باحضار الطعام فأكلوا وبعد ذلك احضر الوالى المدام وقال يامقدم أنت نديمى وانا أحبك كثيراً لانك جدع وعمرك ماتخاف ولا تفزع ففرح مقلد بذلك الكلام وقد تعاطى من المدام وبعد ذلك دار بينهما الكلام فقال الوالى يامقدم مقلد انا لى عندك حاجة ولكن ما احد يقضيها غيرك ايش تقول في قضاها فقال له المقدم مقلد ماهى الحاجه حتى ابذل مهجتى فيها واقضيها لك فقال له ان هذا الولد بيبرس الملك الصالح يحبه كثيراً وانه بنا حارة كبيرة واظنك شفتها وامر فيها السلطان ان لايدخلها والى ولا محتسب لافي الليل ولا في النهار فما خلصنا يامقدم مقلد وان جئت اعاملك وأريد منك في هذا النهار أن تحرق حارة بيبرس وتجعلها خراب بعد العمار ولك عندى مائة دينار فضحك المقدم مقلد وقال له ارتاح ياأمير هذا أمر هين واقرب مايكون عندى فلا بد من حرق هذه الحارة واحط على رأس صاحبها الف غاره ثم انه نزل بعد ذلك الاتفاق وكان هذا مقلد يبغض الاسطي عثمان بن الحبله وبينهم من قديم الزمان بغضه وكان المقدم مقلد له غلام اسمه فضه فقال له يافضه مرادى منك أن ارسلك الى كفر الجاموس ثم انه في الحال كتب كتاب واعطاه الى فضه وقال تسير من هنا الى كفر الجاموس وتسأل عن شيخ العرب حرحش ياولدى وتعطيه هذا الكتاب وتأتى من عنده بضده فقال له الغلام على الرأس والعين (ياسادة) وكان هذا حرحش شيخ منصر ويحكم على ثمانين اصر وضراب من اولاد الزنى واضل منه الا انه كان جبار ولكن كان فيه شيء

تقرب اليهم بالتوسل والدعا تنال العلا وتكيد كل الحواسد

(قال الراوى) ولما فرغ شيخ العرب حرحش من نظامه اغتاظ المقدم مقلد من كلامه وتكلم بضد ذلك الكلام وقال له دع الذنب يبقى على وافعل ما أمرتك انا به والسلام فلما سمع منه ذلك قال سمعا وطاعة وامتثل أمره لكن على مضض منه ولو كان يعلم ذلك ما كان اتى من مكانه ولما تقرر الامر بينهما امر مقلد غلامه فضه أن يأخذ اثنين من غلمان حرحش ويمضون الى حارة بيبرس وينظرون الحاره ويدوروها فنزلوا ولا زالوا كذلك حتى دخلوا الحاره ونظروها وجعلوا يتأملونها بالاشارة حتى توسطوا وسطها وكان الوقت وقت الظهر وكانت ايام صيف وجميع الناس نائمين في بيوتهم فلما توسطوا الحاره قالوا الاثنين لبعضهم هذا المكان لم يمكن حرقه بالنهار فان النهار نور فاذا اولعت النار والناس نيام فلا بد يضجوا الناس ويطفوها فلا نبلغ مرام ولكن نروح الى حال سبيلنا فاذا جن الليل نعود ونعمل أشغالنا ثم انهم رجعوا الثلاثة واعلموا المقدم مقلد وشيخ العرب حرحش بما اتفقوا عليه وان الامر يكون بعد العشا يبلغوا مرامهم ويحرقون الحاره وصارت في لزومهم (قال الراوى) ومن لطف الله تعالى انه كان رجل خياط نائم فى جورة الدكان وفي ذلك الوقت فايق لم ينم وقد وقفوا أمام دكانه وهو يسمع كلما قالوه لانه يراهم وهما لا يروه ولما ان سمع هذا الكلام وهو في جوار الدكان نخاف على دكانه من النيران ثم أنه كتم ذلك الامر والشان وصبر حتى مضوا الى حال سبيلهم وسار الى الاسطى عثمان وكان عثمان جالس في اصطبل الخيل ولم يعلم مادبروا الاعادى وما أرادوا أن يفعلوا بالليل واذا بذلك الرجل دخل عليه وقبل يديه وقال له يا أسطى عثمان انا

كنت عند الظهر نائم فما اشعر الا وثلاثة رجال مثل فروخ الجان وقفوا أمام دكانى وانا اراهم ولا أحد منهم يرانى واتفقوا على حرق هذه الحاره في هذه الليلة وها انا أتيت اعلمك بهذه الحيلة وهم يقولون ان الدكان هذا هو الذى نبدوه فى الحرق وكان كلامهم على دكانى وقد اتفقوا على هذه الاشارة فلما سمع عثمان ذلك تعجب من هذا الامر المنكر وناول الرجل محبوب وقال له لا تمد هذا الكلام الى أحد من الناس واترك عنك هذا الوسواس ولا تعلم به احد من الناس

(قال الراوى) ثم ان عثمان أرسل الى البوابين أحضرهم بين يديه وقال لهم امضوا الى بيوتكم في هذه الليلة وما لكم تعلق بحارتنا ياجماعة فقالوا له سمعا وطاعة وانصرفوا البوابين الى منازلهم من تلك الساعة وبعد ذلك عاد عثمان الى السوق وقال لاهل السوق عزلوا دكاكينكم فى هذه الليله من وقت العشا ولا تشعلوا قنديل وخلوا الحارة ظلمة في هذه الليلة وكل من خالفنى منكم أعدمته القوه والحيل فقالوا سمعا وطاعة وقد عزلوا الدكاكين من المغرب وبعد ذلك جمع عثمان رجاله السياس وقال لهم ياجدعان أنا سمعت ان جماعة مرادهم يدخلوا فى غفلتنا ويحرقوا حارتنا فالمراد انكم تكونوا معى حاضرين وتقفلوا البوابه وتفتحوا باب الخوخه ثم اننا نقف من خلفها ذات اليمين وذات الشمال ولكن تكونوا صف واحد بجنب واحد حتى اذا دخل الغريم من باب الخوخه أتلقاه أنا من قفه وأوضع له الاكرة فى حنكه وأسلمه الى الذى بجنبى والذى بجنبي يسلمه للذى بجنبه وهكذا حتى يصير داخل البيت الجوانى بحيث اذا هو زعق فلا احد يسمعه من رفقائه فقالوا له سمعا وطاعة (ياسادة) وبعدان فعل ذلك عثمان ورتب ذلك الترتيب وجلس تحت باب الخوخه

التى بالبوابة وهو منتظر للخصم حتى يحضر هذا ماجرى هاهنا وأما ما كان من شيخ العرب حرحش والثمانين رجل الذين صحبته فانهم مازالوا سائرين الى ان وصلوا الى الحاره وكان محضر أصحبته عشرة قواوير ملآنه من زيت النفض وقرطاس كبريت والآله التى تصلح للحرق فلما وصلوا الى باب الحاره واذا بالحاره مظلمة معتمه وبوابتها مقفوله ولم يروا أحدا فيها كافة والشخص اذا كان ماشى لايرى رفيقه وهذه الظلمه أحسن لهم من النور لاجل الكائن فى علم الله العزيز الغفور فانه يحدث من بعد الامور امور فقال شيخهم حرحش نحن بلغنا الذى فاتنا نقضى أشغالنا ولا أحد ينظرنا ولا يعلم بنا ولما أقبل حرحش الى باب الخوخه أرسل رجلا من رجاله وقال له امضى وادخل واكشف لنا الخبر وشوف لانه من العجب كيف ان الحاره دائما سهرانه وفي هذه الليله أهلها نيام وكل ليله فيها قناديل وهذه الليلة ظلام واعرف بيت بيبرس ان كانوا الذى فيه نائمين بالعجل وائتنى بالخبر اليقين فقال له الرجل سمعا وطاعه ودخل من باب الخوخه وكان عثمان يسمع فيما يقولون وقاعد ينتظر مايفعلون فلما دخل الرجل نهض عثمان كأنه النسر الحردان ووضع يده اليمين على فمه ويده الشمال على قفاه وقد ناوله للذى بجنبه والآخر اعطاه للذى بجنبه وهكذا وهم ينقلوه من واحد الى واحد حتى أوصلوه الى حوش البيت الثانى وكتفوه هذا ماجرى واما شيخ العرب حرحش لما مشى من قدامه الرجل ولم يسمع له خبر فقال للثانى الحق أخوك قال سمعاً وطاعة ونزل ليتبع أخاه وكان عثمان قاعد فتلقاه ولحق به اخاه وبعد ذلك صفر عثمان فظنوا الرجال ان الذى صفر لهم رفيقهم وكان عثمان صاحب فهم فى هذا الفن ومادا موا يدخلون واحد بعد واحد وعثمان يتلقاهم هو ورجاله حتى أخذوا الثمانين ولم يبق الا شيخ العرب حرحش

فرقف وهو منتظر خبر رجاله فصفر له عثمان فصفر الآخر فصفر له عثمان ثانيا وثالثا فعندذلك ظن شيخ العرب حرحش ان رفقائه رأوا الحارة خالية وجميع الناس نائمين وهم يريدونه ان يدخل لهم ليقضوا أشغالهم فتقدم الى عند الباب وهو يريد الدخول واذا بعثمان قبض عليه وادار ه كتاف على حين غفلة منه ثم سحبه لى الحوش الجوانى وأمر عثمان على القناديل فاوقدت ثم صاح عثمان على الرجال وقال ياجدعان كل من كان معه رجل يأخذه ويخرطه فقالت السياس سمعا وطاعة ثم أرادوا ان يفعلوا ذلك واذا بالرجال صاحت عليهم وأرادوا المنع منهم فصاح عليهم لا ترجعوا عنهم بل اخرطوهم فنادوا نحن في جيرتك ياأسطى عثمان فبينما هم كذلك واذا بالامير بيبرس سمع الصراخ فنزل يجرى على الحس فوجد الرجال المقبوض عليهم وهم مكتفين فقال بيبرس مايكون الخبر فقال له عثمان مالك ومال الخبر انت خليك في حالك فقال له الامير وماذا يكون حالك قال له نريد ان نخرط هؤلاء الرجال وكل واحد منا يخرط واحدوامنا انا اخرط كبيرهم فقال بيبرس ياعثمان اختشى من الله تعالى الرجال يخرطون قال عثمان وما نيك الا نيك الرجال فصاح عليه بيبرس وفرد الات وقال ابعد عنهم انت ورجالك فتأخر عنهم وتقدم الى عند كبيرهم حرحش وقال له من تكون انت فقال له انا شيخ العرب حرحش وهذه رجالى وانا من كفر الجاموس وقد اتيت الى هاهنا اريد احرق هذه الحارة واقتلك وما ارمانى في يدك ويد عثمان الا هذه السيدة زينب لانها مكرمة لجارها ثم اعاد عليه القصة من اولها الى آخرها وكشف له عن ظاهرها وباطنها (قال الراوى) ولما سمع بيبرس ذلك الكلام حمد الله تعالى ثم قال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم والله لقد حصلت لنا رعاية من حضرة السيده زينب ثم التفت

الى حرحش وقال له انت فيك قوة ومقدرة على مثل ذلك فقال له يادولاتلى انا من الاول تأخرت خوفا من السيده ولكن غرنى شيطان الانس وانا يادولاتلى بعد ما كنت خالص انشبكت وبقيت فى قبضتك فان كنت تسامحنى وتعفو عنى عسى الله ان يتوب على على يدك فقال الامير ياعثمان اطلق هذا الرجل لما انفرج كيف انه يخدم ثمانين رجل فاطلقه عثمان وقال له روح انت اهرب وخلى رجالك وكان الليل فرغ ولم يبق منه الا اليسير فصاح حرحش وقال ياصاحبة القناع الطاهر انا والله ياسيدتى اعرف حقك وتغربت في هذه النوبة وعلى يدك ياسيدتى اتوب فاقبلينى فعند ذلك ادركه النوم فرأى كأنه عائم على وجه البحر ولم يجد له سواحل وهو تعبان ومشرف على الغرق فاستجار بالسيدة زينب وهى كريمة الدارين ورأى في المنام السيدة وهى تتبختر في حلل الجنة فقال لها ياسيدتى قد حصلت منك كرامات ظاهرات فقالت له ياحرحش ان الله تاب عليك وعلى رجالك من المعاصى كرامة لى ولكن اذا وقظت من منامك وطار منك المنام يكون الصبح أقبل وولى الظلام توب على يد ولدى بيبرس وكن له من جملة الخدام انت ورجالك الثمانين لاسبيل انكم تنالوا السعد والهنا أنتم أجمعين ويزول عنكم هذا الشقاء والبلاء المبين فقال حرحش ياسيدتى انى تبت على يدك لله تعالى عن جميع المعاصى كلها وانت علي من الشاهدين فقالت أنا الواسطة أ كون فى خدمتك عند بيبرس وبعد ذلك وقف حرحش وهو يقول كلمة لايخجل قائلها وهى اشهد ان لااله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله

تم الجزء السادس ويليه السابع واوله توبة حرحش واتباعه الثمانين ويطلب من المكتبة العلمية العمومية

سيرة الظاهر بيبرس

اكبر تاريخ لمصر والشام

الذى جمع احوالهما وعوائد اهاليهما وما وقع بهما من الحروب والحيل والخداع وما كان بهما من العجائب والغرائب التى حيرت النبلاء وادهشت عقول الاذكياء وهذا التاريخ جامع هذه الاحوال من سنة (٦٠٠) من الهجرة واخبار ملك مصر والشام من ابتداء ايام الملك العادل يوسف صلاح الدين الايوبى اول الملوك الايوبية وشجرة الدر والمماليك خصوصا ما وقع فى زمن الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة السلطان محمود الظاهر بيبرس

تاليف الدينارى والدويدارى وامير الجيش المشهور بكاتم السر رضى الله عنهم اجمعين

وهى مقسمة خمسين جزء

الجزء السابع

الطبعة الاولى — سنة ١٣٢٦ هـ — و ١٩٠٨ ف

طبعت على نفقة محمد امين دربال تباع بالمكتبة العامية العمومية بشارع الحلوجى بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسينى



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قال الراوى) واعجب ماجرى من الاتفاق ان الامير بيبرس ما
عفى عنه وسامحه الا لانه نظر السيدة زينب وهى تقول له اعف عنه ويكون
لك من جملة الخدام على طول الايام فانت عاوز غيره فقام بيبرس فى الحال
وطلب حرحش لاجل صحة المنام وقال له ياحرحش انت تستحق ايش في
نظير ما كنت ناوى تعمل قال له ياسيدى اما انا استحق شيء كثير لكن
انا بقيت من المحسوبين على جناب السيدة زينب الذى انت مجاورها انا
ورجالى فقال له تتوب قال له ياسيدى انا تبت لله على يد السيدة فقال له
وانت فى كرامتها اطلقه ياعثمان واطلق رجاله فقال له ياسيدى ان كنت
عفوت عنى فاقبلنى لك خديما قال له بيبرس مرحبابك تسلمه ياعثمان هو
ورجاله جملة مع السياس قال عثمان مرحبا ياجدع ثم ان عثمان اطلق الرجال
من الكتاف جميعا وقد تابوا الجميع توبة نصوحا عن جملة المعاصى ورتب

لهم الامير بيبرس الجرايات والعلوفات وقال جرجش لعنة الله على مقلد وكل من يلوذ به والله مابقيت اخرج من تحت ركاب هذا الدولتى ولا من خدمة عثمان اذا كان ذلك بأمر غفيرة مصر صاحبة القناع الطاهر فأقام هو ورجاله فى أهنا مايكون من العيش الهنىء (قال الراوى) واعجب ماروى فى هذه السيرة العجيبة انه فى صبحية ذلك النهار ان مولانا السلطان بات واصبح يصلى على نبى فى كفه الورد فتح فظهر وجلس على تخت قاعة الجبل بعد ماقرأ الفاتحه حكم عادته والتفت الى الميامن أطرقت والى المياسر أطرقت والصدر والجناحين وقرأ القارى وختم ودعى الداعى وختم رقى الراقى وختم آمنت العساكر ترك وعرب وعجم زعق شاويش الديوان يقول

اذا عطيت ولاية كن عادلا * واعلم بأنك بعدها معزول

واذا رأيت جنازة فاسعى لها * واعلم بأنك بعدها محمول

(قال الراوى) فقال السلطان آمنا وبالله أطعنا ومن أين كنا حتى اتصلنا وبعد ذلك التفت الى الوزير الاعظم الاغا شاهين الافرم ابن الدرويش عثمان بك وقال له الله الله ياشاهين سبحان مسبب الاسباب فان الرجل سعى فى فساد اعقبه الله صلاح وارشاد وعما على كيد الاعادى والحساد وان الله تاب عليه وعلى من معه وأناس أشقاهم الله فانهم يرومون على شقاهم ياوزير كما قال الله اللطيف الخبير الآية فريق فى الجنة وفريق فى السعير ونسأل الله الحماية ياشاهين من الشقا سبحان من له العزة والبقا ياحاج شاهين الطير بقى حوله طيور خضر وله مناقر طوال واما الطيور السود فانهم مطرودين ومبعودين ولا بد من البركه على طول الايام تشف شىء بشىء وتبان الزقازيق للصياد الذى تايه فى الماء قال فلما سمع الوزير ذلك الكلام تعجب (ياساده) واذا بالوالى يقبل الارض

بعد ماخدم ودعى بدوام العز والنعم ولما نظر اليه القاضى تحرك من مكانه وهز ديدبانه وجنح طيلسانه ودور العمامة وقال ياوالى مصر ياامير حسن اعلم ان اولاد الزنا تجاسرت الآن على الاماكن ولم يخشوا على انفسهم وكذلك اصحاب البيوت لم يوقدوا قناديل على بيوتهم وهذا كله من عدم الالتفات فشق مصر ليلا ونهارا وعليك بعدم الاهمال فى السر والاعلان (فقال) الملك عرفوا بعضهم بعض طاوع ياوالى مصر استاذك على الذى قال لك عليه فاننا اذا ماأتتنا المنايا الى بلادنا سعينا ورحنا للمنية بأرجلنا كما قال القائل هذين البيتين

اذا كان عون الله للعبد مسعفا * يهون له من كل امر مراده

وان لم يكن عونا من الله للفتى * فاول مايجنى عليه اجتهاده

(قال الراوى) فعند ذلك نزل الوالى من الديوان وركب على جواده فتقدم اليه المقدم وقال له الى اين اتوجه يا امير قال على حارة بيبرس فقال له المقدم انت ما سمعت ان السلطان امر ما يدخلها احد لا والى ولا محتسب قال له حسن انت يا مقدم مجنون نحن اتباع ولاية اذا كان لازم سوء وسيوفا عنا مطلوق ما فيش خوف علينا من جنس مخلوق امشى على حارة بيبرس فقال المقدم حاضر وسار على الحاره لكن غصبا عنه وهو يقول للقواسه والله يا اولادنا ان قلبى خايف فقال له واحد من القواسه انا والله حصل لى قبض من النوبة هذه فقال له الآخر انا عينى ترف ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى باب الحاره وكان فى باب الحاره اول دكان الزيات على اليمين وعلى الشمال فمال الى الذى على اليمين وكان يسمى الحاج دلوع وقال له يا راجل يا زيات لاى شئ البارح لم تعلق القنديل قال له كان حرج علينا الاسطى عثمان وقال لنا الليلة روحوا

من العشاء وخلوا الحارة ظلام قال له الوالى واين عثمان ثم ضربه علقه
وانتقل بعده الى الذى بجانبه وكذلك الى آخر الحاره وبعد ذلك توجه
الى حال سبيله فقالوا أهل الحاره لبعضهم بعض نحن ما كنا طفينا القناديل
الا بأمر عثمان هو الذى قال لنا والآن الوالى جاءنا وضربنا ونحن نروح
الى الامير بيبرس ثم جمعوا بعضهم وقد مضوا الى عند البيت وطلعوا الى
المقعد فعرضهم عثمان فقال لهم خـ... ايه يا جدعان قالوا نريد الامير بيبرس
وان هذا امر لا يخصك قال عثمان ادخلوا فدخلوا على الامير وقرؤا له
الفاتحة مثل الفقراء وصبحوا عليه فاكرمهم وقال لهم ما الذى تريدونه
قالوا له ان الوالى جاءنا فى هذا النهار وضربنا وتعلل علينا بعدم القناديل
فقال لهم بيبرس من بعد ان سمع الشكوى من اولاد الحاره اعلموا ان
الوالى لا بد له من الطواف على الحارات لاجل عدم المشاكله ولاجل ايقاد
القناديل بالليل لازم له من ذلك ولكن حيث انكم جئتم وشكيتم لى منه
فانا اكلمه وامنعه عنكم وسامحوه هذه المره لاجل خاطرى فانصرفوا اولاد
الحاره وما نالهم من ذلك فائده فلما كان ثانى يوم طلع الوالى الى
الديوان حكم عادته فامره القاضى مثل أمس فقال الملك طاوع استاذك فانك
قد تقرب يا ولدى ميعادك فنزل وركب على ظهر جواده فقال لهم المقدم
على فين قال على حارة بيبرس قال المقدم ياامير طاوعنى واكفينا شر هذه الحاره
فان غاية الاسوده لا احد يقدر ان ينصب عليهم غاره وهذه الحاره حارة الامير
بيبرس وعنده الاسطى عثمان بن الحبله ورجاله ثمانين ويتبع الثمانين ثمانين
وثمانين واذا طلعوا علينا ياأمير ياكلونا واوانت ايش ذنب الناس الفقرا الذى
قاعدين في الدكاكين ايش مرادك بضربهم وهم ناس مساكين فقال حسن
الابيكي امشى يامقدم بلا كثرة كلام لابد لازم من حارة بيبرس فسار

المقدم واتباعه وهم يقولون لبعضهم ان هذه الفعال ماهى ماسبه وهذا
الوالى كانه مجنون فقال الاخر سوف تعود جنونه عليه ونحن اذا رأينا
شيئاً مضر نتفرق من حواليه ولا زالوا كذلك الى ان وصلوا الى
الحاره وتقدم الوالى الى الحاج دلوع الزيات وقال له يارجل قال له نعم
قال انا امرتك البارح بالقنديل ولعته وهو الى الآن والع وهاهى الساعة
من النهار وكذلك تحت الدكان عالى ووسط الطريق واطى فقال له ياسيدى
اما وسط الطريق واطى فهو من مرور الحمير والجمال وعدم رش الماء
وهذا الوقت صيف ولكن ياسيدى اذا كان كذلك نحن نقطع الارض
فقال له اقطع الارض الى تحت سبعة اذرع قال له الزيات لاى شيء سبعة
اذرع واذا فعلنا ذلك تطلع المياه قال له انت تراجعنى انا في الكلام بطال ثم
التفت الى المقدم وقال له ارمى هذا الرجل فرماه المقدم وضربه علقه وانتقل
الى الآخر وكان عطار وقال له يارجل قال نعم قال ارينى علبة القرنفل
فاتاه بها فاخرج منها كبشة وقال له يارجل هذه تشبه المخطاف الذى
للمركب والمخطاف له حلقه وهذه أين حلقتها ولابد تعمل لها حلقة قال
له وربى قرنفل عند أحد غيرى بالحلقه وانا أعمل زيه قال الوالى يارجل
يبقى انا كذاب ارموا هذا الرجل فرموه وضربه علقه ثم التفت الى الزيات
الثانى وقال له يارجل ان الجاموس أبيض ولاى شيء السمن أصفر فقال
له ياأمير ان الله على كل شيء قدير يرفع الدم وينزله فقال انت كذاب ياملعون
لابد انك انت تخلطه بالقرع الاصفر قال له ياسيدى انا ما أعرف ان القرع
يدخل في السمن قال له يبقى أنا كذاب ارموه فرموه وضربه علقه وانتقل
الى القهوجى وقال له كم فنجال بجديد قال له اثنين قال وبكم رطل البن
قال بثلاثة دراهم قال له اذا كنت توضع الرطل فى البحر يسود وانت

تبيع كل فنجالين بجديد هذا ظلم كثير قال له ياسيدى كل الناس على ذلك
الوصف قال له كأنك تراجع كلامى وتجمله بطال ارموه فرموه وضربه
علقه ثم انتقل الى بياع الليمون وقال له كم بجديد قال عشرة قال الوالى
القربة الماء بكم قال بجديد قال الوالى هات قربة واعصر فيها الليمون
حتى تملاها وبيعها بجديد واحد قال الرجل ياسلام هذا كلام ماقاله أحد
غيرك فاغتاظ الوالى وضربه علقه ولا زال كذلك يضرب واحد بعد واحد
على مثل ذلك بتعليل باطل حتى ضرب جميع أهل الحاره وطلع من الحاره
وراح الى حال سبيله(ياسادة) فضاقت صدور أهل الحاره وقالوا هذاشىء
مالنا عليه مقدره والامير بيبرس قال لنا انا أمنعه عنكم وهو جاءنا
وضربنا ونحن ندخل له ثانياً اما يمنعه عنا واما نعزل من هذه الحاره ونسكن
فى غيرها قال بعضهم كيف ونحن عيالنا ساكنين فى البيوت قال رجل
منهم الصواب اننا نروح الى الاسطى عثمان ونقع فى عرضه ونسوق عليه
السيده زينب ثم انهم اجتمعوا كلهم وراحوا الى عثمان وقالوا له نحن أولاد
حارتك وكل يوم يأتى الينا الوالى ويضربنا بلا ذنب أول يوم تعالى علينا
بالقناديل وكنت انت الذى قلت لنا لا تفتحوا دكاكينكم بالليل وبسبب
ذلك ضربنا ولما خبرنا الدولاتلى فما منعه عنا ونحن ياأسطى رجالك
والذى تعرفه اعمله قال لهم ولاى شيء ماجيتونى في الاول ولكن مقدر
عليكم ياأولاد الحاره قالوا ياأسطى الحق علينا قال هاتوا الحق وانا أرد
عنكم الوالى ان شاء الله يقطع أرقابكم قالوا له ايش مطلوبك فى الحق قال
مطلوبى تكون بسيسة بالسمن البقرى والعسل النحلى ثم غابوا وعادوا له
بستة عشر قصعة كل قصعة يغرق فيها الثور مليانين عيش ابيض نظيف

مغمور في السمن البقرى والعسل النحل فلما رآهم عثمان قال ياجدعان هذه أكله مليحه ولكن اللي يأكل الخروف يحمي أمه ثم التفت الى أولاد الحاره وقال لهم اذا رأيتم الوالى دخل الى الحاره قولوا طقطق شعيرك يادبور وبعد ذلك الزموا مكانكم وهذا الذى عليكم فقط قالوا سمعا وطاعة وانصرفوا من عنده هذا ماجرى صلوا على خير الورى (قال الراوى) وأما عثمان فانه أحضر عشره جدعان من السياس وقال لهم انتم تكونوا ملازمين الابواب واذا رأيتم الوالى وجماعته دخلوا اغلقوا عليهم الابواب كلها فقالوا سمعاً وطاعه ثم التفت بعد ذلك الى عقيرب ورجاله الثمانين والى حرحش ورجاله الثمانين وقال لهم أريد أعمل على الجندى ملعوب لاجل ان يفوتني باكر ويطلع الى الديوان وحده فقالوا كيف يكون الملعوب قال لهم انا أجعل نفسي ميتا وانتم تعيطوا علي واذا اتاكم الاكل لا تأكلوا وها انتم اكلتم البسيسة قالوا سمعا وطاعة قال لهم هيا عيطوا فارادوا العياط فما قدروا على ذلك وأخذهم الضحك فقال عثمان اصبروا وانا أخليكم تعيطوا ثم سحب النبوت وضرب حرحش على ظهره فصاح حرحش آه ياعثمان ظهرى وضرب عقيرب على ذراعه فصاح عقيرب ياعثمان ذراعى وفعل بالباقى كذلك فصاحوا بجمعهم فقال عثمان خليكم على ذلك الحال وسر المبرقعة أم البيت كل من سكت منكم كنت انا خصمه فزادوا في العياط وانطرح عثمان في وسطهم على السرير وغطوه وصاروا يصيحون عليه فلما علا صياحهم سمع الامير بيبرس ذلك فنزل الى عندهم وقال لهم ايش الخبر فزادوا في بكائهم وهم ينادوا آه ياظهرى ياعثمان ياذراعى ياأسطى عثمان يارأسي ياأسطى عثمان فتقدم الى حرحش وقال له ايش الخبر قال له تعيش

رأسك يادولاتلى في الاسطى عثمان بن الحبله توفي (قال الراوى) والله ماسمع الامير بيبرس ذلك الـكلام الابرزت الدموع من عينيه وضرب كف على كف وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليـه راجعون ثم انه تقدم الى عثمان وطل على وجهه وقبله فلم يجد فيه روح ابدا فصاح واأخاه ثم وقع الى الارض مغشيا عليه وبعد ساعه افاق وجلس عند رأسه وجعل ينظر اليه ثم انشد ينعيه بهذه الابيات

ياراحلا عنا بكاس الممات	ومبعداً عنا ببقوق الشتات
جمع الاحباب يبكوا عودتك	وانت ساكن في خلا خليات
اعلمنا اننا سوى نستقيم	وليس نعلم اننا راحلات
لو علمنا انـا راحلين	كنا تهيأنا لهـذه الهيآت
تمضى وتترك حينا خاليا	ومن يكن بعدك بذاك الصفات
فارقتنا من غير ذنب لنا	ولا فعلنا معك من سيئات
لـكنها دنيا حقيقا غادره	والآخرة حقا من الباقيات
وكلنا بعـدك نـكون لاحقينا	بعد العمار نسكن قبور داسسات
لاخير فى الدنيا ونعيمها	وعن قريب يأتنا كل آت
لوكنت بالمال يا أخى تفدى	اورد بذلك سائر الممتلـكات
عليك سلامى كل ماهب ريح	على غصون او غردت نائحات

(قال الراوى) فلما فرغ الامير بيبرس من اشعاره وماقاله من نظمه ونثره صاحت السياس على عثمان وقالوا آه يا الاسطى عثمان فقال لهم الامير ياناس كل شيء هالك الا وجهه له الحـكم واليـه ترجعون ثم صاح على عقيرب وقال له خذ هذا القرطاس الذهب وجهز عثمان بكره وهات اليه فقيه يقرأ عليه الى الصباح فاذا طلع النهار أتوجه انا الى الديوان وآخذ اجازة

من الملك ثم ارجع وامشي فى مشهده فقال عتمان فى نفسه انطلت عليه الحيلة ثم طلع الامير بيبرس ونام فلم يأخذه نوم وجعل يبكى الى الصباح ولما طلع النهار قام توضأ وصلى صلاة الافتتاح ونزل فشد له عقيرب على الحصان وطلع طالب الديوان وأخذ معه سايس من بعض السياس (ياساده) واما حرحش فانه لما طلع بيبرس للمنام وأمر باحضار فقيه يقرأ على عتمان فاحضروا له رجل فقيه يقال له الشيخ حسن السودانى وكان عتمان ضربه وأخذ عمامته فلما جلس عند راسه صار يعاتبه ويقول له كيف تقابل الله تعالى وماذا تقول واى شيء ينجيك الآن بين يدى الله يامقوت تأخذ عمامتى وتضربنى الله لايعفوا عنك ولا يسامحك هذا وعتمان سامع منه ذلك كله ولم يرد عليه جواب حتى طلع النهار وقام الشيخ طلع بالسياس وصلى بهم وتوجه بيبرس كما ذكرنا ونهض عتمان جالسا وقبض على خناق الفقيه وقال له انت كنت تقرأ علي القرآن والا تعاتبنى وتقول كذا وكذا وأنا ياشيخ سامعك وقد أحيانى الله لاجل ان اقتص منك هم قالوا لك اقرأ على الميت لعل الله يسامحه والا كنت جاى تعاتب فيه وتقول الاقوال التى كانت ولكن بقيت تستحق الاذية اما لو كنت قرأت كنت استحقيت العمولة فقال له الشيخ حسن سألتك بالله ان تعفوا عنى يا اسطى عتمان فقال عتمان عفوت وعفى الله عنا جميعا ثم ان عتمان اخذ القرطاس من حرحش واعطاه الى الشيخ حسن السودانى وقال له سر الى حال سبيلك وادعوا لنا بخير فدعا له وانصرف الى حال سبيله

(قال الراوى)واما اولاد الحارة الذين بالدكاكين فانهم من حيث قال لهم عتمان تلك الكلمه صاروا يحلمون بها من شدة غيظهم من الوالى ومن خوفهم واعجب ماوقع ان الحاج دلوع الزيات بعد مافرغ النهار وقفل الدكان

بعد العشاء وروح الى بيته وبعد ماتعشا ونام فرأى في منامه ان الوالى أقبل واراد ضربه مثل ماجرى سابقاً فزعق طقطق شميرك يادبور فانتبه من النوم وعلم انه مناماً فقالت له زوجته انت رأيت روحك تلعب مع الصغار فى الحارة فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من الاغا حسن الايبك الوالى فانه طلع فى ذلك اليوم الى الديوان فقال له القاضى ياوالى مصر اعلم أن أهل مصر لايخافون الا من الحاكم الشاطر وأما اذا كان بطال فانهم يستهزؤن به فشد حيلك فقال الملك الصالح شد حيلك رحمة الله على القائل حيث يقول صلوا على الرسول

يجرى على المرء في ايام محنته حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

(قال الراوى) فنزل من الديوان وقدم له المقدم مركوبه وقال له على أين يا أمير قال على حارة بيبرس فقال له المقدم يبقا مابقى شغل أمامك غير حارة بيبرس اما غدا فى بلد وعشى في بلد فقال له ورح يارجل أنت مالك نصاح فيه فسار وهو يقول لرفقائه انا حماتى رأتلى منامه فقال الآخر وانا أمى كمان وأشارت لى فقال الآخر وأنا زوجتى دعت على وقالت لى أمامك خضره وورائك خضره ولم يزالوا كذلك الى ان دخلوا الى الحاره واقبل الوالى على الحاج داوع الزيات وقال له السلام عليك ياأبى فلم يرد عليه سلام فقال له يارجل يازيات فلم يرد عليه جواب فقال له يارجل انت ما ترد على سلام على ايش فقال له انت رجل ماتستحى على عرضك وانت قليل الحياء روح بلا قلة ادب (قال الراوى) فلما سمع الوالى ذلك الكلام صاح على جماعته واذا بالزيات صاح طقطق شميرك يادبور فلم يشعر الوالى الا والسياس محتاطين به وبجماعته من كل جانب ومكان وكل واحد منهم مسكوه خمسه او اكثر وعروهم من ملابسهم

(ياساده) هـذا وقد روح القاضى الى حارة الروم وكذلك ايبك روح
الى مكانه وأمر خـدامين الوالى ان يجعـلوه فى تابوت وفى صبيحة غدا
يطلعون به الى الديوان حكم مارتب القاضى هذا ما كان من هؤلاء (قال)
وأما الامير بيبرس فانه سار الى داره فرأى عثمان جالسا وهو يئن ورأسه
مربوط بالمحرمه فقال له بيبرس ياعثمان قال عثمان نعم فقال له بيبرس قابي
عليك لما كنت ميتا والحمد لله الذى ربنا احياك قال عثمان ياجندى يحيي
العظام وهى رميم قال بيبرس وربنا رد عليك روحك قال عثمان نعم بعد
ما كانت طلعت روحى رجعت ثانى فقـال له بيبرس ايش الذى عملت فى
هذا النهار قال عثمان لاشفنا ولا راينا ولا جرى شيئا أبدا وادينى وادى
الوالى المنقرش قريب القاضى وادى اولاد الحاره شاهـدين ان ما كانوا
يقولوا ماشفناش ان كنت ضربته والا ضربت خـدامه ولا وقع فى دكان
السباغ فى حارتنا انى لاشفت ولارأيت فقال له بيبرس احكى لى وهو عمل ايه
الوالى قال عثمان الوالى هو الذى ضرب الناس وشكوا انت منه مرتين تقول
مقدر فكان مقدر عليهم وكان مقدر على الوالى أيضا وهو مقدور ولما
انت مرادك تخرب الحاره نخفت أنا على خراب حارتنا فقمت أنا عملت
كذا وكذا فاذا شكى لك قل له هذا مقدر مثل ماقلت لغيره فقال بيبرس
هذا ماهو الكلام ياعثمان قل لى انت عملت في الوالى ايش قال عثمان
شكوا الى أهل الحاره قلت لهم اعملوا النفقة للجدعان فعملوها فعملت عليك
الحيلة وعملت كانى ميت فايست انت منى وطلعت للديوان ولما جاء الوالى
ضربته علقه فهرب منى ووقع في دكان السباغ وغطس فى النيله واخبره
بالذى جرى من القصـة من أولها الى آخرها وكشف له على ظـاهرها
وباطنها فقال بيبرس استعنت بالله عليك ياعثمان ولكن اذا طلع بكره للديوان

وشكي دعوته الى السلطان كيف تعمل انت ياعتمان قال عتمان مايجرى
الا الخير وأنا ارسل عقيرب يقول سبب الدعوة لانها فارغة فقال بيبرس
اخرس يارجل بلا كلام واسمع مني ماأقول لك قال عتمان طيب قول قال
له اذا انقامت الدعوة أنا انكر واحلف اني مارايت وانت انكر وقل لارأينا
ولا نظرنا قال عتمان طيب نحن لارأينا ولا شفنا ولا عريت خدامه ولا
قطعت لحمهم بالضرب (قال الراوى) ولما كان ثاني الايام قام الملك
الصالح وصلى فرضه وختم أوراده ولما تكامل الديوان دخل الاغا جوهر
وقال هل من حاجة ياسيدى لما يعلم ان الملك الصالح كان غالب ايامه
صائما تطوعا لله وايام يعرف انه ليس مستحلا صومها فيأمر الاغا جوهر
يأتيه بقرقوشه يبلها بالماء ويفطر بها فلما كان في ذلك الصباح دخل كما
ذكرنا وقال قدام الملك الصالح هذه الابيات

صبحت بخير واسعد الله لياليك وانت سعيد والعز والنصر يوافيك
هنئت بصدق وانت ذو عدل ووفق يامالك رقي كفيت شر اعاديك
ملكك متحف ودولتك والجند صفوف مئات والوف وكلهم محتاجين اليك

(قال الراوى) قال الملك الصالح اللهم احي الاسلام ثم انه قام من قاعة
الجلوس وظهر الى الديوان وميل على الميامن اطرقت وعلى المياسر اطرقت
وجلس على تخت قلعة الجبل وقرأ القارى وختم ودعا الداعي وختم وآمنت
الدولة ترك وعرب وعجم صاح شاويش الديوان يقول صلوا على الرسول
جل الذى على الخلائق دام متجلي * يقبض ويبسط ويشرح صدر متجلي
يامن على الزور خانه كل متولي * سلطان على الملك يعزل فيه ويولي
(قال الراوى) قال الملك آمنا ولله اطعنا ومن أين كنا حتى اتصلنا
وأراد الملك ان يتعاطي القصص ويزيل الغصص ثم يحكم بالعدل والانصاف

كما أمر النبي جد الاشراف صلوا عليه ياعراف فأخذه الطرب سبحان من يعلم ماالناس عليه فعندذلك التفت الى الصدر الاعظم وزير الميمنة وهو الاغا شاهين الافرم بن الدرويش عثمان وقال ياشاهين انظر الباطل تجد له الف باب وأما الحق ياشاهين له باب واحد ولكن ياشاهين كل من دخل في باب من ابواب الباطل وأراد ان يسلك منه فيرد ويقع في الحق والباطل يخجله ولعن الله أهل الباطل ياشاهين الرجل الذى قتله رزقه تعدى فيه سهم ربانى وكشف الله ستره ويفعل الله مايريد وهذا النهار طالعه سعيد ومبارك قال له الوزير لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يامولانا ايش جرى قال السلطان الرجل الذى يجيب الخوص من على النخله قام وانحبطر له غراب وأراد أن يسد له العميره الذى يعملها وقام يخبطه خبطه خلاه عبره ماخلصوش كان فسكته لكن الرجل أرمنى والوقت يقطع لنا فرطه ونرتاح منه قال الوزير لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال السلطان ياشاهين كم أقول لك ماتتفشش على انا كما جاء على بالى أقوله والله يفعل مايريد (قال الراوى) واذا بباب الديوان اشتد والستار اشتد وخدام الوالى طالعين من باب الديوان وهم حاملين تابوت وعليه سيدهم وهم يقولون لااله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الملك الصالح ياشاهين هاهنا قرافه اوجبانة غربا فقال الوزير خبر ايه ياناس قالوا له تعيش رأس مولانا السلطان هذا حسن اغا والى مصر قال الملك جل ربنا كل شيء هالك الاوجهه وربنا الكريم جل مدبر الكائنات فلماذا لاتدفنوه ولاى شيء جبتوه قالوا له مات قتيلا قال الملك الله الله يادايم حق ياعلام الغيوب من قتله قالوا عثمان وبيبرس فعند ذلك رمى ابيك قاووقه وقال خرمات بوق باخشه يعنى ماخرمشى بقى (ياساده) فعند ذلك تحرك

القاضى من مكانه وهز دبدبانه ودور عمامته وجنح طيلسانه وحرك لسانه وقال هكذا يجرى القتل جهاراً في بلد الاسلام هكذا يامولانا السلطان ياحفيظ يا أمير المؤمنين انا كم أقول لك هذا القول مراراً وا كرره تكراراً واذكره سرا وجهارا وأقول ان هذا الغلام ما اتى من بلاد الاعجام الا نقمة من الله والسلام لخراب بلاد الاسلام ويفسد ملكك يامالك الانام وانت لا تصدقلى كلام فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد اتفق مع عثمان هذا الرجل الظالم خطاف العمايم ودور الحق على غطاه لما التقاه وكم قتل هو وعثمان قتيلا بعد قتيل حتى يفنى الدولة ولا يبقى لا كثير ولا قليل يامونا السلطان من قتل يقتل فالصواب قتلهم وأنا يا امير المؤمنين أدفع من مالى ومن صلب حالى وزكاة عن قامى ومحبة في دين الاسلام وابتغاء لمرضاة الملك العلام خمسين كيسا وخمسين مملوك وخمسين جواد وعليك ياوزير ايبك بمثلها فقال الملك الحق بيدك ياقاضى فان الذى يقتل والى مصر يقتل غيره مثل امير أو وزير ولكن هاتوا لنا الفلوس والعدد المذكور حتى نبعث الى بيبرس وخديمه ونخلص آذانهما الاثنين فانهم ياقاضى اثنين فاسقين فسدوا فى الارض وان كان الفساد من دابهم فلا بد من صلبهم فقال القاضى يا حاج منصور ائتيني بخمسين كيسا وثمن خمسين مملوك وثمن خمسين جواد وانت ياوزير ايبك ادفع الذى عليك قال الوزير حاضر ياسيدى فنزل منصور واحضر الاموال وكذلك الوزير ايبك اجابهما فيما قالوا ولما حضر المال قال الملك اطلبوا بيبرس هو وعثمان حتى ننظر كيف نجرى على ذلك وكيف يقتلوا خلق الله تعالى ياشاهين فعند ذلك ارسل الاغا شاهين يطلب بيبرس فساروا اثنين من مماليك الوزير الى بيت بيبرس وقد صبحوا عليه وقالوا له تفضل مولانا السلطان يطلبك فقال سمعا

كما أمر النبي جد الاشراف صلوا عليه ياعراف فأخذه الطرب سبحان من يعلم ماالناس عليه فعندذلك التفت الى الصدر الاعظم وزير الميمنة وهو الاغا شاهين الافرم بن الدرويش عثمان وقال ياشاهين انظر الباطل تجد له الف باب وأما الحق ياشاهين له باب واحد ولكن ياشاهين كل من دخل في باب من ابواب الباطل وأراد ان يسلك منه فيرد ويقع في الحق والباطل يخجله ولعن الله أهل الباطل ياشاهين الرجل الذى قتله رزقه تعدى فيه سهم ربانى وكشف الله ستره ويفعل الله مايريد وهذا النهار طالعه سعيد ومبارك قال له الوزير لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يامولانا ايش جرى قال السلطان الرجل الذى يجيب الخوص من على النخله قام واتحظر له غراب وأراد أن يسد له العميره الذى يعملها وقام يخبطه خبطه خلاه عبره ماخاصوش كان فسكته لكن الرجل أرمنى والوقت يقطع لنا فرطه ونرتاح منه قال الوزير لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال السلطان ياشاهين كم أقول لك ماتتفتش على انا كما جاء على بالى أقوله والله يفعل مايريد (قال الراوى) واذا بباب الديوان انسد والستار اشتد وخدام الوالى طالعين من باب الديوان وهم حاملين تابوت وعليه سيدهم وهم يقولون لااله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الملك الصالح ياشاهين هاهنا قرافه اوجبانة غربا فقال الوزير خبر ايه ياناس قالوا له تعيش رأس مولانا السلطان هذا حسن اغا والى مصر قال الملك جل ربنا كل شيء هالك الاوجهه ربنا الكريم جل مدبر الكائنات فلماذا لاتدفنوه ولاى شيء جبتوه قالوا له مات قتيلا قال الملك الله يادايم حق ياعلام الغيوب من قتله قالوا عثمان وبيبرس فعند ذلك رمى ايبك قاووقه وقال خرمات بوق باخشه يعنى ماخرمشى بقى (باساده) فعند ذلك تحرك

القاضي من مكانه وهز ديدبانه ودور عمامته وجنح طيلسانه وحرك لسانه وقال هكذا يجرى القتل جهاراً في بلد الاسلام هكذا يامولانا السلطان ياحفيظ يا أمير المؤمنين انا كم أقول لك هذا القول مراراوا كرره تكرارا واذكره سرا وجهارا وأقول ان هذا الغلام ما اتى من بلاد الاعجام الا نقمة من الله والسلام لخراب بلاد الاسلام ويفسد ملكك ياملك الانام وانت لا تصدقلى كلام فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد اتفق مع عثمان هذا الرجل الظالم خطاف العمايم ودور الحق على غطاه لما التقاه وكم قتل هو وعثمان قتيلا بعد قتيل حتى يفنى الدولة ولا يبقى لا كثير ولا قليل يامونا السلطان من قتل يقتل فالصواب قتلهم وأنا يا امير المؤمنين أدفع من مالى ومن صلب حالى وزكاة عن قامى ومحبة في دين الاسلام وابتغاء لمرضاة الملك العلام خمسين كيسا وخمسين مملوك وخمسين جواد وعليك ياوزير ايبك بمثلها فقال الملك الحق بيدك ياقاضى فان الذى يقتل والى مصر يقتل غيره مثل امير أو وزير ولكن هاتوا لنا الفلوس والعدد المذكور حتى نبعث الى بيبرس وخذيه ونغلص آذانهما الاثنين فانهم ياقاضى اثنين فاسقين فسدوا فى الارض وان كان الفساد من دأبهم فلا بد من صلبهم فقال القاضى يا حاج منصور ائتينى بخمسين كيسا وثمن خمسين مملوك وثمن خمسين جواد وانت ياوزير ايبك ادفع الذى عليك قال الوزير حاضر ياسيدى فنزل منصور واحضر الاموال وكذلك الوزير ايبك اجابهما فيما قالوا ولما حضر المال قال الملك اطلبوا بيبرس هو وعثمان حتى ننظر كيف تجرى على ذلك وكيف يقتلوا خلق الله تعالى ياشاهين فعند ذلك ارسل الاغا شاهين يطلب بيبرس فساروا اثنين من مماليك الوزير الى بيت بيبرس وقد صبحوا عليه وقالوا له تفضل مولانا السلطان يطلبك فقال سمعا

وطاعــة ولــكن ايش الذى جرى فقالوا له ان الوالى مات وطلعوه الى الديوان وقالوا انت الذى قتلته وانقامت الدعوى وان السلطان طالبك بسبب ذلك الوزير وارسلنا اليك فعند ذلك طلب بيبرس الحصان وركب والتفت الى عثمان وقال له الوالى قد مات قال الى جهنم وبئس الشتات احنا لاشفنا ولا رأينا فقال له الامير اصحى تقر ياعثمان قال عثمان بس ماتقول انت واما انا لاشفت ولا رأيت ذا كان منقرش ثم ساروا الى ان وصلوا الى الديوان فنزل بيبرس من على الحصان وسلمه الى عثمان وطلع الى الديوان وخدم وترجم وافصح مابه تكلم ودعا للسلطان بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم وانشد يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

سلامى على هذا المقام وذا الحما   مقام به كرسى الخلافة قد نما
سلام بداية تــكون تحيــة   على رحمة يغشى بها المسك خاتما

الله ياحافظ يحفظك وينصرك الله يأخذ بيدك الى جنات النعيم ياأمير المؤمنين قال السلطان مرحبا بالعادل الظاهر والله اعلم بالسرائر والله ياشاهين كل من عاند مسعود مايموت الامقهور مكمود تعالى يابيبرس انت وخديمك قتلت هذا الرجل الذى قالوا عنه صحيح والا كذابين قال بيبرس انا ياأمير المؤمنين ماأعلم بشيء من ذلك ابدا قال الملك الصالح ان القاضى يقول ان عثمان قتله ولــكن هات لنا عثمان حتى نشوف لمــاذا قتله لاجل تمــام الدعوى فقال سمعا وطاعة ونزل بيبرس (ياساده) وكان عثمان بعد ماتوجه بيبرس الى الديوان قد جمع أولاد الحاره وأخذهم وسار أمامهم وهم خلفه يقولون خير فلما تقربوا واذا بالقاضى الذى فى محكمة طيلون مقبلا فأنزله عثمان من على بغلته وقال له اشهد على هذه الشهادة فقال له خير قال له خليك على هذه المقاله فسار القاضى معهم ولم يزالوا كذلك حتى قربوا من

الديوان واذا بيبرس مقبل قال ايش الخبر ياأولاد الحاره قالوا خير قال
ياعثمان خيرايه قال خير قال بيبرس انا مالى بالخير خير اوشر ان الذى طالبه
السلطان هاهو حاضر ثم عاد بيبرس الى الديوان فقال له السلطان جبت
عثمان قال نعم قال اين هو (ياساده) واذا بعثمان طالع من باب الديوان وهو
يغنى ويقول ياليل ويترنم بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

سافرت في البحر مع ريس ولد غربان اقف المراسى وصحنا معه غربان
قمر الدجى غاب عن عيني وللقبربان صيد الصايب صاب وصح الصيد للقربان

صباح الخير عليكم ياأسطوات من الطاقه للملاقه ومن الدقه للشبوره
صباح الخير عليك يامعلم صالح يابوجوطه منا الفاتحه في صحايفك وصحايف
كبيرك الذى علمك مسك الكفه والجره وضرب النقشه في الاسطبل ضمرها
يوم لله فدعا لك تأكل قراقيش الخبز والدقه لما تروح ماتلحق تقول
فقال له الملك الصالح ياشيخ عثمان دايما تعايرنى انا أحد علمنى كفه والا
جره هو انا يارجل سائس قال والوقت أعلمك يامعلم صالح صباح الخير
عليك ياابو فرمه ياراس البيت وعمود الخيمه صباح الخير عليك ياقاضى
يامنقرش ياالى من العطفه الضيقه عارفك ياابن القحبه اوعى تقول مايعرفنيش
قال القاضى اخرس قبح الله ذاتك قال عثمان خليه فى دار حماتك قال عثمان
صباح الخير عليك باايبك ياقايط قال ايبك اسكت يارجل قال وبعد ذلك
التفت السلطان الى عثمان وقال له انت تعيب وتجعلنى سايس حق وعقيرب
كبيرك وانا جدك قال الصالح انا رضيت ولكن انت عملت ايه في
الوالى قال عثمان عز الله جل الله مافي الكون غير الله قول معى
انت يابو جوطه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال عثمان وانت ياقاضى عليك غضب الله يامنقرش انت كتبت لنا الورقة

والا لا واخرج الفرمان الذى بخط الوزير وختم السلطان أمير المؤمنين بأن
ما أحـد من الارباب يدخل حارة بيبرس أبدا فقال الملك نعم أنا أمرت
بذلك وما الذى جرى والذى يخالف قولك يلزموشى حاجة قال الوزير
لا ياعثمان من خالف ولى الامر عند المذاهب يقتل ولا جناح على قاتله
قال عثمان اسأل اولاد الحارة وكان قاضى طيلون امامهم فقال السلطان
ايش الخبر يااولاد الحارة قالوا خير قال السلطان ان شاء الله خير ولكن اخبرونى
قالوا خير فتركهم الملك والتفت الى قاضى طيلون وقال له ايش الخبر قال
خير قال السلطان عثمان قتل هذا الرجل قالوا خير قال السلطان ماقتـله
قالوا خير قال الملك انت كنت حاضر قال خـير قال له ماحضرتش قال
خير قال شفت بعينك شيء قال خير قال مارايت شيء قال خير قال الملك
وبعد تلك الشهاده قتلت انزلوا قالوا خير قال الملك اقعدوا قالوا خير فقال
السلطان اصرفهم عنى ياعثمان فصرفهم عنه ونزلوا من الديوان وساروا الى
حال سبيلهم والتفت السلطان الى عثمان وقال له كمل لى الحكاية فقـال
عثمان إخـبرك حاضر ياابو جوطه ان الوالى ارسل لنا جماعة ومرادهم
يحرقوا حارتنا فلما دريت بذلك قلت لاولاد الحـاره روحوا ووقفت أنا
والجدعان بالليل مسكناهم وكنا رايحين نخرطهم فقام الجندى خلصهم منى
وتوبهم وخدمهم عندنا قام العاق لمـا لقى روحه مانفعش صبح جانا عمل
طرقه على اولاد الحاره وضربهم مرتين قمت لمـا سمعت الخبر عملت حيلة
على الجندى واحكى له بالذى جرى من أوله الى آخره وكيف وقع فى جورة
االسباغ والحكاية التى تقدمت من المبتدا الى المنتهى ولا فى الاعاده افاده
الا الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال فى آخر كلامه وكنا دبرنا
ياابو جوطه انا نكر ولا شفنا ولا راينا فقال السلطان وسيدك حاضر

قال عثمان سيدى مايعلمشى ولما بلغه الخبر قال ياعثمان انكر ونحن لاشفنا ولا راينا ولا نظرنا فقال القاضى اقررت ولا عذر لمن اقر فقال السلطان ياعثمان ان القاضى قال الرجل مات قال عثمان اذا كان مات انقضى عمره وفات وان كان لم يموت أنا أكمل موتته ويموت ويصير الى أقل الرحمات ثم ان عثمان وثب مثل الاسد الغضبان واخرج من حزامه سكين وتقدم الى التابوت وضرب الوالى افرا بطنه فصاح الوالى وأراد أن يقول آه فغلبت عليه لغوته الاصليه وقال وأى يامسيح وخرجت روحه الخبيثة من بين جنبيه فلما سمع السلطان صرخته قال هذه ليس لغة مسلم اكشف ياقاضى عليه كان ديوانى مسخرة تتزيا اهل الكفر بالاسلام فان الذى يصرخ هذه الصرخة ماهو مسلم ولكن اكشف عليه ياقاضى فقال القاضى سمعا وطاعة ثم قام القاضى ووضع يده على آلته واذا هو بغلفته فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هذا نصرانيا ياأمير المؤمنين وقد اقشعر بدنى منه فقال الملك انت وابيك وردتم الدراهم والمماليك والخيل على قتل بيبرس وعثمان ظلما وعدوانا والا على اظهار الحق من الباطل قال القاضى على اظهار الحق من الباطل قال الملك الحق ظهر واتضح والباطل خفى واندثر بقى المال لمن ياقاضى قال القاضى لك ياأمير المؤمنين قال الملك وهما من عندى الى ابنى بيبرس فى نظير هذه التهمة هبة كريم لا يرد فى عطاه وارفعوا هذا الكافر من هنا قال القاضى احرقوه وذروا رماده فى الهوى قال الملك هذا الذى نابه منك ياقاضى ولكن ذلك نظرة الحق قال نعم ظهر ياملك قال الملك والآن البلد بقت بلا والى انظروا لنا من يكون والى فى مكانه فقال القاضى ياملك دستور اتكلم بكلمة حسنة ليست بسيئة قاطية قال الملك تكلم سبحان الناطق على كل حال قال القاضى الذى

يصلح لذلك فهو ولدك الذى دايم عليه الفلاح والنجاح وهو الامير بيبرس الذى شمس سعادته على وجهه كالمصباح قال ايبك أبوه كالمصباح آه يامقلة متاع زغل يامعرص قال السلطان يبقى ياقاضى انت ترضى بأن يكون بيبرس والى مصر قال القاضى نعم فانه يصلح وعلى يديه تتنافذ الممالك قال الوزير ان بيبرس رجل فقير الحال فقال القاضى أنا أساعده بخمسين كيسا وثمن خمسين مملوكا وثمن خمسين جواد وعليك ياوزير ايبك مثلهم فقال ايبك مثلهم على شان ايه ياقاضى قال له القاضى اعانة للامير بيبرس ليكون والى على مصر قال ايبك وايش ينفعنا ياقاضى احنا طالبين موته والا تعمله والى قال القاضى اذا عمل والى فانا أريك كيف أدبر على هلاكه بتدبير حسن واحتيال انت بس ساعدنى فى دفع الدراهم ولا تهتم على مافات منى نصيب ومنك نصب مات بيبرس وساوى من له سنين واوقات وانا الذى أدبر عليه وأرميه فى كل الافات فعند ذلك قال السلطان هاتوا ثمن الخيل والمماليك فقال القاضى حاضر تعالى يامنصور انزل هات خمسين كيس ذهبا وثمن خمسين جواد وثمن خمسين مملوك وكذلك ايبك حضر الذى جاء عليه فقال الملك يابيبرس قال لبيك وقام ووقف بين أيادى السلطان فقال له جاء لك مائة مملوك ومائة جواد ومائة كيس وتكون والى على مصر لبسه ياشاهين خلعة يشوف شبابه فانه مفرد فى السعادة اسأل الله الكريم رب العرش العظيم كل من يكره ولدى بيبرس لايموت الا مقطعا على حربه ويحرق بنار البط الكلاب قول ياقاضى آمين قال القاضى آمين قال الملك سبقت فى علم الله تعالى ياجماعة (قال الراوى) وبعد ذلك ارتمى القفطان على أكتاف بيبرس والدراهم سلمها الوزير الى الخزندار يؤديها الى الامير بيبرس وخرج الامير من الديوان بعد ماوصاه السلطان وقال ياولدى عليك بالعدل والانصاف

كما أمر النبي جد الاشراف صلى الله عليه وسلم انهى عن الظلم وقال الظلم ظلمات وان دام دمر والعدل لايدوم وان دم عمر صدق لله ورسوله عليه الصلاة والسلام وأنت سيفك مطاوق فعند ذلك قبل يد السلطان وكذلك يد الوزير وخرج والقفطان على أكتافه فتلقاه عثمان وقال له مبارك ياجندى لعلك مشد تراب وآغة كلاب قال بيبرس اخرس يارجل لبست والى مصر قال عثمان سبوح قدوس الخدمه ماهى بالدبوس انا مابقيت أخدمك أبدا لانك كل ساعه تعلى وتفوز وعثمان كل شويه يوطى ويفوز قال له بيبرس وايش الذى قصدك فيه قال عثمان ان كان لك غرض فى خدمتى وأكون على عهدى معك أكون انا الآخر والى مصر الصغير وانت الوالى الكبير وتلبسنى القفطان الذى لبسه لك أبو جوطه وينادلى عقيرب ويقول عثمان لبس والى مصر الصغير قال الامير بيبرس انا رضيت ياعثمان وقلع القفطان ووضعه على عثمان وقال له الذى تعرفه اعمله فعند ذلك أحضر عثمان عقيرب وقال له هات الجدعان هنا قدام الديوان فنزل حالا وأحضر له الثمانين سايس فلما حضروا قال عثمان ياجدعان انا لبست والى مصر الصغير وهذا القفطان بتاع لولايه لبسته ومرادى منكم أن تحضرولى حصان وعقيرب يكون على اليمين وحرحش يكون على الشمال والثمانين بتوع معقيرب يكونون قدامى ينادون في الموكب اسمعوا انا المناديه والتنبيه حكم ماأمر المعلم صالح أبو فرمه ان الجندى بيبرس هو والى مصر الكبير وأما الاسطى عثمان ابن الحبله الذى بيته فى المراغه والقبر الطويل وعبده اسمه فرج وعلى بيته حلية ومعلق على بابه قنديل وخدام عند الاشقر الانقر صاحب الالات الدمشقى العمرانى الذى داهيه تجيه وتجى للى دمشقه الذى اسمه بيبرس فانه والى مصر الصغير وحاكم على كل أمير والقفطان على

أكتافه من الوالى الكبير وتكونوا هكذا ياجدعان للبيت قالوا سمعا وطاعة وكان الامر كما ذكرنا وانعقد اعتمان ذلك الموكب على هذه الكيفية من القلعه الى بيت الامير بيبرس (قال الراوى) هذا والناس يباركوا لعتمان فاذا حضر أحد وقال له نهارك مبروك ياوالى مصر يعطيه سبعة دراهم فضه وأما الذى يقول نهارك مبروك ياأسطى عثمان فيصيح ويقول طوطمش فيقول عثمان ورميش فيرموه السياس الى الارض فاذا صاح الرجل وقال انا في عرضك ياأسطي عثمان فيقول دقواقوس فيصير الضرب على الرجل من السياس حتى انه ينهه أحد من السياس فيقول انا فى عرضك ياوالى مصر فيقول عثمان شفا فيرفعوا عنه الضرب وسار موكب عثمان بهذه الكيفية والصفة الى بيت احمد بن ابادیس السبكى الذى هو بيت الامير بيبرس واعجب ماوقع واغرب ما تفق عليه من كرامات عتمان ان فى هذه النهار كان من اعطاه عثمان سبعة فضه اغناه الله غناء لافقر بعده وكذلك كل من ضربه عثمان فى ذلك النهار لابد ان يكون فيه عاهة او داء فلا ينطلق من أمام عثمان حتى تذهب عنه تلك العاهة او الداء الذى به ويرجع سليم البدن وهذه كرامات عثمان بركة السيده لانه خدمها وثبتت هذه الكرامة الواضحة ولما وصل عثمان الى دار احمد بن ابادیس السبكى ونزل من على الركوبه احضروا له سرير وجلس عليه فقال اولا هاتوا الارغول فحضروا السياس والارغول ودوروا الصفر والصفق وعثمان ماسك النبوت وصار يرقص عليه فرحا ومرحا حتى أخذ حظه وبعد ذلك جلس على السرير ووقفت السياس جميعاً فى خدمته هذا ماجرى لعثمان (قال الراوى) واما الامير بيبرس فانه ركب على حصانه وسار وحده الى ان أقبل داره وترك عثمان فى حاله ولم يكدر عليه وطلع الى المقعد وجلس فيه فبينما هو جالس واذا بالخدامين

الذين للوالى قدأقبلوا وسلموا وخدموا فقال بيبرس ماالخبر واتم من أين قالوا يادولاتلى نحن خدامين الوالى وكل من عمل والى نتبعوه وان الوالى القديم توفى على يد سيدناوالى مصر الصغير فاتينا نحن الى حضرةالدولاتلى زيد اكل عيشتنا وخدمتنا عندك ياأمير فقال لهم الامير انا عندى خدامين وليس محتاج الى خدامين فقالوا له يادولاتلى قطع المعايش حرام ونحن لالنا صنعه ولا لنا شغلة نعرف نتقوت بها خلاف هذه الخدمة من آبائنا واجدادنا فقال لهم بيبرس اتم لكم على الوالى جامكيه شهرية قالوا له ليس لنا على المخدوم شيئاً وانما نحن علينا للمخدوم كل ما تتكلف مطبخته من لحم وخضار وسمن وحطب وملح وفلفل فقال بيبرس ومن أين تجيبوه قالوا له ياسيدى من السراحين الذين يسرحون فى كار السرقة والمناصر والزغل والنعريص والبطحجيه وأصحاب المشارط ولعابين القمار وبياعين الخمر وبياعين الحشيش وأرباب الزور ودلالين الربى ومثل ذلك فقال بيبرس وهؤلاء الذين ذكرتموهم كيف تعرفون محلاتهم فقالوا يا دولاتلى كل حرفة من ذلك لها رأس ورأس الجميع مقدم الدرك المقدم مقلد صاحب درك البوابه فقال بيبرس يا جدعان هذا حرام يا هل ترى اذا كان يطلع لكل واحد منكم كل يوم خمسة دراهم فضه وعشرة ارغفه ويفطر الصبح من صماطى والمغربيه له طاسه مسلوقه يملاها من المطبخة من الطعام الذى يعجبه وهذا شئ لا مقطوع ولا ممنوع بومى يطلع يفطر على الطبليه مع الخدامين ويقوم من على الفطور يمشى للمخبز يأخذ عشرة أرغفه ويطلع يأخذ خمسة دراهم فضه من الخزنه وأما من جهة الكسوه فان فى رمضان له بدلتين ومركوب وأيضالحريمه بدلتين ومركوب وأما فى العيدالكبير له بدله وحريمه بدله وله مركوبين هو وحريمه ولا يلزمكم مطبخ ولا كراء فقالوا

له ياسيدي اذا كان الامر كذلك هذا أحسن ما يكون لنا قال لهم لكن
على شرط انكم تتوبوا عن هذا الفعل وتستعملوا الصلاة والعبادة مثل
ما فعل حرحش وأما اذا اكتشفت عليكم فى أمر يغضب الله فلم يكن
عندى الا الصلب على البوابات فقالوا له سمعا وطاعه فقال اندهوا على
عثمان ولما حضر عثمان احكى له العباره فقال عثمان خليهم ياجندى يدخلوا
للاصطبل تحت بيرق عثمان فقال بيبرس خذهم يا عثمان فأخذهم عثمان
وتاب الله عليهم وصاروا تحت أمر عثمان ورتب لهم حكم ما قال الامير
بيبرس هذا ما جرى صلوا على خير الورى وقام بيبرس الى آخر النهار
ثم انه تذكر قول السيده صاحبة القناع الطاهر على عثمان انه يشاوره ولا
يخالفه فعند ذلك طلب عثمان الى عنده فلما حضر قال له ياعثمان ايش
هذه الطوايف الذى حكوا لى عليها خدامين الوالى الذى مات وهذا امر
يغضب الله ورسوله قال عثمان شوف ياجندى اذا أردت ان ترى هذه
الطوائف فان رئيسهم مقلد مقدم درك البوابات وهؤلاء الجميع من تحت
أمره فاذا كان يطلع من يدك تخضع له وتفتح له عب حتى انه يدلك على
جميع الامور واذا سألك على فقل له ان عثمان سايس ولا له عندى شغل
الا خدمة الحصان وادخل تحت باطه حتى انك تطلع على جميع الامور
وبعد ذلك اعرف شغلك وانا أخلى بالى وان شاء الله ببركة المرقعة تبلغ
كل المقصود (ياساده يا كرام صلوا على خير الانام) وأما الامير بيبرس
فانه صبر الى أن أقبل الليل وصبر الى بعد صلاة العشاء وركب وأخذ عثمان
معه ولم يزل حتى شق البلد وفى الثلث الاخير من الليل وصل الى باب
الغريب وطلع الى براءة البرج فرأى برا البوابه جماعة من أولاد الزنا
الطاغيين ونظر الى المقدم مقلد وهو جالس كأنه النمرود وكبر فرعون

فى عينيه وعليه الملابس الفاخرة والرجال بين يديه وقوف والخدام والعبيد وهو بين الجميع كالبرج المشيد وله لحية كبيرة كما قال فيه الشاعر هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

انظر الى رؤية بالخزى قد كملت تجمع المسخ فيها بالقناطير
السخط فيها وغضب الله حل بها نعوذ بالله من ذات الخنازير

(قال الراوى) فلما أقبل الامير بيبرس اليه فلم يسأل عنه ولا يعبأ به ولا قام له ولا اعتنى به وذلك من شدة كبره وتجبره فتعجب الامير بيبرس من ذلك والتفت الى عثمان وقال ياعثمان من هذا قال هذا المقدم مقلد كبيرنا كانا وانا ياأشقر مافتقرت الا من أيام بعدت عن كاره وان كنت ماتصدقنى اسأل حرحش كان يخبرك فقال بيبرس ياحرحش من هو هذا الرجل فقال حرحش هذا المقدم مقلد الذى مايجرى شىء فى الدنيا الا ويكون بمعرفته وهو كل اولاد الزنى والاشقيا من تحت يده من حرامى ونورى وبطحجى وسلال ولص وسارق من جميع مايكون وهذا الذى ارسلنى الى حرق حارتك وأمرنى بموتك ولكن الله حافظك وحكم لك الامان بالاسطى عثمان (قال الراوى) فلما سمع بيبرس ذلك زاد به الغضب وأضمر لهذا الرجل الموت والنكد ولكن أخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد وأقبل على المقدم مقلد وقال السلام عليك ياأبى قال مقلد انا لا أعرف سلام قول ما عندك ياولدى أنت الذى ابست والى قال بيبرس نعم ياأبى قال مقلد انت الذى توبت حرحش وجماعته وعثمان وجماعته قال نعم يا أبى قال مقلد جالك داهيه تنفلك ياغاريعنى ايش جالك من هذا عثمان كان خطاف عمايم ومقل حاجه فارغه وانا ما أسأل عن ذلك كله وأما حرحش فانه كان عندى من الرجال المعدوده ولكن دارت يدنا عليهم ثانى وأنت الآخر بالجملة

بقيت من اتباعى وان مشيت معى مرحبا ولا بد أرتب لك كل ما كنت تحتاجه الى مطبخك وكرك ومصروف بيتك قال له بيبرس انا ماجيت الا على شان أشوفك وانتفع بمعرفتك اذا رضيت بى أكون كأمثالى ولا يغرك انى والى فانا لم أخالفك فى أمرك وكلما قلت لي عليه انا أطاوعك فيه قال المقدم مقلد شوف ياولدى اما دخولك على في محلى مرحبا بك وانا انفعك ولكن اذا كنت ماشي شاقق البلد بالليل او بالنهار ووقع في يدك حرامى أو شرطي او زغلي أو بطحجى او مثل ذلك فتأخذه الى حد البيت بتاعك اشارة قدام الناس أنك تعاقبه ومتى توصل الى محلك تطلقه وكذلك ان عثرت بواحد معرص على أولاد أو على نسوان او علق او قحبة فلا تجارى على أذاهم بل خلى سبيلهم واذا كبست على امرأة في بيت سواء كان بيتها او بيت زبونها فلا تعاقبها ولا تهينها فان هؤلاء الذين اذكرهم لك تحت يدى انا ومصروفك كله علي فان طاوعتنى انبسطت وجمعت الاموال وبقيت جدع واماان خالفتنى تندم ولاينفعك الندم فشاور عقلك وشوف ايش تقول قال بيبرس ياابى هذا رأى طيب وانارضيت ولكن ياابى انت عندك الناس تحت يدك قدر مائة او مائتين او اكثر او أقل وكلامك حقا اما الناس كثيرة يمكن أنا أمسك واحد يكون من جماعتك وأنا أظنه انه ليس من جماعتك فاضربه أو أعاقبه وبعد ذلك انت تعاتبنى او انى أمسك أحد يكون ماهواش من جماعتك ويقول لى أنا من جماعة المقدم مقلد اقوم اطلقه وهو يكون كذاب لاانا انتفع منه ولا انت تنتفع منه فكيف يكون الرأى فقال مقلد انا اجى الى عندك فى دارك واحضر الطوائف التي في طرفي حتى انك تراهم وهم يروك وتعرفهم حق المعرفة ويبقى الذى يقع فى يدك منهم اطلق سبيله والذى تراه من غيرهم ارسله لى فقال بيبرس حاضر ياابى

اجمع طوائفك وتعالى الى عندى وعرفنى بهم واذا رايت أحد من غيرهم اعرفك به ان امرتنى بضربه اضربه وان قلت لى اطلقه طلقته فقال له مقلد امهلنى خمسة أيام حتى أجمع الطوائف على التمام ثم انهم اتفقوا على هذه الاحكام وقام من عنده الامير بيبرس ورجع الى منزله هذا ما كان منه (قال الراوى) واما مقلد فانه ارسل من طرفه رجالا يجمعوا له الطوائف من الجهات لاجل ان يعرف بهم الوالى ولما كان يوم الميعاد قال الامير بيبرس ياعثمان اريد ان جميع الطوائف لاينفد منهم احد حتى انى اتوبهم والذى لم يتوب اقتله واريد ان اعمل كانى عيان وانت تلتقى الطوائف فقال عثمان سمعا وطاعة فعند ذلك طلع بيبرس الى المقعد وربط رأسه ووقف عثمان فبينما عثمان واقف واذا بخمسين امراة لابسين حبر غمزاوى وراكبين حمير عالية مكارى وكل واحدة منهن لها خديم ففتح لهم عثمان مندرة من منادر البيت واجلسهم فيها وخدامهن معهن واما الحمير ادخلوهم السياس فى محل وربطوهم ووقف عثمان واذا بفرقه ثانيه نحو سبعين امرأة وهم راكبين على حمير قلعاويه فقال مرحبا واستقبلهم وقد ادخلهم في مندرة ثانية وقال للحمارين خذوا انتم حميركم وروحوا الى حال سبيلكم وكانوا النساء لابسين الكل ملايات واقبلت بعدهم طائفة اخرى بالمزارى بيض فادخلهم الى مكان آخر وجعلهم وحدهم (ياساده) وبعد ذلك اقبلت طائفة جدعان مرد بالملابس الاعيار على السدريات السود والحزامات الكم على الشمار الحرير ثم اقبلت طائفة اولاد صغار وبعدهم طائفة رجال وبعدهم نساء عجائز وبعدهم رجال كبار وبعد ذلك شيوخ حتى امتلأت اماكن البيت وبعد ذلك حضر مقلد راكب على بغلة فتلقاه عثمان وقال له يامقدام ان الجندى عيان فلا تدخل عليه بصلاح فقال انا ماأقلع صلاحى

ابدا ثم انه دخـل بصلاحه فسار معه عثمان الى ان ادخله على سيده فى المقعد فلم يقوم له الامير بيبرس بل قال له يامقدم اقبل عذرى لانى عيان فقال له خليك ماعلينا ثم جلس قدامه ومد العود فى وجهه وجلس جلسة الفراعنـة فقال له بيبرس ياابى طوائفك حضرت الجميع قال له مقلد اما الذين فى مصر حضروا ودوائرها واما الذين في البلدان فلم يحضروا فقال احضرهم الي فقال مقلد هات ياولد ياعثمان الطوائف قال عثمان حاضر يامقدم فاول ماعرض كانت الطائفة العالية وهم النساء أرباب الحبر فقال بيبرس دول ايه ياأبى قال مقلد هذا بقر الوحش قال بيبرس يعنى ايه قال مقلد دول لهم بيوت مدفونه في حارات مداريه فتطلع الواحدة منهم تحط عينها على الرجـل الذى تراه مليان باللباس والمـال فتسايره حتى يروح معها الى بيتها فتقعده وتسقيه الخمر حتى يغيب فيطلع خدينها يحط على فمه مخدة ويقعد عليها حتى يخمد نفسه وتأخذ مامعه من ملابسه وتواريه هى وخدينها فى قبر كان فى بيتها وهذا يسمى عندنا بقر الوحش (ياساده) قال بيبرس خـذهم وهات غيرهم ياعثمان فاحضر أرباب الملايات فقال بيبرس ودول ايه ياأبى ماشاء الله والله طيبين قال مقلد هـذا البقر السارح قال بيبرس سارح يعنى ايه قال تسرح الواحـدة منهم الى ان يلوذ بها واحد معكوس يدخلها في بيته فاذا أراد أن يركب صدرها تطلب منـه اولا طرقتها فان اعطاها شيء جزئى يقوم مقام خناتها سلمت له روحها وان اعطاها قليل تتكاسل وتقول له أنا من غير ماسكر فما يمكن أحد يدنى منى فاذا جاب الخمر تقعد تسقيه الى ان تسكره وتوضع له من شمع وأذنهـا في الكاس حتى انه يثقل عليه السكر وتأخذ كلما قدرت عليه من البيت وتطلع وتتركه مرمى وبعـد ذلك تغير حالتها التى كانت عليها وهـذا اسم البقر السارح

(ياسادة) قال بيبرس ماشاء الله خذهم ياعثمان وهات غيرهم فاحضر عثمان ارباب المزارى البيض فقال بيبرس دول ايه ياأبى فقال مقلد يادولاتلى هذا بقر الحليب قال بيبرس يعنى ايه قال مقلد هؤلاء يخرجون ايام الجمع والاعياد يتحشروا فى طوائف البهلوانات والغنى والقرود فيتحشروا فى جميع الازدحام حتى يتعلقوا بجدع ويكون رايح فيها رشوه حتى يأخذوا مافي جيبه ويمرون أيضا على الخواجات في صورة المشتريين البعض يقابل والبعض يساير حتى يجدوا فرصة ويسرقون ماقدروا عليه فهذا هم اسمهم البقر الحلاب على هذه الكيفية يحلبون الناس

(قال صاحب الحديث) فقال بيبرس ماشاء الله اما شغل طيب خذهم ياعثمان وهات غيرهم فاحضر عثمان الجدعان المرد فلما رآهم بيبرس قال ياأبى مقلد دول ايه فقال مقلد يادولاتلى دول اسمهم الشموطة الماوى قال بيبرس يعنى ايه ماوى قال مقلد يادولاتلى علوق وحراميه اذا طلب واحد احداً منهم للخنات فانه يروح معه بما قسم ورزق وان امكنه فيه فرصة أخذ كل ماقدر عليه ولهذا اسماؤهم شموطة وماوى (ياكرام) قال بيبرس خذهم ياعثمان وهات غيرهم فاحضر عثمان اولاد دون البلوغ فقال بيبرس دول ايه ياأبى قال يادولاتلى هؤلاء فواكه الوقت يعنى أنهم مخصوصين للخنات ثم ان مقلد طلب الرجال وقال هؤلاء يعرضون عليهم فقال بيبرس هات ياعثمان فاحضر اولاد صغار فقال بيبرس ياأبى مقلد دول ايه قال مقلد يادولاتلى دول اولاد جيبها قال بيبرس يعنى ايه قال يادولاتلى ان ابن السكار يأخذ واحد من هؤلاء الاولاد ويمشى فى الطريق حتى ينظر الى من يكون ماشي وفى جيبه صرة فيضرب الولد بالكف فيجري الولد ويدخل في حضن ذلك الرجل ويقول له انا في عرضك ياعم فيقول له ياشيخ سيبه

فيقول له انا قلت له اسرع وهات الذى ارسلتك اليها فما جاء بها وانا لابد
من ضربه اذا لم يجيبها ويكون الولد شغال وعند مايخلص وتبقى الامانه
متخلصه معه فيقول ياعم اجيبها حالا فيقول له اجرى هاتها فحالا يخلص من يد
الرجل ويجرى والرجل يجرى وراءه ويتركوا الرجل فاذا وضع يده على
امانته فلم يجدها ويكون الولد والرجل راحوا الى حال سبيلهم فلهذا اسمهم
اولاد جيبها قال بيبرس ماشاء الله خذهم ياعثمان وهات غيرهم (ياساده)
فاحضر عثمان النساء العجائز فقال بيبرس دول ايه ياأبى قال مقلد هؤلاء
يدخلون البيوت فى صفة مشايخ شيطانى وهم يسرقون ومع اعتقاد الحريمات
فيهم يظنوا انهم من أهل البركات و بعدهم احضر دقاقين المعاملة الزغل وبعدهم
لعابين القمار وبعد ذلك احضر اناس يقال لهم ارباب الربى ودلالين الحرام
(قال الراوى) ولما عرضت هذه الطوايف نادى الامير بيبرس
الى عثمان وقال له اعرض على الجميع التوبه فالذى يتوب لابأس والذى
لم يتوب ضع فى رجله قيد وحط فى رقبته الحديد حتى انى انزل وأقول
لك على ما يجرى فيهم فنزل عثمان وقال ياجماعة ماقولكم في التوبه فقالوا
النساء وكيف نتوب وعلى كل واحدة منا خمسة محبوب للشيخ مقلد شهريه
فاعلم عثمان سيده بذلك قال له بيبرس قل لهم هذا مرفوع عنكم ولاأحد
يطالبكم بشىء مطلق وكذلك الرجال رضوا جميعاً بالتوبه فامر الامير
بيبرس ان كل حرمة تختار لها زوجا من هؤلاء الحاضرين وأعطى لكل
رجل وامرأة مائة محبوب وقال لهم تسببوا واتركوا الفساد وعليكم بتقوى
الله الكريم الجواد واذا وقع في يدى حرمة او رجل منكم صلبته على
البوابه قال عثمان بقى شغلى معهم انا قبل ما يخرجوا من البيت ثم انه
ولع الفحم وحضر محاوير حديد وكوى الجميع على قبب ايدهم الشمال

وقال لهم هذه علامة التوبه وكل من كان يقع في يدنا بعد ذلك لاجزاه الا الموت وانصرفوا جميعا وأما الاولاد الصغار كساهم وأدخلهم الكتاب والله تعالى فتح عليهم ببركة القرآن والسيده زينب والاسطى عثمان كل هذا يجرى والمقدم مقلد ينظر ويرى (قال الراوى) فالتفت المقدم مقلد الى الامير بيبرص وقال له يادولاتلى لما ان الحراميه توبتهم من اين تأخذ مصاريف مطبختك وكذلك النسوان والاولاد توبتهم بقى اذا كان يوم اشتهت نفسك ولد والا امرأة تبسط بهامن أين تلقى ذلك انت قطعت نصيبك بيدك فالتفت الامير بيبرس الى المقدم مقلد وقال له ياشيخ انت عمرك كم سنه قال مقلد عمرى مائة سنة وعشرة سنين قال بيبرس قطعت منهم كثير بالعبادة قال مقلد والله يادولاتلى عمرى مادخلت جامع الا اذا كان لاجل بول او غائط واما عمرى ماقعدت على فرش جامع قط بل أقمت ستين سنه أقطع الطريق وأخون الرفيق ولا أعرف عهود ولامواثيق واقتل كل قتيل وافعل كل أمر وبيل وقضيت باقى عمرى هكذا وكل الطوائف تحت يدى وكل والى ان رآنى يوافقنى وما عصى أمرى غيرك ولكن انت الذى قطعت رزقك بيدك وحرمت نفسك من غناك وسعدك قال له الامير بيبرص ياأبى اذا كنت أنت الآخر تتوب ويكون محى الله عنك هذا المكتوب وترجع عن هذه العيوب وتطيع الله تعالى علام الغيوب وتطاوعنى على ذلك وترجع الى مالك الممالك قال مقلد كأنك استهزيت بمقالتى وتريد ان تردنى على افعالى ثم تتوبنى عن خصالى وظنيت انى أنا كمثل هذه الناس وتقيسنى بالرجال في القياس كأنك انت قليل العقل خفيف الراس وانا عندى خدام مثلك وامثال والف منك لم يخطرولى على بال ولكن ياعاق يابن الانذال مابقى لك عندى بعد هذا السؤال الا قتلك بهذا السيف الفصال

وضربه ضربة فارس همام فأخذ الامير الضربة على اللت فانكسر حسام مقلد وصاح بيبرص ياعثمان قال عثمان مدوه ياجدعان فعند ذلك قام الامير بيبرص وضرب مقلد باللت على صدره أرماه وكتفه وهجم عثمان وكتف غلامه فضه كل هذا ومقلد يقول بس العمر ياحسرة الرجال قال له بيبرس ياشبيهة الخزى مائة سنة تعيش فى هذا الضلال ولا ترجع وانت تعلم ان هذه الدنيا زوال وتتوب الى الله المتعال خذهم ياعثمان احبسهم مع بعضهم وتولى انت عقابهم فاخذهم عثمان وحبسهم على غاية من الذل والهوان (قال الراوى) وفى الليله الثانية اراد بيبرس ان يركب ويشق البلد قال له عثمان بلاش ركوب ياأشقر ياجدع حتى يهدأ روع من كان حاضر عندك ويخف جرحه فاستقام بيبرس ليلتين وهو لا يركب وفى الليله الثالثه قدم له عثمان الجواد وأوقد المشاعل فقال له بيبرس هذا ايش لا يظهر به غريم وانما ياعثمان اعمل لنا نور يخفي ويظهر وانظر للجواد عده خرصه قال له عثمان ما سمعنا بمثل ذلك الامنك الآن قال له بيبرس احضر لى خدام الوالى فاحضرهم له فقال لهم ماعلمتم العدة الخرصة قالوا له ياسيدى لا نعلم ذلك أبداً فقال عثمان هو يعلمكم ماهو عقب ظلم (ياساده) فعند ذلك أمر الامير بالطوس القديم وصنع لهم الشغلة وعلمهم على افعالهم وقال يكون طرف الطالونس والع واذا رأيتم شيئاً واردتم تشعلوه فيكون معكم شيء من الطولونس الوالع فيشعل وهكذا ثم امر بالبد ووضعه تحت حافر الحصان لاجل عدم الدق في الارض وكذلك وضع على الحصان العدة الخرصة وهى من الحبل واللباد ولم يدخل فيها حديد أبدا ثم ركب الامير بيبرس وأمرهم ان يربطوا رجيلهم باللباد ففعلوا ذلك وركب الامير وسار عثمان الى جانب ركابه ولم يزالوا سائرين الى درب الجماميز (قال الراوى) وكان بالامر

المقدر ان أربعة حراميه نزلوا على بيت فى ذلك المكان وسرقوا وطلعوا وواقفين منتظرين وهم يقولون لايمكن المسير الااذافات الوالى فاذا جاء من الشمال سرنا نحن من اليمين واذا جاء من اليمين سرنا نحن من الشمال وهم واقفين على المفارق ينتظرون ضوء المشاعل ويقولوا لانسير الا بعد ان يسير الوالى فما يشعرون الا والوالى وعثمان قبضوا عليهم ولا يكلموهم بشىء من ذلك كله وبعد ذلك انطفت الشعله فصارت الدنيا نور وما كانوا يعهدون تلك المشاعيل ولا عمرهم رأوا ذلك وقبضوا عليهم قبضا باليد فالتفت لهم الامير بيبرس وقال لهم من انتم قالوا نحن مراوحيه قال بيبرس انتم تبيعوا المراوح بالليل قال عثمان دول جدعان حاملين كسبهم ومروحين ياجندى مثل مايعملوا المراوحيه قال بيبرس قول حراميه قال عثمان يعنى انا غلطت فى اللوح حراميه قال لهم بيبرس انتم من جماعة متقلد قالوا نعم قال بيبرس اكشف ياعثمان عليهم هل فيهم العلامه املا فكشف عثمان واذا بالكى لم يخف من على قبة ايديهم فقال لهم الامير لو كنتم من غير علامه كنت اقول انكم ماسمعتم بالشروط واما لما انتم عالمين بالشروط مالكم عذر بعد التوبه قالوا يادولتلى ان ابن الزنا قط لم يتوب قال طيب صدقتم اقتلهم ياعثمان فقدم المشاعيل اليهم وأراد أن يذبحهم فقال بيبرس ايش رايح تعمل ياعثمان قال له اقطع رقابهم فقال له ارجع حتى اعلمك ثم ان بيبرس نزل من على ظهر الحصان واقعدهم واحد بعد واحد بعد ان كتفهم وأمر واحد يشكهم من قفاهم بسلة ففعلوا ذلك وضربوا رقابهم فطارت رؤوسهم قال عثمان كان ياجندى حتى للموت عامل صنعة والله ماانت الا ابن زنا سل مل فقال بيبرس ياعثمان هكذا يكون التضييع من غير ضرر ولاعذاب على المقتول لاجل موته تكون بالراحة ثم ان الامير اخرج قلم وقرطاس وكتب فى

الاوراق هذا جزاء من يتجاسر على السرقة والحرام ويحرق قلوب الناس
على امتعتهم فهـذا جزاه وأقل من جزاه ثم وضع كل شيلة من المسروق
لجنب صاحبها ثم بعد ذلك احضر الغفرا بتوع درب الجماميز وقال لهم
تكونوا محافظين على هؤلاء المقتولين وما معهـم من الامتعة واذا جرى
عليهم شيء حطيتكم فى الليلة القابلة فى موضعهم فقالوا له سمعا وطاعة وبعد
ذلك رتبهم وركب ظهر الحصان وسار الى عند باب الخلق فنزل فى ذلك
المكان وامر الخدامين بالمداراة فما لبث غير قليل واذا بعشرة فقهاء لابسين
جوخ وقفاطين وهم يتحدثون مع بعضهم وواحد يقول للآخر كانت الليلة
هذه العمل على رأس الشيخ سليمان فقال الآخر ياجماعة انى كنت مخستك
من حسى فقال الآخر الاجرة على قدر العمل فقال عثمان حفظ ياجدع
فنفض الضو من الشعلة واحتاطوا بهم الخدام واوقفوهم قدام بيبرس فقال
لهم انتم ايش يامشايخ فقالوا نحن فقهاء قال عثمان دول من جماعة مقلد
انتم ما كنتم عندنا اول البارح هى التوبة ليست تقعد ثلاثة ايام فقالوا له
انت من فقال انا عثمان يا ابن القحبة انا الذى حطيت المشعلة على يدك
وقلت لى آه ياالاسطى ثم تقدم عثمان وكشف على علامتهم فكانوا
الجميع فيهم العلامات فامر الامير ان يفتشوهم هل معهم عدة الحراميه ام لا
ففتشهم عثمان فرأى معهم المتلة والاسنان والمشارط وما اشبه ذلك من آلات
السرقة واللصوصية ورأى معهم امتعة مسروقة فأمر الامير بيبرس بقطع
رؤسهم وكتب اوراق ووضعها على قلوبهم كمثل الذين قبلهم ونزل الى
السلمانية فرأى خمسة بهذه الـكيفية ففعل بهم كذلك بعد ان كشف عليهم
ونظر العلامات وكذلك في القوطية وفعل كذلك وركب وسار حتى وصل
الى الرميله فالتقى باربعة سارقين من بيت وحاملين المتاع الذى سرقوه

فكشف عليهم كذلك فرأى العلامات فقال لهم عثمان ياجدعان نحن اعطينا كم مصروف اول البارح وزوجنا كم لبعضكم كيف رجعتم قوام ثم فعلوا بهم كامثالهم ورجع بيبرس الى منزله هذا ماجرى واما أهل البلد الرعايا فأنوا لما اصبحوا فكان اول من صحا على بيته الذى في درب الجماميز فصاح يامتاعى والنساء صاحوا فطلع صاحب البيت هالع واذا بالغفرا قالوا له مالك قال لهم انسرقت حوايجى فقالوا له ياشيخ ان الذين سرقوا بيتك ما برحوا بمالك وان كل رجل منهم بقى اثنين تعالى خذ متاعك ثم احضروا شيخ الخط وشهد عليه واعطوه متاعه وكذلك الذى فى باب الخلق وكل ماكان وفرحت الخلق بهذا الحال (قال الراوى) ومما اتفق من الوزير ايبك التركمانى فانه في ذلك النهار لما اصبح عليه الصباح ركب مثل عادته يريد الديوان واذا به يجد عند باب القوطيه قتلى فارتعب قلبه ولم يقدر يلتفت ومشى الى السليمانية فرأى قتلى فدارت بطنه فدخل على الموسكى الى باب الخلق واذا بقتلى والى درب الجماميز فوجد كذلك ولا زال حتى وصل الى الرميله فوجد بالمثل فسار الى باب القلعه واذا بالقاضى النقاه وهو يرتعد مثل السعفة في يوم الريح العاصف فقال القاضى ما الخبر ياوزير قال ايبك الخبر مثل الطين ياقاضى اعلم ان بيبرص ولد علق على شان السرقة قتل ناس كثيرة وملا الارض بالقتلى وانت كلما تعمل تدبير موت بيبرص قل أحط فلوس وتقول ايبك مثلها وانا أحط فلوس على شان بيبرس يموت ياخذوها منا ومافيش مره يقع وانت ياقاضى احرمتنى فلوس متاعى وضيعتها على بيبرس وهو فى هذه الليلة قتل نصف مصر فقال القاضى اذا كان الامر كذلك احنا نشكوا الى السلطان ثم انهم ساروا طالعين الى الديوان واعتمدوا على انهم يشكوا بيبرس الى السلطان يكون لهم كلام (قال الراوى) وأما ماكان

من الملك الصالح ايوب فانه بات واصبح مثلك يامؤمن يصلى على نبي فى كفه الورد فتح ظهر وجلس على تخت قلعة الجبل ووحد القديم الازل التفت الى الميامن اطرقت والى المياسر اطرقت والصدر والجناحين قرأ القارىء وختم ودعا الداعى وختم امنت العساكر ترك وعرب وعجم وبعد ذلك صاح شاويش الديوان يقول صلوا على الرسول

الدنيا كصوت عاجز والجارى بها يتسير
لاتذكر نعايم فيها فالوافل نعم يحير
يامن غيرته ذى الدنيا واحوال الملوك تتغير
قل جل الذى في ملكه يغير ولا يتغير

(قال الراوى) فقال الملك آمنا ولله أطعنا من أين كنا حتى اتصلنا ياحاج شاهين جزاهم على الله لا بد ان الله تعالى يظهر الحق ولما راق الديوان وثب القاضى قائما على الاقدام ووقف على رخامة الطلب وقال يا امير المؤمنين هو الوالى تولى الولايه على سفك الدماء وقتل الناس المؤمنين فان هذا لا يجوز وقد قتل خلقا كثيراً وهذا شيء لا يحل من الله فقال ابنك انا شفت بعينى يا أمير المؤمنين حتى اذا ادعا وقال انهم حراميه فلا يجوز قتلهم بل كانت تنقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف فان الله تعالى قال السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما (الآيه) وانت يامولانا السلطان اذا تركت ذلك فانه يحرم عليك فان كل راعى مسؤل عن رعيته يوم القيامة وهذه الرعية انت مسؤل عنها فقال السلطان اذا كان فعل ذلك يبقى مخطى ابعث هات بيبرس يا شاهين فارسل الوزير الى الامير بيبرس وكان بيبرس نايم لانه بات سهران حتى صلى صلاة الافتتاح ونام فلما وصل رسول الاغا شاهين طلع الى المقعد فرآه نائم فأراد ان يرجع فاستيقظ الامير بيبرص

تشافه وقال من هـذا فاخبره انه مرسول من الوزير اليه ران الملك طالبك ليسألك عن ذلك القتلاء الذين في الشـواع والطريق فقال على الرأس والعين ثم انه قام ولبس ملابسه وحضرله عثمان الحصان فركب وطلع الى الديوان ثم انه خدم وترجم وأفصح ما به تكلم وانشد يقول صلوا على الرسول

لابلغت أعداك فيك مرادهم كلا ولا يصلوا اليك بمكرهم

فلقد حويت مشارقا ومناقبا ولووا الاعداء عنها على ادبارهم

مادمت منصورا عليهم دائما الله يرمى كيـدهم في نحرهم

(قال الراوى) فقال السلطان أهلا وسهلا بالرجل المجتهد فى تنظيف الطرقات من الرمم وحافظ العهود والذمم انت لاى شيء عمـال تمكن السيف في خلق الله وقتلت اناس كثيره من عباد الله يارجل انت ماتخاف من الله قال بيبرس انى أخاف الله رب العالمين يامولانا السلطان انا ماقتلت الا كل من يستحق القتل وانا أحكى لك وهو ان مقلد هو الذى كان مسرح الحراميه في شوارع مصر وحكى له الذى جرى بينه وبين مقلد وتوبة الحراميه واعطاؤهم الدراهم وزواجهم والعلامات الذى علمها عليهم بالنار وبعد ذلك رأيتهم سارقين بالليل وكشفت على علاماتهم وبعد ذلك قطعت رؤوسهم وأما مقلد فهو الآن عندى فان تاب تاب الله عليه وان لم يتب جعلته مثلهم قال السلطان يبقى المقتولين ياسيدى فيهم العلامات فان كانوا كذلك يبقى الحق بيد بيبرس فنزل عز الدين الحلبى باذن السلطان لانه قال له قم ياعز الدين وصحح لنا الخبر وشوف العلامات فان كانوا كذلك يبقى الحق بيد الامير ولمـا نزل عز الدين الحلبى وكشف عن الجميع ورجع وقال ياملك الاسلام رأيت الجميع فيهم العلامات وكانوا معه أربعـة من الاكراد وأعلموا السلطان ان أصحاب المتاع المسروق أخـذوه بمعرفة

الخفراء ومشائخ الحارات فلما سمع السلطان هذا الكلام قال ياقاضى بقى بيبرس ما افتراشي على الناس بل انه قتل بحق شرعى والحق مع بيبرس فى ذلك ياقاضى قال القاضى ياملك الاسلام ذلك الفضل من الله ثم التفت القاضى الى ايبك وقال له نحن لو كنا علمنا بالعلامات كنا قتلنا رجال بلا علامات وكان بيبرس يموت فيهم قال له ايبك لابد من ذلك وهى قدامه ليس له منها خلاص (ياساده) فعرف الملك ماهم عليه عازمين فقال يابيبرس ان وضع الرمم على قارعة الطريق فيها كشف ستر الناس والصواب دفن الرمم من حيث انه لابد لك من تنظيف الارض من اللصوص فابنى فى كل مفارق طرق جب وفى كل بوابة جب فاذا رأيت في الليل من هذا الجنس وقتلتهم فلا تبقيهم بل تاويهم فى الجب الذى يكون قريبا منهم فان الستر ياولدى مطلوب وقال الاقدمون

بعدى عن حبيبى استر وأجمل لا عينى تنظر ولا قلبى يحزن

(قال الرواى) فنزل بيبرس من الديوان واذا بالاغا ريحان اغا الدار قبل يد الامير وقال ان الملكة قالت لى قول الى بيبرس كلم أمك فاطمه شجرة الدر فقال بيبرس سمعا وطاعة ثم انه توجه الى ان وصل الى حرم السلطان فنادت السيده اليه وقالت له اطلع ياعادل فطلع وقبل يدها فعند ذلك قالت له ياولدى مرادى منك ان تأخذ هذا الكيس بالفين دينار تكلف به قبور صدقة يدفن فيها الغربا والفقراء وكذلك ابنى في كل مفارق الطرقات جبا كما أمرك ابن عمى واجعل هذا من مالى وثوابا لى وانت شريكى ياولدى فى الثواب روح ياولدى الله يبلغك ماتريد ويرزقك النصر والتأييد على كل كافر عنيد قال بيبرس سمعا وطاعة ونزل من عندها ووصل الى منزله وأحضر المهندس وأمره بذلك وأمره ان

يجعل في كل بوابه جب ومن برا البوابه كل باب عشرة قبور للصدقة خمسة للرجال وخمسة للنساء وجعل في كل مفرق طريق جب فكان في شوارع مصر سبعة عشر جبا وسبعة في الابواب والجمله أربعة وعشرين جبا وسبعون تربه وكل ذلك من مال السيدة فاطمه شجرة الدر وطلع بعد ذلك وأخبر السلطان بذلك فقال هذا رأى حسن لاجل اذا سقط ساقط بالليل لايراه أحد فى النهار لاجل ان لايتمكن الاعادى منك يابيبرس فقبل يده ونزل مجتهد في تمام القبور والاجباب يقع لها كلام اذا اتصلنا اليه نحكي عليه والعاشق فى جمال النبي يكثر من الصلاة عليه

(قال الراوى) وأما ماكان من أمر السلطان فانه لما نفض المنديل وتحولت العساكر والرجال ونزل ايبك ووقف في باب الديوان حتى لحقه القاضى فالتفت ايبك الى القاضى وقال له انت ياقاضى سبب فقد مالى واتلاف حالى ولم أبلغ به آمالى يامقـله بتاع الزغل التدبير بتاعك بطال أما والله بالله ياقاضى ان لم تعمل تدبير طيب من شأن بيبرس يموت والا اضربك واحد نبوت على رأسك أكسر عينيك لانك انت سبب هذا كله ياقاضى فقال القاضى لا تخف فانى لابد ان ادبر عليه حيلة واهلكه بها عن قريب وسوف تنظر بعينك كل أمر من فعلى عجيب وبعد ذلك سار القاضى الى ان وصل الى حارة الروم وأيبك مضى الى منزله (قال الراوى) ولما وصل القاضى ولع شمعة واحضر قلم وقرطاس ودواية من صنف النحاس وكتب كتاب أوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وانتم نوحد الملك القريب المجيب ونصلى ونسلم على سيدنا محمد الحبيب أما بعد من حضرة عالم الرووح وكل أمر مختوم البركى جوان عالم علوم ملة الروم والكرستيان الى بين ايادى ولدى المقدم زغوير الارملى باش عايق ببحاير أيغره اعام

ياولدي انه ظهر في بلاد الاسلام غلام اسمه بيبرس ولكنه آفة من الآفات
وهو يكره دين النصرانيه ويخرب الكنايس ويبني المدارس ويخرب الصوامع
ويبني جوامع ويخرب الديور ويبني قصور وانا لما رأيت تلك القضية
فما هان علي دين النصرانيه وها أنا مجتهد في موته وهلاكه على هذه العباره
لاجل نصرة دين النصاره ولكن لما اطلعت على كتاب اليونان وحكمة
أهل الزمان رايتك انت الذى يكون على يدك قتله ولما رأيت ذلك كتبت
اليك هذا الكتاب فاذا قرأت كتابي هذا تجمع الذى تحت يدك من العياق
وتأتى الى مصر وتجتهد كل الاجتهاد حتى تقتله وتريح النصارى من شره
ولك في نظير قتل بيبرس أقدم لك عقد حرير فيه مائة عقدة كل عقدة
بسنه زياده في عمرك كل ماتفرغ منه حل عقده الى ان تمضي تسعة وتسعين
فاذا أردت ان تعيش كمان ارجع [illegible] هم تاني مره يرجعوا لك باية غيرهم
ويبقى عمرك بيدك تحل فيه وتربط [illegible] اوهبتك ياولدي اثنى عشر فدان
في سقر واوهبتك قراطين من الوادى الاحمر وأوهبتك خمسة عشر مصطبه
في الهاوية كل هذا في نظير ما تقتل بيبرس المسلم وتريح النصارى منه وهذا
ماعندى والشكر للمسيح ثم طوى الكتاب ودعى بغلامه وقال له ياابن
سيف الروم سر بهذا الكتاب الى زغوير بن لوقا الارملي وقل له يعمل
بما فيه فأجابه بالسمع والطاعة (قال الراوى) وأخذ البرتقش الكتاب
ليلا وطلع يقطع الجبال وكل ارض وبحيره حتى وصل الى بحيرة ايغره
ولما دخل على الملعون زغوير في مكانه فدخل عليه ولما رآه عرفه ففرح
به وسأله عن سبب قدومه فقال له ان البركى جوان قد اطلع على كتاب
اليونان فرأى اماره واشارة بانه على يدك اقامة دين النصرانيه فكتب لك
كتاب لاجل تلك الاسباب وأنا جيت به اليك لاعرضه عليك فقال

هو ابى جوان في الارض او فى السماء فقال البرنقش هو لا يطلع الى السماء الا اذا كانت له حاجة عند المسيح يقضيها ويعود الى الارض ويجتهد فى نصرة دين النصرانية لانه عليه فرض ثم ان البرنقش ناوله الكتاب فحله وقرأه وفهم رموزه ومعناه فأجابه بالسمع والطاعة وكتب له رد الكتاب فأخذه ورجع الى استاذه فلما رآه فرح به واطمأن فؤاده هذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من الامير بيبرس فانه صار يشق فى مصر ليلا ونهارا يجدها في أمان واطمئنان فشكر على ذلك ربه الحنان المنان ودام على ذلك الامر والشان مدة من الزمان الى يوم من بعض الايام كان فى الصرة والبساتين وهو محل الغورية الآن وكان هناك خان وذلك الخان ظريف جميل يقال له خان السبيل فلما مر الامير بيبرس على ذلك الخان في هذا النهار فنظر الى ولد صغير يتشاجر مع رجل اختيار لكن الولد يسبه والاختيار مطول باله عليه والولد يقول ياناقص يارخيص قم هات المال الذى عندك فيقول الاختيار والله ما اعطيك الا على يد الوالى حتى يفصل بينى وبينك هذا والولد يزيد في السفاهة على الاختيار فتعجب بيبرس وقعد على دكان من داخل دهليز الخان وقال للاختيار ياأبى اذا كان هذا الغلام له عندك حق ومرامه أن يأخذ حقه منك ايش السبب انك تقول ماأعطيك الا على يد الوالى وبعد التفت الى الولد وقال له لاى شيء هذه السفاهة وانت تعلم ان الادب مطلوب وقال الرسول الخير فى امتى مادام صغيرهم يوقر كبيرهم فقال الولد أنا طالب حقى وطالب الحق لاجناح عليه فقال الامير للاختيار يتى الحق الذى عليك ان كنت انت عاجز عنه فقل لى وانا ادفعه عنك ابتغاء وجه الله تعالى فقال الاختيار يادولتلى أنا احكى لك حكايتى فان فيها موعظة لكنى أريد

منك ان تروق ذهنك وتلقى سمعك وتكثر من الصلاة على الرسول صلى
الله عليه وسلم قال بيبرس اللهم صلى وسلم عليه قال أنا كنت أولا كبير هذا
الخان وشيخ على كل التجار الساكنين فيه فيسمعون كلامى ويحفظون مقامى
وكنت تاجر مثلهم واكثر منهم اموالا وتاه مالى لاجل امر يريده الله تعالى
انا مقيم يوم من بعض الايام على باب الخان اذ نظرت الى رجل سائل وهو
يقول ماعندكم فان وما عند الله باق هنيئا لك يافاعل الخيرات فندهت عليه
فلما وصل الى عندى اردت ان اعطيه شيئا على قبول الصدقة لوجه الله
تعالى واذا به وقع الى الارض وفهق فهقة فخرجت روحه ومات لحينه
فقلت لاحول ولا قوة الا بالله بهذا قدر الله الكريم الحليم فقالوا لى
التجار انت كنت ناوى تعطيه صدقة فاجعلها كفنه واخرجه واوليه
الى رحمة الله تعالى وكان هـذا الغلام واقفا بجنبه فقالوا التجار وخذ ابنه
ربيـه لوجه الله تعالى فقلت لهم وهو كذلك ثم انى حضرت الحنوط
وشرعت فى غسله وتكفينه وعملت له مشـهدا عظيما وقد دفنته في
القرافة ورجعت وعملت له مايحتاج اليه من الختمات والسبح والرحمات
وبعـد ذلك اخـذت الولد عنـدى وفصلت له قفطان وجوخه وبدلة
هدوم وادخلته الحمـام وحميته والبسته ذلك البدلة وجعلته ولدى
لوجه الله تعالى فصار يأتى معى الى الخان ويروح الى بيتى حتى انه كبر
وانتشا وصار يجتمع مع أولاد الحاره والتجار وبقى عندهم بمنزلة عظيمة
وصاروا التجار يكرمونه اكراما زائدا وكذلك أولادهم اكراما واجلالا
لخاطرى الى يوم من بعض الايام وانا جالسا فى الدكان وأنظر الى الارض
فرأيت خنفسة وهى تمشى في الارض فنهضت من مكانى وضربتها برجلى
وقلت لها يعنى ملك الله ناقص حتى خلقك وقتلتها ثم رجعت الى مكانى

جلست برهة قليلة فأكانى رأسى فهرشته فطلع فيه دماميل وهميات ولا زال يكبر حتى صار مثل الرغيف وزاد علي الوجع فلزمت البيت وتركت الخان ومالى تحت يد الغلام فى الحواصل فخلانى ولم يسأل عنى فأرسلت اليه على أنه يعطينى شيئا من مالى فارسل يقول لى ليس لك فى الخان شيء واقام هكذا مدة وانا عيان فدورت على أثاث البيت وصرت أبيع وآكل أنا وعيالى الى أن نفد جميع ماعندى على طول الايام واخيرا بعت البيت وسكنت بالاجره وبقيت اصرف حتى نفد ثمن البيت وبعد ذلك بعت ملبوسى حتى بقيت لا أملك شيئا مطلقا فضاق صدرى من ذلك وليس لى رحيما الا الله تعالى ومن شدة ماضاق بى الامر قصدت الى مقام السيدة زينب وأرميت حملى عليها وشكيت حالى والذى اصابنى اليها فهتف بى هاتف وهو يقول لى اياك والاعتراض فانك اعترضت على الله تعالى حيث انك استحقرت بخلقته والله ماخلق شيئا الا يسبح بحمده ولا خلق شيئا الا وله منافع فاذا أردت العفو تب لله تعالى في مقام السيده على الاعتراض وعد الى بيتك وخذ سبعة خنفسات واقليهم فى الزيت الطيب ثم جففهم بعد القلي ثم احرقهم بالنار واسحقهم ورش منهم على ذلك الداء فان الله يشفيك ويعافيك مما انت فيه ففعلت ذلك ياسيدى وتبت عن الاعتراض فى مقام السيده وقد شفانى الله ولما شفيت أتيت الى الخان فسلموا على جميع التجار وهنونى بالسلامة الا هـذا الولد استغنى عنى فجلست على دكان من جملة الدكاكين فاخبرنى صاحب ذلك الدكان ان هـذا الولد دارت يده على جميع التجار الذين مقيمين في الخان وصار يتكلم عليهم وقد أطاعوه جميعاً وأعطوه المشيخة عوضا عنى وانا عزلونى بطريقة انى كنت عيان فقلت ان شاء الله لعله يكن خيرا ثم انى اقمت الى الظهر واذا برجل عجمي اتى من بلاد العجم بمتجر وكان ذلك الرجل بينى وبينه شركه

وأخذ وعاء ولما سأل عنى أخبروه بأنى افتقرت وقالوا له مات متجرك ولكن نحن نبيع لك هذه البضاعه ثم انه تركهم واتى الى عندى وقال لى يزول عنك الهم والغم فقلت له الحمد لله على كل حال انا بخير من الله تعالى فأعطانى عشرة طاقات مقصب عالى مشغولين من القصب المجبس وقال بيع الواحد بمائة دينار واعطينى تسعين وخذ انت العشرة فقلت له سمعا وطاعة فأخذتهم وبعتهم واتيت اليه بالدراهم فقال لى الثمن والربح كله اليك وهبة منى اليك فان الله عوضنى ببركة نبيه وأوليائه خيراً حتى انك تروح وتخلص ماعليك من الديون ففرحت بذلك وعلمت ان هذا كله ببركة السيدة زينب رضى الله عنها فبينما انا كذلك واذا بالولد مقبل على وقال لى هات الدراهم انا آخذ النصف وأنت تأخذ النصف فقلت ياولدى سامحنى فى ذلك لاننى محتاج اليهم وقد ربيتك ياولدى فاحفظ حق التربية وسامحنى فى هذه القضية لانه لو كان لك هذا المال ماتفعل معى كل هذه الفعال فقام لى وأهاننى وصار يسبنى كما ترى فقلت له لا أعطى لك دراهم الا على يد الوالى والحمد لله هاانت حضرت الى عندنا فاحكم بما يرضى الله بيننا وهذا آخر كلامى وهذا الولد أخبرتك بقصته والسلام (قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس ذلك القول من الاختيار غضب والتفت الى التجار وقال لهم حق ماقال هذا الشيخ ياأخيار قالوا نعم يادولاتلى كلما قاله فهو صحيح ولا فيه زور ولا تلويح فاقبل على الغلام وقال له هذا جزاء تربيته منك ياولد تفعل معه هكذا ماهو فعل أولاد حلال قال له الولد نحن ناس مشايخ نحكم فى بعضنا بالقانون ولايحكم علينا من له تعلق بالدوله لاوالى ولا غيره انت تحكم على الحراميه ولالك على التجار حكم اتركنا منا لبعضنا نفتصل قال له بيبرس يبقى القانون انك انت دون الناس اذا كان هذا الرجل

أحكي قضيته وشهدوا له هؤلاء السادات بصدق قوله وثبت ان التاجر انعم بالدراهم عليه فما يكون تعرض مثلك له والسفاهة عليه فقال الغلام انا أعرف القانون وانت ماالذي يخصك امضى أنت الى حال سبيلك من عندنا وانظر دعاوى غيرنا

(قال الراوى) فلما سمع الامير من الغلام ذلك الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وامتزج بالغضب وظهرت له سبعة جدريات بين عينيه ونفرت عروق حاجبيه وتحول السبع اللحم وصار ظاهر بين صدغيه فصار اذا رأته الحامل يسقط حملها واذا نظرته الخيل تبول الدم ولا بقى يعلم ان كان هو فى الارض او في السماء وصاح في الولد بأعلى صوته اعطيه الدراهم فاختاج الولد واعطاه الدراهم ثم صاح بيبرس على الخدام وقال ارموه فأرموه الى الارض وأمر بضربه بالسياط حتى طارت اظفاره ومن ذلك خافت التجار من الوالى ولما انتهى من ضرب الولد قال للتجار ان هذا الولد لايصلح ان يكون شيخاً عليكم بل اعزلوه والشيخ هذا الاختيار قالوا سمعا وطاعة وقاموا جميع التجار اخذوا بيد الاختيار وجعلوه شيخهم مثل ما كان (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب صلوا على طه الحبيب الذى كل من صلى عليه لايخيب لانه كان فى مصر ذلك الوقت رجل شاه بندر تجار يقال له السيد عبداللطيف الدمشقي وهو الحاكم على جميع الخانات يعنى خان السبيل وغيره وكان فى ذلك الوقت مارر من جهة المتولى وهو قاصد الى جهة الجماليه واخبروه بعض العوام بما جرى على شيخ خان السبيل من الوالى وكيف انه ضربه وعزله ولبس الشيخ القديم فقال ان الوالى ليس له حكم على التجار ولاى شيء تعدى على خان السبيل ثم انه اقبل الى خان السبيل فوجد الامير بيبرس جالس والناس على ماهم

عليه ثم نظر الى الغلام المضروب وفهم ان الوالى ضربه فجلس على اعلا
مكان ولم يبدى سلام وكان تلبس به الغضب واحتوى على عقله الشيطان
والتفت الى بيبرس وقال له ياالاغة انت من امرك ان تدخل الى هذا الخان
وهذا فيه اموال التجار وانت والى مصر واولاد الزنى كلهم تحت يدك
والاشرار وايش الذى الجأك تدخل الى محل التجار فقال بيبرس ياأبى
انا ماأخذت منه شيئا وانما رأيت اثنين متخاصمين حكمت عليهم بالانصاف
بحكم العدل لاجل منع الخلاف فقال له السيد عبد اللطيف انت تقدر على
مثل هذا كله ولكن انا اطلع الى السلطان واشكى اليه لانه اذا عدم من
خان السبيل شيء فانت المطلوب به فقال له الامير بيبرس ياأبى هذا شيء
ظاهر اذا عدم شيء من كل البلد فهو فى لزوم الوالى وانت ياأبى طيب قلبك
اذا عدم لك شيء من خان السبيل او غير خان السبيل فانا الملزوم به وكل
ماضاع منك قليل أو كثير فما أخذه أحداً الا انا وانا الضامن وان أردت
منى اكتب لك حجة بهذا القول على يد هؤلاء التجار يكون بينة فقال عبد
اللطيف هذا هو الصواب لاجل الاعتبار والعقل يعتبر بغيره انت تهجم
على محل التجار وتضرب مع انى اقدر اجيب مملوك يكون اجل منك قدراً
واجعله والى على مصر فقال الامير بيبرس تقدر ياأبى ولكنه اسرها
الامير بيبرس فى نفسه وقال ياأبى انا اكتب لك كل ماعدم انا ضامن له وكفيل
(قال الراوى) هنالك تقدم عثمان وقال له عمال تنفخ يا شيخ ومالك
حد طولت لسانك وسر المبرقعة ام البيت لو اعلم ان الجندى ما ينبطنيش
ما كنت انت تقدر تقول كله ما اخلى الا واحد من السياس يقطع بيت
منيكك ولكن قم يا أشقر ولا تكتب الحجه فقال بيبرس لا يا عثمان لا
بد ان اكتب اقعد انت ساكت يا عثمان ثم ان بيبرس بطل كلام عثمان

وكتب الحجه وانتهى الحال وشهدت المؤمنين من الناس الحاضرين والتجار والخواجات أجمعين وبعد ذلك انصرف بيبرس الى حال سبيله ومضى ذلك النهار ولما كان عند الصباح أقبلوا التجار يروموا ان يفتحوا الخان ويقعدوا في اماكنهم فوجدوا باب الخان مغلوق فدهوا على بوابين الخان وخبطوا بالاحجار فلم يجاوبهم أحد فاقاموا حتى تضحى النهار وحضر السيد عبد اللطيف ورأى التجار وهم كل واحد منهم واقفا محتار فسأل عن الاخبار فقالوا له ليس الخبر كالعيان من الصبح ونحن واقفين على باب الخان ونحن كما ترى وهذا الذى جرى (ياساده) وكان ذلك الخان حصين مكين ليس له منفذ ولا محل ليدخل منه انسان فلما اعاقهم الامر جلسوا على باب الخان الى ان تضحى النهار فلاجل امر يريده الله تعالى فايت الامير بيبرس من الطريق فتعلق به الخواجه عبد اللطيف ومعه الخواجات وشكوا له ماأصابهم وانهم لاعرفوا فتح الخان فجلس الامير بيبرس ولم يعلم ماقد جرى في عالم الغيب (قال الراوى) واعجب ماروى فى هذا الديوان ان المقدم سقر الوالى اجتمع مع المقدم سقر الهجان وقال له ياأخى الدولتلى بيبرس لنا مدة طويلة مارأيناه ولا علمنا ماالذى أصابه من أحوال الدنيا والله ياأخى انا مشتاق اليه سر بنا حتى نجتمع عليه لانه اخينا وان زيارة الاخوان واجبة على كل انسان ورحمة الله على ماسلف وان القائل يقول صلوا على الرسول

رفيق رفيقنا يعتب علينا * فوا أسفاه من عتب الرفيق

(ياساده) ثم ساروا الاثنين الى ان وصلوا مصر ثم انهم راحوا الى القلعة وسألوا عن بيبرس فاخبروهم بعض الخدام بانه صار والى مدينة مصر فنزلوا يفتشون عليه فمروا به قدام الخان وهو قاعد على بابه

فسلموا عليه فهناهم بالسلامة وفرح بقدومهم ثم انهم سألوه عن هذه العباره فاخبرهم بالحال وما جرى في ذلك المكان فقالوا يادولتلى ان أمرتنا بالطلوع الى هذا الخان طلعنا وان امرتنا بفتحه فتحناه فقال بيبرس كيف ذلك قالوا يادولتلى اذا اراد الرجل منا ان يطلع على صور لطلع فقال هيا يا اخوانى افعلوا حتى ارى مايكون فعند ذلك وقفوا الاثنين وأخرجوا من اوساطهم السرياقات وكل واحد منهم ارمى مفرده ودور سككه بعد ماطرح الكلاليب على صور الخان وشد رحاياته وتعلق كل واحد منهم على درج مفرده وبعد ما كانوا تحت الجدار بقوا فوق الاصوار فلما نظرتهم اولاد البلد والخواجات صاروا يتكلمون مع بعضهم فمنهم من يقول لرفيقه انظر ياأخي كيف طلعوا على الحيطان وهم كانهم الفيران فيقول الآخر ماهم رجال الوالى وهو الذى يسرحهم من تحت يده وفى الناس من يقول ماهو كبير اللصوص وقد زاد الكلام فيه بين الناس هذا وقد طلعوا الاثنين الى اعلا الخان وارموا الاكر ونزلوا الى حوش الخان فلم يجدوا فيه شيئا ووجدوا الغفرا والبوابين فى قلب الخان مبنجين ففتحوا الباب ودخلوا الخواجات واذا بالخان خالى كانه لم يكن فيه شيء مطلق لا كثير ولا قليل وكانه مكنوس فتعجبوا الناس غاية العجب وسألوا الغفرجيه عن تلك السبب فقالوا نحن لا نعلم بشى من ذلك الاسباب بل اننا غلقنا الخان مثل عادتنا ولا نعلم مااصابنا فى غفلتنا فاننا كنا نائمين حتى اتيتم الينا وايقظتمونا من مكاننا فقال عبد اللطيف نحن لا نلزم مال خان السبيل الا اليك ولا نأخذه الا منك يا امير بيبرس لان عندنا عليك حجة وما بيننا وبينك الا السلطان فقال بيبرس مرحبا وكرامة

(ياساده) فقل سقر الوالى وسقر الهجان يادولتلى هذا شغل عياق ماهو شغل سراق لان السارق مايحسن يفعل ذلك فقال بيبرس يامقادم الامر في ذلك لله تعالى يفعل مايشاء ويحكم بما يريد ثم ان بيبرس ركب وعاد الى داره ومعه الاسقار الاثنين ولكن مايحسن مايقول وهو على رأى من قال هذه الابيات

اكلم الناس ما ادرى ما اقول لهم فان كلمونى يرونى غائب الفكر

(قال الراوى) واما السيد عبد اللطيف فانه أخذ جميع تجار الخان وطلع بهم الى الديوان ليشكى الى السلطان (ياساده) وكان الملك الصالح فى هذا اليوم جالس على تخت الديوان والديوان متكامل وكان يقول الله يادايم الجزاء من جنس العمل جزاء الخالق على رب الحق ياحق انت الحق اللهم اظهر الحق واعلي كلمته اللهم اخمد الباطل واخذل كلمته ياحاج شاهين الرجل عنده المال ولكن مايسد شيء ولايلزمه شيء وأيضا هذا عليه غفيرة ام النور والكرامات وهو جارها والجار بالجار ولو جار لاسيما وهى من اهل الاقتدار والعاقبه ياحاج شاهين سليمة والرجل طريقته طيبة مستقيمة والذى ماأخذ شيء لايعطى شيء (ياساده) واذا بالسيد عبد اللطيف الدمشقى يقبل الارض بين يديه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة والسلام عليه ياأمير المومنين أجرنا وخلص حقنا ورد علينا أموالنا ثم ان عبد اللطيف أشار قدام السلطان وأنشد يقول

اذل لاعدائى وأنت وسيلتى وأظلم فى الدنيا وأنت نصير

يعار على راعى الحما وهو حاضر اذا ضاع فى البيداء عقال بعير

(قال الراوى) قال السلطان اهلا وسهلا بعبد اللطيف الدمشقى والتجار بتوع خان السبيل وأشغالكم ايه وعاوزين ايه فقال عبد اللطيف ياأمير المؤمنين نحن أهل خان

السبيل وهذا الخان عمره لا سطا عليه حرامى ولا سارق ابدا الا في هذه الليله وسبب سرقته بيبرس والى مصر لانه دخل للخان وتملل على الخواجات وأنا قلت له انت والي وطرفك أولاد الزنى واللصوص وأخاف ان يكون أحد من اتباعك يسطوا علينا فقال لنا أنا ضامن في كل ما ضاع من خان السبيل وغيره وقد كتب لنا هذه الحجه وبتنا وصبحنا رأينا الخان مقفول ولما حضر الوالى احضر معه رجاله مدوا الحبال وطلعوا عليهاوفتحوا الخان فوجدنا الخـان ما فيه شئ ولا ما ينقر الطير فسألنا الوالى لانه هو ضامن فقام ولا رد علينا جواب وهذه قصتنا ونحن طالبين اموالنا بموجب هذه الحجه فضلا عن انه والي وتحت يده مقدمين الدرك وهو المسؤل على كل ما ضاع من البلاد (يا كرام) ثم ان عبـد اللطيف طلع حجة شرعيـة مكتوبة على الامير بيبرس وقال له تفضل ياأمير المؤمنين فاخذ الحجـة السلطان وأعطاها للوزير يقرأها واذا مضمونها الزام بيبرس فى كل مافقد من مال خان السبيل (ياساده) هناك تحرك القاضى من مكانه وهز ديدبانه وجنح طيلسانه وقال ياملك المسلمين ان مال خان السبيل حقا فهو يلزم بيبرس قطعا هذا القول لاشك فيه ولاريب بطريقة ما كتبوا عليه هذه الحجه وأيضا ياملك المسلمين ايش يقول اذا كان له رجال يتسلقون على الحبال ويطلعون على الاصوار فانا أقول انهم هم السارقون وان الامير بيبرس هو القاعدة لهم ولايلزم السكوت على حقوق المؤمنين يامولانا لا تخلى عن هذا الامر ابداً فان الذى له مقدره على هذه الفعال يخشى منه ان يتجارى على ماهو أقوى من ذلك بمعنى يتجارى على قلعة الجبل ويملك بهذه الرجال الذين يطلعون على الحبال كلما أراد ونحن نخاف منه ياملك فان هذا شىء من الـكبائر ياحفيظ تحركوا ياأجدادى ياعراقيون قال السلطان طيب

ياقاضى الله أعلم بالسرائر قال المعز ايبك التركمانى الحق مع القاضى يابعض شاه
اذا كان أناسا مثل ذلك موجودين احنا كان نخاف على رؤوسنا اذا كان
ايبك نايم كان الستحريم بتاعنا اطلع فلاح ازرب علينا واحد سيف نموت
على باب الله لازم من دعوه ديه ماسيبوش ابداً قال القاضى كذلك ياوزير
قال السلطان ياحاج شاهين حضر لنا بيبرس حتى ننظر هذه العباره فعند
ذلك أرسل الوزير اثنين مماليك اطلب بيبرس فساروا طالبين دارا باديس
وهو منزل الامير بيبرس هذا ماجرى فى الديوان (قال) وأما ما كان
من الامير بيبرس فانه لما رجع من خان السبيل حضر المقدم مقلد بين
يديه وقال له يارجل انت لما انحبست كان لك اناس من تحت يدك سرقوا
مال خان السبيل وانما انا لما طلبت منك ان تتوب فما رضيت مع ان
من تاب تاب الله عليه وانت لاقبلت أن تتوب ولكن اعلمنى على الذى
فعل ذلك الفعل الوبيل وسرق مال خان السبيل وانا وعزة الله أطلق
سبيلك وأسامحك في الذى مضى ولا أعاقبك الا اذا حصل منك ذنب جديد
فقال مقلد يادولاتلي وحق مقام السيده زينب الذى انت تلميذها لا أعلم ولا
أرسلت ولا وكلت ولالى علم بالذى سرق خان السبيل فقال حرحش
يامقدم مقلد أنت من أين لك اعتقاد في السيده زينب مطلق ما تعتقد شيئا
فى آل البيت ولا غيرهم والدليل على ذلك لما كنت طلبت منى حرق
حارة الدولاتلى فذكرت لك انها بجوار السيده زينب فلم تقبل منى وقلت لى ان
السيده ماتت (قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام ارمى
مقلد وضربه ضربا وجيعا وقرره فلم يعلم وبعد ذلك ضرب غلامه فضه فلم
يعلم بشيء فاعادهم الى السجن ثانيا وفى ذلك الوقت حضروا الاثنين الذين
ارسلهم الوزير فى طلبه الى الديوان وصبحوا عليه وقالوا له أجب أمير

المؤمنين فقال الامير بيبرس سمعا وطاعة ثم قام من ساعته وركب وسار
طالب الديوان وتقدم وقبل الارض وخدم وترجم وأفصح مابه تكلم ودعى
للملك الصالح ودولته بدوام العز والنعم قال له السلطان ياسيدى بيبرس
أنت صحيح كتبت عليك حجة بضمان ماعدم من خان السبيل وكان الخان
عامر قبل ان يسرق ولما ذلك يعني لان مصر فيها خانات بكثرة ومحلات
فيها مال أكثر من خان السبيل ولماذا أنت اختصيت بخان السبيل
وكتبت عليك حجة بضمانه من دون غيره فقال القاضي ولابد له في ذلك
مآرب أخرى قال السلطان أسكت ياقاضى وانا أكلمه فعند ذلك أحكى
بيبرس للسلطان على الرجل وكان اسمه نصار واسم الولد عبد الهادى
وكيف انه حضر السيد عبد اللطيف الدمشقي والعباره التى جرت وهذا
سبب كتابة الحجه قال السلطان ومع الحجه يا بيبرس انسرق الخان وحكمه
قريب في ظرف كتابة الحجه وبعد ذلك بقي يلزمك مال خان السبيل ايش
تقول فيه قال بيبرس ياملك الاسلام انا أعلم حقا فى ذلك انى ملزوم واذا
أمرتنى بدفع كل ماعدم حالا أدفعه امتثالا لامرك ولكن الانصاف من الايمان
وأطلب المهله حتى انى أحضر الغريم الذى فعل تلك الفعال وأقيم عليه الاحكام
واقتص منه بالجزاء الذى يستحقه بعد أن يعطي للناس أموالها والغريم بعد ذلك يجازى
على مافعل فقال القاضى اذا اردت مهلة فان الشرع يمهلك ثلاثة ايام لكن
يكون بضامن يضمنك فانت من الضامن الذى يضمن فيك فى ذلك فقال
الوزير انا الضامن فى ابنى الامير بيبرس فقال القاضى طيب ياوزير لكن
انت كمان نطلب منك ضامن قال الوزير والله ياقاضى انا اورد مال خان
السبيل عن الامير بيبرس ولو انى احط جميع مالى واذا كان مالى لم يوفى
ارسل الى اخى مسعود بيك في البصرة يرسل لى المال فقال القاضى طيب

كلامك ولكن هذا حكم شرعي لابد من تأكيد الضمانه فقال الملك الصالح انا ضامن الضامن والمضمون اعني الوالي والوزير فان الاثنين رأس دواتي وانا عمدتهم والا ياقاضي اجيب لك انا ضامن قال القاضي انت لم يجب ان أحد يضمنك ابداً فقال السلطان ياعبد اللطيف خذ الخواجات وانزلوا وبعد مضي ثلاثة ايام تعالوا الى عندي هنا خذوا اموال خان السبيل ان شاء الله تعالى وانت ياأبي بيبرس انزل من هنا وفتش على غريمك والله تعالى يوقعه في يدك عن قريب لكن احكلي عن الشيخ عثمان في اى جهة قال حاضر ثم نادى على عثمان فطلع الى الديوان وقال نعم يابو جوطه فقال ماتفتح وتساعد الامير بيبرس قال له عثمان انه لم يطاوعني فقال الملك طاوعه يابيبرس وروحوا فتشوا على الغريم فعند ذلك نزل عثمان واراد بيبرس ان ينزل فقال له الملك الصالح ياأبي بيبرس ان مقلد وغلامه الذي عندك لم يعلموا بشيء من ذلك وانما هذه افعال الحجرة الزرقي حسبنا الله ونعم الوكيل طاوع عثمان (ياساده) فتذكر الامير بيبرس كلام الملك الصالح كم من مرة وهو يقول له طاوع عثمان ثم قال له الملك الصالح اسمع كلامي فقال بيبرس سمعا وطاعة ياملك ونزل بيبرس فوجد عثمان يضحك فتباشر عند ذلك بيبرس وقال ياعثمان اول ماروح على أى طريق قال عثمان نروح اول الى الميرقمة ونزورها لانها هي غفيرة مصر فقال بيبرس صدقت فركب الامير على الحصان وسار وعثمان قدامه الى ان وصلوا الى باب السيده زينب ودخل الامير بيبرس ووقف عثمان ماسك الحصان وأما بيبرس دخل ووقف قدام المقام وأنشد يقول

ان باب الله طه جدكم * ولكم قدر على عز على

وكل من يطلب قضاء حاجته * وأتى من غيركم لم يدخلي

ثم انه تملا بمشاهدة المقام وقرأ الفاتحة وما تيسر من القرآن وفرق الصدقات على جميع الخدام الذين بجوار المقام وبعد ذلك جلس قدام باب المقام وصار يشكي الى السيدة ماهو فيه فأخذته سنة من النوم ووحد الحى القيوم فلما غفلت عينه واذا بالسيده قدامه تتبختر في حلل الجنة فلما نظر اليها قال لها ياسيدتى هاأنامن أتباعك وانت ياسيدتى اوعدتيني بقضاء حوائجى على يدك ولا لى فى الدنيا من اعتمد عليه الا جنابك ياصاحبة القناع الطاهر فقالت له لاتخاف يابيبرس فان عدوك مقهور مكمود وانت ان شاء الله تعالى فى كل الاوقات مسعود ولكن طاوع عثمان (ياساده) فأفاق الامير بيبرس ولكنه فرحان ومتباشر بالخير فقام قرأ الفاتحة وخرج الى البيت فرأى عثمان واقف يتكلم مع الحصان ويقول له طاوعني ياجدع واسمع كلام السيدة وانت تبقى فى الف خير (قال الراوى) فعلم بيبرس ان عثمان مكاشف لايخلوا من الكرامات فقال بيبرس ياعثمان قال عثمان نعم قال له انى مأمور ان اطاوعك فى جميع ماتقول لى عليه وهاانا طائع على هذا الشرط بقا قول لى على اى طريق نسير فقال عثمان يعنى انت تطاوعنى قال بيبرس نعم اطاوعك قال عثمان اول كل شيء هات لنا ابو لولب وابو جمجمة يعنى سقر اللاوالى وسقر الهجان قال بيبرس هما فين قال عثمان هما فى البيت قال له واذا جبناهم قال عثمان نروح الى خان السبيل قال بيبرس طب ثم ان بيبرس ركب واخذ معه عثمان الى الدار فوجد الاسقار الاثنين واقفين له فى الانتظار فقال لهم سيروا معى وسار بهم الى ان وصل الى خان السبيل فقال عثمان انزل فنزل بيبرس وقعد على باب الخان ووقف سقر الهجان عن يمينه وسقر اللاوالى عن شماله والخدام واقفين قدامه والناس داخلين وخارجين يتأسفون على الامير بيبرس والبعض يقول

هو الذى فعل هذه الفعال أو واحد من طرفه من اولاد الزنا الذين تحت يده ماهو الوالى كل اولاد الزنا تعرفه (قال الراوى) وصارت الناس فى قيل وقال وبيبرس يسمع غالب الاقوال ولم يراجع احد فى السؤال فبينماهم على ذلك الحال واذا برجل مغربى مغربى وبيده سبحة مرجان يسبح بها وعلى اكتافه حرام وهو داخل الى الخان فلما نظر اليه عثمان قال لسيده ياأشقر قال له نعم قال امسك هذا المغربى قال بيبرس لاى شىء ياعثمان قال عثمان هذا المغربى هو الذى سرق أموال خان السبيل بالله امسكه وبطل عنك القال والقيل قال عجب عجيب يارجل بلا كلام هذا مغربى كيف لى عليه حجة او عتب أوملام واذا بذلك المغربى غطس ماباك كأنه ماكان قال بيبرس هو فين ياعثمان قال عثمان ضيعته يامفش وخالفتنى وهو قريب القاضى ومنقرش قوم بقى اركب وروح الى بيتك ومابقى ينوبك شىء قال بيبرس هات الحصان وركب وسار الى بيته وجلس فنزل عثمان وأمر السياس احضروا له الغدا تغدا وكان بيبرس نزع ملابسه وأراد أن ينام فطلع له عثمان وقال له قم بنا قال بيبرس على فين نروح ياعثمان قال على السيدة نفيسه قال بيبرس مناسب حضر لى الحصان وركب وسار وعثمان معه وكذلك الاسقار ساروا معه ولازالوا سائرين حتى وصلوا الى السيده نفيسه فنزل بيبرس ودخل جامع السيده ومازال الى ان وصل الى قدام المقام وقال ياأهل البيت شيئا لله من المدد ثم انه طلق لسانه بالتوسل وجعل ينشد ويقول صلوا على الرسول

يا آل بيت المصطفى   انتم بكم ياسادتى
انى نزلت بحيكم   أشكو لكم مصيبتى
هل تقبلوا معذرتى   وترحموا مذلتى

واقف على اعتابكم ارمى عليكم حملتى
فان رددتمونى فمن يكون لى في شدتى
وها انا أرجو الحمى في حبكم ياسادتى
يا ربنا بالمصطفى المبعوث لجميع الامة
وبالجماعة أجمعين الطهر ذى الفضيلة
وبالحسن والحسين وأمهم فاطمة
وصاحبة هذا المقام سلالة النبوة
نفيسة العلم التى خصت لها الكرامة
بحقهم وبيتهم وجدهم ذو النبوة
بالاوليا والاتقيا والاصفيا ذو الرفقة
تنعم على عاجلا يارب واقضى حاجتى
ثم الصلاة والسلام وأفضل التحية
على النبي والمصطفى من جاء بالهداية
محمد خير الورى شفيع جميع الامة

(قال الراوى) فلما فرغ الامير بيبرس من كلامه وما أبداه من نظامه شكى حاله الى السيده نفيسه وأباح بما فى ضميره فأخذته سنة من النوم فرأى السيدة وهى مقبله تتبختر فى حلل الجنه وانوار النبوة لائحة من ثنايا جبينها وقالت له يابيبرس لا تخاف ولا تحزن انت الظافر ولكن طاوع عثمان فيما يأمرك به تظفر بعدوك وأما ان خالفته تحصل لك مشقه فاتق الله وطاوعه فان الله له في خلقه سراً خفيا لايعلمه الاهو وأنت طاوع عثمان ففاق الامير من منامه وهو منشرح الصدر بكلام السيده وخرج الى عثمان فرآه يتكلم مع الحصان وهو يقول له ان طاوعتنى أكثر لك

من العايق وأما ان خالفتنى ماتشوف ياعرص الا الضيق ونشفان الريق فقال بيبرس ياعثمان قال عثمان نعم قال نروح فين قال عثمان نروح الى خان السبيل فسار بيبرس الى خان السبيل وجلس ووقف على يمينه سقر الهجان وعن شماله سقر اللوالى واذا بواحد سراج مقبل فقال عثمان امسك ياأشقر هذا السراج فقال لاى شىء أمسكه قال عثمان هو الذى سرق مال خان السبيل قال بيبرس ياعثمان اتق الله هذا اذا كان نار مايحرق موضعه فمر السراج من بينهم كأنه الريح وغطس مابان كأنه ما كان قال عثمان ضيعته ثانى مره وخالفتنى ولم تسمع كلامى وسر المبرقعه ان خالفتنى لم يطلع من يدك تجمع من مال خان السبيل ولا درهما واحداً اشهدوا عليه يابو لواب وانت يابو هجمه فقالوا الاسقار يادولاتلى ان السلطان أيوب ولى الله المجذوب أمرك أن تطاوع عثمان وكذلك السيدتان أمروك بذلك فلاى شىء تكون المخالفة ولكن ياشيخ عثمان احنا نطاوعك فى هذه المرة فقال عثمان وهو الآخر يطاوعنى قال بيبرس انا ما أطاوعك الا فى الذى الظاهر فقال له عثمان بخاطرك خليك قاعد لما تجيك الاموال قال بيبرس هاانا قاعد فتركه عثمان فأخذته سنة من النوم واذا بالسيده أقبلت عليه ثانيا وقالت له انا أقول لك طاوع عثمان وأنت تخالفه ان كنت ماتطاوع عثمان طاوعنى وانا أقول لك طاوع عثمان ففاق من نومه وقال ياعثمان انا طاوعتك فيما تأمرنى به ولو تقول لى اقع فى النار أقع ولا أخالفك أبداً فعندها فرح عثمان وصاح يا كريمة الدارين وقتك واذا برجل اختيار شيخ كبير مقبل وتحت باطه محفظه ولابس فرجيه كبيره وطيلسان عظيم وبيده سبحه وهو سائر فى الطريق ويسبح قال عثمان ياأشقر قال نعم قال له امسك هذا الفقيه هذا قريب القاضى وهو الذى سرق مال خان السبيل فنهض الامير ولحق الفقيه ووقف

قدامه وقال ياشيخ قال نعم قال له بيبرس ولاي شيء لاتقول السلام عليكم أما تعلم ان السلام سنة على كل مؤمن ورده فرض فاذا كنت أنت من علماء الاسلام ولم تحي بالسلام فكيف يكون الجاهل من العوام فقال الشيخ ياولدى الحق معك فى ذلك ولكن انا كما ترانى مشغول بالقراءة وبذكر الله فلا تؤاخذنى فانى مارأيتك ولاأخذت بالى منك فقال بيبرس لا وانما هذا كبر منك ياكاب يبقى انا والى مصروانت لم تقرينى بالسلام تظن انى لست من أهل السلام امسكوه فتقدموا اليه الاسقار والسياس وأداروه كتاف وقووا منه السواعد والاطراف فقالوا بعض التجاريا لاغه واحد ماقال السلام عليكم يلزم له كتاف على قدر هكذا في بلادالاسلام فقال بيبرس ياناس لايخص أحد منكم شيء ابداً وانما انا تصور في ذهنى ان هذا الرجل هو الذى سرق مال خان السبيل ولكن حتى اتحقق منه طيب فاز الذهن خوان فعند ذلك صارت الناس تتكلم كلا منهم بكلام ناس تقول كنا نصلى وراءه صلاة الظهر فى جامع طيلون وناس يقولون رأينا هذا الشيخ عالم يقرى حصته في الازهر وهو من علماء الاسلام وناس تقول الوالى يمكن يطاب منه الدعاء ان الله يوقع غريمه في يده وناس تقول يفتح على وجهه مندل وناس تقول الوالى غرقان فان مال خان السبيل ضاع فتملق فى هذا الفقيه لاجل ان اصحاب المال يمكن تكون عندهم رأفة يقولون له اطلق سبيل هذا الشيخ ونحن الله يخلف علينا فى مالنا وهذا الامر لايمكن والله ان ما كان الوالى يحط مال التجار لابد ان السلطان يصلبه على باب الخان وكثر الكلام في حق بيبرس وصارت الناس تقول لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قال الراوى) واما الامير بيبرس فانه ركب وراح الى بيته وامر الاسقار ان يحضروا عنده في البيت وقد جلس الامير بيبرس في بيته وقال هاتوه

فاحضروه بين يديه فقال له ياشيخ قال نعم قال اين مال خان السبيل قال له اتق الله الذى لااله الا هو يابنى وراقب الله انا مثلى من يكون حرامى يابنى انظر بعينك واخشى الواحد المتعال انا مثلى من يعمل هذه الفعال ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل ترانى اتعلق فى اذيالك ياولدى يوم تقوم الناس لرب العالمين يبقى المولى حاكم عادل والسجن جهنم والملائكة شهود قال بيبرس ياعثمان قال عثمان نعم قال ايش رأيك قال عثمان انبطه قال الامير ارموه فعندها ارموه ودارت عليه العدة فضربوه الف كرباج وهو يقول لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وبعد ذلك قال له ياشيخ تعدم نفسك قول لنا على مال خان السبيل قال الرجل حسبنا الله ونعم الوكيل قال بيبرس حطوه فى الحديد فوضعوا فى رقبته حديد ووضعوه في السجن الى ثانى الايام ولما فاق الامير بيبرس من منامه وصلى فرضه وقرأ ورده ونزل وقعد فى المقعد فتقدم اليه عثمان وقال له هات الرجل ياأشقر لانى انا شايفه رجل يقرأ الكتاب يمكن انا عينى زغلت فقال بيبرس لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ياعثمان تسيبه قال عثمان لما ننبطه المره ديه كمان فاحضره بيبرس فرأى كفوف رجليه مهريه بالكرباج فامر بضربه على ظهره فضربوه الف كرباج وبعدها قال له الامير بيبرس ياشيخ أين مال خان السبيل قال له مظلوم وحسبنا الله ونعم الوكيل فقال بيبرس ياعثمان قال عثمان هو بذاته قال بيبرس اضربوه على صدره فضربوه الف كرباج وحبسه الى ثانى يوم واحضره وضربه الف على افخاده والفاً على ظهره ولم يقر بشىء ابداً فأحضره وقت العصر وضربه خمسمائه على كفوفه والف اخرى على ظهره وهو صابر ولم يقر

(قال الراوى) فضاق صدر عثمان وخاف من سيده ان يطلقه ولم يبلغ

مقصود من اظهار مال التجار فتقدم الى بيبرس وقال له ياجندى هذا الرجل مظلوم اعطيه لى حتى أشوف الحق بيدى انا والا بيدك انت فقال بيبرس خذه ياعثمان قرره انت عندك فسار عثمان الى الرجل ودخل عنده في السجن وقال له يا شيـخ انت مظلوم والرجل هذا ظالمك لانه عقب ظلم ولا فى ظلامه نور ولـكن انا مرادى ان اعمل فيك جميل وأطلق سبيلك فقال له الرجل جزاك الله خيرا ياسيـدى فقال له قم معى فقـام معه فأخذه الى الاسطبل وقال له الله يجازى الجندى ما هو الا ابن زنى سل مل ونحن يجب علينا اكرامك فقال له الرجل اكرامى اطلاق سبيلى هو الاكرام فقال عثمان هذا لا يمـكن ابداً وأنت ما بقيت تقعد لا بد ان أطلقك لكن ياجدع بعد ما تتغدى وتشبع ولما يمسى المساء وينام الجندى أنا أخليك تروح وان سأل عليك الجندى أقول له سيبناه هو رجل فقيه عالم لا هو حرامى ولا يعرف السرقه وانمـا دور على الحراميه هات يا عقـيرب غذيه فعند ذلك أحضر له عثمان خمسـة أرغفه سخان وعشرين بيضه مشويه وحوت فسيـخ وقاب بطارخ وجاب له آنيه فيها زيت طيب وخل وقال له يا شيخ هذه ضيافتى كل هذا الطعام وقم روح الى محالك نام فانك اذا أكلت هذا كله لم يبقى لك عندنا مقام فلما سمع الرجل ذلك الكلام فرح وتقدم الى الطعام وكان جيعان فأكل حتى اكتفى وطلب الماء ليشرب فقال له يا سيدى اسقينى فناوله عثمان الماء قال على المـاء ولا زال يشرب (ياساده) ولا يخفى يا كرام ان الطعام حامى ومالح فصار كلما شرب فما يزداد الا عطشا ولا زال حتى شرب قدرة من الماء وقد كاد الماء أن يخرج من فمه ومن عينه وبعد ذلك أتاه حصر البول فقال لعثمان مرادى أزيل ضروره فقال له عثمان قول نشخ قال نعم قال عثمان تشخ سياسى والا

مثل اولاد البلد فقال ومامعنى هذا الكلام قال عثمان ان كنت ناوى تشخ
مثل ما تشخ اولاد البلد اصبر لما يطلع الجندى ونحن نطلعك تشخ برا احسن
لا يشوفك يقول لى من قال اك اطلقه وان كان تشخ سياسى قف وطرطر على
السباله قال انا اقف واطرطر على السباله قال عثمان قوم فقام الرجل ووقف
وأخرج ذكره فتقدم له عثمان وركب له زيار على ذكره وكبس عليه وقد داروا
به السياس وشدوه من الجانبين فعند ذلك طار عقل الملعون واراد ان يصرخ
ويقول آه فصاح بلغوته المقلوبة وقال واى فشده عثمان بالقوى ولم يرحمه فقال فى
عرضك ياسيدى قال عثمان انت نصرانى قال نعم ياسيدى نصرانى قال
واسمك ايه قال زغوير قال عثمان انت زغوير ومال خان السبيل في اي
مكان يازغوير قال عندى ياسيدى بس نشخ قال تعالى معى فوق فان هنا
ماهو مطرح للشخاخ وسحبه عثمان وطلع به الى المقعد (ياساده) فبينما الامير
جالس يتفكر في هذا الامر واذا بعثمان مقبل عليه النبي يتبسم في وجه من
يصلى عليه فلما نظر بيبرس الي ذلك قال ايه ياعثمان قال عثمان هذا
نصرانى واسمه زغلول ومال خان السبيل عنده قال بيبرس انت من يارجل
قال له زغوير بس نشخ لان بزبوزى راح ينقطع قال بيبرس واين مال
خان السبيل يا ملعون قال عندى ياسيدى احضره حالا ولكن بس نشخ في عرضك
قال بيبرس انت من اى البلاد قال من بحاير ايغره قال بيبرس وايش جابك
وايش اوصلك الى مصر وايش الجاك الي سرقة الخان ولما انك سرقته
لاى شيء رجعت ثانيا الى الخان قول لي على الصحيح وانا اقول لعثمان يطلقك
وتروح تشخ (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان القاضى لما كتب
الجواب وارسله الى هذا الملعون مع غلامه البرتقش وكان هذا اللعين جهز
نفسه وسار ومعه اربعين عايقا من الكفار اللئام ولما قربوا الى مصر

لبسوا ملابس الاسلام وساروا حتى دخلوا مصر وتوطنوا فى حارة الافرنج
وصار الملعون يدور فى مصر ليجد فرصة يهلك بها الامير بيبرس فلاجل
امر يريده الله تعالى اقبلوا الى خان السبيل وكان قدومهم عند مشاجرة
السيد عبد اللطيف مع الامير بيبرس لما كتب عليه الحجة بشهادة التجار
وضمان خان السبيل فقالوا نحن نسرق هذا الخان وندخله في اى مكان ويبقى
الطالب بيبرس فيقتله سلطان المسلمين واذا لم يموت نصبر احنا الى ان ينقطع
الطلب وننتقل الى بيت عالم الملة جوان ونترقب الى بيبرس حتى نقتله
على اى وجه كان قال زغوير هذا رأى طيب ولما تقرر الامر بينهم على
ذلك المباره صبروا حتى اقبل الليل بالاعتكار واقبل الواحد واربعين كافر
الى الخان وارمو السرياق الحرير وتمكنوا من الخان وشدوا الرياحات
ودقوا فيها السكك وتعلقوا وطلعوا فوق الاسوار وقد تمكنوا من الخان
وارادوا ان ينقلوا كل مافيه فوجدوه شيء كثير وكان فى قلب الخان سبيل
قديم هادم مكسور ولم يكن فيه ماء بل هو ناشف من مدة زمان ولا له
استعمال فوضعوا جميع الامتعة فيه وقال زغوير لرجاله كونوا انتم هنا
حتى ينقطع الطلب عنا ولم يبقى خارج السبيل الا هذا الملعون زغوير وله
غلاما تابعه اسمه صابور فكانوا هم الاثنين خارج السبيل يحضروا لاصحابهم
كلما يحتاجون اليه وبسبب ذلك كان الملعون دائماً يحوم حول الخان وقلبه
عند رجاله الاربعين الذين فى ذلك المكان فاول يوم دخل في صفة
مغربى وعرفه الاسطى عثمان وثانى يوم دخل في صفة سراج وقد
كشف عليه عثمان فى المرتين ويقول لسيده امسكه فلم يطاوعه الى ان نفذ
سهم الله فيه ورجع ثالث مرة وهو على صفة عالم فقبض عليه بيبرس
وهذا السبب وان الملعون زغوير من شدة حرقان ذكره احكا كلما جرى

له بالصحيح ولم يخالف لابزور ولا بتلويح فلما سمع بيبرس ذلك الكلام خر ساجدا لله تعالى الملك العلام وفرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقام وركب ومشى والملعون بين يديه الى ان وصل الى الخان وكان محاذيه جرحش وعثمان ولما دخلوا الى خان السبيل اعلمهم الملعون بالسهريج الذى فيه المال والمتاع فدخلوا الاثنين الفداويه الى ذلك المكان وهما سقر اللوالى وسقر الهجان واحضروا مبخرة من النحاس ووضعوا فى قلبها نار ونصيب من البنج وحذفوها فى السهريج فتبنجوا الاربعين عائق الذين فيه ونزلوا بعد ذلك وطلعوهم واحد بعد واحد حتى اخرجوا الاربعين واقرنوهم لبعضهم كل هذا يجرى والسيد عبد اللطيف والتجار تنظر وترى فتقدم السيد عبد اللطيف الى الامير بيبرس وقال له مثلك من يكون والى صحيح ومتولى المناصب فقال له بيبرس يا ابى قف حتى تستلم مالك مع اموال التجار فصبر حتى طلعوا جميع الاموال ولم يعدم ولا خيط ولا ابره وتسلم كل ذى حق حقه وقال بيبرس فى غداً يكون حضوركم امام السلطان لاجل الضمانة قالوا له جميعاً على الرأس والعين يادولاتلى وشكر الله فضلك قال بيبرس هل انتم اخذتم اموالكم قالوا نعم فقال كل واحد منكم يعطينى سند عليه بالتسليم لاجل ثبوت البراءة امام السلطان قالوا سمعا وطاعة فأخذ منهم سندات بخطوطهم واخذ زغوير والاربعين رجل ومضى بيبرس الى حال سبيله هذا ماجرى صلوا على خير الورى (قال الراوى) اسمعوا ما جرى من أمر الملك الصالح نجم الدين ايوب ولى الله المجذوب فانه بات واصبح ظهر الى الديوان وهو فى ذلك النهار فرحان ثم التفت الى الاغا شاهين الافرم بن الدرويش عثمان وقال ياحاج شاهين حامت جوارح العقبان على القربان مسكوهم وقالوا رايحين يلصوا

منهم الاذان ياشاهين ونابهم ايه يعني لكن أعمار تدانت

اذا ما أتتنا المنية الى بلادنا * سعينا وروحنا للمنية بلادها

فالتفت القاضي الي السلطان وقال له يا ملك المسلمين ان هذا النهار هو الميعاد الذي يدفع فيه مال خان السبيل من ابنك الظاهر بيبرس قال له السلطان نعم لكن هذا شئ ظاهر وان الله عالم السرائر قال القاضي يا مولانا اذا كان عندنا ناس تطلع على الجبال فلهذا يقال انه قادر على كل الفعال ولا تخلوا منه تلك الاحوال (يا ساده) فبينما هم في هذا الكلام واذا ببيبرس طالع وصحبته عبد اللطيف والتجار فقال الملك ما لكم ياناس قال القاضي طالبين حقهم قال الملك حقهم عند من ياقاضي قال عند بيبرس قال السلطان ياسيدي بيبرس فكني من الضمانه ياظاهر قال بيبرس ياأمير المؤمنين انهم أخذوا حقهم ولم يبقى لهم عندي شيء مطلق أبداً وهاهم قدامك اسألهم فقال الملك ياعبد اللطيف حق ماقال قال نعم يامولانا حق أخذنا حقنا بالتمام والكمال قال الملك يابيبرس كنت أخذته ورديته لهم ثانياً والا لقيته عند أحد قال بيبرس وانما كان واحد عايق نصراني سطى على الخان والله تعالى أوقعه ومعه أربعين كافر كل واحد منهم مثل الخنزير ولهم ملعون عايق عليهم كبير اسمه زغوير فقال الملك هم فين قال بيبرس هم موجودين هاتهم ياعثمان فعند ذلك قدمهم عثمان قدام السلطان قال السلطان من أمركم تفعلوا هكذا بالخان قالوا له ياملك المسلمين الذي حرضنا على هذه الفعال فهو عالم المله المسيحيه جوان قال السلطان ياقاضي هات لنا جوان لكن القاضي تغير لونه واضطرب كونه وقال ياملك الاسلام وانا ايش يعرفني بجوان قال السلطان قم ياقاضي واوضع يدك تحت باط هذا النصراني وهات ذلك الكتاب الذي تحت باطه لاجل ان تتفرج وتعرف

ان من صر صريرة ألبسه الله رداها ولاجل أن تأخذ في الدنيا كتابك بيمينك فقام القاضي ووضع يده وطلع الكتاب وقرأه كما ذكرنا قال الملك جوان هذا ايه ياقاضي قال انا يامولانا ايش يعرفني بهذا الملعون الكتاب وما أظن الا انه من النصرانيه قال الملك سوف يظهر ياقاضي في يوم تبيض فيه وجوه وتسود وجوه وانا نسأل الله الكريم رب العرش العظيم بحرمة سيدنا محمد سيد الاولين والآخرين كل من كان هذا اسمه لايميته الله الا على ملة الكفر ويكون مقطع على عربية ويحرق في ارميله بغائط الكلاب قول آمين ياقاضي قال القاضي آمين آمين ثم قال الملك من أرسلك بالعين قال زغوير أرسلني عالم الملة جوان وأعطاني مائة سنه زياده في عمري وهم فرغوا ولا نانيش حاجه قال الملك وجوان فين قال لانعرفه قال الملك قدمو لي هؤلاء الملاعين حتى اضرب كل واحد منهم بضفيرة الخوص قال الوزير ياملك وعلى ايش تتعب نفسك يامولانا اوهبهم الى بيبرس يعمل فيهم مثل مايعرف فقال الملك خذهم يابيبرس معك وريحنا منهم نحن مالنا ياعم دعوه ثم ان الملك التفت الى عثمان وقال له ياعثمان جوان هذا فين قال عثمان هذا هو القاضي قال بيبرس اخرص يارجل بلا كلام زايد قال عثمان ابن المرى لايصدق حتى يرى ثم التفت عثمان الى سيده وقال له يا اشقر انا بدى تعمل موته لهؤلاء تكون طيبه لانك ابن زنا سل مل تعرف الموتات المتعبين اعمل لهم موته متعبه يكون ماحد ماتها قبلهم فعند ذلك امر الامير باحضار واحد واربعين مبروم خشب وانعم اطرافهم النجار بالفاره ودهنهم بالدهن الماعز وقدقدق الصابون وساقوا الجميع الى ساحل الرميله واركبوهم عليهم بعد تقوير ادبارهم ولما أقعدوهم على الخوازيق نظر زغوير الى غلامه وهو واقف يتفرج مع جملة المتفرجين فقال زغوير يامن انا شايفه وهو شايفني وانا عارفه وهو

عارفني امضي الى اخواني وهما شاجر الارمني وشريحة الارمني وقل لهم يأخذولي بالثار ويمحوا عني العار (قال الراوي) وكان هذا الملعون من العياق الذي رباهم الملعون جوان وهم زغوير هذا وشاجر وشريحه ويخشب فاما يخشب مات وخلف ولد صغير يقال له جن ابن يخشب يظهر لنا في كلام اذا اتصلنا اليه نحكي عليه والعاشق في جمال النبي يكثر من الصلاة عليه ولما سمع الملعون صابور ذلك الكلام ذهب الى بلاد الروم يعلم شريحه الارمني وشاجر فيكون لهم كلام اذا اتصلنا اليه نحكي عليه (قال الراوي) وأما ما كان من الامير بيبرس فانه عاد الى بيته واستقر به قراره وزال عنه ما كان قد اعتراه من الافكار وحمد الله تعالى وقعد في حظ وانشراح وكذلك عبد اللطيف أخذ في العمل هو والتجار ولا افتكر بعد ذلك في بيبرس ولا في عيلاته ولاجبر بخاطر الخدامين باحسان معه أنه لو ضاع مال خان السبيل كان بيبرس يسده من ماله والا مال الوزير وكذلك اذا عجزوا والاثنين كان السلطان ضامنا فأسرها الامير بيبرس في نفسه وأبقاها له في سره (قال الراوي) ولما كان ثاني الايام وتكامل الديوان ودخل الاغا جوهر وقال يا أمير المؤمنين قد تكامل الديوان ثم أشار يقول صلوا على طه الرسول

ديوان مولانا المليك نجومه متكامله

حتى يروا بدر الدجا ومن يده شامله

لا يستتم نورهم اذا ما رأوا أماثله

ثم قال ياأمير المؤمنين الديوان تكامل ولا يحتاج الا لطلعتك البهيه قال الملك اللهم زده كمالا واحمي الاسلام اللهم لاتريه ملالا يارب العالمين ثم قام السلطان وظهر الى الديوان وميل على الميامن أطرقت وعلى المياسر

اطرقت والصدر والجناحين ثم قرى القارى وختم ودعى الداعى وختم ورقى الراقى وختم امنت العساكر ترك وعرب وعجم صاح شاويش الديوان وهو لايخاف الموت ولايرهب الفوت

ولا الدهر لاشك انه دول   يبدى وينهى بعد ابتداه

يامن تصاحب بكل ملك   له بالعجز والعز والجاه

مسير زمانك عنك يولى   والملك لادام الا الى الله

(قال الراوى) فقال الملك ياداير آمنا من أين كنا حتى اتصلنا كل من هو ياخذ مدته ويروح ياشاهين بيبرس أقبل له الدهر وبقى طرفه من مال خان السبيل خالص والتجار أخذوا حقهم ولكن ياشاهين عدم جبر الخواطر عيب والحق فيها بيد بيبرس وانا بيبرس مايخلصنيش أخليه قلبه مكسور ولابد اجبر قلبه لاجل ان يفرح بايام شبابه انزل هاته ياحاج شاهين خلى الذى يفرقع يفرقع فعند ذلك أرسل الاغا شاهين اثنين من طرفه طلبوا الامير بيبرس فلما حضر قال السلطان اعطيه ياشاهين كرك خلعة الرضا تشريفا من السلطان وركبه بموكب كامل ونادى قدامه هذا والى مصر مطلوق سلاحه والحاضر يخبر الغايب فان له نيابه في الحكم وأى دعوه قطعها لا تسمع بعد ونزل بيبرس بهذا الموكب وسمعوا الناس على هذه الكيفية وكان بيبرس يحب الفقراء فكان كل من له دعوه او عليه دعوه او مخاصمة يصلحها بالتى هى أحسن واذا كانوا خصمين نحوسه يجيب لهم الحق على نفسه وأى دعوى لابد من قضاها وخلا البلاد كالرمانه وانتهى له الامر صلوا على من كان ساعى ركابه عمر

(قال الراوى ياساده يا كرام) ومما اتفق ان الامير بيبرس شق البلاد بالنهار فمر على خان السبيل ونزل ووضعوا له الخدامين كرسيا على

باب الخان ووقفوا السقور على يمينه وعلى شماله فبينما هو جالس واذا بالخواجه
عبد اللطيف مقبل من الامام الشافعي وصحبته الخواجات فوقعت عينه في عين
بيبرس فتركه وسار بعيداً عنه ولم يسلم ولا بدا سلام ولا كلام وكان بيبرس
سابقا مغتاظا منه لما قال له انا أجيب مثلك مملوك واجعله والى على مصر
ولما رآه الامير ذلك الوقت وهو لم يرد سلام ولا كلام زاد به الغيظ فأمر
الخدامين ان يحضروه بين يديه فرجلوه الغلمان وقدموه الى بين أيادى
الامير فلما صار قدامه قال له الامير ياعبد اللطيف ياهل ترى انا لما ضمنت
لك مال خان السبيل كنت انت عملت لى حجه على غفره وبعد حجة
الضمان الذى كتبتها علي وجعلتها تحت يدك ولما أن سرق الخان طلبتنى بموجب
الحجه انا كنت على الخان بواب يا كلب ولما طلبتنى عند السلطان والتزمت
لك وللتجار وانتهى الحال وكان هذا شغل كفار من بلاد الروم وربنا حفظ
هؤلاء الناس من مالهم على يدى وكانوا الفاعلين هذا الامر واحدوار بعين
عايق نصرانى وكلهم من أولاد ملوك الروم وعلى طول الايام يطالبون دماهم
منى وانت لم يعرفوك بل انا هو المطلوب والقاتل اناهل ترى هذه الافعال
كانت عليك منها ضرر أومنفعه فى حفظ مالك ومال التجار فقال له الخواجه
ياسيدى ضرر مافيش وانما نفع حفظ مالى ورد أموال الناس الى اصحابها
ولما أخذت مالك كان ينبغى لك ان تجبر بخاطرى وتحسن الى خدامى
الذين ورائى كان على كل حال فيها خير والثانية انا قاعد على باب الخان
وانت داخل ببغلتك وعينك فى عينى ولم تقول لى سلام عليكم وكان هذا
عدم صحة أصلك فانك يا كلب الشوام ناقص الادب ومجهول الاصل والنسب ارموه
فعند ذلك طرحوه على وجهه فى الارض وضربوه ضربا وجيعا حتى أن
الخواجات صاروا يستعطفون بخاطر الامير ويقولون له ياد ولاتلى هذا ربابة الشام

وان غالب رضيع اولادهم بابن الحمير فمن هذا لهم فهم فى الادب ولا يعرفون بين المليح والقبيح وبعد ذلك مالوا على عبد الطيف ووبخوه بالكلام وقالوا له ان الحق عليك للدولاتلى فعند ذلك قام عبد اللطيف على حاله ووقف امام الامير بيبرس وقال له ياسيدى ارجو المسامحة وتقدم قبل يديه وابسط له العذر وقاموا التجار وقالوا له ياأمير العفو من شيم الكرام فقال الامير انا سامحته ثم ان الخواجات قالوا له ياخواجه عبد الطيف احنا اولا كنا تعدينا عليه بكتابة الحجة وآخر الامر الزمناه باداء المال ولولاه ما كنا نجمع اموالنا وثانياً تخليه قاعد ولا تقربه السلام كان الواجب عليك ان تنزل من على بناتك وتصح عليه وتسايره على طبق مزاحه حتى يأخذ حظه ويقوم الى حاله فعند ذلك قام الخواجه عبد الطيف وتقدم الى عند الامير بيبرس وقال له يادولاتلى انت صفحت عنى قال له نعم قال عبد اللطيف انت ليلة غدا عندى فان عندى فقهاء يقرأون القرآن فانت تسمع القرآن وتجبر بخاطرى فى أكل زادى وقد قالوا الاقدمين

لا بعار ولا ندم * سعى المدالى الى الخدم

(ياسادة) فقال له بيبرس ان شاء الله الرحمن الرحيم فى اول الساعة السادسة اقوت عليك بعد ان اعود من شق البلد وانت أين محلك فقال له انا محلى فى باب الشعرية على الخليج وصار لاتفق على ذلك وركب الامير بيبرس وتوجه الى حال سبيله قاصداً بيته واذا به نظر الى رجل واله سبحة معلقة فى رقبته فتأمله بيبرس واذا به المقدم مقلد مقدم البوابه ولكنه مجذوب وهايم في الذكر فقال بيبرس شوف ياعثمان انت اطاقته قال لا فقال من اطاقه قال له عثمان اسأله فقال له بيبرس من اطاقك قال اطلقونى أهل الخير وقد لاحظونى بانفاسهم العظام والله يادولاتلى انى

ندمت على ماكان مني وها انا نادم على ما كان مني من الخطا وما قدمت يداى من المعاصى والآن بقيت اختيار ومحنى الظهر يا ايتك ياسيدى كنت قطعت رأس مقلد مثل الذى قطعت رؤسهم من رجالى فانهم راحوا شهداء وقد محا الله اوزارهم وها انا ياسيدى لا أعلم على أى شىء أقبل فقال له عثمان مالك يامقلد ألا تأخذ كما أخذ زغلول فعند ذلك وضع بيبرس يده فى جيبه وطلع قرطاساً ذهبا وقال له ياابي خذ هذا لاجل ان تسامحنى فقال مقلد يادولاتلى انت ما فعلت الا الخير لان الناس كان ربنا عاميهم عن طريق الارشاد وانت الذى أهديتهم اليها وها انا انتقلت من الظلمات الى النور والله مايتبعنى من حكام الدنيا شيئا لا كثير ولا قليل منك ولا من غيرك ويكفينى ماجمعت لعل الله تعالى يقبل معذرتى ويمح خطيئتى (قال الراوى) فالتفت الامير الى عثمان وقال له ياعثمان ان مقلد صار من أولياء الله تعالى فقال له عثمان والله اذا كانت الولاية الذى فى الدنيا تتفرق بالفدان فما يناله منها لا قليل ولا كثير فقال بيبرس يا عثمان لا تتعرض للناس الذين ربنا اصطفاهم فقال عثمان ربنا ما يصطفى أولاد لزنى فقال له بيبرس انظر كيف تخلص من السجن فقال عثمان الشقى عمره باق لساعة له فى الدنيا عكوسات يفعلها مع شقاوه باقية عليه سوف ترى ياافلاح الى فعاله لان ابن الاخت ما ينسب الا لخاله (قال الراوى) وكان السبب فى خلاص مقلد ان الامير بيبرس لما ضربه وتهمه فى مال خان السبيل وجرى ما جرى وكان مقلد لا يعلم خن السبيل وكان لمقلد غلام مربيه فسجنه الامير معه وقد قال ذلك الغلام للامير يادولاتلى اعلم يا امير ان رجال المقدم مقلد كثيرة فربما يكون أحدا منهم سطى على خان السبيل وفعل ذلك الفعل الوبيل وأنا لو أكون ليس محبوس لكنت أنظ فى الناس واذا رأيت

منهم أحداً اعلمك به وأنت تقبض عليه وتخلص منه مال خان السبيل وتقتص منه بمعرفتك فقال له الامير بيبرس أنا أطلقك لاجل ذلك ولكن اذا حصل منك شيء فأنت تعرف ما يكون جزاءك عندي فقال سمعا وطاعه فعند ذلك أطلقه الامير وصار عنده من جملة الخدام الى ان كان في ذلك النهار وبيبرس يتعاقب مع عبد اللطيف الدمشقي بعد ما ضربه فاغتنم الغلام الفرصة وسار الى السجن وأطلق مقلد وأعطى له ذلك السبحة وطلع مقلد على هذه الصفه وادعى ان أولياء الله هما الذي خلصوه من السجن بالكذب وهذا أصل سبب اطلاقه وان مقلد لما انطلق انصرف الى الخان لينظر كيف كانت سرقته وكيف كان رجوع الاموال فصادف وصوله وقت الذي كان الخواجه عبد اللطيف يعزم على الامير بيبرس كما ذكرنا واتفق هو واياه على ان بيبرس يروح الساعه السادسة من الليل وكان مقلد سامع لذلك الكلام فعاد الى برجه وأقام يجهز احواله بتدابير يعرفها فأحضر غلامه فضه وقال له يافضه اريد منك ان تمضي الى كفر الجاموس وكتب له كتابا يذكر فيه من حضرة المقدم مقلد الى شيخ العرب تراز المراد منك انك ليلة غد تجمع رجالك وتسميهم على اسم رجال الامير بيبرس مثل عثمان ابن الحبلى وعقيرب وحرحش وحنيش وكل منهم يتصور في صورة من هؤلاء وتطرقوا بيت الخواجه عبد اللطيف الدمشقي شيخ التجار فانه عازم على بيبرس في الساعه الفلانيه ووانا أعمل على تعويقه في الطريق وأعوقه على الرواح اليه واما انتم اذا دخلتم البيت وقالوا لكم من انتم قولوا الوالي ورجاله فاذا فتحوا لكم ودخلتم فانهبوا البيت واضربوا كل من فيه وكل واحد منكم يتظاهر باسم واحد انت تقول انا بيبرس وآخر يقول انا عثمان والآخر يقول انا عقيرب والآخر يقول انا حرحش

وهكذا وبعد ان تنهب البيت بمافيه فانك ترسل الى الكرك بالزغارات يكون لى وكما اخذته من البيت غير الكرك يكون لك ولرجالك وبعدها عود الى حال سبيلك والسلام وختم الكتاب واعطاه الى غلامه فضه وتوجه فضه من عنده ثم ان مقلد ارسل احضر غفير خط المدابغ وكان في المدابغ معصرة زيت وكان هذا الغفير صاحب مقلد فقال له لما حضر عنده مرادي منك ان تمسك اربعة فيران كبار وتربط فى ذنب كل فار عود كبريت وتولعهم بالنار وتطلقهم فى معصرة الزيت فاذا صارت الحريقه في المعصرة عرف بها قائد بوابة المتولى فيرسل الى الوالى ولما يحضر الوالى الى عنده يعلمه بان حريقة في المدابغ فيتوجه لها فان لى شغل فى باب الشعريه فى غياب الوالى وهذا مقصودى فاجابه بالسمع والطاعه فهذا ماجرى هاهنا (ياسادة يا كرام) وأما الغلام فضه فانه سار الى كفر الجاموس طالب منزل شيخ العرب تمراز فبينما هو سائر واذا بنت مقبله وعلى رأسها بلاص فخار ملئان بالماء فقال لها يا أختي هل تعرفى بيت شيخ العرب تمراز فقالت له هاهو الذى قدامك على هذه العلوه واذا بشيخ العرب أقبل من جهة الطريق وضرب البنت بالسيف أطاح رأسها هى والبلاص على وجه الارض (قال الراوى) وكان السبب في ذلك ان هذه البنت لها حديث عجيب وأمر مطرب غريب مع هذا الكلب تمراز ولكن نذكر كل شيء في أوانه بعون الله وسلطانه وان تمراز لما ضرب البنت قتلها أراد أن يضرب الغلام بالسيف يلحقه بها فقال له انا فضه غلام مقلد وقد جئتك من عنده بكتاب فقال له هات الكتاب فناوله الكتاب فأخذه وقراه وفهم رموزه ومعناه فعند ذلك شال تمراز البنت من يدها بيده اليمين وأخذ رأسها في شماله وأدخلها الى أمها وقال لها ياخالية البال

ياحطبة ان ابوها لم يرضى بزوجها لي قتلته وانت لم ترضى تزوجيها لى فها انا قتلتها خذيها واطبخيها وكليها ياقبيحة وتركها ومضى مع الغلام فضه وفي الحال جمع رجاله وصبر الى الليل وسار برجاله ونزل من الخليج ولا زال سائر برجاله حتى أقبلوا الى بيت السيد عبد اللطيف وطرق تمراز الباب فصاح عبد اللطيف من بالباب فقال له انا بيبرس فنزل وفتح الباب فلما نظرهم ترحب بهم وسار قدامهم الى وسط المكان واذا بتمراز أخرج نبوت وضرب النجفه فانكسرت وصاح في عقب الضربه انا بيبرس وصاح واحد من رجاله انا عثمان ابن الحبله وصاح الآخر انا سقر الهجان والآخر قال انا حنيش ووقع الخبط فى كل من كان هناك وأظلم المكان وابطل الفقهاء القرآن وقال واحد من الفقهاء اقرأ اذا زلزلت يافقيه سليمان فقال والله ياأخى ما بقالى حفظ القرآن (ياساده) وأما تمراز فانه قبض على عبد اللطيف وقلع كركه وجميع ملابسه وبقيت الرجال ينادون كما ذكرنا وضربوا الفقهاء وأخذوا ملابسهم وعمايمهم ونهبوا ما كان فى البيت وطلعوا على صيحه وأى صيحه والتفت تمراز الى فضه غلام مقلد وقال له خذ الكرك اعطيه الى سيدك وسلم عليه وقل له ان تمراز قضى الحاجة هذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من الامير بيبرس فانه بعد ان صلى صلاة العشاء ركب على العادة ليشق البلد واذا بنفير المتولى اطلق الصراخ اشارة ان البلد وقعت فيها حريقة فراح المتولى وسأل من الذى في برج المتولى أين الحريقه فقال فى معصرة المدابغ فسار الى أن وصل الى المدابغ فرأى حقيقة حريقه والسبب فيها من الغفير كما شرحنا أوقد كبريتا فى اذناب الفيران وادخلهم المعصره فأوقدت الزيوت فلما وصل الوالى مكان النار زاد وهيجها فأمر رجاله يجتهدوا حتى هدموا المعصره

وطفوا تلك النار فكان الوقت الساعه السادسة فقال بيبرس ياعثمان سر بنا الى بيت الشيخ عبد اللطيف الدمشقي فقال له سبقنا اليه الوالى الآخر روح نام فقال له الامير لابد من المسير اليه فان الله لا يخاف الميعاد ثم سار حتى وصل الى بيت عبد اللطيف فسمعه يقول انا صاحب الخانه لكن ماأعلم انه ابن زنا اما هو أصله مملوك عجمى لعنة الله عليه وسمع الذى يقول آه ياذراعى بيتايك يكسر ذراعك ياعثمان والآخر يقول آه يارکبتى بيتايك يكسر ركبتك ياعقيرب والآخر يقول آه ياظهرى بيتايك بنزع رقبتك ياحرحش وكلا من الناس يتظلم من واحد فقال بيبرس ماالذى جرى ياعثمان فقال عثمان اما سمعت انت ضربت عبد اللطيف وأخذت كركه وملابسه وهم يشكوا في حالهم منك ومنى والله عالم بنا وان دخلنا عندهم مايجيبوا لنا لامأكول ولامشروب بقينا نعمل ايه اطلع بنا من البوابه لاجل أن نشم الهوى فقال بيبرس طيب ياعثمان سر على بركة الله تعالى اللهم اجرنا من التهمة الباطله ثم انه بسط يديه وقرأ الفاتحة الى السيدة زينب وطلع من بوابة السلمانيه وقصد الى الخلا هو وعثمان هذا ماجرى هنا وأعجب ماجرى في هذه السيره العجيبه ان الحرمة أم البنت الذى قطع رأسها تمراز ورماها الى أمها وقال لها ياقبيحه خذى بنتك اطبخيها فان الحرمة لمارأت بنتها قطعتين فلا قدرت تبدى ولاتعيد لعلمهاان تمراز اذا تكلمت قتلها ولا لها منه نجاة فصارت تبكى وتنوح من كبد مجروح حتى بقت بلا روح ومن جملة ماقالت فى تعديدها هذه الابيات

ياحسرتى زاد البلا   والنار في قلبى مشعلا

قد كان بعلى فقير   يرعى المواشى فى الفلا

ولا له فعل ذميم   ولا اسامع عاذلا

ولي بنت خليلتي ونيسة دون الملا
جار علينا دهرنا بغير ذنب نفعلا
وصابنا سهم الثيا شيخ عرب جاهلا
تمراز لا تبلغ منى ولا تنال مأملا
فجعتني في ابنتي ماذنبها ان تقتلا
وكذلك بعلى هكذا قتلته في الاولا
اشكيك للمولى الجليل وهو العلى الاعلا
فمن تعدى وافترى فخذ بحقى عاجلا
بحق طه المصطفى ازكى البرايا المرسلا
وبالحسن والحسين وأمهم ذات العلا
وأختهم سيدة النسا زينب لها قدر علا
ثم الصلاة والسلام على النبي الافضلا
محمد خير الورى كذا الصحابه الكملا

(قال الراوى) ولما فرغت الحرمة من بكاها وتعديدها وما قالت من شعرها ونثرها فأتاها النوم باذن الحي القيوم فوقفت عليها الست زينب صاحبة القناع الطاهر وهي مقبلة اليها تتبختر في حلل الجنه فلما رأتها انبهرت تلك الحرمة من هيبتها من حسن طلعتها ومن ضياء وجنتها فقالت لها ياحرمة لاتخافي فان بنتك شهيدة وسارت الى جنة الفردوس وكتبت سعيده فقالت لها الحرمه ياسيدتي وانت من تكوني فقالت لها انا صاحبة الاسم الظاهر انا السيدة زينب أخت الحسين وجدى (محمد صلى الله عليه وسلم) سيد الكونين فقالت الحرمة ياسيدتي اليكم شكوة حالي وليس لى صبر ياسيدتي ان رأيت هذا الظالم أمامي وهو قاتل زوجي وابنتي وهذه مصيبتي فقالت لها السيدة

زينب اما الذى مات فلا يعود ولا يمكن يحيى الى يوم القيامة واما من جهة هذا الرجل الذى تعدى عليكم وقتل زوجك وابنتك قومى من وقتك واوضعى ابنتك فى فرد خوص وسيرى بها واطلعى من كفر الجاموس الى ان تصلى لمصر فاذا وصلت الى الخليج وقابلك صور مصر هنالك اطلعى من الخليج تجدى باب البوابه انفتح وطالعين لك اولادى وهما بيبرس اغة الولاية وعثمان بن الحبلة فاعطى لهم الفرد بالقتيله وهما يخلصون لك حقك من هذا الفاجر تمراز ولكن اخبريهم انه هو الذى مضى الى بيت عبد اللطيف الدمشقى ونهب منه مانهب وفى هذه الليلة لاتتهاون حتى تخلص حق المظلومين واجرك على الله رب العالمين (قال الراوى) ثم ان السيدة قالت لها قولى له ان هذه الافعال كلها من مقلد وانه هو الذى حرق المعصرة وعمل هذه الحيلة لاجل امتناعك من الخط الذى فعلوا فيه هذه الفعال فعندذلك قامت الحرمة واحضرت فرد خوص ووضعت جثت ابنتها وشالتها ونزلت من الخليج ولا زالت سائرة حتى وصلت الى محل الزعفرانى فنظرت الى عثمان وهو مقبل اليها متدانى حتى وصلها وحمل الفرد وأخذ الحرمه وقدمهم الى السيدة فنظر بيبرس اليها وقال ماهذا ياعثمان قال هذا فردوفيه بنت مقتوله وهذا أمها وانت سألها وهى تحكى لك على ماأصابها فقال بيبرص ياسيدتى انت من أى مكان وما سبب اجتماعك بعثمان ومن قتل هذه البنت من اولاد الزنى فقالت الحرمة ياسيدى قصتى عجيبة وامورى ياسيدى والله مشكله بديعة غريبه فاذا اردت ان تسمع منى كلامى تاتى ذهنك وتروق سمعك وتكثر من الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وهى ان البنت بنتى والذى قتلها الشيخ تمراز شيخ عرب كفر الجاموس والسبب فى ذلك وهو ان زوجى راعيا عنده وهو اسمه

سيدى احمد وانا اسمى حميده ورزقنا الله بهذه البنت سميناها زينب على اسم السيدة زينب رضى الله عنها وطلعت ذلك البنت بديعة في الجمال والقد والاعتدال ولما كبرت واستوفت محاسنها ولاجل الكائن فى علم الله نظرها شيخ العرب تمراز فقال لزوجي ابعث لى ابنتك تكون لى ضجيعة فقال له ياشيخ العرب هذا حرام وانما اذا اردت وكانت بنتى حلت في عينك خذها بسنة الله ورسوله ولا تفعل القبيح فان هذا منك ماهو مليح فقال له ياكلب انت فلاح وتمنع عنى بنتك فقال له انا مامنعتها ياشيخ العرب انا أقول لك خذها بالحلال فقال عمرى ما أعرف الحلال ولا الحرام الذى تعجبنى آخذها وفسد بها والسلام فقال له هذا ياسيدى حرام فضربه بالحسام قتله وأمر بدفنه فكفنوه الخدام وبعد ذلك طلبنى وقال لى جوزك منع عنى ابنته فقتلته وعجلت له منيته فروحى وزينيها وارسليها وان لم تفعلى ذلك قتلتها وفجعت قلبك عليها فقلت له ان الامر بيد الله وكان هذا الحسن فلما اصبح رأى بنتى مالئة البلاص من البحر ومقبلة فقتلها وجاء بها الى عندى وقال لى خذيها واطبخيها وكليها فقعدت أبكى عليها فأخذنى النوم فرأيت السيده زينب وهى تقول لى ان الذى مات ما بقى يرجع قومى واوضعيها في فرد وانزلى في الخليج وسيرى الى بر الزعفران ترى ولدى بيبرس وعثمان بن الحبله اعطهم البنت واحكى لهم حكايتك وقولى لبيبرس ان الذى دخل الى بيت عبد اللطيف الدمشقى فهو تمراز وكان هذا من تدبير مقلد ومقلد هو الذى حرق المعصره لاجل ان يبعدك عن باب الشعريه الى المدابغ حتى ان تمراز عمل شغله ومضى الى محله فحملت ابنتى وأتيت اليك وكان الامر كذلك ورأيتك وسألتنى فحكيت لك وهذه حكايتى والسلام

تم الجزء السابع ويليه الجزء الثامن وأوله ذهاب بيبرس الى كفر الجاموس والقبض على تمراز ومقلد وأتباعهم وانتقام الامير بيبرس منهما

يطلب هذا الجزء وما قبله من المكتبة العمومية بشارع الحلوجى قريباً من الازهر والمشهد الحسينى



سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ مصر الكبير

الذى جمع احوالهما وعوائد اهلهما وما وقع بهما من الحروب والحيل والخداع وما كان بهما من العجائب والغرائب التى حيرت النبلاء وادهشت عقول الاذكياء وهذا التاريخ جامع لهذه الاحوال من سنة (٦٠٠) من الهجرة واخبار ملك مصر والشام من ابتداء ايام الملك العادل يوسف صلاح الدين الايوبى اول الملوك الايوبية وشجرة الدر والمماليك خصوصا ما وقع فى زمن الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة السلطان محمود الظاهر بيبرس

تاليف الدينارى والدويدارى وامير الجيش المشهور
بكاتم السر رضى الله عنهم اجمعين

وهى مقسمة خمسين جزء

الجزء الثامن

الطبعة الاولى — سنة ١٣٢٦ هـ — و١٩٠٨ ف

طبعت على نفقة احمد امين دربال تباع بالمكتبة العامية العمومية بشارع الحلوجى بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسينى



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قال الراوى) لهذا الكلام العجيب صلوا على النبى الحبيب فلما سمع الامير بيبرس من الحرمة هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام والتفت الى عتمان وقال له ياعتمان انت تعرف كفر الجاموس قال عتمان أعرفه ولكن الوصول الى هناك صعب لانه عليه غفر وهو كلبة اذا رأت أحد طرق الكفر فانها تهبهب عليه لكنه بحس عالى ولما تنبح الكلبه هناك فحل جاموس موحش كبير مثل الفيل اذا سمع نبح الكلبه يخرج حالا على الغريب ولا يرجع عنه حتى يقتله واذا كان الوارد على الكفر جماعة فعلى صياح الكلبة ينتبهون أهل الكفر فيرون أصحاب العائط ولا لاحد عليهم وصول بسبب هاته الكلبه وهذا الجاموس وأما من جهة معرفة الكفر وأما كنه وضروبه فما أحد يعرفه مثلى فقال له بيبرس وكانك انت خايف من الكلبه أو الجاموس فقال عتمان أخاف منهما

الاثنين فقال صقر الوالى أما من جهة الجاموس على بقتله ولولا أخاف من العار لقتلت الكلبه لكنه نحن ليس من سيمتنا قتل الكلاب فقال عثمان اذا كنت انت يا ابوا اللوالب تقتل الجاموس أنا على قتل الكلبه لانى شب من الشباب قتال الكلاب وأما انت أسد مشروس قال الجاموس (ياساده) فعند ذلك قال الامير قبل كل شيء يا عثمان ارسل الحرمة الى بيت احمد بن ابادبس واوصى عليها وخذ هذه المائة دينار ووصى لها من يجهز بنتها ويواريها التراب وأنا وحق مسبب الاسباب وهو الذى لا اله الا هو الكريم التواب لا أرجع حتى تدور يدى على هذا الكلب نمراز وكذلك اللعين مقلد واقبض على هذين الاثنين واجعل العباره واضحة البيان وأطفى ما فى قلبى من النيران وآخذ لهذه المسكينه بالثار وتجلى عنها الذل والعار فقال عثمان خذ هذه الحرمه يا عقيرب وديها الغزيه الحبله فانها هى التى تكفن بنتها ونحن لا نعرف تكفين ولا شيء ثم أرسلوا الحرمه الى بيت السيده عزيه فلما وصلت اليها وعرفت أنها من عند ابنها عثمان صعب عليها حالها وفى الحال أحضرت لها الطعام فأبت ان تأكل شيء لانها حزينة فهذا ما كان منها

(قال الراوى) وأما ما كان من الامير بيبرس ومن معه فانهم ساروا فى تلك الليله الى كفر الجاموس فعند ذلك قال عثمان اصبروا حتى أعمل شغلى وكان عثمان هو ماشيا في الطريق ميل على المطريه وأخذ جنبا من الملوخيه وأعطى لصاحبها محبوب ولما وصل الى كفر الجاموس ملأ الجنبه بالتبن وقسم خروف على أربعة أقسام ووضع فوقه ربع من ذلك الخروف واحتمله على رأسه وسار يزحف على الارض والفرد فوق ظهره ولما قرب الى الكفر وقف وجعل الفرد على رأسه وسار يمشى قليلا بعد قليل الى ان قارب الكلبه فشمت الكلبة رائحة اللحم وتقربت من الفرد ومدت

وثبتها فوطى عثمان رأسه فدلت يدها فوطى عثمان الى تحت وكانت الكلبه
شافت اللحم فلم يمكن لها الرجوع فنزلت كلها فى قلب القرد فوضع يده في
فى جنبه وقعد فى الارض وصار يوضع القرد من على رأسه قليلا قليلا حتى
خلص نفسه من تحت القرد وضربها بسكين كانت له فشقها من صدرها
الى بين فخذيها ونزلت امعاؤها الى الارض ولكن صاحت ووقعت ميتة
على الارض وعند صياحها انتبه فحل الجاموس وقصد الى نحو الرجال فصاح
عثمان يا ابو لولب انا أخذت حصتى فقال المقدم صقر اللوالى كثر الله خيرك
ياعثمان ثم انه وضع يده على قبضة شاكريته وجذبها بهمة قوية وتلقى
ذلك الجاموس وهو مقبل عليه وضربه بها بين عينيه ففلق القرنين والمخ
والسلسله الى حد كتفيه فانصرع ووقع ميتا وزاده ضربة على ظهره قسمه
نصفين فلما علم عثمان ان الكلبه ماتت والجاموس مشى قدامهم وقال لهم اتبعونى
حتى اريكم دار تمراز فمشى بيبرس وسقر اللوالى وسقر الهجان وحرحش
وتوابعه وعثمان وتوابعه ودخلوا الى دار تمراز فوجدوا الثمانين توابعه وكل
واحد منهم رافع شيله على رأسه وهذه الشيل الذى اتوا بها من دار عبد
اللطيف فعند ذلك هجم الامير بيبرس على تمراز وكل اثنين من رجاله قبضوا
على واحد من رجال تمراز ولا أحد قدر يتحرك قط بل أوثقوهم كتاف
وقووا منهم السواعد والاطراف وأخذوهم بشيلتهم على رؤوسهم وساروا
بالجميع ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى دار احمد بن أباديس السبكى ووضعوا
في رقابهم الحديد بعد الكتاف الشديد والتفت الامير الى عثمان وقال يا عثمان بقى لنا
مقلد فقال عثمان وعاوزايه من مقلد قال يا عثمان اذا امسكت مقلد فهذا هو المقصود
من قبل ان يهرب ونتعب بعد ذلك قال عثمان انا الليله أمسكلك مقلد بس
اتبعنى على بعد المسافة وانا علي افتح لك البرج ثم ان عثمان سار وسار بيبرس

على أثره هو والرجال ولما أقبل عثمان الى باب البرج صفر تصفيرة حراميه فرد عليه مقلد بمثلها وكان هذا التصفير عادة لاولاد الزنا وكان عثمان يعرف ذلك معرفة جيدة فلما صفر قال مقلد لغلامه انزل افتح الباب ياولدى لئلا يكون رجل مطرود من الحاكم وأقبل الي يستجير بى فافتح له قال فضه حاضر ثم نزل وفتح الباب فدخل عثمان وقبض على فضه وطبق يده بالسكره على فمه ووقف عثمان وكتف الغلام وقوى منه السواعد والاطراف وصار كل مايصفر مقلد يرد عليه عثمان بمثل مايفعل الى ان دخل بيبرس والجماعه وصعد الامير الى اعلا البرج واذا به يرى مقلد جالسا والكاس والطاس بين يديه والكرك الذى أرسله له تمراز كرك عبد اللطيف الدمشقي على أكتافه فلما رآه مقلد قال يادايم ياحق يامعبود الله اكبر الله اكبر ان هذه من خمور الجنه فعند ذلك ضربه الامير بيبرس باللت الدمشقي ارماه وقال له تدعى بالولايه يا كذاب وأنت أفسق من الذباب وانت فاسق ظالم مرتاب وتدعى بالصدق وانت عند الله كذاب اين السبحة التى كنت لابسها في رقبتك فلعنة الله على شيبتك وعلى ذاتك ورؤيتك وأنشد يقول

ياجاهلا ياغافلا ياسالكا بحر الضلال
قضيت عمرك فاسقا البغى طبعك والضلال
أما علمت بانها دنيا ويعقبها زوال
تركت مايكتب عليك فرضا واتبعت المحال
كيف العمل اذا اتيت مابين أيادى ذو الجلال
لازاد معك قدمته حسنا واشياء يقال
واتبعت نفسك سرمدا ورميت روحك بالنكال
وسلكت في سبل الهوى والله يعلم بالفعال

لو طعتني في ما أقول ونبت توبة الاقبال
أغارك عقلك والهوى افيه على هذا الخصال

(قال الراوى) ثم ان الامير بيبرس صرخ بأعلا صوته وقال امسكوا هذا المعرص فعند ذلك تقدمت اليه الرجال واوثقوه كتاف وقووا منه السواعد والاطراف وجروه الى ان وصلوا الى دار احمد بن ابا ديس السبكى وقرنوه برفقائه ودخل مقلد في قلب الحبس ونظر الى تمراز وأصحابه وقال لهم يزول الشر ياجدعان فقال له تمراز أهلا وسهلا ياعمى قال لهم وانتم ما كنتم خاصتم ياجدعان وبعتم السكرك الى عندى ام الزفرات قالوا له وصلنا الى محلنا وهو وراؤنا يدور علينا احنا قعدنا واذا به هو وجماعته عند ا كتافنا وقبضونا في ساعة ولا نعلم من الذى دله علينا فقال مقلد وانا الآخر كان واحد منهم يلاعبنى بالتصفير فقال ربما يكون واحد مطرود واذا به ابن الحبله وطلعوا الي وأخذونى وصار الحديث بينهم على ذلك الحال هذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) اسمع ماجرى من الزناد القادح والبحر المتلاطم السائح مولانا السلطان الملك الصالح أيوب ولى الله المجذوب فانه بات واصبح يصلى على نبى فى كفه الورد فتح ظهر الى الديوان وجلس ونظر الى الميامن اطرقت والى المياسر اطرقت والصدر والجناحين ثم قرى القارى وختم ودعى الداعى وختم ورقى الرقى وختم آمنت العساكر اتراك وديلم وعرب وعجم وزعق شاويش الديوان وهو يقول هذه الابيات

الدهر لايبقى على طول الامد وكذا الزمان لايصطفى يوما لاحد
كم من مليك حاز ملكا واسعا من بعد تقريب لخالقه سعد
لاتحسبن الله يغفل ساعة الا وينفذ حكمه اذا نفد
يعطى الذين تكبروا في ملكه حتى اذا فرحوا بها اوتواخذ

(قال الراوى) قال الملك آمنا سبحان مالك الممات سبحان المحى من المهالك سبحان من كل شىء دون وجهه هالك سبحان من عنده كل ملك كمملوك وكل غنى كصعلوك الله لله يادثم ياحاج شاهين ماتنظر الى هذه الفعال التى تفعلها الناس الجمال ويعقبهـا النكال والوبال ياشاهين يواظبوا على كل داهية لـكنه اوقع الله كيدهم فى نحرهم هكذا يكون آخر الطالب ياشاهين (قال الراوى) واذا بباب الديوان استد والستار احتج والخواجه عبد اللطيف الدمشقى والخوجات الفقهاء طالعين يقبلون الارض بين يديه والنبى فى القيامـة يتبسم فى وجه من يصلى عليه وهم ينادون مظلومين ياملك الاسلام وتقدم امامهم عبد اللطيف وانشد يقول صلوا على الرسول

ايظلمنى الزمان وانت فيه ... وتكانى الذئاب وانت ليث
ويروى من حياضك كل حاد ... واعطش فى حماك وانت غيث

(قال الراوى) فقال الملك الصالح من الذى ظلمك يارجل ياعبد اللطيف قال عبد اللطيف ظلمنى والى مصر ... الدولاتلى بيبرس وهو ياملك جاءنى فى قاعة الخان وضربنى ضربا وجيعا ومن بعد الضرب ياملك صالحته واخذت بخاطره والتزمت ان اعمل له وليمة واحضره فيها وتوافقت انا واياه ليقدم لى محلى واذا به دخل على فى ... وهب يتى حتى قلعوا الفقهاء ملابسهم من بعد ماضرضوا الجميع بالضرب واخذ ما اخذ وراح وهذا الذى جرى ثم احكى للسلطان القصة التى جرت عليه من اولهـا الى آخرها وبعد ذلك احضر الفقهاء شهدوا عما وقع لهم فى ليلتهم الماضية وكشفوا على ضربهم الذى فى اجسادهم وقالوا ياامير المؤمنين هكذا يجوز فى دين الاسلام على حملة القرآن الذين يقرؤن كتاب الله الملك العلام (قال الراوى) هنا لك تحرك القاضى من مكانه وهز مقلته ومر لسانه

وفرد شيبته على صدره وجنح طيلسانه وقال القاضى هذا لا يجوز يا امير المؤمنين فهذا ظلم عظيم وان هذا الغلام قد طغى وضل واستطال حتى فعل هذه الفعال فهذا حرام غير حلال ياملك الاسلام وما أتى هذا الغلام من بلاد الاعجام ودخل بلدك الا يريد يفسد ملكك وأنا كم من مرة أقول لك على هذا وأنت لم تصدقنى ولا على ما أريد منك توافقنى حتى فشى منه الفساد وظهر فى هذه الارض والبلاد وتجارى على ظلم العباد وهذا الغلام يقتل شرعا وفرعا وقرعا ولا يمكن بقاؤه فى ارض الاسلام لان ابقاؤه حرام وان كان لايهون عليك قتله يا ملك الاسلام فأنا أدفع لك من مالى وصلب حالى وزكاة عن قلبى ومحبتى فى دين الاسلام وفى رضاء الملك العلام خمسين كيسا وثمن خمسين جواد وثمن خمسين مملوك وعليك ياوزير ايبك مثلهم فقال ايبك مثلها يا قاضى كل نوبه ونحن نحطوا مثلهم يروح منا باطلا أما فلوس متاعنا راح ولا بقى عندنا ياقاضى مال قال له القاضى يا وزير النوبة هذه قاطعة الشهوات وبعد ما أفعل هذه الفعل فانى لا أبالى بمال ولا بنوال فقال ايبك يحط هذا يابادشاه قال الملك هاتوا الفلوس وثمن المماليك والخيل وجميع المال حتى انظر هذا الولد ما الذى اغراه على هذه الفعال فعند ذلك قال القاضى يا شيخ منصور امضى الى الدار وهات الدراهم فنزل منصور وحضر المال بالمجلس ووضع المال فى خزنة الديوان بالكمال وبعد ذلك قال الملك الصالح ياحاج شاهين هات لنا بيبرس الذى فعل هذه الفعال فأرسل الوزير مملوك الى دار بيبرس وصبح عليه وقال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة ثم أخذ معه عثمان بعد ما شد له الحصان وركب وطلب الديوان وكان عثمان قد أمر رجاله ان يلحقوه بتمراز ويكون مكتفا كتافا شديداً وتبعه رجاله الثمانين والجملة مكتفين ويحضروا

البنت المقتوله وأمها ومقلد وغلامه فضه ويلحقوا بهم الى الديوان هذا وقد طلع الامير بيبرس الى الديوان كانه الاسد الغضبان فعند ذلك خدم وسلم وأفصح مابه تكلم ودعى للسلطان بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم ورفع رأسه وقال نعم ياأمير المؤمنين

يامليكا له فضل صفا ووفا * وكل الامم بالمجد والشرفا

امدك الله بالعمر الطويل * كامدنوح بعمر نال فيه الشفا

قال الملك تعالى يابيبرس انت فعلت مع الخواجه هذه الفعال وضربته ونهبت بيته وأخذت ماله حتى ضربت الفقهاء الذين يقرءون عنده القرآن وكان معك عثمان ومشاديده والغلمان وكان سقر للوالى وسقر الهجان فقال بيبرس حاشا ياملك الاسلام انا افعل هذه الفعال فقال القاضى يشهدون عليك الخواجات والفقهاء وهم أهل كتاب الله تعالى فقال بيبرس وانما فعلوا هذا ناس من اولاد الزنا القتاله ودخلوا على الرجل صحيحا وفعلوا هذه الفعال وبلغنى الخبر في الليل فطلعت انا ورائهم وأتيت بالاموال والرجال الذى قد فعلوا هذه الفعال حتى انهم قتلوا بنتا واباها وها أنا أحضرت المقتولة لاجل ان تراها فقال الملك الصالح وهذا الوقت موجودين قال نعم ياأمير المؤمنين قال له احضرهم قال بيبرس ياعثمان واذا بعثمان طالع الى الديوان وهو يخبط بالنبوت ويغنى ويقول ياليل

احبكم كلما حمار نهق نصار * وكلما هبهبت جروا تكم فى الدار

يامن على صحن خده مسرجه جنجار * قتلتنى غدر يابو خطمه فول حار

صباح الخير عليكم ياالاسطوات من الطاقه للعلاقه ومن الدفه للشابوره منا الفاتحة في صحائفكم وصحائف كل من علمكم مسك الكفه والجره وضرب الغنشة فى الاصطبل صباح الخير عليك يابو جوطه يااللى عمرك ماذقت اللحم

ولا السمن ظفرها يومه كرام لله تدعى له وانت تأكل القراقيش والدقه
لما تروح لله ماتلحق تقول قال الملك الصالح ياعثمان مااحنش في كده
احنا الناس الحراميه أين هم قال عثمان حاضرين قدمهم ياعقيرب فعند ذلك قدمهم
عقيرب وهم تمراز واصحابه وبعد ذلك قدم مقلد وغلامه فضه واحضر أيضا
تابوت وفيه البنت المقتولة وامها بجانبها وقال آدى الذى حضرناهم قال
السلطان ايش دول فقال الامير بيبرس هات ياعثمان كل ماكان معهم قال
عثمان وادى شيلتهم قال السلطان ايه العباره قال بيبرس اسأل هذه الحرمة
قال الملك ياحرمه ايش حكايتك ومن الذى قتل ابنتك فقالت ياسيدى ان
الذى قتل ابنتى هو تمراز هذا وقد كان سابقا قتل زوجى وهو ابو هذه
البنت المقتولة والسبب فى ذلك انه طلب ان يأخذها للزنا والفساد ثم
احكت للسلطان على ماجرى لها من طلب ابنتها وان أبوها لم يرضى
قتله وبعد ذلك طلب البنت منى وقال لى ان لم تزنى لى ابنتك
وتجعليها لى ضجيعة والا قتلتها فما رضيت له بالفساد فى بنتى فقتلها
كما ترى ثم أعادت عليه جميع ماجرى لها من الاول الى الآخر
وقالت فى آخر الكلام وهو الذى توجه الى دار هذا عبد اللطيف
ونهبها بواسطة هذا المقدم مقلد والذى كان لهم رسول هذا فضه
غلام مقلد وان هذا تمراز ماله شغل لاقطع الطريق ونهب الغادى
والبادى وأكل اموال الناس بالباطل ولزنا والفساد هو ورجاله
لذين تراهم والسلام (قال الراوى) فلما سمع الملك الصالح هذا
الكلام والتفت الى الشيخ عبد اللطيف وقال له ياعبد اللطيف المتاع
هذا متاعك ومالك قال عبد اللطيف نعم ياامير المؤمنين وانت قلت
ان بيبرس هو الذى اخذ مالك ونهبك بغيا اذا كان بيبرس ماحضر

مع الغرما ولا فعل ذلك الفعال وانت عملت عليه دعوه وتحضر هؤلاء الفقهاء ليكونوا شهود عليه وهم عدول بالشهاده ودين الاسلام فان له الحكم بالظاهر فكان بيبرس تجرى عليه الاحكام بغير ذنب فعله ويروح فيها مظلوم قال عبد اللطيف يامولانا وانا لااعلم شيء من ذلك كيف يابيبرس تقول في ذلك فقال بيبرس ياملك هذه الدعوة مابين يديك ورأيك أولى قال الملك ياعبد اللطيف هذا العمل بين يديك فخذ انت مالك واعطى للفقهاء والضيوف ملابسهم كل ذى حق حقه فعند ذلك تقدمت الفقهاء واخذوا ملابسهم وصاروا يوبخون في تمراز واصحابه ويقولون لهم ياحراميه تجعلوا انفسكم باسم الوالى وجماعته وتضربوا وتنهبوا فى الليل ولا تخافوا الله الذى لااله الا هو قبح الله ذاتكم ياملاقيت ثم انهم اخذوا ملابسهم والبعض منهم كان له دراهم فى جيبه القاها كما هى ولم يعدم لهم شيئا وكذلك الخواجات الذين كانوا عند عبد اللطيف ضيوفا وانتهبوا أخذ كل من له شيء وبقا مال عبد اللطيف فقال الملك ياعبد اللطيف انت سبب هذا كله ولكن خذ مالك وانزل روح الى حالك الله تعالى يذهب مالك مابين يديك فنزل عبد اللطيف والخواجات والفقهاء وان عبد اللطيف هذا يرسل اموالا الى جهة الهند والشام تغرق مراكبه وتنفذ فيه دعوة الملك الصالح والله يقبل دعاء اولياءه انه هو السميع البصير

(قال الراوى) وبعد ذلك قال السلطان ياقاضى قال القاضى نعم قال كيف رأيت بيبرس فى هذه المره برىء ولا عليه ذنب ولا يستحق القتل حتى كنا نملصوا آذانه قال القاضى يامولانا الحق يعلى ولا يعلى عليه فقال الملك طيب ياقاضى لكن أنت وإياك دفعتم هذا المال على قتل بيبرس من غير ذنب

عليه وجعلتوه لى رشوه في نظير ماأقتله تعديا وظلما اذا كان على ذلك انا
ماأريد شيئا من ذلك ومعاذ الله ان اقتل نفسا حرم الله قتلها الا بالحق فقال القاضي
ياملك الاسلام نحن مادفعنا هذا المال الا لاظهار الحق من الباطل والحمد
لله يامولانا الحق ظهر واتضح والباطل خفى وانفضح فقال الملك وهذا
المال من يستحقه اما ترجعوه اليكم هذا لايكون فقال القاضي ياملك هذا
يكون لبيت مال المسلمين والا لخزنة مولانا السلطان فقال الملك أما خزنتى
غنية عنه واما بيت مال المسلمين لايستحق ذلك قال القاضي هذا حق مولانا
السلطان يتصرف فيه كما يشاء قال الملك اذا كان كذلك انا أهبته الى ولدى
محمود يابيبرس خذه ياولدى ما هى الا لمن قسم وأنت كنت فى هذه الدعوه
مظلوم قال القاضي نعم مافهمت وهو كذلك قال السلطان هاتوا لى هؤلاء
حتى أضرب كل واحد منهم ثلاثه ضربات بالضفيره الخوص فانهم ظالمين
وقاتلين ولذلك مستحقين قال الوزير لاى شىء هذا التعب اعهم الى الوالى
يقاصصهم بما يستحقون قال الملك خذهم يابيبرس فأخذهم بيبرس ونزل بهم
من الديوان وقد شنق مقلد على باب برجه وخوزق غلامه نضه قدام البرج
أيضا وبعد ذلك نزل الى كفر الجاموس وشنق تمراز هناك في وسط الكفر
والثمانين اتباعه شنق في كل كفر من السبعة عشر والعشرة الباقين قطع
رؤوسهم في الخليج الذى جاءوا وراحوا منه لما نهبوا دار عبد اللطيف
وكان الامر كذلك وأما البنت المقتوله دفنوها فى كفر الجاموس وأعطى
لامها دوار شيخ العرب تمراز من بعد ماشنقه ووصى عليها أهل الكفر
وقال كل جمعه لابد يأتينى من عندها مطالعه على كل أخبارها وان أحد
تعرض لها بسوء وحيات راس السلطان ادفنه في الارض وهو حيا وأردم
عليه فقالوا أهل الكفر يامولانا نخدمها بالعيون وان الحرمة تقيم في الكفر

أمينة وأميرة نفسها ولا أحد يتعرض لها وعمات خيرات كثيره من مال شيخ العرب تمراز ومن جمله مافعلت سبيل مشهور الى وقتنا هذا يسمى سبيلى المرأه ولم يذكر اسمها مع ان اسمها حميده وان هذا السبيل سبيل السيده حميده مشهور الى وقتنا هذا هذا ماجرى هاهنا (قال) ويرجع الفصل الى القاضى صلاح الدين والمعز ايبك التركانى وذلك انه لما جرى من الامر ماقد جرى وخسر القاضى وايبك أموالهم اغتاظ ايبك غيظاً شديداً وقال للقاضى انت اهلكت مالى واذهبت منى توالى ولا بلغت من بيبرس آمالى ولكن والله العظيم وبالله العظيم ياقاضى اضربك واحد سيف روح موت على باب الله اذا كان مايعملشى واحد تدبير يكون طيب على بيبرس حتى يموت قال القاضى اصبرياأباأحمد وانا لابد لى من قتل هذا ولد الزنا وتربية الخنا ولابد انت تصير ملك وسلطان ويصير الكعبيدواعوان وهذا الامر مايفوتك ابدا ولا بد من قتل هذا الولد وسوف تدور يدك على ماله وعلى أما كنه فطب نفسا وقر عينا فهدأ روع ايبك واماالقاضى صبر حتى انقضى ذلك النهار ونفض المنديل السلطان وتحولت العالم وان القاضى روح الى منزله والتفت الى غلامه الحاج منصور وقال له ياحاج منصور ياابنى اعمل معروف ناديلى قراجوده المحتسب فقال له لاى شيء عاوزه قال لاجل مكيده نعملها على بيبرس لعل المسيح ياابنى يبلغنا فيه المأمول قال له البرتقش الى كم تتعب نفسك مع عدم الفائده ياأبى وهذا الولد ماتبلغ منه المقصود والمال الذى حضرته معك من بحيرة ايغره ضاع اكثر من ثلثه ولا بلغت ارب فقال له يابرتقش ان المال يجى غيره ولكن انا مرادى قتل بيبرس على اى وجه كان من قبل ان يعلو قدره ثم انت ناديلى على قراجوده المحتسب لانه نصرانى حتى انى اعلمه على أمور يهلك بها بيبرس قال له اخاف

يهلك قراجوده كما هلك حسن الايبكى على يد بيبرس قال القاضى من يقول هذا الكلام البطال تقول انت بمقالك قوم هات قراجوده قال له سمعا وطاعه ثم ان البرتقش قام الى بيت الامير قراجوده وقال له تفضل أجب القاضى فقال سمعا وطاعه وسار بصحبته الى ان دخل الى بيت القاضى وقبل يده (ياساده) فلما حضر الامير قراجوده اجلسه القاضى بجنبه وكان هذا الملعون قراجوده نصرانى وان القاضى يعلمه انه نصرانيا ومطاع الملعون على حاله وقراجوده يعلم ان القاضى جوان ويعلم قصده من بيبرس فلما جلس بجانبه قال له القاضى ياأمير قراجوده هات الميزان حتى انظره فأعطاه الميزان فأرسل القاضى أحضر واحد حداد وعلمه على مكره ونقب قب الميزان بمنقاب الريت مثل خرق شبك الدخان ووصل محل الخرق بلحام نارى من بعد ماوضع فيه خرق رصاص وبعد النصرانى ماعمل له قب الميزان حكم طابه قال له بقيت تستنا البقشيش أجرتك ثم انه اتاه بكاس خمر ووضع له فيه خرقة سم خارق فلما شرب الكاس ذاب لحمه من على عظمه فرماه القاضى في جب عنـده فى الدار خوفا ان ينتقل الخبر ثم ان القاضى احضر الميزان الى قراجوده المحتسب وعلمه الى دورانها وقال له اذا اردت ان توزن اسحب القب هكذا يبقى الخردق جهة الصروف فكل ما كان ينزل في الكفه القابله تصير ناقص فمن ذلك تظهر حجتك مستقيمة ثم قال له فى غداة غدا تطلع تصبح على السلطان وتنزل الى حارة بيبرس وتضرب رجالها وحاذر في الميزان اذا وضعت شيئا تجعل الخردق جهة الصروف فقال له سمعا وطاعة وانصرف الى حاله بعدما اخذ الميزان فهذا ما كان من هؤلاء

(قال الراوى) واما ماكان من الملك الصالح ايوب ولى الله المجدوب فانه بات واصبح يصلى على نبى فى كفه الوردفتح وجلس على تخت قلعة الجبل

وتكامل الديوان وجلست العساكر جميعا من عادته الجلوس جلس ومن عادته الوقوف وقف وقرأ القارئ وختم ورقى الراقي وختم ودعى الداعي وختم امنت العساكر اراك وديلم وعرب وعجم صاح شاويش الديوان يقول

مازاد نقص وكل متولي معزول والدهر كسلم طلوع ونزول
اصبر تؤجر ولا تكن في الفعل عجول ما اسرع مايقال كل كان شيئا ويزول

(قال الملك الصالح) سمعنا ولله اطعنا وامورنا الى الله سلمنا من اين كنا حتى اتصلنا ثم اراد الملك يتعاطى القصص ويزيل الغصص ويحكم بالعدل والانصاف كامر النبي جد الاشراف واذا بالمحتسب وهو الامير قراجوده طالع يقول نعم شاه دولة دائمة انا نازل من شأن شق البلد فقال له الوزير ايبك ياأمير قراجوده شق ياابن البلد على العدل توجه على باب الله فقال القاضي ياأمين الاحتساب الناس تجارت على النقص في الميزان والظالم اوزن طيب واضبط الميزان على الدقه فقال السلطان طاوعه يارجل ياقراجوده ماينتج حالك انت كمان وتلحق بالسابقين انزل (ياساده) فنزل قراجود وركب وتقدم اليه الخدامين وقالوا له على فين ياأمير قال لهم على حارة بيبرس هذه شقة غريبة ثم قال امشوا فساروا معه الخدم ولكنهم متكدرين لانهم يعلموا ماجرى للوالى ولا زالوا سائرين حتى وصل المحتسب الى اول دكان في الحارة المذكوره وكان دكان زيات فقال له المحتسب سلام عليك ياأبى هات صروفك قال له الزيات سمعا وطاعة تفضل هذه الصروف فقال له المحتسب هذه صروفك قال نعم قال له كم الرطل فيه قال له الزيات هو في يدك يزيد على رطلك وقيتين قال لما اوزن اشوف ووضع الرطل فصار الرطل مدحرج الحردق فطلعت صروف الزيات فوق صروف المحتسب فقال له ناقص ارمى الرجل فقال له الزيات يمكن

ان الصروف اكلوا منهم الفيران فرمى الزيات وضربه علقة وانتقل الى دكان الزيات الثانى وكذلك الكفتاجى والعطار والجزارين والخوضاريه على هذه القضية حتى دار على اهل الحارة بالتمام وراح الى حال سبيله فقاموا الناس واخذوا بعضهم واخذوا صروفهم وذهبوا الى دار بيبرس وترامو امامه فقال بيبرس ماالخبر قالوا له يادولاتلى احنا صروفنا معنا وانت عارفهم والاسطى عثمان كذلك يعرفهم ولكن أمين الاحتساب جاءنا ووزن الصروف ونزل علينا بالكرابيج الى ان شوانا مع اننا ماعندنا نقص يادولاتلى في عرضك فقال بيبرس انا في غداً اتكلم معه وهذا مقدر عليكم ولكن سامحوه لاجل خاطرى وانا باكر أقول له مايقاش يكلمكم وارده عنكم قالوا له طيب ياسيدى ورجعوا الى حال سبيلهم فقابلهم عثمان وقال لهم رحتم للجندى لاى شيء قالوا له يااسطى عثمان المحتسب ضربنا قال لهم عثمان والجندى ماقال لكم قالوا له قال لنا مقدر عليكم قال عثمان طيب مقدر عليكم يااولاد حارتنا فنزلوا الى حال سبيلهم ولما كان ثانى الايام طلع المحتسب الى الديوان وصبح على السلطان فقال له القاضى ياأمين الاحتساب اجتهد كما فعلت أمس وعليك بها فقال السلطان اسمع كلام القاضى فنزل المحتسب وركب فقالوا له الخدام على اين ياامير قال على حارة بيبرس ثم انه سار حتى وصل الى دكان الزيات وطلب الصروف فلقاهم بذاتهم لامبدلين ولا مغيرين وكذلك الكفتاجيه والعطارين والخضاريه على هذا المثال فضربهم ضربا شديدا اكثر من أول يوم ومضى الى حاله فقالوا لبعضهم نروح الى صاحب الحاره وهو الامير بيبرس فقال واحدا منهم ما كنا عنده البارح وقال لنا مقدر عليكم وان ذهبنا له اليوم يقول مقدر عليكم أيضا فقال لهم الزيات انا

عارف الذى يبطل المحتسب ويحرمه دخول الحاره وهو الاسطى عثمان ولكنه يطلب منكم البسيسه فقالوا له صدقت هات لنا ربع قنطار سمن بقرى وهات لنا عشرين رطلا عسل نحل واحنا نجيب عشرة شقات عيش من الفرن وهذا شيء قريب وفي الحال كل من كان له طشت في بيته احضره بدلا عن القصاع وعملوا له ماذكرنا وساروا بها الى عثمان وكان عثمان جالسا ولم يعلم بشيء واذا بأهل الحارة مقبلين كما ذكرنا وقالوا له يااسطى عثمان احنا في عرضك من المحتسب والنفقة هاته موجودة فقال عثمان مرحبا بكم يااولاد حارتنا لانكم تعرفوا الواجب روحوا ولما يجيكم المحتسب قولوا طقطق شميرك يازبور فرجعوا وهم فارحين

(قال الراوى) وأما عثمان فانه التفت الى الجدعان وقال لهم كلوا القصعة ياجدعان لكن الذى يأكل الخروف يحمي امه فقالوا له سمعا وطاعة قال عثمان بس يا جدعان خايف من الجندى مايسيبنيش ويروح من غيرى بقى نعمل زى النوبه التى فاتت عملت فيها ميت وهذه النوبه اذا مت يسحب الدمشقي ويقومنى واذا ما قمت يتبطنى بالدمشقي فلعنة الله على من دمشقه ولكن أنا أعمل روحى اعمى ثم ان عثمان غاب وعاد وأحضر بصلة ودقها ووضع فيها ملحا ودعك عيناه فاحمرت وتورمت ودمعت من ساعتها ووقتها ووقفت السياس وهم ينشون عليه وهو واضع فروف على عينيه وكل السياس واقفين يقولون له سلامتك يا اسطى عثمان وهو يصيح باعلى صوته ويقول آه ياعيونى فسمع بيبرس زعيق عثمان فنزل اليه مسرعا وقال له لا بأس ياعثمان فقال له عثمان عيونى ياجندى فقال بيبرس لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال من هذا كنت أخاف عليك وأقول لك ما تكشف رأسك وأنت عريان فقال عثمان ياأشقر نزلت علي السبعة مرضات والسبعة

دمويات والسبعة سخونات فقال له الله يشفيك وقد بكى عليه ياعثمان ثم انه أتاه بماء الورد الباش والسكر المكرر وجعل يسقيه وكلما سقاه زاد وجعه وينادى آه ولم يزل به الى ان طلع النهار وتركه بيبرس وركب مع الفداويه الاثنين وسار طالب الديوان وترك عثمان في البيت لاجل مرض عينيه (قال الراوى) ولما كان صبحية ذلك النهار بات الملك وأصبح مثل العاده ظهر وجلس في الديوان ثم التفت الى الوزير وقال يا شاهين الجماعة تحضروا قال الوزير أى جماعة يا ملك الاسلام فقال له السلطان الخواصين رايحين يقطعون الخوص (ياساده) واذا بالمحتسب طالع باس الارض وصبح على الملك فقال له القاضى ياامين الاحتساب شق مدينة مصر واجتهد في تصحيح الموازين ليلا ونهاراً وكذلك الأثمان والاسعار كما قلت لك شق مصر وعليك بها فقال السلطان ياشاهين هذا اليوم آخر المواعيد انزل يارجل يامحتسب وطاوع القاضى فيما أمرك به (قال الراوى) فنزل أمين الاحتساب الى باب الديوان وقدموا له الخدام الحصان وقالوا له على فين يا امير قال لهم على حارة بيبرس فقالوا اله ياامير هى حارة بيبرس انفتح لك فيها مطلب ما كنا فيها البارح قال لهم لازم من حارة بيبرس قالوا له هـذه حارة رجل جبار قال المحتسب أى رجل قالوا له عثمان بن الحبله قال انا لا أخاف من عثمان ولا من سيده ثم صاح على المقدم فصار من غير مراده هذا ما كان من المحتسب (قال الراوى) واما ما كان من اولاد حارة بيبرس فانهم صاروا يكرروا في الكلمة وهى طقطق شعيرك يادبور الذى علمهم عليها عثمان وأما عثمان فانه حط على كل بوابه جماعة من السياس وقال لهم متى رأيتم المحتسب دخل اقفلوا البوابات فقالوا له سمعاً وطاعة ولما كان تمام الترتيب الذى جرى واذا بالامير قرا جوده المحتسب أقبل وعند ما عبر

من باب الحاره غلقت عليه الابواب فأقبل الى دكان الحاج دلوع الزيات وقال له يا رجل اذا كان الجاموس أسود واللبن ينزل منه ابيض من شان أيه السمن يبقى اصفر قال له الحاج دلوع هذا صنعة الله ياساج وانت مالك ياخسيس ماذا يخصك بالسمن البقرى احنا ناس قاعدين نبيعوا بالحد والانصاف كما أمر جد الاشراف وانت كل يوم تجى تتملل علينا وتتنقل علينا ولا لك حق ولا انت بيدك حق الا التملل الكذب وضربتنا وسكتنا لك وصبحت كان جاى وزايه قال المحتسب انت مالك يارجل هذا النهار قال له مالى وانت مالك ربنا يميل حالك ويقطع اوصالك اصبر ونحن نريك مقامك ثم ان الحاج دلوع وضع اصبعه في اذنه وزعق طقطق شعيرك يادبور واذا بكل واحد من الخدام قبضوا عليه خمسة سياس وبعد ذلك ظهر عثمان الى المحتسب وقال له أهلا بالجدع المنقرش قريب القاضى الذى من العطفه الضيقه ايش جابك الى حارتنا ياوجه حمارتنا وكان عثمان طابت عيناه من الرمد فقال له المحتسب ياعثمان انت أقل من المسخرة فقال عثمان والضراط على شواربك وشوارب ابيك الغليظ ياممرص فعند ذلك شرع المحتسب يده وكان فى يده دبوز فضرب به عثمان فزاغ عثمان عن الدبوز فوقع الدبوز فى دكان واحد حلاق قاعد عنده رجل يريد ان يقلع ضرسه والرجل فاتح حنكه والحلاق يقول له أين المعيوب واذا بالدبوس وقع على حنكه ارمى المعيوب والصاغ فقال الحلاق قم روح الى حالك لان الله أراحك من القوى والضعف هات الاجره وامضى الى البحر اغسل حنكك وروح الى حال سبيلك (قال) وأما عثمان فانه قد هجم على المحتسب وقلعه من على جواده وارماه الى الارض وجعل رجله على قفاه وأمر السياس يمسكوا رجليه ويديه ومال

عليه بالضرب الوجيع حتى دغدغ اعضاءه وكاد أن يعدمه الحياه ثم انه
قلع ملابسه وعراه وكذلك السياس عروا جماعة المحتسب وقدموهم الى
عثمان فضربهم كل واحد ثلاثة ضرباب بالنبوت وبعد ذلك قام عثمان وركب
المحتسب على ظهر جواده بالمقلوب وربط ذيل الحصان فى شواربه وأمر
خدامه ان يسيروا معه عرايا وأمر السياس ان يسوقوهم بالطبله والزماره
ودارت بهم اولاد الحاره وكانت لهم زفة عظيمة وبعد ذلك طلعوا من
الحاره وما زالوا معهم حتى ابعدوهم عن عثمان وعادوا عنهم راجعون
هذا ما كان من عثمان والسياس (قال الراوى) وأما ما كان من المحتسب
فانه سار والناس يضحكون عليه حتى صاروا فى وسط الطريق واذا بالقاضى
وايبك مقبلين ونظروا الى قراجوده قالوا ايه الخبر فتقدم اليه وحكى له
وهو يبكى امام القاضى هو الذى عمل له الميزان وقال له افعل كذا وكذا
فعملت كما أمرتنى ورحت أول يوم وضربت الناس وثانى يوم كذلك وأما
النهار هذا كان ثالث يوم طلع لى عثمان وسياس كثيره ضربونا بالنبابيت
وضربوا اتباعنا وربطوا ذيل حصانى فى شوارى وهذا حالنا ثم حدثهم
بالعباره من الاول الى الآخر فقال ايبك الله الله احنا يبقى وزيرنا ابن
أخت مناعنا يضرب عليه الناس واحنا موجودين لكن هذا كله منك ياقاضى
قال القاضى فى غدا غدا يحضروا تابوت ويشيلوه الخدامين ويطلعوا به الى
الديوان ويدعوا انه مات وأنا على احكم على بيبرس بالقتل ومنى ومنك نصيبات
ومات بيبرس وساوى من له سنين وأوقات فقال ايبك مناسب ياقاضى هذا
هو الصواب والامر الذى لايعاب ولما تقرر الامر بينهم على ذلك مضى
كلا منهما الى حال سبيله وكذلك الامير قراجوده قصد بيته والارض
ضاقت فى وجهه من الكيد الذى هو فيه واذا بالامير بيبرس مقبل عليه

وكان قادما من الديوان فلما رآه الامير على ذلك الحال قال له ياالاغا من
فعل بك هذه الفعال قال له فعل بى ذلك عثمان سائس متاعك وأنا مابقا
بيني وبينك الا السلطان انت عامل سـياس كثيره ماسكين الحاره متاعك
يضرب علينا انت كمت كلام ايه قال له بيبرس ياالاغا ان الحق علي انا تعالى
ارجع معي وانا ارضى خاطرك واضرب عثمان قدامك وكذلك السياس
جميعهـم وانت تتفرج عليهم واخلص لك ثيابك وثياب خدامك واعطى
لكل واحـد من خدامك عشرة محابيب فقال قراجوده يابشت اذا كان
انت خفت على راسك من بعض شاه لاى شيء تخلي سائس متاعك يضرب
علينا وحق راس دولتلى وزير تركانى لازم اعمل دعوة عند السلطان فقال
له بيبرس روح اعمل ماتعرف وتركه الامير وسار الى ان اقبل الى الحاره
ودخل الى البيت واذا بعثمان جالس على سلم الركوبة والزعرف فوق عينيه
فقال الامير بيبرس ياعثمان انت طيب قال عثمان الحمد لله طيب قال بيبرس
قوم تعالى حتى اقول لك قال عثمان يعنى سر مدشدغ راح تقلي عليه قال
بيبرس من جاء الى هنا هذا النهار قال عثمان لا احد جاءنا ولا شفنا أحـد
وان كنت تكذبنى اسأل اولاد الحاره فقـال بيبرس والمحتسب قال عثمان
المحتسب صحيح جاء الينا وضربته ماهو الحق عليه لول احنا صروف اولاد
حارتنا مضبوطه قال لهم ناقصين بالكذب وضرب الناس وجاؤا وشكوا
لك قلت لهم مقدر عليكم صـبح ثانى يوم جاء اليهم فجانى الحاج دلوع
وجاب البسيسه المنفمة أكلوها الجدعان وطلعت له فوجدته يقول للزيات
ان الجاموس اسود ولمـاذا السمن أصفر منين ذلك فبطته والسلام وادى
الحكايه من اولهـا الى آخرها وان عاد يجي ثانى هكذا والا غير هنا قطعت
بيت منيكه فقال بيبرس هذا ابن اخت لوزير ايبك قال عثمان ايبك اللقمط

والله واقرة هذا والامير بيبرس لم يأحذ من عثمان حق ولا باطل فعند ذلك طلع بيبرس الى اولاد الحاره وقال لهم ياناس اش كان أصل المحتسب عبارته مع عثمان قالوا لاشفنا ولا راينا وكان عثمان اوصاهم بعدم الحديث قال بيبرس انتم مارايتم عثمان لما تخاصم مع المحتسب قالوا لاشفنا ولارايتا ذالك أبدا ماهو على شانكم قالوا مانعمل شيئا مطلقا ولا شفنا عثمان ولا المحتسب فسكت بيبرس (قال الراوى) ولما كان ثانى الايام ظهر الملك وجاس على كرسى قلعة الجبل ووحد القديم الازل واحدقت رجاله بين يديه ومن عادته الوقوف واقف ومن عادته الجلوس جالس وقرأ القارئ وختم ودعا الداعى وختم ورقى الراقى ودخلت آمنت العساكر اتراك وديلم وعرب وعجم وزعق شاويش الديوان وأنشد يقول صلوا على الرسول

يامن عجيب كل أمر عجيب * الوقت صفامن كدره والغصن رطيب
اثبت سترى اهوال منها الطفل يشيب * اضحكت صفافسوف تبكى دمع صبيب

قال الملك الصالح الله أكبر آمنا ولله أطعنا وأمرنا الى الله سلمنا وأراد ان يتعاطى الاحكام على منهج سيد الانام واذا بباب الديوان استد والستار انهز وطائفة الاحتساب طالعين بالتبوت على اكتافهم وهم يقولون لااله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السلطان ياناس هو باب القرافه صار من هنا فقالوا تعيش راس مولانا السلطان فى قراجوده المحتسب قال الملك ولما مات جبتوه تدفنوه فى القرافه قالوا له ياملك هذا مات مقتول قال الملك ومن الذى قتله على هذه الحالة قالوا له يامولانا قتله الامير بيبرس وعثمان بن الحبله فعند ذلك تحرك القاضى من مكانه وهز ديدبانه وقال ياامير المؤمنين كم أقول لك مرارا عديده واذكرك به تذكارا واعلمك يامولانا ان هذا المملوك ماجاء من بلاد العجم الا على خراب هذا الاقليم

الاسلاميه واذا لم يهلك هذا الغلام يخرب بلاد الاسلام وكم ياملك الاسلام انصحك وانت تكذبنى فى الكلام ولا تصدقنى ولا تبلغنى المرام* حتى انه قتل هذا الرجل المؤمن وان هذا المملوك يقتل قتلة عظيمة وان كانت قتلته ينتج منها خسارة على مولانا السلطان لانه من مالك فانا ادفع من مالى وصلب حالى وزكاة عن قلمى ودواتى ومحبة ورغبة منى فى دين الاسلام وابتغاء لوجه الملك العلام خمسين كيس فى كل كيس الف دينار وثمن خمسين مملوك وثمن خمسين حصان وانت ياوزير ايبك عليك مثلها قال ايبك نحط مثلها قال السلطان ياشاهين يصح ان واحد مثل بيبرس يقتل ابن اخت المعز ايبك التركمانى وهو مالك ملوك الموصل لاكان ولا استكان هاتوا الدراهم وثمن المماليك والخيل حتى اخلى ابو حديده عوجه يلاص اوداته فقال القاضى ياشيخ منصور هات الدراهم وهم ثمانون الف دينار وانت ياايبك احضر المال ياساده) فعندها حضرت الدراهم فقال الملك ياشاهين ارسل لنا بيبرس فارسل الوزير الى الامير رسول من طرفه فسار الرسول الى منزل الامير وقبل يديه وقال له ياسيدى تفضل الى الديوان فقال سمعا وطاعة ولكن ايش الذى جرى فاخبره بان المحتسب قد مات واحضروه في تابوت فالتفت بيبرس الى عثمان وقال له المحتسب مات قال عثمان من موته خدوه ماشى من هذا البارح طيب قال بيبرس هاهو مات وكيف رأيك ياعثمان قال ماعرف اعمل ايه قال بيبرس حارتنا كلها ماحد منها شاهد وانا عليك ما شهد بشىء وان سألنى السلطان أقول له ان عثمان عيان ولا شفنا ولا راينا فقال عثمان صحيح لاشفنا ولا راينا فقال بيبرس أنا اطلع الى الديوان وان سألنى السلطان عنك اقول له عثمان عيان وانت لاتجى الا حتى تبرد الامور قال عثمان طيب* فعند ذلك ركب الامير بيبرس

وترك عثمان وطلع الى الديوان ولما دخل بيبرس خدم وترجم وافصح
مابه تكلم ودعا للسلطان بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم قال الملك
يابيبرس انت قتلت هذا قراجوده المحتسب فقال له بيبرس لاى شيء اقتله
لابيني وبينه معاملة ولا مقاربة قال القاضي وعثمان فقال الملك فين عثمان
يابيبرس فأراد ان يقول له عيان واذا بالنبوت يخبط في باب الديوان وعثمان
يغنى ويقول ياليل ولا فاكر فى ديوان ولا في ملك ولا في شيء مطلق
وهو مع ذلك يقول

عليل عماه جرجر فلق الكوز واصبر ايه
وكان معه مال وباع الملك وابصر ايه وابصر ايه
ولولا صابا معهم عشب وابصر ايه
كشفوا عليه النقوه يهوى في العيون السود ابصر ايه
طرحوه على الارض ضربوه الف ضربه والسيره ايه

(قال الراوى) ثم ان عثمان لما فرغ من غناه قال السلام عليكم
ياالاسطوات من الطاقه للعلاقه ومن الدفه للشابوره قال الملك احنا سياس
قال عثمان صباح الخير عليك يابو جوطه الفاتحه في صحايفك وصحايف
الذي علمك مسك الكفه والجره وضرب المقطيطه فى الاسطبل ياشيخ
ظفر بطنك ولو في السنة يوم تدعى لك انت تأكل قراقيش ودقه لما تروح
لله ماتلحق تقدر تقول (ياساده) ثم التفت للوزير وقال صباح الخير
عليك يابو فرمه ياطرنطش على طرنطيشك ياجدع صباح الخير عليك ياأيبك
يالقيط صباح الشر عليك ياقاضى يامنقرش يللي من الحارة الظلمه ياابن
النحبة يافتلة زرقا قال القاضي اخرس فسح الله ذاتك قال عثمان جمرة في
عين خالتك فقال الملك الصالح اشخ عثمان بطل عن الهذيان واخرني

على ماجرى بينك وبين امير الاحتساب قال عثمان يامعلم اسمع الحكاية وشوف الحق على من قال الملك قوله قال عثمان عز الله جل الله مافى الملك الا الله انت يامعلم صالح قول معاى لااله الا الله قال السلطان لااله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عثمان وعلى القاضى لعنة الله قال له الوزير ياعثمان قل الحكاية بحول الله قال عثمان انت يامعلم صالح ماكنت انت كتبت الينا فرمانا ماأحد يجي الينا في حارتنا وان كنت تنكر احلف لى في أم البيت قال الملك صحيح معك فرامان ماأحد يدخل حارتكم من المجاورين ولا من أهل الحسبه قال له عثمان ان المتقرش الذى تعرفه انت دخل وأمين الاحتساب الذى اسمه جرجوس وجاءنا بالميزان الذى عمله المتقرش يعنى القاضى وبقى يامعلم يحط الرطل ينزل بالكذب وقال للناس صروفكم ناقصين وضرب كلا منهم علقة فدخلوا للجندى وحكوا له فقال لهم مقدر عليكم لكن سامحوه لاجل خاطرى وثانى مرة كذلك فقاموا وجابوا لى النقمة اكلوها الجدعان وانا عملت نفسى عيان بعيونى حتى ان الاشقر خلانى وطلع الديوان وجاء جرجوس يسأل الناس ويقول لهم الجاموس اسود اللبن ابيض السمن اصفر لاى شيء والله يامعلم صالح نبطته النبطة التى قال عليها الحكيم ورميته بالطبل والذكر لما طلعته من الحارة هو وجماعته وبعد ماضربته يامعلم صالح اخذت عفشه والميزان وهذا الميزان يامعلم صالح وانظر يستحق النبط ام لا فعند ذلك اخذ السلطان الميزان وتفرج عليه وقال ان الذى فعل هذا لايعرف الله ولا رسوله فان هذا شغل المنافقين ثم التفت الى عثمان وقال له وبعد ذلك انه آخر الحكاية قال عثمان هذه آخر الحكاية يابوا قوطه قال الملك لكن ياعثمان هو الضرب برد عليه وبقى قتله ويبقى لما مات كيف يكون الحال

قال عثمان اذا مات لايلزمنا شيء كما كنت تكلمت انا والجندي لاشفنا ولا رأينا ولكن انا قتلت والسلام ونحن لاشفنا ولا رأينا قال السلطان انا سمعت منك بأذني وما بقي ينفعك انكار قال عثمان وانا اعمل ايه قال الملك ياعثمان القاتل يقتل شرعا قال عثمان اذا كان راح تقتلني انا اكمل عليه بالمرة وابقي اعمل ماتعرف ثم ان عثمان مد يده في حزامه وطلع منه سكينه صاحب صنعة اهل الهند وتقدم واراد ان يفعل به كما فعل بالوالي وكان قراجوده عالم بما فعل عثمان بالوالي ونظر عثمان وهو مقبل السكين في يده فقفز من التابوت وبقي يجري من التابوت وصار يجري على وجه الارض فقال الملك الله يادايم سبحان من يحيي العظام وهي رميم انظر ياشاهين ان الميت قد حيا بقدرة الله عز وجل سبحان القادر على كل شيء ولكن هات الملعون ياعثمان قال عثمان حاضر ياجدع هات ياحرحش جروه ياسياس فقبضوا عليه وقدموه الى السلطان قال السلطان كيف ياأيبك هذا ابن اختك صحيح ولكن احنا رأينا الوالي فعل ذلك الفعال وكان ميتا بالكذب وكمل موته عثمان ورأيناه نصراني ياقاضي وهذا الذي بقي له جانب من الزيت نكشف عليه ولكن الله حليم ستار خذ ياأيبك معزول وهاتوا كرك الى بيبرس امين الاحتساب لبسه ياشاهين لاجل ان يفرح بشبابه كرامة للشيخ عثمان ولكن بقي ياقاضي هذا يحل في بلاد الاسلام ان الناس تحط الرشاوي على قتل النفس ظلماً وعدوانا قال القاضي من الذي فعل ذلك قال الملك انت وايبك قال القاضي يامولانا احنا دفعنا على اظهار الحق واخفاء الباطل والآن ظهر الحق وانفضح واختفى الباطل وانفضح قال السلطان وهذا المال لمن يكون قال القاضي لما نظر السلطان ممزوجا بالغضب فقال يامالك يستحقه بيبرس وهو منا هبة لا ترد قال الملك

هيا ياشاهين لبس بيبرس امين احتسابيه فعند ذلك حضر الكرك وانفرد
على اكتاف بيبرس ونادى على رأسه شاويش الديوان ومماليك الوزير قد
حملوا الاكياس وادخلوها الى دار بيبرس واما بيبرس فانه لما لبس
الكرك وصار أمين احتساب نزل على القاضى وابيك الف مصيبة ولما
طلع بيبرس من الديوان تلقاه عثمان وقال له اهلا وسهلا انت مقفطن ان
شاء الله تعالى تكون مشدود كلاب قال له بيبرس اخرص يامعرص قال
عثمان امالى ان شاء الله تكون لبست امين طباخه لاجل ان يكون
عندنا الاكل كثير قال بيبرس انا اقول لك ياعثمان بطل الكلام
قال عثمان اياك عملت شيخ على الحارة فقال بيبرس يارجل انا
أعلا والا أوطا قال له عثمان عملت ايه أمل قال له بيبرس لبست أمين
احتساب قال عثمان لبست محتسب قال نعم قال عثمان سبوح قدوس
الخدمة بالفلوس ماهى بالدبوس اما انا مابقيت أخدمك أبداً ياسلام ياواد
وانت كلما تفور عثمان يغور قال بيبرس نحن سوى ان سعدنا سوى وان
شقينا سوى أما تخاويت انا واياك على مقام السيده زينب وبقى بينى وبينك
عهد الله بقى الذى غير ذلك ماهو قال عثمان ان كان ولا بد اعملنى محتسب
صغير قال بيبرس انت محتسب صغير ياعثمان قال عثمان وما يصح الا ان
تقول اوليتك ياعثمان يابن الحبله الذى داركم فى المراغه والقبر الطويل
وعندكم عبد اسمه فرج وعلى باب داركم قنديل انا اولانى الملك محتسب كبير
وانا أوليتك محتسب صغير (ياسادة) فعند ذلك قال الامير بيبرس كما علمه
عثمان فلما سمع عثمان قال ياعقيرب قال له نعم قال انا بقيت محتسب صغير
قال له مبارك ياأسطى ثم أن الامير بيبرس نزل من الديوان وركب الحصان
وعثمان صبر الى ان ركب الامير وأرسل معه واحد من السياس وحط

السكرك على اكتافه وقعد وامر السياس البعض منهم يزمر والبعض يصفر
ويصفق الى ان وصل الى الدار وكان النهار فرغ فبات بالنعيم المقيم الى ان
أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح صلى بيبرس صلاة الافتتاح
وركب وطلع الى الديوان وتقدم الي السلطان وقبل الارض بين يديه وقال
ياأمير المؤمنين مولانا السلطان قد انعم على مملوكه بالولايه سابقا وزاد
بانعامه بالاحتسابيه لاحقا فهل للمملوك ان يتصرف قال الملك اى منصب
اعطيته لك وللى فيه وقلد من شئت في كل مماليك من حد الاوضه الى حد
الاوزارية كل منصبا توليت فيه لا تعزل منه قط ولا احد يتولاه سواك قال
القاضي يامولانا اذا كان تولى الاحتسابية يعطي الولايه لغيره قال الملك لا
يمكن ابداً انزل وولى مثل ماتشاء والبسه الولاية ثم التفت الى الاحتسابيه
حتى تنظفها مثل ما نظفت الولاية فعند ذلك اخذ دستور مكرم وكتب له فرمان
بختم السلطان انه أمين على الاحتساب ووالى يفعل في مناصبه كيف يشاء
ونزل معزوز مكروم ووصل الى داره فرأى أرباب الحسبه واقفين له قدام
داره فقدموا اليه وقبلوا ركابه ونظر اليهم واذا بواحد حامل ميزان والاخر
حامل الصروف فى مقطف وواحد حامل فلقه واثنين كل واحد منهما
في يده كرباج والباقى في يدهم المكاكيز فقال لهم بيبرس انتم ايش قالوا له
ياأمير نحن خدامين الحسبه فقال لهم بيبرس الحسبه أعطاها لى الملك الصالح
وصرت أحكم فيها قالوا له نعم ياأمير ولكن احنا نريد خدمتك ونأكل عيشنا قال
لهم عندى خدامى ولاأريد منكم أحد قالوا يادولاتلى أنت ماعليك كلفه لنا
في خدمتنا بل يعود عليك النفع منا لاننا نعرف الاسواق والطوايف الذى تابعوه
الى الاحتساب ترتب عليهم العوائد على كل منهم استحقاقه واحنا كمان
نأكل عيشنا من جانبك ونبقى ملزومين بكل ما تحتاج اليه مطبختك من

سمن ولحم وخضار وحطب وملح وقمح وصابون وما تحتاج اليه فانه يأتيك
بالراحة على ايدينا قال بيبرس من أى محل أو من أى جهة يأتى هـذا
كله قالوا من البيع الذى عليه المرتب ونمسك له بيعه بسببها اذا كان صاحبها
معروف والذى ماعليه عوائد فاننا نقبض عليـه ونضربوه حتى يقرر على
نفسه عوائد واحنا أيضا لنا عليهم عوائد ومايتكلف عليك شىء ابداً فقال
لهم الامير بيبرس ياناس ان هذا الذى تقولون لى عليه فهو شىء حرام
والله تعالى ماأمرنا بالحرام ولا بأكله ولا بظلم الناس ومن يظلم الناس
فالله حسبه وانمـا أنا عندى راى أحسن من هـذا كله فان كنتم ترضوا
تتبعوه في أمان الله قالوا له وماهو الرأى قال هوانـكم تتوبوا الى الله تعالى
عن ذلك الفواحش كلها ثم تخدموا عندى وانا أرتب لـكل واحد منكم
يوميه عشرة أرغفة من الخبز ونرتب لـكل واحد منكم يوميه خمسة دراهم
فضه وكل ليله عند الغروب يأخذ طاسة مسلوقه ويملاها من المطبخه من
الطعام الذى يعجبه ولـكم الـكساوى أنتم وحريمكم والذى له ولد تكون
له كسوة مثل أبيه وأمه في عيد الفطر كسوه للرجل وحريمه تقيم به الى
عيد النحر وفى العيد الـكبير له ولحريمه كسوتين تقيمه بقية السنه من المركوب
الى الطربوش والعمامه ولـكن بشرط انـكم تمشون على تقوى الله تعالى
واذا بلغنى بعد ذلك ان واحد منكم ظلم أحد فما له من يدى خلاص الا
بعد ضربه بهذا الالت ثلاثة ضربات واحدة على رأسه والثانيه على ظهره
والثالثه على صدره فماذا انتم قائلون قالوا له سمعا وطاعة واحنا يادولاتلى
رضينا بذلك الشرط قال بيبرس ياعثمان خذهم عندك فى الاسطبل فأخذهم
عثمان وأدخلهم الى الاسطبل وضرب كل واحد ثلاثة ضربات بالنبوت
من غير ضروره وتابوا عن جميع المحرمات ببركة عثمان ورتب لهم الامير

ماذكرناه وصاروا من توابع الامير بيبرس وبعد ذلك أقام الامير بيبرس ينتظر اصلاح الحال وأمر باصطناع ميزان وكلما يليق للحسابة فبينما هو كذلك واذا بمشايخ الخبز التابعة للحسبه وفي مقدمتهم شيخ الخبازين ويتبعه شيخ الزياتين مع شيخ الجزارين وشيخ الخضاريه وشيخ الكفتاجيه ومثل هؤلاء وسلموا على الامير بيبرس وجلسوا بين يديه وأخرج كل واحد منهم صره وقدمها الى الامير بيبرس وقالوا له ياأمير هذه عادة قال الامير ايش هذا قالوا له المشائخ هذه عوائد اذا تولي علينا مثلك محتسب جديد فان له علينا ان نأتوه بالصره وهذه علينا عاده ثم تقدم اليه شيخا منهم مقدم في السن وكان هذا أمين الخبازين وقال يادولاتلي ان هذه الصره فهي لغسيل بدلتك والطوائف كلها مثل بعضها وانا شيخ طائفة الخبازين وقد اتيت لك بالصره لاجل انك تعرفني لاننا كنا سابقا لما كان المحتسب الذي من قبلك كان عمل معدن للعيش على يدي وعلى يد المحتسب مع واحدا من جناب السلطان وجبنا قمحا وطحناه وخبزناه. فوافق الكريك أربعة أرغفه بنصف فضه وكان وزن الرغيف الواحد مائة درهم يبقى الذي بنصف الفضه اربعمائة درهم وصار علينا نبيعها بموجب ذلك ولكن ياأمير بني آدم طماع وهذا كرانا وكل انسان لابد ان ياكل من كراه ويلبس من كراه ويبني أملاكا من كراه ويعمل افراح ويجمع أمواله هكذا وانت يادولاتلي تفهم الفاضل بقي نحن نورد العوائد لامين الاحتساب لاجل اذا كان سارح يشق البلد ومسك رغيف ورآه ناقص عن مائة درهم فلم يتكلم بل هوله الصرة فقط تأتي اليه في كل شهر وهاانا عرفتك لاجل ان تبقى تعرفني فقال بيبرس هل ترى هاته الصره منك فقط بخصوص نفسك ام لك فيها شركة فقال له ياسيدي انا أجمعها من المعلمين الذين مدورين المخابز في كل شهر وأقسمها

نصفين آخذ انا نصفها وانت ياحاكم نصفها وهكذا العاده المرتبه من قديم
الزمان فقال له بيبرس انت شيخ الخبازين فقط وهؤلاء ايش يكونوا فتقدم
شيخ الجزارين وقال يادولاتلى وانا شيخ الجزارين وان المعدل علينا كان
رطل لحم الضان بنصف فضه والماعز ثلاثه ارطال بنصفين والبقرى رطلين
بنصف فضه وهذه الصرة نوديها نظير اننا نبيع بالزائد وننقص فى الميزان
فيكون بالك معنا اذا رأيت بيعة لحم وكانت زائده على ثمن التنبيه او ناقصة
فى الاوزان تعلم ان ذلك نظير الصره التى نوديها وتعف عن الذى تمسكه
وكذلك قالوا بقية المشائخ الباقين ومن التطويل كلت الهمم وان توابع
الحسبه مفهوم امرهم (قال الراوى) فعندذلك التفت للمشائخ الحاضرين
وقال لهم يامشايخ هذا يجوز لكم ان تنقصوا فى الكيل والميزان مع ان
ان الله تعالى انهى عليه وقال فى كتابه العزيز وأوفوا الكيل اذا كلتم
وزنوا بالقسطاس المستقيم الايه فضلا عن زيادة اثمان الشيء الذى يكون جعل له
معدنا بالعدل والانصاف وكل من يؤمن بالله واليوم الآخر له فى ذلك حق وانتم
لاى شى تنقصوا حق الناس وتعطوهم بأثمان زائده وتنقصوا فى الموازين
والمكاييل فقالوا المشايخ يادولاتلى كلنا على هذه الحالة فقال لهم الامير هذا
الذى تقولون عليه فانه يعين ارباب المكاييل والموازين على نقص الكيل
والميزان ويطمع ارباب البيع والشراء فى زيادة الاثمان ولكن ياجماعة انا
عندى رأى احسن من هذا واقول لكم عليه وهو انى بعد صلاة الصبح
اشق البلد قبل اشراق الشمس فان وجدت العيش على مقاعد البياعين ازنه
واقلب نظافته وسواده فان وجدته نظيف طايب اوزنه فان وجدته
كاملا اتركه وان وجدته نظيف وناقص وزنه فهذا له عندى شغل وان
كان كاملا وليس نظيف كذلك له شغل وان كان كاملا وزناً ونظافة

بعير استوى كذلك عليه عندي شغل آخر هذا اذا رأيت العيش نظرا على المقاعد من قبل طلوع الشمس كما ذكرت لك ياشيخ الخبازين واما اذا طلعت الشمس ولم اجد المقاعد مملوأة بالعيش فاسامح مرة وثانيا احرق المعلم على المقعد برغيف في وجهه واما في المرة الاخيرة فلم يكن جزاء المعلم في المقعد الذي على عليه خبز في اشراق الشمس الاصلبه على المقعد ذاته واما نقص الميزان الدرهم الواحد خمسمائة كرباج وعدم النظافة تفريق العيش الذي عادم النظافة على الفقراء او اكسره وارميه للكلاب واما اذا كان ناقص التطييب ارمي خبازه أول مرة واضربه خمسمائة كرباج والثانية بالمثل والثالثة فاني ادخله في قلب الفرن والقيه الى بيت النار وهذا الكلام طالع من فمي ياشيخ الخبازين وانت سمعته وكذلك الجزارين اذا رأيت غش في اللحم من وقائع الحيوانات وبيع الماعز باسم الضان اوجملي باسم الجاموس فهذا ماله عندي الانهب جميع اللحم واعطائه للفقراء والكلاب وضرب الجزار الف كرباج وان نقص الميزان اقطع من لحم بدنه وا كمل به القدر الناقص واما زيادة الاثمان الجديد الواحد بخمسمائة كرباج وكذلك جميع ارباب الحرف التابعة للاحتسابية علي مثل ذلك وان يكون البيع والشراء من قبل اشراق الشمس الى بعد أذان العشاء بساعة ونصف وكل من تأخر عن ذلك لايلوم الا نفسه واما اذا كان واحد شيخ طائفه من الطوائف التابعة الى الحسابة مد يده الى واحد من طائفته واخذ درهم فضه أو أقل أو أكثر على قبول المحتسب اولنفسه فهذا له عندي مقام مثل مقام الحرامي ولاله جزاء الا قطع يده وها انتم يامشايخ سامعين وطوائفكم غائبين ولكن انا اركب غدا واجعل قدامي مناديا ينادي بهذه الكيفية وأكتب علامات باثمان المبيعات والاوزان والجاري في

الاخذ منكم سابقا باطل وكل من أحضر شيئا معه يرده الى أصحابه والسلام وها انتم سمعتم وقوموا الى حالكم وافعلوا ما أمرتكم (قال الراوى) فقاموا جميع المشائخ ووجوههم اسودت وبقوا في أشد مايكون من الخوف والقى الله الرعب فى قلوبهم وساروا مع بعضهم في الكلام فمنهم من يقول انه استقل بالسر ومنهم من يقول خاف ان تكون حيلة عليه ومتى ما أخذ شيئا فربما يدرى الملك الصالح بذلك والعقلاء قالوا والله ان هذا المملوك لاينتظر الى شيء من ذلك ابداً حاذروا على أنفسكم من الاتلاف فقال شيخ الخبازين يارجال وكم مثل بيبرس وغيره الدنيا فتانه (قال الراوى) وبعد خروجهم قام الامير وركب ونزل الى ساحة بولاق واطلع على ثمن النعمة وعرف مايفرق بعد الطحن والخبز وأجرتهما وأجرة المعلم والصناع فوجد الاربعمائة درهم بنصف فضه فقال مناسب. وكذلك مشترى الاغنام وجاب خروف وجاموس وماعز وعمل معدل اللحم ولا تم ذلك النهار حتى كتب اوراق وجعلها فى شوارع البلاد بأثمان المبيعات وان الرطل أربعة عشر أوقيه يعنى مائة وثمانية وخمسين درهم تمام والذى ينقص يلزم خلاصه وصار تنبيه على أرباب المبيعات على هذه الحالات ولما كان فى ثانى الايام صلى بيبرس صلاة الافتتاح وركب وسار ولم يزل سائراً حتى اتى الى فرن شيخ الخبازين وتأمل واذا بالفران يحمى فى الفرن بالوقود فتركه وسار الى جهة المحجر وعاد فرآه يحمى فتركه وعاد الى جهة الصليبه وعاد بعد نصف ساعة واذا بالعيش على الاقفاص خارج الفرن فامر ان يأتوه برغيف واذا به خمسة وثمانون درهم ولكن ناقص التطييب فأمر برد الرغيف الى النار لاجل تمام استواه حتى اطلعه من الفرن ووضعه في وسط كفه وطبق عليه وفرد كفه فانفرد الرغيف معه فقال استوى طيب ولكن الميزان فوضعه فى

الميزان واذا به ثمانين درهم فالتفت الامير وقال للريس الذى واقف قدام الفرن لاى شيء العيش ناقص فقال الريس ياسيدي انا ريس الخبازين فقط يأتيني العيش عجين اخبزه ولى عرق يومى أجره ويا سيدى ما انا ملزوم بنقص العيش ولا بوزنه فكل ذلك يختص به القطاع والوزان فقال احضروهم فأحضروهم له فسألهم عن سبب نقص القطيعه ولماهي موافقه في الوزن فقالا له يامولانا نحن اجيرين نشتغل بأجرنا والميزان ميزان المعلم ونحن نوزن كما يأمرنا فقال لهم احضروه لي فذهبت جماعة الى المعلم واحضروه فلما حضر قال له ياشيخ لاى شيء منقص العيش عن الميزان الذى عملته وثانيا تخلي العيش ناقص الاستوى فقال له ياسيدى انا التنبيه نزل علي البارحة ولا عملت ميزان جديد فأرجو من فضالك يادولاتلي العفو وفى غداة اذا رأيت شيء لم يليق بعقلك افعل خلاصك قال وهو كذلك ثم تركه ومضى شق البلد بالتنبيه شفاها ولما كان ثانى الايام كان أول قدومه على فرن شيخ الخبازين فكان الشيخ واقف والفران الذى على الفرن واقف يقول له انا ماأقدر أخبز الا عيش على اوزان الحاكم فقال له الشيخ اخبز الذى قدامك وان لم تخبز اطلع وانا أجيب غيرك فقال انا أطلع ورزقى على الله قال له اذا لم تخبز أرميك داخل الفرن فقال له وان جاء الحاكم قال له دعه يرميني انا في الفرن وكان بيبرس يسمع ذلك الكلام في البدريه والناس داخل الفرن فسار ولم يكلم أحد ولما طلع النهار حضر فوجد العيش كما كان أمس فأمر برفع شيخ الخبازين والقائه فى الفرن فانشوى وبعد ذلك توقع الاسطى عثمان عليه وحافه بالسيده نفيسه فطلعه لكن النار هالكت أعضاءه فما أقام الا أيام قلائل ومات وشاع الخبر فى مصر بأن المحتسب رجل جبار لما انه وضع شيخ الخبازين فى الفرن وحرقه بالنار أجارنا

الله وايا كم من ذلك ومن هذا الامر خافوا كل أهل البلد ولا بقى
أحد يبيع الا بالكيل المطلق والوزن المطلق وجميع الناس تركوا الباطل
واتبعوا الحق وصارت البلد متمشية على طريقه حميدة والبيع بالعدل
والانصاف والشرى كذلك الى يوم من بعض الايام وكان يوم جمعة فيه
يصلون على النبي فمر بيبرس على طريق باب الشعرية واذا عرضه رجل
سقى حريم ومعه لحم وخضار متوجهـا بها الى منزل سيده فقال للخدامين
هاتوا لنا هـذا الرجل فاحضروه الى بين يديه فلما حضر قال له مالذى
معك فقال معى لحم ضان ومعى خضره وهي باميه فقال له هات حتى اوزنها
فاخـذ وقال كم رطل اخذت قال له سبعة ارطال لحم قال والباميه قال عشرة
ارطال فامر بوضعهـا فى الميزان ووزنها واذا باللحم خمسة ارطال والباميه
ستة ارطال فقال له من أى حارة ياشيخ قال له من حارة ايبك التركمانى
فسار بيبرس وأخـذ الرجل معه الى حارة ايبك الى عند الجزار وقال
له ياشيخ قال نعم قال له كم رطل لحم الذى اعطيتهم الى هذا الرجل فقال له
عارفهم هم خمسة باسم سبعة فقال له اما تخشى من الله تعالى وتتقيه وتبيع
بالحلال فقال له ياسيدى هذا غلط فى الميزان وهذه حكمت غصب عنى فقال
بيبرس واين هذا الخضرى وكان الخضرى بجانب الجزار فقال له ياشيخ
كم رطل وزنت هذه الباميه فقال ستة باسم عشرة فقال ياشيخ ان الجزار
ادعى انه غلطان وانت مايكون عذرك فقال عذر الجزار وعذرى سوى
فقال كأنكم اكلتم طاطوره سوى وغلطتم فى السنجة سوى فقال
الخضرى ياسيدى اولا كان امين الاحتساب السابق تحت امر الوزير
ايبك التركمانى فما كان احد من الخدم يقدر ان يمر علينا ونحن ساكنين
هنا حماية لعـدم حكم أمين الاحتساب علينا وفى نظير ذلك فان لزوم

مطبخته اليومى من لحم وأرز وقمح وعسل وسمن وملح وبصل وجميع
مانحتاجه المطبخة لحد الفلفل وكذلك صابون الغسيل علينا وعلى جميع
السوق المقيمين بحارة ايبك وهذا كله يأخذه منا السدار الذى على
مطبخة المعز ايبك وهو الذى يأمرنا بذلك كله وكيف نعمل اذا أخذ
منا مانحتاج اليه المطبخة والمكان فما نجد غير نقص الميزان فقال بيبرس
اذا كان هذا قولكم وان الوزير مصروف مطبخته منكم فانتم معذورين
وانا في هذه النوبه أقبل عذركم وفى آخر النهار فان الوزير يحضر من
الديوان فاجمعوا بعضكم وادخلوا عليه وقولوا له يادولاتلى ان بيبرس دخل
الحارة وحكم علينا ان نوزن الرطل أربعه عشر اوقية حكم البلد واطلبوا
منه حقكم وامنعوا عنه ما كان مرتب عليكم له واما انا سامحتكم هذه
النوبه واما باكر فلم اسامحكم اذا رايت نقص فى الميزان او زياده في الاثمان
اقتص منكم فقالوا سمعا وطاعة فعند ذلك طلب كمال السبعة ارطال لحم
وكذلك الخضرى كمل منه الباميه ومضى الامير الى حال سبيله (قال
الراوى) واما ما كان من امر المسببين فانهم اجتمعوا مع بعضهم وقالوا
هيا بنا نتوجه الى حضرة الوزير ايبك ونعلمه بذلك لاجل ان نأخذ منه
حقوقنا فلما كان آخر النهار دخلوا على المعز ايبك اهل الحاره جميعا فلما
دخلوا قال لهم ايبك مالكم يااولاد الحاره فقالوا له يادولاتلى اعلم ان المحتسب
القديم كان ابن اختك ولا كان يقيد علينا بطريقة اننا فى حارتك وكان يكرمنا
لاجل خاطرك ونبيع ونشترى بخلاصنا واما في هذه الايام صار المحتسب
بيبرس وانت يادولاتلى تعرف احواله وفى هذا النهار دخل علينا في حارتك
ومسك علينا البيع فرأى كل بيعة تخس الثلث فقال لنا ولاى شىء ذلك
فقلنا له يادولاتلى بطريق ان مصروف مطبختك علينا من اللحم الى

الفلفل فشوف يادولتلى قدر ايش يتكلف مطبخك يوميا هذا كله علينا
ونحن من اين نجيبوا ذلك الا اذا كان من نقص الميزان ومن حقوق
الناس نسرق منهم ونعطى الى خدامك يادولاتلى وغيرذلك ولا بيدنا حيله
واما اذا اردنا ان نبيع بالحلال ونطيع المحتسب من اين تأكل انت ودارك
فلما سمع المعز ايبك ذلك الكلام منهم اغتاظ غيظا شديد ماعليه من مزيد
لانه ما كان يعلم بذلك ابداً وان الذى متولى مصروف كراره فانه
يحاسبه على المصروف مشاهرة فقال لهم ياناس انا ما أخذت منكم شيئا
فقالوا جميع ما كان يدخل مطبخك فانه من عندنا بالظلم ولا نأخذ عليه
شيئا ابداً غير اننا ننقصه من حق خلق الله تعالى فعند ذلك صاح في
الخزندار والطباخ والكرارجى فحضروا بين يديه فقال لهم من امركم ان تظلموا
الناس وانتم تحاسبونى على كل ما كان يدخل عندى من السوق وتقبضوه
منى شهريه فما قدروا ان يردوا عليه جواب ولا يبدوا له خطاب فعند ذلك
قال للبياعين قدر ايش أخذوا منكم فقالوا طول عمرنا ومن الذى يقدر
يحسب فعند ذلك طيب خاطر المتسببين وأعطى لكل واحد منهم عشرين
درهم فضه وقال لهم من الآن لا تبيعوا الا بالعدل والانصاف واذا جاءكم
أحد من طرفى وطلب منكم شيئا لا تعطوه الا بثمنه بالحكم الجارى على
الناس فقالوا له سمعا وطاعة وأمر بضرب الخزندار والكرارجى مع
الطباخ وزاد عليهم بالضرب الوجيع فبينما هو يضرب فيهم واذا بالقاضى
مقبل عليه وهو يقول استغفر الله الغفار الحليم الستار العلى القهار الذى لا اله
الا هو مدبر الفلك الدوار ومدبر الليل والنهار اللهم لا تجعل لنا نية فاسدة من الذين
يلعبون الكوره والمنقله ولا تجعلنا من الذين يستفسقون الماء من تحت بيضانهم
ولا تجعل لنا اولادا يلعبون فى قصوره وبعضهم شغل الجدة شدوا رخى السلام عليك

ياوزير ايبك ياوزير الزمان شفنا شفاعة يادولاتلى على هذا الشان فقال ياقاضى اسكت هؤلاء المعرصين هتكونى وخرقوا حرمتى انا أعطيهم فلوس كل شهر اكياس هم يأخذوا متاعنا ظاما من الناس فقال له القاضى اعلمنى ماسبب ذلك فعند ذلك حكى ايبك للقاضى على القصـة من أولهـا الى آخرها وأعلمه على ظاهر الامور وبواطنها فقال القاضى يبقى انت يادولاتلى من أجل الولد بيبرس تضرب خدامك قال ايبك ياقاضى احنا قف على راسك تبقى هتيكة فعند ذلك تبسم القاضى وقال فان هذا الامر الذى كنت اريده وبسبب ذلك فان بيبرس عمره قد دنا وما بقا كلام فانه مات والسلام (قال) فلما سمع ايبك من القاضى ذلك الـكلام مال اليه وقال له وبأى شيء يموت بيبرس ياقاضى قال له اعلم ان الناس الخدامين مثل الطباخين وغيرهم فهم محتاجون لمثل ذلك الامر وهم منتظرون الى بعض على حسب الامر الذى يكون لهم ظاهر لاسيما وانت الوزير ايبك ومثلك من تطمع أحبابه او اتباعه فمن الرأى ان تأمر الناس البياعين أن يكونوا على حالهم فى البيع والشرا والاخذ والعطا واذا جاء الولد بيبرس نكون امرنا ثمـانين مملوكا ان ينزلوا فى الحاره فاذا جاء يقتلوه اشنع قتله واذا حصل جواب من الملك او خطاب فانا على برد الملك في رأيه برأى يكون من الصواب ويكون بأحسن الالفاظ واذا رأيت الامور تيسرت منك نصيبات ومنا نصيبات هلك بيبرس وشرب كاس الممات ولابقى كلام مات بيبرس والسلام (قال الراوى) فلما سمع ايبك منه ذلك الـكلام انطلا عليه وأحضر المماليك الى بين يديه وقال لهم انتم كلـكم تـكونوا حاضرين فى الحارة فاذا دخل بيبرس وتعالى بالسوقيه فاهجموا عليه واقتلوه ولا تخافوا منه ولا تبقوه ولا تخافوا عاقبة أمركم فانا فداكم فقالوا له سمعا وطاعة وطلعوا من قدامه يحضرون كلمـا يحتاجون

اليه من هذه الساعه فهذا ما كان منهم (ياساده) وأما الامير بيبرس فانه لما ترك الحاره بتاع ايبك فصار يتفكر مايعمل ايبك فقال ياعثمان ياهل ترى مايعمل ايبك فقال عثمان الحق ما على ايبك وانما الحق على القاضى ياأشقر ولكن نظن ان القاضى وايبك يقوموا ويحضروا لك فى حارتهم مثل ماعملنا فيهم فى حارتنا ياجدع لكن ليس عنده الا الهياضم وأماحنا من أولاد الشيخ انا أطلع ثمانين من عندى والثمانين بتوع حرحش يبقى اذا دار البط بيننا وبينهم ها هياضمه ونحن أولاد الشيخ قال له بيبرس اعمل ماتعرف ياعثمان فعند ذلك جمع عثمان الثمانين سايس وحرحش وجماعته وقال لهم تفرقوا فى حارة ايبك وتحت كل دكان اثنين فاذا حضرت انا مع الجندى ورأيتم أحد جاءنا وكان بكل دكان اثنين منكم فيخرجوا الك الاثنين واحد يمسك المملوك ولآخر يمسك صاحب الدكان والعلامه بينى وبينكم لما أقول طرطش ياجدعان تسكوتوا ماسكين ولا أحد منكم يفلت وان قلت وارميش تكونوا عندنا جميعا فقالوا سمعا وطاعة وساروا كما أمرهم به عثمان فمنهم من عمل فاعل ومنهم من عمل زبال ومنهم من عمل فقيه ومنهم من عمل سائل ومنهم من عمل أديب ومنهم من لبس يهودى ومنهم من لبس فلاح ومنهم من لبس فراش وخلاف ذلك وساروا وقد امتلات بهم الحاره فهذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من أمر المماليك فانهم جهزوا أحوالهم وساروا الى الدكاكين وكان الواحد منهم اذا اقبل الى دكان جلس الى جانب صاحبه وقال له سلام عليكم يابابا فيقول له اهلا وسهلا ياآغه مرحبا فيقول المملوك يابابا هات جدل مدمس كان حط شويه سمن هات واحد عيش كمان هات واحد ليمون فيحط الرجل له فيفطر ثم يقول له يابابا بيع واشترى مافيش أحد يكلمك ابدا انا كفيل والآخر

هكذا وبعد ماياكلون ويشربون ينامون على جنب الدكان مثل المبنجين من
شهر ومنهم من يأتي الى دكان ويا كل فطيره اذا كان صاحبه فطاطري ولا
زالوا على مثل هذا المرام يا كرام (قال) وأما ما كان من الامير بيبرس
فانه ركب وهو لايعلم مافعل عثمان وسار قاصداً حارة ايبك وقد مسك في
الطريق بياعين كثيرة وكلها ناقصة وكلما سأل عنها يقولون من حارة ايبك
فلما وصل الى الحاره أقبل الى دكان الجزار وقال له يارجل انا نهيتك عن
النقص فلاى شيء ترجع له ثانيا بعد ماسامحتك المرة الاولى فقال له انت
مايخصك شيء بحارة الوزير ايبك ابداً لانك لاتحكم علينا ولا عليها فقال له
ايش هذا الكلام ومن الذى يخالف التنبيه فقالوا ان الوزير ايبك ماعليه
تنبيه ولا يمشى كلام مثلك عليه فاغتاظ الامير وصاح بالرجال وكان معه
الاثنين الفداويه فنهضت عند ذلك المماليك الذين لايبك فكل من نهض
قبض عليه رجل من تحت دكانه والرجل الثاني يقبض على صاحب الدكان
هذا والامير بيبرس لايعلم ان كان هؤلاء نبتوا من الارض اونزلوا من السماء
لانهم مغيرين ملابسهم هذا وقد أرموا المماليك وضربوا كل واحد منهم
علقه وبعدهم السوقيه وبعد ان انقضى الشغل من ذلك قال لهم الامير بيبرس
هذه النوبة الثانيه فان فعلتم المرة الثالثة عرفت انا خلاصي معكم فقال عثمان
ياناس فرغ حكم المحتسب الكبير وبقى حكم المحتسب الصغير فقال له
بيبرس ايش تريد تعمل ياعثمان قال له اريد اعمل لهم مثل ماعملنا في جماعة
مقلد في بيت ابن أباديس السبكى لاجل اذا وقع منهم واحد تبقى تعرفه
بعلامته اذا انتقل من هذه الحاره الى غيرها فقال بيبرس افعل ماتريد وتركه
الامير وسار الى منزله فهذا ما كان من أمر الامير بيبرس (قال الراوى)
وأما ما كان من عثمان فانه صاح على عقيرب والجماعة الذين صحبته وقال

لهم اصلبوا كل واحد على دكانه من اذنه والاذن الاخرى علقوا فيها السنجه ويكون تعليق السنجه بالدباره والمسمار واخزموهم في مناخرهم وعلقوا البيع الناقص فى خشمهم وادهنوا وجوههم بالعسل حتى يأتى ايبك ويتفرج عليهم وهم على ذلك الحال وينظر ماحل بأهل حارته فيعتبر ثم اصلب المماليك أيضا بعد الكتاف بالخرقة على باب البواية أربعين يمينا وأربعين شمالا واربط سلاحهم بالخزم وعلقه في انوفهم فعند ذلك تقدموا الى الجميع وفعلوا كما أشار به عليهم عثمان وبعد أن تهيأ الفراغ من ذلك قال لهم عثمان ان الجندى سار الى القلعة يستأذن ابو حجوطه ويرسل لكم المشاعلى يرمى رقابكم جميعا وتركهم بعد ذلك عثمان وخرج طالب سيده ولما سار عثمان وكانوا المسببين سمعوا كلامه الذى قاله فكبر الخوف في قلوبهم وجعلوا جميع أولادهم يتباكون عليهم وقد زاد بهم الخوف والحزن فكان رجل منهم جزار قلبه صحيح فقال لهم ياجماعة اترضوا أن تكونوا واقفين في هذه الحالة حتى يجىء المشاعلى ويرمى رقابنا أما انا والله هذا لا أرضاه ولا أصبر عليه فقالوا له وكيف العمل ونحن مكتفين ومخزومين فقال لهم ان اذنى اليمين معلقة بالسنجه والاخرى معلقة باللحم الناقص وأما أذنى الشمال معلقه بالمسمار فى درفة الدكان اما أن ينسل المسمار واما ان تنشرم أذنى ولا أصبر حتى يجى المشاعلى فيقطع رأسى فقالوا له افعل فعند ذلك قطع فى أذنه مزقها وطلع يجرى الى بيته وكذلك الخضرى وتتابعت بقية الناس فمنهم من طاعت له امرأته او ابنته ومنهم من فعل كما فعل الجزار والبعض منهم امتثل لامر الله تعالى وما زالت هاته الحالة حالتهم الى آخر النهار حتى أقبل المعزايبك من الديوان فرأى الحارة كما ذكرنا وأهلها كما وصفنا حتى اقبل ولما عاين ذلك الحال اشتد غمه

وزادت عليه حسرته وعرف ان الحق عنده فذهب الى منزله واحضر الصدار والعشي وضربهم الضرب الوجيع وطردهم من وقته وساعته وأرسل أحضر الناس السوقيه وأمرهم أن يبيعوا بالحلال والحق ويبطلوا الأذى والنقص واذا جاءكم أحد من طرفي فلا تعطوه شيئا الا مثل غيره من الناس ولو كنت أنا فانا لا أكره الحق فقالوا له هذا هو الصواب ونزلوا الى حال سبيلهم وباعوا بالحق والانصاف وشاع العدل في الناس جميعهم وقد دعوا له الفقراء والمساكين ولم يبقى أحد يتعرض للمظالم وأخذ بيبرس الدعاء من جميع الاماكن (قال الراوى) ولم يزل الامير على مثل ذلك الى ان هل شعبان المبارك واندرج وصار باقيا على الصيام ثلاثة أيام وقد جاء يوم الشك الذى يكون بعده فطر او صيام فبينما هو جالس واذا بعثمان دخل عليه وقال له ياجندى بكره رؤية رمضان وان الرؤية تكون عندك بالخصوص لان الحسبة تحكم على الولاية وهى اشرف منها فقال بيبرس كل عام وانت في خير ياعثمان تصوم وتفطر في خير فقال عثمان اديني طيب فقال بيبرس ايش تريد قال له عثمان ياأشقر أريد ان اجمل الرايات تشيع بين الناس وتكون عادة مستمرة فقال له بيبرس افعل ياعثمان مابدالك فنزل عثمان من وقته وساعته وارسل الى مشايخ الحرف كل شيخ بحرفته من الحرف التابعة الاحتسابية فانه يحضر ابناء حرفته ويحضر الى بيت احمد بن أباديس السبكى وكل من تأخر يكون جزاءه صلبه على بابه وان كان نفر يتأخر ينضرب خمسمائة ويغلق دكانه شهر ويكون حضور المشايخ بأفخر الزينة مع الملابس الفاخره راكبين على الخيول المسومة واما انفار الحرب فانهم يكونوا بالتبديلات المعظمه (قال الراوى) فعند ذلك اجتمعوا المشايخ وكل واحد نبه على طائفته وتوجه الى بيت احمد بن

أباديس السبكى فرأوا الاسطى عثمان فقالوا له ايه الخبر يا اسطى عثمان قال عثمان نريد ان نطاهر الدولى بيبرس فافعلوا كما آمركم به فقالوا سمعا وطاعة وجعلوا المشائخ وأرباب الحرف يحضرون انفسهم (ياساده) وأما عثمان فانه سار الى الديوان وطلع الى عند الملك وقال له صباح الخير عليك يامعلم صالح عقبال عندك رايحين نطاهر الاشقر فقال الملك الصالح طيب طهارة مباركة ياشيخ عثمان فقال عثمان وانت ماتعطيش يامعلم صالح بحاجه قال يلزمنا النقوط اعطوا له الفرس الشهبا بتاعى يركبها والدلق بتاعى يلبسه والطايحيه الخوص يحطها على راسه وانت ياعثمان علم بيبرس ركوب الشهبا ويلبس الدلق والطايحية الخوص وانا كمان اخلي ابو الخير الكلاباتي يمشى في ركابه لاجل خاطرك ياعثمان فقال عثمان خلى بالك يامعلم صالح انت عارف فالتفت عثمان الى الاغا شاهين الافرم وقال له يابو فرمه وانت مافيش عندك حاجه تنقطنا بها فى طهور الجندى قال الوزير يبقى ياعثمان هو الامير الى هذا الوقت بغير طهارة قال عثمان أبوه كان يخاف من الطهارة وهو صغير ولما كبر مابقاش يخاف من الطهارة فأمر الاغا شاهين باربعين مملوكا من الخاص بخيلهم وسلاحهم وملبوسهم وأرسل الى الامير بيبرس خمسين قنطار سكر وعشرة قناطير شمع ابيض كافورى وأمر الفراشين وكلما يحتاجون من اصناف زينة البيت يكون من عند الوزير وأما السيدة فاطمة شجرة الدر زوجة الملك الصالح فانها على مثل هذه الحالة فأمرت بأربعة وعشرون جوادا من خيول الموكب الذى عملتهم من قديم الزمان على سبيل الجهاد ان يمشوا فى ركبة بيبرس وهم بالاتراس المذهبة والسيوف الملوكية هذا وعثمان أمر الفراشين يعلقوا القطع الكبار العالية فى بيت بيبرس وقد كانوا أربعمائة الذى اهداهم الوزير فتعلقوا فى بيت ابن أباديس ورسموا الفراشين

من بيت ابن أباديس الى القلعة بخف وثريات بلور وكذلك من القلعة الى بيت القاضي وأرسل عثمان القهوه والشربات الى قاضي مصر ورتب عثمان السرة والحربية ورجع عثمان من وقته وساعته الى بيت ابن اباديس (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب صلوا على طه الحبيب وأما ما كان من الامير بيبرس فانه جالس يقظان ليس ناعس وهو متبسم ليس عابس مثلك يامؤمن يصلى على نبي اخضر في يده كل يابس وليلة مولده انشق ايوان كسرى وخمدت نيران فارس واذا بطائفة الخبازين داخلين عليه راكبين الخيول العربية وهم في أحسن مايكون من الزينة البهية ونزلوا قدام الدولاتلى بيبرس وسلموا عليه فقال بيبرس ايش الخبر ياناس فقالوا له ياسيدى عقبال الزواج فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام تعجب ولم يعلم باطن هذا الكلام وبعد هذا أقبلت طائفه الكحكية وهي في أحسن زينة بهية راكبين على الجنايب الاعوجيه وهم فرحانين لهاته القضيه ونزلوا قدام الامير وقالوا له العاقبة للزواج في نهار مبارك سعيد فقال لهم سقر اللوالى وسقر الهجان ماتريدون قالوا اتينا لنحضر الفرح الذى للامير وان شاء الله العاقبة للزواج فالتفتوا الفداويه الى الامير وقالوا له يادولاتلى ان كل من اتى اليك يقول لك العاقبة للزواج ونحن نعرف هذا لايكون قبل الزواج الا الطهور فانت الى هذا الوقت بغير طهارة فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام قال على بعثمان فلما حضر عثمان قال له بيبرس ايه الخبر ياعثمان قال عثمان هذه حسبة جديده ورؤيه جديده وفرح جديد فقال بيبرس وانت ايش فعلت قال عثمان مافعلت شيئا أبداً وانما أنت قوم اطلع الى القلعة والذى يأمرك به ابو جوطه اعمله فنهض الامير بيبرس وسار الى القلعة واذا هو بالشيخ ابو الخيرات مقبل فاعطاه الطيحيه الخوص والدلق وقال له ان الملك يأمرك

ان تلبسهما فقال بيبرس سمعا والف طاعة ثم لبسهما ودخل على السلطان فقال له انزل ياولدى العافية للزواج فاستحى الامير أن يرد عليه الجواب ثم التفت الى عثمان وقال ماهذا ياعثمان قال عثمان ابوجوطه يباركلك انزل ولا تاخذ على بالك من كلامه فنزل بيبرس الى باب القلعة واذا بالشهبه تقدمت اليه والمماليك الذين من عند الوزير واقفين بين يديه فركب وهو متعجب غاية العجب وسار بالشهبه وهى تقول الله وعثمان يقول الله وابو الخير يذكر ويقول الله وقد ترتب الموكب وذكرت فيه الصلوات على طه سيد السادات وكل هذا بمعرفة عثمان هذا وقد اتفق القاضى وايبك انهم يفسدون الزفه ويخسرونها فارسلوا أربعة من الجاويشيه بعقل كبار خضر وقد كانوا هؤلاء هم الصلاح لها وقد زينوها (قال الراوى) ولم يزالوا كذلك الى ان وصلوا الى بيت القاضى ونزل بيبرس هناك وجلس الى جانب القاضى وعند ما استقر بهم الجلوس حضروا لهم رجلين يشتكون بعضهم فقال القاضى ماالخبر قال أحدهم يامولانا اعلم أن هذا الرجل عليه عشرة دنانير وقد اوعدنى انه اذا هل الهلال الجديد يعطينى اياهم والهلال قد هل تلك الليلة ومضى شعبان وهل رمضان فقال له القاضى ماتعطى له حقه حيث ان الاهلة فرغت فقال له ان المده باق فيها غدا فان كان يريد بينه بأنهم رأو الهلال يكون ذلك صدقا وان لم يروا الهلال فتكون المدة باقية فعند ذلك امر القاضى الرجل ان يأتيه بالبينة فشهدوا أربعة بانهم رأوا الهلال وشهدوا بذلك قال بيبرس حيث ان الليلة صارت من رمضان وقد ثبت علينا الصيام فهذه أيام فضيلة اطلق سبيل هذا الرجل يمضى الى سبيله وانا أدفع العشرة دنانير فعند ذلك أطلقه الى حال سبيله ودفع الامير الى الرجل العشرة دنانير وقال له خذها وسر فأخذها وسار فأخذها منه عثمان وأعطاهم الى

القاضى وقال له خذهم وقد صارت لك عادة ولك فى كل عام مثل ذلك وكانو هؤلاء الاثنين سياس من رجال عثمان وهو الذى علمهم ذلك ثم ان عثمان نادى الى رسول من طرف القاضى بالصيام وركب الامير وسار وركبت طوائف أمين الاحتساب وهم ينادون صيام صيام حكم من شيخ الاسلام وان غدا من شهر رمضان وصارت عادة الى وقتنا هذا وصارت الناس يرتبون أمورهم وقدأوقدوا الوقودات وجعلوا الناس يهنون بعضهم بعضا باقبال الصيام وصار الشهر من تلك الليلة وكل انسان من المشائخ جعل يسير الى حارته لاجل ان يبشرهم أن غدا يكون من شهر رمضان وقد تمادى المسير بالامير بيبرس ولم يزل سائر الى ان أقبل الى حارة الروم وكان القاضى مقيم هناك منتظر قدوم بيبرس ليدبر عليه المكايد والحيل ولم يعلم بان الله حافظه من كل سوء ولما رآه نهض قائما على الاقدام واستقبله وتبسم فى وجهه وقال له ياسيدى شهر مبارك على العباد بقدومك فشكره الامير بيبرس وترجل له من على الشهبة اكراما لقيامه فقال له يادولاتلى خذ بخاطرى واشرب عندى كاس شربات ثم انه صاح على غلامه فأتى اليه بكاس عظيم فناوله للامير فشربه ورد الكاس ففرح القاضى بذلك لعلمه ان الكاس ممزوج بالسم الخارق وأما بيبرس لا يعلم شىء من ذلك كله لانه سليم القلب وركب الامير بيبرس قاصدا منزله فبقى القاضى يتعجب كيف ان بيبرس لم يهلك وقال لغلامه يامنصور اتبع أثره وانظر في أى محل يقع وارجع اعلمنى فقال سمعا وطاعة ثم انه تبعه الى ان بعد عن محل القاضى وقرب الى بيته والغلام ينظر اليه أين يقع فما وقع ونظر الى وجهه واذا به زائد الاحمرار فرجع واعلم القاضى انه وصل الى محله سالما فبقى القاضى متعجبا من ذلك (قال الراوى) وكان السبب في عدم

تأثير السم في بدن الامير بيبرس وهو كما قدمنا ان الذى بجانب بيبرس أبو الخير الكلبانى سايس الملك الصالح ولما رأى ذلك تعجب وقال في نفسه اذا جرى على هذا الولد شيء يصعب على عثمان ابن الحبله ويقول أنا لو كنت مع سيدى لم يصبه شيء ولما ساسه أبو الخير ليلة واحدة فما قدر على حمايته وثانيا يعتب على الملك الصالح ويقول لى أنا ما أرسلتك معه الا لتحفظه من عدوه ثم انه لاح السم وانزعه من الكاس سر خفي لا يعلمه الا اصحاب الاسرار لان لله له في خلقه اسرار لا يعلمها الا هو ونجى الامير بيبرس ولم تحصل له الا السلامة وتبعه غلام القاضي ونظره وهو ماشي كانه ماشرب الا كاس الشفا وعاد الى سيده واخبره وكان فرحان يظن ان بيبرس قد شرب كاس منيته ولما اقبل البرتقش عليه فوجده يضحك فقال له ايش الخبر يا ابن سيف الروم فقال له وحق المسيح لا اخبرك عن الذى جرى حتى انك تمد لى قفاك واسمعك هذه البشاره الذى عمرك لم تجد بشارة مثلها فعند ذلك مد له جوان قفاه فمكن له عنقية وقال له يا ملعون اذا مات بيبرس من الذى يقطعك في آخر الزمان يبقى على شان خاطرك ينخرم كتاب اليونان اما قرأت انت في الكتاب ونظرت الى هذه الاسباب أن بيبرس يطرح عليك واحد من الاعراب اسمه شيحه وانت عارفه لم يحضر فسوف يقطعك في الرميله ويتفرجون الناس عليك في يوم معظم وانت تظن ان كتاب اليونان قد انخرم والله ما انخرم الا عقلك فقال جوان بس يا برتقش اخبرني ان الكاس الذى انت اعطيته الى بيبرس وانا الذى واضع السم فيه فكيف انه ما حس به ولا أثر فيه فقال له البرتقش فكيف يؤثر السم فيه والى جانبه مثل هذا البطل العظيم ابو الخير الكلبانى وهو الذى متولى حفظه في هذه الليلة وهو قطب عصره ونتيجة دهره اما تنظر الى شهبة الملك الصالح

الآوان وبرز المحمل وسار طالب الاقطار الحجازية فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) ولما توجه الحج اقبل السيد محمد على الامير بيبرس وقال له ياولدى مرادى ان اعمر لى دكان في ارض المحروسه ابيع فيه واشترى بشرط ان يكون على طريق الحسين رضى الله عنه لان شغلى شربجى واذا كان دكانى في ذلك المكان لابد لى من التماس البركات والكرامات وكل من زار الكرام لابد يشرب منى الشربات فقال له بيبرس سمعا وطاعه ثم اخرج له كيساً من المال وامره فى ساعة الحال بحضور واحد مهندس ومعمارجى الديوان وقال لهم تسيروا معه الى خط الحسين وانظروا اى محل يريد ان كان فى أى ملك اشتروه له بما يريد مالكه ورغبوا صاحبه في البيع حتى ترضوه وابنوا له دكان على مايعجبه فقالوا له سمعاً وطاعة ثم نزلوا معه وساروا حتى وصلوا الى العقادين فوجدوا قطعة خراب فاشتروها من اصحابها ودخل تفرج عليها فعجبته ودفع ثمنها وبعد ذلك امر بحفر الارض وعمل طابق تحتانى فقال له المهندس لاى شيء هذا الطابق فقال لاجل ان اخزن فيه الزبيب والتين من العام الى العام فبنوا له الطابق ثم بنوا زاوية ودكان بالحجر الصوان وبعد تمام ذلك سار السيد محمد الى الامير بيبرس وقال له انى اريد منك ان تنبه على الوالى ان رآنى في دكانى نصف الليل او ربعه او ثلثه او آخره او اوله فلا يكون له عندى سؤال لانى اريد ان اقيم ليلا ونهاراً في هذا المكان لاجل ان يعرفونى الزوار وابلغ كما احب واختار فقال له بيبرس سمعاً وطاعة وامر له بالوصيه الكاملة واما السيد محمد الشرباجى فانه احضر اخيه السيد حسن وجعله معه في الدكان مثل الغلام وصاروا في قلب الدكان اذا امر عليهم احد بالليل من زوار اهل البيت وكان قصدهم زيارة الكرام وكانوا مقبلين من ليالى او من اى مكان

فيجدوا الدكان مفتوحا فيقعدون لاجل الراحه ويطلبون منه الشربات
فيقول لغلامه هات من القمقم الفوقانى فيجيب لهم فاذا شربوا من ذلك
الشربات اخذهم البنج الخارق فيجرهم وينزلهم فى قلب ذلك الطابق وقد
دام على ذلك الحال مدة ايام وليالى حتى شاع فى ارض مصر الخبر واخذوا
غالب اولاد الناس ولا احد يعلم بذالك وتكلمت الناس فى حق الملك
الصالح (ياساده) ولا بقي في مصر حارة الاوغاب منها النفر والاثنين والثلاثة
والاربعة وكثر الكلام من اولاد البلد الى يوم من بعض الايام اقبل
السيد حسن الى نقيب الاشراف وهو يريد زيارة الحسن وكان الوقت وقت
الغروب وكان معه غلامه ولما اقبلوا الى الدكان فوجدوه جديداً ووجدوا
تلك الزاوية والدكان والشربات فطلعوا اليه وقالوا له هات شربات يابو هاشم
فقال لهم سمعاً وطاعة والف طاعة ثم انه اجلسهم على الكراسى من
داخل الدكان وقال لغلامه هات شربات ورش عليها من القمقم الفوقانى
فأتى لهم ولما شربوا نقلت رؤوسهم فانقلبوا فانزلهم فى الطابق وغلق عليهم
الباب فعند ذلك شاع الخبر وفشا بأن نقيب الاشراف ابنه قد ضاع ولا
روح فلما سمع ابيه ذلك الخبر قال وكيف الحال ثم انه ذهب وجمع جميع
الاشراف وامرهم بالركوب وركب أمامهم وتوجه بهم الى الديوان يريد ان
يعلم السلطان بفقد ولده وماناله من هذا الامر والشان (قال الراوى) وان الملك
جالس يقظان ليس ناعس ضاحك ليس عابس مثلك يامؤمن يصلي على نبي اخضر
فى كفه كل غصن يابس وليلة مولده شق ايوان كسرى وخمدت نار فارس
واذا بنقيب الاشراف مقبل وصحبته جميع الاشراف قال الملك ياشاهين الحمد لله
الذى سخر لنا من يحرك النار حتى انها تصير رماد لاجل ان يأخذ كل
ذى حق حقه قال اهلا وسهلا بسلالة سيد الانبياء وسلالة عبد مناف

السادات الاشراف الذين طالعون يطلبون طيرهم وتمام رحمتهم على غيرهم ياهل ترى ماسبب قدومهم (ياساده) فقال نقيب الاشراف يامولاى ان البلد بقت ضايعة وعدمت اولادنا فهذا ياملك حرام عليك قال الملك وانا مالى بالحرام قال نقيب الاشراف لانك مسرح السماوى ياخذ اولاد الناس قال السلطان وانا لاى شيء اسرح السماوى على غيرفائده فقال نقيب الاشراف اذا كنت انت ماسرحت سماوى هل ترى في اى جهة راحت اولاد الناس فقال الملك وعزة الربوبية وتربة حبيب النجار لاانا مسرح سماوى ولا ارضى بهذه الاخبار فقال نقيب الاشراف يامولانا هل ترى اولاد الناس في أي محل راحوا اصعدوا الى السماء او هبطت بهم الارض فقال السلطان لابد لهم من خبر كيف الرأى فى هذه الامور ياوزير شاهين فقال الوزير ياملك لابد ان تنزلوا من يكشف الخبر ويزيل هذه الغمه عن خلق الله تعالى فقال القاضى اما انتم ماعرفتم هاته الكاينه ولا عرفتم من الملزوم بها فان هذه لاتلزم الا الوالى وان الولايه من تحت امر الامير بيبرس يأمير المؤمنين فقال الملك الصالح نعم هى بسيئة لكنها نافعة منك ياقاضى هات ياشاهين هاته يأخى خلينى اشوف يجرى ايه والله اعلم بالسراير فعند ذلك ارسل شاهين رسول الى بيبرس وقبل يده وقال اجب أمير المؤمنين فقال الامير سمعاً وطاعه وركب في الحال وسار الى الديوان ولما تمثل بين ايادى السلطان خدم وترجم وافصح مابه تكلم ودعى للسلطان بدوام العز والنعم وازالة البؤس النقم فقال السلطان يأمير بيبرس انت ياسيدى ولاية مصر تحت يدك وهذه الغمة التى صارت على مصر كما ترى من اعدام اولاد الناس حتى قالوا الناس علي انا مسرح سماوى وهذه آخر العباره فلا بد انك تنزل حالا لتزيل هذه الغمة عن خلق الله تعالى وتقبض لى

على هذا الغريم والنصر من عند الله العزيز الحكيم فقال بيبرس سمعاً وطاعة ونزل في تلك الساعه ولما خرج من باب الديوان قال له عثمان خبر خير ياجدع فقال له بيبرس ياعثمان ان البلد واقع فيها ساقط على اولاد الناس ووقع الجور والاسراف وعدم اولاد الناس وصار اتلاف وبالجملة فقد ابن نقيب الاشراف وان مولانا السلطان الزمنى بالغريم ياعثمان واين الغريم واين ذهبوا اولاد البلد فى أى مكان فقال له عثمان اسأل السيد محمد والسيد حسن الذين يقرؤن لك القرآن ويصلوا بك في شهر رمضان الذى انت جعلتهم لك أئمه وهم سبب هذه الغمة فلما سمع بيبرس منه هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال ياعثمان اما تستحى ان تتكلم في حق الاشراف قال عثمان اشراف ايه انزل شق البلد وحدك ولا الك دعوة بى لانك غضبان وانا اقعد عند الجدعان فتركه بيبرس وصبر الى الليل ثم اختفى ونزل ومعه الاسقار وقال لهم تسيروا انتم من طريق وانا من طريق ويكون الملتقى بيننا فى دكان السيد محمد الشربجى فقالوا له سمعا وطاعة ثم ساروا كما امرهم وجعلوا يطوفون فى البلد وكذلك بيبرس فانه مازال يطوف البلد والشوارع وهو يتجسس على الغريم فلم يجد الى ذلك أثر ولا زال كذلك حتى وصل الى دكان السيد محمد الشرباجى وقد كان وصوله نصف الليل فوجد السيد محمد جالس من وراء الدرفة وقدامه شمعة مكوفرة موقودة وهو يتلو في كتاب الله تعالى ويتضرع الى الله سبحانه وتعالى ويطلب في النصر والآمال وعلو الدرجة الى الامير بيبرس فلما أقبل عليه الامير سلم فرد عليه السلام وجلس الامير فقال له ياسيدى هذه شقه عظيمه وغريبة لكن من سعادتنا الذى قدمت علينا في هذه الليلة المباركة فقال له الامير ياسيدى محمد ان البلد وقع فيها الساقط وان

السلطان الزمني في هذا النهار ان أفتش على الغريم واسعى فى كشف هذه الغمه وها انا نزلت فى هذه الليلة لعل الله سبحانه وتعالى ييسر لنا كل امر عسير فهل مرت عليك الاثنين السقوره املا فقال لا ياسيدى ولكنى أسأل الله العظيم رب موسى وابراهيم أن يظفرك سريعا بهذا الغريم فقال بيبرس آمين وبعد ذلك قام السيد محمد سريعا وأحضر كاس شربات وقال ياسيدى تفضل وناوله الكاس فأخذه الامير وشربه فانقلب حالا عقيب البنج فانزله الى الطابق وكان الملعون قصده ان يقتله ويأخذ دماغه ويمضى من حيث اتى ولكن لاجل سلامة الامير لان الله سبحانه وتعالى لم يريد به سوء وكان الملعون طامعا في سقر الاوالى وسقر الهجان ليكونوا معه فانزله فى الطابق وخرج بعد ذلك وجلس في مكانه واذا بالاثنين مقبلين الى الدكان وهم سقر الاوالى وأخيه سقر الهجان فسلموا على السيد محمد وقالوا له هل مر عليك الامير بيبرس قال نعم انى الى عندى وسأل عنكم وسار يشق البلد وقال لى ان جاءوا اخواتى اليك خليهم ينتظرونى عندك حتى أعود سريعا فلما سمعوا منه ذلك الكلام ظنوه انه حق وطلعوا الاثنين الى الدكان فاحضر لكل واحد منهما كاس شربات فشربوا فبنجوا وانزلهم الى الطابق بعد أن شدهم كتافا وأعطاهم ضد البنج ففاق بيبرس فوجد نفسه مكتفا فى الطابق والاسقار بجنبه على رأى من قال

داری أساك واظهر يافتى لطفك ونزه النفس واخلى الهم عن كتفك
لو كنت تملك خاتم الملك في كفك يجرى القضا رغم عن أنفى وعن أنفك

(قال الراوى) فقال بيبرس الامان الامان من تقلبات الزمان انافي أى مكان فقال السيد محمد انت عندى ياشنتمار وتركه وطلع من الطابق وغلق عليه الباب فعند ذلك سمعوا الاسقار حس الامير بيبرس وكانوا

لما نزلوا كان بيد المأمون شمعه واما طفى الشمعه بقى المحل ظلام فقالوا له يادولاتلى أى شىء أوقعك هنا فقال لهم وأى شىء أوقعكم مثلى فقال سقر اللوالى يادولاتلى والاسم الاعظم لولا أينا هذا المعرض مقيم عندك وانت عامله أعز الناس عليك ما كنا وقعنا في يده ولا كان يقدر ان يقبض علينا يادولاتلى هذا قضاء والقائل يقول فى ص الاقوال هذه الابيات الحسان

يسلم الجاهل من لفظة   يخني فيها العالم الماهر
ويسلم الاطمس من حفرة   يقع فيها البصير الناظر
ما حيلة المرء فى نفسه   هذا الذى قدره القادر

(قال الراوى) ياسادة يا كرام صلوا على بدر التمام وبعد ذلك صاروا يلومون انفسهم كيف تمت عليهم هذه الحيلة وقبض عليهم ذلك المأمون وتارة يتحدثون مع أولاد البلد الذين مقبوض عليهم فى ذلك المكان وهم ينتظرون ابواب الفرج من المولى الكريم هذا ما جرى لهم كلام اذا اتصلنا اليه نحكى عليه والعاشق في جمال النبى يصلى عليه (ياساده) وأما عثمان ابن الحبله فانه بات وأصبح فلم يجد اسياده فعرف ضرب النوبة وسار الى الديوان وكان مراده يحكى للسلطان هذا ما كان منه (قال الراوى) وأما ما كان من الملك الصالح فانه بات وأصبح طهر وجلس على التخت واحدقت العساكر بين يديه فمن عادته الجلوس جلس ومن عادته الوقوف وقف وقرى القارى وختم ودعى الداعى وختم ورقى الراقى وختم آمنت العساكر عرب وترك وعجم وزعق شاويش الديوان وهو لايخاف الموت ولا يرهب الفوت وانشد

الدهر يدور بالنار كما دائر   والبحر يفور وماؤه يصبح غاير
والعمر غرور يامن اقام سوء تدبير   الله غيور والملك لله القاهر

(قال) فعند ذلك قال الملك آمنا بالله وسلمنا أمرنا الى الله واعتصمنا بحبل الله المتين ثم التفت السلطان الى الوزير وقال ياحاج شاهين جزاؤهم على الله ولكن ياجدع سوف يظهر ما كان مغطى وقد قرب الاوان ولكن بس يعنى وانا مالى يظلمونى الناس ويتهمونى وانا فى حالى أغفلان يعنى انا كنت معكم لما بذيتم وهندستم كان فيها السلطان كذلك وعثمان طالع يقول ياليل قال الملك لاليل ولا نهار روح ياعثمان قال عثمان انا أروح وانت تقعد قوم هات لى جنديه قال الملك هو جنديك معى يارجل هاانت ياعثمان ان تعديت على تبقى ظالم ياعثمان قال عثمان انا لا اسيبك ومد يده ومسك اكمام السلطان وبكى وقال ياابوجوطه اطلع السما هاته والا انزل الارض هاته قال الملك حوش عثمان ياشاهين انت رجل بطاش وعثمان ظالم ولا احد يقدر يتعرض له سبحان من يعلم ما الناس عليه فقال الوزير ياعثمان خبرنى ما الخبر قال عثمان الجندى مثل الدخان طلع ولم يرجع وكان نزوله بالليل ولا أحد يعرف يجيبه الا ابوجوطه واذا ماجاء به انبطه بالبوت اخليه مايلحق يقول قوا قال له الملك انا أجيبه لك ولكن تروح أمامى فقال له عثمان انا أخاف أن أروح أمامك تهرب قال له الملك الصالح لا أهرب ياعثمان فقال الوزير سيب الملك ياعثمان وهو يجيبه وان سيبته وهرب فالضمانة على قال عثمان تضمن ضمان غريم بالعداله قال الوزير على ضمان غريم فقال له الملك سيبنى وانزل شق البلد دور على جنديك وان الساعة اربعة من الليل يكون الملتقى بينى وبينك فى الدكان المعلوم التى تعرفها أنت وانا ياعثمان قال عثمان انت عرفتها يامعلم صالح فان كنت عرفت الدكان بقيت جدع من الجدعان قال الملك طيب ياعثمان (قال الراوى) فعند ذلك نزل عثمان وصبر الى بعد العشاء وأخذ نفسه والجرو وسار الى

ان أقبل الى ذاك الدكان ولما أقبل عثمان قال في أمان الله ياجدعان هاتوا لى كاس شربات تكون مليحة وخلطوا عليها من القمقم الفوقانى فان مرادى اشرب ياجدع واستنى ابو جوطه احسن من لقاه وحدى فقام الملعون وملا الكاس وأعطاه الى عثمان فقال عثمان ولابد أشربه محبة فى الجندى ثم شربه فتزحزح وانقلب فكتفوه وازلوه في الطابق فبينما بيبرس جالس وعثمان نازل اليه قال له من جاء بك ياعثمان قال عثمان انا أقول لك انه منقرش ياجدع ولا تصدقنى لكن خذ لك منهم واحد وان ابو جوطه يسلم عليك وانا أقول لك ماتصلى معهم وانت تقول لى استحى من هذا الكلام فى حق الاشراف وانت لم تسمع كلامى وقد نسيت وصاية أم البيت والا ما كنت تقدر تخالفنى فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من امر الملك الصالح أيوب فانه بعد ماصلا صلاة العشاء وقرأ أوراده التى عليه قام على حيله وأمر الاغا جوهر الصالحى ان يحضر له الشهبه فلما حضرت وركب وكان معه اثنى عشر كردى من الابطال المعروفه اولهم عز الدين وآخرهم صلاح الدين ولازال سائر على ظهر الشهبه حتى وصل الى دكان الشربجى وقال له ياعم انت الذى أخذت الجماعه هل عندك تسقينى انا الآخر فانى عطشان فقام الشربجى قائم على قدميه وأحضر كاس وملاه شربات ووضع فى قلبه قطعة من السم الخارق وتقدم به وفي عزمه يسقى السلطان وقال فى نفسه ان مات هذا ارتاحت النصارى منه ولما تقدم أمام السلطان قال الملك الصالح بيقى ابوا الخير السايس يبطل الذى كان في الكاس دكها وانا اشرب الكاس ده ثم صاح السلطان الله بادايم واذا بالملعون اختلج وحار فى أمره ووقع منه الكاس فانكسر وانهرق الذى كان فيه فقال السلطان هات ياعم واذا بالملعون تسمر أمام السلطان

ولم يقدر يتحرك فرفع السلطان رأسه وقال تعالى ياحسن واشار بيده على الذى فى الدكان فتقدم الى ركاب السلطان وقبله وقال ياملك الاسلام انا أقول على يدك لااله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الملك هو انت كنت نصرانى وانت لابس عمامة خضراء وان النصرانية عمائمهم سود فقال له لا ياأمير المؤمنين بقيت احكى لك على هذه القصة من اولها الى آخرها وان هذا الملعون اسمه ساجر الارمنى وهو من بحاير ايغره وهو اخى زغوير الذى كان سرق مال خان السبيل فكان غلامه صابور واقف ونظر لقتلته فسار حتى وصل الى بحاير ايغره وخبر ساجر هذا واخوه شريحة الارمنى فساروا الى عامل ماتهم حيوان فى مصر واعلموه بحضورهم فكتب لكل واحد منهم كتابا عن لسان السيده فاطمه بنت لاقوامى بالوصية عليهم وعملوا انفسهم من اشراف الشام وان مرادهم الحج الى بيت الله الحرام ولما جاءت ايام الحج وما وجدوا فرصة من عثمان بن الحبله فطلبوا من الامير بيبرس هذا الدكان ففتحها لهم بناها كما ترى وبقى على هذه المدة وهو يقبض على اولاد البلد حتى قبض خمسة وخمسين وبعد ذلك قبض على الدولاتلى كمل الستة وخمسين وعثمان سبعة وخمسين وكان مراده ان تكون انت ومن معك تمام الستين فيقتلكم اجمعين فلما سمع الملك الصالح هذا الكلام من الغلام قال انزل ياعز الدين طلعهم من الطابق خلى الولد يخدم وياكل عيشه على كل حال وخلى الذى يكرههم تكمل كراهته ويطق هو ورفيقه فعند ذلك نزل عز الدين وقال الله يادايم ومشى الى الدكان فرأى باب الطابق وتقدم فتح الباب ونزل الغلام الى الامير بيبرس وقبل يده واعاد اسلامه على يديه وقال له يادولاتلى بحق مقام السيده نفوسى قال عثمان يفوتك ازاى ياجدع وانت بكره تقعد وتقول دستهم

ومستهم هو ابن زنى سل مل وانت ملقوط من الحاره لكن النافذ نافذ
ياجدع فعند ذلك حلهم شمنترى واوقفهم أمام السلطان قال السلطان ياأبي
بيبرس هذا الولد خذه عندك لكن سميه حسن قال بيبرس حسن على
خيرة الله قال الملك اعطى له مالك يشيله لانها جيفة وهو من الكلاب
الجارحه فقال بيبرس اوليته خزندار قال الملك الصالح مبارك
عليك وبعده تقدم عثمان وقال له كتر الله خيرك ياابوقوطه فقال الملك
وانت كنت فين ياعثمان انت ماانت عارف قال عثمان يامعلم صالح بس نزلت على
شان خاطر الجندى قال الملك خذوا بعضكم وروحوا وانت ياحسن مالك
دعوه ولاشفنا ولا رأينا كن من كاتمين الاسرار لا تكن من الكاشفين
فاننا كلنا شايفين والقضاء لابد من انفاذه مضمون كلام السلطان بقول لحسن
لا تفضح الملعون جوان وبعد ذلك تقدم سقر اللوالى وسقر الهجان وقباوا
ركاب الملك الصالح فقال لهم الملك نحمد الله على سلامتكم يامقادم فالتفت
سقر الاوالى الى الذى واقف قدام الملك واذا به المأمون شاجر الارمنى
فقال له ايش هذا يامولانا قال ماله الا ملص اودانه ياجدع لانى مامعى
ضفيرة الخوص لوكانت معى كنت ضربته بها فعند ذلك ضربه سقر الا[illegible]
بالشا كريه أطاح رأسه فراح لعنة الله عليه وبعد ذلك أمر السلطان بهدم
الدكان وردم الطابق بعد اطلاع الناس الذين كانوا فيه وما طلع النهار الا
والدكان مهدوم والطابق مردوم وامر السلطان بإبقاء جثة شاجر الا[illegible]ى
بلا دفن حتى يتفرجوا عليه العالم لان الملك كان قد سمع بعض العالم و[illegible]
يتكلموا في حقه واعتقدوا حقيقا انه سرح السماوى لفقد هؤلاء الناس
الذين كانوا عند هذا اللعين والبعض من الناس يقول ان السلطان [illegible]
أولياء الله والبعض يقول ولاية مخلبطه والآخر يقول ولاية زرته والملك

يعلم ذلك ولـكنه يدعو للناس بالخير وبعد ذلك توجه السلطان الى قلعة الجبل وكذلك الامير بيبرس فانه توجه الى بيته وأخذ معه حسن شمنتري وأصبحت الناس يتفرجون على القتيل المجحوم الذى على باب حارة الروم هذا ماجرى هاهنا (قال الراوى) ويرجع الفصل والـكلام الى مايفعل ايبك التركمانى والقاضى من الاحكام (قال) وان ايبك ركب ثانى الايام عند الصباح وسار طالب الديوان فلما وصل الى حارة الروم ونظر الى ذلك القتيل فسأل بعض الناس على سبب قتلته لاى شيء فقالوا له انه نصرانى وهو الذى كان عند بيبرس وكان عامل نفسه من الاشراف وبعد ذلك عرفوه قتلوه وغفراء الشارع حكوا له على الذى جرى فى الليل من اوله الى آخره فاغتاظ غيظاً شديداً وقال يلعن النصرانى هذا اذا مسك بشت بيبرس حطه فى طابق وابقاه ماموتوش ولازال سائرا الى لديوان (يا سادة) وكان أيضا القاضى فات ونظر القتيل وأرسل غلامه الحاج منصور لينظر للقتيل فغاب وعاد اليه وقال كان شاجر الارمنى مات ولا بابنا لا حل ولا ربط اثنين مقادم يا أبى من اكبر عياق الروم راحوا أولهم المقدم زغوير وهذا المقدم شاجر قال جوان ياخسارته وصار يغلى بالنار لما سمع هذه الاخبار ولما وقعت عينه على عين ايبك التركمانى أمره أن لا يفتح ولا يغلق لان القاضى كان شاف من ايبك عين الحماقة فبرده وأمره أن لا يتكلم فان الصبر خير من هذه العجلة ومازالوا ساكتين حتى انقضى النهار ونفض السلطان المنديل وتحولت العساكر كل واحد قصد محله وسار القاضى طالب دار ايبك وكان ايبك قاعد له فى الانتظار وقد زادت به النار واذا بالقاضى مقبل وهو يقول أستغفر الله العظيم استغفاراً تاما ثم قال السلام عليك ايها الوزير فقال ايبك السلام على المؤمنين ياقاضى انت مقلة الزغل كل نوبه

تقول عليك مثلها ونهبت مالى وأعطيته الى بيبرس وانا مابقى عندى فلوس
ولا عندى زبره بعتها من شان بيبرس ومشطه بعتها وأنت تقول عليك مثلها
لبيبرس يامقلة الزغل ثم صاح يامقدم مطراق هات نبوت اضرب قاضى
يموت والا يعمل تدبير كويس كل يوم بيبرس يزيد ونحن ننقص فقال
القاضى يامعز ايبك انا في هذه النوبه تذكرت مكيده عظيمه فقم بنا ندخل
للجنينة حتى أوريك المكيدة التى لانظير لهـا قط فطاوعه ايبك ودخلوا
الاثنين في قاب الجنينة فعند ذلك طلع القاضى على عجل الساقية الكبيرة
والساقية دائره وأحضر قرطاس وقلم ودوايه من النحاس وقال لايبك سوق
الثور فقال سمعا وطاعه فصار ايبك يسوق الثور والقاضى يكتب فى كتاب
على لسان السلطان بالزور والبهتان وصنع له خاتم من الشمع عليه اسم أمير
المؤمنين الملك الصالح وبعد ذلك طوى الكتاب وقال لايبك انظر لى رجل
سراج تكون مستغنى عنه لانه اذا راح لاعاد يرجع فقال له وما تريد به
قال أرسله الى الجزيره الى رجل هناك يقال له خضر البحيرى قال له سمعا
وطاعة ثم غاب وعاد اليه برجل سراج قال له السراج ماالذى تريد يامولانا
قال له تأخذ هذا الكتاب منى وتمضى به الى الجزيرة وتسأل عن شيخ
العرب خضر البحيرى فيدلوك عليه فاذا وصلت له فقبل يده وقل له انا
من عند الملك الصالح ومعى كتابا ثم ناوله الكتاب وأنت بعد ذلك حر
لوجه الله تعالى ولاعدت تخدم الوزير ايبك بعدها ابداً فان الذى ينوبك فى
هذا المشوار يغنيك عن خدمة ايبك قال السراج سمعا وطاعة واخذ
الكتاب وسار قاصداً الجزيرة ولم يعلم ما كتب له فى علم الغيب ولم يزل
سائر الى أن وصل الى الجزيره وسأل عن شيخ العرب خضر البحيرى
فدلوه على مكانه فسار اليه وقبل يده وابداه بالسلام وهو لا يعرف سلام

ولا أمان فعند ذلك صاح عليه من أين أتت قال له من عند السلطان قال له انت بتاع الصالح قال نعم قال له ولاى شيء أتيت قال ياشيخ معى مكتوب قال له هات المكتوب فناوله اياه فحله واطلع عليه واذا به خط السلطان وكان البدوى يعرف خط السلطان لان السلطان كان اذا كتب ترتعش يده والملعون القاضى ماقعد على الساقيه الا لاجل ذلك فوجد مكتوبا فيه من أمير المؤمنين الملك الصالح أيوب الى شيخ العرب الامير خضر البحيرى حال وصول جوابى هذا اليك تجمع عربك الذى تعتمد عليهم وتنزل ليلا على الامير شعبان الكردى كاشف الجزيرة وتأخذ ماتحت يده فى داره من متاعه وفرسه وحصانه وترجع تقيم فى محلك حتى يأتى الخبر بقتل الكاشف وتطلب أهل الاقليم كاشف غيره فأرسل لك من عندى مملوك من مماليكى لكنه عاصى على فاذا وصل الى الجزيره واقام فى دار الكشوفيه فتنزل عليه حالا وتقطع رأسه وتنهب كل مامعه من المال والخيل وتقتل كلما معه من الخدام والرجال واذا تمت لك هذه الفعال اعطيك اقاليم الجزيره اقطاع بلا مال وحامل ذلك الكتاب ترمى رأسه حالا وهذا الكتاب احفظه عندك سنداً على بذلك والسلام على البدر التمام فلما قرأ خضر ذلك الكتاب وفهم مافيه من الامور والاسباب فسل الحسام القرضاب ثم ضرب حامل الجواب فاستشهد واكتسب الثواب وبعد ذلك امر العربان ان يقلعوه هدومه ويدفنوه وعند ذلك اخذوا ملابسه وحصانه وسلاحه وواروه التراب وبعد ذلك صار يجمع فى رجاله يقع له كلام واماما كان من الامير شعبان الكردى فانه كان من اولياء الله الصالحين فعرف ذلك من كشف الاولياء وعرف ان فى تلك الليلة موته وليس له محيدا عنها فادعى العبيد والمماليك الذين عليكهم وعتق الجميع وفرق عليهم نصف ماله واحضر زوجته وكان له معها غلام

على يدها عمره ثلاثة اشهر فاعطاها جميع ما تبقى له من الاموال وسيرها الى مدينة مصر بعد ان كتب لها جواب الى الملك الصالح وقال لها لا تظهرى هذا الكتاب الا بعد ثلاثة أيام وبعد ماوجه حريمه وخدامه امر المنادى ينادى في اقاليم الجيزه بديوان عمومى يحضر فيه الخاص والعام ولما اجتمعت عنده الناس قام على اقدامه وقال يامعشر المؤمنين كل من كان لى عنده شيء فقد سامحته في الدنيا والآخرة ان كان دينا او حقا او اساء لى او تعدى على فانا سامحته وتركته ولا اطلبه وكذلك انتم كل من كان يعلم ان له حقا على فليطالبنى حالا ليأخذه ومن تأخر فلا يطالبنى ولو يوم القيامة ولا زال كذلك حتى أعطى لكل ذى حق حقه وسامح الناس وقال فى آخر كلامه ياجماعة أنى مسافر الى السفر الذى لابد منه فصار الناس يتعجبون منه ولما كان آخر النهار صلى ماعليه من الفرائض وجلس يذكر الله حتى صلى العشاء وقرأ أوراده بالتمام وبعد ذلك فرش فرشه بيده لانه مابقى عنده خدام ولا حريم وبعد ان فرش الفراش جدد وضوءه ووقف تحت قبلة الدعاء وهى سماء الدنيا وتضرع الى الله عز وجل وهو يقول صلوا على الرسول صلى الله عليه وسلم

ولما فنى صبرى رجعت الى الشكوى ... وناديت جنح الليل يا كاشف البلوى
على الباب عبداً من عبيدك واقفا ... كثير الخطا مذنب يرجى العفوا
فعامله بالالطاف يامن بفضله ... على قوم موسى أنزل المن والسلوى
سألتك بالكتب التى منك أنزلت ... وبالمرسلين الآمنين من الدعوى
وبالبيت والمسعى والزمزم والصفا ... وبالحرمين السالمين من البلوى
وبالمسجد الاقصى وبالجبل الذى ... تحط عليه السيئات كما يروى
تهون علينا ساعة القبض عاجلا ... بفضلك يامولاى لااحتمل شكوى

وتحفظني من شر خلقك كلهم ومن شر شيطان ونفس وماتهوى
ولا تحوجني ان اذل لغيرك بحكم الذي يسوى ومن لم يكن يسوى
وصلى الله بكرة وعشية على المصطفى من جاءنا بالعلم والتقوى

(قال الراوى) وبعد ذلك نزل الى محله واعتدل الى القبله وأحسن الشهادتين وقال اللهم بحق سيدنا محمد صاحب الحوض المورود الذى اوعدته اسقنا من يده شربة هنية مروية لا نظما بعدها ابدا (قال الراوى) فقبض الله روحه كنسيم الهوى عليه رحمة الله وبعد ذلك جاءوا واحتاطوا العربان بداره وطلع شيخ العرب خضر البحيرى ونزل على السيد شعبان الكردى فرآه نايم نوم أهل الجنه ومعتدل الى القبله فضربه بالحسام أطاح رأسه وهذا الذى جرى مع انه مات من قبل وصوله اليه ولما أصبح الله بالصباح شاع الخبر عند اهل الجيزه بقتل الكاشف ونهب داره على يد عرب الجيزه وشيخهم خضر البحيرى فعند ذلك حضرت مشائخ الجيزة والقاضى وقالوا ان هذا ابن عم السلطان ولابد من اعلام السلطان ثم انهم حضروا تابوت ووضعوه فيه وشالوه على اعناق الرجال وداروا به المشائخ واكابر الجيزه وساروا به الى ديوان قلعة الجبل فهذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من الملك الصالح فانه بات وأصبح يصلى على نبي فى كفه الورد فتح ظهر وجلس على تخت السلطنة وهو تحت قلعة الجبل فوحد القديم الازل واحدقت رجاله بين اياديه والتفت الى الميامن أطرقت والى المياسر اطرقت والصدر والجناجين اطرقت وبعد ذلك قرى القارى وختم ودعى الداعى وختم ورقى الراقى وختم آمنت الدوله اتراك وعرب وعجم وزعق شاويش الديوان يقول وهو لا يرهب الموت ولا يخاف الفوت وانشد يقول صلوا على الرسول صلى الله عليه وسلم

يا لائما في جهله ... ونسى عواقب أمره
ثم شف لنفسك وانتظر ... جور الزمان وغدره
الدهر لا يبقى على ... احد ويأمن من مكره
ارجع لربك خاضعا ... واثني عليه بشكره
واحمده حقا وامتثل ... لقضائه مع قدره

فقال الملك الصالح سمعنا واطعنا وجلس الملك يتعاطى الغصص ويزيل الغصص ولما تعالى النهار قال الملك الصالح ياحاج شاهين وعزة الربوبيه وتربة حبيب النجار انا ما كتبت مكتوبا ولا امرت امرا ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل ونحن لابد لنا من الموت وانما هذا لاحتمال الاوزار ونائب الخلق في الآخرة وان الله تعالى يخلص حق المظلوم من الظالم جرى العلم على اللوح من القديم بما حكم فلا راد لقضائه أسأل الله الكريم رب العرش العظيم كل من تسبب في اتلاف الصورة البشريه انه لايموت الا مقطع ويحرق بغائط الكلاب ولا يخرج من الدنيا الا على دين الكفر ياشاهين نهار مبارك انت تعافيت على أضعف الطيور وانت جيت عليه متشمر مدة يأتيك العقاب هو وكل نسر ماتخاف ياجدع واحده بواحده جزاء (قال الراوي) ولما صار الملك يكرر في ذلك قال الوزير هل ترى ايش الذى جرى في هذا النهار فبينما الملك الصالح يصرح في مثل هذا الكلام واذا باهل الجيزه طالعين يقولون لااله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الملك حق يادايم يامعبود ياعلام الغيوب ان القرافه من هنا فقالوا ياامولانا يعيش رأس أمير المؤمنين قال الملك من الذى مات قالوا شعبان الكردى كاشف الجيزه قال الملك وجئتم به الى هنا لاى شيء مادفنتوه قالوا ياملك مات قتيل قال الملك من الذى قتله قالوا رجلا من العرب يقال له خضر

البحيرى وهو رجل جبار فاجر فقال الملك على شان ايه قتله قالوا ما بينهم شيء ونزل عليه فى الليل هو ورجاله وقتلوه من غير ذنب فقال الملك الصالح حسبنا الله ولكن هذا ابن عمى من الاكراد الايوبية لكن اذخرته عند الله هو الذى يخلص حقه ثم أمر السلطان بنزوله الى محله بشارع سوق السلاح فقاموا عليه المحازن وكان حريمه كما ذكرنا سبقته فعملوا له ما يليق به وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه فى الحسين ودفنوه في القرافة ومشى في جنازته الملك الصالح وواروه التراب كما قال بعضهم في المعنى هذه الابيات

ادفن الجسم في الثرى ليس فى الجسم منتفع
انما السر فى الذى كان في الجسم وارتفع
اصله الجوهر النفيس والى اصله رجع

(قال الراوى) وبعد ذلك عملوا السبحة ثلاثه ليالى وختمات وشرع السلطان بارسال كاشف غيره الى الجيزه وقال ياشاهين ان الجيزة بغير كاشف قال الوزير يامولانا لاتقعد بغير كاشف لكن اذا أردنا نرسل لها كاشف يكون رجل حربى لان هذا البدوى سطا عليها واذا راح واحد من هنا قتله كما قتل شعبان الكردى ولكن حتى ننظر لها واحد يصلح ونرسله فعند ذلك تحرك القاضى من مكانه وجنح طيلسانه وقال دستور اتكلم بكلمة حسنة ليست بسيئة قاطبة قط قال السلطان ياقاضى انت ماعندك الا كل سيئة ولكن تكلم حتى نسمع كلامك فقال القاضى ان الذى يصلح بشأن الجيزه ويطهرها من الفساد ويصلح شأن العباد ويرد الاعداء والاضداد فما يكون لذلك ياأمير المؤمنين الا ابنك بيبرس فانه ولد مبارك مسعود ماتوجه الى جهة الا ونتج ببركاتك ياملك الاسلام وانا في نظرى ان هذا الغلام له عناية وسعادة ولرب السماء فيه مشيئة وارادة كما قال القائل هذه الابيات

اذا المرء لم يخلق سعيداً من القدم ... وينشر عليه السعد عاما ومحمل
فلا خير فيه ان عاش والخير موته ... وخاب الذى رأى وخاب المأمل

(قال) ثم قال القاضى وهذا ياملك ولد منصور حقا ورأيه موفقا فاذا أراد مولانا الملك ان يرسل الى الجيزه كاشفا فان بيبرس يستحق فقال الملك صدقت ياقاضى ولكن الكشوفيه يكن لها واحد غنى لانها تحت المال وبيبرس رجل فقير فقال القاضى يا ملك الاسلام انا اساعده بأربعين كيسا وثمن اربعين جواد وثمن اربعين مملوكا وعليك ياوزير ايبك مثل ذلك امضى سريعا ياحاج منصور وائتينى بما ذكرت قد مضى الامر وانت ياايبك وفى الحال حضر المال واستلمه الوزير فقال الملك احضروا لنا بيبرس فارسل الوزير الاغاشاهين رسولا من طرفه وقال له كلم الملك فقال سمعا وطاعة ثم ان الامير بيبرس ركب وطلع الى الديوان وتقدم الى رخمة الطاب ونادى نعم ياامير المؤمنين وقبل الارض وانشد يقول صلوا على الرسول صلى الله عليه وسلم

عبدك وخديمك ببابك واقف ... ايامن شذا عمره على الناس يفوح
اجى مثل سعدك بين اياديك واقف ... ولا اولى مثل ضدك اروح

(قال الراوى) فلما نظر السلطان الى الامير بيبرس قال اهلا وسهلا بك ياسيدى بيت الجماعه نقص الاشياء كل واحد دور الله تعالى يذهبها من بين ايديهم لان النوبة اربعنات ولكن ياولدى اجنى الشعرة من صاحبها وهم ثمانين كيس وثمانين مملوك حضروا من عند القاضى وايبك ويقوالك انت لكن مرادنا انك تروح كاشف على الجيزه ولكن فيها واحد اماص اودانه والفلوس هاهم عند الحاج شاهين خذهم تساعد بهم فان كان لك غرض تروح وان كان غرضك ماتروح هاانت أخذتهم ولا تروح فقال القاضى

يامولانا يأخذ المال ولم يروح ولكن امر الملك مطاع فقال بيبرس يا امير المؤمنين اروح ان شاء الله تعالى وانشد يقول صلوا على الرسول

اروح ولم عرضي على يهين ولانى من اهباش الرجال نجوح
فالندل ان سمع الكلام يطاش والجيد اذا سمع الكلام يروح

(قال الراوى) فعند ذلك قال السلطان لبسه ياشاهين قفطان الكشو فيه خليني أشوفه انا وافرح به وكذلك هو الآخر يفرح بشبابه اذا راى نفسه لابس كسوة جديدة فعند ذلك طلب الوزير كرك من خزنة الامتعه ورماه على اكتاف بيبرس وقال له انت كاشف الجيزه وعليك بتقوى الله العظيم واجتهد فى تنظيف الارض من اولاد الزنى ومن العرب الذين قتلوا الكاشف فاجتهد غاية جهدك عسى الله ان يظفرك بهم وينصرك عليهم وقد نادى شاويش الديوان حكم ما امر ملك الاسلام وخادم حجرة قبر النبى المظلل بالغمام فان كاشف الجيزه الامير بيبرس وله عليها الولايه والاحكام بما شاء الملك العلام وطلع بيبرس من الديوان وقد تلقاه الاسطى عثمان فقال له انت مقفطن قال نعم قال عثمان ان شاء الله تكون مشد تراب والا اغات كلاب قال بيبرس يا عثمان انا طالب أعلا والا اوطى انا لبست كاشف على اقاليم الجيزه قال عثمان ياسلام غارة الله عليك وعلى الذى خلقك سبوح قدوس الخدمه بالفلوس ماهى بالدبوس قال بيبرس على شان ايه قال عثمان اكون كاشفا صغيرا يعنى قائم مقام وبالتركى متسلم قال بيبرس فى أمان الله خذ هذا الكرك على اكتافك وانا اوليتك كاشف صغير وقائم مقام ومتسلم لاجل ان ترتاح ومالى بركة الا انت قال عثمان بقيت انا اسبقك الى الجيزه الى ان تأتى انت على مهلك اكون انا مهدت لك الارض قال فعند ذلك ركب بيبرس وراح الى ان وصل الى بيت

احمد بن ابادیس السبکی وطلع الی المقعد وجلسوا عنده الصقیوره وحسن
شمنتری خزندار واما عثمان فانه لایلتفت الی سیده ولا کان له سید بل
انه احضر السیاس الثمانین وکبیرهم عتیرب ورکب عثمان علی اعناق السیاس
ولبس السکرك علی اکتافه وساروا السیاس أمامه والناس یبارکون له
وهو فرحان بنفسه وکل من قال له نهارك مبارك یاسطی عثمان یضربه
سبعة ضربات والذی یقول له یامتسلم یعطیه سبعة فضه وهذه کانت
من کرامات عثمان الذی یعطیه سبعة فضه یستغنی والذی یضربه سبعة ضربات
وکان به داء یشفیه الله تعالی ولم یزل عثمان سائر بهذا الموکب والسیاس
مجتمعین به حتی وصل الی الجیزه وعلی اکتافه القفطان فجمع السیاس
قبل الدخول وقال لهم لم یغیب لنا احد سایس انا رایح اعمل ملعوب وهو
ان کل من جاءنی من المشایخ اقول لکم طرطمش امسکوه وان قلت
وارمیش ارموه واضربوه حتی اقول لکم شفا سیبوه من تحت الضرب
واحبسوه فقالوا سمعاً وطاعة واتفقوا علی ذلك وسار عثمان الی ان وصل
الی الجیزه ودخل الی دار الکشوفیه فجلس عثمان ووقفت السیاس بین
یدیه وقد شاعت الاخبار فی الجیزه بقدوم الحاکم وهو الکاشف الجدید
فسارت المشایخ الیه فلما وقعت عینه علیهم وقبلوا الارض بین یدیه قال
عثمان طرطمش فمسکوهم قال وارمیش فرموهم واشار عثمان بادارة العدة
علی جمیع المشایخ فقالوا المشایخ علی شان ایه یا کاشف فلم یرد علی احد
جواب وبعدها قال شفا فارتفع الضرب وبعد ذلك اشار عثمان فادخلوهم
الحبس وقد سجنوهم وکل منهم یقول هذا الحاکم لایعرف شیء ابدا فباتوا
المشایخ فی الحبس وقد سجنوهم وکل منهم یقول یاهل تری ماالسبب
(قال الراوی) والعجب ما وقع من الاتفاق انه کان موجود فی

الجيزه رجل يقال له عثمان الهيضمى واصله من مصر لكن حكمت نفسا بينه و بين عثمان وقال له عثمان ان رأيتك فى مصر قتلتك نخاف من عثمان وطلع اقام فى الجزه لان عثمان فى مصر وقت مايراه يضربه ولما كان ذلك اليوم الذى اقبل فيه عثمان بن الحبله فعرفه عثمان الهيضمى فلم يظهر له نفسه ولما جرى ماجرى من عثمان من ضرب المشايخ اقبل عثمان الهيضمى على المشايخ وهم فى الحبس وقال لهم الذى يرحل لكم هذا الكاشف من الجيزه ايش تعطوه فقالوا له نعطوه عشرة رابيات قمح فقال على ان ارحله لكم ولكن هاتوا واحضروا القمح ثم انه تقدم الى عثمان وباس يده فقال له عثمان ياهيضمى انت منه جاء بك الى هنا فقال له انا تركت اولاد هيضم وتبعت اولاد الشيخ قال عثمان مرحبا بك ياجدع فقال الهيضمى ياجدع انت اسمك رأس بيت اولاد الشيخ وان جرت عليك حاجة تشمت فيك اولاد هيضم قال عثمان على شان ايه قال له اقول لك بسر قال عثمان قل قال ياأسطى ان خضر البحيرى جمع العربان عليك ومراده في هذه الليلة يهجم على دار الكشوفية مثل ماعمل مع الكاشف القديم وانا ياأسطى لما سمعت بالخبر ماهان على ذلك فاقبلت من ساعتى هذه واخبرتك وهذا ماعندى من الخبر والسلام والرأى لك فلما سمع عثمان ذلك الكلام صاح بعلو رأسه عزل ياعقرب ثم نهض من وقته وساعته وركب وسار طالب ارض مصر فبينما هو كذلك واذا بالامير بيبرس عارضه فى الطريق (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان الامير بيبرس لما علم ان عثمان راح الى الجيزة فلم يمنعه ولم يكدر عليه لانه يعلم انه من أهل الكشف وانما جهز نفسه في الحال وأمر حرحش ان يحضر القارات وركبهم على ظهور الجمال وركب الامير ومعه

الاثنين الفداويه وأربعين مملوك والثمانين جماعة جرجش وركب وطاب
الرحيل وسار حتى لاقاه عثمان فى الطريق وكان بيبرس قلبه عليه من مكائد
الفلاحين فلما عرضه كما ذكرنا قال بيبرس خبر ايه ياعثمان قال انا ياأشقر
عملت انى جندى وضربت المشائخ مثل مايعمل الكاشف وكانت صحت معى
ياجدع بس خربها علي الهيضمي قال بيبرس الهيضمي ماله ياعثمان قال عثمان
قال لى ان العرب الذى قتلوا الكاشف أرادوا في هذه الليلة يقتلوك فقمت
وخفت وهربت وهذه حكايتى وانا جيت منك هم مالنت ابن زنا فقال له
بيبرس لابأس عليك ثم ساروا أخذه الى أن وصلوا الى الديوان وفرشوا مايليق
بمقامه وبعد مافرشوا الفراشين جلس الامير بيبرس وجلسوا الفداويه عن
يمينه وشماله وكذلك الخدامين وقفوا لخدمته وأقام فلم يرى أحد أتى اليه
من المشايخ ولا من كبراء الاقليم فالتفت الى عثمان وقال له اين المشايخ
قال له يعنى ان المشائخ كان حد منهم قريبى قال هات غفراء الدار فحضروا
بين يديه فقال لهم اين المشائخ لم أرى أحد منهم جانى لاى شيء فقالوا
يا كاشف ان عدم مجيئهم فانهم جميعا عندك في الحبس فقال لهم وما سبب
حبسهم فقالوا له على مافعل عثمان وكيف انه ضربهم ولا يعلم لاحد منهم
ذنب وبعد ماضربهم حبسهم وبعد ذلك ركب على حصانه وتركهم محبوسين
الى هذا الوقت فالتفت الامير الى عثمان وقال له لماذا ضربتهم وحبستهم
قال عثمان كنت أشوف الكاشف يضرب الفلاحين والمشائخ فعملت مثله
وانا ياأشقر عزلت نفسى انا حبستهم وأنت سيبهم ياجدع ومن هذا الوقت
انا أضرب وانت سيب فعند ذلك أمر الامير بيبرس باخراج المشائخ من الحبس
واحضارهم الى بين يديه فلما حضروا قالوا له ياأمير قدأذانا الاسطى عثمان
ومانعلم لنا ذنب فقال بيبرس الحق عليكم كيف ان الامير شعبان يموت عندكم

وفي بلدكم والذى قتله رجل بدوى غادر وأنتم قاعدين ولا أحد يسأل ولا تخافوا أن يعيد عليكم هذا الغدار بفعل بكم كما فعل بغيركم من العار والذل والشنار فقالوا له يادولاتلى هذا رجل جبار ومن الذى يقدر يقف له فى الطريق او يصطلى له بنار فقال لهم الامير كان ما كان ولكن من الآن تنبهوا لانفسكم واعلموا ان عثمان مافعل بكم هذه الفعال الا لاجل عدم التفاتكم ثم ان بيبرس رتب منهم اثنين نظار وقسم اقاليم الجيزه قسمين وجعل على كل قسم ناظراً منهم وجعل فى كل قسم اثنين مأمورين وجعل فى كل مأموريه اثنين قائمقام ومن تحت ايديهم المشائخ ولكل شيخ واحد معاون واربعة مشتدان ونبه على الفلاحين بعدم الظلم واذا شيخ ظلم فلاح فانه يشتكيه الى قائمقام وان لم ينصفه يشتكى الى المأمور واذا لم ينصفه المأمور يشتكى الى الناظر وان عدم انصاف الناظر يشكى الى الكاشف وانا أخلص له حقه بالعدل والانصاف كما امر النبى جد الاشراف عليه الصلاة والسلام اناء الليل واطراف النهار واذا أريد منكم ان تساعدونى على خضر البحيرى الذى قتل الكاشف سابقا لعل الله يوقعه فى يدى واجازيه على ما فعل وانا مرادى ان ابنى حمام وقصر يكون على شاطىء البحر وان شاء الله يكون قريب فقالوا له على بركة الله يادولاتلى وتوجه كل واحد الى حال سبيله ولما كان فى ثانى الايام قام الامير بيبرس من منامه ولذيذ أحلامه وقد قام بدلة النوم ولبس بدلة الاحكام وهو يحدث نفسه فى بناء الحمام والقصر واذا بالطباخ مقبل عليه وقبل يده وقال له يا ميرانا رجل غريب وانا خديك متغرب معك ولكن يادولاتلى ان قتلتنى او ضربتنى اتعلق بأذيالك يوم القيامة لانى انا صنعتى طباخ مالنا غير فقال له بيبرس ما الذى جرى لك فقال له ياسيدى ان النحاس الذى بالمطبخه انسرق فقال له من سرقه قال يادولاتلى

لا أعلم فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ياطباخ ابعث في هذا الوقت الى مصر واطلب نحاس غيره فبينما الامير يتكلم مع الطباخ واذا بقاضى الجيزه اقبل وهو راكب على حماره عاليه وعلى ظهر الحمارة فروة وهو على الفروة وقال السلام عليك ايها الامير فقال الامير بيبرس وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فنزل القاضى وتقدم فزحزح له الامير من مكانه واجلسه الى جانبه وطلب له القهوة فقال له ياسيدى سامحنى من القهوة ثم بكى فقال له الامير لاى شىء تبكى يامولانا الشيخ فقال له القاضى انا جيتك مستجير واسوق عليك بالسيدة زينب غفيرة مصر لانك من زوارها فقال له بيبرس وصلت يامولانا ايش الذى جرى عليك فقال القاضى اعلم يامولانا ان لى بنتا وليس لى ذريه غيرها ونزلت تملا قلتها من البحر لان البحر قريب من البيت فقبضها رجل يقال له منصور ابو سيفين واخذها الى بيته قوة واقتدارا وهذا الرجل غدار كافر بالملك الجبار لايصوم ولا يصلى ولا يعرف حرام ولا حلال بل صنعته قطع الطرقات وسبى المخدرات وهو اخو مقلد الذى قتلته انت في مدينة مصر وكان عاملا له برجا وانت ارحت منه العباد ولكن يالأمير مقلد كان قيراط وهذا اربعة وعشرين قيراط وان جميع اولاد الزنى عنده وله قصر على البحر وله خمسه واربعين عبد كلهم اولاد زنى فدأبهم أخذ البنات الابكار ويسلموهم له فاذا فعل بهم الفاحشه يردهم اليهم فيفسقون فيهم بعده ويعرضون عليه ثانى مرة فمن اعجبته ابقاها رغما عن انف اهلها ومن لم تعجبه تركها بعد هذا الفساد وان هذا من بعض صفات هذا الملعون (قال الراوى) فلما سمع بيبرس ذلك الكلام صار الضياء بين عينيه ظلام وقال للراوى واين مكانه قال هو مقيم عند الاهرام في مكان

حصين يبنى دار ولكن محصنه بالاحجار فنهض بيبرس من وقته وساعته وركب ومعه الاسقار والتباع والسباس وكان معه اربعمائة مملوك كبار ومثلهم اتباع وصقار وسار حتى قرب ذلك المكان التفت الى من حوله وقال لهم انتم تكونوا خارج الدار فاذا تمكنت انا من الدار وصحت الله اكبر فاحفظوا المكان ولا يفلت منكم ولا انسان فقالوا سمعا وطاعة ثم سار الامير أمامهم ومعه بعض المماليك الى ان وصل الى الدار التى لابو سيفين وعبر الامير بيبرس بشدة حميته وقوته بنفسه ولم يزل صاعدا الى أن وصل الى المقعد الذى جالس فيه ابو سيفين فوجد ابو سيفين جالسا كأنه نمر فلما رآه بيبرس عرفه انه متكبر فقال له السلام عليك ياابى فقال له من غير ان يقوم من موضعه السوافي عليك فعند ذلك جلس الامير بيبرس الى جانبه وتعجب فى نفسه فالتفت الى الامير وقال له من تكون يارجل فقال ياشيخ العرب انا كاشف الجيزه الجديد ولكن ياابى انا عارف ان الفلاحين قليلين الكيف فتركتهم وجيت الى عندك لاتصاحب معك فقال له اعلم ان الكاشف الذى يحكم في هذا الاقليم القريب والبعيد فانه يكون معى مثل ما اريد وان لم تمتثل بكلامى ولا يدخل كلامى فى اذنيك فلا بد من شرى ان يوصل اليك فعند ذلك اظهر له الامير الخوف والتوجع وقال له ياابى انا من تحت امرك ونهيك فقال له مرحبا بك واعتدل جالسا وقال له انت ياولدى بان لى عليك انك تحب الكيف وهاانا عندى بنت بكر عذره جميلة اتتنى فى هذا الوقت وذكروا لى خدامى انها بنت القاضى فدعنا نفعل بها انا وانت ونزيل بكارتها حتى يأتوا لنا الغلمان بغيرها فقال له الامير بيبرس ياابى انت عمرك كم عام قال له مائة عام واربعة اعوام فقال له هذه المدة قد ضيعتها في المعاصى اتق الله تعالى وتب اليه ولو عشرة أعوام لعل الله سبحانه وتعالى يقبلك

ويرحم هذه الشيبة التي شابت في الفسق والضلال ولم ترجع عن فعل الجهال فلما سمع ابو سيفين هذا الكلام قال له انت جيت تتوبني بدخولك الى عندي ياعلق الاكراد ثم انه جرد حسامه وضربه ضربة سيارف كان الامير حارسا على نفسه فتلقاه على الالت فانقسم الحسام نصفين وضربه بالالت على دماغه ألقاه الى الارض بعد أن كاد يقضى عليه من شدة تلك الضربه وفي عقب الضربه صاح الله اكبر انا الامير بيبرس فسمعت الاسقار فكبروا وهم مجردين السيوف وصاح عثمان شد حيلك ياجدع ودخلوا المماليك مع باقي الخدام وقبضوا على العبيد بأجمعهم وجمعوا كل من كان في الدار وكتفوا منصور ابو سيفين ولما تهيأ الفراغ من ذلك الاشغال جلس الامير بيبرس مكان ابو سيفين وأمر باحضار العبيد ثم باحضار خدامين ابوسيفين فلما حضروا أمر بضرب رقابهم فقالوا له لا تفعل ايها الامير فنحن كنا تائبين على يديك ونكون في خدمتك من وقتنا هذا الى ان تقضي أعمارنا فقال الامير بيبرس مرحبا بكم خدهم ياعثمان واطلقهم ثم أمرهم ان يأتوه ببنت القاضي فقالوا له سمعا وطاعة وفي الحال أحضروها بين يديه فاعطاها خمسين دينار وأمر اثنين من اتباعه ان يوصلوها الى ابيها ولما وصلت الى أبيها أخذها وقبلها بين عينيها وسألها عن العرض قالت له مثل الحليب فجعل يثني على الامير بيبرس ويدعو له بكل مايقدر عليه (قال الراوي) وبعد ذلك التفت بيبرس الى منصور ابو سيفين وقال له انا طالبك أن تتوب عن الضلال فلم تقبل كلامي ولكن السعيد من القدم والشقي من القدم لاراد لقضاء الله عز وجل ثم أمر بصلبه على باب الدار فصلبوه وراح لعنة الله عليه ودارت يد الامير بيبرس على الدوار وما فيه من مال ونوال وأمتعه ونوق وجمال وخيل وغير ذلك وأمر ببناء هذه الدار قصراً

عظما وبنا أيضا فيها حمام وكل أهل الجيزة ساعدوه لأنهم كبر خوفهم منه وارتعبت قلوبهم لانه قد شاعت سطوته علي أهل الجيزه وزادت هيبته عندهم وبعد ذلك ترك البنائين في أشغالهم وأقام هو في محل حكمه فعند ذلك تقدم له الاسطى عقيرب وقبل يده وقال له ياامير انا خديمك مدة حياتي وانت الذي مالك رقبتي فالذي أرجوه منك ياأمير تخطب لي بنت الشيخ محمد القاضي فقال له الامير ياعقيرب لو كانت بنتي كنت أعطيها لك وانما انا أرسل الى أبيها ثم انه في ساعة الحال أرسل الى أبيها فلما حضر أخبره بطلب عقيرب فقال له سمعا وطاعة فعند ذلك امهرها الامير ودفع مهرها وشرعوا في الافراح ثمانية أيام ودخل عقيرب بها فوجدها عذرى فتملى منها بالحسن والجمال والقد والبهاء والاعتدال وازال بكارتها وبلغ المقصود وا كمد كل عدو وحسود (قال الراوى) فعندها اغتاظ عثمان وقال في نفسه كيف ان عقيرب يتزوج وعثمان يبقى من غير زوجة مع ان عثمان اكبر مقام فعند ذلك دخل على سيده وقال له شوف ياأشقر امان تزوجنى مثل ما زوجت الولد عقيرب والا فلا أخدمك ابداً سبوح قدوس الخدمه ماهى بالدبوس فقال بيبرس ياعثمان خليك معي لا تتزوج فقال عثمان هذا لا يمكن انت تقدر على نفسك واما انا فلا أقدر فقال له بيبرس روح من هنا الى أمك في مصر وقل لها اخطبي لي زوجه وهي تخطب لك كما تريد فقال سمعا وطاعة وتركه وسار من الجيزه الى أن أقبل الى أمه الحاجه وقال لها ان الجندى قال لى خلي أمك تخطب لك وانا جيتك قومي واخطبي لي فقالت مرحبا ياولدى نهار مبارك فقال لها عثمان أريد أن تخطبي لي بنت تكون بيضه بترا وتكون تكتب وتقرا وعلى دقنها شامة خضرا وعلى خدها وردة حمرا فقالت له سمعا وطاعة وتركته ونزلت وقد خطر ببالها انها لم توجد هذه

الصفة التى أخبرها بها عثمان ولم تعلم انه من أهل الكشف فسارت غزيه الجبليه وأخذت معها بعض جيرانها من حارتها ونزلت وصارت تنتقل من مكان الى مكان ومن حارة الى حارة الى أن وصلت الى السيدة زينب فدخلت الى مقام السيده زارتها وقالت لها ياسيدتى خديمك يريد ان يتزوج وبعد ذلك طلعت ودخلت الى حمام السيدة ودخلت بين النساء والبنات وتأملت واذا بها رأت الصفة التى كان طالبها عثمان فقالت غزيه تبارك الله أحسن الخالقين ثم انها تقدمت اليها وقالت لها يابنت ما اسمك فقالت اسمي خضره فقالت لها وأنت تقرئى قالت نعم انى أقرأ وأبى يقرأ فقالت لها بكر أم ثيب قالت انا بنت عذرى قالت لها وأين ابيك قالت انا ابى قاضى الجيزه ولى أخ اسمه الشيخ محمد وهو الآن قاضى الجيزه من تحت ابيه وكان له بنت وأخذها ابو سيفين وخلصها له كاشف الجيزه وقتله وتزوج بها عقيرب سائس الكاشف فقالت غزيه الجبليه انا أريد أن أزوجك الى ولدى عثمان سائس الكاشف فقالت لها ياسيدتى أمرى لابى لانى لا أملك نفسى الا برضاه فتركتها غزيه ومضت الى ولدها عثمان وأعلمته بالخبر فقال عثمان وأبيها قاضى الجيزة قالت له نعم فرجع عثمان الى الجيزه ثانيا ودخل على الامير وقال له ياأشقرأمى لقت لى عروسه وانت الذى تخطبهالى فقال بيبرس طيب ومن هو ابيها ياعثمان قال ابيها قاضى الجيزة فقال له امضى اليه وائتيى به فقال عثمان سمعا وطاعة وأخذ النبوت وسار الى مكان الشيخ ابو البنت خضره وأقبل اليه ومسكه من خناقه وقال له قم سر معى الى عند القاضى الجندى وصار يضربه بالنبوت وجره حتى قدمه الى بين أيادى الامير بيبرس وهو على تلك الحالة فلما رأى الامير ذلك صاح على عثمان فتأخر وقام الامير الى الشيخ وتلقاه وأجلسه الى جانبه واستعذر اليه من فعل عثمان

عظيما وبنا أيضا فيها حمام وكل أهل الجيزة ساعدوه لانهم كبر خوفهم منه وارتعبت قلوبهم لانه قد شاعت سطوته علي أهل الجيزه وزادت هيبته عندهم وبعد ذلك ترك البنائين فى أشغالهم وأقام هو فى محل حكمه فعند ذلك تقدم له الاسطى عقيرب وقبل يده وقال له ياامير انا خديمك مدة حياتى وانت الذى مالك رقبتى فالذى أرجوه منك ياأمير تخطب لى بنت الشيخ محمد القاضى فقال له الامير ياعقيرب لو كانت بنتى كنت أعطيها لك وانما انا أرسل الى أبيها ثم انه فى ساعة الحال أرسل الى أبيها فلما حضر أخبره بطلب عقيرب فقال له سمعا وطاعة فعند ذلك امهرها الامير ودفع مهرها وشرعوا فى الافراح ثمانية أيام ودخل عقيرب بها فوجدها عذرى فتملى منها بالحسن والجمال والقد والبهاء والاعتدال وازال بكارتها وبلغ المقصود واكمد كل عدو وحسود (قال الراوى) فعندها اغتاظ عثمان وقال في نفسه كيف ان عقيرب يتزوج وعثمان يبقى من غير زوجة مع ان عثمان اكبر مقام فعند ذلك دخل على سيده وقال له شوف ياأشقر اماان تزوجنى مثل مازوجت الولد عقيرب والا فلا أخدمك ابداً سبوح قدوس الخدمه ماهى بالدبوس فقال بيبرس ياعثمان خليك معى لا تتزوج فقال عثمان هذا لايمكن انت تقدر على نفسك واما انا فلا أقدر فقال له بيبرس روح من هنا الى أمك في مصر وقل لها اخطبي لى زوجه وهى تخطب لك كما تريد فقال سمعا وطاعة وتركه وسار من الجيزه الى أن أقبل الى أمه الحاجه وقال لها ان الجندى قال لى خلى أمك تخطب لك وانا جيتك قومى واخطبي لى فقالت مرحبا ياولدى نهار مبارك فقال لها عثمان أريد أن تخطبي لى بنت تكون بيضه بترا وتكون تكتب وتقرا وعلى دقنها شامة خضرا وعلى خدها وردة حمرا فقالت له سمعا وطاعة وتركته ونزلت وقد خطر ببالها انها لم توجد هذه

الصفة التى أخبرها بها عثمان ولم تعلم انه من أهل الكشف فسارت غزيه الحبله وأخذت معها بعض جيرانها من حارتها ونزلت وصارت تتنقل من مكان الى مكان ومن حارة الى حارة الى أن وصلت الى السيدة زينب فدخلت الى مقام السيده زارتها وقالت لها ياسيدتى خديمك يريد ان يتزوج وبعد ذلك طلعت ودخلت الى حمام السيدة ودخلت بين النساء والبنات وتأملت واذا بها رأت الصفة التى كان طالبها عثمان فقالت غزيه تبارك الله أحسن الخالقين ثم انها تقدمت اليها وقالت لها يابنت ما اسمك فقالت اسمى خضره فقالت لها وأنت تقرئى قالت نعم انى أقرأ وأبى يقرأ فقالت لها بكر أم ثيب قالت انا بنت عذرى قالت لها وأين ابيك قالت انا ابى قاضى الجيزه ولى أخ اسمه الشيخ محمد وهو الآن قاضى الجيزه من تحت ابيه وكان له بنت وأخذها ابو سيفين وخلصها له كاشف الجيزه وقتله وتزوج بها عقيرب سائس الكاشف فقالت غزيه الحبله انا أريد أن أزوجك الى ولدى عثمان سائس الكاشف فقالت لها ياسيدتى أمرى لابى لانى لا أملك نفسى الا برضاه فتركتها غزيه ومضت الى ولدها عثمان وأعلمته بالخبر فقال عثمان وأبيها قاضى الجيزة قالت له نعم فرجع عثمان الى الجيزه ثانيا ودخل على الامير وقال له ياأشقرأمى لقت لى عروسه وانت الذى تخطبها لى فقال بيبرس طيب ومن هو ابيها ياعثمان قال ابيها قاضى الجيزة فقال له امضى اليه وائتيني به فقال عثمان سمعا وطاعة وأخذ النبوت وسار الى مكان الشيخ ابو البنت خضره وأقبل اليه ومسكه من خناقه وقال له قم سر معى الى عند القاضى الجندى وصار يضربه بالنبوت وجره حتى قدمه الى بين أيادى الامير بيبرس وهو على تلك الحالة فلما رأى الامير ذلك صاح على عثمان فتأخر وقام الامير الى الشيخ وتلقاه وأجلسه الى جانبه واستعذر اليه من فعل عثمان

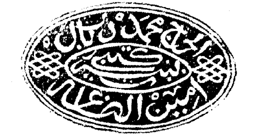
وقدم له الشربات فشرب وجعل الامير بيبرس يلوم عثمان على فعاله وهو يقول انا مافعلت به ذلك الا لاجل ان يحسب حسابي ويكرمني فقال له الامير يامولاي الحق عندنا وانت تسامحني في جميع مافعله معك عثمان فقال الشيخ الله يسامحك انت واياه ولما استقر به الجلوس طلب الامير القهوة والشربات ثانيا ومازجه حتى انه صفى خاطره وراق فقال له الامير بيبرس يامولانا انا جئتك خاطبا راغبا فلا تردني خائبا في اذنك السيدة المصونه والجوهرة المكنونه السيده خضرة فقال له ياسيدي مني جارية اليك وأبوها خادم بين يديك قال وكان ظن الشيخ ان بيبرس يخطب البنت لنفسه فقال له يامولاي ماهي لي وانما هي لخديمي الاسطى عثمان فلما سمع ذلك نقض وضوءه وقال ياأمير انا ليس عندي بنات وما كنت الا أمزح معك فقال له الامير لاي شيء قال له انا لم كنت أقدر عليه وهو بعيد عني وقد نظرت انت مافعل بي فكيف اذا كان نسيبي فقال له الامير يامولانا لاتخاف من شيء أبداً فقال له اذا كان الامر كذلك ياولدي فلا بد لك ان تجيء الى منزلي واخطبها مني على رؤوس الاشهاد وهي جارية لك ففهم الامير معنى كلامه وقال له يامولاي سمعا وطاعة ثم ان الشيخ انصرف من تلك الساعة وعثمان بقي واقفا قدام سيده وقال له كيف رأيت يامولاتي فقال له الحق معه ياعثمان ولكن هيا سر بنا الى منزل الشيخ القاضي حتى أخطب لك ابنته ثم ان الامير قام وقال سر ياعثمان قال عثمان ايش نعمل قال له الامير نعقد العقد قال عثمان هو معقود وأشار بيده الى السقف فقال الامير ماهو عند السقف قال عثمان وايش يلزم بلا هتيكه قال بيبرس لا فيها هتيكه هذا العقد بين الزوجه والزوج سنة النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عثمان افعل مابدالك فعند ذلك نهض الامير وتبعوه الاسقار والمماليك والاكابر

من الناس وساروا الى ان وصلوا الى منزل القاضى وكان الامير قبل ذلك امر الخزندار حسن شمنترى ان يرسل السكر والحلاوات وكل مايحتاجون اليه من العطورات واللوازم الذى يختص بها عند الكلام ولما وصل الامير نهض له القاضى قائما على الاقدام وتلقاه بالتحية والاكرام هو ومن معه وفرح بقدومهم الفرح التام وأجلسهم في أعلا المكان وبعد ذلك قرأوا الفاتحه وطلبوا عقد النكاح فأرسل الشيخ وأحضر رجلا عالما لاجل ان يعقد عقد النكاح فنظر عثمان اليه واذا به اعمى فقال عثمان ان هذا لايعرف يعقد لانه اعمى ولا يعقد الا الصحيح فقال الامير اسكت ياعثمان هذا رجل صالح ثم تقدم الشيخ وجلس القاضى ابو العروسة بين يديه وعثمان واقبل عثمان فقال له الشيخ مد يدك فمدها له فظن عثمان انه يقول له مرحب فضرب يده على يد القاضى كاد ان يخلع له زنده فقال الامير بيبرس ايش هذا ياعثمان قال هو الذى مد لى كفه وكان رايح يقول لى مرحب قلت له انا قبله فقال له الامير ياعثمان لابقيت تفعل هكذا فقال عثمان طيب ثم قام الامير واجلس عثمان واخذ يده ووضعها فى يد القاضى وعقد الشيخ عقد النكاح وامهرها الامير بخمسمائة دينار حكم ما اتفق عليه الشرط وبذل له بعد ذلك فى العطا والاحسان وزغرطت النسوان واعطى الامير الى الرجل الذى عقد العقد خمسين دينار وضربت الطبول وفرح الاسطى عثمان بزواجه فعند ذلك قال الامير بيبرس ياعثمان انا مرادى ان اعمل لك فرح عظيم ماسبق به أحد غيرك من الناس فقال له عثمان لاى شئ يادولاتلى انا مامرادى نعمل شيئا وانما آخذها الى عند أمى غزيه الجبله وهى تزوقها وادخل بها من غير ان يدرى أحد من الناس فقال له الامير لابد ان تدخل بها هنا فقال له عثمان انا اروح الى مصر واعلم امى انها تحضر الى هنا مع

العروسه فقال الامير هذا مناسب ثم اعطاه كيسا من الذهب لاجل المصروف وامره بالمسير الى أمه فسار عثمان طالب مصر وتوجه الامير بن كان صحبته الى مكانه (ياساده) وأما عثمان سار من حينه مجداً في المسير الى انه وصل الى بيت أمه ودخل عليها فتلقته وسلمت عليه فقال لها ياامى قضيت الامر وتزوجت بالبنت خضره والجندى حلف بالاقسام ان يعمل لى فرحا عظيما وأمرنى أن آتيك لاجل أن تروحى الى هناك وتزفي على العروسة وتعزمى النساء وانا أعزم الرجال ولازم ياأمي ان تعزمى الملكه شجرة الدر فقالت سمعا وطاعة ثم تركها عثمان ونزل من هناك الى سوق السلاح الى شيخ السيوفية فبينما هو جالس والنبوت بين اكتافه وقال له آخ قال عثمان الفاتحه وان الاشقر رايح يطاهر اجمع رجالك ولا تترك منهم أحد وسر الى الجيزة لتحضر الفرح وان تأخرت لايكون خصمك الا هذا النبوت فقال له سمعا وطاعة ثم ان عثمان تركه ومضى الى شيخ الجوهرجيه وفعل معه كذلك وايضا شيخ السراجين وشيخ البرادعيه ولازال يدور على مشائخ الحرف شيخا بعد شيخ حتى نبه على جميع الطوائف وما منهم الا من أجاب بالسمع والطاعة ثم ان عثمان سار الى الديوان فهذا ما كان منه

تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع وأوله

زواج عثمان ابن الحبله



يطلب من المكتبة العلمية العمومية

لصاحبها الحاج محمد أمين دربال

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ مصر الكبير

الذى جمع احوالهما وعوائد اهاليهما وما وقع بهما من الحروب والحيل والخداع وما كان بهما من العجائب والغرائب التى حيرت النبلاء وأدهشت عقول الاذكياء وهذا التاريخ جامع لهذه الاحوال من سنة (٦٠٠) من الهجرة واخبار ملوك مصر والشام من ابتداء ايام الملك العادل يوسف صلاح الدين الايوبى اول الملوك الايوبية وشجرة الدر والمماليك خصوصا ما وقع فى زمن الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة السلطان محمود الظاهر بيبرس

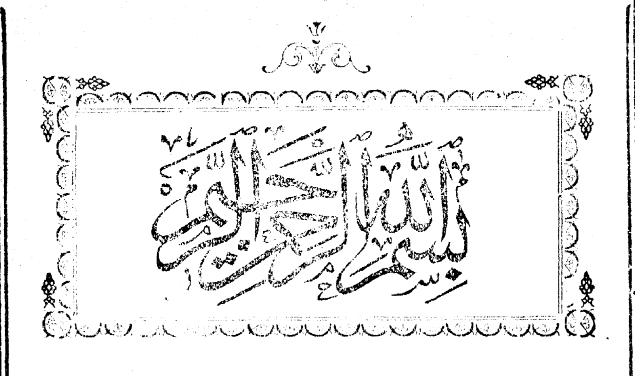
تاليف الدينارى والدويدارى وامير الجيش المشهور بكاتم السر رضى الله عنهم اجمعين

وهى مقسمة خمسين جزء

الجزء التاسع

الطبعة الاولى — سنة ١٣٢٦ هـ — و١٩٠٨ ف

طبعت على نفقة حسانين امين دربالة تباع بالمكتبة العامية العمومية بشارع الحلوجى بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسينى



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قال الراوى)وأما ما كان من الملك الصالح فانه بات وأصبح وصلى على نبى فى كفه الورد فتح ظهر وجلس على تخت قاعة الجلل وحمد القديم الازل تكامل الديوان بالعساكر والرجال حتى بقى كأنه زهر البستان ومن عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس ثم قرى القارى وختم ودعى الداعى وختم ورقى الراقى وختم آمنت العساكر ترك وعرب وعجم صاح شاويش الديوان وهو لايخاف الموت ولا يرهب الفوت وانشد يقول

يامن يحكم في ملكه واصبح مالك ... انظر في نفسك كم ملك اصبح هالك
العدل امان ومن عدل حق سالك ... والظلم دمار ومن ظلم لا يتمالك

(قال الراوى) فقال الملك آمنا بالذى لا اله الا هو ياحاج شاهين عطية الله لايمنعها مانع لكن ان شاء الله مبروكه عليه وأما الذى يجرى بتقدير العزيز العليم سبحان من يعلم بالحال فقال الوزير نعم يامولانا السلطان فبينما الملك يترنم بمثل ذلك واذا بعثمان طالع بخط بالنبوت على باب الديوان وهو

يقول ياليل ياليل

قلبي عشق بنت ترعى في جزاير مر   بجوز عيون سود ترمى كل فارس مر
طلبت منها الوصال قالت وصالي مر   روح وان هفت الشوق كل ساعه مر

(قال الراوى) قال الملك اهلا وسهلا بالشيخ عثمان فقال له عثمان لا أهلا ولا سهلا يامعلم صالح قال له الملك على شان ايه غضبان علينا ياشيخ عثمان قال عثمان الجندى ضربني وطردني وحلف على يمين لاعاد يقبلني الا اذا عزمتك انت وابو فرمه وان كنت ماعزمتك ينبطي قال حتى الملكه تروح كمان لاجل تحضر الفرح قال الملك الصالح فرح ايش ياعثمان قال عثمان مرادى نطهر الجندى قال الملك وان جنديك ياعثمان الى الآن من غير طهارة قال عثمان نعم وحيات راسك قال الملك اذ كان الامر كذلك نروح انا والملكة ابنة عمى لاجل خاطرك ياعثمان فقال عثمان احنا ماعندنا اكل خد طعامك معك وانت يابوفرمه كمان مثله قال الملك ياحاج شاهين أعطيه جميع ماكان يحتاج اليه من الكرار بتاعنا قال الوزير سمعا وطاعة ثم ان الوزير فتح الكرار وارسل الى فرح عثمان كلما يحتاج اليه الطباخ مع الخدام من عسل وسكر وارز وبهارات واشربة واغنام ما يقوم بالفرح وزياده وكذلك للفراش شموع مكوفرة وشمع اسكندرانى ابيض واصفر واحمر وزيوت للقناديل وأرسل عشرون قطعة تحف برجالتها التى تخدمها مستوفية الشروط وأما غزيه الحبله لم عثمان فانهـا طلعت الى السرايه وقبلت يد السيدة فاطمة شجرة الدر وأعلمتها بزواج عثمان ففرحت وقالت لابد انا نروح ونتفرج على عروسته فهذا ماكان من هؤلاء

(قال الراوى) وأما ماكان من الامير بيبرس فانه صار مقيم في الجيزه وهو منتظر قدوم عثمان حتى يجيب أمه ويحضر من مصر لاجل ان يشرع

له في الفرح فما يشعر الا وفراشين آلاغا شاهين اقبلت حالا ومدت صوارى خشب وجعلوها رياحات في الحصاء ونصبوا التريات وكذلك بيت الوسيه ورسموه بالنجف وأقبلت الخدام ومعها الطباخين وما يحتاج الكرار وما يحتاج المطابخ وبعد ساعة قدمت فراشين السلطان ونصبوا الوتقات ومدوا المسادات وقامت الصوارى وبعد ذلك حضرت فراشين الوزير ايبك فانصرع بيبرس وقام طلع الى محله يأمر خدامه بتصليح المحل فوجد غزبه أم عثمان واقفة لاجل تصليح محل الحريم وما تم ذلك النهار حتى بقى بر الجيزه كانه معرض هيمون بالخدام والخيام والسرادقات والاعلام وفي صبيحة ثاني الايام حضرت مشايخ العرب بجمايعها وكل طايفة صحبتها حريمها واولادها ونصبت الخيام هناك قال بيبرس ماحضور السلطان والوزير والدولة لابد يكون الملك له عاده بذالك واما الطوايف ياهل ترى لاى شيء جايين من مصر وطالعين الى هنا ثم ان الامير ركب ومر على الطوايف وكل مامر على طايفة يفرحون به ويقولون له نهار مبارك ربنا يتم بالخير قال الامير ايش الخبر قالوا له ياامير نحن عزمنا الاسطي عثمان وامر باحضارنا كما ترى فقلنا له سمعا وطاعة وها نحن قد حضرنا قال بيبرس ولاى شيء فعل ذلك قالوا له والله ياسيدى ماندرى على شيء فقال الامير بيبرس لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم هتكنى عثمان ولكن ان شاء الله تعالى يحصل خير ثم انه امر المنادى ينادى ان يكونوا الحريمات فى خيام وحدهم من غير رجالهم وكذلك الرجال يكونوا فى خيامهم من غير نسائهم لاجل ان يكونوا مالكين رشدهم فى لهوهم ولعبهم وطربهم وانشراحهم وقد تم الامر كذلك حتى صار البر مثل البحر العجاج المتلاطم بالامواج من كثرة الخلايق وقد اقاموا في زهو

وانشراح الى تمام الثلاثة ايام وفي اليوم الرابع اقبلت ارباب الملاعيب مثل البهلوانات والحواة والقردة والمغاني والآلات وكل من كان يتعاطى مثل ذاك وطلعت اولاد مصر على حسن ذاك ونصبوا الوطقات والسرادقات وعلقوا الثريات وطلقوا البخور من العود والند والمسك والعنبر والكافور وترتبت منهم الامور واقاموا على هذا المنوال الى ان كان وقت العصر واذا بالمدفع قد تكلم من البحر حتى ازعج الجبزه وهذا من كثرة ضربه فتبينوه الرجال واذا بالذهبية اقبلت بحريم السلطان وقد اقبلت الملكه شجرة الدر ومعها هدية عظيمة يكل عن وصفها اللسان وكذلك حريم الوزير الاكبر الاغا شاهين الافرم وكذلك حريمات الدولة وكل منهم اتى بهدية عظيمة فعند ذلك نهض الامير بيبرس وامر بضرب الخيام ودوارة المطبخة الكبيرة وبالشربات واصطناع الحلاوات ولما تهيأ الفراغ من ذلك أقبل الوزير الاغا شاهين بكل من كان يعز عليه من المحبين فتلقاه الامير بيبرس واجلسه وشرع له في الاكرام والانعام ولما كان يوم الخميس اقبل الملك الصالح ايوب وارباب الدولة والقاضي وايبك وقد امتلأت الارض بالطول والعرض بما فيها من الخلائق والامم (ياساده يا كرام صلوا على بدر التمام) فنهض بيبرس والوزير الاغا شاهين وتلقوا الملك والدولة وقد اجلسوها ودقت الطبول وزمرت الزمور ثم دارت النوبة التركية والنقرات الامانيه وكل من امير ملكيه ولعبت البهلوانات وكان فرح ليس له نظير هذا وقد اقبل عثمان الى سيده فلما رآه ساروه في اذنه وقال له انت من قال لك اعزم السلطان ياعثمان وافعل هذه الفعال فقال له عثمان انا لما رحت من عندك رأيت ابو قوطه يتفرج في ا ميله فلما رآني عرفني وقال لي ياعثمان قلت له نعم [illegible] قال أريد ان سيدك يعزمني عنده فقلت له احنا ماعندنا

فرح ولا غيره يحلف بالطلاق الا ان ينعزم وقد شرط انه يجيب اكله في يده هو ووزيره فقال الامير هو الملك يحلف بالطلاق قال له عثمان وحيات ذقنك وان كنت زعلان منه انا اقول له يقوم يروح فقال له الامير يا عثمان اصحا تتكلم بشيء من ذلك قال عثمان المعلم صالح جاب اكله معه والوزير كذلك يعني هيا رمية ابو الفرج هيا اروح اطردهم بالسلام فقال له الامير اتق الله ومن لذي علم السيدة فاطمة شجرة الدر قال يعني ما يعلمها الا المعلم صالح وانا اروح اطردها قال الامير يا رجل نطرد جماعة سا تناوانا مملوكهم يبقى العبد يطرد سيده هذا وقد دارت المطابخ ولما كان في يوم الخميس المبارك ليلة الجمعة زفوا عثمان وادخلوه على العروسة من بعد ما جلوها المواشط كما يليق بحرمات زواج الابكار واقبلت على عثمان كأنها الغزال العطشان او كأنها غصن بان في كثيب زعفران والمواشط حولها حتى قدموها الى بين ايادي عثمان ونظر عثمان اليها وهي بين يديه فعند ذلك كبش من الذهب كما عرفه سيده الامير بيبرس ووضعه على رأسها واخذها من يدها وهو فرحان ودخل بها محل الخلوة وكشف عن وجهها فوجدها على رأي من قال هذه الابيات صلوا على سيد السادات صلى الله عليه وسلم

وسيف لحاظ الحب في لغمد ساكن	فكم من قتيل مات والسيف مغمد
لان ذوي الالحاظ حازوا الشجاعه	تنذل لها الاساد في الغاب اذ بدوا
اذا جردوا بان الضيام جفونهم	فما قاصد الا غدا وهو شارد
يقول للقلب السالم من الهوى	تولع بنا طوعا وللبحر يورد
لهم سحر الاجفان ان صاب ميتا	يقوم صحيح سالم الجسم راشد

(قال الراوي) فلما أقبل عثمان تقدمت اليه وقبلت يده وجلست

وسط الفراش فجلس بجانبها وجعل يلاعبها الى أن تحكمت التحاكيم وأرادوا أن يجربوا نفسهم في القتال فجرد عند ذلك حسامه وأشار اليها به فاشارت اليه بالترس فوقعت معه الحماقة فحرك المدفع الغضبان على ذلك البرج المشيد وأطلقه واذا قد انهدم الصور ونزج المدفع فيه حتى أخربة واتصل رأسه الى قلب القامه فسال الدما ممن كان هناك من أهل الحصن وكان هو الغالب عليها ولما رأت الغلبة امتثلت أمره فرتب عليها الخراج فدفعت له سبعة أعوام الى قدام ياساده ولما كان من الامر ما كان ودخل عثمان وأخذ وجه زوجته وجامعها فحملت منه من وقتها وساعتها لاجل أمر يريده الله تعالى وبعد ذلك نزل عثمان الى الملك وباس يده وكذلك الوزير ويد سيده وباس يد المقدم صقر الاولى والمقدم صقر الهجان ووقف عثمان عند سيده في خدمة الملك الصالح أيوب كما هو واجب عليهم ياساده اسمع ماجرى من أمر القاضي هو الملعون جوان والوزير أيبك التركماني فانهما كانوا الاثنين بجانب بعضهما في الخيام لانه كان صيوان الوزير أيبك بجانب صيوان القاضي فلما نظروا الى تلك الاحوال ضاق صدر أيبك وكاد ان ينفطر فاقبل على القاضي وقال له هذا رجل فلاح خطاف عمايم وعمل مثل هذا الفرح العظيم وانا اسمى الوزير ايبك والله والله ما يخرج من يدى اعمل فرح مثل هذا الفرح الذى عمله عثمان الفلاح خطاف العمايم وانا ياقاضى عندى ضيقة صدر فدبر لى شيئاً يكون منه غمهم وحظى انا ياقاضى انا في عرضك احسن ايبك متاعك يموت فقال له القاضي سمعاً وطاعة

وكان الملعون جوان له عياق تابع اليه من بحيرة ايغره لاجل يطلعهم على افعاله ومرامه ويقضوا له اشغاله وفى هذه الايام قدم عليه اثنين من العياق فاحدهم اسمه المقدم بحرون والثانى ستروق والاثنين عياق ولا

زنا كل واحـد منهم يسبق الشهر بعمله وفعله فـكتب القـاضي كتاب وعطاه لغلامـه منصور وهو البرتقش وقال له يا فليونى امضى الى حارة الروم اعطى هذا الـكتاب الى الاثنين العياق فأخذه البرتقش ومضى الى حارة الروم فرأى الاثنين العياق فاعطاهم الجواب فعرفوه وقرأوه واذا هو من عند عالم ملة الروم والامر المحتوم الى اولادى عياق بحيرة يغرهستروني وبحرون حال وصول كتابي هذا اليكم تلبسوا ملابس اسلام ثم تحضروا الى الجيزة حالا وتنزلوا على السراية التي فيها عثمان وزوجته وان أمكنكم ذلك اقتلوا عثمان وخذوا زوجته فلما قرأوا الجواب على بعضهم قالوا سمعاً وطاعـة ثم انهم غيروا ملابسهم بملابس الاسلام وتوجهوا الى الجيزة وهم في صفة الاسلام وانحشروا مع الخدام ومع كثرة الخدام فلم أحد التفت اليهم ولا سأل عنهم فصـبروا الى الليل وتمـكنوا من السراية وأرموا نفة بنج فشموها النساء فرحوا قايبوا ودخل الملعون بحرون أخذ السيدة خضره وهى عروسة الاوسطى عثمان بن الحبلى ووضعها في جمدان وزر عليها اربعة وعشرين زر وعروة وشالها على كتفيه التي صلوا عليه وكان الخبر عنـد الملعون جوان ولما فعلوا ذلك تلقاهم جوان وقال لهم يا اولادى سافروا بها الى قلعة الصخور وخذوا هذا الـكتاب اعطوه الى ملك القلعه البب اصطافور يعمل بما فيه واما انتم اجرتكم عندى كل واحد منكم له مائة سنة زيادة في عمره واعقد لـكم كل واحد مائة عقده كل ما تفرغ سنه حل عقده حتى تم المائة سنه واذا اردت ان تعيدها ثاني مرة يبقي عمرك بيدك تحل فيه وتربط خلاصك ولا احد يمنعك الا اذا جاءت لا تخليك تحـل ولا تربط وكان يا اولادى الوهت لـكل واحد منكم خمسين فدان في سقر وعشر مصاطب في الهاويه وعاهدهم ذلك الاجرة انها تبقى لهم منه واخـذوا ذلك

البنت وتوجهوا بها الى قلعة الصخور في بلاد الروم يسلموها الى الملعون اصطافور يكن لهم معنا كلام اذا اتصلنا اليه نحكي عليه العاشق في جمال النبي يكثر من الصلاة عليه (قال الراوى) واما عثمان لاجل عمره كان ذلك الوقت نزل يقبل يد الصالح كما ذكرنا وسيده والوزير واما لو كان حاضر عندها وكانوا رأوه كان لابد ان يكشف سترهم ولكن عثمان يعرف جيدا حق المعرفة بأن هذه العروسة تزوج ثم يظهر عليها الحمل ترزق ولد يسمى سيدى محمد الفندور ويكون عايق اهل زمانه يكون له معنا كلام باسناده واما عثمان فانه بات في خدمة سيده وهو ممتثل لقضاء الله وقدره الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤوس الروابي والبطاح وسلمت على قبر النبي زين الملاح فطلع عثمان الى القصر ينظر وجه عروسته لاجل ان يفرح بها فوجد على رأى من قال

ساروا وسار الربع يندبه الثرى ان قلت بانوا اين مثلك بانوا
فاسأل منازلهم يجبك يا فتى كانوا بها وكأنهم ما كانوا

فرأى جميع النساء منبحين والعروسة زوجته قد فقدت من دونهم اجمعين فنزل عثمان يجرى وهو يبكي وينوح فقال له الامير بيبرس مالك ياعثمان فقال عثمان ياجندى العروسه راحت يا حسرتى ماشبعت منها ثم ان عثمان دخل يجرى على الصالح وقال خذوها يامعلم صالح فقال الصالح يعوض الله ياعثمان حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ياقاضى هذه حكمة الله لا بيدك ولا بيدى اسأل الله الكريم رب العرش العظيم بحرمة النبي والملائكة المقربين ان كل من كان تسبب فى هذا الفعل لايموت الا على دين الكفر مقطع على عرية ويحرق في اريله

بجرا الكلاب قول آمين ياقاضى فانها سبقت في علم الله قال القاضى آمين
آمين ثم ان الملك تودع من بيبرس وقال لعثمان يا عثمان اسكت بقى كن
من كتامين الاسرار لاتكن من كشافين لاستار وتودع من بيبرس وتوجه
الى المحروسة وكذلك لاغاشاهين وأرباب الدولة جميعا وكذلك مشايخ
الحرف وأما القاضى والمعز أبيك فانهم حصل لهم العز الشامل وأصبح بر
الجيزة خالى لافيه احد وأما عثمان بكى على زوجته والامير بيبرس بكى على
بكاه فقال المقادم يادولتلى هذه العملة ماهي فعلة فلاحين قال بيبرس انا لو
كنت أعلم الخصم يامقادم كنت أخلص حق خديجى ولكن ماأعلم لى غريم
(قال الراوى) ولما كان فى ثانى الايام قام الامير بيبرس صلى فرضه
وختم ورده وتذكر مصيبة عثمان وكونه لم تهنا فبكى واذا بعثمان داخل عليه
قال له يا أشقر العروسه عروستى وانامابقيت عاوزها في هذه الايام وانما
حصل شىء أقبح من هذا وهو أن المهاة الذى لك انسرقوا بما عليهم
ولكن ياأشقر الذى أخذ أخذ قيمته فقال الامير ياعثمان انا ما أبكى الا
عليك ولكن الذى سرق الخيل كان في أى وقت في النهار والا بالليل
فقال له عثمان أنا أحكي لك وحد الله قال الامير بيبرس لااله الا الله فقال
عثمان اعلم ياجندى انى كنت قاعد فى الاصطبل وكان الوقت فى النصف
من الليل فدخل على جماعة كلهم عربانين ولكن ماعرفتهم ولا هم من
بلدنا ولا من قرايبنا ولا عمرى رأيتهم وحياتك الا النوبة فقلت لحالى
لما أشوف الجحش يعملوا ايه ولقيت جماعة منهم ماسكين الباب والباقى
مرصوصين جنب بعض فقلت لما أشوف رايحين يعملوا ايه واذا هم صاروا
يحلوا الخيل واحد بعد واحد وأنا أنظر اليهم لكن اقول لك الدغرى
ياجندى بقيت خايفاً منهم ولا قدرت أتكلم ولا أتحرك وأنا ساكت لما

حلوا الجميع وأنا خايف لايضبطونى الى أن أخذوهم وطلعوا وراحوا لحال سبيلهم وأنا ساكت لا أتكلم أبداً وهذه حكايتى والسلام (ياساده) ولما سمع بيبرس ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقال له ياخاين اذا كنت قمت الصياح كنت أنا أدركتك وكنت في تلك الساعة لحقتك فقال خفت أن يهجموا على ويقتلونى فعند ذلك حط يده الامير بيبرس على آلات المشرة أرطال وطلب عثمان فنظر عثمان الى ذلك وشاف الغيظ على وجهه فتركه عثمان وسار يجرى قدامه فعند ذلك جرى وراه بيبرس وما زال عثمان يجرى وبيبرس خلفه وقد حمله على ذلك الغضب فبينما هم كذلك اذ اقبل من كبد البر رجل اعرابى وهو مقبل من ذلك الروابى فلما رآه عثمان قال لبيبرس هذا الذى سرق الخيل بالامس فتقدم الامير الى البدوى وقال له ياشيخ انت من أين والى أين تريد فقال البدوى لعلك أنت الامير بيبرس قال له نعم فقال له يادولتلى انت انسرقت خيلك قال نعم فقال له روق ذهنك وريض أنا أعرفك طريق خيلك لكن لما تسمع الحكايه قال الامير قل حكايتك فقال الاعرابى لما تروق ذهنك وتلقى الى سمعك وتكثر من الصلاة على سيدنا محمد فقال بيبرس اللهم صل وسلم عليه فقال له الاعرابى اعلم يادولتلى انا رجل شيخ عرب واسمى على الخبيرى وأنا رجل عارف بالله تعالى أصلى الخمس اوقات واصوم رمضان واخاف الله وانا شيخ عرب مثل خضر البحيرى ولما شاع الخبر بانك اخذت الجيزة فاتانى خضر البحيرى وقال لى تعالى معى وعاونى على قتل بيبرس كاشف الجيزة فقلت له لاى شيء تقتله ولاى ذنب فعله معك يستحق ان يقتل فقال ذنب ماعمل وانما اذا قتل تبقى ولاية الجيزة لنا دون غيرنا فقلت له اتركه بلا طمع نفس فارغ انت شيخ عرب وانا شيخ عرب نحكم

على العرب والكاشف الذى تحكى عنه لاهو اذانا ولا تعدى علينا ولا عايه لنا شيء . اترك سبيله والسلام فقال لايمكن ذلك ولا بد من قتله فقلت له انا لا افعل ذلك ابداً فقال انا له كفواً بنفسى ثم انصرف من عندى وجعل يدبر امره فلما جن الليل عليه رأيت فى منامى السيدة زينب رضى الله عنها واخبرتنى وقالت لى ياعلى قوم اسأل على بيت الامير واخبره بالقصة من اولها الى آخرها واعلمه بان خضر البحيرى هو الذى سرق الخيل فانتبهت من منامى وقصدت اليك وقصدى ان اعلمك فبينما انا سائر وجدتك تجرى خلف عثمان فلما سألتني حكيت لك بالذى جرى و هذه قصة خيلك والسلام (ياساده) فلما سمع بيبرس ذلك الكلام تعجب من هذا المرام ورجع عن عثمان وقال والله لقد اخبرتنى بما فيه الصواب ولكن وحق مقام السيدة زينب صاحبة القناع الطاهر ان اخذ ربى بيدى فانى اعطيك صنجقية التزام لنفسك اذا اراد الله تعالى ونصرنى ربنا على خضر البحيرى ثم اقيدها لك فى الرزنامة من بعدك لذريتك فقال له على الخبيرى يادولاتلى اذا اردت ذلك بأنه والله قريب ولا يطلع النهار الا وهو فى قبضه يدك اسير فقال له بيبرس وكيف يكون ذلك اعلمنى حتى اعرف كيف يكون فقال على الخبيرى اعلم يادولاتلى ان خضر البحيرى جامع قبائل العرب من برى البلد وهو من هنا الى نجعه مسيرة ساعه فاذا اردت ذلك انا اركب وآخذ معى جماعة من عربى واروح اسلم عليه واقول له اذا رضيت ان اكون معك على قتل الكاشف ونتعاون سواء لكن تلبس انت وجماعتك لبس عرب لاجل اذا شافكم لم يتراول منكم سر معى انت والفداويه والمماليك وكلما كان يتبعك وادخل انا وانت على خضر البحيرى واخاطر معك بروحى والرجال اتباعك واتباعى يحتاطون بالعرب ذات اليمين وذات الشمال

وان الله يعطى النصر لمن يشاء وهو الكبير المتعال فقال له الامير هذا هو
الصواب والامر الذى لايعاب ثم ان الامير اخذ شيخ العرب على الخبيرى
ورجع معه الى بيته وخاواه على الطعام كما تفعل العرب الكرام وتحالفوا
على العهد والزمام وقام فى الحال الامير بيبرس لبس ملبوس العرب وكذلك
فعل صقر اللاوالى وصقر الهجسان وعملوا لهم رايات يعرفون بعضهم بها
ويتميزون بها عن غيرهم وساروا ولم يزالوا سايرين الى ان وصلوا النجوع
وكان خضر البحيرى جامع عربان بكثرة وفى هذه الليلة يروح الى كاشف
الجيزة وتأمل رأى شيخ العرب على الخبيرى قادم عليه فقام له وتلقاه وفرح
به واكرم مثواه وقال له مرحبا بشيخ العرب من الذى معك فقال له هذا
شيخ العرب محمود ففرح به وجلسوا جميعاً وكانوا عربان الخبيرى وجماعة
بيبرس احتاطوا بالنجوع من سائر الجهات وكان خضر البحيرى عامل جموع
افراح وعنده جارية ترقص في وسط الرجال فلما استقر بالقوم الجلوس
رقصت الجارية قدر ساعة من الزمان وبعدها أتت بالرق لتأخذ فيه عوايدها
من العرب ثم صاحت وقالت شوبش في صحايف مشايخ العربان وأول
الوقوف كانت قدام خضر البحيرى وكان لها السترى بتاعها اسمه صبيح
فلما وقفت قدام خضر البحيرى ومدت الطار فمد يده وأرمى لها فى قلب
الطار جديد مدور وودى من الذى كل عشرة ذلك الوقت بدرهم
فضة فصاحت الغازية شوبش على حياة شيخ العرب البحيرى وبعد ذلك
انتقلت الى واحد آخر فاعطاها كوز دره فمدحته وبعدها واحد آخر
اعطاها شوية شعير وهى مع ذلك تمدح كلمن اعطاها ولا زالت على
ذلك حتى انها ملأت الطار شعير ومات حجر صبيح نحو عشرين كوز
دره ونحوه عن قدح شعير ولا يكون معها شىء منقوش من صنف

المعاملة الا الجديد بتاع شيخ العرب خضر البحيرى فقط وأما باقى المشايخ مابين شيخ العرب عضور وبزبور وزعيط ومعيط ونطاط الحيط وزريط كلها مشايخ عرب من مثل هذه الاسما لم يعطوها الا كيزان دره وكبشات شعير ولما عدت الجميع وأقبلت الى قدام الدولتلى ووقفت ونظرت الى وجهه فى ضوء الشمعة التى بيدها فوجدته على رأى من يقول صلوا على الرسول

وشيخ فى الجيد يحكى الغزالا ينثنى معربا ويموا دلالا
قلت جودلى ببوسه قال لا لا بتعنيق فان اردت وصالا
لا بغمز العيون والحاجبين والنبى لو صاحبتنى الف شهر
وملأت الفلا بالنظم والنثر لم تنال منه ولا ضم خصر
لا تظن البقاء يقاد بشعر ليس بالشعر تلتقى الشعرتين

(قال الراوى) لهذا الكلام العجيب صلوا على طه الحبيب صاحب البردة والقضيب والناقة النجيب الذى كل من صلى عليه لايخيب وهو يصلى على طه النبى الحبيب فلما نظرته تولعت فيه ووقفت قدامه شوط كبير وهى ترقص وتتماجب وتصور لها ان هذا طير غريب وتريد أن تسلب نعمته وبعد ذلك وضعت الرق بين يديه وهو ملئان شعير كما ذكر فنظر الى ذلك الشعير وقال لها ياحرة العرب انا ماعندى من هذا الصنف حتى كنت أعطيكى منه فانى أرى جايبتك التى جمعتيها فى سهرتك فما تقوم بعليق حمار قالت له ياسيدى الذى يعطى شيئا يعطى على قدر حاله فقال لها وهو كذلك ثم ان الامير فرغ الرق في الارض وحط يده طلع قرطاس ذهب فيه خمسمائة محبوب وفرغه في قلب الرق وقال لها في حجرك فرغيه ولمى من باقى جاعتى قالت سمعا وطاعة قال عثمان لما تقول شوبش قالت الغازيه

شوبش قول ياصبيح شوبش على حياة من قال عدان قول على حياة شيخ العرب ضابط بن رابط فقالت كذلك ثم انتقلت الى قدام شيخ مقدم سقر اللوالى ففرغ لها كيس فقالت شوبش على حياة من قال عثمان قولى على حياة من قال قابض بن قابض وانتقلت الى قدام سقر أخيه ففرغ لها الآخر كيس قالت شوبش على حياة شيخ العرب لاطش بن قاطش فعند ذلك قال خضر البحيرى من أين هذه العرب الذى هذه الاسماء اسماؤهم وماهم من جنسى فقال علي الخبيرى وبعد ذلك صارت الغزيه ترقص لكن صار شغلها كله عند الامير بيبرس فعند ذلك طابها الامير بيبرس وقفت بين يديه وقالت له ياسيدى دستور من أين أنت قال لها وأنت ليش تسألينى قالت له ياسيدى عطيتك ماهى عطية عرب وملبوسك لبس عرب قال لها عثمان ياقحبة هذا كاشف الجبرة فقالت له أنت ياسيدى الامير بيبرس قال لها نعم قالت له ياسيدى ان هذا الجمع الذى تراه من العرب كلهم مجتمعين على قتلك وانت والله ياسيدى شجرة الكرم وخسارتك فى الموت اذا تمكنوا منك هؤلاء العربان فقال بيبرس يابنت وها انا بعون الله كفؤا لهم ولو كانوا بعدد أضعافهم فقالت ياسيدى الكثرة تغلب الشجاعة وأنت وحيد والرأى عندى

نفسك فز بها ان خفت ضيما ... وخلى الدار تنعى من بناها
فانك واجدا أرضا بارض ... ونفسك ان تجد نفسا سواها
وما غلظت رقاب الاسد حتى ... بانفسها تولت ماعناها
مشيناها خطا كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بارض ... فليس يموت في ارض سواها

(قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس منها ذلك الكلام تبسم ضاحكا وقال لها جزاك الله عنى كل خير فانك نصحتينى يابنت يبقى انا أخاف

من العرب وأهرب منهم وانا باكل عيش السلطان الصالح كيف أخاف من العرب ومرادى أطهر الارض منهم وفى هذا الوقت آخذهم قدامك فى الحديد وهم مكتفين الزند والايد ولكن ياشاطره ان أردت ان تساعديني وتفتحيلى باب الشكل معهم لاجل أفرجك أقطع من الدنيا رجاهم قالت له ياسيدى بايش أساعدك قال لها تجيبى عشر بنات وانت وأمك تبقوا اثنا عشر أنت تكونى كبيرة على خمسة وأمك مثلك وتكون اتم عرب وتحاربوا وتخلوا الغز تكسر العرب قالت له ياسيدى يقتلونى العرب قال لها الامير وانا قاعد ليه لما يقتلوكى العرب غير ان هذا طالب شيء وبعد ذلك انا أقبض على جميع العرب فقالت له سمعا وطاعة قال لها لكن بشرط ان تجرى انت بجماعتك قدام العرب وبعد تردى وتأخذى طرطور أمك وتخلى رأسها عريانه قالت له سمعا وطاعة ثم ان الغزيه قامت على قدميها وأحضرت أمها وأمرتها ان تحضر من الغوازى عشر بنات وقسمت خمسة معها وخمسه مع أمها وجعلت الخمسة التى مع أمها عرب والخمسة التى معها غز وكل واحده من الغز بيدها عصا طويله فلما كان تلك البنت فانها لبست العرب طواقى وجعلت لامها طرطور وتقابلوا مع بعضهم فقال خضر البحيري اضربوا الغز ياعرب فهجمت العرب على الغز فتمنعوا الى ورائهم فطمعت فيهم العرب وطابوهم فردت الغز على العرب ضربوهم والغازيه أخذت طرطور أمها على العصا وكذلك البنات أخذت كل واحده طاقية واحده على عصاة وقاموهم على العصى اشارة ان هؤلاء رؤوس العرب أخذوها على المزاريق وانها عند العرب شوم الفال ولما نظر خضر البحيرى الى ذلك الحال وكذلك العرب من اليمين والشمال ظهر الغضب على وجوههم وهموا على الغازيه يريدون قتلها فأرمت بنفسها في حجر الامير بيبرس فقال

له خضر البحيرى خلى عنها لا رحم الله ابوها فلما تم كلامه حتى أرماه بالات
الى الارض قال عثمان مكتنف كون فى غيره ياجندى فصاح فى غيره الامير
بيبرس فجاوبته الفداويه والمماليك وعرب الخبيريه وجماعة حرحش ووقع
السيف فى جماعة خضر البحيرى فقتلوا منهم مائتين وأربعين وأسروا مع
خضر البحيرى سبعين وهربوا الباقين وبعد ذلك امر الامير بيبرس اثنين
وهم عثمان وحرحش وصلوا الغزبه الى مكانها ورجع الاسطى عثمان وقال
له انت خليت العرب هؤلاء تعمل بهم ايه والتفت الى السياس وقال قطعوا
رؤوسهم فقطعوهم فقبض عثمان الرؤوس وبعد ذلك التفت بيبرس الى
خضر البحيرى وقال له من الذى أغراك على سرقة خيلى يا كلب قال
خضر البحيرى انا الذى اغرانى سيدك قال له ومن هو سيدى قال له سيدك
الصالح أيوب فقال له يا كلب أمرك بسرقة خيلى وانت قتلت الكاشف
قبلى فقال ان الذى أمرنى بقتل الكاشف الذى قبلك وقتلك انت كان ونهب
مالك وقتل كل من معك من رجالك فهو الملك الصالح ايوب فقال يا كلب
يبقى السلطان اذا اراد قتلى انا بعيد عليه لما بعث لك انك تقتل ابن عمه
شعبان الكردى وبعدها تقتلنى انا فقال له خضر البحيرى هاهو كتاب
السلطان فى رأسى فمد يده الامير بيبرس اخذ الكتاب من راسه ونظر
اليه وقراه الى اخره فقال له والذى حضرلك هذا الكتاب قطعت راسه قال
نعم قال بيبرس لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم كيف ياعثمان قال عثمان
ماهى كتابة ابواقوطه هذه كتابة المنقرش القاضى ولاكن انا اصح الك
الخبر بس لما يفرجونى عليه يموت ازاى واشوف موته بعينى فعند ذلك
تقدم الدولتلى بيبرس وطرح خضر البحيرى على وجهه واتكى عليه سلخ كل
جلده ملاه تبن بعد ان ملحه وركب له عيون قزاز وجعله كلما نظر

في البيت فبينما الشيخ مع زوجته في الكلام واذا بالاسطى عثمان داخل الى البيت فلما رآه الشيخ خاف منه خوفا شديداً فقال له عثمان لا تخف من شيء فاني سامحتك ثم انه أخذ الرأس منه وقد وضعها في النبوت كما كانت وقال له احمل كما كنت فقال له سمعا وطاعة ثم ان الشيخ حمل الرأس وسار مع عثمان الى ان اوقفه باصحابه وكان السبب في مجيء عثمان انه لما قارب الديوان عد الرؤوس فوجدهم ينقصون فسأل من الناس فقالوا هرب منا الشيخ عمران الفقيه فقال عثمان لابد انه ظن انها مال ولكن اين مكانه فأخبروه به وكانوا الناس يعرفوه هو وبيته لان بيت الفقيه دائما مشهور فسار اليه وأتى به وصحبه بالناس كما ذكرنا وسار عثمان الى الديوان كما وصفنا (قال الراوى) واما ما كان من امر الملك الصالح ايوب ولى الله المجذوب فانه لما جلس على تخت قلعة الجبل وهو يوحد القديم الازل تكامل الديوان بالعساكر والحجاب والوزراء والنواب ومن عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس والتفت الملك الى الميامن اطرقت والى المياسر اطرقت وكذا الصدر والجناحين قرأ القارى وختم ودعا الداعى وختم ورقا الراقى وختم امنت العساكر ترك وعرب وعجم وصاح جاويش الديوان وهو لا يخاف الموت ولا يرهب الفوت

أيا من له ملك وعز ورفعة   وساد على الدنيا وكل المعالم
تأنى ولا تعجل لامر تريده   وكن راحما للناس فالله راحم
وما من يد الا يد الله فوقها   ولا ظالم الا سيبلى بظالم

(قال الراوى) قال الملك آمنا والله اطعنا من اين كنا حتى اتصلنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من الشدايد سبحان رب العزة والجبروت سبحان الحى الذى لا يموت ياحج شاهين ابدان متسلطه على ابدان

والجزاء على الله والقصاص قريب ولكن والله ياحج شاهين انا مظلوم والله ولا لى ذنب ابدا ولكن ياشاهين وعلى الحقيقه هذا الرجل راح مغرور وغره هذا المؤذى ابليس زمانه وهو والله عاقبته مشومة فبينما السلطان كذلك وعثمان طالع يقول يا ليل

ظن العدى انا متنا ولا متنا وتصالحوا فى الفرح بطول غيبتنا
ان اذن الله ورحنا لمادتنا ومنقع الدم نأخذ غنيمتنا

(قال الراوى) فقال الصالح اهلا وسهلا بالاسطى عثمان بن الحبله قال عثمان لا أهلا ولا سهلا يابوا جوطه ياخسارة التربية ثم طمرت وكثرت الاذيات ولكن يابوا جوطه جرى ايه بينك وبين سيدى لما كتبت هذا الكتاب الى خضر البحيرى وأرسلت تأمره بقتل شعبان الكردى وبقتلنا وقتل حامل الجواب لما انت زعلان على سيدى ماعندك احد يقتله مفشش الا الكرد فى خضر البحيرى وان كان سيدى عليه ذنب شعبان الكردى عمل ايه وايضاً السيار عمل ايه قال الصالح انا ياعثمان لا وعزة الربوبية وتربة حبيب النجار لا كتبت هذا الكتاب ابداً فقال عثمان الكتاب هاهو معى الذى أخذه سيدى من خضر البحيرى قبل موته ثم ان عثمان اخرج الكتاب فأخذه الملك وناوله للقاضى وقال له اقرأ الكتاب وسمعنى انا والعسكر لاجل ماقال كل انسان يتسلم كتابه بيمينه ياما فى القيامة تفضح ناس فأخذ القاضى الكتاب وقرأه واذا هو ماقد جرى وتقدم ذكره من خصوص قتل كاشف الجيزه وارسال بيبرس وقتل حامل الجواب فقال الملك الصالح والله العظيم ما كتبت ولا اذنت ولا علمت باصله ومطلق هذا الكتاب لاعلم به ابداً ولكن اسأل الله العظيم رب العرش العظيم كل من كتب هذا الكتاب بيده لا يميته الله الا على ملة الكفر

في البيت فبينما الشيخ مع زوجته فى الكلام واذا بالاسطى عثمان داخل الى البيت فلما رآه الشيخ خاف منه خوفا شديداً فقال له عثمان لا تخف من شيء فانى سامحتك ثم انه أخذ الرأس منه وقد وضعها فى النبوت كما كانت وقال له احمل كما كنت فقال له سمعا وطاعة ثم ان الشيخ حمل الرأس وسار مع عثمان الى ان اوقفه باصحابه وكان السبب فى مجيء عثمان انه لما قارب الديوان عد الرؤوس فوجدهم ينقصون فسأل من الناس فقالوا هرب منا الشيخ عمران الفقيه فقال عثمان لابد انه ظن انها مال ولكن اين مكانه فأخبروه به وكانوا الناس يعرفوه هو وبيته لان بيت الفقيه دائما مشهور فسار اليه واتى به واصحبه بالناس كما ذكرنا وسار عثمان الى الديوان كما وصفنا (قال الراوى) واما ما كان من امر الملك الصالح ايوب ولى الله المجذوب فانه لما جلس على تخت قلعة الجبل وهو يوحد القديم الازل تكامل الديوان بالعساكر والحجاب والوزراء والنواب ومن عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس والتفت الملك الى الميامن اطرقت والى المياسر أطرقت وكذا الصدر والجناحين قرأ القارى وختم ودعا الداعى وختم ورقا الراقى وختم امنت العساكر ترك وعرب وعجم وصاح جاويش الديوان وهو لا يخاف الموت ولا يرهب الفوت

ايا من له ملك وعز ورفعة   وساد على الدنيا وكل المعالم
تأنى ولا تعجل لامر تريده   وكن راحما للناس فالله راحم
وما من يد الا يد الله فوقها   ولا ظالم الا سيبلى بظالم

(قال الراوى) قال الملك آمنا والله اطعنا من اين كنا حتى اتصلنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من الشدايد سبحان رب العزة والجبروت سبحان الحى الذى لا يموت ياحج شاهين ابدان متسلطه على ابدان

والجزاء على الله والقصاص قريب ولكن والله ياحج شاهين انا مظلوم والله ولالى ذنب ابدا ولكن ياشاهين وعلى الحقيقه هذا الرجل راح مغرور وغره هذا المؤذى ابليس زمانه وهو والله عاقبته مشومة فبينما السلطان كذلك وعثمان طالع بقول باليل

ظن العدى اننا متنا ولا متنا وتصالحوا فى الفرح بطول غيبتنا
ان اذن الله ورجعنا لعادتنا ومنقع الدم نأخذ غيمتنا

(قال الراوى) فقال الصالح اهلا وسهلا بالاسطى عثمان بن الحبله قال عثمان لا أهلا ولا سهلايابوا جوطه ياخسارة التربية لم طمرت وكثرت الاذيات ولكن يابوا جوطه جرى ايه بينك وبين سيدى لما كتبت هذا الكتاب الى خضر البحيرى وأرسلت تأمره بقتل شعبان الكردى وبقتلنا وقتل حامل الجواب لما انت زعلان على سيدى ماعندك احد يقتله مغشش الا الكرد فى خضر البحيرى وان كان سيدى عليه ذنب شعبان الكردى عمل ايه وايضاً السيار عمل ايه قال الصالح انا ياعثمان لاوعزة الربوبية وتربة حبيب النجار لا كتبت هذا الكتاب ابداً فقال عثمان الكتاب هاهو معى الذى أخذه سيدى من خضر البحيرى قبل موته ثم ان عثمان اخرج الكتاب فأخذه الملك وناوله للقاضى وقال له اقرا الكتاب وسمعنى انا والعسكر لاجل مايقال كل انسان يتسلم كتابه بيمينه ياما فى القيامة تفضح ناس فأخذ القاضى الكتاب وقرأه واذا هو ماقد جرى وتقدم ذكره من خصوص قتل كاشف الجيزه وارسال بيبرس وقتل حامل الجواب فقال الملك الصالح والله العظيم ما كتبت ولا اذنت ولاعلمت باصله ومطلق هذا الكتاب لاعلم به ابداً ولكن اسأل الله العظيم رب العرش العظيم كل من كتب هذا الكتاب بيده لايميته الله الا على ملة الكفر

مقطع على عربيه محروق بجرى الكلاب قول آمين ياقاضى قال آمنين آمنين
قال الملك الصالح اسأل الله العظيم كل من كان حاضر كتابة هذا الكتاب
ويعلمه لايميته ربنا الا قتيل من يد امرأة في حمام قول آمين يايبك قال
ايبك آمين فتقبل الله سبحانه وتعالى دعاء الملك الصالح (ياساده) ثم ان
الملك الصالح التفت الى عثمان وقال له اخبرنى بما جرى فاخبره عثمان
بما جرى تفصيلا بالحرف الواحد من اول الامر الى اخره كيف انسرقت
الخيل واحكى لبيبرس وجرى وراءه وجرى عثمان واجتمعوا على علي
الخيبرى وراحوا الى مجمع خضر البحيرى والغازية وموت خضر البحيرى
وجماعته وجيب لك ياابو اجوطه رؤوسهم ثم صاح عثمان على حاملين الرؤس
وطلعوا بهم الى الديوان فقال الملك والله الا منصور وعدوه مقهور قال
عثمان منصور قهرا عنك والقاضى وانا جبت الرؤوس هؤلاء من الجيزه
ورايح بهم الى فين ثم أمر الرجال فارموا الرؤوس الى باب الديوان والبعض
في وسط الديوان قال الملك ياعثمان روح لسيدك سلم عليه وقل له سنتك
فرغت تعالى بقى الى الديوان حتى ان الله يرزقك بمنصب غير هذا ولكن
ولايتك الجيزه مادامت تحت أمرك فولى عليها من تشاه من تحت يدك
واحضر الى الديوان سريعاً قال اكتب له مكتوب وترسل انت تعلمه وانا
مالى قال السلطان اكتب له ياوزير مكتوب فعند ذلك كتب الوزير الذى
نعلم به الدولتلى الامير بيبرس أن مولانا الملك يأمرك ان تولى على اقليم
الجيزه من تشاء تحت أمرك وتحضر انت الى الديوان فان الامر لازم
لحضورك والسلام وسلم الكتاب الى عثمان فاخذه وتوجه الى سيده يعطيه
الكتاب وأما الملك الصالح فانه أمر بدفن الروس والتفت الى ايبك
والقاضى وقال لهم ان الامير بيبرس نصر الاسلام بازالة هؤلاء العرب

من طريق المسلمين وانت ياوزير ايبك وانت ياقاضى واجب عليكم ان
تساعدوه قال القاضى وايش الذى نفعل حتى نساعدوه فقال الملك خذوا
هذه الرؤوس ادفنوها فقالوا سمعا وطاعة ولكن ايبك كادت روحه ان
تخرج من بين جنبيه من الغيظ فنهض القاضى وايبك واحضروا مقاطف
وقد وضعوا الروس بأيديهم فى المقاطف وشيلوا خدامهم ونزلوا
بهم من الديوان الى قبور الرميله هذا ما كان من هؤلاء ياساده واما ما كان
من عثمان فانه سار الى سيده واخبره بما جرى من الملك الصالح وانه
يأمرك بالمسير الى عنده بموجب هذا الكتاب الذى اعطانى اياه الوزير
فقال بيبرس على الراس والعين ثم ان بيبرس احضر على الاميرى والبسه
والى على الجيزه ويكون حفظ البلاد وغفر الاقاليم كله عليه والبس مملوك
من مماليكه وجعله كاشف واوصاه بالعدل والانصاف وترك الجور والاسراف
وتوجه الامير بيبرس قاصد مصر حكم ما امر السلطان وما زال سائر حتى
انه وصل الى بيته وهو بيت ابن باديس السبكى يقع له كلام (قال الراوى)
واما ماجرى من امر المعز ايبك التركمانى فانه التفت الى القاضى
وهو فى الديوان وقال له ياقاضى لازم الليله هذه تأتى الى عندنا
فقال القاضى وهو كذلك ياوزير ولما كان فى آخر النهار اجتمع القاضى وايبك
فى بيت ايبك قال ايبك يا قاضى انت ضيعت مالى وانت تقول عليك مثلها
لما مابقى عندنا شىء وكله أخذه بيبرس وانت كلما تعمل تدبير يطلع بطال
وبيبرس يأخذ الاموال فقال القاضى مالك لم يضيع منه شىء ابداً بل انه
فى قرار مكين ياابو احمد فقال ايبك اعمل تدبير يكون مليح لاجل بيبرس
يموت قال القاضى وهو كذلك ياابو احمد ثم ان القاضى قال له قوم بنا الى
الجنينة فدخلوا الاثنين وطلع القاضى على [illegible] وايبك يدفع الساقيه

والقاضي أحضر الورق والدوايه وصار يكتب وايبك يدور الساقية وكلما
يهز القاضي من فوق الساقيه ينقطع الخط حتى صارت الحروف والكتابه
مثل كتابة الملك الصالح لان يد السلطان كانت ترتعش في الكتابة ولما
كتب الكتاب جعل يقرؤه على ايبك واذا فيه خطاب من أمير المؤمنين
الملك الصالح الى بين ايادى شيخ العرب نجم البحيرى اعلم انا طلع عندنا
غلام عاصي علينا ونريد ان نعمل على موته فحال وصول جوابنا اليك تقتل
الحامل لاجل ان يكون السر بينك وبيننا مكتوم وتنزل على المحلة ليلا
وتقتل كاشف الغربية وهو حسان الكردى وتنهب الوارد على المحلة حتى
ان أهل البلد يأتوا الينا بالاخبار ارسل لك هذا المملوك وهو اسمه بيبرس
فحال وصوله الى المحله تقتله وفى نظير ذلك فانى أعطى لك الغربية واقاليمها
أقطاع بلا مال وهذا الجواب سنداً علينا بذلك فاحفظه والسلام فلما سمع
ايبك ذلك الكتاب قال له ياقاضى هذا تدبير عظيم قال القاضى هذه افعال
تعجز عنها صناديد الرجال ولكن اذا صح فكم من تدبير مثله والله تعالى
يحميه ثم قال القاضى ائتيني بمملوك من عندك تكون مستغنى عنه قال سمعا
وطاعة ثم انه اتاه بمملوك فقال له خذ هذا الكتاب وسر به الى الغربية
بجهة المحلة الكبرى اسأل على نجع شيخ العرب نجم البحيرى من عرب
البحيرى فاذا عرفته سر اليه واعطه الكتاب ونظير ذلك انت حر لوجه
الله تعالى والذى يعطيه لك نجم الدين البحيرى فانه يكفيك بقية عمرك
والسلام فلما سمع المملوك هذا الكلام طار عقله من شدة الفرح والاستبشار
وقال له سمعا وطاعة ثم انه أخذ الكتاب وسار ولو كان له اجنحة لطار
ولم يزل سائر وهو فى غاية الاجتهاد ولم يعلم ماقضاه عليه رب العباد الى ان
وصل الى المحلة وسأل على نجع شيخ العرب نجم الدين البحيرى فارشدوه

اليه ولما وصل الى نجع العرب وسأل عن بيت الشيخ نجم البحيرى فقدموه الى عنده فرآه جالسا بهيئة النمرود وكبر فرعون فلما تمثل بين يديه سلم عليه ودعا له واقومه فلم يعرفوا معنى الدعا فاشار عليهم بالكتاب فأخذه نجم البحيرى وأحضر واحد من المحله يعرف يقرأ فقرأه له بينهما وبعد ما قرأه قال له اصحا تتناوه بهذا الكلام قال سمعا وطاعه ياشيخ العرب ولما عرف مضمون الكتاب حط يده على سيفه وضرب المملوك جعله نصفين فوقع الى الارض قتيل وفي دماه جديل وراح هذا الى رحمة الله شهيد ولم يقدر أحد أن يسأله عن سبب ذلك من جماعته لشدة سطوته ولم يزل صابر الى الليلة الآتية ثانى ليلة ونزل ليلا على الامير حسان الكردى وقتله واقام في دار الوسية ليلا وقامت به أولاد الزنا ولما طلع النهار ضرب السيف في كل من حضر من جماعة حسان الكردى فمنهم من مات بالسيف ومنهم من هرب ومنهم من التجأ الى بيوت اهل المحلة وأما شيخ العرب نجم البحيرى فانه نادى في المحله وقال يامعشر الناس انا شيخ العرب نجم الدين البحيرى وهذه الغربية كلها بلادى ومن الآن وصاعد لايكون لكم حاكم ولا كاشف الا انا فيهم واشتروا حكم ما كنتم أولا ولا لكم بأس وأما كاشفكم القديم خدوه وقدموه الى الملك الصالح وقولوا له هذا حسان الكردى والذى قتله نجم البحيري (قال الراوى) فلما سمعوا اهل المحلة ذلك الكلام قالوا لبعضهم أما هذه جسارة لم يقدر احد على مثلها ولكن حيث ان الامر كذلك احنا نأخذ هذا الكاشف المقتول ونمضى به الى مصر ونقدمه الى الملك الصالح وان سألنا نخبره بصورة الواقع ثم ان اهل المحله احضروا تابوت ووضعوا الكاشف المقتول فيه وارسلوا أحضروا أكابر ولاية الغربية وقد اعلموهم ونزلوا من سمنود وداموا في البحر الى ان

طلعوا على بولاق وقد طلعوا من البحر ورفعوا التابوت على اعناقهم وساروا طالبين الديوان هذا ما جرى لهؤلاء (ياساده) وأما ما كان من أمر الملك الصالح ايوب فانه بات واصبح مثلك يامؤمن يصلى على نبى فى كفه الحصا سبح دخلت له الاغوات أعلموه ان الديوان تكامل ثم انه قام يتوكأ على قضيب خيزران حتى اقبل الى الديوان فأبدى على العساكر بالسنة فنهضوا له قيام وردوا عليه بالفريضة الشرعية تحية السلام فبسط اياديه وقرأ الفاتحة أم الكتاب واهدى ثوابها الى ضامن جملة العاجزين والعاوزين ثم الى روح من مضى من الملوك السالفين ومن يتولى بعده حملته على تخته ثم ان السلطان بعد ذلك جلس على كرسى المملكة واحدقت رجاله بين اياديه من عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس وتكامل الديوان ثم قرى القارى وختم ودعى الداعى وختم ورقى الراقى وختم آمنت العساكر وصاح شاويش الديوان وهو لايخاف الموت ولا يرهب الفوت يقول

لاندعى بالمماليك او تقول لى ملك   من حى سلطان ومالك راح وفات الملك
من ادعى الكبر هالك فى بحور الهلاك   والبين سد مسالك لو كانت سلك

(قال الراوى) قال السلطان آمنا ولله اطعنا ومن ابن كنا حتى اتصلنا سبحان الدائم على الدوام وهو الله لا إله الا هو الملك العلام ياحاج شاهين هؤلاء الذين ماتوا كذلك ماتوا شهداء منهم للجنان واما الذين يموتوا فيهم فانهم من اهل النار اللهم اكفنا السوء فريق فى الجنة وفريق في السعير والله كذاب وانا لا امرت ولا حكمت فقل الاغا شاهين بس قل لى الخبر قال الخواص يقول لى انت عليك كتاب هؤلاء ياشاهين اهل الكتاب مفهومين يعرفهم اصحاب البصائر ولكن ان الله حليم ستار وقل تعالى قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور وان هذه آجال تدانت ايامها ولكن

اجل كتاب بينما الملك يهتف بهذا الكلام والوزير يتعجب واذ بباب الديوان استد والستار احتجب وعمد الغربية طالعين والتابوت قدامهم وهم من خافه يقولون نعم يامير المؤمنين قال الصالح مالكم ياناس فقالوا له يعيش راس مولانا السلطان قال الصالح في من قالوا له في الامير حسان الكردى كاشف الغربية قال السلطان وماتدفنوه جايبينه الى هنا لاى شيء قالوا له لانه مقتول قال ومن قتله قالوا يا أمير المؤمنين هجم عليه نجم البحيرى شيخ عرب البحيرة وذبحه فى فرشه ووضع السيف في توابعه قتلهم ونهب دوار الوسية ونهب المحلة وبعد ذلك قال ان الغربية كلها صارت له ولاله فيها معارض يعارضه وقال لنا خذوا الكاشف المقتول ودوه للسلطان قال الملك ياسلام ولكن ياجماعة هذا ابن عمى على كل حال روحوا غسلوه وكفنوه وادفنوه اتوكل به ياحاج شاهين قال سمعاً وطاعة وحالا ارسل حضر الحانوتية غسلوه وكفنوه وواروه التراب رحمه الله جل من لايموت (قال الراوى) وبعد ذلك قال السلطان بقى ياشاهين الرجل نجم الذى اخذ الغربية وقعد على كرسى المحلة بخاطره ياشاهين الملك لله قال الوزير ياملك نرسل من يأخذ منه بالثار ويجلى العار ويخلص منه كرسى الولاية هذه الغربية اقليم واسع فلا نفوته لواحد بدوى أيش يعنى قال السلطان ياحاج شاهين ماهى باليد كل من اخذ شيئاً فهو له قال الوزير هذا لايصح اننا نخلى اقليم الغربية من غير كاشف قال الملك واحنا عندنا كاشف منين للغربية قال الوزير عندنا الامر نولى اى واحد كان ينزل ويخلص البلاد من العرب ويقتل هذا الطاغى فعند ذلك تحرك القاضى من مكانه وتزحزح وهز رأسه وتنحنح وجنح طيلسانه وفتح فاه ونبح وقال دستور ياأمير المؤمنين اتأذن لى اتكلم كلمه حسنة ليست بسيئة قط قال الملك تكلم ياقاضى اما

انت ماعندك الا السيئة قل حتى نسمع فقال القاضى ان هذا اقليم الغربية
فهو اقليم مشهور ولا ينفع له الاحاكم جسور حتى يخلصه من العرب
ويقتل هذا البدوى الغدور فانه لايصلح فى هذه الامور الا رجل على
جميع النايبات صبور وهو الامير بيبرس الذى نجمه قد علا وارتقا ورد
اعداءه بالخذلة والبؤس والشقا الذى ايده الله بالنصر والنجاح والعز والفلاح
وشمس سعده يتلالا على وجهه كالمصباح فان اراد مولانا السلطان يخذل به
الاعدا على طول المدا والافرأى مولانا الملك اعلا واولى فقال السلطان صدقت
ياقاضى ولكن بيبرس رجل فقير الحال وهذه الغربية واسعة عليه وهى
تحب المال والمقدره فقال القاضى انا ياملك اساعده انا والوزير ايبك انا
ادفع له من مالى وصلب حالى خمسين كيسا وثمن خمسين جوادا وثمن
خمسين مملوكا وعليك ياوزير ايبك مثلها قال ايبك ياقاضى اذا كان بيبرس
يعمل كاشف غربيه احنا مالنا نحط مثلها قال القاضى يبقى لوجه الله قال
ايبك ياقاضى فلوس متاعنا تروح قال القاضى فى قرار مكين وانا ضامن لك
مالك لم يضيع منه شىء ابدا قوم ياشيخ منصور هات من بيتى هذه الدراهم
فذهب منصور احضر المال وكذلك ايبك احضر لهم الدراهم وصار في
مستودع السلطنه وبعدها قال الملك ياحاج شاهين اطلب لنا الامير بيبرس
فقال له سمعا وطاعة وارسل في عاجل الحال الى الامير بيبرس مملوكا من
طرفه فلما وصل الى بيت الامير بيبرس قبل يده وسلم عليه كان الامير بيبرس
في ذلك الايام قادم من الجيزه ولم يعلم بشىء مما جرى في الديوان ولما حضر
له الرسول من الوزير قام ركب وطلع الى الديوان ووقف على رخامة
الطلب ودعى للسلطان بدوام العز على طول الزمان (ياساده) فقال
السلطان تعالى ياسيدى بيبرس اعلم ياولدى ان الامر قد احتاج اليك لنصرة

الاسلام فانه قد ظهر رجل خارجي وطرح شره علينا وقتل كاشف الغربية وكان من الاكراد المتوكلين على الله وكان هذا بواسطة أهل السوء ولكن لكل أجل كتاب وهذا شئ بقضاه الله وقدرته وحضرة القاضي والوزير ايبك اختاروا ان تكون انت كاشف على الغربية كما كنت كاشف وتبقى الغربية بلادك والجيزة بلادك ودفع القاضي وايبك مائة كيس ومائة مملوك ومائة حصان فما ترى تأخذهم وتروح او تأخذهم ولا تروح وترسل واحد غيرك قال الامير بيبرس ياملك كيف انى ماأروح اعلم ان خدمتك على فرض كمثل الصلاة والصوم ولا سيما ان كان ازاله غم عن المؤمنين أروح ياملك الاسلام قال الملك ياشاهين لبسه كاشف الغربية واعطى له الكرك شمسيات ذهب لاجل ماأشوفه انا وافرح به وهو الآخر يفرح بشبابه فعند ذلك غاب وعاد الخزندار ووضع قدام الوزير كرك باربع كوش واربع شمسيات من الذهب فقام الوزير وضع ذلك الكرك على اكتاف بيبرس وقال له انت كاشف الغربية ثم أمر شاويش الديوان ينادى له بالكشوفية على أقليم الغربية وقبل يد السلطان وكذلك قبل يد الوزير فقال القاضي نهار مبارك فقال الامير بيبرس ان شاء الله مبارك قال الملك ياقاضي هذا مقصودك يابيبرس انت منصور مؤيد وطلع الامير بيبرس من باب الديوان فالتقاه عثمان فقال له شايفك مقفطن اياك مشد تراب قال بيبرس ياعثمان تراب ايه قال أمال أغا كلاب قال بيبرس ياعثمان انا لبست كاشف الغربية قال عثمان ياسلام كل ماتعلا وتفور عثمان يوطي ويغور انا ماأخدمك الا اذا كنت قائمقام قال بيبرس اوليتك قائمقام فنزل عثمان فرحان يجهز في أحواله ويتوجه الى المحلة (قال الراوى) وأما الامير بيبرس فانه أحضر جماعة النحاسين وأمرهم ان يصطنعوا اله مدد من النحاس للطبل يكون اذا ضرب عليه

يسمع من بعيد فاصطنعوا له عشرة أجواز نقاقير وسلموهم الى الرجالة الطبالين وبعد ذلك أمر الفراشين ان يطلعوا صيوان سرجويل المهرى فحملوه على الجمال واعرض مماليكه فكان عنده يزيد عن الثمانمائة مملوك فأمر منهم أربعمائة ان يحضروا على خيولهم واسلحتهم وكذلك الاثنين المقادم الفداويه وهم سقر اللوالى وسقر الهجان ونظر الامير فى عرض لانظير له وبرز أول ليله فى شهره وأصبح راكب قاصد المحله يقع له كلام (ياساده) وأما ما كان من الاسطى عثمان فانه لما توجه من مصر مادام في موكب سياسى الى ان وصل الى المحله وكلما وصل الى بلد من بلاد الغربية يخرج أهلها يقابلوه فيأمر عثمان ان يحط في رقبة الشيخ الطوق الحديد ويأخذه معه الى ان أخذ من طريقه يزيد عن عشرين شيخا ولما وصل ونزل فى دار الوسية وأمر باحضار المشائخ الى بين يديه فلما حضروا ضرب كل واحد عشرين كرباج وقال احبسوهم فحبسوهم فقالت أولاد المحله هذا حاكم جبار هذا الذى يخلص الحقوق من المماطلين (ياساده) واعجب ماوقع وأغرب مااتفق ان رجلا معلم قماش له عند رجل سريح الف فضه مكسور فيهم له فقال انا أروح للكاشف الجديد وأطلب منه ان يخلص لى حقى ولو بيعة جاموسه ويعطينى حقى منها ثم انه دخل على عثمان وقال له ياكاشف انا لى عند واحد مال وأريد انك ترسل تحضره لى وتخلص لى حقى منه قال عثمان طيب روح ياعقيرب احضره فراح الرجل وصحبته عقيرب الى شارع المحله فرأى الرجل قاعد على باب الله فقال له هذا هو الرجل فأخذه عقيرب وقدمه الى بين أيادى الكاشف قال عثمان ياشيخ اعطى الرجل هذا ماله الذى له عندك فقال له الرجل يا كاشف انا فى عرضك انك تسمع دعوتى بما يرضى الله قال عثمان بس قول قال هو له عندى

الف فضه ولكن مقسطهم على كل جمعة قرش أقوم أدور طول الجمعه ابيع واشترى وادبر واقطع من قوتى لما أجمع له فى يوم الجمعة القرش وأجى أدور عليه فما القاه يكون فاتى المراحة طول النهار وانا ادور عليه لم القاه أقوم آخر النهار اضيع القرش على نفسى وعيالى وهذا الحال حالى لو كان له محصل مخصوص كنت أجى كل يوم المغرب أعطيه خمسة لما يخلص قال عثمان الحق بيدك دخلوا صاحب الدين الحبس وانت يارجل روح لحالك وكل يوم تعالى المغرب اعطى له خمسه فضه والسلام ووضع صاحب الدين فى الحاصل وفى ثانى الايام قعد وقال هاتوا لى مشائخ المحله واذا بنقاقير ومماليك على ظهور الخيل وموكب باشات ووصل الخبر الى عثمان قال عثمان انعزلنا ياسلام ياعرص ولما دخل الامير على المحله ارتجت البلد لقدومه وبقى له هيبة عظيمة وبعد ماقعد لا أحد جاء اليه ولا أحد راح للمغرب واذا بالرجل جاء ووقف ونادى على صاحب الدين وقال له خذ الخمسة ياعم هذه اول يوم قال الدولاتلى الخبر ايه تعالى يارجل فتقدم قال له انت ايه فاحكى له العباره قال بيبرس طلعوا الرجل فطلعوه قال له روح ياشيخ انت كم عليك قال ياسيدى الف فضه فقال ليلة الخميس ابقى هاتهم هنا لعثمان الاربعين فضة وعثمان يعطيهم له قال عثمان اعطيهم له انت والسلام قال الدولاتلى طيب روح ياشيخ خلاص هو صاحب الدين كان محبوس قال عثمان مافيه الا المشائخ فعند ذلك امر باطلاقهم وقال لعثمان لاى شىء حبستهم ياعثمان قال عثمان لاجل انهم يخافوا منك ويحسبوا حسابك ويطيعوا امرك ويجيبوا خطابك وكان الامير وهو جاى كل مايفوت على يسأل على مشائخها فيقولون له أخذهم المسلم هذا وقد قال له سيبهم ياعثمان ثم قال لهم اعلموا يامشائخ انه مافعل معكم هذه الفعال الا لاجل انكم تعينونى وتكونوا معى على

قتل الاعداء قالوا له نحن خدامك وبين يديك فرحب بهم وانعم عليهم وجعل منهم اثنين رؤوس على الاقايم ومن تحتهم اربعة نظار وجعل كل ناظر على قسم وجعل ثمانية قائمقام كل اثنين تحت يد ناظر ومن تحتهم المشائخ ومن تحت المشائخ المشدين وبعد ذلك نزل وصار يشق أراضى المحلة فرأى النساء من أهلها الحرمة تمشى ومعها اربعة جدعان او خمسة فقال بيبرس ياعثمان ايه قال عثمان هذه عادتهم فانهم اهل فسق وضلال والدليل على ذلك مشيهم وهم يتباهوا فى هذه الزينة وهذه عادة اهل هذه البلاد وبعد ذلك نظر بيبرس الى معدية يعدون منها الرجال والنساء واذا برجل اقبل وتجرد من ثيابه حتى بانت سوأتاه وكذلك المرأة وربما قابلوا بعضهما في المياه فلما نظر الامير الى ذلك قال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال ياعثمان ارسل من ينادى فى المحلة بعدم خروج النساء وعدم نزولهم الى هذه المعدية مع الرجال بل يكونوا النساء دور والرجال دور قال عثمان انت تحرج على الماء فقال له ياعثمان هذا امر لايرضى به الله عز وجل فلما صارت المنادات ارادوا ان يرحلوا من المحلة فرأى ذلك الامير بيبرس فسأل عن ذلك فقالوا له اهل البلد ان الناس يريدون محلا غير هذا يرحلون اليه فانك حرجت عليهم فى المشى والتمدى وهذه عادتهم ولا يمكن قطع رجلهم من تلك المسير والمرور وانت حرجت عليهم وهذا شيء لابد منه فقال لهم امامن خصوص انهم يروموا أن يذهبوا فهذا على انا حرام اذا كانوا الناس بسببى يرحلوا من اماكنهم وافعالهم التى يفعلوها حرام فقالوا له أهل البلد اذا كان ولا بد فابنى لهم قنطرة على هذه الترعة يمشون من فوقها فقال الامير بيبرس ان شاء الله وقدرنى ربى بنيت قنطره ولكن اذ أعاننى الله على عدوى نجم الدين البحرى واقتله لابد أن ابنى قنطره تمشى عليها الناس ان شاء

الله قال عثمان اصحاب الارض ماوضوا بذلك قال بيبرس لاى شىء
قال له سوف ترى فقال له مالك به من حاجة (قال الراوى) ولما استقر
بالامير الجلوس واقام ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع دخل عليه المشد وقال له
ياأمير ابعث معى أحد من طرفك حتى الم الك العوائد والقدوم تاع
الكاشف فقال الامير بيبرس سر ياعثمان معه ولم يعلم الامير مامعنى ذلك
(ياسادة) ولما سار معه عثمان اقبل على رجل خضرى كاشف وكان ذلك
الرجل اصله من ارض مصر وتزوج بامرأة وله منها ثلاثة اولاد
وضاق به الامر وافتقر فاخذها وسار بها من بلد الى بلد ومن مكان الى
مكان الى ان أتى الى المحلة فاخذ له دكان وسبق الله عليه بمبلغ ستين فضة
فأخذ عدس ورز وملح وبصل وجعل يبيع ويشترى لاجل عياله فلما
وضع ذلك الاشياء عنده جلس فى دكانه وهو يقول يافتاح ياعليم واذا
بالمشد مقبل عليه ومعه عثمان بن الحبلة هذا وقد قال له المشد هات
القدوم متاع الكشوفية فقال له يا أخى انا معى شىء ابداً والآن على فيض
الله تعالى فسر الى غيرى حتى يرزقنى الله تعالى ولما ترجع أعطيك القدوم
فعند ذلك اغتاظ المشد منه وضربه كف على وجهه وقال له هات
القدوم يا كلب فعند ذلك بكاء الرجل بكاء شديداً ماعليه من مزيد وقال
له القدوم كم قال له المشد عشرين نصف فقال له انا وعيالى احق بهم نفطر
بهم انا واولادى ولكن خذ هذه خمسة ان شاء الله نشترى بها كفن
للكاشف الجديد والخمسة الثانية تعطيها للحانوتى والمغسل والخمسة
الثالثة اجرة الفقهاء واولاد الكتاب والرابعة اجرة التربة فلما أخذهم
اراد أن يعطيهم لعثمان قال عثمان خليهم معك فى يدك تعطيهم الى الكاشف
فقال المشد سر بنا لما نلم بقية القدوم قال عثمان لما نودى اللى جبناه ونرجع

نلم الباقى ثم ان عثمان أخذ المشد وأخذ الرجل وعياله وسار بالجميع
الى عند الامير بيبرس وقال له انا أقول لك أنت رجل ظالم أظلم أهل
الارض تقول انا عادل اسمع هذه الدعوى ثم قدم اليه المشد وقال له
اعطيه خمسة خمسة فلما ناوله أول خمسة قال له قل كما قال ذلك الرجل
لاجل ان يسمع الكاشف والا اضربك قال له هذه حق الكفن قال
عثمان بتاع مين قال بتاع الكاشف الجديد والخمسة الثانية قال اجرة
المغسل والحانوتى ثم انه حسب له كل الحسبه فقال الامير بيبرس من الذى
قال هذا الكلام قال له هذا الرجل قال فالتفت الامير الى الرجل وقال
له لاى شيء قلت كذا ياشيخ فقال ياسيدى انا رجل غريب وفقير الحال
ومعى ثلاثة من العيال وانا رأس مالى كله ستين فضه واحكى لبيبرس على
قضيته وفقره وغربته وعياله واحكى حكايته من الابتداء الى الانتهاء
فلما سمع بيبرس ذلك الكلام قال لاحول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم والله ماأعرف القدوم ولا سمعته الا هنا ولكن نادى ياعثمان
القدوم بطال وكل من اخذه ملعون ابن ملعون ثم ان الامير اعطا الرجل كيس
فيه الف دينار وقال له سامحنى ياأبى وادعى لى فدعى له بقاب فرحان واراد
الرجل أن ينزل فقال له عثمان اصبر حتى نعطى المشد الكف الذى أعطاه
لك ثم انه قدم المشد بين اياديه وضربه قلم يساوى رطل ذهب ونزل
الرجل الى حال سبيله فهذا ما كان منه وأما المشد فان عثمان قال له وحق
المبرقعة في مقامها ان اقمت فى المحلة لابد أن أخلى الكاشف يصلبك على بوابه
فعندها أخذ عياله وارتحل من المحله الى سمنود (قال الراوى) واستقام بيبرس
فى المحلة مدة عشرة أيام فلما كان فى اليوم الحادى عشر بات وأصبح واذا
به نظر الى عثمان وهو داخل عليه ولكنه على غير الاستوى فقال الامير

مالك ياعثمان قال عثمان انا خايف اقول لك تقوم تفضل تقول لى دسيتهم فى
عينك وبطنك قال بيبرس بس قول خبر ايه قال له الخيل انسرقت كلها
ولا بقي عندنا ولا حصان وبقيت انا أخدمك على ايه أما المماليك خيلهم
عندهم وأما الذى راح فهم الركايب بتوعك انت فقط ولا بقى لك حصان
تركبه ولما ما بقي عندك خيل نخدمك على ايه فقال بيبرس اخبرنى اولا هل
ترى كنت في أى مكان انت والسياس ياعثمان قال عثمان أنا أحكى لك انا
كنت نايم لكن صاحى لم اخذنى نوم فدخلوا على جماعة ونقبوا حيطة
الاصطبل وصاروا يطلعوا الخيل واحداً بعد واحد وأنا انظرهم ولا اقدر
اتحدث خوفا لايقتلونى ثم لما اخذوا الجميع ساروا ولم يقولوا خاطرك يااسطى
ماقالوها ولا خافوا لامنك ولا منى فلما سمع بيبرس ذلك الكلام صار
الضيا فى وجهه ظلام وقال له ما احد ضيع الخيل الا انت ياعثمان لانك لو
كنت اقمت الصياح كنت انا ادركتك قال عثمان انا خفت لايقتلونى فقال
بيبرس انا ما الزم خيلي الا منك قال عثمان وانا اعمل ايه اسرق لك غيرهم
من الناس قال الامير هذا حرام قال عثمان وانا اعمل ايه سر بنا ندور لعل
وعسى ننظر احد نسأله عنهم فقال بيبرس نسأل من ياعثمان وهذه الممالك كلها
خلط فى خلط قال عثمان افتش انا وسيبه عثمان ومشى فاغتاظ بيبرس وقال له
رايح فين ياعثمان قال عثمان رايح نقعد نعمل ايه لاعندك خيل ولا بقيت
اخدمك وتركه ومشى فتبعه بيبرس ولكن يغيظ ولم يزل عثمان يجرى
والامير وراه الى أن وجد شياطين البحر بعد ماقطعوا مسافة بعيدة عن
المحلة فوقف عثمان وقال له ايش عاوز منى ياجندى هو أنا ضيعت خيلك
عامد قصدك تبقبقني وبكى عثمان فوقف بيبرس جنب عثمان وأخذته الرأفة
عليه فتأمل بيبرس واذا برجل قالع ملابسه على شاطىء البحر ونزل فيه

وقال أنت تعلم يارب انى تضايقت وهذه آخر عيشتى فى الدنيا

هى نفسى ظلمتها ظالمتى　　فأنا الآن ظالم مظلوم
حكم ربى بالقضاء كيف أنجوا　　ان ربى قضاءه محتوم

(ياساده) وبعد ذلك أرمى نفسه فى البحر ولكن هو يعرف يعوم ولما ضاق عليه نفسه لطلوع روحه ماهانت عليه نفسه فطلع الى البر وبكى وقال

ياأخا الحزم قد تحير أمرى　　فى أمور على الخليقة تجرى
بين عفو ونقمة ضل فكرى　　لست أدرى ولا المنجم يدرى

(قال الراوى) وبعد ذلك ارمى روحه فى البحر قال الامير بيبرس ياعثمان قال نعم قال هات هذا الرجل واما الخيل ربنا يخلف علينا بغيرهم ففرح عثمان وجرد ثيابه ونزل جابه من قلب البحر ولما بقى معه على البر قال له عثمان رايح تغرق نفسك على ايه قال له وانت مالك قال عثمان عليك دين قال له وما يخصك به فعند ذلك جذبه عثمان واوقفه قدام بيبرس فقال له بيبرس ياجدع على ايه تقتل نفسك فقال له ياسيدى من الزمان وتقلبه وانا استحق هذا وانشد

عجبت من الدنيا لنصرة ظالم　　وتدفع مظلوم وكيد كريم
واعجب من هذا وذاك وهذه　　رايت كريما تحت ظل لئيم

(ياساده ياكرام) ثم قال ياسيدى انا لى حكاية خبر لو كتبت بالابر على اوراق الشجر لكانت عبرة لمن اعتبر فقال الامير سمعنى حكايتك قال حتى تروق ذهنك وتلتى سمعك وتكثر من الصلاة على سيدنا محمد قال بيبرس اللهم صل وسلم عليه فقال ياسيدى انا اسمى محمد الكامل الهجان وانا اصلى من بلاد العجم ومملكتنا اسمها خوارزم العجم وملكنا يقال له شاه جمك وابى عبد القان وصنعته هجان واسمه كامل الهجان وانه عند القان معظم مكرم

وان هذا القان شـاه جملك له ولدان وله بنت وابنـه الـكبير يقال له محمود وان هذا محمود جرت عليه الاقدار السابقة فى علم الله تعالى فانسرق من عند ابيه وهو صغير فصار يبكى عليه ابيه وأمه بطول الزمن الى ان وصلت اليهم الاخبار بانه في مصر عند الملك الصالح أيوب ملك مصر فلما سمع ابوه ذلك قال لى يامحمد خذ هذه الخزنة مال وسر بهـا من أرض العجم واشترى متجر وتاجر فيه الى أن توصل الى مصر واستنشق اخبار ولدى محمود لانى قد قل جلدى وعيل صبرى فاذا وقعت به في أى محل فاشتريه وادفع ثمنه ولا تأتى الي الا بخبر كافى من خصوص ذلك ولك عندى كلمـا تتمنى فاستلمت منه الخزنة المال واشتريت بها المتجر وجهزت نفـى للسفر وسرت من العجم وما زلت انتقل من بلاد الى بلاد الى ان وصلت الى ارض حلب فبعت مامعى واشتريت غيرها من مدينة حلب ودخلت بهـا الى هاهنا فنزلت بمتاجرى في خان واقمت فيه ابيع الذى معى مدة شهر او اكثر واستعرفونى اولاد المحله وصاحبونى وتقربوا الى في الـكلام ثم انهم سألونى عن محل اقامتى فقلت لهم انا رجل غريب من بلاد العجم وقد اتيت الى هنا لاجل التجارة وانا ابيت وأقيم في مكانى هذا فقالوا لى هذا امر لايتم لك فسر معنا حتى تتفرج على عرس عندنا ولاجل ان تنظر افراح بلادنا ونجعل لك الحظ الاوفر فقلت لهم سمعا وطاعة ثم انى سرت معهم الى ذلك الفرح فلما دخلت الى ذلك المـكان وجلست فبينما انا كذلك واذا اقبلوا الغوازى من النساء وجعلوا يرقصون ويغنون ويطربون فتأملت واذا بنت ذات حسن وجمال وقد واعتدال كانها الشمس المضيئة الطالعة بالانوار الساطعة لهـا طرف كحيل وثغر اسيل وشعر طويل وخصر نحيل وردف ثقيل وهى تتجلا بقامة كانها غصن بان ولها لفتات كانها لفتات الغزلان كما قال فيها بعض

واصفها هذه الابيات الحسان صلوا على محمد سيد ولد عدنان وجد الحسن والحسين

ومليحة في قدها فاقت على ما بعدها
سلبت فؤادى مذ رأيت انوار حمرة خدها
ماست ومالت كالقنا خضعت لها حسادها
الوجه بدر كامل وبالمحاسن زادها
والعنق عنق غزالة قد راعها صيادها
والصدر لوح مرمر فيه تخالف نهدها
والبطن طيات الحرير اما ترى مابعدها
صرة حكت حق الزباد والحق حقا قدها
وبينهم شيخ كبير محكوم بين افخاذها
من زاره نال المنا وبلغ مراده عندها
وان جفت عشاقها وابتلوا بصدودها
فالهجر حقا قاتلي والقين عزر قادها

(قال الراوى) فقال محمد كامل الهجان ياسيدى لما رأيت ذلك البنت تعلق بها قلبي وقد احتوت على مجامع عقلى ولبى ولا بقيت املك نفسى وتولع بى الهوى والهيمان ومن شدة مابى قلت يارب انت تعلم ان النظر الى ذلك حرام ولكن وانشد

خلقت الجمال لنا فتنة وقلت لنا ياعباد اتقون
فانت الجميل ورب الجمال وكيف عبادك مايعشقون

(ياسادة) فعند ذلك سألت الناس الذى انا جالس معهم وقلت يا اخوانى ما اسم هذه البنت فقالوا لى اسمها حجيج فلما سمعت هذا الاسم جعلت اشكوا حالى لمن يعلم بسرى وسؤالى ولما مكثت مع اولاد المحله وانا

قاعد معهم في العرس ورقصت تلك البنت وغنت واخذت الطار وارادت ان
تلم العادات من الحاضرين فبقي الرجل منهم يرمي لها نصف فضه والاخر
يعطي رغيف من دره و لاخر يعطيها بيضة دجاجه وهكذا الى ان اقبلت
الي فمددت يدي الى جيبي واخرجت لها كيسا من الذهب وصببته في
قلب الطار فلما رأت ذلك فرحت واستبشرت وقالت لي ياخواجه قلت نعم
قالت لي ما اسمك قلت لها محمد قالت لي هذا ماهو مقامك تقعد في وسط
الاختان فقلت لها الحب ياعيوني بلاني فقالت ياسيدي انت المنا والمطلوب
والرأي ياسيدي ان تروح معي الى بيتي فقلت انا لم اعرف بيتك فقالت لي
وانت مقيم في أي مكان فقلت لها في الخان قالت خان التجار فقلت لهـا
نعم فقالت انت تمضي الى محلك وانتظر مرسولي وانا ارسل خادمي يأتي
بك الى عندي وآخذ كلما احتاجه منك ان كان عندك فقلت سمعا وطاعة
ثم اني بعد ذلك انصرفت من وقتي وساعتي الى الخان فبينما انا كذلك
بالامير واذا بالخادمة التي لها قد أتتني واسمها عندهم الخابوصه وقالت لي تفضل
أجب سيدتي فقلت لها سمعا وطاعة ثم خرجت لها بقجة مزركشة بالقصب
وفيها بدلة تساوي مبلغ من الدراهم وناولتها اياها وقلت لها اعطي هذه
البقجة الى سيدتك لأني اريد ان تلبسها قدامي فقالت لي سمعا وطاعة ولكن
انا الاخرى أريد ان تعطاني بدلة وانا اعطيك ثمنها فقلت لها على الراس والعين
وناولتها ماطلبت واعطيتها عشرة ذهب وقلت لها اعطي العشرة ذهب الى
سيدتك تـكلف بهم شمع وسكر وفواكه ولحم ومثل هذه الاشياء وانت
خدي ذلك الشريفي الذهب اليك فأخذت ذلك كله مني وسارت امامي وانا
خلفها الى البيت فلما دخلت الى البيت قامت لي على الاقدام وتلقتني واخذتني
بيدها الى صدر المكان واجلستني فلما نظرت منهـا ذلك طار عقلي

ولا بقيت اتملك لي ثم انها جعلت تمازحني على قدر ما اريد من المباسطة من غير خنا وهي تلعب وترقص وتغني وتجلس على حجري حتى هود الليل ولجت في لهو وطرب وسكر ورقص وغير ذلك الى آخر الليل فقلت لها قد طاب النوم ودخل الوقت فقالت لي سمعا وطاعه ثم انها قامت على اقدامها واخذت بيدها كاسا وناولتني ذلك الكاس فشربته من يدها ولم اعلم ماهو يا أمير فما استقر في جوفي حتى اتاني النوم فنمت من وقتي وساعتي ولم ازل نائم الى ان حميت على الشمس فاستيقظت من منامي فوجدت حجيجة جالسة أمامي فلما رأيتها قلت لها ما هذا فقالت لي ما هذا اعلم انى غابت فيك وانا احييك واستيقظك من منامك واقول لك قم على حيلك وانت لم ترد على جواب فقلت لها اذا كان اليوم فات فغدا يكون الاجتماع وما علينا من الماضي فقالت لي ارسل الى بعض البدل التي تليق بمقامي فارسلت لها بدلة مثل التي ارسلتها في اليوم الماضي وعشرة ذهب واتيت في الليلة الثانية فقامت واستقبلتني احسن استقبال واجلستني ولما طاب النوم اتتني بكأس شربته فنمت الى أن تضاحى النهار وقالت اصحي ياسيدي فلما افقت من منامي فرأيت حجيجة قاعدة أمامي فقلت لها قد طاب النوم فقالت لي ياسيدي انت نومك ثقيل وقعدت اصحيك وانبهك فما كنت تقوم فقلت لها يكون الليلة الآتية وهكذا مدة ثلاثة شهور فنظرت في نفسي ان المال تحرك فيه الذهاب وانا بالحب والهان فعند ذلك قلت الى حيث الفت وآمالي متعلقه بوصالها ولا يمكن ودمت على ذلك حتى لم يبقى من متاجري شيء ابدا فنظرت الى حالي وعلمت في نفسها انها قد سلبت مني جميع اموالي فقالت لي ياخواجه ارسل لي خمسمائة دينار فقلت انا مابقي معي شيء ياحجيج فقالت لي انظر كما كان فاني محتاجه فزلت اخيرا

وبعت بدلتي وبغلتي وماعندي وجمعت كل ما تحصل عندي واعطيتها اياه وما بقي حياتي شيء ابدا فروحت اخر النهار الى بيتها واذا بالباب مغلوق في وجهي فطرقت الباب فبعد مده حنت على وفتحت الباب فدخلت وقد سمعت امها تقول لها ان الخواجه مابقت له حيله اطرديه فعتبت عليها وقلت لها ياحجيج يصح منك هذا بعد ان تأخذي مالي ونوالي تطاوعي امك وتتركيني قالت هكذا العاده فلما سمعت منها ذلك بكيت على نفسي فلما نظرت بكائي حنت علي فقالت لى اذا كان ولابد فاجعلك خديمي ان رضيت فقلت سمعا وطاعة ورضيت بالخدمة فقالت للغلام وهو الخابوص الذي كان يأخذ مني الذهب ويذل قدامي ويبوس يدي قالت له خذ عندنا عملك رهونه فاخذني من يدي ويقول اني اعاملك الخابصه فما يمكن الخلاص منه ويلحقني الحيا الخجل فيقوم الخابوص ويضربني ضرب فاحش واقمت عندها الى أن أتانا مهرجان عند شيخ العرب نجم البحيرى وانه عامل له مهرجان وجامع فيه العربان ويروم انه بعد ما يبلغ حظه فانهم لابين أن يقتلوا كاشف الغربية ومن شدة تعلقي فى حجيج انها كلما صارت أكون معها تمكن منى الهوى والعشق وصبابة الجوى وقد بليت بعلة لم اجد لها دوى ومن مدة ثلاثة ايام دخلت امها ورأتني اقبلها فذهبت الى نجم البحيرى ووقعت في عرضه وأمرته بقتلي فضمن لها ذلك ولما جرى ذلك كانت حجيج في ذلك النهار متوجهة الى نجع نجم الدين البحيرى فلما رآني قام علي بالسيف فجريت قدامه فلما رآني جريت قال قسما بالله [illegible] ان [illegible] في هذه الارض لاحمل لحمك كفنته فهربت ولم ارد عليه [illegible] وما [illegible] علي وحتى ومن شغفي بالحب أردت الرجوع اليهم [illegible] مدة [illegible] خارجين من عنده وهم عازمين على ضلال

ووبال فتبعتهم وهم لايعلمون ولم يزالوا حتى دخلوا الى الاسطبل بتاع كاشف الغربية الجديد ونقبوا فيه نقبا فاحشا واطلعوا الخيل وهم خيول عظام ولما تبعتهم فى الرجعة خفت ان شيخ العرب اذا وقعت عينه على يقتلنى والموت مر مايصبر عليه عبد ولا حر وعرفت ذلك جيد فقلت في بالى ان ابحث لى على محل ابات فيه ولا واحد اعرفه يحن علي ويأوينى عنده ومالى ضاع وما بقى لى صدر قط فجعلت الوم نفسى واتأسف على ماكان منى والتكاليف التى قد كلفتها على نفسى فسرت ابكى الى ان وصلت الى هذا المكان فقلت فى بالى يامحمد غرق نفسك في هذا البحر وارتاح من الدنيا ونزلت ومرامى اقتل نفسى بالغرق وكلما يلم علي الماء ويضيق نفسى ارجع اطلع الى ان جاء صاحبك هذا اخذنى اليك يابن الكرام وقد سألتنى عن هذه الاحكام فاحكيت لك على كل ماوقع من المرام وهذه حكايتى والسلام

(قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام قال له وانت محمد كامل الهجان تابع القان شاه جمك ياقابل الادب وهل تعرف محمود بن القان الذى تذكر فيه فقال له ياسيدى اعرفه قال له يامحمد انت العشق غير حالك انا محمود بن القان الذى انت جيت فى طلبه لما سمع محمد كامل هذا الكلام فتح عينيه باكرام ونظر الى الدولاتلى واذا قال

الغزال المستهزى غدا تواصل من يعشق
صادفت حين وصلتى جاء الفال المؤكد بالمنطق

(قال الراوى) ولما نظر محمد كامل الهجان الى وجه الدولاتلى وعلم وتحقق ان هذا ابن سيده طار عقله فرحا ومرحا وقال ياسيدى انا نسيت الذى جرى علي وان المال الذى راح منى مايقوم بما جرى لى فى

هذا الوقت فاني اعرف ان المال يفنى وأنت المطلوب وانا ياسيدى اذا رجعت الى ابيك باخبار وجودك فما يسألنى على مال بل يعطينى قدره اضعاف وانشد يقول

طيف الخيال من الاحباب اذ بعدوا　　هم فى ضميرى واحشائى كما عهدوا
الشوق فى باطنى والنار موقدة　　والله لو فتشوا قلبى لما وجدوا
فيه سوى حبكم والله والله

اقف على بابكم استنشق الخبرا　　والروح تفديكم والسمع والبصرا
اشكى لكم حالتى ماتكشفوا ضررا　　والله اشكوا أن لو يعلم به حجرا
لرق لى ورثا والله والله

(ياسادة) ثم ان محمد كامل الهجان صار يقع على اقدام الدولاتلى ويقبلها فقال له الامير بيبرس يامحمد المال الذى أخذته منك الغزية فهو مالى كما تعلم ومال ابى وانت ضيعته وانا اجيبه وهذه الملعونة حجيبج انا ازوجها لك اما برضاها واما غصبا عنها لكن انت عليك تعرفنى طريق هذا الطاغى نجم البحرى فانه هو الذى اخذ خيلى ومرامه قتلى وانا مرامى قتله وقتل كل من كان معه من العربان فقال محمد كامل هو انت ياأمير كاشف الغربية قال نعم قال ياسيدى انا قد سمعت ان كاشف الغربية اسمه الامير بيبرس وانت ياسيدى اسمك محمود قال له نعم اسمي محمود في العجم واسمي بيبرس فى العرب امشى أمامى ثم ان الامير بيبرس أخذ محمد كامل الهجان معه الى دار الكشوفية والبسه بدلة مليحة وامر المماليك ان يحضروا ويكونوا تحت السلاح وامر المقادم سقر الاولى وسقر الهجان كذلك بالاستعداد فقالوا له نحن حاضرين عند الطاب فادعى بجرحش وقال له حضر جماعتك قال نحن كلنا حاضرين فقال عثمان وجماعتى حاضرين عندك فقال بيبرس تسيروا معى حتى

اذا وصلنا الي هناك فتفرقوا وتدوروا بداوئر العرب من الجهات الاربع
وكل مائة مملوك يكن في وسطهم اربعون من جماعة عثمان ومن جماعة
حرحش عشرين ولا أحد يتخلف من المماليك ولا من السياس ولا من
اولاد العرب وكونوا مستيقظين وانا والاثنين المقادم نكون من داخل العرب
حتى أقبض على نجم البحرى فاذا سمعتم التكبير فكل من كان أمامه
بدوى يقتله ولا تخلوا أحد ينفلت منكم ابدا فقالوا سمعاً وطاعة
(قال الراوى) وسار الامير كما ذكرنا ومحمد كامل الهجان يدل به في الطريق
كما وصفنا الى ان عبروا الى نجع العرب وقد ساروا يشقوا ويخترقوا العرب
الى ان وصلوا الى دار شيخ العرب نجم البحرى ولما وقعت عين الامير
عليه ابداه بالتحية وتحية العرب مايعرفون سلام فقال له الامير العواف
لما عرف انه ليس من أهل السلام فرد عليه شيخ العرب وقال له العوافين
واطمأن من جهته قلبه وظن انه من بعض العربان الباديات قد اتى لمساعدته
فقال له شيخ العرب نجم البحرى من انت ياجدع قال انا شيخ العرب
محمود فقال له مرحبا بك والكرامه العواف عليك يامحمود قال محمود وانت
عليك العوافي ياشيخ العرب (قال الراوى) ولما استقر بهم الجلوس
حتى رقصت البنات الغازيات وكان سقر الاوالى وسقر الهجان واقفين بالباب
واعينهم ترقب الدولاتلي واما الاربعمائة مملوك والمائة وستون جدع جماعة
عثمان وحرحش فانهم احتاطوا بالعرب وكذلك الخمسة واربعين عبد الذين
كانوا للتمراز كانوا صحبة المماليك شاكين السلاح ومتحضرين لقبض الارواح
وانهم الجميع احتاطوا بالعرب كما يحتاط السواد بالبياض او النيل بالبلاد او
الخاتم بالاصبع او السوار بالمعصم (قال الراوى) ودارت ححج
الغازيه وهي ترقص قدام العرب الى ان مضى من الليل الثلث الاول وبعد

ذلك دارت تلم النقوط حكم عادتها من العرب فصار الواحد منهم يضع لهـا
في الرق الذى بيدها بعض من الشعير ويقول لها خدى ياقحبه قولى مخالف
الله والآخر يقول خذى ياقحبه قولى عنبطير وآخر يقول خذى ياقحبه
ويعطيها بيضة فروحه ويقول لها قولي بزبيبر وهكذا جميع النقطة التى
لمتها منهم شعير ودره وبيض ولا أحد اعطاها شيئا مصورا ابداً حتى جاءت
الى عند شيخ العرب نجم البحرى وقالت له انعامك ياشيخ العرب فقال
لها ارقصى ياقحبه انعمت عليك بكيلة دره قالت شوبش شيخ العرب فعند
ذلك تقدمت الى الامير بيبرس ومدت يدها بالرق فأخرج لها كيس من
الذهب ووضعه في الرق فقالت له وقد اخذها الدهش والعجب لمـا رأت
ماأعطاها من الذهب من انت لعلك الامير الدولاتلى بيبرس فقال لهـا نعم
انا فقالت له ياسيدى اعلم بان هؤلاء العربان ماتجمعوا الا على قتلك في هذه
الليلة ان افترسوا بك فانك انت شجرة الـكرم وخسارة قطعها قال بيبرس
يابنت مالك دعوه وانمـا قولى صحايف شيخ العرب ضابط بن رابط قالت
له يقتلونى قال لها لا تخافي فان الله الحافظ الناصر وهؤلاء شوية شيوخ
عرب وبعد ساعة تجديهم ابدان بلا رؤوس ورؤوس بلا ابدان واجعلهم
كاغنام المذبح الراقدين اكثر من القيام فقالت له وانا في أمانك قال لها ان
شاء الله تعالى تنجى على يدى فعند ذلك قامت حجيج الغازيه وصاحت بعلو
صوتها تقول شوبش ياعرب على حياة ضابط بن رابط ماتمت هذه الكلمة
حتى قام شيخ العرب نجم البحرى وقال ايش ياقحبه لعن الله ابوك وابو ضابط
ورابط ما تعلمي ان هذا قال يافاحشة وجذب حسامه وكان الامير بيبرس
واقف فقالت فى عرضك يادولاتلى فقال ارجع يابربوز العرب لعن الله
بدنتك فلما سمع هذه الـكلمة نجم البحرى حط يده على سيفه وضرب

بيبرس فأخذ الضربه بالات فانكسر سيف البدوى نصفين فضربه الامير
بالالت على رأسه كظم الارض بجبهته فكان عثمان بجانب بيبرس فقال له
مكتف كون فى غيره ياجدع فصاح بيبرس الله اكبر فجاوبته الفداويه
والمماليك والعبيد من اليمين واليسار وزاد ظلام الليل فى الاعتكار وارادت
العرب أخذ الثار وجردوا كل صارم بتار واوقدت نيران الحرب واشتدت
نوائب الضرب وصار كل هين صعب وغنى بين الفريقين الحسام وزاد سواد الليل
ظلام وان الامير بيبرس سلم حجيج الى محمد كامل الهجان وقال له سير بها
الى مكانى ولعب الامير بيبرس بالسيف اليمانى وقطع الاعناق بحد الهندوانى
وشق بضربته الصدور والاماق وذل اهل البغى واهل النفاق وقاما الحرب
على قدم وساق وان المماليك هلكوا العرب تحت السيوف الرقاق ولا تنسى
فضل الاثنين المقادم الاعيان وما كانت الا وقعة يالها من وقعة وما انتصف
الليل حتى عدموا العرب جميعاً ومابقي الا قليل والذى تبقى طلب الامان وسلم
بنفسه الى الاسر والهوان وساق الجميع الى المحله واجمع الاسرى وامر عثمان
ان يفرقهم في المحله وكانوا ثمانين أسيرفشنقوهم حوالين بوابات المحله واحضر
نجم البحرى وقال له يا كلب العرب انت لاى شيء هجمت على كاشف
المحلة قتلته وتجاسرت على الاصطبل نقبته واخذت خيلى ابش الذى غرك
على ذلك العمل اما بلغك عنى ماعملت انا بخضر البحيرى وانا كنت كاشف
الجيزه وانت ارميت روحك فقال له نجم البحرى ياأمير انامافعلت ذلك من
تلقاء نفسى وانما انا جانى جواب من السلطان الملك الصالح ايوب يأمرنى
بذلك فقال الاميريا كلب يعنى الملك الصالح عاجز عنى حتى ارسل اليك يستنجد
بك على قتلى ولكن هات الكتاب واذا به مكتوب فيه كما ذكرنا ولا فى
الاعاده افاده فقال الامير بيبرس وعلى موجب هذا الكتاب قتلت الكاشف

وقلت حامل الجواب قال له نعم فعند ذلك امر الامير بتجريده من ملابسه وعلقه من عرقوب رجليه كما يعلق الجزار الشاة ثم جمع امعاءه كلها عند صدره وربط على بطنه بوطر نجادى حتى جمع الجلد على العظم وقد أحضر فرد مليان رماد فرن سخن وضربه بالحسام ارمى النصف التحتانى ووضع النصف الفوقانى على فرد الرماد ودوره فى المحله يوم كامل وهو نصف فوق الرماد بالحياة والاخر ميت والمنادى ينادى هذا جزاء من يطاوع الشيطان ويتجارى على الحكام ويعمل عليهم كربه فهو يصيرله هذا المثال كما فعل هذا الملعون حتى قتل كاشف الغربية وحصل له ذلك المثال وبعد ذلك أمر بنهب جميع متاع العرب من جمال وخيل وحمير ومعيز وبيوت شعر ولا تركوا فيهم غير النسوان فقط ونادى المنادى كل بدوى ان ظهر فى المحلة او فى كل ارض الغربية التى عليها كاشف الامير بيبرس لاجزاءه الا ان يصلب في البلد التى يقع فيها والحاضر يعلم الغايب (قال الراوى) يا كرام وبعد ذلك جلس الامير بيبرس وطلب محمد كامل الهجان وطلب حجيج النازيه وقال لها ياملعونه اين مالى الذى أخذتيه من محمد كامل الهجان قالت له ياسيدى كل مالك عندى ولا ضاع منه ولا خيط قال لها ياملعونه كان الرجل رايح يموت على يد هذا الملعون في دم مهدور ولا اعرف طريق مالى ولا أعرف طريق الرجل وتكون مثلك بنت نازيه فاحشة ملعونه تضيع الناس على هواها انت تستحق عندى ان احطك فى زكيبه مع كلب وارميك البحر لكن بعد ما اسألك اول على ما يرضى الله تعالى فان خالفتينى تبقى تستحق وان طاوعتينى تكون سبقت لك السعاده باذن صاحب المشيئة والارادة أما من خصوص المال الذى لعبتى على رجلى واخذتيه منه فما انا قابله ولا بارك الله في المال المردود وانما انا قصدى منك تتوبى الى الله تعالى عن الزنا

وعن الخنا والفساد وعلى كل ما يغضب رب العباد فان من تاب تاب الله عليه وبعد التوبه ازوجك الى خادمى محمد كامل الهجان وامهرك وادفع لك المهر من عندى وادخله عليك بعد ما اعمل فرح عظيم (قال الراوى) فقالت حجيج والله ياسيدى انا عمرى لا طرقنى خنا ولا فساد وانا بنت عذرة ولا طرقني طارق ابداً وانا أجبتك الى ما تريد وانا لك اطوع من العبيد فعند ذلك أمر بيبرس باحضار قاضى المحلة وتوب حجيج توبة ناصحة كاملة وعقد عقدها على محمد كامل الهجان وامهرها بالف دينار دفعها من عنده وانتهي ذلك الامر وقال الى محمد لا تدخل عليها حتى اعمل لك فرحا في المحلة فاجاب بالسمع والطاعة (قال الراوى) وبعد ذلك التفت الدواتلى الى عثمان وقال له خذ هذا الكتاب وكتب له كتاب مضمونه يقول

ان الذى كتب الكتاب بيده يقرى السلام على الذى يقراه

وعلى الذى يقراه الف تحيه ممزوجة بالمسك حين يراه

من عند العبد الاصغر والمحب الاكبر خادم الاعتاب مقبل الركاب كاتب الجواب بيبرس عرب محمود عجم الى بين ايادى سيد ملوك بنى آدم وظل الله فى العالم أدام الله دولتكم وامد بالاقبال طلعتكم ووصف بالنصر والظفر اعلامكم ورايتكم وادام رأفتكم ورحمتكم على رعيتكم آمين أما بعد تقبيل اياديكم الكرام والدعاء لكم بطول العمر والدوام وصلنا الى المحلة واقمنا فيها الاحكام بالعدل والانصاف كما أمر النبى جد الاشراف وطلبنا الطاغى نجم البحرى ومن له من العربان الباغيين ومحقناهم اجمعين وحق الله بالنصر المبين وقادم لدولتكم رؤوس اعدائكم العاقبة لكل من عاداكم ثم نفيد السيادة اننا رأينا مع الطاغى كتاب اطلاع دولتكم عليه يغنى عن شرحه ولكن تعجبنا لما نعلم ان يد الدولة الصالحية لم تقصر عنا

حتى تستنصر علينا بذلك الطاغى لاسيما ومن ضمن الامر قتل الكاشف حسان الكردى وقتل حامل الجواب فعلمنا حقا ان هذه أفعال المنافقين وها قادم لكم الجميع صحبة تابعنا لاجل احاطة مولانا على علوم كل صورة وقعت ادام الله دولتكم والسلام (قال الراوى) واعطا الكتاب لعثمان وعثمان اخذ معه مائتين رأس من رؤس العرب وانزلهم فى مركب وسار بهم الى أن أتى بولاق وجعل الروس على مائتين جريدة وحملهم على اكتاف الرجال السايرين وقال سيروا الى الديوان ولكم على كل رأس دينار فشالوا الرؤس ولم يزالوا سائرين الى قلعة الجبل وحدوا القديم الازل (قال الراوى) واما ما كان من الملك الصالح فانه قام من منامه ولذيذ احلامه ولبس ملابسه بالتمام وصلى صلاة الافتتاح بالتمام وقرأ اوراده وختمها بالصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الملك العلام وبعد ذلك تقدم اليه الاغا جوهر وقال ياأمير المؤمنين الديوان تكامل فقال الملك ما كامل الا سيد المرسلين ثم أن السلطان ظهر وجلس واحدقت رجاله بين اياديه ومن عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس قرأ القارى وختم ودعى الداعى وختم ورقى الراقى وختم أمنت العساكر صاح شاويش الديوان وهو لايخاف الموت ولا يرهب الفوت

مالك الملوك له قضاء نافذ فى خلقه مهما اراد به جرى
ياخايفا من القضا كن آمنا وابسط يداك الى الذى بسط الثرى
إن المقدر كائن لاينمحى ولك الامان من الذى ماقدرا

(قال الراوى) فقال الملك آمنا ولله اطعنا من أين كنا حتى اتصلنا ياحج شاهين والله العظيم ما كتبت ولا حضرت وكل من كان فعل ذلك جزاءه على الله فقال الوزير ياملك ايش الذى كتبت فقال الصالح الرجل الذى يجيب لى

الخوص قال انا كتبت له مكتوب والله ياحج شاهين ما كتبت لا تؤاخذنى في كلامى فتعجب الوزير من ذلك المرام فبينماهم كذلك واذارزة عثمان تخبط على الرخام وعثمان طالع يغنى ويقول ياليل

خايف عليك ياغزال البر لا تنصاد   الا العوازل وراك قاعدين بالمرصاد

قال بلا غوش فروح الجن لى ارصاد   اما العوازل يكتبوا الميم صاد

صباح الخير عليكم يااسطوات جميعا من الطاقة للملاقة ومن الدفة للشابوره صباح الخير عليك يابوقوطه ياوكال الدقه والقراقيش ظفرها يوم تدعى لك تنك تأكل قرقيش ودقه لما تروح لله مالحق تقول قو قال الصالح وانت مالك بس ياعثمان ماحال سيدك قال عثمان تسأل عن سيدى وانت كاتب لنجم البحيرى تقول اقتله هو أحد يابوجوطه يقتل ابن عمه تكتب لنجم البحرى تخليه يقتل حسان الكردى قال السلطان الله يادايم كيف ياعثمان اين هو الكتاب قال هاهو قال اعطيه للقاضى خذ ياقاضى كتابك الذى تعرف خطه اقراه انت والكتاب الذى بخط بيبرس فين ياعثمان قال عثمان مين قال الك عليه قال الصالح اعطيه الى شاهين يقراه فعند ذلك اعطا الكتاب للامير شاهين الوزير قرأه اجهارا على رؤس الاشهاد ولما جاء على قوله قادم لكم الكتاب قال الصالح اخذوه اصحابه ياسيدى وانا مالى بالكتاب والله ماهو من عندى ولا حضرته ولاأمرت بكتابته اكتب له ياشاهين رد الجواب بس لما يسمع لنا القاضى مافى الجواب لاجل نطمئن عليه اقرا ياقاضى فقراه القاضى وسمعوه الحاضرون قال الصالح كتر خيرك قوم بقى ادفن الرؤس انت وابيك لاجل يبقى لكم ثواب فى ازالة الغمة عن المؤمنين ثم قال السلطان اكتب بقى ياشاهين قول لبيبرس الغريبة لك اقطاع تقبض مالك منها لنفسك انت بنفسك ولا لك فيها منازع ينازعك والسلطان يدعو لك بخير ويقول

لك أني برىء ما كتبت قط هذا الجواب واما الرؤس حضروا ودفنهم القاضى
والوزير ايبك فكتب الاغا شاهين كما امر السلطان وتوجه عثمان برد الجواب
هذا ماجرى لهؤلاء وأما ما كان من الامير بيبرس فانه شرع في افراح
خديمه محمد كامل الهجان وبريد زفافه على حجيبج وأمر الفراشين
ان يعلقوا الحلق والثريات وكذلك الطباخين ذبحوا الاغنام وكل ما كان في
الغربية من الاعيان حضر فى هذا الفرح ولعبت فيه أرباب الفنون حواة
وبهلوانات وغيرهم مما يليق للافراح مدة الفرح سبعة ايام تمام وليلة الجمعة
دخل محمد كامل على حجيبج فوجدها درة ماثقبت ومطية لغيره ما ارتكبت
فتملا بازالة بكارتها وبعد ازالة بكارتها على حسب العادة نزل يقبل يد سيده
الذى لولاه ما كان بلغ مناه فلما تقدم وقبل يد سيده قال له الدولاتلى يامحمد
قال نعم قال له انت فعلت شيئا تستحق عليه التربية ولولا انت من رائحة
أهلي كنت عملت لك ادب طيب ولكن بقى عليك تمحى ماسلف لان
حجيبج التى تولعت بها صارت فى قبضة يدك ولكن وحياة رأس ابى
السلطان شاه جمك ماعدت تنظر وجه حجيبج الا بعد ماتاخذ هذا الجواب
توصله الى ابى فى ملك خوارزم العجم وتاتينى برد الجواب فعندذلك عض
محمد كامل على اصابعه قال الدولاتلى انا أعرف انك بالك طويل واخاف
احسن تضحك علي كما كنت تضحك على ابى وخذهذه الف دينار للنفقة
في الطريق وهذه أربع بدل واحده لابى القان شاه جمك والثانية لامى
الملكة ايق والثالثة الى اخى نقطمر والرابعة الى أختى دورملك وتسلم الجميع
الى ابى وتأتينى منه برد الجواب فقال محمد كامل سمعا وطاعة ثم استلم البدل
وطلب هجينة من الامير بيبرس حالا فاحضرها الى بين يديه ووضع البدل
في خرجها وأخذ مايحتاج اليه وما يلزمه وقبل يد سيده وأراد ينظر حجيبج

فقال بيبرس انا حلفت فقال سمعا وطاعة وركب على ظهر الهجين وطلب المسير وقال يامهون المسير يكون له معنا كلام اذا اتصلنا اليه نحكى عليه العاشق في جمال النبي يكثر من الصلاة عليه (ياساده) واماما كان من عثمان فانه بعد ماطلع من الديوان على انه رايح الى سيده ثم على طريق المحجر فنظر الى المعلم حسن الحجار والمعلم علي المهندس فسحب الرزه وتقدم قالوا له الفاتحه قال عثمان لما اقراها لكم آيه قالوا لا ياسيدى نحن حافظينها وانت ايش تريد قال لهم ان الدولاتلى عنده عماره في المحله كبيره ويروم انك تاخذ جميع ماعندك من بنائين وحجاره وتسيروا معى الى المحلة قالوا له سمعا وطاعة وفى الحال قاموا معه من تلك الساعة وكل منهم ارسل الى رجاله ونبه عليهم بالسفر الى المحلة فاجابوا جميعا بالسمع والطاعة وماتم ذلك النهار حتى ان الجميع بقوا على ظهور الدواب مستعدين للسفر فى البر وما جاء وقت المغرب الا وهم في قليوب ومن الغد توجهوا الجميع في البر صحبة عثمان ولما وصل عثمان الى المحلة دخل على سيده اولا أعطاه رد الجواب الذى من عند الملك الصالح فقراه بيبرس ففرح فقال عثمان انت ماقلت تعمل قنطره للناس يمشوا عليها قال صحيح لما نبعث نحضر المهندسين ونسألهم كيف يكون الحال فى بناء قنطره للطريق قال عثمان وانا جبت لك البنايين والحجاره والمهندس قال الامير من قال لك هاتهم قال انا قات لنفسى قال بيبرس علي بهم فطلع عثمان احضر اليه المعلم حسن المهندس وسلم على الامير فرحب به وامره بالجلوس فجلس وبعد ذلك قال له انا مرادى ان ابنى قنطرة لها ثلاثة عيون وابنى قصر وقيسارية دكاكين ذات الشمال وذات اليمين ومرامى بذلك السرعة في عمل ذلك سريعا وها انا اعرف ان هذا شيء صعب ويلزم له أرباب الخبرة وها انا احضرتكم لاجل ان تعرفوا خلاصكم وتجهزوا اشغالكم فاقول لكم قالوا اسمعا

وطاعة قال الامير مرادى تقوموا معى حتى اتفرج على الاض من هذه
الساعة ثم انه أخذ المهندس ومشوا الى أن وصلوا الى البحر الذى يعودون
الناس منه فقال الامير هنا مرادى ابنى القنطرة فقال المعلمون له سمعا وطاعة
ثم انهم أمروا الاتباع أن ينزلوا يعملوا جسور لمنع الماء ورمى الاساسات
وكذلك الحجارين طلعت على الجبل لقطع الاحجار وأيضا نحاتين الحجر
كلا منهم حضر عدته وتحضروا تحت قدوم الاحجار وتقدموا لقفله وبصروا
فى البحر ذات اليمين وذات الشمال فقال لهم الامير اريد ان ترموا الاساسات
وتكون ما كنة وان الشغل أيضا يكون متين وأما من جهة الاجرة والعرق
أنا ادفع لكم الطاق اثنين واول ابتداء الشغل من الساعة الاولى من النهار
الى الساعة العاشرة والاكل والشرب للفعلا والبنايين والحجارين وجميع
الشغالين يكون من مطبخى وانا على كامل ما تريدوه من لحم ورز وخبز
وطعام وغيره فشكروه على ذلك وقد أمرهم باطلاق الشغل قال عثمان
طاوعنى واترك البنايه ولا تبنى هنا شىء ابداً فقال الامير بيبرس لاى شىء
ياعثمان قال عثمان فان أصحاب الارض مايرضوا بذلك ابداً قال له الامير
بيبرس دعنا من ذلك الكلام ومن هم أصحاب الارض غير الملك الصالح
أيوب وايضا انى أريد عمل مصلحة لاهى مفسدة ياعثمان فمن يكره فعل الخير قال
عثمان ابن المرا لايصدق حتى يرى هذا وقد دارت الاشغال بالاجتهاد
ورموا الاساسات ودارت البنايات الى آخر النهار وروحوا الناس بعد ذلك
الى حال سبيلهم ولما كان من الغد اقبلوا البنايين والمهندسين يريدون
البنا والاجتهاد واذا بالذى بنوه أمس مهدود والطين وحده والطوب
وحده فتعجب المهندس من ذلك وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم
ومن الذى فعل هذه الفعال ولكن نحن نخبر الدولتلى بذلك ثم نسامحه

في اجرة الشغالين بالامس فقالوا جميعا هذا هو الصواب ثم انهم ساروا
اليه من ساعتهم فلما وصلوا اليه سلموا عليه وقالوا له يا امير نحن اتينا
نعلمك وهو ان البارح لما اجتهدنا ورمينا في الارض الاساس وبنينا وروحنا
آخر النهار الى محلاتنا فلما اصبحنا اتينا ثم اشغالنا فرأينا الذى بنيناه بالنهار
انهدم بالليل فقال لهم ومن الذى هدمه قالوا له لا نعلم يا سيدى قال الامير بيبرس
لا بأس عليكم الاجرة محسوبة لكم روحوا انتم دوروا شغلكم ذلك النهار
واذا جن الليل انا الذى اغفر البنيان وانظر من الذى يهدمه فقالوا له
هذا هو الراى السديد ثم انهم انصرفوا الى الاشغال وقد وسعوا
الجدارات وقد نزلوا في الارض زيادة فى الجدار وارموا الاساسات
الى آخر النهار ارسلوا للامير بيبرس فلما حضر نظر الى الاشغال فاعجبته
فقال لعثمان انت والسياس جميعا تغفروا هذه البقعة الى ثانى يوم واذا
اتاكم غريم اقبضوا عليه فلا بد انه من اولاد الزنا الذين بالحارة فقال
عثمان لا تتكلم فى ذلك يادولاتلى فالآن تنظره بعينك وان شاء الله
تعالى يقابلك وعقيرب يقبض عليه ثم ان عثمان صاح على عقيرب فلما
حضر بين يديه امره ان يحضر الطايفتين فحضروا وجلسوا فى ذلك
المكان قال عثمان اصحوا ياجدعان كل من نام منكم ضربه الجندى
بالدمشقى فقالوا له سمعا وطاعة ثم انهم باتوا سهارى يقظانين طول
الليل الى ان لاح الفجر فتأمل عثمان واذا برجل مقبل لابس
ملابس الفقراء وعلى كتفه نبوت وهو ساير مثل نسيم الارياح حتى قارب
البنا واشار بيده عليه فانهدم لوقته وساعته فصاح عثمان امسك ياعقيرب
الرجل هد البنيان فتجاروا وراه السياس وعثمان معهم فانفرد قدامهم وهم
وراه بالجرى فلم يلحقوا له اثر فقالوا ياجدعان شدوا وراه فغطس ما بان

كانه ما كان فلما خفى عن اعينهم عادوا راجعين الى الامير بيبرس وعثمان فى
اوائلهم وهو يصيح دوه دوه ياجلاوى دوه قال الامير بيبرس مالك يا عثمان قال
عثمان البنيـان انهدم قال الامير من الذى هدمه قال عثمان رجل واحـد
وجرينا وراه كلنا قلنا نقبضوه ونجيبوه لك هرب منا كانه مارد وغطس فى
الارض قال الامير ولاى شىء صبرتم حتى هدمه كنت ياعثمان من اول
مادق فيه أول دقه كنت مسكته قال عثمان ما كان يدق هو قال
للبنيان انهدم قام البنيان انهـدم قال بيبرس من غير دق قال عثمان
هذه عينى وهذه عينه ولا كان دق ولا تكلم قال بيبرس أنا أحرس هذا
المحل بنفسى امض انت ياعثمان فى حالك وكذلك رجالك فانا لابد من نزولى
فى هذه الليلة وأشوف ما الخبر فقال عثمان هذا هو الرأى الصواب اغفر انت بنفسك
وخل الناس تعرف بعضها جالك داهية انت واياه سوى ثم ان عثمان تركه وسار الى
الاصطبل فامر الدولتلى الشغالين ان يعيدوا البناء كما كان ودار الشغل الى اخر
النهار وقد كانوا وسموا الجدرات عن الاول وانصرفوا اخر النهار وتركوا
البناء والامير بيبرس قعد عنده ومادام قاعد حتى صلى صلاة المغرب وبعد ان
صلى حضروا له بعض مماليك بالعشا اكل وحمد الله تعالى واقام حتى اذنت العشاء
فقام صلى العشاء وقعد يقرأ في كتاب الله وكانت ليلة مقمرة ومتجلى رب العزة
والقدرة فبينما هو جالس واذا قد ظهر من تحت البنا كراسى قد اصطفت
وجلس عليها اصحابها فقال كبيرهم اهدموا المحله بما فيها واربعة منكم يحملوها
ويرموها في البحر فقالوا له لا نقدر على ذلك فان فيها الشيخ الفوال فقال لهم
علي به فبينماهم كذلك واذا بالشيخ الفوال مقبل عليهم فقال لهم السلام
عليكم ورحمة الله فردوا عليه السلام فجلس ولما استقر به الجلوس قال له
كبير القوم اننا أردنا هدم المحلة بما فيها وما أكرمناها الا على شان خاطرك

فقال لهم قد علمت ذلك وعرفت انه من اجل ذلك البنا ولكن انا أهدمه ثم انه وضع النبوت فيه ورفعه فوقعت الى الارض وانصرفت الرجال وأراد ذلك ان ينصرف واذا بالامير تعلق بالنبوت الذى بيده ثم قال من انت ولاى شيء هدمت البناء فقال الاستاذ ياداير ودفعه بالنبوت فغاب لوقته وساعته وتأمل الامير بيبرس واذا هو وجد نفسه في واد احفر اقفر متسع الجهات ولم يدر اين هو فسار فيه الى ان انتهى الى شجرة عالية فصعد فوق الشجرة وجلس خوفا على نفسه من الوحوش والهوام التى بتلك الارض فبينما هو كذلك واذا قد اقبل رجل من كبد البر الى تحت الشجرة وكنس الارض ورش المياه تحت الشجرة وبعد ذلك اخذ احجاراً من الارض وصار يصفهم على هيئة الكراسى فصار مثل الديوان وبعد ذلك نادى وقال بسم الله تفضلوا فان المكان خالى فلما قال ذلك الكلمة واذا قد اقبلت عليه رجال كثيرة ثم جلس كل واحد منهم على حجر من تلك الاحجار فصاروا مثل ديوان الحكم وبعد ذلك اقبل رجل جليل القدر والمقام فلما اقبل نهضوا له جميع الجالسين على الاقدام فسلم عليهم سلام الامراء العظام فردوا عليه سلامه بادب واحتشام كل هذا يجرى والامير بيبرس جالس فوق ذلك الشجرة وهو ينظر اليهم ويرى (قال الراوى) هذا الكلام العجيب صلوا على طه النبى الحبيب وكانوا هؤلاء الرجال المقيمين على الكراسى وجالسين فهم اولياء الله الخواص الذين اصطفاهم الله وخصهم بالولاية اللهم نفعنا ببركاتهم وأما الذى قدم عليهم فهو سيدى احمد البدوى رضى الله عنه ونفعنا الله ببركاته دنيا واخرى (ياساده) ولما جلس سيدى احمد البدوى على الحجر وكان اكبر الحجارة المرصوصة التفت الى احد الواقفين وقال له ياجوهرى سمعنا الفاتحة فى صحايفنا وصحايف اولادنا

واخواننا وأعمامنا وتوابعنا والآخذين عنهم والآخذين عنا بسم الله الرحمن الرحيم ثم انه قرا الفاتحة وقرأوها جميع الحاضرين بصحبته ثم انه قال ياجوهر افتح البسيط ومد قدامنا بساط الطريق فقال له سمعا وطاعة ثم ان النقيب قام على قدميه وقرأ الفاتحه وقال الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين اعلموا ايها الحاضرين الناظرين السامعين ان هذا القطب الذى قربه الله واصطفاه وهو سيدى احمد البدوى امرنى ان افتح بساط الطريق بين ايديكم حقيق ففتحت البساط وقلت كما يليق الحمد لله الذى لا اله الا هو الملك العدل الرؤف الشفيق والصلاة والسلام على نبيه سيدنا محمد الذى اظهر لنا الاسلام والايمان على صحة التصديق صلى الله عليه وعلى جميع آله وأصحابه أولى الفضل والتوفيق ورضى الله تبارك وتعالى عن خليفته أبى بكر الصديق وعن عمر بن الخطاب ضجيعه ونعم الرفيق ورضى الله تعالى عن عثمان بن عفان جامع القرآن حبيب الرحمن عدو الشيطان ورضى الله عن ليث بن غالب فارس المشارق والمغارب الامام على بن أبى طالب ورضى الله عن الستة الباقين من العشرة الذين بايعوا النبى تحت الشجرة ورضى الله عن آل بيت رسول الله أجمعين بساط الطريق مفتوح وعليه الانوار تلوح لمن يأتى ولمن يروح لمن له حق ولا اتصل اليه اوله جار وجار عليه فليخرج ويبرز الى جانب النقيب في حضرة هذا القطب النجيب وهو سيدى احمد البدوى سلالة سيدنا محمد النبى الحبيب فاسمعوا ما اقوله من الخطاب من كان له خطاب فليحضر الى هذا الباب على يد سيدى احمد البدوى بجمع هؤلاء الاقطاب ليأخذ له حقه من خصمه بالعدل والانصاف وعدم الارتياب لاظلم اليوم لاأفلح من ظلم ان الله سريع الحساب (ياساده) فلما تم النقيب كلامه واذا بيد امتدت كانها رقبة جمل ومسكت

بيبرس من ظهره ورفعته من على الشجرة وقدام السيد البدوى وضعته قال
وكانت هذه اليد يد السلطان المحبوب الذى فى طبقة السادة المصطفين محسوب
وهو الملك الصالح أيوب ولى الله المجذوب وأوقفه على يمين النقيب فلما رآه
النقيب على يمينه خرج وقرأ الفاتحة وقال يا سلطان الرجال أنا مدحت النبى
والاصحاب والاهل والاحباب وفتحت بساط الطريق وناديت على من
كان صاحب دعوة او له حق فظهر لى عن يمينى هذا الشاب فما تقول ياقطب
الاقطاب فقال له شيخ العرب قدمه الى محل الطلب فاما وقف بين يديه
تبسم له سيدى احمد البدوى وقال له ما تريد ياشاب فقال الامير بيبرس انا
رجل مظلوم فقال له ومن الذى ظلمك فقال الذى ظلمنى رجل فى المحلة
قال وما ظلومتك فقال ياسيدى انا رأيت ان الناس اذا خاضوا فى المياه
من البر الى البر الآخر فيرفعوا اذيالهم فتنكشف سوآتهم فعلمت ان هذا يغضب
الله ورسوله وأردت أن ابنى قنطرة على ظهر هذه الترعة ليدوسون الناس
عليها من غير انكشاف عورتهم وأردت بذلك ثواب لوجه الله تعالى فكلما
أبنى أساس فيحضر فى الليل رجل من المحلة يهدم البناء وأصبح اجد
الذى بنيته فى النهار هدم فى الليل وهذه ظلومتى ولم اعلم ايش يكون
قصد هذا الرجل من مناظرة عورات الآدميين ولم يراقب الله رب العالمين
وها انا يا سيدى حضرت بين يديك وارجو منك الانصاف فعند ذلك التفت
السيد البدوى للنقيب وقال له حضر لى صاحب المحلة فصاح النقيب وقال
انت فين يا على يافوال فما تم كلامه حتى أقبل من بعيد ونبوته على كتفه
وهو يقول نعم يا سلطان الرجال عند ذلك قال السيد البدوى يا فتى انظر
هذا الرجل هو الذى هدم البناء قال نعم يا سيدى هو ذلك فقال السيد
البدوى لاى شىء يا فوال فعلت ذاك اتعارض من اراد الله ان يجعل على

يديه خيراً ينتفع به المسلمين تمنعه انت عن فعل الصلاح مع ان هذا خارج بلدك في ارض مباح انت تكره فعل الخير ومنع الشر والضير فقال الفوال لا والله ياسلطان الرجال انا في ذلك لالي ذنب ابداً وانما اصحاب الارض هم الذين يكرهون ذلك بدليل ان هذه البقعة مكانهم وهم اصحابها ومقيمين بها فقال السيد البدوى ومن هم اصحاب الارض ان الارض لله رب العالمين فقال له هم العمار الذى هم الجن الاسلام الكبار والصغار وهم مؤمنون اخيار فيابون عليهم ارضهم والديار فقال السيد البدوى وعزة الله ان لابد ان يبنى هذا الشاب القنطرة كظما وكرماً ولا أحد يعارضه وكل من منعه فانا له خصما كيف ان الجان يحكمون فى الارض والمهاد ويمنعون حكام البلاد عن الاصلاح ومنع الفساد امضى الى عندهم وقل لهم أن شيخ العرب السيد البدوى امر بيبرس ان يبنى القنطره كظما وكرماً وانظر هم ماذا يقولون وعد الى في ساعتك هذه فقال سمعاً وطاعة ثم انه غاب قليلا وعاد اليه قال له ياسيدى انهم اجابوا بالسمع والطاعة غير ان هذا الموضع سكنا لهم فاذا تركوه باى مكان يسكنون فقال له يسكنون تحت عتبة قبتى من بعد بناها (قال الراوى) وكان السيد البدوى ذلك الايام على قيد الحياه فقال الفوال ياسيدى سمعاً وطاعة لكن على شرط فقال السيد وما هو الشرط قال له يكون البنيان بالافراح تدق فيه نوبه سلطانى كامله طبول ومزامير من أول الامر الى آخره فقال السيد هذا أمر مافيه ضرر الفرح طيب ثم التفت الى الامير بيبرس وقال له يابيبرس طاوعهم على ماريدون وخذ من استاذك الصالح نوبة كامله ودع البنايين ينوا والنوبة تدق حتى يتم البناء فقال الدولتلى سمعاً وطاعة وبعد ذلك التفت السيد للفوال وقال له خذ هذا الشاب ودخله البستان المعلوم امره واوضعه على ما تعلم

من الشجرة الذى يأكل منها نصيبه فقال له سمعاً وطاعة ثم ان الشيخ الفوال أخذ بيبرس وسار به قليلا وادخله في بستان شقايق ونعمان وذنبق وسوسان وروح وريحان وهو جامع جميع الالوان سبحان من خاق الخلق وهو الله لا اله الا هو العظيم الديان مدبر الاكوان على رأى من قال صلوا على باهى الجمال

روض البها فى الاشجار　　متحملات بالاثمار
والماء على روضه جار　　جل الذى فجر الانهار
والطير على الاغصان ينشد　　ويذكر الملك الغفار

(قال الراوى) فلما راى الامير بيبرس الى ذلك البستان اعجبه غاية العجب فقال له الفوال تفضل يا امير هذه الشجرة خذ منها على قدر ما تاكل حتى تذهب فنظر بيبرس الى تلك الشجرة واذا هى شجرة نبق فاخذ منها سبع حبات وأكلهم واذا هم ناعمين في أكلهم هينين وطعمهم احلا من الشهد وهم بيض مفرحين فقال له الشيخ لك سبعة أخر فاخذ بيبرس سبعة أخر وأكلهم واذا هم حلوين مبيضين غير ان فى اكلهم شمخين لا فيهم لين فقال له الشيخ خذ لك سبعة أخر فاخذ سبعة وأكلهم واذا لحمهم ملصوق بالنوى ولكن حلوين فقال له الشيخ خذ سبعة أخر فاخذهم وأكلهم فاذاهم قليلة حلاوتهم ناقصة عن الاولين ولكنهم لينين فقال له الشيخ خذ غيرهم فاخذ سبعة أخر واكلهم واذا هم عضدين يابسين لا لهم حلاوة ولا لين فقال الشيخ خذ سبعة أخر فاخذ واذا هم كاء الصبر مرين فقال الشيخ خذ غيرهم فاخذ سبعة وصار يأكل فيهم فوجد كل واحدة على صفة بين حلو ومالح وحامض ودلع ومر والخامسة مشققة وبها مرض والسادسه منتنة والسابعة ناشفة ورائحتها كالعنبر الخام وبها حلاوة أكثر من الجميع ولم تقبل

نفسه بعد ذلك من الشجرة شيئا فقال له قنعت ولا اقبل غير الذى ا كلته فقال له انزل انك أخذت ما تستحق فنزل معه الامير بيبرس وما زال سائر مع الفوال الى قدام السيدفقال له أكلت قال نعم فقال له اوصف ما أكلت فقال ياسيدى أولا أكلت سبع حبات أحلى من الشهد فقال له هم الذى أنت فيهم فقال أكلت سبعة أخر نعم فى الطعم مثلهم ولكن يابسين فى أكلهم فقال له هم الذى تجتهد فيهم حتى ترتقى فقال له وأكلت سبع أخر لكن ملصوق لحمهم بنواهم فقال له هم الذى تأخذ فيهم المملكه فتكون قهراً عن من يكون معه شور فى المجلس وأما الحلاوة فأصدقاك فقال أكلت سبع أخر قليلين الحلاوة قال له يتفرق بعض أحبابك ويظهر لك أحباب وأعادى ولكن انت تنتصر بقدرة الله الذى يعطيك فقال ا كلت سبعة اخر عادمين الحلاوة من أصله فقال نعم ينازعك كافر سارح بارادت الملك القادر ولكن ينتج على يديك انتفاع اولاد الجن من أهل الايمان بقراءة القرآن وهذا أيضا لك فيه صواب ويقتل على يديك وتورث الارض من بعده فقال وسبعة مرين قوى فقال نعم لان فيهم يعارضك كافر جبار وتكون معه فى الحكم ولكن يأمر وينهى بغير الحق ولا تقدر تمنعه وهذا بارادة الله فلا راد لقضائه فقال وسبعة أخر متشكلة فقال آخر سنينك ترى حامض وحلو والسابعة يقضى بك شهيد فى الجهاد كما يشاء رب العباد تنقل من دار الفناء الى دار البقاء وتجاور الصالحين فقال بيبرس الحمد لله رب العالمين (قال الراوى) ثم ان السيد البدوى قال للاستاذ الفوال خذه ودعه يتوضا ويصلى فى الزاوية فأخذه الفوال ودخل به الى الميضه فقعد وسمى وتمضمض وتنشق وهو ساكت وقال نويت فرائض الوضوء فسمع من ينوى بجانبه ولم يرى شخصافسكت ولم يبد خطاب حتى

ثم وضوءه ووصل الى المحراب فسمع النـاس وهم يقولون له صلى بنـا جماعة يا أمير بيبرس فسمع القائل ينوى جماعة وكانت صلاة العشـاء وكل من كان في هذا المكان صلى خلف بيبرس جماعة فسمع أحد الناس يبلغ وصوته صوت السايس بتاعه عثمان بن الحبلة فبقى الامير بيبرس بين المصدق وبين المـكذب حتى انتهى وسلم بيبرس وسلموا المصلين وختمت الصلاة وتقدم اليه السيد البدوى وصافحه وقال له تقبل الله ياولدى منك الصلاة والجهاد فقبل الامير بيبرس يده فقال له لما اكلت من الشجرة أين النوى قال هاهو معى وكان الفوال أمره بحفظه فقال له تحفظ عليه يابيبرس لانه ينفع لداء الصرع فقال سمعا وطاعة وبعدها قال له السيد مليت الميضـه قال نعم قال توضيت منها قال نعم فقال له انت ولدى بمقام عهد الله والله علينا من الشـاهدين ثم ضمه الى صدره وصافحه ثانيا وقال توجـه حيث شئت أعانك الله بالنصر والتأييد على كل كافر عنيـد ولـكن يابيبرس اذا بنيت القنطرة وفرغت منها سر الى طنطا عند تل الحدادين وابنى عناك مقام يكون عظيم فقال له سمعا وطاعة فقال عبد العال وابنى لى انا الآخر مقام الى جانبه الايمن فقال المجاهد وأنا ذات اليسار فقال الجوهرى وأنا الآخر ابنى لى مقام على راس الوادى فقال الفوال وأنا كمان ابنى لى مقام بالمحله الـكبرى فقال سمعا وطاعـة ثم انه تودع منهم الامير بيبرس وقال للفوال ارشدنى ياسيدى على طريق المحله فقال الفوال ياأمير اعلم أن بينك وبين وادي النيل سفر ماية يوم وأكثر للمجد المسـافر فتعجب بيبرس وقال له كيف يكون فقال له أنا أوصلك بما انك ناوى تبنى لى المقام هات يدك فى يدى وغمض عيناك فغمض بيبرس فقال الفوال فتح عينـاك ففتح بيبرس عيناه فرأى أبواب المحلة فقال له الاستاذ الفوال مقامى يكون فى وسط سوق

النيل ومنى عليك السلام وغطس الاستاذ مابان كانه ما كان وأما بيبرس فانه قصد الى أبواب المحلة وكان الفجر ظهر واذا بعثمان وهو يقول اتركه يأقرع مرادك بيرطلك ماتعمل حاجه الا بالاجره اعمل مقام من كيسك وانت تبنى قنطره ياشقر على شان تبقى تتعب نفسك كل ذلك التعب مقام العقرب ومقام الخنش ومقام لابى اللبد دا شىء كثير هما كام نبقه اللى اكلناهم الناس يأ كلوا كثير وانت ا كلت اثنى عشر حارة وحبة بقا كل مقام ولكن العيب عند الرجل ابو لبد هو الذى وصلك الى هنا ودخلت الجنينة ياجدع وصليت بالناس الذين كانوا هناك وقالوا لك ابن لنا كل واحد مقام فقال بيبرس وانت من الذى وصلك ياعثمان قال عثمان الدنيا كلها خطوة عاجز فقال الامير بيبرس اسكت فقال عثمان واسكت ليه هى سرقة عقيرب كان يبلغ وانا صليت امام فقال بيبرس دعنا من ذلك ياعتمان ثم ان الامير كتب كتاب يطلب النوبة السلطانى من الملك الصالح وكتب كتاب الى الوزير يطلب المعاونة منه على ذلك وقال يا عثمان خذ هذا الكتاب للملك وهذا للوزير قال عثمان وابو جوطة ما كان حاضر وهو حيلته ايه تشحته منه مامعه الخبر قال الامير سر بلا كلام قال عثمان هات الكتاب فاخذ عثمان الكتاب وتوجه الى مصر هذا جرى (ياساده) وأما ما كان من أمر الملك الصالح ظهر في ذلك اليوم جلس على تخت مصر يتعاطا الأحكام ولما تكامل الديوان وقرأ القارى وختم ودعا الداعى وختم ورقا الراقى وختم وأمنت العساكر عرب وعجم وصاح شاويش الديوان وهو لا يخاف الموت ولا يرهب الفوت

يا من حكم طول الزمان على القرايا والحلل
فلا يغرك ذا المقام وانما الدنيا دول
يا من بدنياه اشتغل وعزه طول الامل

الموت يأتى بغتـة والقبر صندوق العمـل

(قال الراوى) فقال الملك الصالح امنا وامرنا الى الله سلمنا وعلى الله توكلنا من اين كنا حتى اتصلنا يا شاهين الرجل مديده على الشجرة وحضروه اهل الواسطة واكل نصيبه الذى له فى عالم الغيب واجتمع على الجماعة الذين لا قبلهم ولا بعدهم وأخذوه فى وسطهم ولا بقى أحد يقدر يكلمه منهم ابداً قال وأنا اعطيه يطبل طيب قال الوزير ما الذى يطبل قال السلطان الرجل قال بده يفرح فبينما هم فى الـكلام واذا بعثمان طالع وهو يقول ياليل

رح يافلان الفلانى من هنا لفلان   قل له فلان الفلانى اعترف بفلان

والله لولا المحبة والصفا لفلان   لاقتل فلان الفلانى واقرن بفلان

سلام عليكم ياجدعان منا الفاتحة فى صحايفكم من الطاقة للعلاقة قال الصالح اهلا سهلا يا عثمان قال عثمان يا بوجوطه الجندى يسلم عليك وعلي ابو فرمه وارسلنى بكتابات لكم خذ اقرأه يابوافرمه اما كتاب الوزير فقال له الملك حطه فى جيبك ولا توريه لاحد ابدا ولالى واما كتابى انا اعطيه للقاضى يقرأه على ويسمعه على رؤس الاشهاد لاجل ما تسمع الناس فاخذ القاضى الكتاب وحله ونظر فيه واذا فى اوله شعر

محصد القلب حبكم   ايد الله مجـدكم

لو رأيـتم مكانـكم   فى فـؤادى لسركم

قصروا مدة الجفـا   طـول الله عمركم

(اما بعد) من العبد الاصغر والمحب الاكبر خادم الركاب كاتب الجواب بيبرس الى بين ايادى أمير المؤمنين وخادم قبر سيد المرسلين خليفة الله فى ارضه القائم بشريعة فرضه وسنة سيد ملوك بنى آدم وظل الله فى العالم نعرف السياده باننا نزلنا على المحلة فوجدنا الناس اذا ارادوا يتعدون الترعة من الشرق

الى الغرب او من الغرب الى الشرق فيرفعون ثيابهم لمنع المياه فيكشفوا على عورات بعضهم نساء ورجالا فتيقنت ان ذلك حرام واللعنة على الناظر والمنظور فانذرت على نفسى انى اذا نصرت على نجم البحرى ابنى قنطره في ذلك المكان رحمة للمؤمنين ولما انذرت وبلغنى الله ارادتى فاردت ان ابنى فانهدم البناء ليلا ثلاث مرات واصحاب الارض يمنعون وبعد ذلك توا سعفوا أهل الخير واقمنا الدعوة على يد من تعرفونه فحكم لنا بالبناء بشرط ان تكون النوبه شغاله والمزمار شغال فالمراد تساعدونا بارسال فردة طبل سلطانى ومزمار ملكى امتثالا لامر اصحاب الارض وهذا مالزم افدناكم والامر امركم اطال الله عمركم والسلام على من تظلله الغمام (ياساده) فلما قرأ القاضى الكتاب وعرف مافيه وميز معانيه نهض على الاقدام ونقض الاحكام وقال ايش ايش ياأمير المؤمنين ان هذا لايكون ابداً وما تكون النوبه التركى والمزمار الملكى الا لمن يكن فى صنجقية كاملة وبيبرس لايستحق ذلك لانه كاشف والكاشف لايقوم مقام الصنجقية فقال الملك ياقاضى والصنجقية كثير على ولدى بيبرس وعزة الله الا يلبس ولدى صنجق وعثمان نائبه لبسه ياوزير شاهين نيابه عن سيده كرك الصنجقية وهو يلبس سيده وارسل له نوبة كاملة وارسل له رد الجواب فقال الوزير سمعاً وطاعة ثم أن الوزير كتب له رد الجواب بامر الملك أن تم بناء القناطر بمعرفتك والكلفة على طرف السلطنة ومرسل اليك الكرك تكن صنجق كامل سلطانى امير مائة مقدم على جيوش الف وهذه النوبة الكاملة من طرف السلطنة قادمة اليك اؤمر بدقها كما تحب وتختار وعثمان البسه نيابة عنك وهو يلبسك الكرك والسلام (ياساده) ثم ان الوزير سلم الكتاب الى عثمان وقال له سلم على سيدك والبسه هذا الكرك وسلم اليه النوبة ثم ان الوزير أدعا الاونباشية

بتاعه وأمره ان يحضر أربعين مملوك يكون كبار مبشنين بخيالهم وسلاحهم
ويسافروا الى المحلة صحبة عثمان هدية من الوزير الى الدوانلى الامير بيبرس
وكان الامر كما ذكرنا وأخذ عثمان المماليك وسافر حتى انه قدم الى المحلة
وكانت المماليك بفراشاتهم وخدامهم فلما وصل عثمان الى المحلة أقام قريب
منها وكان الوزير اركبه على حصان والمماليك بصحبته ولما قرب عثمان من
المحلة أمر الفراشين ان ينصبوا الخيام فنصبوها وفرشوا الفراشات ووضعوا
الكراسى وجلس عثمان على صدر الصيوان وهو لابس هذا السكرك ومومى
برأسه الى الارض وقد احدقوا اليه بعض المشايخ ولم يعلموا من هو ثم ان
عثمان أمر بضرب النوبة التركى والمزمار الملكى فلما ضربت الطبول رجفت
العالم حتى كانه فرح كبير هذا جرى لعثمان (ياساده) وسمع الامير بيبرس
الطبول والكاسات والزمور فتعجب غاية العجب وسأل عن ذلك من اهل
المحلة فقالوا له لا نعلم بشىء من ذلك غير اننا رأينا صنجق اقبل من عند
السلطان ولكنه تركى مغلق لا يعرف ولا حرف عربى أبداً ولا يعرف
له كلام ومعه خدام ومماليك فقال بيبرس يكون مولانا السلطان استعظم على
كون انى طلبت فردة نوبة لاجل بناية القنطرة والنوبة ما تكون الا للصنجق
فارسل الى المحلة صنجقا من طرفه لولاية الغربية وعزلنى أنا ولكن الصواب
انى أركب واكشف هذا الامر بنفسى ثم انه نهض على الاقدام وسار فى
نفر قليل ولم يزل سائر الى ان وصل الى ذلك الخيام فامر من معه بالتأخر
عنه فتأخروا عنه ودخل بيبرس الى داخل الخيمة الكبيرة ولما قارب الصنجق
تمنى بين يديه وقال له باللسان العجمي انت يا امير اقبلت من عند أمير
المؤمنين لاجل ان تتولى مكانى فلم يرد عليه جواب فقال بيبرس فى نفسه
يكون لم يعرف بهذا اللسان ثم انه قال له بالتركى كما نرد ياامير انت حضرت

صنجق على الغربية فلم يرد عليه جواب فكلمه بالعربى فلم يرد عليه جواب فتأخر الامير بيبرس الى ورائه وصبر نحو ساعتين وهو واقف بين يديه حتى انه كل من الوقوف فقال له ائذن لى ان كنت ارحل او اقيم وتقدم اليه ومد يده اليه فاعطاه يده عند ذلك اخذ بيبرس يد عثمان وباسها وتاخر ثم اعاد عليه القول فرفع رأسه وهزها واماً وثانيا الى الارض كل هذا وهو لا يدرى ولا يعلم بان هذا عثمان ابن الحبله فلما اعياه الامر عن ذلك قال انى اريد الرحيل واذا به صاح عليه وقال له انت تقول ايس يامفش فقال له الامير انت من فقال له انا عثمان ابن الحبله الذى بيتنا فى المراغة والقبر الطويل وعبدنا اسمه فرج على باب بيتنا قنديل فقال له يارجل اماتخاف الله تعالى لاى شيء اتعبتنى وانا واقف بين يديك واتمنى عليك واقبل يديك مرارا واعيانى الوقوف قال عثمان ومن قال لك اقف فقال له قم من مكانك ثم صاح فيه قال عثمان خذ المماليك الله يسامحك والطبل هو عندك وخذ تقفطن جاتك داهية ثم ارمى له الكرك واعطاه الكتاب الذى بخط الوزير واذا به من الوزير الاكبر الى المحب الافخر ولدى الامير بيبرس حضر عثمان بجوابك وقضينالك مرادك وارسلنا لك كرك صنجقية عند ابى القاضى لانه قال السلطان ان النوبة لا تدق الاعلى رأس صنجق فامر السلطان بارسال الكرك اليك على يد عثمان وان تكون صنجق على اغاضته وقادم لك النوبة وايضا اربعين مملوك من عند ابيك يخدموك وذمتهم سالمين فلما قرأ الكتاب بيبرس فرح فرحا شديدا سجد شكرا لله تعالى ثم قال ياعثمان انا مالى ومال القاضى قال عثمان هذا عدو الاسلام وحبيب الكفار فقال الامير يارحل اتق الله قال عثمان بخاطرك (قال الراوى) ثم ان بيبرس شرع فى ادارة البنيان والطبول تدق والزمور كذلك ولكن مع الاجتهاد نقلت الرواية انها تمت

في اربعة أشهر وتسعة ايام ابتداها ثلاثة عشر فى الحجة سنة ٦٠٣ بعد الهجرة النبوية لانه طلع من العيد الا كبر واقام في البناء لغاية اثنين وعشرين من الربيع الآخر سنة ٦٠٤ من الهجرة وطلعت هذه القنطرة غاية ونهاية وصار لها رونق وكل من رآها يقول رحمة الله على من صنعها وبعد ذلك شرع فى بناء المقام المشهور الى الشيخ على الفوال ولما تم بناءه حكم ما اعلمه الاستاذ وفرغ منه ثم اقام ايام قلايل بالمحلة وأخذ المعمارجيه وتوجه الى طنطا ولما وصل اليها دخل الى جامع البوصه وطلع عليه فرأى مولانا السيد البدوى جالس يوحد الله تعالى فسلم عليه وقبل يديه فاجلسه الى جانبه وكان عثمان معه فقال له السيد انا لحظتك يوم الخلوة وكذلك الرجال اصحاب الاحوال وانت منصور وقد اتخذتك ولدى ولى معك مقابلة سبع مرات أولها قابلتك يوم طعام الكشك وانت مريض والثانية يوم الجمعة في جبل قاف وهذه الثالثة قد يدك انت ولدى بمقام عهد الله والله على خلقه من الشاهدين الطاعة تجمعنا والمعصية تفرقنا فقال عثمان عشقته يا اقرع فاشار عليه السلطان بيده فوقع الى الارض ولكن لاحظه السيد بنظارة عظيمة فصار عثمان معه لحظات اربع اولها من السيدة نفيسة العلم والثانية من الخضر عليه السلام والثالثة من الصالح ايوب رضى الله عنه والرابعة من السلطان شيخ العرب السيد احمد البدوى وله لحظات خلا ذلك منها لحظة قطب الدايرة ولحظة سيدى عبد القادر ثم غيرهما من الابطال ولكن سوف نذكر كل شيء فى مكانه وكون ان عثمان يتم له الولاية ويصير من الخواص المصطفين (ياساده) ثم انه السيد البدوى قال للامير اركب جوادك وسر به الى ارض طنطا الى ان يقف الجواد وحده بقدرة الله تعالى فانزل عنه وتامل في الارض تجد خوصه نبته في الارض مكتوب عليها

بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله فاذا رأيت هذه العلامة فهناك
يكون مقامي قال الامير بيبرس سمعا وطاعة فقال عبد العال واجعل
مقامي عن يمينه من داخل الجامع وقال السيد مجاهد وانا على اليسار وكذلك
الجوهري قال وانا على راس الوادي فقال سمعاً وطاعة ثم اشار على عثمان
فافاق من غشوته وصار مع سيده وسار قطب عصره ولم يزالوا سائرين
الى ان وقف الجواد فنزل الامير بيبرس الى الارض وتأمل واذا به وجد
العلامة التي قال له عليها فشرع في البنيان وبنى المقامات والجامع والمأذنتين
ووقف اهم الاماكن وعمل واجتهد وقد بلغ في البناء اكثر من نصف سنة
وكان الوكيل على البناء سيدى على المليجي الوصال وكان اذا عجبه حجر من الاحجار
حذفه الى بلده مليج هذا والسيد يعلم منه ذلك واذا اتى الى العمارة يقول له وصلت
ياوصال (يا ساده) ويقال ان كل الاولياء يجاملون السيد البدوى ويساعدونه
في البناء وكل من أتى يكتبه عبد العال والذى يغيب يخبر عنه ويقول فلان
لا اتا الينا فكان من جملة من غاب سيدى اسماعيل الانبابي فلما ذكره عبد
العال بلغه ذلك من نقيب الاولياء لان السيد أرسله له يقول له لاى شيء
ما أتيت فعند ذلك ركب الصخرة وسار بها في البحر فلما رأوه أهل بلده
ساروا يقولون له حيدر ياراكب الحجر فدعا عليهم بالحضار كما استهزؤا به
وسار الى ان وصل الى السيد احمد البدوى فقال له لاى شيء ما أتيت فقال
جيت راكب الصخرة فقال وعزة الله انت راكبها وايدى من تحتها ولكن
انى أتيت واريد ان اشتغل فقال سمعاً وطاعة لكن بالاجرة ويكون شغلى
في القبة فقط قال السيد له وهو كذلك فاخذ سيدى اسماعيل قصرية ووضع
فيها النصف طين والنصف طوب وقعد بجانب القبة ودام البنا يقعد حتى
تمت القبة ولم تفرغ تلك القصرية وهو واضعها على الاشغال ولما تكاملت

عقد القبة ولا بقا شيء فقال يا شيخ العرب احسب لي اجرتي فقدر له السيد سنوى خمسة وعشرين غرشا وسبعة جدد فقال له هذه أجرتي واين ثمن التالية فقال له قد جعلت السبعة جدد ثمنها فقال لي عليك ذلك ياشيخ العرب ما دامت القبة موجودة فقال لك علي ذلك فيقال والله اعلم ان سيدى احمد البدوى يرسلهم في كل عام الى سيدى اسماعيل الانبابى وذلك ان خادم سيدى اسماعيل يجدهم من العام الى العام داخل صندوق النذور ثم بعد تمام ذلك الاحوال استأذنوا سائر الاولياء في المسير فاذن لهم الاستاذ بالانصراف ودعا لهم وساروا الى حال سبيلهم فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من الامير بيبرس فانه لما تهيأ الفراغ من تلك الاشغال شرع في المولد الكبير وهو المشهور في سائر الاقطار وقد رسمه عشرين يوما ثم ان الامير بعد ذلك سار طالب ارض المحلة وذلك بعد ان قرأ الفاتحة واستأذن وسار الى مقام الاستاذ الجوهرى فبناه واشهره لكل من يراه وسار بعد الاساتذة طالب المحلة وتلك الاوطان فبينما هو سائر واذا قد اخذه العطش والظمأ ولم يجد في مسيره الماء فسار قليل وتأمل واذا به يرى في طريقه زيرين مليانين بالماء الزلال فصاح بعثمان اسقني الماء ياعثمان فلم يرد عليه عثمان فصاح به الثانية والثالثة فقال له اعلم ان صاحب الماء رجل بخيل ولم يرض ان يسقيك فقال له لاي شيء ياعثمان اما هو سبيل يشرب منه الغنى والفقير والجليل والحقير فقال عثمان سبيل لغيرك واما انت فما لك عليه سبيل أبداً فصاح فيه املا الكوز انت ولايخصك شيء فقال عثمان جاتك داهية ابن الخرا لا يصدق حتى يرا ثم تقدم عثمان وملا الكوز وناوله اليه واذا به فارغ فتعجب من ذلك وأخذه الفزع فبينما هو كذلك واذا برجل قد خرج اليه من خلف الابار عليه دلو مرقع وبيده جريدة عليها شوك وله ثلاث

ضفائر من الشعر وهو مكشوف الرأس وقال له السلام عليكم ياسيدى بيبرس ما اسم
الكريم فعند ذلك أخذته الهيبة وتحول من على جواده وأقبل الى عند
ذلك الرجل وقبل يده فقال له انت تريد ترتب علينا ترتيب ونحن ناس فقراء
على باب الله تعالى وانت ان رتبت علينا هذه الشربة لابد لغيرك ان يفعل
مثل فعلك فوعزة الله لا كان ذلك ابدا وان كان ولا بد من شربك الماء فتملا
هذا الكوز ذهبا حتى ان الترتيب يكون عليك لاعلينا فقال له سمعا وطاعة
ثم ان الامير ملا الكوز ذهبا وكتب بذلك سجلى على كل من يتولى المحلة
ثم ان الامير شرب وقبل يد الاستاذ وقال ياسيدى ما أنت من عباد الله
الصالحين فقال له يارجل أنا الفقير الى الله تعالى عوف ابو الليف فقال
له سألتك بالله الا ما دعوت لى فقال له الله تعالى ينصرك على الاعداء ويعمر
بك البلاد ويرشد بقدومك العباد ففرح الأمير بذلك الدعوات وانصرف
الى حال سبيله وصارت هذه العادة مرتبة للشيخ ابو الليف ولم يزل الامير
فى سرور وحظ الى ان وصل الى ارض المحلة ونزل في دار عزه ومجده
وقد تذكر ما من الله به عليه فصار يترنم بهذه الابيات ويقول

أعانني ربي حتى بلغت مآربي ... وأعطاني فضلا جميلا زايدا
واسعدنى ربى حتى قضيت حاجتى ... بفضل على رغم أنوف العدا
والتقيت بآل كرام كلاهم ... من آل بيت النبى محمدا
ونجم سعدى قد تلالا مشرق ... وعلا فوق السماء وفرقدا
وقتلت خضرونجم وجيشهم ... وسقيتهم بهتى كاس الردى
ولقيتهم وضربتهم وهلكتهم ... وساعدنى سعدى بكل ترشدا
وعلى العمار ربى أعاننى ... من بعد ما كان الينا تهددا
وأثبت قولى وأبطل مقالهم ... بحكمة قيوم فى علاه تمجدا

وبنيت مارمت حقاً من البنا ... وأرجوا العفو فى يوم الردى
وقابلت اقواما كرام العطـا ... والتمست منهم كل النـدا
وعمرت أرضا للثواب وانى ... نشأت ثوابا يرتجى طول المدى
وبنيت بالمحلة ثم بغيرها ... قناطر تبتغى رشـاداً وسؤددا
وبنيت المقـامات لاهلها ... وعمرتها بذكر الله مع أهل الهدى
ونصرنى الرحمن جل جلاله ... وزادنى فضلا على رغم العدا
ومن الله أرجوا ان يعيننى ... على الخيرات في طول المدى
وصل ياالهى على المصطفى ... احمد رسول الله جاء بالهدى
كذا الآل والاصحاب جميعا باسرهم ... ما طلعت الافلاك أو نزل الندا
كذا التابعين لامرهم ولقولهم ... وكل محبيهم يجوا غـدا

(قال الراوى) ولما فرغ بيبرس من مقاله وما أبداه من أقواله جلس فى مكانه يسبح الله تعالى الذى خلقـه وصوره وينقش الواح الخط على صدره مدة من الايام فيوم من بعض الايام بينما هو جالس واذا قد دخل عليه عشرة رجال يقدمهم رجل عالى المقـدار فلما وقعت العين على العين قبلوا الارض بين يدى الامير بيبرس وسلموا عليـه وقالوا أيها الامير قد جئناك مستغيثين وبك مستجيرين ومما نزل بنا خائفين فلا تردنا خائبين فقال لهم وكيف ذلك ومن انتم ومن أين اقبلتم فقالوا له نحن من بلد يقال لها بطينـة ونحن أكابرها وهذا شيخ البلد وما جئنا اليك الا بامر عجيب وسماع غريب فقال لهم وما هو فقالوا له اعلم ايها الامير انه قد ظهر عنـدنا غول مهول وذلك الغول على صفة الآدميين [illegible] كريه الخلقة غليظ البشرة كل ما مر بشىء يأكله وكل ما مر [illegible] رأى شيئاً يفسده ولا يعرف الشبع ولا يدرى الجزع [illegible] فى طريقه أهلكه

وقد اجتمعنا عليه مراراً ونحن في عصبة عظيمة فلا وجدنا به من طاقة فلما أعيانا الامر قال لنا هذا الشيخ ان أردتم ان ينصركم الله تعالى على هذا الغول فيكون ذلك على يد الامير الذى بنا مقام سيدى أحمد البدوى لانه رجل منصور وعدوه مقهور فقلنا له قد نظرت موضع النظر وهذا هو الامر المدبر ثم اننا اتينا اليك ووقفنا بين يديك واعرضنا ذلك القول عليك والسلام (قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام العجيب كاد ذهنه أن يغيب ثم انه التفت الى عثمان وقال له خذ معك اخوتى السقورة الاثنين وسر بهم مع هؤلاء العشرة واقبضوا على هذا الغول الميشوم حتى أنظر ما يكون فى هذه الامور فاجاب بالسمع والطاعة ثم انهم ساروا من وقتهم وساعتهم وهم مهتمين في حاجتهم الى ان اقبلوا الى بطينة فلما استقر بهم القرار قال لهم عثمان انا لهذا الغول كفية وحق رب البرية فقالوا له السقورة وكيف تصنع قال لهم ان أردتم ان أقبضه لكم فاجعلونى في جلد جمل واربطوا علي وارمونى لهذا الغول وأنا من داخل الجلد فاذا وجدنى يأتى الى عندى فاذا أراد أن يقتلنى فاصيح عليكم وأكون قد مسكت يديه وأنتم تدركونى فتهجموا عليه وقد أخذناه والسلام (قال الراوى) فلما سمعوا كلامه ضحكوا عليه وقالوا له ياشيخ عثمان وكيف اننا نوضعك فى الجلد ونرميك الى التلف فى يد العدو ولكن ارح نفسك من هذا فالامر قريب وسوف ترى من افعالنا مايسر كل حبيب ثم ان الاثنين السقوره أمروا المشايخ ان يروجوا الطعام ففى ساعة الحال احضروه وبين ايديهم وضعوه فعند ذلك مزجوه بالبنج الطيارى وقالوا للرجال احملوا هذا الطعام واوضعوه في طريق هذا الغول ففعلوا ما أمروا به ففى ساعة الحال اقبل ذلك الغول وقد كرف رائحة الطعام فدنى منه باهتمام وجعل يأكل منه مثل الولهان

فما اتى على آخره حتى تمكن البنج من راسه وضمايره فسقط هاويا الى الارض ولم يعرف الطول من العرض فابتدر اليـه عثمان فوجده على هذا الشان فأوثقه كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وقد اجتمعت عليهم الناس واخـذهم من ذلك الفعال الوسواس وقد شاع الخبر في اهل البدو والحضر بقبض الغول وان الذى قبضه الامير بيبرس كاشف المحلة ولا بد ان يقتله ويريح النـاس من فعايله (ياساده) ولم يزالوا به الى ان اتوا به الى الامير وهو كانه البرج الـكبير فلما نظره الامير تأسف عليه وحزن وبكى عليه وقال كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والله لو كان هذا عاقلا على نفسه رشيداً في امره لـكان الاسلام احق واولى به لانى ارى علامة الشجاعة بين عينيه والفروسية ظاهرة عليه وانما لـكثرة هواه موته خير له من حياه ثم ان الامير قال خـذوه واقتلوه ولا تبقوه فتقدم اليه سقر الهجام واوثقه كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وغم عينيه وارماه في نطعة الدم واعطاه ضد البنج عطس وافاق لنفسـه فوجد نفسه هكذا فتقدم اليه ليقضى عليـه فبينما هو على ذلك واذا قـد اقبلت امراة وهى عابسة الوجه ضايعة الحواس واقبلت حتى وقفت بين يدى الامير وهى تنادى لاتظلمنى ايها الامير ولا تجارى على وما منـا الا يقول لااله الا الله محمد رسول الله ﷺ انت يا امير تقتل الاشراف وتسبي الاحرار وتفعل فعال الفجار فقال الامير وقد تعجب من قولها اعوذ بالله مماذكرتى اخبرينى ماالسبب فى ذلك وما تكون قصتك وحالك فجعلت تتكلم بهذه الابيات

الله ناصر لـكل موحدى	ومخذل لـكل طاغى وظالم
ومبيـد اهل الظلم والردا	وآخذ للخلق كل المظالم
ومخذل اهل الـكفر منه بعدله	وآخذ بيد المظلوم المتقادم

فلابد ان يصبح المظلوم في غبرة ... ولا بد للظالم ان يصبح نادم
قد امر بالعدل في قوله ... وامر المختار حقاً بنصر مظلم
وانتم ولاة الامر من اهل الورى ... وانتم طعام الارض والطمع عادم
فخذ بيدى واسمع دعوتى ... واصغى مقالى وكن لى فاهم
مظلومة من الايام حقا وغيرها ... ومنك ايضا ظلومتى ومأثم
هذا شريف الاصل سيد قومه ... وانه شريف من رجال اكارم
له الفخر والاعزاز فى كل موطن ... له الشرف العالى في المقادم
له نسب متصل بخير الورى ... احمد المختار نبينا الهاشمى
تريد قتله ظلما بغير جناية ... وتلاقي الله يوم القيامة ظالم
من اين تجد سبيلا للنجاة ... ومن أين تخلص من يدى الحاكم
فاعتدل ولا تجور وتعتدى ... واخشى كريما ولا تكون مخاصم
وقدم بين يديك لله حقه ... ولا تكون ظلوما فتبقى نادم
امر الله بالعدل فى قوله ... وانت على غاية ومفاهم
كيف تقتل شريفاً مفضلا ... وتحرق فؤادى وانفى راغم
فلى حديث تعجب منه الورى ... ويحير فيه كل ذى فطنة وتكارم
وهذا سؤالى قد اخبرتك به ... والله ربى شاهداً ثم عالم
فانا التى شتت البين عزوتى ... واسقانى كؤوس العلاقم

(قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس كلامها وما ابدته من نثرها ونظامها ولع لسماع قولها ورق لحالها وأخذ بخاطرها وطيب قلبها وأمرها بالجلوس بين يديه وصبر عليها حتى افاقت من غشوتها على نفسها وقال لهم اتركوا هذا الرجل حتى نسمع كلام هذه الحرمة فعندها تأخر عنه سقر الهجان ثم ان الامير بيبرس قال لتلك الحرمة اخبريني عن سبب

ظلومتك وما تكون قصتك وبليتك فقالت له اريد منك ثلاث روق ذهنك والق سمعك واكثر من الصلاة والسلام على النبي الكريم فقال الامير صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين وسلم تسليما فقالت له اعلم انه قد ورد ببلدنا رجل من اولاد اسماعيل يقال له المقدم عون وكان هذا الرجل فقير الحال فاقبل الى الميضة وبات فيها تلك الليلة وذلك من شدة فقره فبالامر المقدر جاء بعض الفلاحين يشكون الى شيخ البلد ان الغيطان قد سرقت منها الحبوب وكذلك البهائم قد سرقت من البيوت فلما سمع الشيخ منهم ذلك المقال قال لهم ومن فعل منهم هذه الفعال فقالوا له ان البلد التي اقصانا يغورون علينا ويهجموا علينا ويأخذون بهائمنا وهم الآن سائرين بمتاعنا ومواشينا فتحير الشيخ وصار يضرب كف على كف ويقول نحن مالنا طاقة بأهل هذه البلد وما يكون الحل في ذلك الامر والزلل فقدم اليه المقدم عون وقال له ياهذا لا تخف ولا تحزن ولا تتأسف فأنا قد اكلت من طعامكم وشربت من شرابكم والآن وجب علي اكرامكم وارد مواشيكم اليكم لانه يقال عيب على راعي الحما وهو قادر اذا ضاع في البيداء عقال بعير فلا بد ما ارد لكم ضالتكم واكسر شركة اعدائكم ثم انه نهض في اربعة انفار من أهل البلد وسار خلف اللصوص ولم يزل سائر والاربعة يدلون به حتى ادرك اللصوص وقد سبقهم واستقبل وجوههم وجرد حسامه وصاح فيهم الله اكبر فتح الله ونصر وصار يضرب فيهم يمينا ويسارا حتى فرق جموعهم في القفار وقد تعجب منه الانفار ورد الضالة على أهلها ولم ينقص منها شيء ورجع بعد ذلك ولم يأخذه تعب ولا ملل ولا شقاء ولا فشل فلما استقر قراره وقد فرح به الشيخ والرجال الامار [illegible] قدموا اليه وقالوا له ايها السيد الكريم والبطل العظيم هل لنا في جنابك [illegible] وزمامك مرتع ان تقيم عندنا وتكون في اعيننا وتغفر غيطاننا وبعد

تناولك منا مايكفيك من الاجرة وما تقره عينيك فأجابهم الى ذلك وتولى
الغفر وأخذ وأعطى وقد صارت البلدة محفوظة بسبب هذا الرجل فلما تكامل
ذلك العام جمع ماله من الزراعات والعوائد والخيرات فكان شيء كثير ثم انه اراد
الزواج فخطبني من أهلي ففرحوا به واكرموه بي فقعد عندي وادى مهري
ودخل بي فحملت منه بذلك الغلام الذي بين يديك واقام معي بعد الحمل ثلاث
سنوات وتوفي الى رحمة الله تعالى وقدر عليه بكأس الممات فاوفيت شهوري
ووضعت هذا الغلام فطلع فارس لايطاق وعلقمامر المذاق ثم انهم اكرموني
واكرموه وذلك لاجل خاطر ابيه الى ان بلغ مبالغ الرجال وصار له قول
واحوال فاقاموه محل ابيه وكل ماأتاه نقتات به انا واياه فيوم من الايام بينما هو
ساير بين البيوت والغيطان فرأى رجل زارع مقاتة خيار فقال له انني لم آخذ شيء
على هذا المكان فقال له ذلك الرجل ياسيدي الارض ارض الله والزرع لله
والخلق خلق الله والامر امر الله وانا لم احط غفرا ابدا فقال له ولدي وقد سميته
ناصر الدين عون صدقت ياشيخ نجم ثم انه تركه ومضى عنه ولكنه اضمر له الخيانة
في سره فلما جن الليل نزل والدي على مقاتة الرجل وجعل يقطع هذا ويأكل
هذا ويقلع هذا حتى اخرب له المقاتة كلها وبعد ذلك اراد الانصراف واذا بالرجل
قد اقبل وقال له قد اكلت الخيار ولا ابقيت له اثار ولكن روح بلاك الله بالقحط
والاضرار ثم تركه وسار الى حال سبيله فلا احدا يراه ياسيدي ثم ان ولدي اقبل
علي وقال لي يابي انا جيعان فقدمت اليه الاكل فصاح انا جيعان ولم ازل كلما
اوضع له شيء يأكله ويصيح انا جيعان حتى اكل كل ما عندي ثم انه بعد ذلك
خرج من عندي وكل ما مر يقوم يأكل ماعندهم ورحل الى غيرهم وقد سموه
الغول وقد اخافوه اهل البلاد وكل العباد ولم يزل كذلك حتى شاع ذكرك
ونصرك الله على خصمك شكوا اليك هذا الامر فارسلوا اليه احضرته الى

بين يديك واردت قتله وقد شاع في البلد ان الامير بيبرس يريد ان يقتل الراجل المستغول فلما بلغنى ذلك اتيت اليك وسألتنى اخبرتك وهذه حكايتى والسبب وحق من على العرش احتجب (قال الراوى) فلما سمع الامير ذلك الكلام قام الى الحرمة وقبل رأسها وقال لها لا بأس عليك ياسيدتى قومى وروحى الى المكان وسوف ترى ولدك احسن مما كان بعون الله الملك الديان فعند ذلك دعت له بالنصر والظفر وانصرفت الى حال سبيلها على ذلك الامر وقد حمدت ربها على نجاة ولدها وايقنت بذهاب صبرها وبأسها فهذا ما كان من امرها (قال الراوى) واما ماكان من امر ولدها والامير بيبرس فانه يذكر كلام سيدى احمد البدوى سلطان الرجال الكرام لما قال له دع هذا النوى معك فانه ينفع لداء القحط وحق الذى خلقك وقد سبق ذلك فى ديواننا الذى تقدم قبل هذا الديوان وكل شيء له اوان (ياساده) ياكرام يااهل الخيرات صلوا على سيد السادات فاخرج من ذلك سبع نوايات وجمعهما بيده وسحقهما وعجنهما بالعسل النحل الابيض وأمر باحضار فطيرة معجونة بالسمن البقرى وجعل عليها ذلك العسل الممزوج بالنوى وقدمها الى ذلك الرجل فلما اكلها أخذه النوم فنام فلما استيقظ من منامه كان الامير بيبرس عمل له فطيرة أخرى فاكلها ونام وكذلك الثالثة فلما افاق من النوم قال الامير ائتوه بالطعام فاتوا بالطعام فاكل منه قدر رغيف وقال الحمد لله رب العالمين اشهد ان لااله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله أين أنا فقال له الامير انت عندنا فقال لهم اعلموا يا اخوانى انى قد عافانى الله تعالى من جميع ما اجده من هذا الجوع فقال له الامير ما عندك داء أبداً هذا وقد قاموا اليه اولاد اسماعيل وسلموا عليه سلام الاحبة والخايل وقالوا هذا اخينا ومنا وابن عمنا ومن دمنا ولحمنا ثم انهم قلدوه بالسلاح وانعم عليه الامير ولبسه بدلة عظيمة

لها قدر وقيمة وأمر له بتزيين داره وعلو مقامه وذهابا كداره فاقام فى خدمة
الامير ايام وقد بلغ امه ذلك ففرحت غاية الفرح واتسع صدرها وانشرح
وقبل المقدم ناصرالدين عوف يد الامير واستأذنه فى المسير فأذن له فسار
الى ما كان عليه من الغفر وقد ابراه الله من الضرر وعافاه من ذلك الامر
المنكر فهذا يكون له ذكر اذا هو من اللاجج قد ظهر وبان أمره واشتهر
(قال الراوى) ويرجع النص والكلام العجيب الى ما يحصل من اللعين
الكثيب القاضى المريب وذلك ان ايبك التركمانى جلس فى بيته ولما اقبل الليل
ارسل الى القاضى احضره بين يديه فلما حضر قال له يامقبلة الزغل
ضيعت مالى واذهبت مصالحى وصحبتنى فقير بين الناس وذلك لاجل
هلاك بيبرس ولم يفيدمن ذلك شيء وانى الآن أريد ان أقتص منك
وامتنع من صحبتك التى ما هى الا خسارة فلما سمع القاضى كلامه
ضحك له وقال تأنى ايها الرجل البهلول ولا تكن فى أمرك عجول وسوف افعل
ما تقربه عينيك ثم انه اخرج دواة وسطر كتاب واعطاه الى غلامه منصور
وقال له ياولدى قد كبرت علتى وأكادت أن تنفطر مرارتى ولكن خذ هذا
الكتاب وسر به الى سمنود واعطيه الى قاضى سمنود وأمره ان يعمل
بما فيه وهات لى منه رد الجواب ثم انه ساره فى اذنه وقال له اعلم انه
من غلمانى وانه نصرانى وانا الذى وليته على ذلك المكان وعلمته على هذا
الامر والشان فسار به منصور وقد طوى الارض طى ونهب البر انتهاب
حتى وصل الى سمنود وسلم الكتاب للقاضى فحله وقراه واذا في اوله
صليب وفي آخره صليب وعنوانه صليب ونحن وأنتم نوحد الله الملك
القريب المجيب خطابا من شيخ الاراجيس وخليفة ابليس التعيس النحيس
الكلب القرنان المعلق من واحد واربعين قسيس من داخل كنيس الى

بين أيادي ولدي خنـاجر اعلم ياولدى انى جاءت لى دعوة وقد اخبرنى السيد المسيح والحواريون انها تقضي على يديك فحال قراءتك الـكتاب تصبر الى الليل وتسير الى المحله وتسأل على دار الـكاشف الذى بها وهو يقال له الامير بيبرس فاذا دلوك عليه فانزل واسرقه وسر به الى بين البلدين المحلة وسمنود واقطع راسه واخمد انفاسه ولك في نظير ذلك خمسين سنه زيادة في عمرك ومائة فدان في سقر شكر يامسيح والسلام (قال الراوى) وكان هـذا اللعين خنـاجر فاجر ابن فاجر يخوض الليل ويركب الخيل ويشن الغارات ويسرق الـكحل من العين والجديد من بين القميصين فلما قرأ الجواب قبله وجعله على رأسه وقال سمعا وطاعة لعالم الملة فسر انت يابرتقش اليه وسلم عليه وقبل يديه ورجليه وقل له انى فاعل كلما يطلبه منى فرجع البرتقش من عنده فلما وصل الى استاذه اخبره بما جرى ففرح اللعين بذلك فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من امر اللعين خناجر فانه صبر الى الليل وسار الى المحله وعرف المـكان واكمن هناك الى ان تنام الناس فهذا ما كان منه

تم الجزء التاسع ويليه الجزء العاشر وأوله سرقة اللعين خناجر الامير بيبرس وهو نائم وماجرى بينهما من الامور المهمة العجيبة



سيرة الظاهر بيبرس

اكبر تاريخ لمصر والشام

الذى جمع احوالهما وعوائد اهلهما وماوقع بهما من الحروب والحيل والخداع وما كان بهما من العجائب والغرائب التى حيرت النبلاء وادهشت عقول الاذكياء وهذا التاريخ جامع لهذه الاحوال من سنة (٦٠٠) من الهجرة واخبار ملك مصر والشام من ابتداء ايام الملك العادل يوسف صلاح الدين الايوبى اول الملوك الايوبية وشجرة الدر والمماليك خصوصا ما وقع فى زمن الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة السلطان محمود الظاهر بيبرس

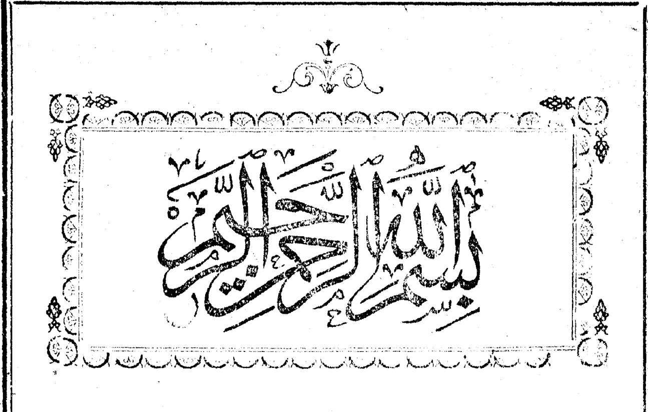
تاليف الديناري والدويدارى وامير الجيش المشهور بكاتم السر رضى الله عنهم اجمعين

وهى مقسمة خمسين جزء

الجزء العاشر

الطبعة الاولى — سنة ١٣٢٦ هـ — و١٩٠٨ ف

طبعت على نفقة الحاج مراد دريال تباع بالمكتبة العلمية العمومية بشارع الحلوجى بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسينى



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قال الراوى) واما ماكان من امر بيبرس وعثمان فانه دخل على سيده فرآه جالس يقرأ فى القرآن الشريف فقال عثمان سلام عليكم قال الامير عليك السلام قال عثمان قم بنا نلعب استقومانة قال بيبرس انا ما العب قال عثمان نلعب السيجه قال له لا العب شيئاً قال عثمان ياشقر خلينا الليلة بلا نوم ودعنا نقضيها بالسهر والضحك واللعب فقال له اتركنى وامضى الى حال سبيلك فقال عثمان انت الاخر حالك داهيه من عند الله ولكن مدركاك الالطاف الخفية ثم صاح عثمان بعلو صوته يانفيسة العلم احضرى له وتركه ونزل الى حال سبيله فهذا ماكان من عثمان (قال الراوى) واما ماكان من امر الامير بيبرس فانه بعد ان فرغ من القراءة تخفف من ملابسه ودخل الى محل نومه فنام وتوكل على العليم العلام الرحيم الرحمن ولم يدر ما كتب له من قديم الزمان على رأى من قال هذين البيتين صلوا على سيد الثقلين

امنتم وحكمتم واغتررتم بمهلة   وامنتم الدهر وهو خؤون

خذوا حذركم من نكبة الدهر انها   اذا لم تكن كانت فسوف تكون

(قال الراوى) فلما استقر به المنام نزل عليه اللعين وقد اقبل وافرد على وجهه منديل مطبق بالبنج الطيار فألقى النوم على النوم واقتلع به بعد ذلك ولم يزل ساير الى بين البلدين ثم انه القاه الى الارض وأوثقه كتاف وتشبحه في الارض وأعطاه ضد البنج عطس فقال الحمد لله رب العالمين أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أنا فى اى مكان فقال له اللعين انت عندى يا كناس يا مرفوص فقال له الامير ايش انت قال له انا ايش أبصر انا ايش انا خناجر عايق بلاد الروم قال له ومالك ومالى ومن سلطك علي قال له سلطنى عالم الملة جوان وقد اكرانى على قتلك قال اذا كان هو اكراك على قتلي بعشرة آلاف انا اعطيك عشرين ولك منى الامان قال له يا كناس اعطانى مائة سنة زياده فى عمرى وعشرين فدان في سقر والوادى الاحمر وانت ايش راح تعطيني قول كلمتك عند المنتار قال له تأخر عنى حتى اطلب الفرج من صاحب الفرج قال اللعين من اين يجيك الفرج يا كناس وقد وقعت فى ضيق الانفاس وما بقى لك من يدى خلاص قال له تأخر يا ملعون حتى أطلب الفرج ممن لا تراه العيون فجعل اللعين يهزأ به ويقول تعالى اليه يا سيدى فرج ثم تأخر اللعين عنه والامير رفع طرفه الى السماء فنية الدعاء وقال

الهى انت الملاذ بما	قد نزل بي من المصايب
وانت القدير على الامر كله	وقد حارت الافكار من كل حاسب
فضلك لا يحصيه كل الورى	لا ولا يعدونه كل الكواتب
ففرج عنى كربتى مع شدتى	وما بليت به من نكايب
واصرف عنى الهم والغم كله	ورسل لى فرجا غير ذاهب

وكف عنى ذا اللعين وكيده　وابليه يامولاى بالمصايب
لانه عندى شديد كافر　من نسل قوم لئام كواذب
انى توسلت اليك بخير الورى　طه رسول الحبيب الغالب
عليه صلاة مع سلام دائما　ماطلعت الاقمار من كل جانب
كذا الآل والاصحاب كامل جمعهم　هم السادات الكرام الاطايب

(قال الراوى) فلما تم الامير دعاءه وتضرعه الى مولاه حتى صرخ اللعين صرخة مرعبة ادوى منها البر الاقفر وقال فى صراخه واى كانه الليث الغضنفر فتأمل الامير رأى اللعين وقع الى الارض قتيل وفي دماه جديل يختبط بيداه ورجلاه وبعد قليل يطل حسه وخمد نفسه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار هذا وقد تعجب الامير من ذلك غاية العجب ولم يقف على حد السبب (قال الراوى) وكان لذلك سبب عجيب وامر مطرب بديع غريب نريد ان نسوقه على الترتيب حتى ان المستمع يلذ ويطيب بعد الف صلاة والف سلام ترضى النبى الحبيب الذى من صلى عليه فليس يخيب وكيف يخيب وهو يصلى على النبى الحبيب وذلك ياخوانى ان الله من كرمه واحسانه وفضله وامتنانه يخلق الفرج من قلب الضيق ويخلق اليسر من العسر فتأملوا ياأهل التحقيق وانظروا هذا الفرج الذى قد خرج من عين الضيق وذلك ان اللعين خناجر لما ان تأخر عن الامير بيبرس حين طلب الفرج فبالامر المقدر والبلاء المحرر حصره البول حصراً قويا فاراد اللعين ان يريق الماء في ذلك البريه مثل اقرانه وهو واقف فلم ينزل منه الماء ابداً واخذه الحصر بزياده فجلس على كفيه واراق الماء فى شق هناك فخرج من ذلك الشق ثعبان كأنه قضيب البان ولدغ اللعين في محاشمه فصاح الصيحة التى ذكرناها وعجل الله بروحه الى النار فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى)

وأما ما كان من أمر الامير بيبرس فانه صبر حتى مضت عليه اكثر من ساعه وهو على تلك الحالة في البر وحيد وقد آلمه الكتاف فبينما هو كذلك اذ نظر رجلا فى البر وهو راكب على حمارة ويقول لها سيرى يامباركه باذن الله تعالى فسارت الى ان اقبلت الى ناحية الامير بيبرس ووقفت بقدرة الله تعالى الملك القدير وامتنعت من المسير فقال لها سيرى يامباركه فلم تنتقل ابداً فقال لها انت تعبتى من المسير ومن ركوبى عليك ولكن انا اخفف عنك ثم انه نزل عن ظهرها وخلع البردعة عنها ووضعها على رأسه وبعد ذلك ركب على ظهرها وقال لها الآن خففت عنك سيرى بقى فتعجب الامير من فعاله كل العجب وصاح كيف خففت عنها وها انت والبردعة عليها فالتفت اليه وقال له وايش تكون انت قال له رجل من خلق الله تعالى فقال له ولاى شىء انت هنا قال له إدركنى فانى رجل مظلوم وفعلوا بى العدا ما ترى فدنى منه وحل كتافه وقال له قم باذن الله تعالى واركب الحمارة حتى انى أوصلك الى ديارك وآخذ الاجرة قال له الامير سمعا وطاعة ثم انه اركبه وسار ماشى خلفه وهو لا يعلم من هو ولم يزل سائر الى ان اتى دواره فما صدق الامير ان يصل الى هناك حتى تحول عن الحمارة وصعد الى مكانه وترك الحمارة وصاحبها وقد القى الله عليه النسيان لانه كان تعبان من السهر وماقد اعتراه من ألم الكتاف فنام حتى طلع النهار فلما صلى الامير صلاة الصباح وجلس يقرا ورد الافتتاح وقد طال المطال على صاحب الحماره فقال للحماره اطلبى الى الامير بيبرس وانطقى بقدرة الله الواحد الاحد وقولى له هات أجرتنا فطلعت الحماره الى المقعد ونطقت وقالت له صاحبى يريد الاجره فلما سمع كلام الحماره نهض على الاقدام وتذكر الشيخ الذى خلصه واركبه الحماره فنزل مهرولا الى ان اقبل عليه فقبل

يده واعتذر اليه وطلب منه السماح فسامحه وقال له سامحك الله تعالى فقال له الامير ماتريد قال أريد ان تبنى لى مقامابارض مليج وانى انا قدسرقت الطوب من العمارة الكبيرة التى كانت بطنطا لانى كنت اذا اعجبنى حجر حذفته الى بلدى وأريد الآن انك تبنى لى مقام وتسميه باسمى انا الفقير الى الله تعالى على المليجى وترتب لى مولدا يكون قبل مولد السيد بجمعة واحدة وتكون هذه أجرتى منك واما اجرة الحماره فانت ترتب لها شيئا بمعرفتك كما تريد فقال له قد رتبت لها ستة فدادين من الطين من غير مال فى كل عام على كل من يلبس كاشف بالغربية ولا أحد يأخذ لهم مال ابداً فسميت حمارة الشناويه لان ذلك الطين كان بارض الشناويين من تلك المواضع ثم ان الامير أجاب الاستاذ الى ذلك وارسل المهندسين والبنايين وشرع فى ذلك المقام والمسجد العظيم الموجود الى الآن وبنا له مأذنتين وبعد الفراغ من هذه الاشغال شرع له في المولد ورتب له تراتيب وخيرات وكتب الطين للحمارة وذلك لاجل ان الله نجاه من عدوه فهذا ماكان من امر هؤلاء

(قال الراوى) واما ماكان من أمر اللعين جوان فانه مقيم ليلا في مكانه واذا برسول ايبك قد اقبل عليه وقال له أجب سيدى فقام اللعين ودخل عليه وهو يقرأ فى القرآن ويسبح الرحمن ويدعوا للاسلام فتزحزح له ايبك واجلسه الى جانبه فلما استقر به الجلوس قال له الى الآن ماشاع عن بيبرس خبر وما سمعنا عنه شيء وانت أوعدتنى بهلاكه وارسلت مكتوبا فما كان من أمره فقال له اعلم انى ارسلت اليه من يقتله فى كتابى الذى ارسلته ثم ارسلت بعد ذلك من يكشف لنا خبره ويقف على اثره وما اقول الا أنه قد قتل بين البلدين ولا بقيت تراه بالعين فبيناهم فى هذا

الـكلام واذا بالرسول الثانى الذى أرسله القاضى قد أقبل وهو على حالة مزعجة فقبل يد القاضى وقال له ماعندك من الاخبار فقال له اعلم انى سرت كما أمرتنى الى المـكان الذى عنه عرفتنى فلم أر لبيبرس فيه خبرا ولا وقعت له على جلية أو بل وجدت الرجل الذى ارسلت اليه الـكتاب طريحا هناك على التراب نهشته الوحوش والذئاب والدود قد تناثر من لحمه فلما عاينت ذلك تركته واقبلت اليك واخبرتك بما رأيت والسلام (ياساده) فلما سمع أيبك والقاضى ذلك عظم لديهم وكبر عليهم وكادوا أن يهلكوا انفسهم بايديهم وجعل ايبك يسب القاضى ويلومه ويقول له ماهذه الفعال الذى فعلتها وما هى الاوبال علينا وانت السبب في ذلك ووالله لقد كنت انت السبب فى هلاك أموالى وتعبى واشتغالى ولا بد ان اقتلك بيدى واقتل بعدك نفسى واسترح من هذا العنا والتعب يا أخس القضاة يامقلة الزغل الله أعلم انك جاور ياكاب قال فلما سمع القاضى ذلك منه ضحك له وجعل يصبره ويلاطفه ويقول له تأنى ولا تعجل فسوف ترى ولا بد ان يكون جميع مايملكه بيبرس لك وتحت يدك وكل ما صرفته انت فهو مقيد عندى في القرار المكين لا تخف لا تخف واعلمك ايضاً انه قد خطر ببالى شيئاً آخر وهو ان شاء الله تعالى فيه الصلاح لنا وسوف اطلعك عليها واعلمك به فقم بنا الآن من هاهنا ثم ان القاضى جعل يده فى يد ايبك بمكره ودهاه وأخذه وسار الى أن دخل البستان وهم الاثنين من غير زيادة هذا وقد جلس الامين على الساقية وأمر أيبك أن يدورها فسار ايبك يدور الساقية والقاضى يسطر فى كتاب فلما تهيأ الفراغ من كتابة الكتاب قال لايبك ارسل هذا الكتاب مع قراجو ابن اختك الذى كان محتسب بارض مصر وسلم اليه مخلة ملآنة

حديد قال له وما يصنع بذلك فقال له اسمع ماقد سطرت في كتابي هـذا ثم قرأه عليه واذا فيه الصلاة والسلام على من تظلله الغمام خطاباً من أمير المؤمنين ووارث النبيين وخادم الفقراء والمساكين الى بين ايادي بيبرس ساعة وصول تابعنا قراجو اليك توضع نفسك في الحديد وتسلم نفسك اليه وتسير معه الى عندنا لان عليك دعوة في الديوان ونريد أن نحققها فان كان لك الحق فلا بأس عليك وان كان عليك الحق فاما ان نسامحك او نقتص منك بالشريعة المحمدية والحذر ثم الحذر من المخالفة والسلام على نبي قد تظلله الغمام ثم ان الامين القاضي قال لايبك اريد منك شيئاً آخر قال له وما هو قال تأتي برجل ضايع يكون غريب من هـذه البلد وذلك اريد منه اصطناع ختم يشبه ختم الملك فقال سمعا وطاعة ثم انه ارسل الى رجل من مصر القديمة ليلا واحضره وقال له اجب مولانا القاضي في كل ماأمرك به فقال سمعا وطاعة ماتريد يامولانا فقال له ياولدي اعلم انك دخلت ديارنا وقد وجب اكرامك علينا ثم ان الامين اخرج له كيساً من الذهب ووضعه بين يديه وقال له خذ هذا فهو مني اليك هديه واعلم ياولدي انني قد وقعت في مصيبة عظيمه وذلك ان بعض الاعداء سرقوا ختم الملك الصالح نجم الدين ايوب وقد تهموني به ماريد انك تصنع لي ختما مثله وهيئته وشكله وانا بعد ذلك اتحايل على من يضعه في محله ويكون تاريخه من يوم مملكته لاجل ان لايشعر بذلك احدا من اهل دولته ويبقى لك الثواب في نجاتي من هذا الرجل وايضاً لك عندي ماتريده من الاموال ففرح الصايغ بذلك وقال له سمعا وطاعة وقد اصطنع له ماطلب من تلك الساعة واخذه منه واخرج كيساً آخر من الذهب وجعله بين يدي الرجل وقال له ياولدي اريد منك ان تكتم سري ولا تبيح

لاحد بامرى وعلى ذلك تعاهدنى وتأكل عيشى لاجل ان يكون ذلك مكتوما بيننا ولا احد يشعر به منك ولا منا ثم ان القاضى صاح يامنصور اين الطعام فاحضر له فى الحال فوضعه بين يدى هذا الرجل فاكل الرجل اول لقمة والثانيه واذا به قد تناثر لحمه وسقط شعره وخرجت روحه من بدنه فامر القاضى بالقاه فى جب هناك فى قاب الدار فهذا ماكان منه (قال الراوى) واما ما كان من ايبك فانه قال للقاضى وماتريد ان تفعل بهذا الختم فقال له نختم به هذا الكتاب ونجعله عندنا لاجل المهمات الصعاب فقال له ايبك ماهذا صواب والرأى عندى انك بعد ختم الكتاب تكسر هذا الختم لانه ربما يشيع عنا ذلك فيكون سبباً لهلاكنا فاجابه بالسمع والطاعة وختموا الكتاب وكسروا الختم واهلكوا الصايغ فهذا ماكان من امر هولاء (قال الراوى) واما ما كان من امر ايبك فانه قال للقاضى ولاى شيء كتبت ذلك الكتاب فوق الساقيه قال له اعلم انه اذا رآه بيبرس لايشك فيه ويظن انه خط الملك بيده لان الملك يده ترعش فدائما تموج الخط فاذا نظر بيبرس او غيره فلا يشك فيه ابدا لاسيما هذه الطرة الملكى والختم الملكى فاما سمع ايبك ذلك فرح واتسع صدره وانشرح وقال والله هذا تدبير جامد بس ايانك يصح هذا مثل الرز الذى بالمعجوة تأكل منه فلا تشبع قال له القاضى ارسل الى قراجو فارسل اليه ايبك فلما حضر قال له سر ياقراجو من هاهنا الى الغربية وتدخل على سبيل العجلة وتعطيه ذلك الكتاب بغير مهلة فاذا قرأه فلا بد ان يعمل بما فيه فيسلم فى نفسه اليك ويحط روحه فى القيود والاغلال فاذا سرت به الى وسط الفلاة فاقتله هناك وان أحداً قام لك دعوة او تكلم بكلمة فالعمدة علينا فقال سمعاً وطاعة ثم انه أخذ الكتاب والخلاة وركب الجواد وسار ولم يزل يجد فى المسير الى ان عبر الى المحلة فدخل على الامير

بيبرس وهو كانه النمرود بن كنعان فلما رآه الامير نهض له على الاقدام وسلم عليه سلام الاحباب الكرام فقال له اعلم انى ما اتيت اليك الا على سبيل العجلة فخذ هذا الكتاب واعمل بما فيه فاجابه الى ذلك وأخذ الكتاب وحله وقراه واذاهو بالخط الملكى والختم الملكى فقبله الامير وقراه واذا هو بما قد ذكرناه فقال الامير السمع والطاعة لله ولرسوله ولامير المؤمنين هذا وقد قال الامير اقراجو انزل ياسيدى حتى انك تستريح من تعب السفر وانا أجهز نفسى واسير معك على الاثر فقال له انا على عجل من أمرى فقال له سمعا على رأسنا وعيوننا ولكن بعد ان تأكل من زادنا ويصفى لك ودادنا ثم انه ما زال به حتى نزله واجلسه وخرج بعد ذلك الى عثمان واعاد عليه ماجرى فقال عثمان هذا رجل منقرش واعلم انه قريب القاضى فقال له ياعثمان دعنا من ذلك كله وانا ماعملت ذنبا ولا غيره حتى ان الملك يرسل يقبض على ويأمرنى بانى اسلم نفسى الى هذا الرجل فقال عثمان اعلم ان هذا منقرش قريب القاضى وان طاوعتنى اقتله ولا تسمع كلامه فقال ياعثمان هذا امر الملك الصالح لابد منه وان من الرأى ان اسير معه قال عثمان لا اخليك تسلم نفسك لخصمك أبداً والرأى عندى انى اركب انا هذه البردعة وأسير الى الملك واستقصى الخبر وآتى على سبيل العجلة فان كان هذا الامر صحيح فعلنا وامتثلنا وان كان هذ الامر غير صحيح دبرنا على قدر مانراه من الرأى والسلام فقال له الامير ياعثمان لقد نظرت موضع النظار وقات بالصواب واتيت بما لايعاب ثم انه ناوله الكتاب فأخذه وركب البردعة وسار يطوى الارض والمهمة حتى اقبل الى مصر هذا كله يجرى والامير يصانع قراجو ويمازحه ويسامره ويباسطه فهذا ماكان من امر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر عثمان فانه لم يزل سائر الى ان

دخل الى ارض مصر في وقت الغروب فقصد الى البساتين ودخل على
الاغا شاهين من غير دستور وصاح عثمان ياليل قال الوزير أهلا ومرحبا
بالشيخ عثمان قال عثمان لاأهلا ولا سهلا يابو فرمه احنا عملنا معك ايش من
المسيئات انت وابو جوطه حتى ترسل لنا هذه الورقة قال له والله ياعثمان
ماعلم بشيء من ذلك ابداً ولكن حدثنى ماالخبر فاعاد عليه القصة من اولها
الى آخرها وكشف له عن ظاهرها وباطنها ثم ناوله الكتاب فقراه وقال
ياعثمان هذه القضية لاوردت في الديوان ولا أعلم ان كان الملك كتب هذا
املا ولكن قم بنا ياعثمان حتى نمتحن الملك ونسمع كلامه فركب الوزير
فى عاجل الحال وركب عثمان وساروا من خلف قلعة الجبل وقرع الوزير
باب السر قالوا الغفر من بالباب قال الوزير شاهين ففتحوا له الباب فدخل هو
وعثمان وساروا الى قاعة مبيت السلطان فرأوا بابها مغلوق فوقفوا خلف الباب
وظنوا ان الملك نام فبينماهم كذلك واذا بالملك متوجها الى القبلة وهو يقول
اللهم انى امسيت اشهدك واشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك
انت الله لا اله الا انت وحدك لاشريك لك وان محمداً عبدك ورسولك الى
آخره ثم ان الملك بعد ان تم الدعاء قال جزاهم على الله والله العظيم انا
ما كتبت ولا أرسلت ولا أمرت ولا اعلم بشئ من ذلك ابداً ولكن قد
اوهبت قراجو الى بيبرس مالا ودما ولا احد يطالبه بديته والمؤمن عند قوله
ان قال صدق وان قيل صدق وان الاخ لايخون نويت اصلى العشاء الحاضر لله العظيم
الله اكبر فلما سمع الامير شاهين ذلك التفت الى عثمان وقال له سر بنا لان
هذه القضية لابقت تحتاج الى سؤال غير هذا ابدا وان الملك قد اخبرنا بها كما سمعنا
بآذاننا فسر الى سيدك وسلم عليه واخبره بذلك وأمره ان يقتل قراجو
وهذا خطى وختمى له على ذلك فقال عثمان حياك الله انت وابو جوطه

في هذه القتلة ثم أخذ الكتاب وجواب الوزير وسار ولم يزل سائر بطول ليلته حتى لاح الفجر وقد أتى الى باب المحلة ونزل عن البرغه واذا بها قد سقطت الى الارض ميتة فاغتاظ عليها عثمان وصعبت عليه وكبرت لديه واحضر السياس فغسلوها وكفنوها ودفنوها فى مقام هناك يقال له مقام البرغا وشرع فى المحزنة ودخل على سيده وهو يبكى فلما رآه الامير باكيا ظن ان كلام قراجو صحيح فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال ماذا عملت ياعثمان فقال له خذ هذه التذكرة من الوزير فحاها واذا فيها خطابا من الوزير الاكبر الى بين ايادى ولدى المحب الافخر الامير بيبرس اعلم ان الملك لا كتب ولا حجب ولا يعلم بشيء من ذلك القضية وهذه القصة زور محال وقد اوهب لك قراجو مالا ودما وحق من سلمت عليه الغزالة فلما سمع الامير ذلك فرح واستبشر والتفت الى عثمان وقال له لاى شيء يكون بكاك فاعاد عليه ماجرى من أمر البرغا وما اصابه من التعب والشقا وكيف انه غسلها وكفنها ودفنها فقال له دعنا من هذا كله واشترى غيرها ثم ان الامير نهض في عاجل الحال ودخل على قراجو وقال له من الذى ارسلك الينا قال له اما قريت الكتاب الذى أرسلنى به أمير المؤمنين فسر الآن معى كما أمرت فقال يانذل الرجال ويانذل الانذال هل يليق بمثلك الكذب والضلال والخيانة والمحال في حق الملوك الكبار ثم جذبه الى الارض ارماه وكاد ان يعدمه الحياه ثم انه ضربه بالسوط كاد أن يسقيه كاس الموت ثم قال لعثمان خذه الى عندك واكرمه حتى اذا تضاحا النهار اصلحناه واخذنا بخاطره لاننا قد اقتصينا منه بفعاله ولكن ينبغى اكرامه لاجل ابيك خاله قال عثمان هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب ثم ان عثمان أخذه الى الاصطبل وأمر السياس مدوه وجعل يضربه بالرزه حتى

أعدمه الحياة وأسقاه كاس فناه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار (ياساده) فبينما عثمان كذلك واذا بالامير قد دخل عليه وتأمل واذا به يرى قراجو قتيل عفير قال ياعثمان من فعل به هذا الأمر الخطير قال له انت الذى فعلت قال انا سلمته اليك بالحياة قال عثمان قد كثرت عليه الضرب مات قال الامير هل ضربته انت ياعثمان قال عثمان انا ضربته اكثر مما ضربته انت قال الامير وماذا يكون الرأى قال له روح انت وانا مثل ما اعرف اعمل والله انى كانت عندى البرغا احسن من قراجو وأحسن من خاله ايبك وسوف احرق عظمه لانه قريب القاضى ثم قال له هل تريد ان تسلخه وتخرجه رجل من رجل قال نعم فتقدم الاميراليه وسلخه ودبغ جلده وحشاه وركب له العيون القزاز وبعد ذلك قال عثمان سلم الي قراجوده وروح انت الى حال سبيلك فتركه الامير وسار الى مكانه هذا وعثمان قد أخذه وركبه جواده الذى قد اتى راكبه وربط رجلاه على بطن الجواد وركبه وسار به طالب أرض مصر ولم يزل سائر الى ان اتى الى درب التركانى لعند بيت الوزير ايبك وقال له هاهو بيت قريبك وتركه ومضى الى حال سبيله فهذا ما كان من أمر عثمان (قال الراوى) وأما ما كان من امر ايبك والقاضى فان القاضى كان تلك الليله عند ايبك وهم يتحدثون فى امر قراجو والقاضى يقول زمان بيبرس مات وانقضت ايامه وفات وسوف يصير المال وبيت احمد بن ابادبس لراسك ياابا احمد والعلم الشريف والا اكون بريئا منه يوم القيامة فبينما هم على مثل ذلك الحساب الخارم واذا بالجواد قد حك برأسه الباب وذلك لما رآه مقفول وهو متردد على ذلك المكان فجعل يحك الباب برأسه حكا قويا قال ايبك من بالباب قال القاضى حبيب من الاحباب ولابد انه الامير قراجو لان قلبي حدثنى بذلك فقم

بنا حتى نكشف الخبر بانفسنا دون غيرنا فنهضوا الاثنين وفتحوا الباب فدخل الجواد الى داخل الباب قال القاضي مرحبا بالامير قراجو ماذا فمات فلم يرد عليه جواب قال القاضي اجب سؤالي وارحني ولا تغضبني فتقهرني فلم يرد عليه جواب فتأخر القاضي وقال لايبك قم انت اليه لانه رأى نفسه كبير وكأنه فعل ذات الامر فلذلك لم يرضى يريحني في الكلام دونك انت واياه وانظر ماجرى من الامر فتقدم ايبك وكلمه بالتركي فلم يرد عليه وبالعربي فلم يجبه فتقدم الى عنده ودفعه بيده فوقع الى الارض فتحقق ايبك انه قد مات وانقضى نحبه وفات فبكى عليه بكاء شديداً ماعليه من مزيد ولطم وجهه وخدوده وقال لعن الله القاضي ومشورته فما هى الاوبال علينا وكأننا ما عملنا هذا التدبير الا على هلاك صاحبنا فلما تحقق القاضي ذلك كاد أن يهلك ولكنه اظهر الجلد واخفى الكمد وقال لو عملناها بليا ما أقبلت كذا وقد صح الامر وذهب الشر واذا كان غداً اوضعه فى تابوت وأمر من يحمله واطلع الديوان وقدم الدعوة للسلطان وقل لايحل من الله انا بعثت ابن أختي وارسلته يجمع المال من النواحي والبلدان فاعترضه بيبرس وفعل معه ذلك الفعال وشهد اربعة من الناس أنه سار فى المالك وانا أحمل الك على قتل بيبرس وقد مات واسترحنا منه وفات والسلام فلما سمع الوزير ايبك من القاضي ذات الهذيان اجابه على ذلك الشان وقال عسى ان نبلغ المراد من هذا القرنان فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من أمر الملك الصالح فانه لما اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس من بطاح الى بطاح وسلمت على زين الملاح ظهر الملك وجلس على كرسى قلعة الجبل وهو يوحد القديم الازل وقد تكامل الديوان وجلست

العساكر والرجال قرأ القارىء وختم ودعى الداعى وختم ورقى الراقى وختم صاح شاويش الديوان يقول

يامن يدوم عزه وبقاه   الملك يفنى ويبق وجه الله
ان كل ماعليها هالك   ولايبقى على الدوام الا الله
ياطامعا في الدنيا   ارجع ثم اخشى الاله
وتأمل في الامور ترى   الملك والعزة كلها لله

(قال الراوى) فقال الملك الصالح آمنا من أين كنا حتى اتصلنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من المهالك ياحاج شاهين الجزاء على الله هذا النهار طالعه سعيد فقال الوزير يافتاح ياعليم فبينما الملك يدندن فى مثل ذلك واذا بباب الديوان انسد والسنار احتجب وجماعة يقولون لااله الا الله محمد رسول الله فقال الملك حق يادائم ياعلام الغيوب ياناس باب القرافة من هنا فقالوا تعيش راس مولانا السلطان قال الملك فى من قالوا في ابن اخت الوزير ايبك التركمانى قال الملك كل شىء هالك الا وجهه ولكن لاى شىء مادفنتوه فعند ذلك نهض ايبك على الاقدام وارمى قاووقه من على رأسه وقال خدمة بولك يابعض شاه انا مابقيت أخدم ابداً لايحل من الله بيبرس يقتل ابن اختى ولا يرعى حرمتى ولا يخشى بأسى وسطوتى قال الملك هل عندك بينة عليه بذلك ياايبك قال نعم ثم انه ارسل احضر البينة فشهدوا بين يدى السلطان انه سافر يجمع مال الاطيان الى خاله فاعترضه بيبرس وقتله فلما ادوا الشهادة نهض القاضى على اقدامه وهز اكامه وحرك لسانه وجمع طيلسانه وقال القاضى حانت المهاجرة من هذه البلد وبدا الاسلام غريبا كما كان مبتداه لايحل من الله ياأمير المؤمنين انا كم اقول لك ذلك القول مرارا واعيده لك تذكارا واجهارا

واقول لك هذا الغلام اتى من بلاد العجم دسيسة يريد يفسد ملكك وانت لاتصدقنى ولا حول ولا قوة الا بالله هذا يقتل قتلة بعد قتلة وان كانت قتلته تصعب على مولانا السلطان. انا أعطى من وصاب حالى وزكاة عن قلمى ومحبة فى دين الاسلام والمسلمين مائة كيس ومائة مملوك ومائة جواد وعليك ياوزير ايبك مثلها اى هذا المبلغ المذكور قال ايبك مثلك الضفر الذى قطعوه لك بالقرمة ياخاين ياكلب وانا مالى احط ياقاضى ابن أختى يموت وانا احط الفلوس فقال الملك ياسيدى ايبك يد على يد تساعد وهذا ولد اختك تحط والا لا فقال ايبك احط يابعض شاه فقال الملك هاتوا الدراهم والمماليك والخيل فأحضروا جميع ذلك فى الحال قال الملك ومين بقى يأتينا بالامير بيبرس فبينما هو يقول كذلك واذا بعثمان طالع من باب الديوان وهو يقول ياليل

يامنية القلب سد عينى ترى عينيك   يابن الحلال خدنى حداك راعى لك
وقدمى مجرور وسارى اليك   ودمى سد بالدمع ناعى لك

قال الملك اهلا وسهلا بالشيخ عثمان قال عثمان لا أهلا ولا سهلا ياخائن العهود يابن القحبه احنا عملنا فيك ايش من السيئات ياابو قوطه لما انك ارسلت لنا هذا الكتاب مع ابن الخاطيه دهقال الملك انا وعزة الله ما ارسلت ولا أمرت ولا كتبت ولا ختمت ولكن هات الكتاب فناوله اليه وأخذه وقال خذ ياقاضى هذا الكتاب اقراه اسمعه انا والرجال لاجل ما يقال كل انسان يستلم كتابه بيمينه فأخذ القاضى الكتاب وقراه كما قدمنا ذكره وقال القاضى اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمد رسول الله هذا شيء ثقيل ياأمير المؤمنين قال الملك ياقاضى الذى يكذب على الملوك ويزور عليهم ويأخذ معه الحديد من غير ان يأذن له أحد ماهو خائن قال

نعم قال الملك والخائن لايكون له فى الاسلام حظ ابداً وان قلبي يحدثنى ان
هذا الرجل غير مسلم وانه كافر على غير الاستقامة فقم ياقاضى واكشف
لنا عليه فقال سمعا وطاعة ثم تقدم اليه القاضى وكمش بيده وقال أعوذ بالله
من الشيطان الرجيم بدنى اقشعر ياامير المؤمنين هذا نصرانيا والعلم الشريف
قال الملك الله يادايم تعالى ياايبك هذا ابن اختك وكيف انه نصرانى يبقى
انا ديوانى كله نصارى واسلامهم باطل ولكن العرق دساس اكشفوا
لنا على كامل العسكر وكل من كان فى هذا الديوان حتى تظهر الكفار من
الاسلام فاجابوا الملك بالسمع والطاعة واحتاس القاضى وكركبت بطنه وخاف
ان يكشفوا عليه فذهب الى بيت الخلا وما عاد الا بعد الكشف وهو
يقول لا اله الا الله محمد رسول الله قال الملك أين كنت ياقاضى قال اعلم
ايها الملك انى لارأيت لى قلب ان انظر الى تلك الفعال وان قلبي رقيق
واخاف انى اذا رأيت شيئا مثل هذه الفضائح يقشعر بدنى من رقة قلبي
فخرجت حتى انقضى الحكم قال الملك سبحان من يعلم بك آجاس نحن
ناس على باب الستار سمينا بالاحرار كاتمين الاسرار تعالى ياايبك انت ومن
كان من عيلتك لابد ان يكون نصرانى ولكن ينبغى لك ان تكشف عن
سائر رجالك ثم ان الملك أمر بمد ايبك فمدوه فقام الملك وضربه ثلاث ضربات
بالضفيرة الخوص وقال له ان انت اشتريت عبداً ومملوك أوجاءتك جاريه او مملوك
على سبيل الهديه فلا بد ان تكشف عليهم قال سمعا وطاعة ياأمير المؤمنين
ويقال ان محل الضرب سار يدمى ويقيح في رجل ايبك الى ان مات به ثم ان
الملك قال لهما خذوا هذا الكافر ارموه فى ترب النواويش وانت ياقاضى عملت
الفلوس والمماليك والخيل انت وايبك على قتل بيبرس عنوة والا على اظهار
الحق من الباطل قال القاضى من كيد الغيظ على اظهار الحق من الباطل

قال الملك والحق ظهر وبان واشتهر قال القاضي صار مثل الشمس المضيئة
قال الملك بقوا لمن ياقاضي قال لبيت مال المؤمنين قال الملك ياوزير الزمان
بيبرس كان مظلوما في هذه القضية قال نعم قال الملك قد اوهبت له ذلك كله فى
نظير ظلومته يتساعد به على فقره هبة كريم لا يرد فى عطاه قال ابيك الفاتحه
هذا وقد أمر القاضي باصراف الشهاد الى حال سبيلهم بعدان سامحهم الملك
لما علم من مكائد القاضي وضلاله وقال الملك خذ ياعثمان المال والمماليك
والخيل وسر من هنا الى سيدك وسلم عليه وأمره ان يولى بعض غلمانه على
الغربية ويعود الينا فقد فرغت سنته قال عثمان سمعا وطاعة ونزل طالب
سيده فهذا ما كان منه ثم ان الملك نفض المنديل وانفض الديوان ونزلت
العساكر والرجل فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان
من أمر الامير بيبرس فانه لما وصل اليه عثمان وأعلمه بما جرى من ذلك
الشان ولى على المحلة واحد من المماليك واوصاه بالعدل والاحسان وأن
يحاسب على المال سنة بسنه فأجابه الى ذلك وسار الامير بيبرس طالب أرض
مصر الى أن دخل اليها وكان ذلك وقت الغروب فسار الى بيت الوزير
أحمد بن باديس السبكي وعثمان معه فهذا ما كان من أمر هؤلاء

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر الملك الصالح أيوب ولى الله المجذوب
فانه بات وأصبح مثلك يصلى على من له الورد فتح دخلت الاغوات
اعلموه بان الديوان تكامل قال الملك وعلى الله الكمال ظهر الملك وجلس
على تخت تكامل الديوان قرأ القارى وختم ودعا الداعى وختم ورقا الراقى
وختم صاح جاويش الديوان يقول

الملك لله العزيز الدايم لا له شريك في الورى من خلقه
بل تعالى بالانفراد وبالبقا له المجد والتسليم في جميع اموره

ومن سلم الامر اليه لقد نجا وسامه الرحمن من شرور قضائه
ومن عليه بالاخلاص من كل شدة وعمه بالخير من سوابغ فضله

قال الملك الصالح آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجي من الشدايد والمهالك ثم ان الملك أراد أن يتعاطى القصص ويزيل الغصص حكم ما أمر مولانا جد الاشراف واذا بباب الديوان احتجب والستاير اهتزت واذا بسيار يقبل الارض وهو يقول

وقفت ببابك أيها السلطان طالبا منك كشف الضر والهوان
فاصغ لدعوتي واعتنيها مادمت انت كاشف الاحزان
قد جارت اللئام علينا وأنت منصور من الديان
فانصرنا عليهم بعزم قوي فرب الانام يجزيك بالقرآن

قال فلما سمع الملك كلامه وما قاله من نظامه قال له من أين والى أين قال من حلب الشام الذي قالت سائر المدن عبيدي وانا في تخت عزي بين سعيد وسعدي قال الملك وما الذي معك من الاخبار فأخرج اليه كتاب ففضه الملك وقراه وفهم رموزه ومعناه واذا فيه خطاب من باشة حلب الى بين أيادي أمير المؤمنين أيده الله بالنصر والعز والتمكين انا مقيمين يوم تاريخه واذا بالغبار قد علا وثار وسد منافس الاقطار عن رجال مجربين وفوارس للحروب طالبين وهم كرة كاملة اثنين وثمانين الف فارس مع القان هلاوون ابن منكتمر فاغلقنا الابواب وأقمنا الحصارات ومنعناهم بالمدافع فخط اللعين بجيوشه على حد رمي النار وقد تضايقنا من الحصار فأرسلنا هذا الكتاب بقا في شريف علمك ادركنا او ارسل الينا من يدركنا والسلام على نبي تظلله الغمام (قال الراوي) فلما سمع الملك مافي الكتاب التفت الى الاغا شاهين وقال له ياراجل ياشاهين حلب دي ايش يابو فرمه امرأة والا رجل

قال له بلد يا أمير المؤمنين قال الملك خليهم يأخذوها قال الوزير اذا أخذوها يأخذوا الشام بعدها قال الملك دعهم يأخذوها قال الوزير يأخذوا ماوراءها من البلدان مثل تابوك وغزه وقطيـة قال الملك دعهم يأخذوا مايشاؤون ويملكوا ما يطلبون فالارض والامر لله الواحد القيوم قال له الوزير ان أخذوها يأخذوا مصر وهى فيها الامام الشافعى فقال الملك وقد امتزج بالغضب لا وعزة الله الابدية لم أدعهم يأخذونها لان فيها رجال مجبوره وأبطال مشهورة وفيها الرجل الذى فرسه عرجة وسيفه خشب وترسه جبن وهو أنا ولكن مايكون من الرأى ياشاهين فقال له أنا أخبرك وانت تعمل على قدر ماتراه فقال الملك ياقاضى ومن يرد عنا هذه المصيبة ويدفع عنا هذه النكبة فقال القاضى وقد ظهر له الكلام يامولانا السلطان هـذا رجل جبار وبطل مغوار وقد بلغنى انه فارس لايطاق وعلقم مر المذاق وعنده من الرجال مالايحصى عددهم الا الواحد المتعال والذى أعرفه أنا أنه لم يدفع عنك هـذا العار ويأخذ لك بالثار الا الولد المحفوظ المنصور الامير بيبرس الذى سعادته تضىء على وجهه كالمصباح فقال الملك ومن يأتينا به من المحلة فبينما هو على مثل ذلك واذا بالامير بيبرس طالع من باب الديوان وهو يقول

تصبح كل يوم فى نعمة ... وفضل كثير عميم متزايد
واعطاك الاله العظيم مهابة ... على جميع اعداك الحواسد
ونجاك ربى العظيم بفضله ... ودفع عنك جميع الشدايد
وابدك الله كل لحـة ... وخصك بالنصر المرشـد

(قال الراوى) فلما رآه الملك وسمع كلامه صاح الملك ودندن وقال الله الله ياحج شاهين انظر الى ذلك التوفيق العظيم الذى لا يبلغه الا

من كانت له سعادة من الرحمن الرحيم ثم ان الملك صاح به وقال اللهم عمر بك الارض والبلاد اللهم اهلك ضدك اللهم ارفع سعدك قل آمين ياقاضي قال القاضي آمين آمين آمين هذا وقد سلم الوزير عليه وقال له خذ اقرأ ذلك الكتاب فقراه بما قدمناه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال له الملك يا سيدي بيبرس ان القاضي قال لنا انه لم يكسر هذه الركبة وينصرنا باذن الله على تلك العصبة الا انت واني قد اردت ان ارسل اليك فماذا انت قائل قال الامير انا لها ان اذن لي الملك لاني تحت اذنه وكلمته ومهما امرني به فعلته فلو أمرني ان اقتل نفسي فعلت ذلك فقال الملك ياولدي تعمل معروف وتسير الى ذلك المكان فقال سمعاً وطاعة فقال الملك ياقاضي ان ولدي اجاب الى ذلك ولكن ان الركبة لها كلفة وبيبرس فقير الحال فقال القاضي انا أساعده من مالي وصلب حالي وزكاة عن قلمي ومحبة في دين الاسلام والمسلمين بخمسين جواداً وخمسين كيسا وخمسين مملوكا وعليك ياوزير ايبك مثلها امض يا ابا احمد فقال ايبك وانا مالي بذلك ياقاضي قال الملك طاوعه يا ايبك يد على يد تساعد فأجاب بالسمع والطاعة وارسلوا احضروا ذلك كله في تلك الساعة فقال القاضي يامولانا السلطان اعلم ان هذا الرجل هلاوون رجل عنيد وبطل صنديد ومعه ابطال كثيرة وفوارس غزيره وانا اريد من محبتي الى ولدك بيبرس ان يكون له في ذلك الامر معين وهو ان الوزير ايبك يسير معه وعلى خصمه يساعده لاني اخاف عليه من العدا ويبلغ برفقته دفع الردى لان الناس الاقدمين يقولون يد على يد تساعد قال الملك تروح يا ايبك قال ايبك اروح يا بعض شاه واكون خديم لولدك بيبرس لاني يحصل لي غاية الشرف برفقة هذا الغلام فقال الملك ياحاج شاهين لبسهم

والله اعلم بما في القلوب فالبس الامير بيبرس صارى عسكر والبس ايبك معاوناً
له فنزلوا الاثنين من الديوان وكان الامير بيبرس قدحاز جميع ما رسم به
القاضى ونزل في موكب عظيم وأيبك كأنه خادم من الخدام هذا وقد تكلمت
اولاد مصر في الاثنين فقال واحد لآخر ياخى ان ايبك نزل معاون لبيبرس
على قتل النصارى التى عنـد كوم الضبع قال له الآخر جتك داهيه رمت
رقبتك انت وايبك سوا هو بيبرس عايز مساعدين وايش يكون ايبك والا
غيره والا الملك والا غيره جنب الامير بيبرس هذا وقد صار الامير يرمى
سلام وأيبك يرمى سلام والنـاس يتكلمون فيقول الرجل لبيبرس عليك
السلام والاسم الاعظم منصور وسعادتك قابلة وخصمك مقهور واذا رمى
ايبك السلام يقولون عليك السلام آنست آنست ربنا يرجعك لام احمد
بجبر خاطر ولا يحرمك من هذه المسكينة والثانى يقول آنستنا بشـقك فيها
والآخر يقول روح داهيه لا ترجعك للبلاد هذا وقد تكلمت الناس بمثل ذلك
الى ان اقبل كل من الاثنين الى منزله فاما ايبك فانه صبر الى ان رحل النهار واقبل الليل
فحضر القاضى من الديوان واجتمع عليه فقال ايبك ولاى شىء ياقاضى ارسلتنى مع
خصمى هذا الى ذلك العدو فقال القاضى اردت بذلك بلوغ الآمال وكيد الفجار
وخطر ببالى انك تظفر به في ليل او نهـار او على غفلة منه فتهرق دمه وسوف
ندبر انا تدبيراً اخر غير هذا فلا تشغل نفسك وتتعب سرك بسبب ذلك
فقال له سمعا وطاعة وما زالوا في مثل ذلك حتى ذهب الظلام وبرز ايبك
الى العدلية واحضر الفراشين والطباخين وقال لطباخه اعلم أن السفر يحب
الاكل الكثير فعليك بكثرة البقسماط والدمنبيش حتى انك تكفى المماليك
وتشبعهم قال سمعا وطاعة ثم ان ايبك أمر باحضار اربع مدافع فأمر بهم
الى العدلية هذا او بيبرس يجهز نفسه ورجاله ويأمرهم بالطعامات والحلويات

وما اشبه ذلك فبينما هو يجهز ذلك وقد رأى الاربع مدافع الذى لايبك
وقال في نفسه ولاى شيء يفعل ايبك هذه الفعال ومن الذى امره وايش
يكونون الاربع مدافع (ياساده) فبينما يحدث نفسه بذلك واذا بعثمان قد اقبل
عليه وسلم عليه وقال له لقد جئتك بشيء عجيب وأمر غريب وما سمعت به
ابداً يادولتلى فقال له وقد تعجب منه ياعثمان كيف ذلك فقال عثمان اعلم انى
لما اردت ان أشد الحصان اليك وقد سمع بالسفر والرحيل فنر دمنى فى وسط
بيت احمد بن ابا ديس السبكى فتبعته حتى أقبل الى المناخ ووقف الى جانبه
فتقدمت اليه واذا به يحفر فى الارض برجله اليمين وهذا دليل على النصر
والبشارة والقايات فحفرت مكان حفره فظهرت لى من الارض طابقة بدرج
نازل الى أسفل فخفت من ذلك فانهض معى وانظر مافيها فعندها نهض
الامير بيبرس الى ذلك المكان فكشف الامير ونزل واذا من داخلها
ثمان مائة مدفع والف سيف مسقط لايعلوها الصدا ابدا وجبخانة كاملة
من البارود وفيه من الزرد والعدد وآلة السلاح والخود مالا يقع عليه
عدد فلما رأى الامير ذلك لم يتمالك نفسه دون انه سجد على وجه الارض
شكرا لربه الذى فرج عنه ما كان به نزل وأزال عنه ما فى ضميره قد حصل
ثم امر باخراج المدافع فأخرجوها الى مكان آخر وأخذ منها أربعة وعشرين
مدفعا وأخذ لهم مايكفيهم من البارود وأخذ مائة بشت من الزرد ومائة
سيف مسقط وترك الباقين الى الاحتياج وسار طالب المدليه وهو ينشد
ويقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

لك الحمد ياذا المجد والجود والعلا ... تباركت تعطى من تشاء من الفضل
لك المجد كل وقت وساعة ... سرا واعلانا منى ومن نسل
لك اللطف بالناس حقا جميعهم ... كما تفضلت بالاحسان ثم بالفضل

كما فرجت عنى مصيبتى انت القدير على ماتشاء من الفضل
الهى كما انعمت من جود تكرما تجود لى بنصر وتعفو عن الزلل
واحيني من عدو معاند واجبر لكسرى فى قول وفى عمل
وخذ بيدى يارب فضلا ومنة وايدنى واتلى عداى منك بالذل
وصل على المختار ثم على الآل والاصحاب الآخرين والاول

(قال الراوى) ولم يزل يترنم ويثنى على الله تعالى بمثل ذلك والناس يدعون له بالنصر حتى وصل الى العادلية وقد صفت المدافع ونصبت السرادق وجلس الامير وفرق السيوف على اربابها ولم يعطى ايبك منها شيئا فكادت مرارته ان تنفطر هذا ولما كان وقت الظهر طلعت الاطبخة من عند ايبك الى مماليكه وهى كما ذكرنا العدس وطلعت صفرة الامير بيبرس وهى كما ذكرنا اطعمة فاخرة فأكلوا وطربوا وانشالت الاوانى وقد اجتمعت المماليك ببعضها وجعلوا يتحدثون فى أمر المدافع والسلاح وفعل ايبك وفعل بيبرس ثم انهم انتقلوا من كلام الى كلام حتى تواصلوا الى حديث الطعام فجعلوا مماليك ايبك يتشاكون ومماليك بيبرس يتشاكرون فقالوا لهم مماليك ايبك والله ماعندنا غير العدس فقالوا لهم اقيموا معنا وكلوا مما نأكل فان الخير كثير وأميرنا غير بخيل فامتثلوا ذلك وأقاموا مع بعضهم وتركوا اشغالهم ومنازلهم وأقاموا معهم لما وجدوا كلامهم صحيح فلما كان وقت العشا أخرجوا الطباخين الطعام فلم يروا من يأكل وبقى على حاله فشكوا لايبك ذلك فاغتاظ غيظا شديدا ماعليه من مزيد وصبر الى ان طلع النهار وعاد الى الديوان واشتكى ذلك للملك الصالح وقال يابعض شاه ان المماليك بتوعى أخذهم بيبرس فأرسل الملك أحضره وسأله فقال له يامولانا السلطان اسأل المماليك فأرسل الملك اليهم واذا بهم تعصبوا جملة واحدة وقالوا ياأمير المؤمنين نحن

لانفارق الدولتلى الامير بيبرس ابدا ولو سقينا كاس الردى وان اغصبتنا الى ايبك قتلناه وبعد ذلك قتلنا انفسنا وذلك لانه يطعمنا العدس والبصارة والبقشماط قال الملك يا ايبك اعلم ان هذه ركبة واحدة وانتم سواء مع بعضكم وكذلك هم الآخرين مع بعضهم والرأى عندى انك تترك هذا الامر حتى تتم الركبة واذا رجعتم بالسلامه يكون لنا حديث خلاف ذلك ثم ان الملك قال يا ايبك لا تأخذ على خاطرك وخذ معك الامير قلاون واتباعه الخمسة وثلاثين أمير فأجابوا بالسمع والطاعة وفرح ايبك بذلك غاية الفرح لانه يعلم ان قلاون وجماعته يبغضون الامير بيبرس هذا وقد تودعوا الجميع من الملك والوزير وساروا حتى وصلوا الى العدليه فقال لهم الامير بيبرس انتم تسيروا قدام والا انا أسير قدام قالوا له نحن الذى نسير قدامك حتى اذا طلع علينا العدو نكون لك الفدا ونفدك بارواحنا من الردى فشكرهم الامير على ذلك لانه سليم القلب ولم يعلم ان قولهم هذا بخلاف ما اضمروه فى قلوبهم وقد البسهم الله من سرائرهم ونياتهم وقد كانت المسافة بينهم وبين الامير بيبرس يوما كاملا فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر اللعين القاضى فانه بعد سيرهم سطر كتاب وختمه واعطاه [illegible] البرتقش وقال له سر بهذا الكتاب الى العريش وسلمه الى الملك فجيل [illegible] يعمل بما فيه قال سمعا وطاعة ثم أخذه وسار يجد المسير [illegible] لا ونهارا الى ان [illegible] صل الى قلعة العريش وكان بها ملك عنيد رذيل يقال [illegible] الملك فرنجيل فبينما هو جالس واذا بالبرتقش دخل عليه فقام له وتلقاه [illegible] السلامة هناه وسأله عن استاذه قال له يدعو لك وانت فى باله ففرح [illegible] بذلك وقال بالحق الذى عالم الملقم يفسانى وانا في باله ثم بعد ذلك [illegible] له الكتاب [illegible] وقراه واذا فيه اوله صليب وآخره صليب وعنوانه

صليب ونحن وانتم نوحد الملك القريب المجيب خطابا من عالم الملة المسيحية بلاه الله بكل رزيه وبلية الى بين أيادى ولدى فرنجيل اعلم انى قد ارسلت اليك بيبرس الذى قد كان قتل ولدك فى أول دخوله الى مصر وانه جائز من على ارضك وقلعتك وقد أخبرنى المسيح بان قتله على يدك فاذا وصل اليك كتابى هذا فاكمن اليه حتى يجوز على ارضك واخرج عليه واقتله وانهب مامعه من المال والنوال ولك الثواب من المسيح ففرح اللعين بذلك وجعل الكتاب على رأسه واعطا رده الى البرتقش وقال له سلم لي على عالم الملة واعلمه انى فاعل كل ماذكره فأخذ الجواب البرتقش وسار ولم يزل سائر حتى أقبل الى مصر ودخل على القاضى وأعامه بما صار من الامور والاخبار وأعطاه رد الجواب ففرح به وظن انه بلغ المراد (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هوءلاء وأما ماكان من امر اللعين فرنجيل فانه اكمن بخمسة آلاف فارس وجعل ينتظر قدوم بيبرس لاجل ان يأخذمنه بالثار ويجلى عن نفسه العار فبينما هو كذلك واذا بالغبار قد ثار وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار عن الوزير ايبك وقلاون ومن بصحبتهم ولم يعلموا ماقد خبي لهم فى عالم الغيب هذا ولما تقاربوا من قلعة العريش واذا بالمكمنين قد خرجوا عليهم من أربع جهات المكان واحتاطوا بهم وساروا ينادون بأخذ الثار وجلي العار فعند ذلك انكسرت شوكة الاسلام وكبسوهم اللئام لانهم كانوا سائرين على غير أهبة من أمرهم وقد قبضوا عليهم باليد واوثقوهم كتاف وقووا سواعدهم والاطراف وصاح فرنجيل منطار لا سبيطة ولا طماطة فقالوا له يا ملك الزمان نحن لا بيننا وبينك ثار ولا لك علينا دم فقال لهم وابن بيبرس فقالوا له ما هو معنا ولا رضينا بصحبته وانما له اعداء واعلم انه سيأتى على اثرنا فدونك واياه وخذ ماتريد

منه فلما سمع اللعين كلامهم امر بتجريد ثيابهم ونهب اموالهم وجعلهم عبرة لمن كان ينظرهم وامر بضربهم فضربوهم الضرب الوجيع ثم انه امر الرجال ان يردوهم على اعقابهم فعادوا من حيث اتوا منهزمين والى نحو بيبرس طالبين فبينما الامير سائر واذا بالوزير ايبك دخل عليه ومعه قلاون وهم على هذه الحالة فلما رآهم الامير بيبرس على ذلك صعب عليه وكبر لديه واغتم لاجلهم غاية الغم وقال لهم من فعل بكم هذه الفعال واورثكم النكال فقالوا له يا حبيبنا نزل علينا اللعين فرنجيل ملك العريش فى خمسة آلاف فارس وهجم علينا بهم وفعل بنا ما تراه وذلك انه سألنا عنك وقال هل عندكم خبر عن بيبرس فقلنا له انه فى غاية الصحة والسلامة وانا كنا اتباعه وخدامه ونوابه فلما سمع منا ذلك الكلام انزل بنا الهوان ونهب مالنا وجردنا من ملابسنا وقال لنا اذهبوا الى اميركم واعلموه بما وقع لكم حدثوه وان لم تذهبوا اقطعت اعماركم واسقيتكم كاس بواركم فخرجنا ونحن لا نصدق بالنجاة لان العدو كثير والجم غفير وهذا ما جرى والسلام (قال الراوى) ولما سمع الامير بيبرس منهم ذلك الكلام قال لهم لا تخافوا والاسم الاعظم الاكرم الامجد لا بد لى من النزول على العريش ولم انتقل منه حتى آخذ لكم بالثار واجلى عنكم ذلك العار وآخذ جميع مالكم واسلبه لكم من اعدائكم ثم انه صاح بخزنداره فقبل الارض بين يديه فقال له اخرج كساوى الى هؤلاء فاخرج لهم الكساوى فلبسوا واطمأنت قلوبهم واخذ الامير بخاطرهم وعاشت ارواحهم وسار الامير بيبرس حتى اقبل الى القلعة وحط عليها وقد احتاط بها كما يحتاط النيل بالبلاد او البياض بالسواد او الخاتم بالاصبع فقال فرنجيل لمن حوله من البطارقة ارموا عليهم النار فرموا عليهم بالمدافع فحط الامير على حد رمى النار وبات بمن معه فهذا ما كان من هولاء (ياساده) واما ما كان من امر اللعين فرنجيل فانه جمع البطارقة اليه وقال لهم اعلموا ان

عالم الملة دعالي وبشرني بالنصر على هذا الغلام ولولا ذلك مافعلت الذي فعلت وفي غداة انا عازم على الحرب والقتال والضرب والنزال فماذا أنتم قائلون فقالوا له كل من خالف امرك منا كفر وعن دين المسيح عفر وبدل وغير لانك مأمور من عالم الملة المسيحيه ونحن كلنا لك الفدا ونفديك بأرواحنا من الردى فشكرهم اللعين على ذلك وجعل يفرق عليهم العدد والخيول والزرد وقد باتوا على ذلك حتى أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بكوكبه ولاح وفتحت ابواب القلعة ونزلت البطارقه كانهم قطع الغمام ويقدمهم اللعين فرنجيل وقد امر بدق طبول الحرب فعند ذلك نهض الامير بيبرس على الاقدام وحضرله الجواد فركب بنفسه وانحدر الى حومة الميدان ولعب اذناب وابواب وقال هل من مبارز هل من مناجز من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فمابي خفا انا الامير الدولتلي بيبرس محمود العجمي الخوارزمي الضربندي انا الذي قاتل ابن فرنجيل واسقيته الشراب النكيل وكان الامير يومئذ راكب على جواد اصفر عالي من الخيل مضمر بغره كالقنديل ومعرفه كالمنديل واذا طلب لحق واذا طلب لم يلحق عريض الكفل مثلث الحجلي اغر اكحل كما قال فيه الشاعر المفضل هذه الابيات

جوادي في الخيول شاع ذكره ... في الخيول جميعها
يسبق هبوب الريح اذا جرا ... ركه الخيول عند هلوعها
يفوق بريق البرق في جريانه ... ... نزول الماء في انبابها
فراكبه يأمن من طعن العدى ... سوأ من شرور خصومها
بل اذا رأى الطعن مقبل ... ... نه بجنبها ويمينها
واذا رأى راكبه وقد عيا ... في برها وفلاتها
مارات العيون قط مثله ... ولا ركب الركاب كل حولها

(قال الراوى) ثم ان الامير لعب على ذلك الجواد انداب وابواب وجرد في يده السيف القرضاب وهجم على ميمنة الكفار وغاص فيهم فقتل اربع رجال وهجم على الميسره وغاص فيهم فقتل خمسة ابطال واعتدل بعد ذلك الى حومة المجال وانشد وقال هذا المقال صلوا على باهى الجمال

انا الفارس الصنديد بيبرس الذى	شاع ذكرى في سائر الاقطار
انا قاتل الكفار حقا باسرهم	وشتت جمع الكفر بالبتار
واليوم تنظروا مايحل بجمعكم	وتروا منى فارسا كرار
وانا قاتل تومة اللعين بهمتى	وسألحق فرنجيل به على الاثار
هلموا الى بكامل جيشكم	انا قابض الارواح على البتار
ان لم تردوا علينا كل ماأخذتم	ابليتكم منى بمحنة وضرار
ولا بد لى ان املك ارضكم	واجعلكم ماقى على الاحجار
وآخذ بالثار منكم عنوة	بحد سنان الفيصل البتار

(قال الراوى) فلما سمع اللعين فرنجيل ذلك من الامير بيبرس ورأى فعاله وما قتل من البطارقه وكيف ذكر ولده في شعره صاح اللعين بعلو صوته واى عليه يابطارقة خذوا منه بالثار واجلوا عن نفسكم العار فعندذلك هجمت اللئام فى وسيع الآكام واحتاطوا بالامير من كل جانب ومكان (ياساده) فلما عاين ذلك الامير بيبرس منهم فتبسم لهم واستقبلهم مثل ماتتلقى الارض العطشانه اوايل النيل السعيد ثم انه تكبب وارتمى واكحل المبغضين بكحل العما وقرأ آيات معظما وخاضت الخيول فى الدما وقد عضت على الالجما وهو ينادى الله اكبر الله اكبر فتح الله ونصر واخذل يالئام من كفر بالدين محمد القمر هذا وقد ادركوه المماليك واكابر دولته الا ايبك وجماعته هذا وقد وقعت الرؤس كالاكر والكفوف مثل اوراق الشجر وزجر الشجاع

وبربر وانهزم الجبار وادبروطارت الرؤس من على ابدانها وقد وقعت الجند من على خيولها وتقطعت الاوصال من مفاصلها وصار المنادي لا يعرف اصيابه من دنيها هذا وقد سال العرق وازور الحدق ووقع السيف وحرق وظلم وماشفق وعمي الجبان انه لم يخلق وثبت الشجاع وزعق هذا والامير يضرب فيهم شمال ويمين وقد اتسع عليه المجال وصاروا أهل الكفر يتحايدون عليه في التلال ولم يزل على ذلك الحال حتى قربت الشمس من الزوال (ياساده) يا كرام وقد نظر اللعين فرنجيل فرأى انه في ذلك الامر ذليل لانه رأى الامير بيبرس وضرباته ونظر الى حملاته وطعناته وهو يقتل هذا ويصرع هذا وكلما قتل انسان يزداد نشاط فلما عاين ذلك كبر في عينيه واوقع الله الرعب في قلبه فولى الادبار وركن الى الفرار وكان اول من انهزم هذا اللعين فرنجيل وهو لا يصدق بالنجاة من ذلك البلا الذى نزل به واعتراه (ياساده) ولما رأت الكفار الى ملكها قد انهزم وانهد ركنه وانصرم ولوا على اثره الادبار وركنوا الى الفرار وهم لا يصدقون بالنجاة ومازلوا في هزيمهم والامير خلفهم حتى ادخلهم الى قلعتهم فلما دخلوا اليها اغلقوا الابواب ولما جلس اللعين في قلعته وقر قراره وهو لا يصدق انه يرى نفسه سالم من العطب جمع اللعين خواصه وساير اهل مملكته وجلاسه وقال لهم ماالذى فقدمنا فحسبوا القتلا واذاهم الفين انسان غير المجروحين من المنهزمين وقال لهم الرأى عندى اننا نرد لهم كامل ماأخذناه منهم ونكتفي شرهم لاننا مالنا طاقة بهم وان نزلنا اليهم ثاني مرة لابدلهم ان يهلكونا ويسقونا كأس دمارنا فقال له وكيف ذلك وقد امرك عالم الملة وانت لا يصح لك المخالفة لامره فقال لهم اللعين دعونا من ذلك فاني قاتلت انا وانتم على قدر جهدنا وايضا اننا ماقدرنا عليه وهو ولد بتيت يعني صغير وكان وحيد فكيف نقدر عليه وهو رجل كبير وله رجال كثير وانا اقول ان هـذا

الرجل أن رأى المسيح قدامه لابد انه يقاتله ولم يخشاه فكيف انى اطاوع عالم الملة واضيع نفسى بلا شيء (قال الراوى) فلما سمعوا الكفار كلامه انكسرت شوكتهم وضعفت همتهم وقالوا له افعل مابدالك فنحن لانخالف مقالك ثم انهم احضروا جميع ماأخذوه من الامتعة والاموال واوسلوه الى الامير بيبرس في عاجل الحال مع اربعة انفار فلما وصلوا الى الامير بيبرس قبلوا الارض بين يديه وقالوا له خذ متاع اتباعك وارحل عن ارضنا وبلادنا فعند ذلك أخذ الامير منهم ذلك وقدادعى بابيك ورفقائه وأعطاهم جميع مالهم وما كان ذهب منهم ولم يسألهم عن تأخرهم فى الحرب والقتال ولم يبد لهم فى مثل ذلك مقال ثم ان الامير التفت الى الاربعة الذين اتوا بالمال وقال لهم ان كان ولا بد من رحيلى فأمروا قرنجيل ان يرسل الى خزنة مال بالتمام والكمال فانى وحق دينى لا أرحل الا بما ذكرت فامر ان يعطوا له الاموال فأخذ الامير المال وسار طالب أرض الشام فلما تقارب منها قال لابيك ورفقاه تسيرون خلف أم أمام فقالوا له انت تكون أمامنا لانك على كل حال كبيرنا ونحن نسير خلفك وعلى أثرك وها نحن كلنا خدامك وتباعك فقبل الامير منهم ذلك وسار طالب أرض الشام وكانت قد تسابقت الاخبار الى باشت الشام بان بيبرس قد أقبل وكان كما ذكرنا قبل هذا الديوان ان بينهما عداوة فعند ذلك أمر بغلق أبواب الشام فى وجه الامير الهمام فاغلقوها وقال لهم لا تفتحوها لاحد الا باذن فأجابوه الحراس بالسمع والطاعة (ياساده) وقد شاع في البلدان أن بيبرس قد أقبل من مصر الى الشام وقد أغلقت الابواب لاجل قدومه هذا وقد وصلت الاخبار الى أم الامير بيبرس السيدة فاطمة فصعب ذلك عليها وكبر لديها وقالت كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم انها لبست بدلة خروجها

ونزلت من بيتها وأقبلت الى البوابين وكانوا اثنين أحدهم يقال له أبو الخير والثاني ابو الشر وكان بالاتفاق الدور على محمد بن جمعة ابو الخير فسارت اليه وقالت له نحن قد علمنا ما أمر به الحاكم ولكن أريد منك شيئا وهو أسهل ما يكون وذلك انك تفتح لي الباب ليلا حتى أخرج الى ولدي وأسلم عليه وأعود الى مكاني ثم ناولته شيئا من الحطام فأجابها الى سؤالها بالسمع والطاعة ثم ان السيدة رجعت من تلك الساعة وجعلت تجهز نفسها وما تريد ان تقابل به ولدها فهذا ما كان من أمرها (قال الراوي) وأما ما كان من أمر الامير بيبرس فانه قد أقبل الى الشام واذا به وجد ابوابها قد أغلقت فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم حط برجاله من خارجها (قال الراوي) فلما أقبل الليل وطلع سهيل فتحت الابواب وقد خرجت السيدة فاطمة من الابواب وسارت الى ولدها وقد زاد لهيبها وصعب عليها فعل باشة الشام (ياساده) ولم تزل تجد المسير حتى وقعت العين على العين ونظروا الى بعضهم الاثنين فقام الى أمه وسلم عليها سلام الاحباب وسلمت عليه الاخرى وجعلوا يتشاكون ألم الفراق والهوى والبعد والجوى فصارت تشكي اليه بهذه الابيات

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتن الا خالي البال

لا يعجبن الله في أمر يدبره اقام السطيح وهد الشامخ العالي

ياولدي لا تفتكر فيما فعل باشة الشام وكيف انه أغلق دونك الابواب وسلم أمرك لله ودع هذا الحساب ثم انها جعلت تحدثه وتمازحه الى ان قالت له اعلم ياولدي ان الله تعالى مجيب السائلين وقاضي حوائج الطالبين وذلك ياولدي اني طلبت منه دعوة وقد بلغها الي فقضاها لي حسب ماطلبت وأجاب سؤالي وذلك لما سرت من عندي وانت متوجه الى مصر قلت يارب

باسامع الدعاء لا تدعني أراه الا وهو صاري عسكر يحكم على عشرين الف فارس فاستجاب الله دعائي وانا اسأله ان ينصرك على من تعادي فقبل الامير يدها وباسها وفرح واستبشر بقولها هذا وقد قالت له ياولدي خذ هذه الخزنة مال استعان بها على فقرك وعلى الجهاد في طاعة رب العباد فقبلها منها وتودع بعد ذلك منها ورجعت الى محلها وكانوا قد تذكروا نائب الشام وما فعل من غلق الابواب فقال لها الامير دعيه يفعل ماخطر بباله ويفعل الله مايريد فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من ابو الشر فانه لما علم ان ابو الخير فتح الابواب الى السيدة فاطمة أخذه الحسد والغيرة وقال لابد ان اخبر بذلك باشة الشام ثم نهض من وقته وساعته وقبل الارض بين يديه وقال له اعلم ان ابو الخير فتح الابواب ليلا الى السيدة فاطمة الاقواسية وخالف امرك وقد أعطت خزنة مال لبيبرس ومائة دينار الى ابو الخير قال فلما سمع ذلك اغتاظ غيظا شديدا ماعليه من مزيد ثم اضمر الشر في قلبه الى ابو الخير وقال حتى يرحل بيبرس عن بلدي وشكر ابو الشر على هذه الفتنة فهذا ما كان من هؤلاء هذا والامير بيبرس رحل طالب ارض حلب وسار قاصدا اليها (ياساده) وبعد رحيله اقبل الوزير ايبك ونزل على ابواب الشام وبلغت الاخبار الى باشة الشام بوصول الوزير ايبك فأمر بفتح الابواب فطلع اليه وسلم عليه واجلسه هو ومن معه ولما استقر بهم الجلوس قال ايبك هل مر عليك البنت العاق بيبرس فقال له نعم واغلقت الابواب دونه وحلفت انه لم يدخل بلدي ابداً مادمت على قيد الحياة فقال ايبك احسنت فيما فعلت ثم ان عيسى الناصر قال له اعلم ان السيدة فاطمة قد خرجت اليه وأعطته خزنة مال فقال ايبك هي مرأة شرموطة لاي شيء تعطي بيبرس دوننا ارسل هات لنا منها نحن الآخرين خزنة مال فقال

عيسى هذا هو الصواب ثم انه أرسل اليها فى عاجل الحال يقول لها مثل ما اعطيتى ولدك خزنة مال هاتى الى ايبك خزنة مال وان لم تعطى ذلك فاخرجى عن بلدى الى غيرها قال فلما سمعت ذلك اغتاظت غيظا شديد ما عليه من مزيد ثم انها في عاجل الحال احضرت العلماء واعادت عليهم الحديث فقالوا ولاى شيء يطلب المال من غير شيء وركبوا من ساعتهم وساروا الى عيسى فلما وقعت العين على العين قالوا له لاى شيء تأخذ من السيدة فاطمة خزنة مال انت شريكها في مالها او تأخذ مالها نهبا ومظلمة فعند ذلك تلجلج لسانه ولم يرد عليهم جواب يقوله فاعادوا عليه الكلام فقال لهم اعلموا يا سادتنا انى طلبت منها خزنة مال على سبيل القرضة والسلف لان سيدى ايبك طلب منى خزنة مال وانا ما معى فاحببت ان اقترض له منها فقالوا له اذا كان ولا بد من ذلك فيكون شروط ثلاثة اولهم ان يكون ذلك برضاها الثانى ان يكون لاجل معلوم تأخذها منك فى وقت ارادتها الثالث ان يكونوا مكتوبين عليك بحجة شرعية ونحن نشهد عليك بذلك فقال ايبك اكتب ما اضرك من حبرك الا ورقك فكتب الحجه وختمها وقد انطلقوا بها الى السيدة فاطمة فاخذتها عندها وارسلت اليه الخزنة المال فاخذها وسلمها الى ايبك فاخذها ايبك وفرقها على قلاون ومن معه ثم ارتحلوا ولم يدر عيسى كيف تكون عاقبة هذا الامر فلما ارتحل ايبك سار على اثره وقد ظن ان بيبرس سبقته فى السير فهذا ما كان منه

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر بيبرس فانه نزل بجيشه فى الخلا وسار متوجها الى اخوانه أولاد اسماعيل ولم يزل سايرحتى انه وصل اليهم فلما وقعت العين على العين وسلموا على بعضهم ولسان الحال يقول صلوا على الرسول

فلا تحسب أننا نسامحك ساعة ... وروحى لقد بلغت على الطراقيا

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنون كل الظن ان لا تلاقيا

ثم انهم اكرموه غاية الاكرام وأراد الرحيل فأقسموا عليه ان لا يرحل حتى يأكل الضيافة عندهم فأقام (ياساده) فبينما هو كذلك واذا بعثمان اقبل اليه واخذه بعيداً عن الرجال وناوله كتاب وقال له هذا الكتاب قد أتى اليك من عند امك السيدة فاطمة فقال ياعثمان قد عرفت باطن الكتاب وقلبي يحدثني بان أبيك وباشة الشام جاروا عليها وظلموها والا ما كانت أرسلت هذا الكتاب على اثرى والرأى عندى انك تكتم هذا الامر ولم تبده لاحد من البشر خصوصاً هؤلاء الرجال لانهم لا يعرفون المين وانهم مثل المراكب شرهم على مقدمهم فقال عثمان صدقت ولكن اكتم انت السر فقال له سمعاً وطاعة ثم جلس بيبرس في مكانه ولم يبد كلام الى احد من الانام (قال الراوى) وكان السبب في ذلك ان السيدة فاطمة لما فعلوا معها ذلك الفعال وأخذوا منها خزنة المال كتبت ذلك الكتاب وارسلته مع سيار من عندها وقالت له سر خلف الامير وادركه عند أولاد اسماعيل واعطه هذا الكتاب بينك وبينه لانه كان حدثني انه ساير اليهم حين كان عندى فسار حتى أدرك الاسطى عثمان فأخذ منه الكتاب وقد عرف انه من عند السيدة فاطمة الى ولدها فأخذ الكتاب وسار به الى سليمان الجاموس وقال له سر معي وأخاف أن اطلعك عليه تبيح به فقال له والاسم الاعظم لا اتكلم الا اذا تكلمت انت فاعرض عليه الكتاب واذا فيه من عند السيدة فاطمة الى بين ايدى ولدى بيبرس اعلم انه بعدما توجهت من عندنا اقبل ابيك وأخذ مني خزنة مال بواسطة باشة الشام على سبيل الرهن واخذت عليهم بذلك حجة يكون في شريف علمك وبعد ان قرأه طواه واعطاه الى عثمان فأخذه وسلمه لسيده كما ذكرنا وحدثه بما وصفنا

وعاد الامير الى مكانه كما شرحنا وعدنا الى سياق الحديث باذن من يحيي
ويميت فقال له سليمان الجاموس نقيب الرجال يا اخينا نحن لا بيننا من يكتم
ولا مال يقسم فما الذى اخبرك به عثمان فقال له الامير ان عثمان يأمرنى بالرحيل
فقلت له حتى نأ كل الضيافة فقالوا له بالاسم الاعظم ما اعطاك كتاب فقال
نعم اعطانى كتاب فنظر الى عثمان نظرة الغضب وكان عثمان قد اطلع الرجال
على الكتاب قبل ان يعطيه الى سيده فقال عثمان هذه عيني وهذه عينه
بالاسم الاعظم انا وريتكم الكتاب فقال سليمان والاسم الاعظم وريتنا اياه
قال عثمان اخيه على ان بقيت اقل لك على شيء قال سليمان انا ماقلت حتى
انك بدأت بالكلام وقلت ولكن يادولتلي لاى شيء تفعل هكذا وتكرم
من لا يكرمك وتبقى من لا يبقى عليك فوالاسم الاعظم ان اقل انسان من
رجالنا يقدر على اعظم من هذا الرجل ولولا يقال انه مؤمن لارسل اليه من
يعذبه او يقتله فقال الامير دعونا من ذلك كله واتركوا امره فكل انسان
منه لربه قال فسكتت الرجال على مضمر منها (قال الراوى) فلما ولى
النهار واقبل الليل بالاعتكار التفت المقدم سليمان الجاموس الى ولده الفهد
واشار له بعينه فعرف المقصود وفهم المعنى فخرج من وقته وساعته ولم
يعلم احداً من الرجال الي اين توجهه فلما كان الثلث الاول من
الليل اقبل الفهد ومعه جمدان حامله فوضعه بين ايادى والده فقال
الامير بيبرس ماهذا يا اخي يا سليمان فقال له اعلم ان عندنا نخلة
تطرح في كل عام مرتين وقد اتينا بشيء منها لانها قد طرحت
في ذلك الاوان فافتح لنا هذا الجمدان حتى ترى ذلك اعيان فتقدم الامير
وفك الزرارات ومد يده واخرج ما كان داخل الجمدان واذا به باشة
الشام فلما رآه قال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم انه قال لهم

ولاى شيء فعلتم هذه الفعال واتيتم بهذا الرجل الى هذا المكان فقالوا له والاسم الاعظم ان لم يرد الخزنه مال والا اهرقنا دمه وان تكلم معنا عجلنا عليه فناه وجعلنا موته بين يديك فلما سمع الامير مقالهم علم انه اذا لح عليهم قتلوه فمكث على مضض خوفا عليه (ياساده) ثم انهم اعطوه ضد البنج افاق وقال اين انا قالوا له انت عندنا ياخناس من الذى أمرك بأخذ خزنة المال من السيدة فاطمه الاقواسية فقال لهم اعلموا انى لم يكن لى ذنب فى ذلك ابداً وهذا كله من فعال ابيك وجماعته فلعن الله حضرته هو ورفقته فما اشنع شورته فقالوا له ولاى شيء اغلقت الابواب في وجه أميرك وسيدك الامير بيبرس فلو اطاعنا لكنا حكمناه على ماراد من البلاد غصبا عن الملك الصالح وغيره فما تكون انت حتى تفعل هذه الفعال وتنهب احبابنا وتأخذ مالهم فى غيابنا ولكن وحق الاسم الاعظم ان لم ترد المال الذى أخذته من السيدة فاطمة والا نفعل بك كل ما نريد فقال سمعا وطاعة فقالوا له ومن يضمنك في ذلك فقال الفهد ولد سليمان الجاموس الضمان على الله وعلي فلو طلبتوه احضرته اين ما كان فى اى وقت كان ولا أبالى بأهل الشام فقال المقدم سليمان خذه ياولدى وأوصله الى مكانه واكرمه وعظم شأنه ونظر اليه بأعيانه فعرف الفهد مقال والده بالاشارة ثم انه سار به الى بعض الغابات وعطف به هناك وشبحه شبحة تقشعر الابدان منها ويفر الاسود عنها واعطاه ضد البنج فعطس فقال اشهد ولا اجحد بدين محمد انا فين قال الفهد انت عندى ياخناس ثم انه تركه وغاب عنه قليل وعاد ومعه شيء من الباليب الاشجار ثم تقدم الى عيسى وعراه ونزل عليه حتى اكاد ان يعدمه الحياة ومازال به حتى غشى عليه وصبر عليه حتى افاق ثم نجه وحله من الوثاق وسار به الى محل آخر

وفعل به مثل مافعل ولم يزل ينتقل من مكان الى مكان حتى ضربه سبع علقات حتى كاد ان يشرب كأس الممات ثم رده الى محله وقال له والاسم الاعظم ان لم ترد ماأخذته من المال والا اتيت اليك وقطعت رأسك وخمدت انفاسك فقال له سمعا وطاعة ثم تركه وهو على مثل ذلك الحالة وعاد عنه وهو لايصدق بانصرافه لانه اورثه كأس تلافه فهذا ماكان من أمر هؤلاء (قال الراوى) واما ماكان من امر باشة الشام فانه لما اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح طلع الى سرايته واحضر المال من خزنته وارسل احضر السيده الاقواسيه وسلم اليها المال الذى اخذه منها في عاجل الحال وقال لها ياسيدتى لا تؤاخذنى بما فعلت لانى كنت اجهل قدرك وماعلم ان خلفك من يخلص لك حقك ثم انه نسى ان يأخذ الحجة منها الذى كتبت عليه فاخذت المال وسارت الى منزلها واقام هو في مكانه ولم تعلم هى ما الذى قد جرى له فهذا ماكان من امر هولاء (قال الراوى) واما ماكان من امر الامير بيبرس فانه بعد ان فرغ من العزومه وارسل الجواب الى والدته برد الجواب فارسلت اخبرته بانها قد خلصت منه واخذت المال ففرح بذلك وارتحل طالب ارض حلب ولم يزال ساير يجد السير حتى لحق بالامير قلاون والوزير ايبك وكانوا قد سبقوه الى حلب ونزلوا هناك واقاموا يأكلون ويشربون من مطابخهم مدة ثلاثة أيام وقد أقبل الامير الى ذلك المكان واذا به يرى الاثام قد احتاطوا بالارض والبلاد وكان ايبك يظن ان بيبرس هرب في وسيع الوهاد ولما استقر الجلوس بالامير دقت الطبول والانقرة والزمور فأمر الامير ان ينادى فى عساكره بأخذ الاهبة للقتال وان يصطفوا يمينا وشمال ففعلوا ما امروا به في عاجل الحال هذا وقد ترتبت الاثام وخرج منهم فارس الى الميدان وبربر بلسانه فلما رآه الامير بيبرس

صاح علي بالجواد فتعلقوا به الرجال وقالوا له نحن لك الفدا فاقسم بالله ان لا يبرز الى الميدان أحد غيره ثم ان الامير ركب الجواد وتقلد بالسيف والرمح واعتد اعتداد ونزل الى حومة المجال ولعب في جوانبه حتى حير عقول الشجعان والابطال وتمايل الامير طربا واهتز على الجواد عجباً وأنشد وجعل يقول هذه الابيات

اليوم يوم الشدايد ويوم الحرب في وسيع الفدافد
فابرزوا الى يا عصبة العدا سأهلك منكم كل كافر ومعاند
وأطحنكم طحن الحصيد بجمعكم وأسقيكم كاس المهالك من يد
الآن تنظروا فارسا وغضنفرا بيبرس الهامات بشيده ومساعد
ويخمد الانفاس من اشباحها ويتركـكم صرعى فوق اعلا الجلامد
أنا بيبرس والفارس الذى يفزع من شخصى كل قرم معاند
أنا الهمام الذى شاع ذكره بين العباد في كل موقد
أنا حامى الاسلام في اللقا أنا مفدى الاسلام يوم تشرد
واني أنا الفتاك في جميع الورى وجميع الانام عنى تبعد
واليوم ابليكم بكل بلية وآخذ الاموال منكم باليد
وارجع منصوراً مجبورا مؤيداً ولى النصر من رب كريم مرشد
عليه توكلى في الامور جميعها عليه ترشدى وتهدى وتعمد
توسلت اليه بسيد الورى طه رسول الله نبينا الماجد
عليه منى صلاة مع سلاما دائماً ماهب ريح وما نزل الند
كذا الآل والاصحاب حقاً باسرهم ماغرد القمرى فوق غصن تفرد

(قال الراوى) وكان يومئذ الامير معتقل بسيف طويل مليح صقيل ملحازه ملك ولا رجل فاضل كما قال في حقه الشاعر هذه الابيات

حسام ابتر من الهند اصله قد فاق جميع السيوف باسرهم
له حد يلقط الرمل من الحصا له ضرب مهيل في جيوشهم
اذا تجرد من غمده فكانه البرق قد لاح في اقطارهم
ياله من حسام شاع ذكره بين الانام قد كان حديثهم

(قال الراوى) وكان الجواد الذى هو راكبه جواد أصفر عالى من الخيول مضمر ماحازه غيره ولا مثله في الخيول بين الاصفر محجل القوايم طويل الدعايم كاقال فيه بعض واصفيه هذه الابيات

جواد أصفر ذا غرة ماحازه في الورى كسرى ولا قيصر
محجل أغر خذف ذا رونق له غرة مثل الهلال اذا بدر
اذ غالب الرياح افاقها والبر له مثل المبيت اذا قصر

(قال الراوى) ولما توسط الميدان والمب بالسيف اليمان استقبل ذلك الفارس الذى كان نزل اليه واندفع كانه الاسد عليه وضربه بالحسام أطاح رأسه عن الهام فوقع قتيل وفى دماه جديل وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فابتدر اليه أخى المقتول وكان رجلا مهول وقال اللعين حتى رأى أخاه مابقا لى معيشة سواه ثم انه مالحق ان ينزل الى لقاه حتى ان الامير ألحقه بأخيه فنزل اليه عشرون فارس فاستقبلهم كانه النمر الداحس وأفناهم في الاباس ولم يزل على ذلك الحال حتى انه قتل خمسين من الرجال فلما نظرت اللئام الى ذلك الاحوال دقوا طبل الانفصال فانفصلت الطايفتين ورجعوا عن بعضهم وقد شكر الامير أصحابه على فعاله ولما كان ثانى الايام أراد الامير البراز فاقسموا عليه رجاله أن لا ينزل الى الميدان ثم انهم ابتدروا ونزلت المماليك وقد فتكوا بالكفار الصعاليك ولم يزالوا يقابلوا ويطاعنوا مدة سبعة أيام كل هذا يجرى وأبيك وجماعته يأكلوا على السماط يتبسطوا

غاية الانبساط ولا يباشروا حرب ولا قتال ولا يسألوا عن نزال ولا جدال
فلما عاين الامير بيبرس منهم ذلك وقد مضى عليهم سبعة أيام ولم يبدوا كلام
فاغتاظ الامير بيبرس من فعالهم وما قد ضمروا عليه من أمورهم فصبر
عليهم حتى امتد السماط وأراد أيبك أن يمد يده واذا بالامير بيبرس قبض
على يده وقد أكاد أن يخلعها من زنده وقال له أنت لم تستحق الاكل من
ذلك الطعام وما يستحقه الا المجاهدون في الاثام وأما أنت أكلك منه حرام
وكذلك من معك من اللئام فعند ذلك غضب أيبك وتأخر عن الاكل
وتاخروا أيضاً جماعته وامتنعوا من حين سمعوا كلمته ثم انهم ظهروا للامير
المكر والخديعة وقد أضمروا الخيانة الشنيعة وذلك انهم صبروا لما أقبل
الليل بالاعتكار واتفق الرأى بينهم ان يكتبوا كتابا الى القان هلاون
فكتبوا الكتاب وقالوا لبعض الرجال سر بهذا الى هلاون وائتينا منه
برد الجواب فسار الرجل حتى توسط الطريق واذا بعثمان مقبل اليه وقد
قبض عليه وأخذ برقبته ويديه وقال له الى أين أنت ساير فقال له يا اسطى
عثمان انى اريد أن أقضى حاجة سيدى أيبك فقال عثمان وعزة الله اذا لم
تقل لى على الصحيح والا أضربك بالروزه أقطع بها خبرك ثم انه جرد
الروزه فصاح الرجل أنا فى عرضك ياشيخ عثمان ثأن علي وأنا أعلمك
بالحال ثم انه أخرج الكتاب وناوله اياه فاخذ الكتاب وسار به الى سيده
والرجل بصحبته فلما دنا من سيده اشار اليه فنهض بيبرس وسار الى عثمان
فابتعد به عن الرجال واعطاه ذلك الكتاب فحله وقراه واذا فيه خطاباً
من أيبك وقلاون الى بين أيادى هلاون اعلم أننا خاص الاعداء للولد بيبرس
وأنت أيضا عدو له فاذا طلع النهار فاركب أنت في كامل رجالك واطلب
المحلة فاذا ظهرت عساكره وتوسطوا الى الميدان وكان هو معهم ركبنا نحن

الآخرين وساعدناك عليه حتى أننا نصرم عمره ويفرغ أجله ونأخذ ماله وما تملكه يده والسلام وهذا الكتاب خطنا وختمنا فيه يشهد علينا ثم أننا نعرفك انك تقتل حامل الكتاب لاجل أن يكون السر مكتوما بيننا والسلام (قال الراوى) ولما قرأ الامير الكتاب التفت الى الرجل وقال له اعلم يافتى أن عثمان كان سببا الى نجاتك من القتل وذلك أن أبيك كان أمر القان هلاون بقتلك لاجل أن يكون السر مكتوم بينهما ولولا أن أجلك مديد وعمرك فيه تأخير ماقبض عليك فاخبرني بما تريد هل تريد أن تقيم عندى أو ترجع اليه فقال له ياسيدى اريد أن أقيم معك وأكون خادما لك وبين يديك (ياساده) ثم ان الامير نهض من وقته وساعته وقال ياعثمان اتقى بالك من الخيام والاعلام والرجال والغلمان حتى أنى أعود اليك فاجابه بالسمع والطاعة ثم سار ليلا الى أن دخل الى عرض الشام وجلس على خيمة رشيد الدولة وكان الامير يعلم بأن رشيد الدولة مسلم يكتم ايمانه فلما وصل اليه سلم عليه سلام الاحباب وسأله عن سبب مجيئه فقال له لسبب عجيب وأمر مطرب بديع غريب ثم أعاد عليه القصة من أولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها فقال له وما الذى تريد فقال له اريد أن أكون عونا مع القان هلاون على عسكر السلطان لاعلى غيرهم وافعل معهم مثل ما أرادوا أن يفعلوا معى فقال له رشيد الدولة ياسيدى ماعليك فى ذلك من اثم وأنا أوصلك الى ذلك ثم أخذه من يده وسار به حتى أنه أدخله الى عند الملك وقال له ياقان الزمان اعلم ان هذا هو بيبرس العجمى وانه قد أتى اليك طائعا مختار واعلم انه قد كان أصله من العجم وعاد الى العجم وانه يريد أن ينصرك على الاعداء ويكون عونا لك فى هذه الركبة فقال له القان هلاون قوم بلاه يعنى مرحبا به ثم انه ترحب به وأجلسه الى جانبه

فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من امر أيبك فانه قعد ينتظر عودة الرسول فلم أتاه ولا سمع عنـه خبر فصبر الى الصباح وقد خفى عنه خبر الامير بيبرس فظن انه هرب فقال لرفقائه اعلموا ان بيبرس هرب وترك الحرب وها نحن قد ارسلنا الى هلاون ذلك الكتاب واقول انه لابقى يقصر فينا ولا يحاربنا والرأى عندى اننا قبل كل شىء ننهب مال هذا ولد الزنا لاجل ان تبلغ الاخبار الى هلاون فيصدق قولنا وما ذكرناه له من كتابنا فقالوا له هذا هو الرأى الصواب ثم انهم طلبوا السرادقات والاعلام وتعصبوا وارادوا أن ينهبوا فبينما هم كذلك واذا بصايح قد صاح عليهم الله اكبر فتح الله ونصر فتاملوه واذا به عثمان بن الحبلة وجماعته وعقيرب وجماعته وحرحش وجماعتـه ورجالهم والمماليك والرجال حول الاعلام بالسيوف الصقال وهو مجذوب بايديهم وعثمان بالرزة يقول وعزة الله كل من يقرب من السرادقات لاهرق دمه بهذه الرزه (ياساده) ولما عاينوا ذلك الحال ورأوا ما حل بهم من الرجال رجعوا على أعقابهم خائبين والى اما كنهم طالبين (ياساده) ثم ان عثمان امر بالزمارة والارغول وجمع الرجال وجعلوا يغنون ويصفقون ويرقصون وايبك وجماعته من ذلك يتعجبون ولم يعلموا الى بيبرس من خبر ولم يقفوا له على حلية اثر فبينما هم متحيرين في ذلك الامور واذا بالطبول قد دقت ونزل الى الميدان فارس فى الحديد غاطس وهو فصيح اللسان عالى الجنان وسار حتى توسط الميدان ونادى بأفصح لسان ميدان ياعصبة الايمان مافي الميدان الا الامير بيبرس الذى أصله من العجم وهاهو قد عاد الى العجم فلما سمعوا ذلك قال ايبك الفاتحة المشوم كفر يا بشتك وما لنا غير القتال معه ونسأل الله النصر عليه ولكن قوم يا بشتك انزل اليه فنزل اليه بشتك فطاوله الامير الى ان غاب عن اعين الناظرين

وأخذه من بحر سرجه وقبض عليه وضربه باللت صفحا ثمانين وقال له بعد ان أعاده الى سرجه عد الى اصحابك ولا تذكر لهم شيئا مما جرى لك فعاد وقد قال في سره لم اتكلم بحرف واحد حتى ينزل اليه غيري ويفعل به مثلي ويطعمه من هذا الطعام ويذيقه شراب الآلام ولما وصل الى ايبك قال له ماذا جرى بينك وبين هذا الولد ابن الحرام فقال له اعلم انى لما تحاربت انا واياه غلبته واسرته واردت ان آتيك به فوقع في عرضي فتركته في ذلك النهار وقلت لبالي الايام كثيرة ولا بد الذي ينزل اليه غدا يأسره والسلام (ياساده) ثم عاد أيضا بيبرس فسألوه عن خصمه فقال لهم الان كان الحرب بيننا سوى ولما كان ثاني الايام نزل سنقر ففعل به مثل مافعل ببشتك فرجع وهو ساكت على مضض ولم يزل كل من نزل اليه يفعل معه كذلك حتى فعل بالامارة جميعها ولكنه لم يأخذ منهم أحد أسير فلما كان الدور الاخير على ايبك ففعل معه هذه الفعلة وهو لا يصدق بالانفلات من يده وبعد ذلك نزل الامير الى الميدان وطلب البراز وسال الأنجاز فلم يبرز اليه احد من الناس فنزل الى عند الوزير رشيد الدولة وقد انكسرت شوكة ايبك وجماعته ونزلت عليهم الخيبة والخجلة فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) ياساده وأما ما كان من أمر ايبك فانه جمع قومه وقال لهم كيف رأيتم مافعل بنا هذا العلق بيبرس من الفعال والله والله انه ضربني حتى كدت ان اشرب شراب الهلاك فقالوا ونحن قد فعل بنا مثلك فقال ايبك وعلى ذلك مايكون لنا من طاقة والرأى عندى ان اكتب الى الملك الصالح جواب واعلمه بما جرى فقالوا هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انه سطر كتاب وسلمه الى نجاب وامره بالمسير فاخذه وسار طالب الديار المصرية فهذا ما كان منه واما ما كان من امر الملك الصالح ايوب ولى الله المجذوب

فانه جاس فى بعض الايام وقد تكامل الجند من حوله قرأ القارى وختم دعا الداعى وختم رقا الراقى وختم صاح جاويش الديوان وهو يقول

لله كل الامور جميعها ... والله العليم بما في سرائرى

وكل ما كان لله فهو واصل ... وما كان لغير الله فهو الخاسرى

ياابن آدم اسمع واعتبر ... وخذ النصيحة من ظاهرى

اوصل حبل الوداد محبة ... وابعد حبل البعاد عن القادر

واتبع حبل الرسول محمد ... الهادى الشفيع الطاهر

من مات مسلما ومسلما ... كان آمنا حقا ولم يك كافر

(قال الراوى يا كرام) فقال الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من الشدائد والمهالك ياحاج شاهين جزاهم على الله الطير بعد عن الطيور وراح عند الطيور السود ولكن هذا مما قد أصابه من الطيور لانه زعل وراح عند الطيور السود والطير ضرب الطيور بمنقاره وآمنهم بعد ان قدر عليهم والطيور غلبوا من الطيور والطير ظفر بالطيور والحق بيده ياحاج شاهين قال الوزير يامولانا السلطان مامعنى هذا الكلام قال له الملك انا رجل عبيط ماتأخذ لى على كلام فبينما الملك يدندن ويتكلم بمثل ذلك واذا بالنجاب يقبل الارض بين يديه النبي صلوا عليه فقال الملك انت ايش فقال له نجاب وحامل كتاب قال الملك من اين والى اين قال من عند الوزير ايبك قال الملك هات الكتاب فناوله له فقرأه وفهم معناه قال الملك لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم خذ الكتاب ياقاضى اقراه حتى تسمعه كل الرجال واذا فيه الصلاة والسلام على من تظلله الغمام كتابا من الوزير ايبك الى بين ايادى ملك الاسلام اعلم اننا سرنا كما أمرتنا مع بيبرس ففات من على قلعة العريش فنزل عليه اللعين فرنجيل وعراه هو

وجماعته فحضرنا وخاصنا من يده وخلصنا له جميع ماأخذه وسرنا الى الشام فتركنا وذهب الى الفداويه وسرنا الى حلب نحن نقاتل الاعادي الى ان حضر بيبرس ونحن نقاتل ونطاعن ولم يجف يده الى صدره فيوم من الايام قلنا له يا أخي هذا أمر لايصح والاقدمين قالوا يد على يد تساعد فقال غدا أحارب معكم فلما اصبح وجدناه نزل الى الميدان من عرضي الشام وصاح انا بيبرس أصلي من العجم ورجعت الى العجم ومالي بالاسلام من حاجة فنزلنا اليه وحاربناه ولكن انت تعلم ان الكثرة تغلب الشجاعة فلما تكاثروا علينا ونحن في عدد قليل وبيبرس وجماعته متفقين معهم أعيان الامرا فكتبنا ذلك الكتاب ادركنا من بيبرس ولدك لاننا لا نكرمه الا لاجل خاطرك والسلام على نبي تظلله الغمام (قال الراوى) فكل من كان في الديوان صار يتفكر في هذا الامر والشان الا الوزير الاغا شاهين فانه علم بباطن الامور واما ماكان من ارباب الدولة فجماعة قالوا بيبرس رجع الى اصله كفر ومنهم من دخل في الشك هذا والقاضي قد انفتح له باب وتحرك من مكانه وهز دبدبانه ونفض اكمامه وقعد وقام ودور العمامة وجنح طيلسانه وقال اشهد ان لااله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ياأمير المؤمنين انا كم اقول لك القول مرارا واعيده لك تذكاراً واجهاراً واقول لك ان ذلك الغلام اتانا من بلاد الاعجام يريد ان يفسد ملكك فانت تكذبني ولا تصدقني ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ياملك الاسلام هذا الغلام لايصفو قلبه ابداً الى الاسلام وماهو الا دسيسة ارسلوها اليك الشام والرأي عندي انك ترسل له من يحاربه ويضاربه ويقهره ويأتيك به اسير وترتح العباد من شره فقال الملك وعزة الله الابديه لايتوجه الى هذا الامر احد غيري ثم ان الملك أمر بالتجهيز وكتب للرجال وأمر بالرحيل

وجلس الامير جلجخان الطور مكانه قام مقام الملك وارتحل الملك وكان الوزير
من حسن رأيه أخذ كتاب ايبك وحفظه معه وذلك انه يعلم ان ماذكره
ايبك من المقال فهو باطل ومحال (ياساده) وقد سار الملك بالرجال حتى اقبل
الى العريش وقال الملك انزلوا هاهنا وبعد ان استقر قرار الملك الصالح قال
ياقاضي اريد منك انك تسير من عندي الى عند اللعين فرنجيل وتأمره
ان يأتي الى عندي حافي الاقدام عاري الرأس وما أرسلتك اليه الا لاني
اعرف انك تعرف بلسانه وان ابى ولم يأتي وعزة الله لا أبرح عن هذه
الارض حتى اقتله فقال القاضي السمع وطاعة ياأمير المؤمنين ثم ان القاضي
سار الى قلعة العريش وطلع الى اللعين فرنجيل فلقاه وسلم عليه سلام
الاحباب وقال له اعلم ان ملك الاسلام يدعوك اليه وقد ارسلني اليك
بذلك والرأى عندي ان تسير معي اليه واذا وقفت أمامه دعني اتكلم انا
بما اريد من الكلام فلو انى ضربتك في حضرته بالنعال فما عليك
من هذا المقال ولا تأخذ في نفسك شيء لان الملك اراد المحاربة وانا
الذي منعته من ذلك فقال سمعا وطاعة ثم نزل مع القاضي وهو حافي
الاقدام مكشوف الرأس الى ان اوقفه بين يدى السلطان فقال الملك
قد اتيت به ياقاضي قال القاضي هذا ملعون فلو انه عصى او خالف
أمرى كنت قتلته بيدى فقال الملك يافرنجيل من مثلك ينهب عساكرى
وولدى بيبرس وتأخذ ماله وتعريه فلما سمع الامير ذلك المقال قال لا وحق
رأس أمير المؤمنين وحق المسيح والانجيل ومن اكون انا حتى انهب بيبرس
ياملك الاسلام اقدرت عليه وهو صغير بلا رجال وقتل ولدى تومه فكيف
اقدر عليه وهو له عزوة ورجال كثيرة وحق شركة ملوكة وزرارة الفردان
وكرسوم العريان وفرعة الذي غرق في شخاخ الرهبان وحق الشهيد مكمنين

المقتول في دير الطاين اني مانهبت بيبرس ولا تعرضت له والا اكون مسلما
مثل المسلمين واغسل بالوصى واستنجي واتطيب والبس العمامة البيضاء
اني ما فعلت ذلك ابدا وانما هو الذى فعل معي كذا وكذا ثم
اعاد على الملك والرجال جميع ما كان من أول الامر الى آخره فقال
الملك ياوزيرى كلام هذا اللعين مخالف لما في كتاب ابيك فقال
الوزير ياملك الاسلام العلم عند الله هذا وقد قام القاضى وقال له
تكذب ياملعون وانى لا أصدقك ابداً هذا وقد قال الملك اين ابوا
حديده عوجه فقال نعم ياملك الاسلام فقال له ماص لى آذان هذا
الكلب القرنان فصاح عندذلك اللاعين انا فى عرض قاضيكم يامسلمين
وكانوا يتكلمون بالاشارات بينهم باعينهم فقال فرنجيل ياقاضى وحق
المسيح ان ينظرونى لاقر عليك انك نصرانى واخليهم يحرقوك قبلى
فقال له ان فعلت ذلك تكفر في ملة المسيح ولكن اقع انت في عرضي ففعل اللاعين
ماشار اليه به فهذا كان الاصل والسبب هذا وقد نهض القاضى على الاقدام
وقال يامولانا السلطان اكرمه لاجل خاطرى وقد قال القايل شعراً في المعنى

يهان علينا ان تصاب جسومنا   وتسلم اعراضاً لنا وعقول
ومايضيع العرض الا كل جاهل   ومايحفظ العرض الا من كان مقبول

ثم ان القاضى قال يامولانا السلطان شعرة من الخنزير خيراً منه وهذا اللاعين يشترى
نفسه منك بالمال فقال الملك لا ابيعه الا بخزنة مال معدودة منقودة مفروزة
فقال اللاعين على الطاشطه فان اطلقتونى ارسلت اليكم الخزنة المال
قال الملك لا اطلقه الا بضامن يضمنه فقال اللعين ضمانى على القاضى قال القاضى
ضمانه علي يامير المؤمنين قال الملك اطلقوه فلما وصل الى القلعة ارسل
الخزنة المال الى الملك ثم ان الملك ارتحل حتى اقبل الى الشام فتلقاه عيسى

الناصر شرف الدين وقبل الارض بين يديه ووقف في خدمته قال فبينما الملك جالس وعيسى الناصر بين يديه واذا بالسيده فاطمه تقبل الارض وهى تقول نعم ياامير المؤمنين فقال الملك اهلا وسهلا بالسيده فاطمه بنت الاقواسى انت اسمك ايش فقالت له نسبت للاولياء الكرامه ياسيدي انا فاطمه الاقواسيه مظلومة ياامير المؤمنين فقال الملك ومن ظلمك فى مدتى وانا ملك الاسلام فقالت له ظلمنى هذا الرجل عيسى الناصر شرف الدين ثم انها اخرجت الحجه التى كانت كتبت عليه فقراها واشفق عليه وقال له ومن امرك ان تأخذ الخزنة المال من هذه الحرمه فقال يامولانا السلطان رددتها اليها فقال الملك هاهى مكتوبه عليك على يد العلماء وعزة الله الا تعطيها خزنة مال لانك انت الجانى على نفسك ولو كنت اعطيتها المال كنت اخذت منها الحجه هذا وقد امر باحضار المال فأخذت المال ثانى مرة فاما اخذتها قال له اخبرنى لاى شيء اغلقت ابواب الشام فى وجه بيبرس دون غيره اماهو مسلم فسكت فقال الملك وعزة الله الا يوضع فى الحديد ويسجن في سجن ضيق ظلام واكتبوا الى بيبرس حجة شرعية بانى اوهبته له مالا ودما اذاهو قتله فما احد يطالبه بدمه والمؤمن عند قوله فكتبت الحجه وختمها السلطان وقال ودوه الى السجن حتى يحضر بيبرس ويجلس على تخت الشام ويفعل كلما اراده به هذا وقد سجن باشت الشام ونزلت السيده فاطمه وصرفت خزنة المال على الفقراء والعلماء فهذا ماكان من امر هولاء

(قال الراوى) واما ما كان من امر الملك الصالح فانه جلس على تخت الشام على الاقواسى وارتحل طالب ارض حلب بعد ان أخذ الراحة فلما وصل اليها تلقوه الرجال والامراء واراد ايبك ان ينزله عنده واذا بعثمان مقبل عليه قال الملك اهلا وسهلا بالشيخ عثمان قال عثمان انزل مكانك يستناك فقال

الملك سمعا وطاعة لانى لا أخالفك ياشيخ عثمان ثم صار معه حتى جلس داخل صيوان بيبرس ولما استقر به الجلوس وراق الحى سأل الملك ايبك على ما جرا فاخبره مثل ما ارسل في الكتاب فلما سمع الملك ذلك الكلام قال وعزة الله لا ينزل غدا الى الميدان ويحارب بيبرس غيرى انا ثم انه صبر حتى طلع النهار وذهب الاعتكار وصاح بابو الخير هات الشهبة فركب الملك الشهبة وتقلد بسيفه الخشب والطليحية على رأسه والترس الجميز في يمينه وسار واقسم ان لا يتبعه احد من الرجال فلما توسط الميدان صاح ميدان يابيبرس وعزة الله لا ينزل الى الا بيبرس الذى اصله من العجم ورجع الى العجم فلما سمع بيبرس ذلك الاخبار ركب من ساعته وقد ظن بيبرس ان هذا رجل من الرجال (يا سادة) ولما تقارب من الميدان واذا به يرى الملك الصالح هو الذى في الميدان فلما عاين ذلك تحول سريعا على ظهر ركوبته ولزم ادبه وحشمته وقال يا ملك الاسلام يعز علي هذ المرام ثم ان الامير بيبرس قبل الارض بين يديه وقال له

ايا ملك قد حاز كل المفاخر	ونصره الله على الكفار
وقد حاز السعادة من كريم	جل الذى اعطاه هذا القمار
واوهبك السياده حقا	سبحانه هو الواحد القهار
لا تأخذنى بذلتى وبذنبى	ان الكريم يعفوا عن الاوزار
وما فعلت هذا الا بما لامنى	من كيد اخصامى ولبس العار
ظلمونى الاعادى بمكرهم وهواهم	وانا العبد وانتم الاحرار
ياسيدى قد جنيت ذنوبا	فان شئت فاعفو والا فخذ بالثار
ارمونى عداى بسهم	اصابنى بيمينى مع يسار
وانى اتيت اليك الآن معتذرا	فاقبل من اتاك بالاعتذار

وانت حقا من نسل طـه محمد الهادي كامل الانوار

(قال الراوى) فعند ذلك تبسم الملك ضاحكا وقال له اركب ركوبتك وحاربني يابيبرس فقال ياملك الاسلام العفو من شيم الكرام وانا لايمكنني ان اقاومك في حرب ولا نزال ولا طعن ولا ادخال فقال الملك لابد من ذلك فلا تخالفني ثم ان بيبرس ركب الجواد على مضض منه وتقدم اليه وهو غارق في بحر الحياء فقال الملك يادايم واشار الى بيبرس واذا بيبرس غاب عن الوجود وبقي حاضر في صفة مفقود ومفقود في صفة موجود وقد رأى من ذلك عجب عجيب (قال الراوى) واعجب مافي هذه السيرة العجيبة ان بيبرس أخذه النوم فرأى نفسه كأنه في واد احقر اقفر مافيه من المـاء قطرة وقد أصابه العطش من شدة حر ذلك الواد حتى كاد ان تزهق روحه وقد حصل له من ذلك ضيق عظيم وشيء عجيب جسيم وكلما يمشي في ذلك البر يشتد عليه العطش والحر وهو يستغيث فلا يغاث فبينما هو كذلك واذا قد ظهر له سبع غضنفر قـدر الثور الـكبير او اكبر وهجم على بيبرس يريد قتله فاراد الاميران يطابه بالسلاح فلم يجد من السلاح شيئا معه وقد طمع الاسد فيه لاجل انه خالي من العده فزاد عليه الضيق وأخذه القلق والفزع فاراد الصعود الى رأس الجبل واذا بالواد قد امتلا بالماء حتى عم الارض جميعها ووجد نفسه في وسط ذلك الماء وكل ماأراد التخلص يجد الماء قد زاد عليه فالتجأ الى جانب جبل وسلم أمره لمولاه وتوكل عليه واذا به يرى الماء يصل الى عند ذلك الجبل وتضربه الامواج فتقطع منه قطع كبيرة مثل الامواج وهو يتهايل عليه حتى انه يريد ان يقع عليه فقصد التخلص من ذلك الهول المهين الى جهة اليمين واذا بنار قد اشتعلت فيه فهرب من النار الى جهة اليسار فرأى ذلك البحر قد طغى وفار

فعاد الى خلف فرأى الجبل وهو يتهايل فعاد الى قدام فرأى الاسد الضرغام فاما أعياه الامر وزاد به الضرر فما وجد حيلة الا الدعا الى مولاه فرفع وجهه الى السماء قبلة الدعاء وقال هذه الابيات صلوا على سيد السادات

يالطيف بالعباد جميعهـا ... يارحيما بالغريب وبالغرب
كن عونى يا الهى ومنقذى ... وفرج عنى ماحل بى من الكرب
ونجنى يارب من كل شدة ... بحق حبيبك الملتجى غاية الطلب
اعنى محمداً خير الانام بجمعهم ... عليه الصلاة ماهطلت سحب
وخصه منى بالسلام تكرما ... مالاح فجر في شرق وفى غرب
فاعف عنى ياالهى وخالقى ... وخلصنى من شدتى ومن كرب
وادفع عنى الاعادى وصدهم ... بحقك يارحمان يا كاشف الريب
ولا تأخذنى بزلتى وذنوبى ... بجاه المصطفى المحبوب صفوة الرب
وخذ بيدى منة وتكرما ... انت الرحيم الكريم بكل قلب
عليك توكلى ثم اعتمادى ... لك اسلمت أمرى من بعد وقرب

(قال الراوى) فلما فرغ الامير بيبرس من ذلك الكلام وما قال فى ذلك المنام اشار عليه الاستاذ الملك الصالح ايوب بيده فأفاق وهو يقول قولا عدلا اشهد ان لااله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله انا فين فقال الملك يادايم ياحق يامعبود ياعلام الغيوب انت عندى يابيبرس اخلى السبع والجبل يقع عليك او البحر يغرق عدوك اوالنار تحرق ضدك فقال له ياسيدى ارجو منك السماح واحمانى مثل ماقال الشاعر في حقه هذا المعنى

العبد مذنب والمسامح كريم ... والعفو يمحى كل ذنب جرا
انا قدقرأت في الكتاب المبين ... لولا الذنوب ما كانت المغفرا
والعبد أساء وقد رجع معتذراً ... اليك والذنب منى جرى

(قال الراوى) فقال الملك سامحك الله بما فعلت من ذلك ولكن
لابد من التحقيق بينكما ومايكون الراى فى ذلك الركبه فقال يامولاى اعلم
ان الاعجام واثقين منى ولكن انت رجعت الى العرض وانا رجعت اليهم
واقبل الليل بالاعتكار ارسل الى اخوانى الفداويه وانا اكون معاونا لهم
على كبس الركبة ونهب الاعادى فقال الملك هذاهو الصواب والامر الذى
لايعاب ثم رجع الى مكانه بعد أن تودع السلطان منه وعاد بيبرس وقد
اجتمع برشيد الدولة وأعاد عليه ماجرى سرا بينه وبينه ففرح رشيد بذلك
الخبر وتهلل وجهه واستبشر ثم أخذه ودخل على القان هلاون وقال
له اعلم أن بيبرس العجمى قد تحارب مع قان عرب وكان مراده
أسره فلم أمكنه ذلك ولكن لابد ان يأسره غدا ان شاءت النار
فقال اللعين قوم بلاه ثم انهم صبروا الى الليل وقد نامت الاعجام
وهم آمنين من حوادث الزمان وما خبىء لهم عند مدبر الاكوان
حتى توسط الليل فبينما هم فى ألذ مايكون من المنام واذا بالصياح قد
أخذهم من سائر الاقطار ووقع فيهم القتل بالسيف البتار فلا أحد
قدر ان يثور من مكانه حتى طارت رأسه عن ابدانه وربما كان
الرجل منهم اذا اخذ سلاحه قتل به اخاه واعدمه الحياه ومنهم من
كان متجرد بغير حسام وصارت المجوس شنيارها معكوس وجيشها
مكبوس وعمل فيهم السيف والدبوس ولمت السيوف فى غياهب
العاموس وزهقت النفوس وجرى الدما من الرجال مثل ذبح التيوس
وعاد صباحهم معكوس وعمل فيهم البتار وقد اشتعلت نار الحرب
اشعال وتجندل الافيال وجرى الدما وسال فلا كنت تسمع للسيوف
الا الرنين ولا للمجاريح الا الانين وأخذهم السيف من الشمال

واليمين وضاق عليهم البر الفسيح وتعاووا مثل عى الذبيح وضاق الخناق وشربوا من الموت أمر مذاق ووقف الحرب على قدم وساق وتعلقت الفرسان بالفرسان والشجعان بالشجعان وطارت الرؤوس من الابدان وزهقت النفوس من شدة الولهان وشيب الشجاع المصان وولى الجبان المهان وصار الدم ينزل والسيف يعمل ونار الحرب تشعل وكانت هذه الواقعه لايعرف لها اول من آخر (باساده) وكان السبب في ذلك سبب عجيب وهو انه لما رجع الملك من الميدان اخبر الوزير بما دار بينه وبين بيبرس من الكلام فقال له الوزير ياملك الاسلام لقد قال بيبرس احسن الكلام فقال الملك دبر انت يا وزير الزمان هذا الامر برأيك واحكم فيه بحكمك فقال ياملك الاسلام اعلم ان هذا الامر لاتنفع فيه رجالنا ولا تستقيم فيه أبطالنا وان بيبرس نظر موضع النظر وبما في ضميره اخبر ولقد قال الحق ونطق بالقول السديد الصدق مالهذا الامر الا الرجال الفداوية اولاد اسماعيل الذين هم معدودين لكل امر مهين لانهم ارباب الحروب واخبر بهذه الامور واما نحن ارسلنا رجالنا لامرك هلكوهم الاعادى وسارت عليهم اشأم خسارة فقال الملك وفق الله للخيرات ولكن ارسل لهم انت سراً حتى لا يعلم احد من الامراء ولا غيرهم ويكون هذا الامر مكتوم بيننا لاننا لانسلم ان يكون عندنا عيون او ارصاد اومن ينقل اخبارنا الى أعدائنا فيأخذوا حذرهم منا فقال الوزير السمع والطاعة ثم ان الوزير ركب من تلك الساعة وسار حتى اقبل الى وسط الواد وكتب كتاب وختمه بخاتم الملك بعد ان انفرد عن سائر العباد وناوله الى نجاب وقال له سر الآن الى المعرة وسلم هذا الكتاب الى نقيب الرجال وأمره ان يعمل بما فيه ثم عاد بعد ذلك الوزير الى مكانه وسافر النجاب بالكتاب على عجل

من امره فوجد الرجال مجتمعين فسلم الكتاب الى النقيب فلما فضه
وجد التره الملكيه والخاتم الملكي فصاح سلام ورحمة الله وبركاته فصاحت
الرجال سلام ورحمة الله وبركاته ثم انه قرأ بحمد الصلاة والسلام على المظلل
بالغمام خطابا من الفقير الى الله تعالى الرجل الصالح أيوب الى بين ايادى
اولاد اسماعيل الاشراف نسل عبد مناف المنسوبين الى جد الاشراف
يسلم عليكم ولدى بيبرس ويأمركم ان تكونوا على اهبة من امركم وتسيروا
من اول حضور الكتاب عندكم حتى اذا اقبلتم الى حلب فلا تجعلوا احد
من الدولة ينظركم بل انكم تختفوا فى الجبال حتى يأتى الليل بالانسدال
وتتم الساعة اربع وتهجموا على الاعجام وتجدوا بيبرس لكم في الانتظار
والحذر ثم الحذر من المخالفة والسلام على نبي تظلله الغمام فلما سمعوا ذلك
الرجال اجابوا بالسمع والطاعة وركبوا خيولهم فى اقل من ساعة وساروا
حتى اتوا الى ذلك المكان واختفوا حتى لايراهم انسان حتى توسط الظلام
وانحدروا من الاكام وقد تقسموا اربع اقسام واحتاطوا بالليام وصاحوا
صيحة واحدة ونزلوا عليهم نزول السيل كما ذكرنا وابادوا الاعجام كما
وصفنا وجرى من القصة ما قدمنا فهذا كان الاصل والسبب وسنرجع الى
ما كنا فيه من تمام كلامنا ونصلى على محمد تاجنا وامامنا وما زالت الرجال
تقاتل وتجاهد حتى محق الله ايادى الكفار هذا ولما سمع القان هلاون
بذلك الصياح اخذه الخوف والانزعاج وخرج من ظهر الصيوان تحت الظلام
وهو لايصدق بالظلام مما نزل به من بلاه ولما تضاحى النهار فما بقي من
الكفار ولا نافخ نار ومضى الليل وارتحاله وايد الله الاسلام الابرار
بتوحيد الملك الجبار فامر الملك بجمع الاسلاب والغنايم فجمعوها ودوروا
على هلاون فلم يجدوه وكان اول من هرب وتبعه رشيد الدولة وقد خلع

ملابسه وسار عاري الجسد على جواد مجرد فلما رآه هلاون عذره وقال له ما حالك يارشيد قال له اعلم اني قد نجتني النار من هؤلاء الرجال ولولا اني تركت ملابسي وما تملكه يدي والا كانوا قتلوني فصدقه القان هلاون في ذلك المحال ولم يعلم انه فعل من اول الليل هذه الفعال لانه كان يعلم بذلك كله وكان بيبرس اخبره فتجرد من ملابسه وطلع كما ذكرنا وقابله هلاون كما وصفنا فساروا الاثنين هاربين والى النجاة طالبين (ياساده)وقد جمع الملك الاموال والخيام واخذه وسار الى حلب بعد ان أمر بدفن القتلا وترتيب له البلد والامير بيبرس راكباً الى جانب الملك حتى جلس على كرسي حلب والامارة حوله ووقف بيبرس بين يديه فقال الملك ياوزير شاهين الآن اريد ان احقق هذا الامر فأين الكتاب الذى ارسله ايبك الينا فأخرج الوزير الكتاب فقال الملك اعطوه الى القاضى يقراه فى حضرة ايبك والامراء فقراه القاضى وسمعوه الرجال وقال الاغاشاهين انت ياايبك الذى خلصت بيبرس من يد فرنجيل وخلصت له متاعه الذى كان أخذه منه على قلعه العريش فسكت ايبك ولم يتكلم بكلمة واحدة فقال الوزير يابيبرس ايبك هذا قد خلصك من يد فرنجيل وهو قد أخذ مصالحك ومتاعك فتبسم بيبرس وقال تعالى ياايبك انا ماخبرتك فى المسير فقلت اسير أمام قال نعم قال فلما سرت ووصلت العريش نزل عليك فرنجيل وعراك انت ورفقاك قال نعم ياسيدى قال له ورجعتم عرايا فكسيتكم قال ايبك نعم قال له وبعد ذلك امرتنى ان اسير أمامك فسرت انا ورجالى وطاوعتك وتخلفت انت عنى قال ايبك نعم ولما اتيت الى الشام وانا سائر الى الركب بأمر السلطان غلقت الابواب فى وجهى وفتحت لكم قال ايبك نعم قال ولما رحلت اقبلتم انتم ودخلتم الشام فتلقاكم ونهبتم من

أمي خزنة مال بواسطة عيسى باشت الشام قال ايبك نعم فقال الملك يكفي
هـذا ياولدي الله يجزي اهل الباطل اقعد يارجل ياايبك اقعد دم على
قلبك يبقى بقيت انا عندك مضحكة ثم ان الملك قال لبيبرس دعنا ياسيدي
من فعال هذا الخائن وحدثنا انت على الامر كله وما يكون سبب رجوعك
الى العجم وتركك لهؤلاء الامم فقال له يامولانا السلطان اسأل هذا
الغلام واشار بيده الى الرجل الذي كان ارسله ايبك بالجواب الى هلاون
ثم انه اخرج الكتاب وقال وحق الكريم المتعال هذا الكتاب هو الذي
منعني من صحبة هؤلاء الانذال فأخذ الملك الكتاب وقراه بما قد ورد
وتقدم فقال الملك لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم اقبل الملك
على ذلك الغلام وقال له اخبرني يامسكين عن القصة كلها لانك من رجال
ايبك فقال يامولانا ان ايبك اجتمع برفقائه وعمل بينهم مشورة وكتب ذلك
الكتاب وارسلني به الى هلاون وقد ذكر فيه قتلي وانا لا اعلم بشيء من
ذلك فلما سرت بالكتاب صادفني عثمان فأوقفني عند سيده فأعطاني الامان
وسألني فأعطيته الكتاب والحمد لله الذي نجاني ربي من الموت على يده وقد
خدمت عنده ثم اعاد عليه الامر فقال الملك هذا يصح منك ياايبك ويحل
لك من الله ان تأخذ ذنب هذا الرجل في رقبتك وتنصر الكفار على
الابرار ولكن جزاك الله وعزة الله الابديه لم تأخذ من هذه الغنائم شيئاً
ابداً لا انت ولا رفقاك وجميع ماغنمناه وما اكتسبنا فهو وهبة مني الى
ولدي الامير بيبرس يتساعد به على فقره لانه هو الذي قد انظلم في هذه
النوبة وقد أضاع مال كثير وانتم يكفيكم مانهبتوه من أمه بغير حق فكان
ايبك وجماعته الموت لهم أحسن واولى من سماع هذا الكلام قال ايبك الفاتحة
هـذا وقد تغير مزاج السلطان من ايبك ورفقاه وجلس على كرسي حلب

للراحة سبعة ايام وقد اقاموا معه اولاد اسماعيل ثلاثة ايام وارتحلوا بعد الاستئذان وارتحل الملك حتى دخل الشام وقد تزينت الشام لقدومه فلما جلس على التخت وقف الامير علي الاقواسى فى الخدمة وقد تكامل الديوان وجلست الرجال بين يدى السلطان فقال الملك هاتوا باشت الشام وكان من تلك المدة فى السجن كما ذكرنا وكان سابق أحواله كما وصفنا وقد ضاقت عليه الدنيا فجعل يبكى وينوح من كبد مظنى مجروح وهو يقول

قد جفانى الاحبة والاخلا ... واصبحت في السلاسل والقيود
وامسيت في ظلام من فعالى ... واشتفى منى الحسود
وآلمنى قلبي وزادت وساوسى ... وحط فى وجهى وزاد سعودى
وهجرنى المنام من بعد عزى ... واعترانى الافتكار بالجحود
وما أدرى ماالذى يجرى على ... من جاءكم أقوى من الجلمود
فيارب فرج عنى كربتى ... وبلغنى يارب غاية المقصود

(قال الراوى) فبينما هو ينعى على روحه وينشد الاشعار ويرخى الدموع الغزار ويطلب الفرج من الملك القهار واذا بالرجال داخلين عليه وقد أخذوه بقيوده فى يديه ورجليه وعادوا به حتى اوقفوه بين يدى السلطان فلما وقعت العين على العين وتأمله الملك وهو في هذه الحاله فقال الملك سبحان المعز المذل ياسيدي بيبرس انا أوهبت لك هذا الرجل مالا ودما وعزة الله الابدية ان قتلته اوصلبته مااحد يقول لك لاى شيء فعلت ذلك ابدا ولا أحد يطالبك بدمه ابدا وذلك جزاؤه بما فعل معك من الفعال المذمومة والامور المشؤومة لانه رجل ظالم جبار وقد فعل فعل الانذال لاسيما وقد ظلم أمك فى المال وطاوع الشيطان وخالف الرحمان فقال الامير بيبرس يامولانا السلطان مرادى اتمنى عليك فقال الملك تمنى ماتريد فقال له تمنيت على الله

ثم على جنابك العفو عن باشت الشام يامالك الاسلام واعادته الى تخته والعفو منك عنه وعن فعلته فقال الملك الله ياوزير حقيقة ان بيبرس ابن ناس وقد يقال في هذا المعنى ابيات

جبت عود ورد في بستان ونشيته وجبت له زهر مع ماء ورد وسقيته
وغبت عنه ثلاث ايام وشميته فجت علي روائح قلت من بيتــه

(قال الراوى) فقال الامير بيبرس يامولانا السلطان المجازى هو الله وكل شيء بقضاء الله وانى قد سامحته في كل مافعله فقال الملك قم الآن وخلصه بيدك من نطعة الدم وذلك يبقى من معاتيق سيفك واعلم ان الله قد استجاب لك دعاك وبلغك فى اعداك مناك فتقدم بيبرس وحل كتافه وأطلقه مما قد اعتراه من تلافه وخلصه من الحديد فقال الملك يارجل ياعيسى قبل يد الامير بيبرس فاجاب بالسمع والطاعة وباس يده على مضض منه والقلوب لا يعلم بها الا علام الغيوب ثم أمر له بالجلوس فجلس هذا والملك جعل يترحم ويقول يارجل ياعيسى اعلم انه هذا هو الغلام الذى كان ضعيف انظر الى فعل ربك كيف انه يخفض العالى ويرفــع الواطى انظر ياعيسى كيف أن الله ايده بالقبول ومن عاند مسعد مات مكمد وجعل يتكلم بمثل هذا الكلام فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ماكان من الامين القــاضى وما يفعل هو وأيبك من الكلام العجيب والامر المطرب البديع الغريب وذلك ان أيبك لما جرت له هذه الامور كبرت علته وزادت حسرته ونمــا همه وزادت بليته ولمــا اعياه الامر وعدم منــه الصبر اجتمع على القاضى ليلا وشكى اليه حاله وما الذى قد أصابه وآناله وقال فى مقاله انظر ياقاضى كيف دبرنا وما فلحنا وتعبنا وما بلغنا واجتهدنا وضاع تعبنا وبعد

هذا كله يعطيه الرجل الصالح السلب والغنيمة ولا يرعى لنا جاه ولا قيمة وكيف يكون الرأى فقال القاضي اصبر وما صبرك الا بالله ولا تعجل فى هذه الامور ايها الوزير فلا بد ان افعل معه كل امر خطير ثم ان اللعين أخرج دواة وقرطاس وسطر كتاب وطواه وقال لغلامه سر بهذا الكتاب الى قلعة زهير وهى قريبة من هذا المكان وسلمه الى زهير وأمره ان يعمل بما فيه فأخذ الكتاب وسار ولم يزل ساير حتى وصل الى ذلك القلعة فدخل على زهير واذا به جالس بين اقرانه كانه الاسد الغضنفر فسلم عليه وأعطاه الكتاب فحله وقراه وفهم رموزه ومعناه واذا فى أوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وأنتم نوحد الملك القريب المجيب خطابا من شيخ الاراجيس وفي الارض خليفة ابليس عالم الملة المسيحية جوان الى بين ايادى ولدى زهير ياولدى حال وصول هذا الكتاب اليك تسير الى ارض الشام وتصبر حتى يقبل الليل وتدخل على بيبرس تسرقه وتسير به الى بين حلب والشام حتى تتوسط البلدين هناك مكان منقطع عن العمران يقال له فم الرمانة وعقبة الصوانة وهو محل مشهور بين حلب والشام فاذا وصلت به الى ذلك المكان تقطع راسه وتخمد انفاسه واعلم انى اخبرنى بذلك السيد المسيح وقد اوهب لك الاجر الكثير ومائة سنة زياده في عمرك وعشرين فدان في الواد الاحمر فقال اللعين شكراً للمسيح وكان اللعين جبار لا يطاق وعلقم مر المذاق فرد الجواب الى البرتقش وقال له سر الى استاذك وسلم عليه واعلمه بانى فاعل كما امرنى به فسار البرتقش واعلم جوان بما جرى وكان فهذا ما كان منه (قال الراوى) واما ما كان من امر ايبك فانه فرح فرحا شديد ما عليه من مزيد وظن انه يبلغ مناه وان بيبرس يذوق كاس فناه ولم يعلم بانه فى حفظ مولاه (ياساده) ولما جن الليل

وصلوا صلاة العشاء دخل الامير الى صيوانه يريد المنام واذا بعثمان داخل عليه فقال سلام عليكم قال بيبرس عليكم السلام قال عثمان قوم بنا نلعب النطة فقال له دعنى انام انا ما العب شىء قال عثمان خلينا نتحدث مع بعضنا الليلة واترك النوم قال الامير انصرف عنى يا عثمان قال عثمان نلعب الكوره قال الامير انا لا العب شيئاً قال عثمان وانت الآخر جالك داهية من عند الله ولكن مدركاك فيها الالطاف فقال له سير انت الى حال سبيلك فتركه وسار وهو ينادى بعلو صوته ادركيه يا امير فمة بالانوار فهذا ما كان من عثمان واما الامير فانه بعد ان قرأ ورده وصلى فرضه نهض وخلع ملابسه ونام وتوكل على الملك العلام (قال الراوى) وكان اللعين قد اقبل ولبس ملابس الاسلام وسأل عن ذلك الصيوان فعرفه وعلمه وخرج حتى اقبل الظلام ونام كل انسان وقد اقبل اللعين وشق ظهر الصيوان فرأى الامير نايم على قفاه مشاهد مولاه فاخرج منديلا بالبنج التيار وفرده على وجهه وهزه القى النوم على النوم ثم وضعه في جعدان واحتمله وسار به الى ذلك البر والوديان ولم يزل ساير حتى اقبل الى فم الرمانه وعقبة الصوانه ونزل الامير الى الارض وشده كتاف وقوى سواعده والاطراف واعطاه ضد البنج افاق يقول اشهد ولا اجحد انا فين فصاح اللعين عليه انت عندى يا كناس انت من متاع محمد ما بقى لك خلاص من ضيق الاقفاص قول كلمتك عند المنطار فقال له الامير انت ايش قال له انا زهير فقال له ومن اوصاك على ليتنى طاوعت عثمان فقال له اوصانى عليك عالم الملة جوان فقال له الامير ان كان اعطاك الف دينار انا اعطيك الفين فقال له لامين يارى اعطانى مايه سنه زياده فى عمرى وعشرين فدان فى سقر فقال الامير لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ليس بعد الكفر ذنب يا معلم اعمل جميل اصنع معروف فقال له يا كناس هل رأيت نصرانى يعمل فى

مسلم جميل هذا الامر مستحيل فقال له تأخر عني حتى اطلب الفرج من صاحب الفرج فضحك اللعين عليه وجعل يهزأ به ثم تأخر اللعين عنه وقد رفع الامير طرفه الى السماء قبلة الدعاء وقال

يامن عليك توكلي مولى الموالى ... انت وسيلتي في كل حال
وقفت ببابك الاعلى سحير ... لتقنعني بفضلك عن سوالى
فان سامحتني ومحوت ذنبي ... فلا خوف علي ولا ابالى
وتسامح زلتي وجميع الخطايا ... ووحدتي يارب ثبت سوالى
ونجني يارب مما اصابني ... فانت الكريم ومولى الموالى
لك سلمت امري ياعالم بحالى ... ففرج لي كربي وذلي ووبالى

(قال الراوى) فبينما الامير يبتهل الى مولاه ويتضرع الى الله واذا بالغبار قد ثار وعلى وسد الاقطار وقد انكشف الغبار عن خيال طويل القامة عريض الهامة واسع الصدر عريض الاكتاف راكب على جواد من اوفى الخيول الجياد وقد اقبل الى عند ذلك اللعين وصاح عليه يقول ايش يكون الزوال في ظلام اليل فصاح اللعين كناس مرفوص هبلان مقطوع الزنار رافص قبر اصفوط برجل حمار فلما سمع الخيال ذلك المقال قال له جيتك يانذل الانذال ويا ولد غير حلال فانطبق اللعين عليه كأنه جبل من الجبال واندوا عليه مثل انفصال اللبوة على الاشبال فتلقاه ذلك الخيال واشتد بينهما الحرب والنزال والطعن والجدال ولم تكن غير ساعة حتى ان الخيال أخذ من الملعون واعطاه وبايعه وشراه وضربه بالحسام على قفاه طلع يلمع من علائقه فوقع اللعين قتيل وفي دماه جديل وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار هذا وقد تحول الخيال عن ركوبته ونزل الى الارض من ساعته وجرد اللعين من شاكريته وقد اخذها وتقلد بها وأخذ أيضاً

شاكرية السيار وقد أخذ ملابس الملعون وجواده وتركه ملقى على الارض وركب وسار الى حال سبيله وقد ترك الامير بيبرس وهو على حالته التى ذكرناها واراد ان يسلك البر فصاح عليه الامير يامقدم فقال المقدم جيتك انت الاخر فقال له انا ماجيتك يا أخي ولكن اقبل الى عندى فقال سمعاً وطاعة ثم أقبل الى عنده الخيال فرآه مشبوح ذلك الشبحة فقال له انت ايش قال له انا بيبرس خادم أمير المؤمنين قال له انت بيبرس محمود قال نعم قال له العجمى الدمشقي الدربندى قال نعم قال الخيال ماسعدها من ليلة بأخذ الثار وجلى العار فقال له الامير وكيف ذلك يامقدم فقال له اعلم ان ابوك قتل ابى وانا أخذ بثاره منك والا اشترى نفسك منى بالمال فقال له يامقدم انا اشترى نفسى بما تريد من الاموال قال الخيال انا سامعك وانت تقول لهذا اللعين على الفين دينار وانا رجل غير طماع وانا احق وأولى من هذا الكلب ابن اللئام فقال له سمعاً وطاعة فقال الخيال اكتبهم لى عندك مال أيتام كل مايقعد عام يزيد وينموا فقال له الامير مامعى ورق ولا دواة فقال له خذ هذه الدواة والورق فكتب الامير ذلك وقال له ماسمك يامقدم فقال له اسمى وقع منى هاهنا ولم اره الاهاهنا ان شاء الله تعالى ولكن اكتب ضايع الاسم فكتب له ماأمر بعد ان حله من وثاقه واراد ان ينصرف فقال له الامير اعمل معروف واعطينى جواد هذا الملعون حتى اروح عليه فقال له مامال يخلو من بيع فقال له تبيعها يامقدم قال له نعم وحق الملك العلام قال له بخمسمايه دينار فقال له اكتبهم لى عليك فكتبهم وأراد ان يجردها من الحزام والسرج واللجام فقال له والاخرين بخمسمائة دينار فقال له كتبتك ثم سلمه ذلك واراد أن يسير فقال له من اين يكون الطريق فقال له يادولتلى من الذل السوال ولو ابن السبيل هين درهمك ولا تهين نفسك فتعجب

الامير من أمره واستعجب من طمعه وكتب له خمسمائة دينار ودله على الطريق وقد رأى ا كثر فرحه بالشا كريه التى أخـذها فقال له يامقدم اعطنى هذا الحسام قال له لا والاسم الاعظم ولو أعطيتنى مال أهل الدنيا ماسلمتك اياه فقال له ولاى شيء قال له ان شاء الله سوف تعلم السبب وينكشف عنك الغطا وتعلم حقيقة الحال اذا آن الاوان فتركه الاميروسار الى حال سبيله

(قال الراوى) وكان هذا المقدم يقال له ابراهيم الحورانى بن حسن الحورانى والسبب فى مجيئه انه كان عاجز بشقته اليمين فمر به الخضر عليه السلام وعاهده وأخذ عليه الميثاق وداواه وبشره ببشارة عظيمةمن جملتها انه قال له قاتل كيف شئت فلا تموت الا على فرشك بعد مدة طويلة لا قتيل ولا غريق ولا حريق ثم تفل فى فيه وكحله فسار لايخطى نظره وله تأصيله عجيبة وأمور غريبة ولكن سوف نذكر كل شيء فى محله بحول الله وفضله (ياساده) ولما جرى ماجرى للامير واستغاث كما ذكرنا كان ذلك المقدم في وسيع الآكام وأقبل اليه الخضر عليه السلام وقال له سر الى المكان الفلانى وانجد الامير بيبرس مما هو فيه واذا سألك عن اسمك فقال له ضائع الاسم ولا تعرفه بشى حتى يؤون الاوان فقال له المكان الذى وصفته لى بعيد فقال له لله رجالا اذا رفعت حواجها يقضى الله حوائجها يقولون لهذا الغلام كن باذن الله فى عفنة الصوانه وفم الرمانةواشار الشيخ بيده عليه فتميز الارض واذا بهـا عفنة الصوانة وفم الرمانةووجدالامارة والاشارة فاقبل وفعل ماذكرناه فهذا ما كان من أول ظهورابراهيم (قال الراوى) وأما ما كان من أمر الامير بيبرس فانه سار الى ان تقارب من العرضى واذا بعثمان مقابله فقال له اين كنت فقال له كنت اتفسح فى الخلوات

قال عثمان قابلت الرجل الكبير وقال لك انا ضايع الاسم قال ومن اين لك معرفة به قال انه مشدود عقيرب وهو الذي أرسله اليك فقال له اقصر كلامك جاتك داهيه انت وعقيرب سوا فقال عثمان والرجل مات فقال له اسكت ياعثمان ولا تبدى كلام ولكن اخبرنى ايش يكون جواز فذل عثمان القاضى فصاح عليه الامير اخرص يارجل ولاتقذف فى حق شيخ الاسلام قال عثمان ابن الخرا لا يصدق حتى يرى ثم ان الامير دخل مكانه

(قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر القاضى وابيك فانهم صبروا حتى أصبح الله بالصباح وافتقدوا الامير بيبرس فوجدوه فى غاية من الصلاح وهو في مكانه مؤيد بعون الله وسلطانه قال ابيك يا قاضى ها هو باقى على أحسن حال وأتم متوال وكان الرجل الذى ارسلته اليه لم يطاوعك فعند ذلك صاح القاضى بغلامه وقال له يا منصور سر من ها هنا واكشف لى خبر زهير فاجابه بالسمع والطاعة وسار من تلك الساعة طالب قلعة زهير وما زال كذلك الى ان دخل اليها فوجد أخيه جالس مكانه وزهير ما هو فيها فسأل عن الخبر فاخبروه بانه ترك القلعة وسار من يوم ما ارسل اليه الكتاب من عند عالم الملة فرجع البرتقش الى حال سبيله ثم أتى الى عرضى الامير بيبرس فوجد حجرة زهير هناك فعرفه وعاد الى استاذه وقال له انى وجدت من الامر ماهو كذا وكذا واعاد عليه الامر من اوله الى آخره وكشف له عن ظاهره وباطنه فقال له قد هلك زهير يا برتقش وحق ديني ولكن الى لعنة المسيح ثم ان اللعين سطر كتاب وقال للبرتقش خذ هذا الكتاب وسر به الى كفير أخيه واعطيه الكتاب وأمره يفعل بما فيه فقال له الاول قتل وتريد ان تقتل الثانى فقال له سر بلا غلبه استاذك ماله خير فى أحداً بدا لا نصرانى ولا مسلم وانى أقول ماطلعت الشمس

بعدى هذا وقد سار البرتقش بالكتاب حتى وصل الى القلعة ودخل على كفير واعطاه الكتاب ففضه وقراه وفهم ما فيه من معناه واذا به أوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وانتم نوحد الله الملك القريب خطابا من عالم الملة الى يبن ابادى ولدى كفير اعلم انى اطلعت على قايمة الاعمار فوجدت عمرك قصير وعمر أخيك طويل فاخذت من عمر أخيك ورددت في عمرك وأرسلت أخوك الى سقر والوادى الاحمر فاذا قرأت كتابي هذا فسر الى بيبرس واسرقه ليلا واعمل على قتله واوهبت لك خمسين سنه زياده في عمرك وعشرين فدان في سقر فلما أتى الى آخره صاح بعلو صوته شكراً يا مسيح ثم باس الكتاب وكتب له رد الجواب وارسل به البرتقش فعاد به الى جوان فلما سلمه اليه قرأه واذا هو بامتثال أمره ففرح اللعين بذلك وفرح ايضا ابيك فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر اللعين فانه لما اقبل الليل بالاعتكار لبس ملابس العيارين وسار الى ان وصل الى الشام دخل الى العرضى وهو على صفة الاسلام ولم يزل كذلك الى ان وصل الى صيوان بيبرس وميزه وعرفه وحققه واختفى بعد ذلك ينتظر هجوم الظلام (يا ساده) فلما جن الليل بالاعتكار بينما الامير جالس واذا عثمان داخل عليه وقال السلام عليكم قال له عليكم السلام ما تريد مني يا عثمان قال اريد ان اجلس معك واحدثك الليله فقال له روح الى مكانك فانى أريد أن انام فقال عثمان طاوعنى في ذلك فقال بيبرس لا أطاوعك ابدا على ذلك فقال انت الآخر جاتك داهيه من الله ولكن متلقيها عنك عثمان بن الحبلة فقال له روح الله يجازيك في كلامك ثم ان عثمان تركه ومضى هذا وقد هود الليل ونام الامير بيبرس وعبر اللعين يريد الامير كما وصفنا وأراد ان يدخل على الامير بيبرس ويدنوا منه واذا برزة عثمان تقرقع فى نافوخه قد شدت رأسه الى الارض صريع

بعج علقها وبجيع وقد صاح اللعين بعلو صوته واى فانتبه الامير ويده على الحسام وخرج من مكانه فزعان فتأمل فرأى القتيل وعثمان فلما رأى ذلك قال ما الخبر ياعثمان قال عثمان هاأنت شايف فتأمل بيبرس فرأى ذلك القتيل وعليه ملابس الاسلام فقال ومن قتل هذا قال عثمان أنا بقبقته بالرزه فقال الامير لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هذا رجل من أتباع القاضى وكانه خرج يريد قضاء الحاجة فتاه فى الخيام فاتى الى هاهنا فقال عثمان والرأى فى ذلك قال الرأى انك تأخذه تحت الليل وتسير به الى الخلوات وتدفنه قبل أن يطلع النهار ويظهر أمره وان سألك احد عن ذلك فانكر واذكر له أننا لا رأينا ولا نظرنا فقال عثمان هذا هو الرأى الحسن ادخل انت الى مكانك فدخل الى مكانه وعثمان جذب القتيل من رجله اليسرى وصار يجره والدما يسيل على الارض حتى اقبل الى خيمة القاضى وقال له عثمان هاهى خيمة قريبك خليك عنده ولا ترجع ثم تركه عثمان وعاد الى محله وصبر عثمان قدر ساعة وخرج واذا به وجد القتيل عند خيمة بيبرس فقال عثمان ومن اذنك بالرجوع الى عندنا وتترك رفيقك (قال الراوى) وكان السبب في ذلك ان عثمان لما جره الى خيمة القاضى كما ذكرنا وتركه كما وصفنا فخرج القاضى يريق الماء فوجد هذا القتيل فتأمله فعرفه فرجع وقد يبست أعضاءه وتعلقت الى حلقه حصاه فدخل على غلامه وقال امتنع منى نزول الماء فوجده الغلام على ذلك الحال فسأله عن الخبر فاعاد عليه ماجرى ثم أعلمه ان كفير مات ثم قال له ياولدى اعمل حيل جره الى خيمة بيبرس فاذا طلع النهار دبرنا الامر على قدر مانرى فأجاب بالسمع والطاعة وخرج البرنقش وجره الي خيمة بيبرس من تلك الساعة وتركه هناك فخرج عثمان فرآه كما قدمنا فقال عثمان لايضر بشيء ابداً انا أرجعك الى قريبك

ثم جره الى خيمة القاضى ثانى مره هذا وقد لعبت رجلاين القاضى واشتغل
بذلك قلبه فصبر قدر ساعة وقال للبرتقش اخرج الى خارج الخيام وانظر
أين القتيل واخبرنى ياولدى لانى أخاف ان يكون رجع الينا ثانى مرة فقال
البرتقش نعم فخرج فرآه فجره الى خيمة بيبرس فطلع عثمان ثالث مرة
فرآه فقال له النوبة الاولى رجعتك والثانيه سامحتك وهذه الثالثة فلا
أسامحك فيها أبداً ثم أنه صاح ياعقيرب انت فين فقال عقيرب نعم ياسطى
وأتاه في عاجل الحال فاعاد عليه القصة من أولها الى آخرها الى أن قال
له وهذه الثالثة وهو يخالفنى ويرجع ويترك أهله ولكن أنا أعرف خلاصى
مع هذا الكلب ثم أمر عقيرب فشبحه على وجهه فى الارض ونهض عثمان
بالرزة وجعل يضربه ويقول له بقيتش ترجع الى عندنا وتترك أهلك وما
زال عثمان يضرب فيه حتى لاح الفجر واتضح النهار هذا وقد خرج القاضى
من مكانه فرأى عثمان يفعل هذه الفعال فقال القاضى هذا يحل من
الله ياعثمان فقال له انت لايخصك بذلك شيء فرجع القاضى وقد
ظهر له باب من أبواب المصائب ثم انه صبر حتى اتضح النهار وكان
قد أعلم أيبك بالقصة وفهم المماليك وأشهدهم على ذلك بالباطل ثم
أخذهم فشاهدوا فعال عثمان ثم انه دخل على الملك وأعاد عليه
القصة حرفا حرفا فلما انتهى من مقاله قال له الملك اجلس مكانك ياقاضى
فقد سمعت كلامك فجلس القاضى ثم ان الملك أمر باحضار بيبرس
فلما حضر سأله الملك عن ذلك الامر فقال له لا أدرى شيء من
ذلك ياملك الاسلام فقال القاضى ياأمير المؤمنين لايخبرك بالقصة الا عثمان
ابن الحبلة قال الملك صدقت ياقاضى على بعثمان فأتوا به الى عنده فلما
وقف بين يديه قال عثمان عايز ايه يابو جوطه قال له أريد أن

أسألك عن هذا القتيل ومن قتله وان القاضي يدعي انك انت الذى قتلته وانه من رجاله فقال عثمان أنا نبطته خبطة واحدة بالرزة هذا الانى وجدته داخل بالليل هاجم على الانقر وانه يريد قتله فقتلته أنا كما أخبرتك فاشار بيبرس اليه بعينيه يغمزه فقال عثمان غمزك حنش يدق فى بيضك أنت وأبى قوطه سوى ثم ان عثمان جعل يحدث الملك بالقصة وكيف قتله ووداه عند القاضي وطلع فرآه ثلاث مرات ثم ان عثمان جعل يضربه بالرزة حتى جاء القاضي ورأى ذلك ثم اخبرك وأنت سألتنى أخبرتك والسلام فقال الملك ياحاج شاهين سمينا بالأحرار كاتمين الاسرار ولكن ياحاج شاهين قبل كل شيء اكشفوا لنا على هذا القتيل لان الذى يفعل هذه الفعال ماله حظ فى الاسلام فنهض القاضي وكشف عليه بين أيادي أمير المؤمنين وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقشعر بدنى يا أمير المؤمنين فقال الملك ياحق ياذايم ياعلام الغيوب هذا لابس ملابس القضاة ياقاضي وانى اقول ان كل من كان بهذا الزى يكون نصرانيا والعياذ بالله فقال عثمان صدقت يابو حطه كلهم قرايب بعضهم وسرها فى مقامها فقال القاضي لا تتكلم يا شيخ عثمان بهذا الكلام واتق رب الانام واعلم ان أمير المؤمنين لا يقول هذا الا على سبيل المزاح فقال له ما علينا سمينا من الاحرار كاتمين الاسرار فقال القاضي خذوا هذا اللعين وادفنوه فى قبور الكفار قال الملك هذا جزاءه منك ياقاضي ففعلوا ما أمرهم به القاضي فهذا ما كان من هؤلاء ياسادة ثم ان الملك أقام قليل من الايام وأمر بالرحيل فرحلوا طالبين أرض المحروسة فلما وصلوا الى العادلية وبلغ خبر الملك الى باقى الدولة ضربت لقدومه المدافع وتبادرت المناداة بالزينة والمهرجان ودخل الملك المحروسة فى نهار لا يعد

من الاعمار وبيبرس عن يمين السلطان والوزير عن يساره هذا وقد تكلمت الناس فى شأن ذلك فقال واحد انظر يا اخى الى بيبرس والله يحق للملك ان يصالحه لانه محبوبه فقال الآخر الملك بتاع صغار فقال الثالث بعد ما أخذوه العجم وصار منهم وترك دين الاسلام راح الملك الصالح جابه من هناك لانه لايقدر على فراقه قال آخرهم الاثنين أصلهم اعجام قال آخر لا تصدقوا هذا الكلام ولكن هذه الامور كلها من دسايس أيبك والقاضى لانهما ياحاج ابراهيم خاينين وكثر كلام اولاد مصر والملك يعرف ذلك منهم ولكنه يدعوا لهم بالنصر والعز والتمكين وما زال كذلك حتى أتى الى قلعة الجبل وقد طلع الى سرايته وبات تلك الليلة فلما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت أرباب المناصب الى مناصبها وجلسوا فى مراتبها وقد تكامل الديوان وجلست الفرسان ودخلت الاغوات الى حضرة السلطان أعلموه بان الديوان تكامل قال الملك وعلى الله الكمال ثم نهض الملك الصالح على الاقدام وصار يتوكا على قضيب خيزران وهو يصلى على سيد ولد عدنان الى ان وصل الى الديوان وأبدا بالسلام فنهضت له العساكر على الاقدام وردوا عليه السلام ودخل الملك وبسط أياديه قرأ الفاتحة أم الكتاب وأهدى ثوابها الى ضامن جملة العاجزين والعاوزين ثم الى روح الملوك الذين تقدموا من قبل ومن بعد ثم جلس على التخت وأمر الرجال بالجلوس فجلسوا وقد قرا القارى وختم ودعى الداعى وختم وصاح جاويش الديوان وهو يقول

الله سلطان كل الانام يعزل ويولى ويعدل في الاحكام
يعرض يعافي لم ينسب الى عرض يمنع ويعطى من يشاء من الانام
يعفوا عن المسيء تكرماً يعذب الطاغين عدلا لا ملام

فنسأله من فضله الرضا بجاه المصطفى البدر التمام

(قال الراوي) قل الملك آمنا سبحان مالك الممالك سبحان المنجي من المهالك سبحان من عنده كل مليك كمملوك وكل غني كصعلوك قال الوزير آمنا قال الملك ياحج شاهين جزاهم على الله الطير حارس الطيور والطيور داروا يسكنوا في البرج متاع الطيور والطيور السود كانوا الطيور البيض والطيور البيض دبابيسهم مشاق ولكن جزاهم على الله فقال الوزير لا اله الا أنت يارب خلقتني ورزقتني وبخدمة هؤلاء الرجال أوعدتني لكن لا أعرف شيئاً مما يقولوه الهي لاتحرمني من اسيادي ياملك الاسلام مامعنى هذا الكلام قال له الملك يارجل ياشاهين أنا رجل عبيط اتكلم زي ماأعرف وان كلامي هذا من قبل الرجل الذي يجيب الخوص اقول له هات لي خوص من النخلة المدلة يجيبه من النخلة الموجه (قال الراوي) فبينما الملك يدندن ويقول ذلك الكلام واذا نجاب يقبل الارض بين يديه النبي فاز من صلى وسلم عليه وهو يقول نعم يا أمير المؤمنين قال له الملك من أنت قال له نجاب قال الملك من أين والى أين قال له من بيت المقدس معي كتاب من عند خادمك علي القموي باشت المقدس ثم ان النجاب اخرج الكتاب وسلمه للحفظه ناولوه للسلطان فحله وقراه واذا فيه الصلاة والسلام على المظلل بالغمام خطابا من عند علي القموي الى بين أيادي أمير المؤمنين الذي اعلمك به لا اعاملك الله بسوء ولا بمكروه انما قد ظهر عندنا نقص من بيت المقدس وكل يوم تذهب عملة من بيت رجل ولا نعلم من الذي يفعل ذلك الفعال فلما أعيانا الامر وضاق منا الصدر أرسلنا اليك هذا الكتاب أدركنا وأغثنا من التجار والخواجات والسلام على نبي تظلله الغمام فلما قرأ الملك الكتاب قال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومن الذي

فعل هذه الفعال وأبلانا بهذا النكال ياقاضي قال القاضي هذا شيء لا أعرفه أبداً لانه لايعلم الغيب الا الله الملك المتعال قال الملك آمنت بالله العظيم ولكن من يكشف عنا هذه الغمة ويمنع هذه البلية الدهمة فقال القاضي وقد نهض على اقدامه اعلم يامالك الاسلام انه لايفعل ما ذكرت من الاحكام الا ولدك المحفوظ المنصور الذي سعادته تضيء على رأسه كالمصباح قال الملك ياقاضي ان ولدي ساري عسكر وهذه الرتبة رتبة بشوية فقال القاضي هذا لايضر شيء يامولانا أبداً بل اعطيه يكون باشا بالقدس حتى يكشف هذه الغمة عن الناس الفقراء فقال الملك ياقاضي اعلم ان ولدي فقير وهذا الامر يحب المساعده قال القاضي صدقت يا أمير المؤمنين انا أساعده من مالي وصلب حالي بعشرين جواداً وعشرين مملوكا وعشرين كيسا من المال وعليك ياوزير ايبك مثلها امض ياايبك هذه الاول والآخر قال الملك هاتوا ماذكرتموه من الاموال فأتوا بذلك في الحال ثم ان الملك قال للوزير لبسه ياشاهين باشا بالقدس فارمى عليه الوزير الكرك وأولاه باشا بيت المقدس قال ثم ان الملك اوهبه ذلك المال كله ونزل من الديوان في موكب عظيم وخطر بالموكب في مصر فلما رأوه الناس تكلموا فمنهم من ذم ومنهم من شكر ومنهم من قال هذا بيبرس فارس عمر ماله منال ويتأمل أكثر مما هو فيه ولا بد له على ممر الزمان ان يكون مالكا وسلطان ومنهم من قال ان الصالح لا يحبه الا لاجل الفاحشة ولاجل ذلك كل ما بات في حضنه ليله يصبح يلبسه منصب قال واحد على أي حال هو رجل مسعود والسلام هذا وقد دعوا له وهو يسلم عليه بيده اليمين وله في العطايات طائلة وما زال كذلك حتى اتى الى بيته ووضب نفسه وسار الى الديوان وطلب الاذن من السلطان ثم انه تودع من الدولة وأخذ عثمان بصحبته وكذلك المقدم سليمان الجاموس والسقورة

الأثنين رفقته وضم رجالهم الى باقى عيلته وتوجه طالب بيت المقدس ولم يزل يجد فى المسير الى ان اتى الى هناك وقد بلغت الاخبار الى علي القموى باشت تلك الارض والبلاد وقد أعلموه بانه نزل بدله وقد نظر اليه الامير فعلم حاله قال له لايكون عندك فكر فى مجيئى ابدا واعلم انى ما اتيت الى هنا الا باذن السلطان لاجل ان اكشف العمل واظهر الغريم واعلم ان هذا محلك وهو باقى برسمك ولا أحد يأخذه منك فشكره على ذلك وقال له يادولاتلى انا مرادى ان تكون دائما عاكما على هذا المكان وأكون انا لك من بعض الغلمان فشكره الامير أيضا على ذلك وجلسوا ذلك اليوم وهم فى أهنأ ما يكون من اللذات الى ان أقبل الليل بالاعتكار وذهب النهار بالانوار قال الامير مرادى ان أسير الى بيت المقدس لعل الله ان يأخذ بيدى قالوا له الرجال نسير معك لربما يحصل لك أمر من الامور قال لهم جزاكم الله عنى خيرا فاعلمكم انى نازل الى ذلك الامر بنفسى ولم يكن معى غير ربى ثم انه غير زيه ولباسه ونزل يشق تلك الارض طولا وعرضا فبينما هو سائر في ذلك البطاح واذا قد لاح له شخصين كافرين فتبعهم وتأمل فوجد أحدهم معه شكمجية وهو حاملها والآخر معه سيف مجرد وماشى خلف رفيقه يحرسه من واشى او رقيب وهما سائرين لايخافون الموت ولا يرهبون الفوت قال الامير في نفسه اتبع خبر هؤلاء الملاعين وانظر ماذا يكون من أمرهم ثم سار خلفهم الى ان دخلوا الى مكان خالى من الناس فدخلوا فيه هؤلاء الاثنين وهو على أثرهم الى أن دخلوا الى الى المكان فوقف الامير خلف الباب فلما عبروا صاح عليهم تبيرهم بلغتهم وقال لهم مافعلتم فى هذه الليلة قالوا له سرقنا شكمجية من سراية على القموى واتينا بها الى نصف الطريق فتبعنا بيبرس الذى أتى الى هنا من

عند رب المسلمين وهو الآن خلف الباب قال لهم يا كناسات لايتدارى في البيبان والحيطان الا النسوان وان كان كلامك صحيح وما ذكرته بلسانك صدقا ومليح وكان هو صاحب عزم وهمة يدخل الى عندنا وينصب طوله بيننا

(قال الراوى) فلما سمع الامير كلامهم وما قالوه من حديثهم هاج كما يهيج الجمل الولهان واخرج سيفه من غمده ودخل بقاب قد من سنديان وقال الله أكبر فتح الله ونصر واخذ بالاثام من كفر واراد ان يضع فيهم الحسام وقد هاجوا في بعضهم في وسط ذلك المكان واذا باللعين الكبير ينادى عليهم بلغته اسبيته يعنى لاتعجلوا بل تأنوا لان البنج قد تمكن منه فجمدوا وقد صاح الامير تلك الصيحة ووقع الى الارض كأنه الجذع الممدود لان اللعين عند دخول الامير ارمى رخفة من البنج ولم يكن الامير محترساً على ضده فلما تبنج الامير بيبرس فنهضوا الكفار اليه واحتملوه وأخذوا ماعندهم من الاموال الذى جمعوها وساروا بالجميع وكان عددهم اربعين بطريق وما زالوا سائرين الى ان اتوا الى مكان منقطع عن العمران وقر قرارهم في ذلك الفلوات ثم انهم وثقوا الامير بيبرس كتاف وقووا سواعد والاطراف ودقوا له اربع سكك واعطوه ضد البنج عطس فقال اشهد ولا اجحد بالدين العربى محمد أين انا فصاح عليه كبير الاثام وقال له عندى يا كناس يامرفوص يامقطوع النخاع فقال له ومن انت قال له فتح عينيك انا عبد الصليب وهؤلاء رجالى فقال له ومالك ومالى قال له سلطانى عليك عالم الملة جوان (قال الراوى) وكان السبب في ذلك ان اللعين جوان لما ضاقت به الحيل وخاب ما كان يرجوا من الامل ارسل كتابا الى البب ميخائيل مع بعض السفار فلما

وصل الكتاب اليه فضه وقراه واذا اوله صليب واخره صليب وعنوانه صليب ونحن وانتم نصلي على النبي الحبيب خطابا من عالم الملة المسيحية وناصر دين النصرانية جوان الى بين ايادي البب ميخائيل الذى اعلمك به انني قد ضاق صدرى وعيل صبرى من أمر بيبرس ولا بلغت منه مرادى وضاقت علي الحيل ولا وسعني سهل ولا جبل فساعة وصول جوابي اليك ترسل الى ولدى عبد الصليب كبير العيارين فارس اللصوص ورأس الماكرين وتسيره هو ورجاله أجمعين ويأتى بالجميع الى بيت المقدس ويسكن برجاله في الخلوات ويسطوا في البيوت والخلوات ويسرقوا العملة ويأخذوا ماطاب لهم من الحاجات فاذا وصل الخبر الى أمير المؤمنين بذلك الامر المهين تحايلت انا في ارسال بيبرس الى بيت المقدس فاذا وقع لهم وسرقوه يعملون على قتله وقد أوهبت لمن يفعل ذلك ثلث سقر بعد الزيادة الكثيرة في عمره فلما قرأ الكتاب ارسل هؤلاء العيارين صحبة هذا المايق اللعين وكان يعرف النبج وشده والفرد ورميه فلما وصلوا الى بيت المقدس فعلوا ماذكرنا من الفعال وشاعت الاخبار كما قدمنا وارسل باشة المقدس للملك كما سررنا وتسبب القاضى فى ارسال بيبرس وجرى له ماذكرنا فهذا ما كان الاصل والسبب وسنرجع الى ما كنا فيه من كلامنا ونصلي ونسلم على سيدنا محمد تاجنا واماما منا (قال الراوى) وقدفاق الامير ووجد نفسه كما حررنا هنا وقد سل اللعين سيفه وصاح به على بيبرس وقال له قل كلمتك عند المنطار فقال له تأخر عنى حتى اطلب الفرج من صاحب الفرج فتأخر اللعين عنه وهو يضحك من قوله وصار يهزأ به والامير لم يلتفت اليه بل رمق بطرفه الى السماء وهو يقول

يا الهى العالمين باسرهم فرج كربتى ياخالق وشدايد
وانقذنى من عدوى انه بدالى اسواء وشدسواعد
وحملنى حملا ثقيلا بفعله وارمانى بزلة ومكايد
وانت العليم ياسيدى بمصيبتى وانت الخبير بحالتى ياسيدى
وانت القدير على ازالة ضرنا وانت العطوف بنا والمجد
وانت الاول فلا بدا ولا نهاية لاخر منك ومبتد
وانت الرحيم بالاطفال فى ارحامها والرؤف المرشد
توسلت اليك بخير من جاءنا بالهدى المقتد
عليه صلاة مع سلام دائما ماهطلت الامطار اوغيب ند
كذا الال والاصحاب كامل جمعهم والتابعين لهم دواما سرمد

(قال الراوى) فبينما الامير يطلب الفرج من صاحب الفرج ويستغيث وهو فى أشد مايكون واذا بالجو قد اظلم والغبار قد ثار وانحدر اليهم خيال وهو قاصد اليهم ولم يكن باسرع ماصار في أوساطهم وصاح بهم حس عنه ياقرون الله اكبر فتح الله ونصر واخذل من كفر فلما عاينوا اللئام ارتعدوا منه الابدان وتلجلج منهم اللسان وارتابت قلوبهم من صرخته وتخلخت اعضاءهم من عظم صيحته وحارت افكارهم وزاغت اعينهم من عظم هيكله وصورته (قال الراوى) وقد ضرب الاول منهم فدعاه قتيل والثانى اهواه والثالث اعدمه الحياة ولم يزل بهم كذلك وهما منحصرين فى ذلك المكان ولم ينفلت منهم انسان وهو يلعب فيهم بالحسام الرنان حتى لم ينجوا منهم انسان وعجل الله بارواحهم الى النار وبئس القرار هذا وقد جرد ما معهم من السيوف بعد ان اساقهم شراب الحتوف وأخذ سلاحهم والامتعة ولم يترك منها شيئا له منفعة بل تركهم طعما للوحوش فى الا كام وقد نصر الله الامير على يد

ذلك المقدم (ياساده ثم انه تقدم اليه وقال له بالاسم الاعظم الاكرم الامجد المعظم ماهذه نجدة عظيمة قال له الامير والاسم الاعظم نجده واى نجده والله هذه الجميلة لايقاومها مل ولانوال فقال له خذ هذه الدواة والقرطاس وا كتب لى خمسة آلاف شريفى ذهب فقال له وماسمك قال له اسمى ضايع الاسم فعرفه وسلم عليه وكتب له ماطلب منه فقال له يامقدم وللان ماالقيت اسمك قال لا قال له وما اسم ابيك قال له ضايع الاسم ايضا قال وماسم امك قال له ضايعة الاسم ايضاثم ان الامير تركه الخيال بعد ان خلصه من وثاقه وغاب فى البر من وقته وساعته وغاب من حيث اتى قال وكان السبب فى مجيئه شيخه الخضر عليه السلام وستذكر كل شىء في محله بعون الله وفضله (ياساده) ثم ان الامير سجد شكرا لله تعالى وعرف ذلك المكان وسار ليلا الى نحو الديار فلما وصل واذا بعثمان مقبل عليه فقال له عثمان انت كنت فين تبنجت قال له اسكت ياعثمان انا كنت في البر وقصدى اكشف الغريم قال عثمان قابلت الرجل ابو كرش كبير وخلصك وكتبت له المديات الصفر قال الامير اسكت يارجل قال عثمان وكتبت له ثمنية قال له اسكت يارجل قال مابقيت تطاوعه هذا رجل طماع قوى ياشقر قال له الامير ومن اين لك معرفة بذلك قال له قالت لى العصفورة قال الامير ياعثمان تعرف اسمه قال عثمان انت غشيم عنه اسمه عقيرب قال له الامير غور جاتك داهية انت وعقيرب سواء ولكن ياعثمان سر الى المكان الفلانى وخذ معك ماشئت من الغلمان وأتنى بما فيه فأجابه عثمان بالسمع والطاعة وأخذ الرجال والبغال وسار الى نحو ذلك المكان وأخذ المال والنوال واذا به أربعة وعشرين شكمجيه من المال وتسعة من الجواهر الغوال فحملهم عثمان على ظهور البغال الى ان اتوا الى سيده فاطمأن قلبه

وسكن روعه فهذا ما كان منه (قال الراوى) وأما ما كان من أمر على القموى باشت بيت المقدس فانه صار منتظر عودة الامير فلم يأته خبر عن ذلك فقاق قاق عظيم ولم يزل فى فكر وحيرة حتى طلع النهار فبينما هو كذلك واذا بالامير قد طلع عليه فنهض له وتلقاه وسلم عليه وحياه وبالسلامة هناه وأجلسه مكانه ولما استقر به الجلوس سأله عن حاله وما كان من أمره قال قد نصرنا الله على الاعداء فارسل المنادى ينادى ان كل من كانت له حاجه ضايعة يأتى ويأخذها من المكان الفلانى وذلك بعد ان يصفها باوصافها قال له جزيت خيرا ولكن ياسيدى أخبرنى بما جرالك فاعاد عليه ماقدمنا ذكره فتعجب من ذلك كل العجب وقال له انت منصور من الله الواحد الاحد ثم أمر المنادى ينادى بما أمر به الامير فنادى بذلك فلما سمعت الخواجات النداء اتوا الى الديوان يهرعون من كل مكان وجعل كل واحد يصف ماضاع له الامير فيسلمه اليه ويأخذ عليه حجة مختومة بذلك الى أن أعطى كل ذى حق حقه ولم يغب لاحد من أهل بيت المقدس شىء ثم ان الامير جلس بعد ذلك ثلاثة أيام ونزل في اليوم الرابع لاجل الفرجة فنظر الى الغمامة القدسية العتيقه وقدامها بيت المقدس فتأملها الامير ونظر الى الغمامة فوجدها مبنية بالرخام الالوان والفراشات المزخرفة والقناديل البلور المعمرة بدهن اللون فى سلاسل من خالص الذهب والفضة والمباخر معبقة والروايح فائحة فائقة فسأل عن ذلك قالوا له هذه الغمامة العتيقة القدسية بتاعت الكفار فتعجب كل العجب والتفت الى بيت المقدس قال وما هذا قالوا هذا جامع بيت المقدس فتأمله واذا به مفروش بالخسف

وبعضه من غير فراش فزاد عجبه وتأمل طويلا وبكى وتحسر وفى ذلك الامر تدبر وقال وحق ديني لابد لى ان أقيم شعائر الدين وأجعل هذا المكان حرما للمسلمين وأحرم الكافرين أن يصلوا الى هذا المكان وأسد باب الغمامة بالطين وأفسد عليهم ماهم عليه من اليقين وأظهر في هذا المكان أثر عظيم ثم ان الامير تأسف على تلك الاحوال وزاد به البلبال وانشد وقال صلوا على باهى الجمال

عجبا من الديار ومن أهلها   وزاد عجبي فى صنع الكوافر
زينوا الغمامة من كل زينة   مما تتحير من حسنه النواظر
وجعلوا القناديل في اوساطها   مغمورة بدهن لون أخضر
معلقة فى سلاسل من فضة   مطلية من فوقها بذهب احمر
مفروشة بالخز والديباج من   حرير أبيض فى أسود فى أصفر
وكذا الستور تحير لونها   كلاهما من الحرير الاخضر
والارض راقت بالرخام ملونا   يزكو عليها الفراش المدثر
كذا الابخار قد تصاعد ريحها   يضيح منها مسكها والعنبر
فلابد لى ما ابطل رسمها   وأجاهد كل الجهاد بابتر
فاما ان أفوز بكل مطالبى   واما ان أموت وأقبر
محا الله قوما اتوا يسكنونها   كلاب الكفر اللئام الفجر
مالى أرى البيت الحرام مدثرا   خالى من التجيف حقا مثغر
هو بيت الله في الارض كلها   مسكن الاحباب أهل التدبر
قد جعله حرما آمنا للورى   وحرم الكفار منه المنظر
ولايذان الجهد فى طاعة الذى   خلق الانام وأجرى الابحر

(قال الراوى) ثم ان الامير دخل الى المسجد ودخل عليه فتلقاه الامام

النووى رضى الله عنه فسلم عليه الامير وقبل يده واجلسه الى جانبه فلما استقر به الجلوس قال له الاستاذ ما تريد قال له اريد ان اسدد الغمامة المتيقة ولا يكون هنا مشهور خلاف بيت المقدس فقال له الاستاذ هذا شىء لا يكون ابدا لان علينا خزنة مال للسلطان من العام الى العام توردها النصارى الى ملك الاسلام واذا سدت ياولدى تتحرك الشام من ساير الاقطار والاكام ويصير الغزو فى بلاد الاسلام واعلم انك لايخرج من يدك ماذكرت قال الامير وعزة الله تعالى لابد من سدها فقال له اعلم اننا لا نسلم لك فى ذلك الا ان أتانى خطاب من ملك الاسلام وذلك لاجل اذا اتى بعد ذلك أمر من الامور يكون هو الذى يتلقاه بنفسه عن الاسلام دون غيره فقال له الامير لك على ذلك ثم ان الامير قال والاسم الاعظم ان لم يأمرنى أمير المؤمنين بما خطر ببالى من سد الغمامة والا رجعت من هاهنا الى بلادى ولا أسكن بلدا يكون فيها من يخالف أمرى في طاعة ربى ثم ان الامير سطر كتاب وذكر فيه كل ماجرا من اول الامر الى آخره وختم الكتاب وسلمه الى عثمان وقال عليك بالملك الصالح والديوان المصرى فاجابه بالسمع والطاعة ثم انه سار من تلك الساعة ولم يزل كذلك حتى طلع الى الديوان



تم الجزء العاشر ويليه الجزء الحادى عشر وأوله غلق الغمامة القدسية وفتنة الوزير ايبك مع الامير بيبرس ومايحصل فى ذلك من الامور المدهشة

ويطلب من المكتبة العلمية العمومية بشارع الحلوجي قريبا من الازهر الشريف بمصر و المشهد الحسيني